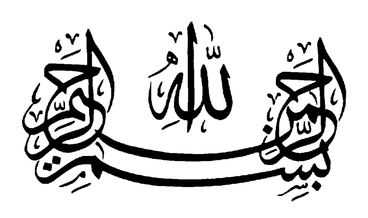


الوهابية المتطرفة

موسوعة نقدية







المجلد
الاول



سرشناسه: فرمانیان، مهدی، ۱۳۵۲ـ، گردآورنده

عنوان و پدیدآور: الوهابیة المتطرفة: موسوعة نقدیة/ تالیف جمعٌ من المولفین؛ باهتمام مهدی فرمانیان؛ بطلب من المؤتمر العالمي «آراء علماء الإسلام في التیارات المتطرفة والتكفیریة»

مشخصات نشر: قم: دارالإعلام لمدرسة اهل البیت (ع)، ۱۳۹۳-

مشخصات ظاهری: ج.

شابک (ج.۱): 978-600-94845-7-7 (V.1)

شابک (دوره): 978-600-94845-8-4 (V.SET)

وضعیت فهرست‌نویسی: فیپا

یادداشت: عربی

یادداشت: این مجموعه ۵ جلدی است و شامل چندین کتاب در نقد وهابیت افراطی است که توسط علمای اهل سنت تألیف شده است.

یادداشت: کتابنامه

موضوع: وهابیه ـ عقاید ـ نقد و تفسیر

موضوع: سلفیه ـ عقاید ـ نقد و تفسیر

موضوع: تکفیر ـ نقد و تفسیر

موضوع: وهابیه ـ عقاید ـ نظر اهل سنت

موضوع: سلفیه ـ عقاید ـ نظر اهل سنت

شناسه افزوده: کنگره جهانی جریان های افراطی و تکفیری از دیدگاه علمای اسلام (نخستین: ۱۳۹۳: قم)

رده بندی کنگره: ۱۳۹۳ ۹و۴ف/ BP۲۳۸/۵

رده بندی دیویی: ۲۹۷/۴۱۶۴

شماره کتابشناسی: ۹۳۲۹۷۴۱۶

المؤتمر العالمي «آراء علماء الإسلام في التيـارات المتطرفة والتكفيرية»

قم، شارع الشهداء، ناصية زقاق ۲۲، رقم البناية ۶۱۸

هاتف: ۰۲۵-۳۷۸٤۲۱٤۱

البريد الالكتروني: info@makhateraltakfir.com

الموقع الالكتروني: www.makhateraltakfir.com

الوهابية المتطرفة: موسوعة نقدية ـ المجلد الاول

بطلب من: المؤتمر العالمي "آراء علماء الإسلام في التيارات المتطرّفة والتكفيرية"

باهتمام: الدكتور مهدي فرمانيان

الناشر: دارالإعلام لمدرسة اهل البيت عليهم السلام

الإخراج الفني: سالم فيض الله

تصميع الغلاف: محمد مهدی اسعدی

المشرف على الطباعة: سيد محمد موسوی

الطبعة: الأولى، ۱۴۳۵هـ

الكمية: ۵۰۰ نسخة

طبع و تجليد: سليمان‌زاده

سعر الدورة: ۱۵۰/۰۰۰ تومان

ردمك الدورة: ۹۷۸-۶۰۰-۹۴۸۴۵-۸-۴



قم، شارع الشهيد فاطمي، زقاق۲، الفرع الأول، رقم البناية ۳۱

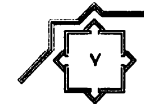
هاتف: ۰۲۵ـ ۳۷۷۴۰۷۳۹

البريد الألكتروني: info@darolelam.ir

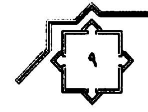
عنوان الموقع: darolelam.ir

الفهرس

الجوهر المنظم في زيارة القبر الشريف النبوي المكرم



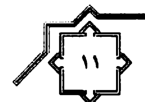
حسن المقصد في عمل المولد



الدرر السنية في الردّ على الوهابية

فتنة الوهابية

محق التقول في مسألة التوسل

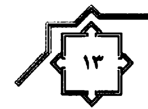


جواب سؤال حول التوسل والاستغاثه

كَلمةٌ علِميةٌ هادِيةٌ في البدعَةِ وَأحكامِها

إرغام المبتدع الغبي بجواز التوسل بالنبي

إحياء المقبور من أدلة جواز بناء المساجد والقباب على القبور



بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيم

كلمة سماحة المرجع الديني الشيخ ناصر مكارم الشيرازي (دام ظله)

الرئيس الأعلى للمؤتمر:

لا غرو أنّ عصرنا هو عصر الوقائع المريرة و المعقدة و الفتن الخطيرة التي تعصف بالإسلام و المسلمين و تستقي من مؤامرات أعداء الإسلام الأجانب بالتواطؤ مع منافقي الداخل.

إنّ فتنة التكفيريين و المتطرّفين لهي من أعظم الفتن التي ابتُلينا بها، و التي ظهرت لنا في الآونة الأخيرة في صورة الجماعة المسماة «داعش» و أخواتها.

فمن أين أطلّت علينا فتنة التكفير هذه؟ و كيف نشأت و ترعرعت؟ و ما هي أسباب انتشارها؟ و أنّى السبيل لإطفاء نائرتها؟ يحتاج كلّ من هذه الأسئلة إلى بحث مفصّل و دقيق، و يقيناً أنّ الخطط السياسية و العسكرية، مهما كانت ذات مصداقية، فلن تكون، بمفردها، فعالة في دفع هذه الفتن. إذ لا بد لكبار علماء الإسلام أن يهبّوا لاقتلاع جذور هذا الفكر المنحرف بالموعظة الحسنة و المنطق السليم، ليحولوا دون انجذاب الشباب نحوه.

من هذا المنطلق، اتُّخذ القرار و بمساعدة نخبة من العلماء الواعين و المشفقين من جميع المذاهب الإسلامية لعقد مؤتمر عالمي تحت عنوان «آراء علماء الإسلام

في التيارات المتطرّفة و التكفيرية» ليتدارسوا خلاله الموضوع بعمق و دقّة، و يضعوا نتائج دراساتهم و أبحاثهم في متناول الجميع، أملاً في توعية الرأي العام الإسلامي و إطفاء نار هذه الفتنة العمياء. وهذا الذي بين يديك عزيزي القارئ هو جانب من تلك الدراسات.

﴿رَبَّنَا افتَح بَينَنا و بَينَ قَومِنا بِالحَقِّ و اَنتَ خَيرُ الفٰتِحين﴾.

قم-الحوزة العلمية

ناصر مكارم الشيرازي

ذوالحجه ١٤٣٥ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المشرف العلمي

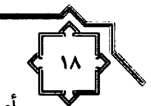
سماحة المرجع الديني الشيخ جعفر السبحاني (دام ظله)

جذور ظاهرة التكفير والدوافع وراء عقد مؤتمر «آراء علماء الإسلام في التيارات المتطرفة والتكفيرية»

الإيمان والكفر مفهومان متضايفان، فعندما نذكر أحدهما يتداعى الثاني إلى ذهننا، ويطلق على هذه الحالة في الفلسفة «التضايف».

إنّ مصطلح «الإيمان» يعني التصديق والاعتقاد، ولفظ «الكفر» يقصد به الستر وأحياناً يفيد الإنكار، وبحسب ما اصطلح عليه المتكلمون فإنّ المقصود بالإيمان هو التصديق بنبوة النبي وبرسالته. أما «الكفر» فيراد به تجاهل دعوة هذا النبي وتكذيبه.

ولا شك في أنّ دعوة معلمي السماء تشي أنّه في كل عصر بُعث فيه الأنبياء وجاؤوا بالأدلة والبراهين التي تؤكد على صدق دعوتهم، انشطرت مجتمعاتهم إلى فئتين: فئة آمنت بالدعوة وأخرى كفرت بها، فالذين آمن بالدعوة وصدّقها يسمى «مؤمنا» والذي قلب ظهر المجن لها وكذّب بها يقال له «كافر».



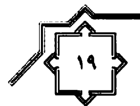
ومن المعلوم أنّ منهج جميع الأنبياء في الدعوة إلى الأصول واحد، ولا يوجد أي اختلاف بينهم، ففي جميع الدعوات كان أفراد الفئة المؤمنة إنّما يؤمنون بالله الخالق المدبر والحكيم الذي لا معبود سواه، ويصدّقون رسالة نبيّ عصرهم بكل جوارحهم.

وحين قضت إرادة الله تعالى ببعث النبي الخاتم ﷺ كانت علامة إيمان الناس بالدعوة النطق بعبارتين تفصحان عن الإيمان الذي في مكنونهم، أعني، كل من كان ينطق بالشهادتين «لا اله الا الله محمد رسول الله»، أفراداً أو جماعات، كان يدخل في حظيرة الإسلام، وينفصل عن دائرة الكفر.

من جهة أخرى، فإنّ الإقرار بكلمة الإخلاص ـ التي تنطوي على سلب الإلوهية من كل موجود إلا الله ـ تتضمن الإقرار بثلاثة أنواع للتوحيد: ١. توحيد الخالقية، ٢. توحيد التدبير، ٣. توحيد العبادة. لأنّ هذه الأنواع الثلاثة هي من خصوصيات إله العالمين لا خلائقه.

ناهيك عن أنّ الأساس الذي تقوم عليه أيّ دعوة إلهية هو الإيمان بالآخرة، طبعاً الإقرار بالحياة الأخروية كما التوحيد والرسالة، يعدّ من العناصر الإيجابية في الإيمان الذي يستكنه أعماق كلمة الإخلاص.

لو رجعنا إلى السيرة النبوية المعطرة سوف نطالع صفحة باسم «عام الوفود» وهو العام الذي تقاطرت فيه الوفود على المدينة من كل حدب وصوب، زرافات ووحدانا، لتبايع الرسول الأكرم ﷺ، ولتستظل بخيمة الإسلام من خلال النطق بالعبارتين المذكورتين اللتين تختزلان الإيمان الحقيقي. وفي هذا الشأن نزلت سورة النصر المباركة لتصدح بالآيات الكريمة ﴿ **إِذا جاءَ نَصرُ الله و الفَتح * و رَأَيتَ النّاسَ يَدخُلونَ في دينِ الله اَفواجا * فَسَبِّح بِحَمدِ رَبِّكَ و استَغفِرهُ اِنَّهُ كانَ تَوّابا** ﴾.

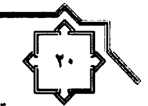


إذن مفتاح دخول هذه الأفواج في الإسلام كان النطق بالشهادتين فحسب، ولم تكن ثمة مسائل كلامية أو فقهية تشترط قبول إسلامهم. مثلاً، لم يكن هؤلاء يُساءَلوا عن مكان الله أو رؤيته في يوم البعث أو خلق القرآن وقدمه، وغير ذلك من الأسئلة، وإنّما إيمانهم الكلي برسالة خاتم الأنبياء صلى الله عليه و آله و سلم كان يغنيهم عن كل هذه المسائل. كما لم يُساءَلوا عن مسألة جواز التوسل بالأنبياء والأولياء أو الصلاة إلى جانب القبور أو زيارة قبور الأولياء.

في العصر الراهن، ثمّة فرقة متطرّفة وجاهلة بأصول الشريعة المحمدية وقواعدها، صارت تحتكر الإسلام والإيمان، فتعتبر فئة قليلة هي المؤمنة وسائر المسلمين كفارا ومهدوري الدم. وتعود جذور هذا النمط من التكفير إلى عصر ابن تيمية (ت ٧٢٨هـ) والوهابيين المتطرّفين من بعده، بل إنّ الوهابيين ذهبوا في تطرّفهم إلى مديات أبعد، ذلك أنّ ابن تيمية كان في أغلب الأحيان يستخدم كلمة البدعة، بينما الفرقة الوهابية استعاضت عنها بكلمة الكفر، فأصبح معيار التكفير عندها هو مخالفة أفكارها في المسائل المذكورة آنفاً.

وتعارض هذه الفرقة بشدّة بناء أضرحة الأنبياء وأولياء الله وتعتبر ذلك من مظاهر عبادة الأوثان!! بينما شهد الإسلام عبر تاريخه الطويل بناء أضرحة الأنبياء والمحافظة عليها في فلسطين والأردن والشام والعراق، وكان المسلمون يأتون إلى زيارتها أفواجاً أفواجا، ولم يخرج علينا أحد ليصف هذا العمل بأنّه مخالف للتوحيد.

وحتى عندما فتح الخليفة عمر بن الخطاب بيت المقدس لم يأمر أبداً بهدم تلك المزارات و المقامات المقدسة، وإنّما واصل نهج الماضين في المحافظة عليها وتزيينها.



وطيلة الفترة التي تلت رحلة النبي الأكرم ﷺ كان جميع الموحّدين يتوسّلون بمقام النبي الأعظم ﷺ ليشفع لهم في قضاء حوائجهم، غير أنّ هذه الفرقة تساوي بين هذا التوسل وبين توسل المشركين بالأصنام، في حين أنّ جوهر كل منهما متمايز عن الآخر والمسافة بينهما كالمسافة بين الأرض والسماء.

التكفير العنيف

كان التكفير عند أسلاف هذه الفرقة بالقلم واللسان، لكنّه أخذ طابعاً عنيفاً في عهد الوهابيين المتطرّفين، حيث كان أتباعهم يغيرون على القرى والقصبات والقرى المحيطة بمنطقة «نجد» وينهبون ما أمكنهم وبذلك أصبحت لديهم قوة مالية كبيرة.

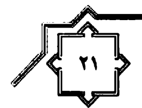
وللاطلاع على الجرائم التي ارتكبها مؤسّسوا هذه الفرقة ومن جاء بعدهم ينصح بمراجعة مصدرين معتبرين في تاريخ الوهابية هما: *«تاريخ ابن غنام»* و *«تاريخ ابن بشر»*، وقد صدرا منذ فترة وأصبحا موضع اهتمام العلماء والمفكرين.

وأخيراً، لا نريد الإطالة في هذا المقام، لذا، سوف نختم كلمتنا بهذا البيت الشعري:

شرح اين هجران و اين خون جگر　　اين زمان بگذار تا وقت دگر

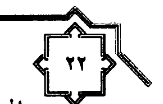
(دع سرد قصة هذا الهجران وهذا الزمان وهذه المصائب لوقت آخر)

يشار إلى أنّه بعد احتلال أفغانستان من قبل الجيش الأحمر السوفيتي اتُخذ قرار بتوظيف الروح الجهادية للشباب المسلم في المنطقة لدحر قوى الكفر وطرد الأعداء من الأراضي الإسلامية، فكان قراراً رائعاً وفيه مرضاة الله، بيد أنّ عدم وجود عالم ورع وقيادة واعية بأصول الجهاد في أوساط هؤلاء الجهاديين لتقودهم وفق النهج السليم، حرفت هؤلاء المقاتلين باتجاه آخر، فتأثّر بعضهم بالأفكار الوهابية وراحوا يكفّرون جميع البلدان الإسلامية وشعوبها.



ولسوء الطالع، انطلقت هذه الحملة أولاً ضدّ دول المقاومة والممانعة الصامدة بوجه الصهاينة، وبدلاً من تحرير القدس، راح هؤلاء يدمرون البنى التحتية في سورية والعراق. وقد بلغ عنفهم وإرهابهم ضدّ الأطفال والنساء والشيوخ والعجزة والأبرياء مبلغاً شاهت معه صورة الإسلام في العالم، ولم يعد في الغرب من يتعاطف مع هذا الدين. فأين الأعمال المروعة لهذه الجماعات من كلمات الوحي الإلهي حين يقول الباري عزّ و جلّ: ﴿**فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ الله لِنتَ لَهُم و لَو كُنتَ فَظًّا غَليظَ القَلبِ لَا نفَضّوا مِن حَولِكَ فَاعفُ عَنهُم و استَغفِر لَهُم**﴾. (آل‌عمران: ١٥٩) ويقول النبي الأكرم ﷺ في حديث شريف: «**إنّ الرفقَ لا يكونُ في شيء إلّا زانه، ولايُنزَعُ مِن شيء إلّا شانه**».

في ظل هذه الظروف المفجعة، قررت المرجعية الرشيدة في الحوزة العلمية بقم عقد مؤتمر عالمي تحت عنوان: «**آراء علماء الإسلام في التيارات المتطرفة والتكفيرية**» وذلك لتسليط الضوء على هذه الفرقة وما يترتب على أعمالها من نتائج وعواقب وخيمة، وفي هذا الإطارتم توجيه نداء إلى العلماء والباحثين في العالم الإسلامي من أجل سبر جذور التكفير وتعرية جوهره الشرير، والسبل الكفيلة بالخلاص من هذا الوضع. وقد لاقى النداء استجابة طيبة من لدن العلماء انعكس في إرسال العديد من الآثار إلى الأمانة العامة للمؤتمر، وكانت مضامين معظمها على درجة عالية من الجودة والقيمة، وبناءً عليه قرّرت الأمانة المذكورة أن تأخذ على عاتقها طبع ونشر هذه الآثار ووضعها في متناول أصحاب الرأي وضيوف المؤتمر الأعزاء من داخل البلاد وخارجها، لتكون خطوة على طريق الحؤول دون استفحال خطر هذه الغدة السرطانية المدمرة وانتشار هذا الفايروس المرعب.



في الختام، لا يسعني إلا أن أثني على الجهود المضنية لأعضاء الأمانـة العامـة المحترمين الذين واصلوا الليل بالنهـار، وأقـدّر عاليـاً مـا بـذلوه خـلال الفـترة الماضية، كـما وأشـكر جميـع الـذين سـاهموا في خلـق هـذه الأجـواء الروحانيـة والعلمية.

قم ـ جعفر السبحاني

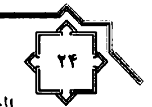
ذو القعده ١٤٣٥ هـ

ديباجه

﴿يٰاَيُّهَا الَّذينَ ءامَنوا ادخُلوا فِى السِّلمِ كافَّةً و لا تَتَّبِعوا خُطُوٰتِ الشَّيطـٰنِ اِنَّـهُ لَكُم عَدُوٌّ مُبين﴾.(البقرة: ٢٠٨)

لقد شهد الإسلام في محطات كثيرة من تاريخه اقتتالاً بين المسلمين، ولكن عدا الخوارج والتيارات التكفيرية، من النادر أن تجد فرقة إسلامية في القرون الأخيرة قامت بتكفير سائر المسلمين واستحلّت دماء أهل القبلة وأموالهم وأعراضهم. لقد سجّل الخوارج أنّهم كانوا في طليعة المكفِّرين للمسلمين، حيث سفك التيار التكفيري في القرون الثلاثة الأخيرة، بدعوى التوحيد، دماء الكثير من المسلمين ودمّر العديد من الأماكن والآثار الإسلامية المقدسة التي تجسّد الهوية الحضارية للمسلمين.

وعلى الرغم من الجهود الحثيثة لكبار العلماء المسلمين في مواجهة التكفير، لكنّنا، وللأسف، نشهد في العصر الراهن تنامي التيارات التكفيرية وانتشارها في كل زاوية من زوايا العالم الإسلامي. تيارات ارتكبت من الجرائم والمجازر ما ليس له نظير في التاريخ الإسلامي. حزّ الرقاب وإشعال الحرائق والتمثيل بالجثث وانتهاك الأعراض ونهب الأموال وتدمير الأبنية المقدسة، وغيرها من الجرائم تمثّل جانباً من الأعمال المروّعة التي ترتكبها هذه الجماعات باسم الإسلام.



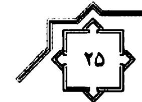
على صعيد آخر، فإنّ إغتيال كبار علماء المسلمين، وتهديم البقاع المقدسة التي ترمز إلى الهوية الإسلامية، وارتكاب أفظع الأعمال المحرّمة باسم الإسلام مثل جهاد النكاح... إلخ كلّها طعنات أصابت الجسد الإسلامي في الصميم.

إنّنا إذا ما تأمّلنا خريطة البلدان الإسلامية سنجد آثار خطوات هذه الجماعات في جميع البلاد الإسلامية تقريباً، وهي من قبيل: جبهة النصرة، داعش، تنظيم القاعدة، جند العدل، حزب التحرير في آسيا، جماعة بوكو حرام في نيجيريا، حركة الشباب الصومالية، جماعة أنصار السنّة وأنصار الشريعة في أفريقيا وغيرها من الجماعات المتعددة، والتي تؤشّر بمجموعها وجود أزمة كبرى في العالم الإسلامي.

أمّا ما هي الأسباب والعوامل التي آلت إلى هذه الوضعية فذلك يستدعي منّا بحوثاً ودراسات معمقة سوف ننوّه إليها بالتفصيل في مجموعة المقالات، ولكن إجمالاً نقول، أنّه لا ينبغي هنا التغاضي عن دور الغرب في مشروع الإسلاموفوبيا، وبالتبع، محاربة الإسلام. ذلك أنّه ارتأى، في ظلّ النمو السريع للإسلام في العالم، أن يشتغل على مشروع الإسلام ضدّ الإسلام، و أن يعمل عبر مساندة الجماعات المتطرفة وتوظيف الاختلافات الطائفية والمذهبية، على تحريك بعض الجماعات المنبثقة من رحم الإسلام لإضعاف قوة المسلمين وقدراتهم، وليرسم في المقابل صورة مشوّهة عن المسلمين أمام أنظار العالم.

كما أنّ القراءات المنحرفة والضالة لبعض المفاهيم مثل التوحيد والشرك والإيمان والكفر والبدع وأمثال ذلك دفعت المسلمين إلى مستنقع التكفير.

ومع ذلك، يبدو أنّ الجرائم وأعمال التدمير التي ترتكبها التيارات التكفيرية من السعة والصلف بحيث أحدثت موجة من الاشمئزاز والإدانة لهذه الممارسات في العالم الإسلامي.



وبناءً عليه، فإنّ التصدّي العلمي و التنويري لهذا التيار يضع على عاتق العلماء والمفكرين مسؤولية سبر جذور هذه الظاهرة واجتراح الحلول اللازمة للفكاك منها، من هنا انبرى المؤتمر الدولي «آراء علماء الإسلام في التيارات المتطرفة و التكفيرية» بحسب إمكاناته وبإشراف وتوجيه كريمين من لدن سماحة المرجع الديني الكبير آية الله العظمى مكارم الشيرازي «دام ظله الوارف» إلى توظيف الطاقات العلمية في العالم الإسلامي من أجل التصدّي لظاهرة التكفير.

وقد تشكلت لهذا الغرض أربع لجان علمية هي كالتالي:

١ . نسابية التيارات التكفيرية؛

٢ . سبر عقائد التيارات التكفيرية؛

٣. التيارات التكفيرية والسياسة؛

٤ . سبل الخلاص والتصدّي للتيارات التكفيرية.

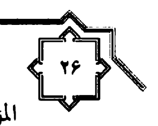
يتناول المحور الأول نسابية التيارات التكفيرية، وتبحث اللجنة المعنية في منطلقات التكفير ومنابعه وأمثلته على مدى التاريخ الإسلامي.

يخوض المحور الثاني في جذور الضلالات العقدية والقراءات التكفيرية للمعتقدات الإسلامية. هنا تبحث اللجنة المعنية في نقد أصول ومعتقدات هذه الجماعات والتيارات، وتسبر ضلالاتها و انحرافها عن العقيدة الإسلامية.

أما المحور الثالث فيعالج الأسباب السياسية وراء تنامي التيارات التكفيرية وانتشارها، وتحليل تبعيّتها وعمالتها وأهدافها.

وفي المحور الرابع مقترحات ببعض الحلول السياسية والاجتماعية والثقافية والدينية للخلاص من ظاهرة التكفير.

ولا بدّ من التذكير بأنّ مجموعة المقالات التي بين أيدينا هي حصيلة ما جادت به قريحة العلماء ومفكري العالم الإسلامي حول المحاور المذكورة أعلاه.



مضافاً إلى ذلك، ثمّة بحوث مستقلة تقدّم بها بعض الباحثين تهدف إلى إثراء المؤتمر وإغنائه، وهي كما يلي:

١. **التكفير من منظار علماء الإسلام**: يستعرض هذا البحث آراء كبار علماء المذاهب و الفرق الإسلامية حول رفض التكفير، وتشمل آراء علماء القرون السابقة والمعاصرة حول حرمة تكفير أهل القبلة.

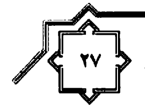
٢. **هدم المزارات الإسلامية في البلدان العربية**: يسلّط البحث الضوء على السجل الأسود للتيارات التكفيرية في تهديم الأماكن المقدسة والحضارية في العالم الإسلامي، وهو موثق بصور المزارات قبل الهدم وبعده.

٣. **فتاوى التيارات التكفيرية في جواز قتل المسلمين**: أحياناً تصدر عن التيارات التكفيرية، بسبب انحرافها وضلالها، فتاوى لا تنسجم مع أيّ من القواعد الفقهية، وتتنافى تماماً مع التعاليم الإسلامية، وقد جمع هذا الكتاب الفتاوى التكفيرية لتلك التيارات.

٤. **ببليوغرافيا التكفير**: إذا ما ألقينا نظرة على المصنّفات والكتب المدوّنة في موضوع التكفير سنجد أنّ الحصيلة جمهرة كبيرة من الآثار العلمية. هذه الببليوغرافيا تقدّم سرداً وصفياً لهذه الآثار في موضوع التكفير والردّ عليه.

٥. **الوهابية المتطرّفة: موسوعة نقدية**: ثمّة في الفكر الوهابي تيارات تعتبر المسلمين كفاراً، وتجمع هذه الموسوعة النقدية باقة من مصنّفات العلماء المسلمين في نقد مبادئ وأسس هذا التيار منذ ظهوره وحتى اليوم.

في الختام، يلزمنا التنويه إلى أنّ كل ما من شأنه إثراء مجموعة المقالات وكذا البحوث المستقلة الخاصة بالمؤتمر الدولي «آراء علماء الإسلام في التيارات المتطرّفة والتكفيرية» يعود الفضل فيه إلى الإشراف العلمي لسماحة آية الله العظمى جعفر سبحاني (أدام الله ظله) وتوجيهاته السديدة المصوّبة التي فتحت مغاليق المسائل أمام اللجان العلمية في المؤتمر وكانت عوناً لها على إنجاز مهمّتها.



كما لا يفوتنا أن نشيد بالدور المضني الذي اضطلع به حجة الإسلام والمسلمين الدكتور فرمانيان ـ مسؤول اللجان العلمية ـ من خلال المتابعة الحثيثة والتنظيم الدقيق للمقالات، بمعيّة مسؤولي اللجان المحترمين: حجة الإسلام قزويني وحجة الإسلام ميرأحمدي وحجة الإسلام فرمانيان وسعادة الدكتور أميني، فلهم منا جزيل الشكر والعرفان.

وأخيراً، نأمل أن تثمر الجهود المباركة لمراجع الدين العظام وعلماء الإسلام عن التقريب بين أجزاء العالم الإسلامي والوحدة بين أوصاله، واجتثاث فتنة التكفير من ربوعه إن شاء الله.

رئيس الهيئة ونائب المشرف العلمي للمؤتمر

السيد مهدى على زاده الموسوى

ذوالقعده ١٤٣٥ هـ



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدّمة

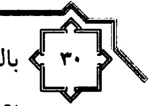
تقويض أسس الشّرك وإعلاء كلمة التوحيد في المجتمعات البشرية هو الهدف الأسمى الذي بُعِث الأنبياء والرّسل من أجل تحقيقه، ولذلك لم يفتروا عن تحذير الناس من أخطار الشّرك وعواقب عبادة الأصنام، وفي ذلك يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اُعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾[1].

لم تكن جزيرة العرب في العصر الجاهلي خالية من عبادة الأصنام أو الشّرك بل كان الناس آنذاك يعبدون آلهة كثيرة من دون الله سبحانه ويعتبرون أنّ الخير والشرّ والنّفع والضرّ بيَد تلك الأصنام، حتى أفاقت البشرية على فجر النبوّة وضياء الرسالة في ظلمة الجاهلية، واستضاءت روحها بنور التوحيد الخالص وتحرّرت من قيود الظلام الجاهلي وأغلال الجهل المعتم.

لقد بادر الرسول الأعظم محمّد ﷺ بعد فتح مكّة إلى تطهير بيت الله الحرام من رجس الأصنام والأوثان ومن مظاهر الشّرك، وأعلن أهلها الاعتراف بإله واحد وقبولهم بالشهادتيْن، ولم يفكّر ﷺ ولو للحظة واحدة في تكفير أهل مكّة بسبب ما ارتكبوه بحقّه أو رَميهم بالشّرك، بل علّم ﷺ أصحابه والمسلمين كافّة أصول القرآن والسنّة النبوية المطهرة، مؤكّداً على أنّ كلّ مَن نطق

---

١ . سورة النحل، الآية ٣٦.



بالشهادتيْن بلسانه فهو مسلم وقد عصم دمه وماله، وأنّه لا يصحّ مقارنة إيمانه بعمله[١]، وحذّر ﷺ من الحكم على من أظهر الإسلام بالكفر لمختلف الحجج.[٢]

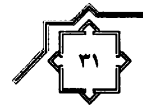
وبعد رحيل منادي التوحيد الأعظم ﷺ وظهور العديد من الفرق والمذاهب المختلفة، كان جميع المسلمين متّفقين على مبدأ واحد وهو: إذا نطق المرء بالشهادتيْن فهو مسلم ويُعدّ جزءاً من جسد الأمّة الإسلامية، وعلى هذا النهج سار الأئمّة المعصومون عليهم السلام وصحابة رسول الله ﷺ.

كما تبع علماء المذاهب الإسلامية السلف الصالح والأئمة المعصومين عليهم السلام على هذا النّهج على الرغم من الخلافات التي كانت موجودة بينهم، لكنّهم لم يشكّوا في كون مسلمي عصرهم جميعاً موحّدين، ولم يسمحوا لأنفسهم برَمي هذا أو ذاك بالشّرك أو الكفر لمجرّد صدور فعل مُعيّن منه. واستمّر الحال على هذا المنوال حتى القرن الثاني عشر للهجرة حين ظهر شخص في نجد يُدعى محمّد بن عبد الوهاب رمى جميع المسلمين في عصره بل وفي القرون الماضية أيضاً بالشّرك والكفر متّهماً إيّاهم بالشرك بذريعة انحراف عقائدهم وجهلهم فيما ارتكبوه من أعمال، وبذلك حوّل ما كان يعدّ في السابق سبباً لوحدة المذاهب الإسلامية إلى سلاح لتفريق المسلمين وتشتيتهم. وورد في بعض الكتب التاريخية أنّ ابن عبد الوهاب كان يقرأ كُتب ابن تيمية وابن قيّم الجوزية منذ بداية شبابه فتأثّر بآرائهما واهتمّ بأفكارهما. لكنّ المثير في الأمر أنّ والده عبد الوهاب وأخاه الشيخ سليمان كانا أوّل مَن عارض أفكاره وواجها بِدَعَه. فقد حذّر أخوه الشيخ سليمان في كتابه (الصواعق الإلهية) أخاه وأتباعه من الخوض في بعض المسائل مثل التوحيد لعدم معرفتهم بمبادئ الإسلام الصحيحة كما أشار إلى أنّ

---

١ . صحيح البخاري، ج٤، ص١٦٥.

٢ . ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾، سورة النساء، الآية ٩٤.

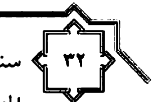


تفسيرات أخيه وانطباعاته عن تعاليم ابن تيمية وابن قيّم الجوزية تتعارض مع ما هو موجود في آثارهما، مؤكّداً أنّ ابن تيمية وابن قيّم الجوزية لم يكفّرا المسلمين في عصرهما ولم يتهموهم بالشرك.

هذا، وقد ألّف محمّد بن عبد الوهاب كتاباً أسماه (التوحيد) وجمع فيه كلّ مُعتقداته ودعا الناس من حوله إلى اتّباع أفكاره وعقائده. ومن خلال التحالف الذي أقامه مع بعض القبائل في منطقة نجد، هدّد المسلمين بشنّ الجهاد ضدّهم، فبحسب اعتقاده أنّ كلّ مَن يؤمن بمعتقداته فهو مسلم ومَن يرفض دعوته مشرك، وأنّ بلاده دار الحرب حيث تحلّ فيها إراقة دماء المسلمين ونهب أموالهم.

وبعد أن قويت شوكة محمّد بن عبد الوهاب شيئاً فشيئاً خرج هو وأتباعه على الحكم العثمانيّ واستطاعوا الاستيلاء على بعض المناطق التي كانت تحت سيطرة العثمانيين. ثمّ بعد موته واصل أولاده وأحفاده السير على نهجه والتزموا بعقائده وأفكاره، فأغاروا على الكثير من المناطق المجاورة كالرياض والطائف وبعض المدن العراقية مثل كربلاء والنّجف وارتكبوا فيها أبشع الجرائم والمجازر، فأزهقوا أرواح الكثير من الأبرياء ونهبوا أموالهم. ولم تنته جرائم هؤلاء واعتداءاتهم عند هذا الحدّ بل هجموا على قبور الأنبياء وأضرحة الأولياء وانتهكوا حرماتها وخرّبوا وهدّموا الكثير من الأماكن المقدّسة التي كان المسلمون يتبرّكون بها.

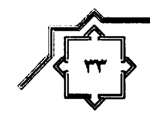
وقد أدّت تصرّفات الوهابيين وأعمالهم إلى إثارة غضب واستنكار علماء الإسلام فانبروا إلى محاربة محمّد بن عبد الوهاب ومقاومة دعوته الضالّة منذ بدايتها في ميدان المناظرات العلمية. ومن العلماء المعاصرين لعبد الوهاب الذين وقفوا في وجهه عبد الله بن أحمد بن سحيم (المتوفّى سنة ١١٧٥هـ) وعبد العزيز بن عبد الرّحمن بن عدوان (المتوفّى سنة ١١٧٩هـ) وسليمان بن سحيم (المتوفّى



سنة ١١٨١هـ) وغيرهم، حيث قام هؤلاء بتأليف الكتب والرسائل وإجراء المناظرات وبيّنوا فيها معارضتهم لهذه الدعوة الضالّة. ولم تقتصر اعتراضات العلماء ومناظراتهم على عصر محمّد بن عبد الوهاب فقط بل استمرّت إلى ما بعد تلك السنوات مع استمرار الدعوة الوهابية، وهي ما زالت قائمة إلى يومنا هذا.

هدف هذه الموسوعة هو تسليط الضوء على جانب من جهاد العلماء المسلمين منذ أن ظهرت بوادر الدعوة الوهابية وحتى عصرنا الحاضر، وقد حاول واضعو هذه الموسوعة الإشارة إلى أهمّ المواضيع التي اتّخذها الوهابيون ذريعة لتكفير المسلمين ورميهم بالشّرك أو الابتداع في الدين، منها التوسّل وطلب الشفاعة والاستغاثة بأرواح الأولياء والتبرّك ومسائل أخرى غيرها، لذلك، من بين مئات المصادر والكتب التي دوّنت في نَقد الوهابية تمّ اختيار عدد منها، ومن ثمّ قمنا بتنضيدها وطبعها ووضعها في متناول الباحثين والمفكرين. على هذا الأساس، وفي المرحلة الأولى، جمعنا ما يقرب من مئة مصدر لتقييمها، ثم اختير منها سبع وخمسين كتاباً كخطوة أولى، قام ثلاثة من الأساتذة المختصّين في هذا المجال بمطالعتها ودراستها وهم: الأستاذ آل مجدّد الشيرازي ومهدي فرمانيان والسيد مهدي علي زاده الموسوي، فاختاروا منها خمس وأربعين كتاباً، من بينها كتب محقّقة ومخرّجة سلفاً وأخرى بحاجة إلى التحقيق والدراسة، فتمّ إدراج الكتب من القسم الأول في الموسوعة كما هي، دون إعادة تحقيقها وتخريجها، فبقي لدينا حوالي عشرون كتاباً قمنا بتحقيقها.

وتجدر الإشارة إلى أنّ هذه الموسوعة تضمّ كُتباً ورسائل لأبرز الشخصيّات والباحثين الذين ساهموا في نقد الوهابية وجميعهم من أعلام المذاهب الإسلامية وكبار رجالاتها وعلمائها، ولم نأت على ذكر مصنّفات المجهولين في هذا المجال. ومن بين الأعلام المشهورين الذين وردت أعمالهم في هذه الموسوعة: سليمان بن

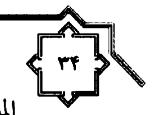


عبد الوهاب، أحمد بن زيني دحلان، محمّد بن علوي المالكي، عبد الله بن محمد بن الصديق الغماري، أحمد بن الصديق الغماري، شاه فضل رسول القادري، محمد عاشق الرحمن القادري، محمد زاهد الكوثري، الدكتور محمود أحمد الزين، عمر بن عبد الله كامل، السيد حسن بن علي السقّاف العلوي الهاشمي وغيرهم.

وممّا يثري هذه المجموعة من الآثار والأعلام ويزيدها غنىً اشتمالها على بعض الكُتب الشهيرة مثل (مصباح الأنام وجلاء الظلام) تأليف عبد الله بن علوي الحداد، إلى جانب آثار أخرى لم تنضّد ولم تُطبَع بَعد فهي إمّا مفقودة في الأسواق وإمّا مطبوعة طبعة حجرية.

وأخيراً، فقد بذل القائمون على هذه الموسوعة جهودهم لتجنّب التحقيق وشرح العبارات والاكتفاء بتخريج الآيات والروايات فقط، وبالنسبة لتخريج الروايات فقد حاولنا الاستناد إلى أمّهات الكتب وأهمّ المصادر المعروفة والموثوقة وتجنّب الزحمة في ذكر المصادر. وحيثما ورد نصّ الحديث قمنا بتخريجه، وعدا ذلك فقد تجنّبنا تخريج الأحايث والروايات التي ذكرت بالمعنى والمضمون. وهناك مجموعة من الروايات لم نستطع الحصول على مصادرها رغم التحقيق فيها وقد أشرنا إليها في مواضعها. وجدير بالذكر أنّه في تدقيق الآيات والروايات وتخريجها قمنا بالاستعانة ببرنامجيْن اثنيْن هما: برنامج مكتبة أهل البيت عليهم السلام وبرنامج المكتبة الشاملة، وعليه، فإنّ أغلب المصادر الحديثية والروائية التي اشتملت عليها الموسوعة تعود إلى هذين البرنامجيْن.

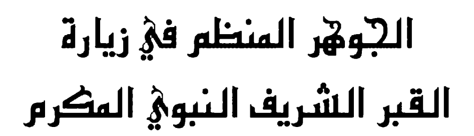
في الختام، نأمل أن يؤدّي طبع هذه الموسوعة إلى فتح الباب أمام طبع وتحقيق الكثير من الآثار والكتب الأخرى التي دوّنها كبار العلماء المسلمين في هذا الموضوع والتي ما تزال على شكل مخطوطات ولم يتم طبعها حتى الآن، على الرغم من الأهمية الخاصة التي تحظى بها، لوضعها في متناول الباحثين والمفكرين المتخصّصين في هذا المجال.



وأخيراً، لا بدّ لنا من تقديم الشكر الجزيل إلى الأستاذيْن المحترميْن علي زاده الموسوي ومهدي فرمانيان، وكذلك شكر خاص إلى الأخ العزيز محمّد علي موحدي پور لتفضّلهم بتوفير العون والدّعم لتحقيق هذه الموسوعة.

والله ولي التوفيق والسداد

علي ملا موسى ميبدي - قادر سعادتي



لابن حجر المكي

تقديم وتحقيق وتعليق:

الدكتور محمد زينهم محمد عزب



ابن حجر الهيتَمي

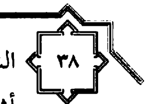
نسبه

هو شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي السعدي الأنصاري الشافعي (رجب ٩٠٩ ـ ٩٧٤هـ/ ١٥٠٣ ـ ١٥٦٧م)، فقيه و عالم شافعيّ متبحّر.

وينسب الهيتمي إلى محلّة (أبو الهيتم) في المحافظة الغربية في مصر و إلى قبيلة (بَني سعد) من الأنصار في المحافظة الشرقية فيها، و رغم إصرار البعض على أنّ نسب الهيتمي يرجع إلى الأنصار إلّا أنّ الهيتمي نفسه كان لا يعترف بنسبته إلى الأنصار. و أمّا تلقيبه بابن حجر فسببه أنّ جدّه الذي كان ينتمي إلى (سلمُنت) كان قليل الكلام مُلازماً للصّمت و لهذا اشتهر أبو العباس بلقب (ابن حجَر).

سيرته و مشايخه

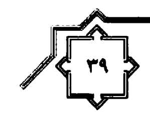
حفظ ابن حجر في طفولته القرآن الكريم و شيئاً من منهاج النوويّ، فلمّا مات أبوه ثمّ بعد ذلك جدّه (حجر)، تولّى تربيته اثنان من كبار علماء زمانه و هما شمس الدين بن أبي الحمائل (المولود سنة ٩٣٢ هـ/ ١٥٢٦م) و شمس الدين الشناوي اللذيْن كانا أستاذَي أبيه كذلك. و بعد إكماله للمقدّمات في سنّ (٩٢٤هـ) ـ أي عندما كان في سنّ الرابعة عشرة تقريباً ـ دخل مدرسة الأزهر



الشريف فجالس فحول العلماء و كبارهم في مصر رغم صِغَر سنّه و درس عند أشهر تلاميذ ابن حجر العسقلانيّ و هو شيخ الإسلام زكريا، و قد ذكر كاتب مقدّمة كتاب الفتاوى لابن حجر عدداً آخر من أساتذة الهيتميّ منهم عبد الحقّ السنباطي (المولود سنة ٩٣١ هـ/ ١٥٢٥ م) و محمد بن سالم الطبلاوي (المولود سنة ٩٦٦هـ/ ١٥٥٩م). و في أواخر سنة (٩٢٩هـ) حصل الهيتميّ على إجازة في الإفتاء و التدريس من الرّمليّ و الطبلاويّ و لمّا يبلغ سنّ العشرين بعد، و ذاع صيته في الكثير من العلوم كالتفسير و الحديث و علم الكلام و الأصول و الفروع و الفقه و الفرائض (تقسيم الإرث) و علم الحساب و الأدب و المنطق و التصوّف. في سنة (٩٣٢ ه / ١٦٢٦ م) تزوّج الهيتميّ ببنت أخت الشناويّ بمساعدة هذا الأخير، و في سنة (٩٣٣هـ) حجّ بيت الله الحرام ثمّ زاره في السنة التالية كذلك لكنّه هذه المرّة قرّر المكوث بالقرب من الحرم الشريف و في هذه السنة فكر في تأليف كتاب في الفقه فلمّا عاد إلى مصر اختصر كتاب الرّوض لابن مقري (المولود سنة ٨٣٧ ه / ١٤٣٤ م) و شرحه. و في سنة (٩٤٠هـ) تمكّن من الذهاب إلى الحجّ مرّة أخرى و أقام في مكّة و اشتغل في التأليف و الإفتاء و التدريس حتى توفّي في تلك الديار و دُفِن في مقبرة الطبريين.

منزلته العلمية

كان ابن حجر الهيتميّ يتمتّع بمنزلة علمية عالية في زمانه و كان أئمّة الحجاز يقتدون به و يعتبرونه ناشر علوم المذهب الشافعيّ و كان يُسأل عن المسائل الشافعية من أقصى بلاد الإسلام، حتى من (مليبار) أو (مالابار) و (كلكتا) في الهند، و يُقال أنّ السلطان المغوليّ همايون شاه طلب منه أن يؤلّف كتاباً في الردّ على مَن يسبّون معاوية و ينتقدوه.



آثاره العلمية

كتب ابن حجر الهيتميّ الكثير في فضائل أهل البيت عليهم السلام و مناقبهم كما سنشير إلى ذلك في فهرست آثاره، إلّا أنّه لم يتوان أيضاً عن الردّ على الشيعة فقد كان محبّاً لمعاوية بل و قد ألّف كتاباً فيه كما أنّه صرّح بعدم كُفر يزيد بن معاوية.

ولم تسلم نظريّات ابن حجر الهيتميّ من انتقاد علماء عصره لها بل و كان انتقادهم يبلغ في بعض الأحيان حدّ تكفيره، و هو ما حدث على سبيل المثال عند تأليفه لكتاب (الإعلام بقواطع الإسلام) في سنة (٩٤٢ هـ/ ١٥٣٥ م) فانبرى العلماء في وقتها إلى اعتبار فتاواه المذكورة في ذلك الكتاب كُفراً صريحاً، كما أنّ ابن زياد ـ مفتي زبيد ـ (المولود سنة ٩٧٥ ه/ ١٥٦٨ م) أشكل على كتاب ابن حجر المسمّى (قرّة العين)، ثمّ ألّف ابن حجر كتابيْن مُدافعاً فيهما عمّا كتبه و قد ذُكِر ذانك الكتابان في آثاره كذلك؛ و أمّا الغزّي فقد نسب إلى ابن حجر شعراً و قال أنّه شعر ركيك و ضعيف. و رغم أنّ مؤلّفات ابن حجر و آثاره تتّصف بالنّقد فقد بالغ في الردّ على آراء بعض العلماء بصراحة، و يُذكَر أنّ ابن حجر كان مؤلّفاً جادّاً فقد كتب في الكثير من الموضوعات منها القراءة و الفقه الشافعي و الحديث و علم الكلام و الأدب و التربية و التعليم و التصوّف و غير ذلك.

آثاره المطبوعة

١ ـ إتمام النعّمة الكبرى على العالم بمولد سيّد ولد آدم. طُبع هذا الكتاب في إسطنبول سنة (١٤٠٤ ه/ ١٩٨٤م). قس: تحفة الأخبار في مولد المختار المطبوع و المنشور في دمشق سنة (١٢٨٣هـ).

٢ ـ الإعلام بقواطع الإسلام؛ ألّف ابن حجر هذا الكتاب لتفسير المسألة التي كان قد أفتى بها في مكّة سنة (٩٤٢ م) و اعترض عليه بعض العلماء و كفّره



بعض آخر. تمّ طبع الكتاب المذكور في مصر سنة (١٢٩٣ ق) و كذلك في ذيل كتاب الزّواجر.

٣ ـ تحفة المحتاج في شرح المنهاج، و يتناول الفقه الشافعي، و هو شرح لكتاب (منهاج الطالبين) لمحيي الدين النووي (المولود سنة ٦٧٦ ق / ١٢٧٧ م) (مصر ١٢٨٢، ١٢٩٠، ١٣١٥هـ).

٤ ـ تطهير الجنان و اللسان عن الخطور و التفوّه بثلب سيّدنا معاوية ابن أبي سفيان، في مدح معاوية. طبع هذا الكتاب في مصر سنة (١٣٠٧ق) ضمن حاشية الصواعق، و في بيروت سنة (١٤٠٥ق / ١٩٨٥م) مُستقلاً.

٥ ـ الجوهر المنظم في زيارة القبر المكرّم. و يضمّ هذا الكتاب آداب زيارة الرّسول ﷺ حسب مذهب الصوفية و الدّفاع عن ذلك (مصر ١٢٧٩، ١٣٠٩هـ).

٦ ـ حاشية على إيضاح النووي في المناسك (مصر، ١٣٢٣، ١٣٢٩ه، ١٩٦٩م).

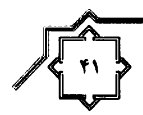
٧ ـ الخيرات الحسان في مناقب الإمام الاعظم أبي حنيفة النعمان (مصر، ١٣٠٥هـ). و قد عمد المؤلف في هذا الكتاب إلى الردّ على مطاعن الغزالي.

٨ ـ الزواجر عن اقتراف الكبائر، و يضمّ مجموعة من الأحاديث الخاصّة بالكبائر (مصر، ١٢٨٤، ١٣١٠، ١٣٣١هـ).

٩ ـ شرح قصيدة البردة (مصر، ١٣٢٢هـ).

١٠ ـ شرح على مختصر المقدمة الحضرمية لعبد الله بن عبد الرحمن الحضرمي (مصر، ١٣٠١، ١٣٠٣، ١٣٠٩هـ).

١١ ـ الصواعق المحرقة في الرّدّ على أهل البِدَع و الزندقة (مصر، ١٣٠٧ه، لاهور، ١٨٩٥م). و قد ذكر المؤلف في مقدمة هذا الكتاب أنّه أراد من وراء



تأليفه وضع كتاب في حقيّة خلافة أبي بكر و عُمَر، و طُلِب منه قراءته في المسجد الحرام في رمضان سنة (٩٥٠ هـ / ديسمبر ١٥٤٣م) بسبب وجود الكثير من الشيعة الساكنين في مكة. و قد أضاف إليه حول حقيّة الخلفاء الأربعة ثمّ جمعها معاً و سمّاه بـ (الصواعق المحرقة).

١٢ ـ الفتاوى الحديثية (مصر، ١٣٠٧، ١٣٢٨، ١٣٢٩، ١٣٩٠هـ). ذكرنا في بداية هذه المقالة أنّ هذا الكتاب يضمّ مجموعة من الفتاوى الفقهية للمؤلّف ردّاً على بعض الأسئلة التي وُجّهت إليه بدءاً من سورة الإخلاص و انتهاءً بمعنى التوحيد الصوفيّ.

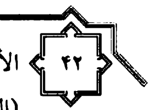
١٣ ـ الفتاوى الكبرى الفقهية (مصر، ١٣٠٨، ١٣٣٣ق، بيروت، ١٤٠٣ه/ ١٩٨٣م). و هذا الكتاب هو أيضاً أجوبة عن الأسئلة مرتّبة على أبواب فقهية.

١٤ ـ فتح الجواد في شرح الإرشاد؛ و هو شرح لكتاب الإرشاد لابن مقري في الفقه الشافعي (مصر، ١٣٠٥هـ).

١٥ ـ الفتح المبين، و هو شرح لأربعينية النووي (مصر، ١٣٠٧هـ).

١٦ ـ القول المختصر في علامات المهدي المنتظر، لم يُطبع هذا الكتاب سوى مرّة واحدة وفق برنامج (PDF) في إسطنبول.

١٧ ـ كف الرّعاع عن محرّمات اللّهو و السّماع، في البدء تمّ طبعه في مصر في ذيل (الزواجر) ثمّ في بيروت سنة (١٤٠٦ ه / ١٩٨٦م) مُنفصلاً. و قد كتب ابن حجر هذا الكتاب في الواقع كردّ على كتاب (فرح الاسماع) للتونسي، و بيّن الهيتميّ في كتابه هذا تحريم أنواع الموسيقى و بعض أنواع اللعب و اللّهو، و فضلاً عن كون الكتاب المذكور مهمّ للغاية بالنسبة للفقه الشافعي، فإنّه لا يقلّ أهميّة في مجال علم الاجتماع و ذلك لأنّه يشرح أنواع الآلات الموسيقية و أنماط



الألعاب التي كانت شائعة في ذلك الزمن، أي في حدود القرن العاشر الهجريّ (القرن السادس عشر للميلاد).

١٨ ـ مبلغ الأرب في فخر العرب، تمّ طبعه في سنة (١٩٨٧م) بإشراف و اهتمام مجدي السيد إبراهيم في القاهرة.

١٩ ـ مناسكك الحج، طُبِع عدّة مرات منها مرّتيْن في مصر مرّة سنة (١٣٢٣هـ) و أخرى سنة (١٩٦٩م).

٢٠ ـ المنح المكية، شرح للقصيدة الهمزية للبوصيري (المولود سنة ٦٩٦ه/ ١٢٩٧م) و المعروفة بـ(أمّ القرى في مدح خير الورى) (مصر، ١٢٩٢ و ١٣٠٧هـ).

٢١ ـ النخب الجليلة في الخطب الجزيلة، (مصر، ١٢٩٠ و ١٣١٠هـ).

مجيد فاطمي نژاد

باحث في مؤسسة دار الاعلام

لمدرسة اهل البيت ﴿ع﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

و به نستعين

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الخلق اجمعين، سيدنا محمد عليه افضل الصلاة والسلام، و على آله و صحبه و بعد...

فان مكة من البلدان التى ذكرت في كتاب الله و فضّلت عن بقية اماكن الدنيا الاخرى، فقال الله سبحانه و تعالى في سورة البلد الآية ١، ٢، ﴿**لاَ أُقْسِمُ بِهٰذَا الْبَلَدِ * وَأَنتَ حِلٌّ بِهٰذَا الْبَلَدِ * وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ**﴾ و قال تعالى في سورة ابراهيم الآية ٣٥ ﴿**رَبِّ اجْعَلْ هٰذَا الْبَلَدَ آمِناً وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ**﴾.

و قال عليه الصلاة و السلام: «**والله انك لاحب البقاع إلى الله، ولولا انى اخرجت منك ما خرجت**» و قال عليه الصلاة والسلام: «**و من مات بمكة فكانما مات في السماء الدنيا**» و في هذا المكان المسجد الحرام، و هو مسجد وضع في الارض، و تعتبر الصلاة فيه بمائة الف صلاة، و قد قام الخليفة عمر بن الخطاب بعمارته و ظل يتجدد و يتوسع عبر مرور الزمان، و في هذه البقعة يوجد عدد كبير من الاثار الاسلامية نذكر منها مقام ابراهيم ﷺ و بئر زمزم و غار ثور و غار حراء و دار الارقم بن الارقم و غيرهم. و كذلك المدينة المنورة احب بقاع الارض لأمة السلام و قد وردت احاديث صحيحة في مسند الامام احمد بن حنبل و سنن ابن ماجه والنسائى و غيرهم، فلهذا نقدم كتابا من كتب التراث الذى بيّن عظمة المدينة و مكة في قلوب المسلمين و خاصة وقت الحج والعمرة.



و كتاب «الجوهر المنظم في زيارة القبر الشريف النبوى المكرم» لابـن حجـر المكى و قبل ان نتكلم عن الكتاب نلقى نظرة على حياة بـن حجـر: ولـد سـنة ٩٠٩ هـفي محلة ابى الهيتم ـ و هى بالمثناة الفوقية كما وردت في كتـاب «خلاصـة الاثر» و هى قرية من قرى المحلة الكبرى، و اسمه ابو العباس احمد بن محمد بدر الدين بن محمد شمس الدين بن على نور الدين بن حجر الهيتمى المكى السعدى الانصارى، و لقب بعـدة القـاب. منهـا سـيد الانـام و العـالم العلامـة الرحالـة الازهرى الجنيدى الشافعى المحدث الفقيه الصوفى الباحث المحقق.

اختلف المحدثون حول تسمية ابن حجر. فقـد قيـل ان جـده كـان ملازمـا للصمت في جميع احواله لا ينطق الا لضرورة و من هنا شبه بالحجر، و قيل جده اشتهر بين قومـه بالـشجاعة و البطولـة، و كـان ملازمـاً للـصمت لا يـتكلم الا لضرورة حاقة و الا فهو مشغول عن الناس بما منّ الله عليـه بـه فلـذلك شـبهوه بحجر ملقى لا ينطق، فقالوا: حجر و اشتهر بذلك الاسم.

و بالبحث في كتب الطبقات و التـاريخ و الاعـلام انتهـل العلـم عـن كبـار الفقها و العلماء منهم ابن حجر العسقلانى الانصارى و ناصر الدين الطـبلاوى و ابو الحسن البكرى. مولفاته كثيرة و نافعة نذكر منها:

١ ـ الاعلام بقواطع الاسلام.

٢ ـ الايضاح ـ شرح احاديث النكاح.

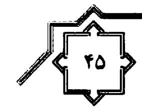
٣ ـ الانتباه لتحقيق عويص مسائل الاكراه.

٤ ـ الزواجر عن اقتراف الكبائر.

٥ ـ زوائد سنن ابن ماجه.

٦ ـ شرح الفيه ابن مالك.

٧ ـ شرح مختصر الروض في الفقه.



۸ ـ شرح مقدمة بافضل من الفقه أو المنهاج القيم.

۹ ـ الدر المنظوم في تسلية المهموم.

۱۰ ـ رسالة في القدر.

۱۱ ـ فضائل الصدقة و احكامها و انواعها.

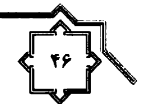
و غيرهم من المولفات بين مطبوع و مخطوط. تعددت الاقاويل في فضائل ابن حجر الهيتمی.

أمّا الشكوانی فقال: «ان الهيتمی كان زاهدا متقللا على طريقة السلف آمرا بالمعروف، ناهيا عن المنكر، واستمر على ذلك حتى مات».

و قال ابن العماد في كتابه شذرات الذهب في (۸/ ۳۷۰): فقد كان الهيتمی شيخ الاسلام خاتمة العلماء الاعلام، بحرا لا تكدره الدلاء، امام الحرمين، كما اجمع عليه الملا، كوكبا سيارا في منهاج الساری، واحد العصر، ثانی الفطر و ثالث الشمس و البدر اقسمت المشكلات الّا تتضح الا لديه، و اكدت المعضلات الا تتجلى الا عليه، لا سيما في الحجاز عليها قد حجر، و لا عجب فانه المسمى ابن حجر.

و قال ابن الخفاجی:«شهاب الدين احمد بن حجر الهيتمی علامة الدهر، خصوصا، الحجازفإذا نشرت حلل الفضل فهو طراز الطراز، فكم حجت وفود الفضلاء لكعبته، و توجهت وجوه الطلاب إلى قبلته، ان حدث عن الفقه والحديث، لم تنفرط الاذان بمثل اخباره في القديم الحديث، فهو العليا و السند، و من تفك سهام افكاره الزرد».

و قال الطبلاوی عن ابن حجر: «خاتمةأهل التصنيف، و خطيب ذوی التاليف، امام العلماء المحققين، و لسان الفقهاء المدققين، مولانا شيخ مشايخ الاسلام و المسلمين، عالم الحرم الامين، شهاب الملة والدين، ابن حجر الهيتمی ثم المكی، قدس الله روحه و نور ضريحه» و غيرهم من المحدثين و الكتاب.



توفى ابن حجر سنة ٩٧٤هـ و دفن بالمعلاة بمكة.

يلقى كتاب «الجوهر المنظم في زيارة القبر الشريف النبوى المكرم» نظرة فاحصة و دقيقة على مناسك الحج والعمرة بطريقة عميقة، و مفصلة بالادلة و الايات، و الأحاديث و اجتهاد الائمة، فهو كتاب هام لكل حاج و حاجة و كل مسلم ومسلمة، حيث بين مناهج الاسلام. و كيفية اداء فريضة الحج و العمرة بشىء من الدقة و التفصيل.

و نسال الله العون و المغفرة و العفو، والله خير معين، يا ارحم الراحمين.

والله ولى التوفيق

القاهرة في ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م

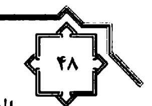
الدكتور: محمد زينهم محمد عزب

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمدك اللهم ان اهلتنا على ما فينا من التقصير، و التعامى عن شهود آياتك لا سيما و قد جاء النذير، و التباطى عن المبادرة إلى امتثال اوامرك و نواهيك، و التخلي عن التحلي بما يرضيك، للسفر إلى زيارة حبيبك و رسولك، و نبيك و صفيك و خليلك، إنسان عين خلفائك، و واسطة عقد أهل ولائك، ثم إلى الوقوف بين يديه، و استمداداته الواصلة منك إليه، و استعطاف باهر عطفه، و استمرار دائم بره و لطفه.

و اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له، شهادة انتظم بها في سلك خدمة جنابه كما يجب لعليّ كماله، و اعدّ بها في حملة سنته و جملة احبابه، كما ينبغى لباهر جلاله.

و اشهد ان سيدنا محمدا عبده و رسوله الذى اكرمه الله تعالى من الخصوصيات بما لا يحصى، و توّجه بتاج خلافته العظمى، و بانه الوسيلة إليه دون غيره، لا سيما في فصل القضاء ﷺ و على آله و اصحابه و تابعيهم باحسان إلى يوم الدين، صلاة و سلاما بالغين غاية الكمال و نهاية الامتنان ما حنت الارواح الى زيارته، والتسامي بالوقوف في حضرته، و تاهلت لاستمطار فيض فضله، و الاستكثار من واسع عطائه و وصله، آمين.



و بعد: فانه لما منّ الله تعالى عليّ بالاخذ في اسباب الزيارة التى هى منتهى الامال، و اليها محط الرحال، و عليها تعويل الكمّل من الرجال، في يوم السبت ثامن عشر شوال سنة ست و خمسين و تسعمائة، ثم تيسرت تلك الاسباب على خلاف العادة، علمت ان ذلك اذن مشعر بالقبول ان شاء الله تعالى و زيادة.

ثم لما وصلت صبيحة الاحد إلى وادى مرّ الظهران خطر لى ان اجعل وسيلتى إلى المثول في تلك الحضرة النبوية تاليف كتاب في ذلك الشان، مشتمل على احكام الزيارة و فضائلها، و متعلقاتها و دلائلها، مستوفيا لكل ما يحتاج إليه في ذلك باخصر عبارة و اوجز اشارة وضمنته من جواهر النفائس و نفائس الجواهر ما لا ينبغى لطالب الزيارة ان تفوته معرفته، و لا ان تعزب عنه خبرته، لانه حينئذ لا يخفى عليه شىء من امرها في معظم الاوقات، و لا يحتاج إلى سؤال أحد عن شىء من احكامها و متعلقاتها في اكثر الحادثات، و من ثم سميته «الجوهر المنظم في زيارة القبر الشريف النبوى المكرم» ثم ابتدات فيه حينئذ مستمدا من الله الكريم الجواد، الذى ليس لواسع نعمه من نفاد، الامداد و التيسير والاعانة، و التوفيق لاصابة جادة الصواب و الابانة، و قبول هذه الزيارة و هذه التاليف والاتحاف باجابة الطلبات كلها مصحوبة بغاية الاكرام و نهاية الانعام والتشريف، فانه بكل خير كفيل، و هو حسبى و نعم الوكيل، و لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم.

و رتبته على مقدمة و ثمانية فصول و خاتمة.

مقدمة : في آداب السفر

قد بسطت هذه بادلتها في حاشية مناسك النووى[1] الكبرى المسماة «بالايضاح» و هنا اذكر حاصل المهم منها:

إذا عزم على الزيارة سنّ له ان يستشير من يثق بدينه و امانته و نصيحته في زيارته في هذا الوقت و الحالة التى هو متلبس بها، ويلزم المستشار ان ينصحه متخليا عن الهوى و حظوظ النفس و لو بنحوٍ: لا صلاح لك فيها الآن. فان ابى إلا بذكر سبب مضرٌ له دينا أو دنيا فليذكره له وجوبا اخذا مما قالوه في الاستشارة في نحو النكاح.

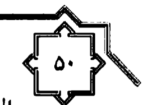
---

١ . هو الامام الفقيه الحافظ الاوحد محيى الدين ابو زكريا يحيى بن شرف بن مرى الحزامى الحورانى الشافعى، ولد فى المحرم سنة ٦٣١هـ و قدم دمشق سنه٦٤٩هـ و حج مرتين، و سمع من الرضى بن البرهان والنعمان بن ابى اليسر والطبقه.

وصنف التصانيف النافعه فى الحديث والفقه و غير ها كشرح مسلم والروضه المذهب والمنهاج و التحقيق و الاذكار و رياض الصالحين والارشاد و التقريب و تهذيب الاسماء واللغات و مختصر اسد الغابه و المبهمات.

و كان اماما بارعا حافظا متقنا، اتقن علوما شتى و بارك الله فى علومه و تصانيفه احسن قصده، و كان شديد الورع و الزهد، امارا بالمعروف ناهيا عن المنكر، تهابه الملوك. تاركا لجميع ملاذ الدنيا، و لم يتزوج. و ولى مشيخه دار الحديث الاشرفيه بعد ابى شامه فلم يتاول منها درهما، مات سنة ٦٧٦ه.

انظر: البدايه والنهايه ١٣/ ٢٧٨، تذكره الحفاظ ٤٠/ ١٤٧٠، الدارس فى اخبار المدارس١/ ٢٤، شذرات الذهب ٥/ ٣٤٥، طبقات السبكى ٨/ ٣٩٥، طبقات ابن هدايه الله ٢٢٥، العبر ٥/ ٣١٢، مفتاح السعاده ٢/ ١٤٦، النجوم الزاهره ٧/ ٢٧٨.



ثم يستخير الله تعالى في هذا الوقت و الحال أيضاً بصلاة ركعتيها[1] ان اراد الاكمل، والا حصلت سنتها بكل صلاة ان نواها والا سقط الطلب، ثم بالدعاء المشهور عقبها.

ثم يمضي بعد لما ينشرح له صدره انشراحا غير ناشيء عن حظ أوهوى، ويكررها إلى ان يحصل له هذا الانشراح، و تحرم في وقت الكراهة بغير حرم مكة.

ثم يتوب إلى الله تعالى توبة صحيحة بشروطها المقررة في كتب الفقه و غيرها كالإحياء من سائر ذنوبه، و يؤدي ما عليه من الحقوق والديون، ويرد الودائع و يستحلّ كل من بينه و بينه معاملة أو نحوها، و يكتب وصيته، و يترك لمونه كفايته بتفصيل ذلك كله المذكور في الحاشية.

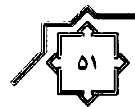
و يحرم على من عليه دين لله تعالى أو لآدمى حالٌّ لا مؤجل ـ و ان كان يحل عقب فراق البلد ـ سفر، و ان قَصُر إلا باذن الدائن أو علم رضاه، ما لم يوكل من يقضيه من مال له حاضر بالبلد.

و يحرم السفر للزيارة، أيضاً على من له والد أو والدة و ان علا، و على من لها زوج إلا ان تعلم رضاه أو اذنه، و على من بالعدة، و على المراة مطلقا إلا مع محرم أو زوج، و كذا عبدها ان كانا ثقتين، و لا يجوز مع محض النسوة كسائر الاسفار التى ليست بواجبة.

و يسنّ ان يتحرى النفقة من الحلال ان وجده، و إلا فما خفت الشبهة فيه، و ان يكثر من الزاد[2] و الماء ليواسى بهما المحتاجين، و ان لا يشارك غيره فيهما لانه قد يمتنع بسببه من خيرات كثيرة، و ان لا يماكس فيما يشتريه لقربة، واجتماع

١ . أي: ركعتي الاستخارة.

٢ . المقصود به الطعام.



الرفقة على طعام مجتمع منهم حسن، وأولى منه ان يكون كل يوم على واحد بالمناوبة، و يجب في الاول ان يقتصر على قدر حقه إلا اذا ظنّ رضا كلهم بالزائد، و ليس فيهم قن و لا سفيه و لا مكره و لو بغلبة الحياء عليه و لا نائب عن غيره.

و يسنّ الركوب في كل سفر لعبادة، و ان يكون المركوب قويا و وطيا. لان ركوب غيره يخلّ بخشوعه، وأن يكون على رحل إن أطاقه اتباعاً له ﷺ في سفره للحج وغيره، و لا نظر لنحو الرياسات في الأسفار، و شراء المركوب افضل من استئجاره إلا لعذر. ويلزمه ان يظهر للجمّال جميع ما يريد حمله ويرضيه فيه، فان شرط نحو وزن معلوم من جنس معلوم وجب عدم الزيادة على ذلك، والتعويل على العرف في ذلك خطا كبير.

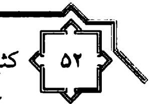
و يسنّ له ان يتحرى صحبة رفيق كامل علما و دينا و خلقا وجدة ان وجده، بل هذا من اهم أو اهم ما ينبغى مراعاته لظهور نفعه و عمومه من الأمر بالخير والارشاد إليه والاعانة عليه والاقتداء به ان كان اكمل منه، فان لم يجد من جمع كل ذلك صحب من جمع اكثره.

و يسنّ للمترافقين ان يتحمل كل ما يقع من صاحبه والا سنّ افتراقهما.

و يسنّ له ان لا يصحب من أهل الدنيا إلا من هو مثله أو دونه في الانفاق، و ان يتحرى الاخلاص في زيارته، و ان يقصد بالزيارة وجه الله سبحانه و تعالى، فان قصد بها نحو ثواب فسياتى أو معها نحو تجارة نقص ثوابه، و ان يسافر يوم الخميس، فان فاته فيوم الاثنين، فان فاته فالسبت، و ان يخرج باكر النهار للحديث الحسن أوالصحيح «**اللهم بارك لامتى في بكورها**»[١] و ان يتعلم احكام الزيارة و آدابها و متعلقاتها، و لا يقلد في ذلك عوام أهل المدينة فانهم

---

١ . ورد فى صحيح البخارى و مسلم.



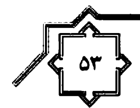
كثيرا ما يخطئون فيه، و ان يودع منزله اذا خرج و كل منزل نزله في سفره بركعتين، و ان يبدأ بالمسجد الشريف اذا قدم فيصلى فيه ركعتين، ثم اذا دخل منزله صلى ركعتين، و ان يودّع كل قريب أو صديق له، و يقول كل للاخر (استودع الله دينك و امانتك) اى ما آمنك الله عليه من أهل و مال و نحوهما، و خواتيم عملك، اى لانّ حفظها يستلزم حفظ العمل كله، و لهذا عطف على الدين عطف خاص على عام (زوّدك الله التقوى وغفر لك ذنبك ويسّر لك الخير حيثما كنت).

وورد انه ﷺ كان اذا أراد السفر اتى إلى اصحابه فسلّم عليهم، و اذا قدم من سفر اتوا إليه فسلّموا عليه. فينبغى للزائر فعل ذلك والتأسّى به ﷺ و باصحابه رضي الله عنهم.

و يسنّ لمريد الركوب ان يسمّي ويبدأ برجله اليمنى، و يكون في الشق الايمن ان عادله من لا يحتشمه وإلا تناوبا، فإذا استوى على راحلته قال: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ * وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ﴾[1]، وحكمة الختم به ان الركوب قد يؤدي للموت، فيطلب منه استحضاره ليتهيأ له، و لا يشتغل عنه بسفره ولا غيره، ثم الحمد لله، والله أكبر، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد و آله وصحبه (ثلاثا)، ثم (سبحانك إني ظلمت نفسي ظلماً كثيرا كبيرا فاغفر لى فإنّه لا يغفر الذنوب إلا انت)، ثم (اللهم إنّا نسألك في سفرنا هذا البرّ والتقوى، ومن العمل ما تحب و ترضى، اللهم هوّن علينا سفرنا هذا واطو عنّا بعده، اللهم أنت الصاحب في السفر، والخليفة في الأهل والمال والولد، اللهم إنا نعوذ بك من وعثاء السفر) أي شدته (وكآبة المنقلب) أي تغير النفس حزناً أو غيره (والحَوَر بعد الكَوَر) أي النقص بعد الزيادة، (و سوء المنظر

---

١ . الزخرف: ١٣ و١٤.



في الأهل و المال و الولد)، و ان يكثر من السير ليلا، لأنّ الارض تطوى حينئذ كما في الحديث الشريف، و ان يريح دابته بالنزول عنها غدوة وعشية و عند عقبه، و يجب في المستأجرة ـ حيث لاشرط ـ ما اطرد العرف به على ذكر غير معذور، و ان لا ينام على ظهرها نوما كثيرا عرفا، و يحرم في المستأجرة في غير وقته إلا بإذن المؤجِّر أو علم رضاه، ويحرم ولو في مملوكته أن يحمل عليها، وأن يجيعها ما يلحقها به ضرر ولو في المستقبل و ان يلعنها.

و يسنّ له ان يحسن خلقه مع جميع قافلته حتى المقصرين كالخارجين بلا زاد، و ان لا يزحم غيره والاكره أو حرم على ما بسطته في الحاشية.

ويكره لمن لم يستأنس بالله سبحانه و تعالى في اكثر اوقاته ان يسافر، حيث لا حاجة له حاقة في السفر وحده أو مع آخر لخشية ضرر يلحقه من شيطان أو نحوه، ويكره أيضاً ان يستصحب كلبا أو جرسا[١] لمنعهما صحبة ملائكة الرحمة، و لو لمن صحب شيئاً منهما معه ما لم ينكر عليه، و ان ينزل في قارعة الطريق لأنه محل الهوامّ.

و يسنّ للثلاثة فاكثر ان يؤمروا احدهم، والاجود رأياً و خبرة، أولى و تلزمهم طاعته ما لم يعزلوه لكن بجنحة.

و يسنّ ان يكبّر كلما علا و يسبّح كلما هبط، و ان يرفع صوته بذلك بحيث لا يضرّ احدا، و ان يسبّح في حال حطّ الرحل، ثم يقول (أعوذ بكلمات الله التامّات من شرّ ما خلق) فإنّه لايضره شيء حتى يرتحل، كما في الحديث الصحيح، و ان يقول اذا اقبل الليل (يا ارض ربى و ربك الله، أعوذ بالله من شرّك، و شرّ ما فيك وشرّ ما خلق فيك، و شرّ ما يدبّ عليك)، قيل: جمعت[٢] للتأكيد و بيّنت في الحاشية تغايرها (أعوذ بالله من أسد و أسود)اى كل

---

١ . هو الطائر، انظر القاموس المحيط و المعجم الوسيط.

٢ . أي الأمور الأربعة المتعوّذ منها.



شخص مؤذ (والحية والعقرب، و من ساكن البلد) اى الارض التى هو بها، (ومن والد) اى ابليس (و ما ولد) اى الشياطين، و اذا خاف شيئا قال: (اللهم انا نجعلك في نحورهم و نعوذ بك من شرورهم)، و ان يكثر كل أحد من دعاء الكرب، و هو (لا إله إلا الله العظيم الحليم لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السموات ورب الأرضين رب العرش العظيم، يا حى يا قيوم برحمتك استغيث)، و ان يقول اذا استصعب مركوبه في اذنه ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ الله يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾، و اذا انفلتت[1] دابته يقول (يا عباد الله احبسوا) ثلاثا، و ان ينشد ذو صوت شجيّ شعرا مباحا ليسهل السير، و ان يكثر من الدعاءفي سفره لنفسه، و من يحب و سائر المسلمين بخيرى الدنيا و الآخرة، فقد صح ان دعاء المسافر مستجاب، و كذا دعاء المظلوم والوالد.

و مما يتأكد على المسافر تعلّمه والاعتناء به، حفظ ما يتعلق بسفره من نحو التيمم و مسح الخف والقصر والجمع و تجهيز الموتى والصلاة ماشيا و على الراحلة و معرفة ادلة القبلة و غير ذلك مما هو مستوفى في كتب الفقه، و قد بينت ملخصه في الحاشية، و كثير يحافظون على الزيارة و يضيعون واجبات كثيرة، و هو من حمقهم وجهلهم، إذ فعل فرض واحد خير من ألوف مؤلفات من الزيارات المكررة، لانها سنّة، فكيف يضيع في جنب تحصيلها فرض؟وامتثال أوامر ﷺ الواجبة واجتناب نواهيه المحرمة أعظم في محبته و أبلغ في اجلاله من زيارته مهما كانت، فاحذر ايها الزائر ان تضيع شيئا من دينك فانه يخشى عليك غضبه و مقته سبحانه و تعالى، وأن ترجع خائباً أي خائب، ومحروماً أي محروم، أعاذنا الله سبحانه من ذلك بمنه و كرمه آمين.

---

١ . بمعنى تعبت.

الفصل الاول:

مشروعية زيارة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام

في مشروعية زيارة قبر نبينا محمد ﷺ و شرف و كرم المكرم الشريف، والسفر اليها، وحط الرحل في حومة حماه و معهده المطهر المنيف.

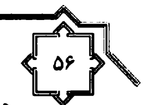
اعلم وفقني الله و اياك لطاعاته، وفهم خصوصيات نبيه ﷺ و المسارعة إلى مرضاته انّ زيارته ﷺ مشروعة مطلوبة بالكتاب والسنة و اجماع الامة و بالقياس.

أمّا الكتاب فقوله تعالى ﴿ولَو أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ واسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾[1] دلت على حث الامة على المجيء إليه ﷺ والاستغفار عنده واستغفاره لهم، و هذالا ينقطع بموته، و دلّت أيضاً على تعليق وجدانهم الله توابا رحيما بمجيئهم واستغفارهم واستغفار الرسول لهم، فاما استغفاره ﷺ فهو حاصل لجميع المؤمنين بنص قوله تعالى ﴿واسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ ولِلْمُؤْمِنِينَ والمُؤْمِنَاتِ﴾.[2]

---

١ . النساء: ٦٤.

٢ . محمد: ١٩.

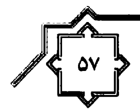


و صحّ في مسلم عن بعض الصحابة انه فهم من الآية ذلك، فإذا وجد مجيئهم و استغفارهم فقد تكملت الامور الثلاثة الموجبة لتوبة الله تعالى و رحمته، و ليس في الآية ما يعين تأخراستغفار الرسول ﷺ عن استغفارهم، بل هى محتملة، و المعنى يؤيد أنه لا فرق بين تقدمه و تأخره، فإنّ القصد ادخالهم لمجيئهم و استغفارهم تحت من يشمله استغفار النبى ﷺ، هذا ان جعلنا ﴿وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ﴾ عطفا على ﴿فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ﴾، أمّا ان جعلناه عطفا على ﴿جَاءُوكَ﴾ فلا يحتاج لذلك، كما انا إذا قلنا ان استغفاره ﷺ لامّته لا يتقيد بحال حياته، كما دلت عليه الأحاديث الاتية فلا يضره عطفه على ﴿فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ﴾ إذا أمكن استغفاره لأمته بعد موته، وقد علم كمال شفقته ورحمته عليهم، فمعلوم أنه لا يترك ذلك لمن جاءه مستغفرا ربه سبحانه و تعالى، و حينئذ ثبت على كل تقدير ان الامور الثلاثة المذكورة في الآية حاصلة لمن يجىءإليه ﷺ مستغفرا في حياته و بعد وفاته.

والآية الكريمة و ان وردت في قوم معينين في حال الحياة تعم بعموم العلة كل من وجد فيه ذلك الوصف في الحياة و بعد الممات، و لذلك فهم العلماء منها العموم للجائين، واستحبوا لمن أتى قبره ﷺ أن يقرأها مستغفرا الله تعالى، كما يأتي ذلك في حكاية العتبى[1] التى ذكرها المصنفون في المناسك من جميع المذاهب و المؤرخون، و كلهم استحبوها للزائر، ورأوها من آدابه التى يسنّ له فعلها، و يستفاد من وقوع ﴿جَاءُوكَ﴾ في حيز الشرط الدال على العموم، ان الآية الكريمة طالبة للمجىءإليه من بعد و من قرب بسفر و بغير سفر.

---

١ . هو محمد بن عبد الجبار العتب بن عتبه بن غزوان ابو نصر، مورخ من الكتاب الشعراء، اصله من الرى، نشأ فى خراسان، وولى نيابتها ثم استوطن نيسابور، مات سنة ٤٢٧هـ / ١٠٣٦م. انظر: يتيمة الدهر ٤/ ٢٨١، الذريعه ٣/ ٢٥٦



و قوله تعالى ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللهِ وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾[1] و لاَ شك عند من له ادنى مسكة من ذوق العلم، انّ من خرج لزيارة رسول الله ﷺ يصدق عليه انه خرج مهاجرا إلى الله و رسوله، لما يأتي ان زيارته ﷺ بعد وفاته كزيارته في حياته، و زيارته في حياته داخلة في الآية الكريمة قطعا، فكذا بعد وفاته بنص الأحاديث الشريفة الآتية.

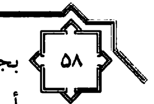
وأما السنّة فما يأتي من الأحاديث، و أمّا القياس فقد جاء أيضاً في السنّة الصحيحة المتفق عليها الأمر بزيارة القبور، فقبر نبينا ﷺ منها أولى و أحرى و أحق و أعلى، بل لا نسبة بينه و بين غيره، و أيضاً فقد ثبت انه ﷺ زار أهل البقيع[2] و شهداء أحد، فقبره الشريف أولى لماله من الحق ووجوب التعظيم، و ليست زيارته ﷺ إلا لتعظيمه والتبرّك به، و لينالنا عظيم الرحمة والبركة بصلاتنا و سلامنا عليه ﷺ عند قبره الشريف بحضرة الملائكة الحافين به ﷺ، و ما وقع للشعبيّ والنخعي مما يقتضى كراهة زيارة القبور شاذ لا يلتفت إليه لمخالفته اجماع غيرهما من العلماء و الصحابة ﷺ، على انه متأوّل، و بفرض تسليم الاعتداد به هو لا يأتي في قبر نبينا محمد ﷺ للفرق الواضح الجلي بين قبره ﷺ و قبر غيره، و من ثم عم الندب فيه، و فيما ألحق به النساء و الرجال، و اختص فيما عدا ذلك بالرجال.

و أمّا اجماع المسلمين فقد نقل جماعة من الأئمة حملة الشرع الشريف الذين عليهم المدار والمعول الإجماع، وإنّما الخلاف بينهم في أنّها واجبة أومندوبة. فقيل واجبة و أُوّل، و قد يستدل لظاهره ـ الذى صرّحبه بعض الظاهرية، بل جزم به

---

١ . النساء: ١٠٠.

٢ . هى مقابر الصحابه.



بجير بن عدى ـ بسند يحتج به، و قول الدارقطنى انه منكر إنّما هو من حيث تفرّد أحد رواته به كما أشارإليه ابن عدى و غيره من حيث المتن، و من قال عن بعض رواته انه متّهم رُدّ عليه بأنها تهمة غير مفسّرة، فيقدّم عليها توثيق من وثقه.

و قول ابن حبان انه يأتي عن الثقات بالطامات مبالغة في الانكار، على انه روى عنه فذكر ابن الجوزى له في الموضوعات اساءة منه، و غايه امره انه غريب.

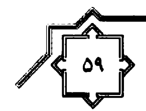
قال السبكيّ: و مما يجب ان يتنبه له ان حكم المحدِّثين بالانكار والاستغراب قد يكون بحسب تلك الطريق، فلا يلزم من ذلك ردّ متن الحديث، بخلاف اطلاق الفقيه ان الحديث موضوع، فانه حكم على المتن من حيث الجملة، فلا جرم قبلنا كلام الدارقطنى ورددنا كلام ابن الجوزى انتهى، و هو قوله ﷺ «**من حج البيت و لم يزرني فقد جفاني**»[١] بجعل من حج البيت قيدا لبيان الاولى والاهم أو الاغلب حتى لا يكون له مفهوم، و يؤيد ذلك سقوطه من روايات اخر، و ان كانت ضعيفة، وجفاؤه ﷺ حرام، فعدم زيارته المتضمن لجفائه كذلك.

و يؤيد ذلك ان جماعة من المذاهب الأربعة اخذوا وجوب الصلاة عليه ﷺ كلما ذكر مما صحّ عن قتادة مرسلا، قال: قال رسول الله ﷺ «**من الجفاء ان اذكر عند رجل فلا يصلّي عليّ**» ﷺ[٢]، و من أدلة أخرى كالخبر الصحيح «**البخيل من ذكرت عنده فلم يصل عليّ**»، و في رواية: «**البخيل كل البخيل**» و في رواية رجالها رجال الصحيح إلا ان فيهم متهما «**ان من لم يصل عليّ عند ذكري أبخل الناس**».

---

١ . ورد فى صحيح مسلم والبخارى.

٢ . ورد فى سنن ابن ماجه والنسائى.



و في الحديث الصحيح المشهور الدعاء على من لم يصلِّ عليه عند ذكره بالبعد و الشقاوة و برغم الأنف كما يأتي بسط ذلك كله، و هذه كلها تؤيد القول بوجوب الزيارة قياساً على وجوب الصلاة عليه عند سماع ذكره، بجامع أنه ﷺ عدّ كلاً جفاء له ﷺ.

و يجاب من جهة الجمهور القائلين بندبها بأنّ الحديث الأول فيسنده مقال كما علم مما مرّ، و بتسليم صحته، فالجفاء من الأمور النسبية، فقد يقال في ترك المندوب إنه جفاء، إذ هو ترك البرّ و الصلة، و يطلق أيضاً على غلظ الطبع و البعد عن الشئ، و أكثر العلماء من الخلف و السلف على ندبها دون وجوبها.

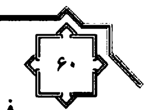
و على كل من القولين فهى مع مقدماتها من نحو السفر إليها، و لو بقصدها فقط، دون أن يُضمّ لها قصد اعتكاف أوصلاة بمسجده ﷺ من أهمّ القربات و أنجح المساعى، و من ثم قال الحنفية: إنها تقرب من درجة الواجبات، و قال بعض أئمة المالكية: أنها واجبة. وقال غيره منهم: يعنى من السنن الواجبة.

و يدل لذلك أحاديث صحيحة صريحة لا شك فيها إلا من انطمس نور بصيرته.

منها قوله ﷺ **«من زار قبرى وجبت له شفاعتى»**[1] و في رواية **«حلت له شفاعتى»** صححه جماعة من أئمة الحديث، و الطعن في بعض رواته مردود كما بينه السبكيّ و أطال فيه، و قول البيهقى: إنه منكر يجاب عنه، بان معناه أنه تفرّد به راويه، و الفرد قد يطلق على ذلك كما قاله أحمد في حديث دعاء الاستخاره، مع أنّه في الصحيحين، و قول الذهبيّ: طرقه كلها لينة يقوىّ بعضها بعضاً لا ينافيه، لأنّ غايته أنه بتسليم ذلك حسن، و هو تطلق عليه الصحة كما بين في محله.

---

١ . ورد فى صحيح مسلم و البخارى و ابن حبان سنن الترمذى.



قال السبكيّ: و من أجودها إسناداً خبر «**من زارنی بعد موتی فكأنما زارنی في حياتی**» انتهی رواه ـ أعنی الأوّل ـ الدارقطنی أيضاً و ابن السكن[١] ـ و صححه، بل قضية كلامه أنه مجمع علی صحته بلفظ «**من جاءنی زائراًلا تعمله حاجة إلا زيارتی كان حقاً عليّ أن أكون له شفيعاً يوم القيامة**» قال السبكيّ: و تبويب ابن السكن يدل علی أنه فهم منه أنّ المراد بعد الموت أو أنّ ما بعد الموت داخل في العموم و هو صحيح ـ و البيهقی و ابن عساكر وضعفاه، و المراد بقوله ﷺ «**لا تعمله حاجة إلا زيارتی**» اجتناب قصد ما لا تعلق له بالزيارة أصلاً. أمّا ما يتعلق بها من نحو قصد الاعتكاف بالمسجد النبویّ، وشدّ الرحل إليه، و كثره العبادة فيه، و زيارة الصحابة ﷺ و مسجد قباء و غير ذلك، مما يأتي أنه مندوب للزائر فعله فلا يمنع قصده حصول الشفاعه له.

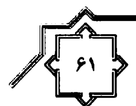
فقد قال أصحابنا و غيرهم: يسنّ أن ينوی مع التقرب بالزيارة التقرب بشدّ الرحال إلی المسجد النبویّ و الصلاة فيه، و يؤخذ من قوله ﷺ «**لا تعمله حاجة إلا زيارتی**» الشامل لحالتی الحياة و الموت[٢] كما يأتي، و للمجیء من بعد و من قرب. إنّ تمحيض القصد، و تجريده للزيارة من غير أن يضم إليه قصد ما ذكر قربة عظيمة و مرتبة شريفة، و أنه لا محذور فيه بوجه و هو كذلك، خلافاً لمن اتخذ إلهه هواه حتی أضله الله و أعماه، و في هوّة الشقاوة و العناد أهواه.

و منها خبر أبی يعلی و الدار قطنی و الطبرانی و البيهقی و ابن عساكر وضعفاه «**من حج فزار قبری**». و في رواية «**فزارنی بعد وفاتی**». و في رواية «**فزارنی بعد وفاتی عند قبری كان كمن زارنی في حياتی**». و رواه غير واحد بلفظ «**من حج فزار قبری بعد موتی كان كمن زرانی في حياتی و صحبنی**»،

---

١ . له ذكر فی طبقات الحفاظ ٢٤٠.

٢ . ورد فی صحيح مسلم و البخاری و سنن النسائی و ابن ماجه.



فقول ابن عساكر: إنّ قوله «**و صحبني**» تفرّد به بعض رواته مردود، و التشبيه بمن صحبه لا يقتضي المساواة من كل وجه، فلا ينافي خبر: «**لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً**» الحديث. و في رواية أشار السبكيّ إلى صحتها «**من حج فزارني في مسجدي بعد وفاتي كان كمن زارني في حياتي**».

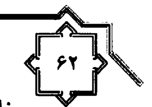
و منها خبر الدارقطني «**من زارني إلى المدينة كنت له شفيعاً و شهيداً**» اختلف في أحد رواته، و صوّب أنه سفيان بن موسى وثقه ابن حيان، وردّ على من خطأ راويه بأنّ المعروف «**من استطاع منكم أن يموت بالمدينة فليفعل**».

و منها خبر أبي داود الطيالسيّ «**من زار قبري**» أو قال «**من زارني كنت له شفيعاً أو شهيداً، و من مات بأحد الحرمين بعثه الله تعالى من الآمنين يوم القيامة**» قال السبكيّ بعد ذكره تصحيح رجاله إلا واحداً في طبقه التابعين: الأمر فيه قريب، فقول البيهقي: سنده مجهول مردود، إلا أن يريد هذا الرجل فقد بيّنا قرب الأمر فيه.

و منها خبر العقيليّ و غيره «**من زارني متعمداً**» أى بأن لم يقصد غير زيارتي كما مر في معنى خبر «**من جاءني زائر لا تعمله إلا زيارتي**» الحديث «**كان في جواري يوم القيامة**» و «**من سكن المدينة و صبر على بلائها كنت له شهيداً و شفيعاً يوم القيامة**»، و فيه إرسال لكنه جيد، و تضعيف الازديّ لبعض رواته مردود بتوثيق ابن حبان له، و هو أعلم من الازديّ و أثبت.

و منها خبر الدارقطني و غيره بسند فيه مجهول بينه غيرهم ممن وثقه ابن حبان «**من زارني بعد موتي فكأنما زارني في حياتي**» «**و من مات بأحد الحرمين بعث من الآمنين يوم القيامة**».

ومنها خبر الأزدي «**من حج حجة الإسلام وزار قبري وغزا غزوة وصلى في بيت المقدس لم يسأله الله تعالى فيما افترض عليه**». و فيه مجهول و ضعيف.



و منها خبر ابن مردويه «**من زارني بعد موتي فكأنما زارني و أنا حيّ و من زارني كنت له شهيداً و شفيعاً يوم القيامة**» و في سنده خالد بن زيد، فإن كان العمريّ فهو منكر الحديث كما قاله ابن حبان.

و منها خبر أبي عوانه و ابن أبي الدنيا «**من زارني بالمدينة محتسباً كنت له شهيداً و شفيعاً يوم القيامة**» و في رواية «**أو شفيعاً**». و في سنده كالذي قبله من ضعفه أبو حاتم الرازي لكن وثقه ابن حبان.

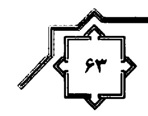
و منها خبر ابن حبان «**من مات فيأحد الحرمين بعث من الآمنين يوم القيامة، و من زارني محتسباً إلى المدينة كان في جواري يوم القيامة**»، و أعلّ بالانقطاع.

و منها خبر ابن النجار «**من زارني ميتاً فكأنما زارني حياً، و من زار قبري وجبت له شفاعتي يوم القيامة، و ما من أحد من أمتي له سعة ثم لم يزرني فليس له عذر**» أشار الذهبيّ إلى وضعه أي بالنسبة لما فيه من الزيادة على ما مر.

و منها خبر العقيلي «**من زارني في مماتي كان كمن زارني في حياتي، و من زارني حتي ينتهي إلى قبري كنت له يوم القيامة شهيداً أو قال شفيعاً**» و فيه تفرد و نكارة.

و منها خبر الديلمي في مسند الفردوس «**من حج إلى مكة ثم قصدني في مسجدي كتبت له حجتان مبرورتان**» في سنده ضعيف مجهول.

و منها خبر علي كرّم الله وجهه يرفعه إلى النبي ﷺ بسند فيه ضعف أو انقطاع «**من زار قبري بعد موتي فكأنما زارني في حياتي و من لم يزر قبري فقد جفاني**». و جاء عنه من قوله بسند ضعيف «**من زار قبر رسول الله ﷺ كان في جوار رسول الله ﷺ**». و منها بسند فيه متهم و يحتمل الإرسال «**من أتى المدينة زائراً لي وجبت له شفاعتي يوم القيامة، و من مات فيأحد الحرمين بُعث آمنا**».



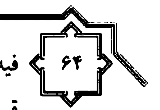
الحث على شدّ الرحل لزيارة النبي ﷺ

ثم هذه الأحاديث كلها إمّا صريحة و هى الأكثر أو ظاهرة في ندب، بل تأكد زيارته ﷺ حيّا و ميّتاً للذكر و الأنثى الآتيين من قرب أو بعد، فيستدل بها على فضيلة شدّ الرحال لذلك، و ندب السفر للزيارة حتى للنساء، أى اتفاقاً كما أخذه الريميّ من قولهم: تسنّ الزيارة لكل حاج، و بحث فيه غيره، أن قبور الصالحين و الشهداء كذلك.

و وجه شمول الزيارة للسفر أنها تستدعى الانتقال من مكان الزائر إلى مكان المزور، كلفظ المجئ الذى نصّت عليه الآية الكريمة، فالزيارة إمّا نفس الانتقال من مكان إلى مكان بقصدها، و إمّا الحضور عند المزور من مكان آخر، و على كلٍّ فالانتقال الشامل من قرب و من بعد لابدّ منه في تحقيق معناها، و إذا كانت كل زيارة قربة، كان كل سفر إليها قربة، و قد صحّ خروجه ﷺ لزيارة قبور أصحابه بالبقيع و بأُحد. فإذا ثبتت مشروعية الانتقال لزيارة قبر غيره ﷺ فقبره الشريف أحرى و أولى.

و القاعده المتفق عليها أنّ وسيلة القربة المتوقفة عليها قربة ـ أى من حيث إيصالها إليها فلا ينافى أنه قد ينضمّ إليها محرّم من جهةأخرى كمشى في طريق مغصوب ـ صريحة في أنّ السفر للزيارة قربة مثلها، و زعم أنّ الزيارة قربة في حق القريب فقط افتراء على الشريعة الغرّاء فلا يعوّل عليه.

ولا ينافى ما تقررّ أنّ كل سفر للزيارة قربة قول الأصوليين (الأمر بالماهية الكلية ليس أمراً بجزئىّ معين من جزئياتها بل بجزئىّ لا بعينه لأنه يتحقق الإتيان بالكلّى بدونه، و هو مخيّر في تعيين ذلك الجزئىّ، فإذا أتى بجزئى معين خرج عن عهده الأمر) و ذلك لأن ذلك المعين و إن لم يكن مأموراً به لأنه مخير

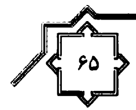


فيه لكنه قربة و طاعة لأنه فعل لامتثال الأمر. فكل سفر يقع بقصد الزيارة فقط قربة لكنه موصلاً لقربة، و به يحصل أداء السفر المأمور به لأن الأمر إنّما يتعلق بكليّ، و هذا جزئيّ فالقربة فيه لكونه قصد به القربة و وسيلة إليها، فالقربة تصدق على الكليّ و الجزئيّ و الطلب لا يتعلق إلا بالكليّ، و السفر المعين وسيلة للزيارة و ليس شرطاً فيها، و مطلق السفر للزيارة وسيلة و شرط، و مطلق السفر شرط، و قد لا يقصد به التوسل فلا يسمى وسيلة.

و بما تقرر علم أنّ كون الفعل قربة أعمّ من كونه مأموراً به، و أنّ الزيارة إذا كانت مندوبة في حق البعيد و السفر شرط لها كان مندوباً اتفاقاً، و أمّا خلاف الأصوليين في أن الأمر بالشئ أمر بما لا يتم إلا به أولاً فلا يجرى في المندوب، لما تقرر أن كون الفعل قربة أعمّ من كونه مأموراً به.

و تحقيق ذلك الخلاف أن ما لا يتم المأمور إلا به، ينقسم إلى شرط في وجوده أو سبب له، و هذا يعبر عنه بالمقدمة ـ و الجمهور على أنه مأمور به واجب بوجوب المقصد، و خالف قوم في الشرط، و قوم في الشرط و السبب. فإن لحظوا أن اللفظ قاصر عن الدلالة عليه فقريب لأنه لا يمنع عدم دلالة غيره، كالعقل فلا ينفى كون مقدمة المأمور مأموراً بها لدليل عقلى، و إن لحظوا أنه إذا ترك يعاقب على ترك المقصد خاصة دون المقدمة فقريب أيضاً، و لكنه إنّما ينفى الوجوب لا الندب الذى كلامنا فيه، و من قال إن المشروط الذى ورد الأمر به مطلقاً لا يجب إلا عند وجود شرطه فقد شذّ، و خالف الأئمة من غير دليل ـ وإلى ما هو تابع بشرط العلم بوجود المأمور، كغسل جزء من الرأس للعلم بغسل الوجه، و الخلاف في هذا قوى و ليس مما نحن فيه.

و اعلم أن بين الوسيلة و المقدمة عموماً و خصوصاً من وجه، لأن المقدمة ما يتوقف عليها الشئ، و قد تقرّر الخلاف في أنها هل تجب بوجود ذلك الشيء



أو لا، و ذلك خارج عن كونها قربة أو لا. فإن ما يتوقف عليه الفعل قد يفعل بقصد القربة فيكون قربة، و قد لا فلا. كمن مشى لمكة لا بقصد الحج ثم حج لا يكون سفره قربة، و إن سقط عنه الأمر بالمقدمة، و أمّا الوسيلة فهي ما يتوسل أي يتقرّب به إلى الغير كما في الصحاح. فإن أطلق اسمها على المقدمة فهي من حيث كونها يتقرب بها، لا من حيث كونها متوقفاً عليها و أما حقيقتها فهي قد يتوقف المقصد عليها بعينها، فيجرى في وجوبها الخلاف السابق، و قد يتوقف على ما هو أعمّ منها، و يختارها العبد للتوسل بها، و قد لا يتوقف عليها أصلاً، و لكن يتوهم العبد توقفه أو يخطر بباله أنها موصلة إليه، ففي هذه الأحوال تسمى وسيلة وقربة و لا يجرى فيها الخلاف الأصولى، فالوسيلة لا تطلق على المقدمة حتى يقصد بها التقرّب للمقصود، و لا تسمى وسيلة بدون هذا القصد إلا تجوّزا، بمعنى أنها صالحة للتوسل، و مراد الأصولين بالمقدّمة ما يتوقف عليها الشئ. سواء قصد بها التوصل إليه أم لا، و بتسليم ترادفهما فلا شك أن الوسيلة لا تكون قربة حتى يقصد بها التقرّب إلى قربة، فالمراد بكون وسيلة القربة قربة هذا المعنى.

و أمّا تخيّل بعض المحرومين أن منع الزيارة أو السفر إليها من باب المحافظة على التوحيد، و أن ذلك مما يؤدى إلى الشرك فهو تخيل باطل، دل على غباوة متخيّله و خباله، لأن المؤدى لذلك هو اتخاذ القبور مساجد و العكوف عليها، و تصوير الصور فيها، كما ورد في الأحاديثالصحيحة بخلاف الزيارة و السلام و الدعاء، و كل عاقل يعلم الفرق بينهما، و يتحقق أن النوع الثانى إذا فعل على المحافظه على آداب الشريعة الغرّاء لا يؤدى إلى محذور البته، و أن القائل بمنع ذلك جملة سداً للذريعة متقوّل على الله سبحانه و تعالى و على رسوله ﷺ.

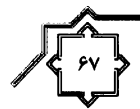
و هنا أمران لا بدّ منهما.

أحدهما: وجوب تعظيم النبى ﷺ و رفع رتبته عن سائر الخلق.

والثانى: إفراد الربوبية و اعتقاد أن الربّ تبارك و تعالى منفرد بذاته و صفاته و أفعاله عن جميع خلقه، فمن اعتقد في مخلوق مشاركة البارى سبحانه و تعالى في شئ من ذلك، فقد أشرك، و من قصر بالرسول ﷺ عن شئ من رتبته فقد عصى أو كفر، و من بالغ في تعظيمه ﷺ بأنواع التعظيم و لم يبلغ به ما يختصّ بالباري سبحانه وتعالى فقد أصاب الحق، وحافظ على جانب الربوبية و الرسالة جميعاً، و ذلك هو القول الذى لا إفراط فيه و لا تفريط.

فإن قلت: كيف تحكى الإجماع السابق على مشروعية الزيارة و السفر إليها و طلبها، و ابن تيمية من متأخرى الحنابلة منكر لمشروعية ذلك كله كما رآه السبكيّ في خطه؟ و أطال ـ أعنى ابن تيمية ـ في الاستدلال لذلك بما تمجه الأسماع و تنفر عنه الطباع، بل زعم حرمة السفر لها إجماعاً، و أنه لا تقصر فيه الصلاة، و أن جميع الأحاديث الواردة فيها موضوعة، و تبعه بعض من تأخر عنه من أهل مذهبه.

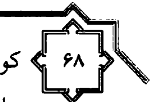
قلت: من هو ابن تيمية حتى ينظر إليه أو يعّول في شئ من أمور الدين عليه؟ و هل هو إلا ـ كما قال جماعة من الأئمة الذين تعقبوا كلماته الفاسدة و حججه الكاسدة حتى أظهروا عوار سقطاته و قبائح أوهامه و غلطاته كالعز بن جماعة ـ عبد أضله الله تعالى و أغواه و ألبسه رداء الخزى و أرداه، وبّوأه من قوّة الافتراء و الكذب ما أعقبه الهوان، و أوجب له الحرمان؟! و قد تصدى شيخ الإسلام و عالم الأنام المجمع على جلالته و اجتهاده و صلاحه و إمامته التقىّ السبكى قدس الله تعالى روحه، و نوّر ضريحه للرّد عليه في تصنيف مستقل، أفاد فيه و أجاد و أصاب، و أوضح بباهر حججه طريق الصواب. فشكر الله تعالى مسعاه، و أدام عليه شآبيب رحمته و رضاه آمين.



ومن عجائب الوجود ما تجاسر عليه بعض السذج من الحنابلة فغبر في وجوه مخدراته الحسان، التي لم يطمثهن إنس قبله ولا جان، وأتى بما دل عليه جهله، وأظهر به عوراء غباوته وعدم فضله، فليته إذ جهل استحيا ربه و عساه اذا أفرط و فرّط رجع إلى لبه، لكن إذا غلبت و العياذ بالله تعالى الشقاوة استحكمت الغباوة. فعياذا بك اللهم من ذلك، و ضراعة إليك يا رب عزت قدرتك في أن تديم لنا سلوك أوضح المسالك هذا.

هذا و ما وقع من ابن تيمية، مما ذكر، و إن كان عثرة لا تقال أبداً، و مصيبة يستمر عليه شؤمها دواماً سرمداً، ليس بعجيب، فإنه سوّلت له نفسه وهواه وشيطانه، أنّه ضرب مع المجتهدين بسهم صائب، و ما درى المحروم أنه أتى بأقبح المعايب، إذ خالف إجماعهم في مسائل كثيرة، و تدارك على أئمتهم سيما الخلفاء الراشدين باعتراضات سخيفه شهيره، و أتى من نحو هذه الخرافات بما تمجه الأسماع، و تنفر عنه الطباع حتى تجاوز إلى الجناب الأقدس منزه سبحانه و تعالى عن كل نقص، و المستحق لكل كمال أنفس، فنسب إليه العظائم و الكبائر، و أخرق سياج عظمته و كبرياء جلالته بما أظهره للعامّه على المنابر من دعوى الجهة و التجسيم، و تضليل من لم يعتقد ذلك من المتقدمين و المتأخرين حتى قام عليه علماء عصره و ألزموا السلطان بقتله أو حبسه و قهره، فحبسه إلى أن مات، و خمدت تلك البدع و زالت تلك الظلمات، ثم انتصر له أتباع لم يرفع الله تعالى لهم رأساً، و لم يظهر لهم جاهاً و لا بأساً، بل ضربت عليهم الذلة و المسكنة و باءوا بغضب من الله ذلك بما عصوا و كانوا يعتدون.

تنبيه ما أحسن ما حكاه السبكى عن بعض الفضلاء ـ و إن كان فيه ما فيه ـ أنّ كون الزيارة قربة معلوم من الدين بالضروره، و جاحده محكوم عليه بالكفر انتهى، فتأمله لتعلم به قبح ما جاء به ابن تيمية و من معه أو تابعه، إذ يلزم من



كون الزيارة قربة أن السفر لمجرد الزيارة قربة، وهذا اللزوم بينهما بيّن لا يخفى إلا على معاند فمن توقف في كون السفر لمجرد الزيارة قربة و أنكر ذلك لزمه التوقف في كون الزيارة قربة و إنكار ذلك، و قد علمت أن إنكار الزيارة كفر، فليحذر ذلك فإنه عظيم.

فإن قلت: كيف هذا التشنيع عليه مع ما استمسك به من قوله ﷺ في الحديث الصحيح «**لا تشدّ الرحال إلا إلى ثلاثه مساجد**»[1]، و الشد للزيارة خارج عن هذه الثلاثه فليكن منهيا عنه.

إيضاح للحديث لا تشدّ الرحال

قلت: ليس معنى الحديث ما فهم لما يأتي موضحاً، و إنّما معناه: لا تشد الرحال إلى مسجد لأجل تعظيمه، و التقرب بالصلاة فيه إلا إلى المساجد الثلاثه لتعظيمها بالصلاة فيها، و هذا التقدير لابد منه عند كل أحد ليكون الاستثناء متصلاً، و لأن شد الرحل إلى عرفة لقضاء النسك واجب اجماعا، و كذا الجهاد والهجره من دار الكفر بشرطها، وهو لطلب العلم سنّة أو واجب، و قد اجمعوا على جواز شدها للتجاره و حوائج الدنيا، فحوائج الآخره ـ لا سيما ما هو من آكدها و هو الزيارة للقبر الشريف ـ أولى.

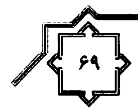
و مما يدل أيضاً لتأويل الحديث بما ذكر التصريح به في حديث سنده حسن و هو قوله ﷺ «**لا ينبغى للمطى ان تشدّ رحالها إلى مسجد يبتغى فيه الصلاة غير المسجد الحرام و مسجدى هذا والمسجد الاقصى**».[2]

على أنّ في شدّ الرحال لغير هذه الثلاثة مذاهب: قال الشيخ ابو محمد الجوينى: يمنع وربما قال: يكره وربما قال: يحرم.

---

١ . ورد فى صحيح البخارى و مسلم و سنن ابن ماجه و الموطأ.

٢ . ورد فى صحيح البخارى و مسلم.



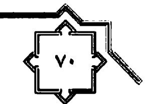
و قال الشيخ ابو على: لا يحرم و لايكره، و إنّما المراد حصر القربة في الشد لتلك الثلاثه، و غيرها لا قربة في الشد اليها. و هذا هو المعتمد عندنا، بل هو الصواب، ومن ثم غلّط النوويّ و غيره الشيخ ابا محمد فيما مرّعنه.

و بحث السبكى انه ان قصد بذلك التعظيم فالحق الاول والا فالحق الثانى، و يحتمل ان المراد لا تشد الرحال إلى مسجد لابتغاء مضاعفة الصلاة فيه الاإلى المساجد الثلاثه، فلا ينفى ذلك شد الرحل لمسجد آخر له فضيلة غير المضاعفه كمسجد قباء بدليل الحث الوارد فيه. قال السبكى: و هذا كله في قصد المكان لعينه أو قصد عباده فيه تمكن في غيره اى مع قصد تعظيمه بها. أمّا قصده بغير نذر لغرض فيه كالزيارة و شبهها فلا يقول أحد فيه بتحريم و لا كراهة، على ان السفر بقصد زيارته ﷺ غايته مسجد المدينة، لانها إنّما تكون فيه لمجاورته القبر الشريف و غرض الزائر التبرك بالحلول في ذلك المحل، والتسليم على من بذلك القبر الشريف و تعظيم من فيه، كما لو سافر إليه ﷺ قبل وفاته، و ليس القصد تعظيم بقعة القبر بعينها.

والحاصل ان النهى عن السفر مشروط بامرين: احدهما ان تكون غايته غير المساجد الثلاثه لا لقربة فيها كاشتغال بعلم أوزيارة قريب، الثانى: ان تكون علته تعظيم البقعة. والسفر لزيارته ﷺ خارج من ذلك قطعا لان غايته أحد المساجد الثلاثه، و علته تعظيم ساكن البقعة الشريفة ﷺ لا نفس البقعة، فالسفر المطلوب نوعان:

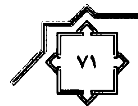
احدهما: ما غايته أحد المساجد الثلاثه.

والثانى: ما يكون لعبادة، و ان كان الى غيرها، والسفر لزيارته ﷺ اجتمع فيه الامران فهو في أعلى درجات الطلب و افضلها و اكملها.



وانما قلت: اى مع قصد تعظيمه بها حتى لا ينافي ذلك من السبكى قوله بعده كما في شرح مسلم: اختلف العلماء في شد الرحل لغير الثلاثه كالذهاب لقبور الصالحين والمواضع الفاضله، فذهب الشيخ ابو محمد إلى حرمته و أشار عياض إلى اختياره.

والصحيح عند اصحابنا انه لا يحرم و لا يكره، قالوا: والمراد ان الفضيلة الثابتة انما هى في شد الرحال إلى هذه الثلاثه خاصه، انتهى. ووقع فيه خلل بتمثيله له بما ذكر المقتضى، لكون ابى محمد يقول بحرمته، والذى قاله في شرح مسلم في غير هذا الموضوع و في شرح المهذب و غيره ـ و سبقه إليه الرافعيّ ـ أن فرض المسألة في قصد المساجد فيحمل كلام ابى محمد عليه، أمّا من قصد الاغراض الصحيحة في المساجد و غيرها من الامكنه من الزيارة والاشتغال بالعلم و نحوهما، فلم يتكلم فيه ابو محمد، و لا يجوز ان ينسب إليه المنع منه، و لو قاله هو أو غيره ممن يقبل كلامه الغلط لحكمنا بغلطه، و انه لم يفهم مقصود الحديث، و كذلك كلام القاضى عياض ليس فيه تعرض لزيارة الموتى بصريح، و لا اشارة، انتهى المقصود منه، ثم قال: و أمّا ما في مغنى الحنابله عن ابن عقيل انّ من سافر لزيارة القبور و المشاهد لا يباح له الترخص لخبر «**لا تشد الرحال**»، فالصحيح خلافه لانه ﷺ كان يأتي قباء ماشيا و راكبا و كان يزور القبور و امر بزيارتها، و خبر «**لا تشدّ الرحال**» يحمل على نفى الفضيلة لا على التحريم، انتهى كلام المغنى، فيتعين حمل كلام ابن عقيل مع ضعفه على ما اذا قصد نفس المشهد مع زيارته فلا ينافى كلامنا، لانه في مجرد قصد زيارة الميت من غير قصد البقعة اصلا، ولو فرض شمول كلام ابن عقيل لزيارة نبينا ﷺ وجب حمله على غيره، بمقتضى الأدله الحاصله فيه، فان فرض انه لا يعتبرها ضممناه لابن تيمية فيما مرّ، لكنه بحمد الله تعالى لم يثبت ذلك عنه.



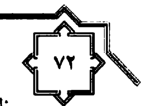
لا يقال: قصد البقعة داخل تحت النهى، والزيارة لابّد فيها من قصد البقعة. إذ السلام والدعاء يحصلان من بعد أيضاً، لان قصد البقعة لما اشتملت عليه ليس بمحذور، و إنّما المحذور قصدها لعينها أو لتعظيم لم يشهد الشرع به، على انه لا يلزم من الزيارة ان يكون للبقعة دخل في القصد الباعث عليها.

و حصول مقصد الزيارة من بعد ممنوع، الا ترى إلى ما جاء من طرق «ان **جبريل عليه الصلاة والسلام اتى النبى ﷺ فقال له انّ ربك يامرك ان تاتى أهل البقيع و تستغفر لهم، فخرج في ليلة عائشه رضي الله عنها إليه فقام و اطال القيام، ثم رفع يديه ثلات مرّات**» الحديث، و فيه انه ﷺ علّم عائشه ما تقول اذا زارتهم.

فانظر كيف خرج ﷺ إلى البقيع بامر الله تعالى ليستغفر لاهله، و لم يكتف بذلك في الغيبه، مع انه ﷺ لو استغفر لهم في الغيبه لنفعهم ووصل اليهم، لتعلم ان السلام عليه ﷺ و ان وصل إليه من بعد لكن ليس فيه من الفضل والفوائد الآتى بيانها ما فيه اذا كان من قرب. فعلم انّ الحضور عند القبر بسبب زيارة من فيه والدعاء له مطلوب، و انه ليس من باب قصد الامكنه، و لا دلّ الحديث على امتناعه، و لا قال به أحد العلماء كما مر.

و في تعليمه ﷺ لعائشه رضي الله عنها ادلّ دليل على مشروعية زيارة القبور للنساء، لكن بشروط مذكورة في محلها، فلا ينافي لعنه ﷺ لزوارات القبور، لانه فيمن يكثر جزعهن أو تخشى عليهنّ الفتنه.

و ذكر السبكى انه احضرت إليه فتاوى عن مالك والشافعى وغيرهما هى إلى الاختلاق و الكذب والضحكه اقرب، و كان احدا من تابعى ابن تيمية اختلقها ليروّج بها ما قاله، و ما درى المحروم ان الله سبحانه و تعالى حمى دينه من اختلاق المفترين، و تقوّل الجاهلين والمغرورين.



فان قلت: هو استدل أيضاً بقوله ﷺ «**لا تجعلو قبرى عيدا**»[١] و زعم انه ظاهر ـ كالذى قبله ـ فيما ادعاه من عدم مشروعية الزيارة، و من ثم قيل: انه تمسك به غير واحد من أهل البيت في النهى عنها.

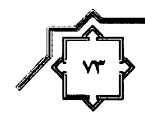
قلت: ـ بعد ان يعلم ان الحديث منازع في ثبوته، و لكن ثبوته هو الاصح ـ الكلام في مقامين،

اولها: ما نقل عن جماعة من أهل البيت في مسند عبد الرزاق و غيره تمسكا بهذا الحديث ليس نهيا عن اصل الزيارة، و إنّما هو نهى لمن اتى بها على غير الوجه المشروع فيها، بدليل قول الحسن بن الحسين بن على رضي الله عنه بعد نهيه: اذا دخلت المسجد فسلم عليه ﷺ ثم روى له الحديث المذكور، ولعله رضي الله عنه كان ممن يقول بايجازها دون تطويلها، و عليه جماعة كما يأتي، و بدليل قول زين العابدين رضي الله عنه بعد نهيه أيضاً لمن زاد فيها على الحدّ: هل لك ان نحدثك حديثا عن ابى المنذر الانصارى، و روى له الحديث المذكور، و قد روى ابن ابنه جعفر الصادق رضي الله عنه انه كان اذاجاء سلّم على النبى ﷺ ويقف عند الاسطوانه التى تلى الروضه ثم يسلّم ثم يقول ههنا راس رسول الله ﷺ، و حينئذ اتضح انه لا حجه فيما مر عن بعض أهل البيت، و كيف نتخيل فيهم أو فى أحد من السلف أو الخلف الذين يعوّل عليهم و يقتدى بهم المنع من زيارة النبى ﷺ و هم كبقية المسلمين مجمعون على ندب زيارة سائر الموتى فضلا عن زيارته ﷺ؟

و معنى ما روى عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه أنّه كان يكره اتيان القبر المكرم ان ذلك إنّما هو من حيث الإجلال والخشيه من الاكثار على وفق ما يأتي عن مالك رضي الله عنه.

---

١ . ورد في مفتاح كنوز السنه.

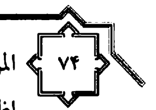


شجرة تستأذن ربها في زيارة سيدنا و مولانا رسول الله ﷺ

و قد صحّ انه ﷺ نزل منزلا فجائته شجره تشق الارض حتى غشيته ثم رجعت مكانها فسئل رسول اله ﷺ عنها فقال: «**هي شجرة استأذنت ربها عز وجل أن تسلم على رسول الله ﷺ فأذن لها**»، فإذا كان هذا حال الجمادات فما بالك بمن رزقه الله تعالى الفهم عنه و عرّفه عظيم قدر رسول الله ﷺ، فهو أولى بذلك و أحق.

ثانيهما: لا يتمسك بظاهر ذلك الحديث لو فرض صدق ابن تيمية في دلالته على زعمه الا من جهل لسان العرب و قوانين الأدله.

أمّا اولا: فانا نمنع دلالته لزعمه، اذ لو كان المراد ذلك لقال ﷺ «**لا تزوروا قبرى**» و لم يات بذلك اللفظ المحتمل للمراد وغيره. لأن الأحق بهذا المقام الدلاله عليه بالمطابقه لا بالتضمن اوالالتزام لعظيم خطره، ولوفرض امتناعه فعدوله ﷺ عن ذلك إلى «**لاتجعلوا قبرى عيدا**» دليل ظاهرعلى ان المراد منه غيرذلك. واما ثانيا: فلأنّ ظاهره الذى زعمه لوكان مرادا بل لوورد «**لاتزورواقبرى**» وجب تاويله لما مرمن اجماع المسلمين على مشروعيه زيارته ﷺ، والإجماع من الادله القطعيه، وهى لاتعارض بغيرهامن الظنيات، فوجب تاويل ذلك لانه ظنّى حتى يوافق ذلك القطعى، واذا اتضح وجوب تاويل هذا الصريح، فكيف بذلك المحتمل للنهى عنها كاحتماله للحث عليها بل و على كثرتها؟!فأمّا احتماله الحث عليها وعلى كثرتها فوجهه ان يقال: المراد لا تملّوا زيارة قبرى حتى لا تزوروه الا في بعض الاوقات كالعيد، بل أكثروا من زيارتى في سائرالاوقات، او المراد لا تتخذوا له وقتا مخصوصا لا يزار إلا فيه، كما ان العيد لا يكون الا في وقت مخصوص، و أمّا احتماله للنهى عنها فهو بفرض انه



المراد محمول على حاله مخصوصه، اى لا تتخذوه كالعيد في العكوف عليه و اظهار الزينه عنده و غيرهما، مما يجتمع له في الاعياد بل لا يؤتى إلا للزيارة والسلام والدعاء ثم ينصرف عنه.

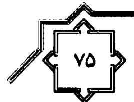
فبان و اتضح بهذا الذى قرّرته و حققته وحرّرته انه لا متمسك لابن تيمية في هذا الحديث بوجه من الوجوه، و انه دليل عليه سواء اريد به الحث على كثرتها و انها لا تمل في وقت و هو ظاهر، أو النهى عنها، لانه مقيد بحالة مخصوصة فيفيد انها في غير تلك الحالة غير منهيّ عنها، و اذا انتفى النهى عنها ثبت طلبها، إذ لا قائل انها من المباحات وفقنا الله تعالى لسلوك سبيله، وجعلنا من خير حزب نبيه و رسوله ﷺ و قبيله، آمين.

ثم رأيتنى ذكرت في كتابى «الدر المنضود في الصلاة على صاحب المقام المحمود» الحديث والجواب عنه بابسط مما هنا، و عبارته:

و نهيه ﷺ عن جعل قبره عيدا يحتمل انه للحث على كثرة الزيارة، و لا تجعل كالعيد الذى لا يوتى في العام الا مرتين، والاظهر انه إشارة إلى النهى الوارد في الحديث الآخر عن اتخاذ قبره مسجدا، اى «**لا تجعلوا زيارة قبرى عيدا**» من حيث الاجتماع لها كل هو للعيد، وقد كانت اليهود والنصارى يجتمعون لزيارة قبور انبيائهم و يشتغلون عندها باللهو والطرب فنهى ﷺ امته عن ذلك، أو عن أن يتجاوزوا في تعظيم قبره ما امروا به.

والحث على زيارة قبره الشريف قد جاء في احاديث بينتها في حاشيه الايضاح مع الرد على من انكر ذلك و هو ابن تيمية عامله الله تعالى بعدله آمين.

و قد اجتمعت الأمّة كما نقله غير واحد من الأئمة على ان ذلك من افضل القربات و انجح المساعى، و معنى خبر «**لا تجعلو بيوتكم قبورا و لا تجعلوا**

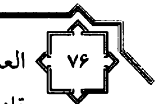


قبرى عيدا، وصلّوا عليّ فان صلاتكم تبلغنى حيثما كنت» صححه النووى، قيل: كراهة الصلاة في المقبرة، اى «**لا تجعلوا القبور محل صلاتكم كالبيوت**» و عليه يدلّ كلام البخارىّ، و قيل معناه: لا تجعلوها كالقبور في انّ من صار اليها لا يصلى و لا يعمل، ورجحه جمعاً للروايه الاخرى «**اجعلوا من صلاتكم في بيوتكم و لا تتخذوها قبورا**» و قيل: معناه النهى عن دفن الموتى في البيوت، و هو ظاهر اللفظ و دفنه ﷺ في بيته من خصائصه، و قيل: معناه من لم يصلّ في بيته جعل نفسه كالميت و بيته كالقبر، و يؤيده خبر مسلم «**مثل البيت الذى يذكر الله فيه والبيت الذى لا يذكر الله فيه كمثل الحيّ والميت**». انتهت عبارة الكتاب المذكور.

أعظم القربات

خاتمة

كما اجمع العلماء على مشروعية الزيارة والسفر اليها، كذلك اجمع المسلمون من العلماء و غيرهم على فعل ذلك، فان الناس لم يزالوا من عهد الصحابة رضي الله عنهم و إلى اليوم يتوجهون من سائر الافاق إلى زيارته ﷺ قبل الحج و بعده و يقطعون فيه ـ اى في السفر إلى زيارته ﷺ مسافات بعيده شاقه، و ينفقون فيه الاموال، ويبذلون المهج، معتقدين ان ذلك من اعظم القربات، و من زعم ان هذا الجمع الكثير العظيم على تكررّ الازمنه مخطئون فهو المخطىء المحروم، و زعم انهم إنّما يقصدون طاعات أخر لا مجرد السفر للزيارة مكابرة و عنادا، للعلم من اكثرهم بانهم لا يخطر لهم غير محض الزيارة، بل لا يخطر ذلك الا لمن احاط بشبه المخالف المبطل و قليل ما هم، على انّ غرض هؤلاء الاعظم إنّما هو الزيارة و ما عداها مغمور في جنبها حتى لو لم تكن لم يسافروا. و قول



العلماء ينبغى ان ينوى مع زيارته التقرب إلى مسجده ﷺ والصلاة فيه نص فيما قلناه، اذ لم يجعلوا ذلك شرطا، و إنّما جعلوه الاكمل ليكون السفر إلى قربتين فيكثر الاجر بزيادة القرب، حتى لو زاد من قصد القربات زادت الاجور، و في كلامهم هذا فائده مرّت، و هى التنبيه على انّ قصد تلك القرب لا يقدح في الاخلاص في نية الزيارة.

الفصل الثاني:

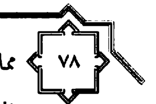
في فضائل الزيارة و فوائدها

و فيها دلائل واضحة و تاييدات ظاهره لائحه على ما برهنا عليه في الفصل الاول من انها مشروعة مطلوبة، و انهـا مـن انجـح المسـاعى و اهـمّ القربـات و افضل الاعمال و ازكى العبادات، إذ هى إنّما تتمايز بتمايز ثمراتها و تفـاوت ثوابهـا و تباين درجاتها، و من تأمّل ما يأتي علم ان في زيارته ﷺ من عظيم الفوائد مـا يبلغ به المخلص فيها إلى أعلى المقاصد، و يرد به اعذب الموارد و اوسع العوائد.

اعلم انه مرت احاديث كثيره صحيحة و غيرها متـضمنة لفـضائل عظيمـة تحصل للزائر فلا باس بسردها ههنا لتستحضر فوائدها، و ترجى عوائدها و هى قوله ﷺ: «**من زار قبرى وجبت له شفاعتى**»[1] و معنى وجبت له شـفاعتى انهـا ثابتة له بالوعد الصادق لابد منهـا، و افـاد قولـه ﷺ ـ مـع عمـوم شـفاعته لـه ولغيره ـ ، انه يخص بـشفاعة تناسـب عظـيم عملـه، إمّـا بزيـادة النعـيم، و إمّـا بتخفيف الأهوال عنه ذلك اليوم، وإمّا بكونه من الذين يحشرون بغـير حـساب، وإمّا برفع درجات في الجنة، وإمّا بزيادة شهود الحق والنظر إليه، وإمّا بغير ذلـك

---

١ . ورد في صحيح البخارى و مسلم و سنن ابن ماجه و الترمذى.



مما لا عين رأت و لا اذن سمعت، و لا خطر على قلب بشر، هذا كله إن اريد انه يخص بشفاعة لا تحصل لغيره، و يحتمل ان يراد انه يفرد بشفاعة مما يحصل لغيره، والإفراد للتشريف والتقوية بسبب الزيارة، وأن يراد أنّه ببركتها يجب دخوله فيمن تناله الشفاعة، فهو بشرى بموته مسلما فيجرى على عمومه، و لا يضمر فيه شرط الوفاة على الإسلام، والا لم يكن لذكر الزيارة معنى، لأن الاسلام وحده كاف في نيل هذه الشفاعه بخلافه على الاولين، و افادت اضافه الشفاعه له ﷺ انها شفاعه عظيمة جليله، اذ هى تعظم بعظم الشافع، و لا اعظم منه ﷺ فلا اعظم من شفاعته.

و قوله ﷺ **«من زارنى بعد موتى فكأنما زارنى في حياتى»**[١]، و قوله ﷺ **«من جاءنى زائرا لا تعمله حاجة الاّ زيارتى كان حقا عليّ ان اكون له شفيعا يوم القيامة»**[٢]، و قوله ﷺ **«من جاءنى زائرا كان له حقا على الله عز و جل ان اكون له شفيعا يوم القيامة»**[٣] و مرّ معناه في الفصل الاول، و سيأتى في تاسعة الفوائد في خاتمه المسألة السادسة عشر من الفصل السادس ما له تعلق بذلك فراجعه فانه مهمّ.

والحاصل ان هذا الثواب العظيم و هو الفوز بتلك الشفاعه العظيمه منه ﷺ لايحصل الا لمن اخلص وجهته فيها، بأن لا يقصد بها أو معها امرا آخر ينافيها.

و قوله ﷺ **«من حج فزار قبرى بعد وفاتى كان كمن زارنى في حياتى»**.[٤]

---

١ . ورد فى صحيح البخارى و مسلم.

٢ . ورد فى صحيح البخارى.

٣ . ورد فى سنن ابم ماجه و الترمذى والبيهقى.

٤ . كل الاحاديث صحيحه وردت فى معظم الاسانيد، و خاصه صحيحى البخارى و مسلم و سنن ابن ماجه والترمذى والبيهقى والنسائى.

و قوله ﷺ «من حج فزار قبرى بعد موتي كان كمن زارنى في حياتى وصحبنى».

و قوله ﷺ: «من حج فزارني في مسجدي بعد وفاتي كان كمن زارني في حياتي».

وقوله ﷺ: «من زارنى إلى المدينة كنت له شفيعا و شهيدا».

و قوله ﷺ: «من زار قبرى»، أو قال «من زارنى كنت له شفيعا أو شهيدا، و من مات في أحد الحرمين بعثه الله عزّ و جلّ في الآمنين يوم القيامة».

و قوله ﷺ «من زارنى معتمدا ـ اى بأن لم يقصد غير زيارتى» كما مرّ في معنى خبر من جاءنى زائرا لا تعمله حاجة الا زيارتى الحديث «كان في جوارى يوم القيامة».

و قوله ﷺ «من سكن المدينة وصبر على بلائها كنت له شهيداً و شفيعاً يوم القيامة».

و قوله ﷺ«من زارنى بعد موتى فكانما زارنى في حياتى و من مات باحد الحرمين بعث من الآمنين يوم القيامة».

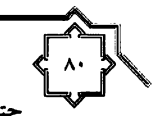
و قوله ﷺ «من حجّ حجة الاسلام فزار قبرى و غزا غزوه و صلى في بيت المقدس لم يسأله الله تعالى فيما افترض عليه».

و قوله ﷺ «من زارنى بعد موتى فكانما زارنى و انا حى، و من زارني كنت له شهيدا و شفيعا يوم القيامة».

و قوله ﷺ «من زارني بالمدينة كنت له شهيدا و شفيعا يوم القيامة».

و قوله ﷺ «و من مات في أحد الحرمين بعث من الآمنين يوم القيامة، و من زارنى محتسبا إلى المدينة كان في جوارى يوم القيامة».

و قوله ﷺ «من زارنى ميتا فكانما زارنى حيا، و من زار قبري وجبت له شفاعتى يوم القيامة و ما من أحد من امتى له سعة ثم يزرنى فليس له عذر».



و قوله ﷺ «من زارني في مماتي كان كمن زارني في حياتي و من زارني حتى ينتهي إلى قبري كنت له يوم القيامة شهيدا أو قال شفيعا».

و قوله ﷺ «من حج إلى مكة ثم قصدني في مسجدي كتبت له حجتان مبرورتان».

و قوله ﷺ « من زار قبري بعد موتي فكانما زارني في حياتي و من لم يزر قبري فقد جفاني».

و قوله « من اتى المدينة زائرا لي وجبت له شفاعتي يوم القيامة و من مات في أحد الحرمين بعث آمنا».

رسول الله حيٌّ على الدوام لأنّه يردّ السلام و الميت لا يردّ

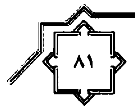
و من اعظم فوائد الزيارة: ان زائره ﷺ اذا صلى و سلم عليه ﷺ عند قبره سمعه سماعا حقيقيا ورد عليه من غير واسطه، و ناهيك بذلك! بخلاف من يصلي و يسلم عليه ﷺ من بعد فان ذلك لا يبلغه ﷺ و لا يسمعه الا بواسطه، والدليل على ذلك احاديث كثيره ذكرتها في كتابي السابق ذكره.

منها ما جاء عنه ﷺ بسند جيد و ان قيل انه غريب «من صلى عليّ عند قبري سمعته و من صلى عليّ من بعيد اعلمته».

و في رواية في سندها متروك «من صلى عليّ عند قبري سمعته ومن صلى عليّ نائيا ـ اى بعيدا ـ وكّل الله به ملكا يبلغني و كفى امر دنياه و آخرته، و كنت له يوم القيامة شهيدا أو شفيعا».

و في رواية «ما من عبد يسلم عليّ عند قبري الاّ وكّل الله به ملكا يبلغني».

و في أخرى في سندها ضعف لكن له شواهد تقويه «اكثروا الصلاة عليّ فان الله وكّل بي ملكا عند قبري، فإذا صلى عليّ رجل من امتي قال ذلك الملك يا محمد ان فلانا صلى عليك الساعه».



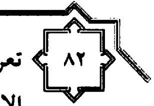
و في أخرى سندها حسن بل صحيح كما قاله النوويّ و غيره و نوزع فيه بما لا يقدح «ما من أحد يسلم عليّ الاّ ردّ الله عليّ روحي حتى اردّ عليه السلام». و روى ابن بشكوال «ما من أحد يسلم عليّ الاّ ردّ الله على روحي حتى اردّ عليه».

و فيرواية «ما من مسلم يسلم عليّ في شرق و لا غرب الا انا و ملائكة ربي نردّ عليه السلام، فقال له قائل: يا رسول الله فما بال أهل المدينة؟ قال: و ما يقال لكريم في جيرانه و جيرته انه مما امر به من حفظ الجوار حفظ الجيران» سندها غريب، بل فيه من اتهمه الذهبيّ بوضعه.

و في أخرى سندها ضعيف «ان اقربكم مني يوم القيامة في كل موطن اكثركم عليّ صلاة في الدنيا». و في رواية «من صلى عليّفي يوم الجمعه و ليله الجمعه مائه مره قضى الله له مائه حاجة سبعين من حوائج الآخره و ثلاثين من حوائج الدنيا، ثم يوكّل الله بذلك ملكا يدخله في قبري كما تدخل عليكم الهدايا يخبرني بمن صل عليّ باسمه و نسبه إلى عشيرته فاثبته عندي في صحيفه بيضاء» و في رواية زيادة «انّ علمي بعد الموت كعلمي في الحياة».

و في أخرى رجالها ثقات الا واحدا لم يعرف «من صلى عليّ بلغتني صلاته وصليت عليه، و كتب له سوى ذلك عشر حسنات».

و في رواية أخرى صحيحة ـ خلافا لمن طعن فيها فقد اخرجها ابنا خزيمه و حبان و الحاكم في صحاحهم، و قال: هذا حديث حسن صحيح على شرط البخاريّ و لم يخرجاه، و ممن صححه أيضاً النوويّ في اذكاره و حسنه عبد الغني و المنذري و قال ابن دحيه: انه صحيح محفوظ بنقل العدل من العدل، و من قال انه منكر أو غريب لعلّة خفية فقد استروح، لانّ الدارقطني ردّها ـ : «من افضل ايامكم يوم الجمعه فيه خلق آدم، و فيه قبض و فيه النفخه و فيه الصعقه، فاكثروا عليّ من الصلاة فيه فان صلاتكم معروضه عليّ، قالوا: يا رسول الله و كيف



تعرض صلاتنا عليك و قد ارمت يعنى بليت قال: ان الله عزّ و جلّ حرّم على الارض ان تاكل اجساد الانبياء».

قال الخطابى: و ارمْت: بفتح اوليه و سكون ثالثه و فتح آخره اصله أرممت اى صرت رميا حذفت احدى الميمين تخفيفا كأظلت اى اظللت، والرميم والرمه العظام الباليه. و قال غيره الميم مشدده والتاء آخره ساكنه اى ارمّت العظام، و قيل: يروى بضم اوله و كسر ثانيه.

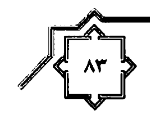
و في أخرى رجالها ثقات الا انها منقطعه: «**اكثروا من الصلاة عليّ يوم الجمعه فانه يوم مشهود تشهده الملائكة و ان أحد لن يصلى عليّ الا عرضت عليّ صلاته حتى يفرغ منها**».

قال راويه ابو الدرداء ﷺ: و بعد الموت؟ فقال: و بعد الموت، انّ الله حرّم على الارض ان تاكل اجساد الانبياء.

فنبيّ الله ﷺ حيّ يرزق ـ اى من المعارف الربانيه والمراتب الرحمانيه ما يليق بعليّ مقامه ويتلذذ به في قبره الشريف كما كان يتلذذ به قبل وفاته، فلكونه غذاء لروحه الشريفة ﷺ عبر عنه بالرزق اشاره إلى انه يشمل النعم الباطنه كالظاهره في الحياة و بعد الموت. و قوله (حى) هو المحفوظ و قيل (حين).

و في الأحاديث ما يدل على عرضها عليه ﷺ وقت قولها و يوم الجمعه و يوم القيامة و لا تنافى بينها، فقد يكون العرض عليه ﷺ اى التبليغ له مرّات متعدده، كما ورد في احاديث ما يدل على ان الاعمال تعرض على الله سبحانه و تعالى كل يوم و ليله ثم كل يوم اثنين و يوم خميس، ثم في كل ليله نصف شعبان.

و في أخرى للطبرانى: «**ليس من عبد يصلى علّي الا بلغنى صوته. قلنا يا رسول الله و بعد وفاتك؟ قال و بعد وفاتى ان الله حرّم على الارض ان تاكل اجساد الانبياء**»، اى فسمعهم الحسيّ كبقيه حواسهم الظاهره والباطنه باقيه



بحالها كما كانت عليه قبل وفاتهم، على نبينا و عليهم الصلاة والسلام، لكن الله تعالى اغناهم عن الاحتياج إلى الغذاء الحسيّ كرامة لهم كالملائكة و أولى.

و في أخرى «**قلنا يا رسول الله كيف تبلغك صلاتنا اذا تضمنتك الارض؟ فقال ﷺ: ان الله عزّ و جلّ حرّم على الارض ان تاكل اجساد الانبياء**».[1]

و اخرج جمع انه ﷺ قال: «**ان لله ملكا أعطاه اسماع الخلائق فهو قائم على قبرى اذا مت فليس أحد يصلى عليّ صلاة الا قال: يا محمد صلى عليك فلان ابن فلان فيصلى الرب تبارك و تعالى على ذلك الرجل بكل واحده عشرا**».[2] و في أخرى « **فهو قائم على قبرى حتى تقوم الساعه فليس أحد من أمتي يصلّي عليّ صلاة إلا قال: يا أحمد فلان بن فلان باسمه و باسم أبيه يصلّي عليك كذا وكذا و ضمن لي الرب أنّ من صلّى عليّ صلاة صلى الله عليه بكل واحده عشرا، و ان زاد زاده الله**»[3]، و في أخرى «**إنّ الله وكّل بقبرى ملكا اعطاه اسماع الخلائق لا يصلي عليّ أحد إلى يوم القيامة الا بلغنى باسمه و اسم ابيه هذا فلان بن فلان قد صلى عليك**»[4] و في أخرى «**و انى سالت ربى عزّ و جلّ ان لا يصلى عليّ واحد منهم صلاة الا صلى عليه عشر امثالها و ان الله عزوجلّ اعطانى ذلك**»[5] و في سند الجميع راو بينه البخارى ووثقه ابن حبان و آخر ضعفه بعضهم.

تنبيه: يجمع بين هذه الأحاديث الظاهره التعارض ببادى الراى و احاديث أخر كثيره وردت بمعناها أو قريب منها بانه ﷺ يبلغ الصلاة والسلام اذا صدرا

---

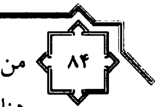
١ . ورد فى صحيح البخارى و سنن النسائى و الترمذى.

٢ . ورد فى صحيح البخارى و ابن حبان.

٣ . ورد فى سنن الدار قطبى و ابن ماجه.

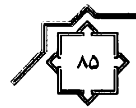
٤ . ورد فى سنن الترمذّى و النسائى.

٥ . ورد فى صحيح البخارى و مسلم.



من بعد، و يسمعها اذا كانا عند قبره الشريف بلا واسطه، و ان ورد انه يبلغهما هنا أيضاً كما مرّ، اذ لا مانع انّ من عند قبره يخص بان الملك يبلغ صلاته و سلامه مع سماعه لهما اشعاراً بمزيد خصوصيته والاعتناء بشانه والاستمداد له بذلك. سواء في ذلك كله ليله الجمعه و غيرها، اذ المقيد يقضى به على المطلق، والجمع بين الادله التى ظاهرها التعارض واجب حيث امكن، وافتى النووى رحمه الله فيمن حلف بالطلاق الثلاث انّ رسول الله ﷺ يسمع الصلاة عليه هل يحنث بانه لا يحكم عليه بالحنث للشك في ذلك، والورع ان يلتزم الحنث.

و علم من بعضها انه ﷺ يرّد على من سلم و صلى عليه، سواء زائره و غيره، و دعوى اختصاص ذلك بزائره يحتاج لدليل، بل يردّها الخبر الصحيح «**ما من أحد يمرّ بقبر اخيه المومن كان يعرفه في الدنيا فيسلم عليه الا عرفه و ردّ عليه السلام**»، فلو اختص ردّه ﷺ بزائر لم يكن له خصوصيه به، لما علمت انّ غيره يشاركه في ذلك. قال ابو اليمن بن عساكر: و اذا جاز رده ﷺ على من يسلم عليه من الزائرين لقبره الشريف ﷺ جاز ردّه على جميع من يسلم عليه من جميع الآفاق من امتّه على بعد شقته، اذا علمت ذلك علمت ان ردّه ﷺ سلام الزائر عليه بنفسه الكريمة ﷺ امر واقع لا شك فيه، و إنّما الخلاف في ردّه على المسلم عليه من غير الزائرين، فهذه فضيلة أخرى عظيمة ينالها الزائرون لقبره ﷺ، فيجمع الله لهم بين سماع رسول الله ﷺ لاصواتهم من غير واسطه و بين رده عليهم سلامهم بنفسه، فأنى لمن سمع بهذين بل باحدهما ان يتاخر عن زيارته ﷺ أو يتوانى عن المبادره إلى المثول في حضرته ﷺ تال لهما يتاخر عن ذلك مع القدره عليه الا من حق عليه البعد عن الخيرات، والطرد عن مواسم اعظم القربات. اعاذناالله سبحانه و تعالى من ذلك بمنه و كرمه آمين.



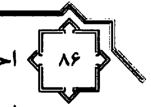
و علم من تلك الأحاديث انه ﷺ حيّ على الدوام. اذ من المحال العادىّ ان يخلو الوجود كله عن واحد يسلم عليه في ليل أو نهار، فنحن نؤمن و نصدّق بانه ﷺ حى يرزق، و ان جسده الشريف لا تاكله الارض، و كذا سائر الانبياء عليه و عليهم الصلاة والسلام، والاجماع على هذا قيل: و كذا العلماء والموذنون والشهداء، و صح انه كشف عن غير واحد من العلماء والاولياء فوجدوا لم تتغير اجسادهم، كما صح انّ عبد الله ابا جابر و عمرو بن الجموح[1] ـ وهما ممن استشهدوا يوم أحد ـ حفر السيل قبرهما بعد ست و اربعين سنة، فوجدا لم يتغيرا، و كان احدهما جرح فوضع يده على جرحه فدفن و هو كذلك، فاميطت يده عن جرحه ثم ارسلت فرجعت كما كانت، ولما حفر معاويه رضي الله عنه العين التى استنبطها بالمدينة، و ذلك بعد أحد بنحو خمسين سنة ونقل الموتى اصابت المسحاه قدم سيدنا حمزه عمّ رسول الله ﷺ فسال منها الدم، نعم الظاهر من الادله انّ حياه الشهداء اقوى من حياه الاولياء للنص عليها في القرآن الكريم، و دون حياه الانبياء، لانهم بها أولى و أحرى، والتفاوت فيها بمعنى التفاوت في ثمرتها غير بعيد فتامّله.

و قد نظر بعض أئمتنا إلى انّ حياته ﷺ امتازت بانها تقتضي اثباتها حتى في بعض احكام الدنيا فعدّ من خصائصه ﷺ انّ ما خلفه باق على ما كان في حياته فكان ينفق منه سيدنا ابو بكر رضي الله عنه على اهله و خدمه، والموت الواقع له غير مستمر لعود الحياة الكامله له واستمرارها.

و قد جمع البيهقى رحمه الله جزءا فى حياه الانبياء عليهم الصلاة والسلام في قبورهم، واستدل بكثير من الأحاديث السابقه و بالحديث الصحيح «الانبياء

---

١ . ثقه روى عن النبى ﷺ. انظر: تذهيب التذهيب لابن حجر العسقلانى.



احياء في قبورهم يصلون»[١] و يشهد له خبر مسلم: «مررت بموسى ليله اسرى بى عند الكثيب الاحمر و هو قائم يصلى في قبره»، و دعوى ان هذا خاص به يبطلها، خبر مسلم أيضاً «فقد رايتنى في الحجر و قريش تسألنى عن مسراى». الحديث، و فيه «و قد رأيتنى في جمله من الانبياء فإذا موسى قائم يصلى فإذا رجل ضرب جعد»، و فيه «اذا عيسى بن مريم قائم يصلى اقرب الناس به شبها عروه بن مسعود، و اذا ابراهيم قائم يصلى اقرب الناس به صاحبكم، يعنى نفسه، فحانت الصلاة فاممتهم»، و في حديث آخر: انه لقيهم ببيت المقدس، و في أخرى: انه لقيهم في جماعة من الانبياء بالسماوات فكلمهم فكلموه. قال البيهقى: و كل ذلك صحيح. فقد يرى موسى قائما يصلى في قبره ثم يسرى بموسى و غيره إلى بيت المقدس، كما اسري بنبينا ﷺ فيراهم فيها، ثم يعرج بهم إلى السموات كما عُرج بنبينا ﷺ فيراهم فيها كما اخبارهم، و حلولهم في اوقات مختلفه بامكنه مختلفه جائز عقلا، كما ورد الخبر الصادق، و في كل ذلك دلاله على حياتهم انتهى، و في قوله «رأيتنى» مع كون الاسراء كان يقظه على الصواب الردّ على من زعم ان ذلك كان مناما على ان رؤيا الانبياء وحى.

وقد ثبت حياه الشهداء في البرزخ بنص القرآن الكريم.

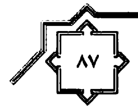
رسول الله أعطاه الله النبوة والشهادة

و صرّح ابن عباس و ابن مسعود رضي الله عنهم بانه ﷺ مات شهيدا، و يؤيده قوله ﷺ في مرض موته «ما زالت أُكلة خيبر»[٢] اى بالضمّ، لانه لم ياكل الا لقمه واحده «تعاودنى حتى كان الان قطع ابهرى» اى اكلة من الشاة التى سمّت له

---

١ . ورد فى مفتاح كنوز السنه ايضا.

٢ . ورد في مفتاح كنوز السنه.

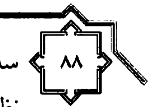


بخيبر بسمّ قاتل من ساعته، و إنّما لم يوثر فيه حالا معجزه له ﷺ ثم اثر فيه بعد، قال العلماء: ليجمع الله تعالى له بين درجتي النبوه والشهاده، انتهى. و وجه الشهاده في هذا انه قتل من كافر و ان لم يكن في معركه، و اشتراط كونه بها إنّما هو لاجراء الاحكام الدنيوية، و في حصول هذه الحياة لشهيد الاخره فقط كالغريق و المبطون، و توقف جمهور العلماء على ان حياه الشهداء حقيقيه. ثم انه في قول انها للروح فقط و في قول و للجسد أيضاً، اى بمعنى لا يبلى، و انه تستمر فيه اماره الحياة من الدم و طراوه البدن، و هذا هو المشاهد في ابدانهم كما مرّ، والقول بعود ارواحهم إلى اجسادهم و بقائها فيها إلى يوم القيامة ردوه بانه مخالف للاحاديث الصحيحة، والمراد بالروح في الأحاديث السابقه النطق كما صرّح به جماعة. فهو ﷺ حيّ على الدوام لكن لا يلزم ـ لما يأتي عن السبكيّ ـ من حياته دوام نطقه و إنّما يردّ عليه عند سلام كلّ مسلم أوصلاة كل مصّل عليه ﷺ اى و عند صلاته و نحوها، لما مرّ انهم احياء في قبورهم يصلون، و الظاهر انها صلاة كصلاة الاحياء فى الدنيا، و علاقه التجوّز بالروح عن النطق لما بينهما من التلازم غالبا.

واجاب البيهقيّ بانّ معنى ردّ الروح اليه انها ردّت اليه عقب دفنه ﷺ لاجل سلام من يسلم عليه، و استمرّت في جسده الشريف ﷺ لا إنها تعاد لرّد السلام ثم تنزع ثم تردّ السلام و هكذا، اى لما يلزم عليه من تعدد حياته ووفاته ﷺ في الساعه القصيره جدا مرات كثيره.

واجيب بانه لا محذور فيه، اذ لا نزع و لا مشقه في ذلك الرّد و ان تكرر.

واجاب السبكى بانه يحتمل ان يكون ردّا معنويا، و ان يكون روحه الشريفة ﷺ مشتغله بشهود الحضره الالهيه والملأ الأعلى عن هذا العالم، فإذا سلم عليه صلاة الله عليه و سلم اقبلت الروح الشريفة على هذا العالم لتدرك



سلام من يسلم عليه و ترد عليه، و لا يلزم عليه استغراق الزمان كله في ذلك نظرا لاتصال الصلاة عليه في اقطار الارض، لان امور الاخره لا تدرك بالعقل و احوال البرزخ اشبه باحوال الآخره.

و قال بعضهم: المراد بالروح الملك الموكل به ﷺ. و قال ابن العماد: يحتمل ان يراد به هنا السرور مجازا. فانه قد يطلق ويراد به ذلك.

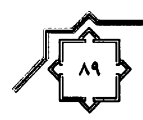
السلام عليك يا سيدي يا رسول الله

قيل: و اذا تقرّر انه ﷺ حيّ فلا يقال و لا عليك السلام فانها تحيه الموتى، و قد امتلات كتب كثيره من المصنفين بذلك فليجتنب.

وروى ابن ابى شيبه: اتيت رسول الله ﷺ فقلت عليك السلام يا رسول الله فقال: «**لا تقل عليك السلام فانّ عليك السلام تحيه الموتى**».

وروى الترمذىّ بسند حسن انّ رجلا قال للنبىّ ﷺ عليك السلام يا رسول الله ثلاث مرّات، فقال له: «**عليك السلام تحيه الموتى**»، ثم قال ﷺ: «**اذا لقى الرجل اخاه المسلم فليقل: السلام عليك و رحمه الله**» ثم ردّ ﷺ على الرجل سلامه فقال: و عليك السلام و رحمه الله ثلاثا، انتهى. و ليس بصحيح لانّ ردّه ﷺ على المسلِّم به يدل على انه سلام صحيح معتدّ به، والفصل بين الابتداء والردّ بكلام يسيرلغرض صحيح لا يضرّ كما بينته في شرح المشكاه في باب التيمم و غيره عند ذكر الحديث الذى فيه الفصل بينهما أيضاً، وأيضاً فقد صح انه ﷺ قال للموتى «**السلام عليكم دار قوم مومنين**» فدل على انّ معنى كون عليكم السلام تحيه الموتى اى موتى القلوب، أو انها عاده جاهليه، و على كل فالسلام عليكم افضل في حق الحيّ و الميت.

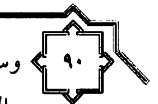
و لا ينافى ما تقرّر من حياه الانبياء في قبورهم ما في صحيح ابن حبان في قصه عجوز بنى اسرائيل انها دلت نبى الله موسى على الصندوق الذى فيه عظام يوسف على نبينا و عليهما و على سائر الانبياء والمرسلين افضل الصلاه



والسلام فاستخرجه و حمله معهم عند قصدهم الذهاب من مصر إلى بيت المقدس، إمّا لانها ارادت بالعظام كل البدن، اولانّ الجسد لما لم يشاهد فيه روح عبر عنه بالعظم الذى من شانه عدم الاحساس، و انّ ذلك باعتبار ظنها انّ ابدان الانبياء عليهم الصلاة والسلام كابدان غيرهم في البلاء.

ولا ينافى ذلك بالنسبة لنبينا محمد ﷺ قوله «**انا اكرم على ربى من ان يتركنى في قبرى بعد ثلاث**» لقومه البيهقىّ: انّ صح هذا الحديث فالمراد انهم لا يتركون لا يصلون الا بهذا القدر، ثم يكونون مصلين بين يدى الله تعالى، اى و ان كانوا في قبورهم، لما مرّ انهم احياء يصلون في قبورهم، و في خبر غير ثابت أيضاً انّ الانبياء عليهم الصلاة والسلام لا يتركون في قبورهم بعد اربعين ليله، ولكن يصلون بين يدى الله تعالى حتى ينفخ فى الصور، و كأنّ هذا هو سند ما رواه عبد الرزاق عن ابن المسيب انه راى قوما يسلّمون على النبىّ ﷺ فقال: «**ما مكث نبى في الارض اكثر من اربعين يوما**» و قد علمت ان سند هذه المقاله لا اصل له، فمن ثم لم يعوّل العلماء عليها. بل اجمعوا على خلافها، و ان الانبياء احياء في قبورهم، و انه يسنّ السلام عليهم عند قبورهم و مع البعد عنها. على انه جاء عن ابن المسيب نفسه ما يردّ ذلك، و هو انّ يزيد بن معاويه لما حاصر المدينة المشرّفه ـ على ساكنها افضل الصلاة والسلام ـ و قتل من اهلها من قتل، حتى خلا المسجد الشريف عن اقامه الصلاة فيه مدّه قال ابن المسيب: كنت فيه، و ما كنت اعلم دخول الاوقات الا بسماع الاذان و الاقامه من داخل القبر المكرّم، و مما يردّه أيضاً قوله ﷺ: «**مررت بموسى ليله اسري بي و هو قائم يصلى في قبره**»، و قول عثمان لما قال له الصحابة ﵃ و قد حوصر: الحق من بالشام، لم افارق دار هجرتى و مجاوره رسول الله ﷺ فيها؟

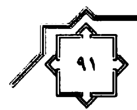
و إنّما اطلت الكلام في هذا المبحث لانّ فيه اتحافا عظيما للزائر الذى يقف بين يدى رسول الله ﷺ و هو يعلم انه حيّ يسمع صوته و توسله و شغفه به



وسؤاله منه ان يشفع له إلى ربه حتى يرضى عنه و يعطيه ما يحبه من خيرى الدنيا والاخره. فاىّ فائده اجلّ من هذه الفائده؟ واى تحفه اعظم من هذه العائدة؟ فاشدد حينئذ بزيارته ﷺ يديك، واسع في تحصيلها بما امكنك لتساق هذه الخيرات والفوائد اليك، و تحظى بالمثول في ذلك الموقف المتكفل بحصول المامول و اجابه السؤال، و بصلاح الأحوال والسعى في التحلي بحلى أهل الكمال، و بمحق ما فرط من الزلات، و طهاره ما تدنس من الاخلاق و الصفات. حقق الله لنا ذلك، و خرق لنا العوائد لنكون من أهل تلك المسالك بمنه و كرمه آمين.

و لما فرغت من تاليف هذا الكتاب رايت عن السبكى و غيره بعض ما قدمته في هذا الفصل مع زيادات و بعض مخالفات لا تضرّ في الاصل المقصود. فاذكر حاصله ليستفاد و ليتقوى به ما ذكرته، و هو:

و قد صح خبر «**ما من أحد يسلم عليّ الا ردّ الله عليّ روحى حتى اردّ عليه السلام**» و قد صدّر به البيهقى باب زيارة قبر النبىّ ﷺ و اعتمد عليه جماعة من الأئمة فيها كاحمد رحمه الله، قال السبكىّ: و هو اعتماد صحيح لتضمّنه فضيلة ردّ النبىّ ﷺ و هى فضيلة عظيمة، و ذكر ابن قدامه الحديث من رواية احمد بلفظ «**ما من أحد يسلم عليّ عند قبرى**» الخ. فان ثبت فهو صريح في تخصيص هذه الفضيلة بالمسلم عند القبر، والا فالمسلم عند القبر امتاز بالمواجهة بالخطاب ابتداء وجوابا، ففيه فضيلة زائده على الردّ على الغائب مع انّ السلام عليه ﷺ، إمّا يقصد به الدعاء منّا بالتسليم عليه من الله تعالىّ سواء لفظ الغيبه والحضور، و هذا هو الذى قيل باختصاصه ﷺ به من بين الأمّة حتى لا يسلم عليهم الا تبعا، و إمّا يقصد به التحيه وسلام الزائر اذا وصل لقبره الشريف ﷺ و هو يعمّ الامة، و هو مستدع للردّ فيردّه ﷺ على المسلِّم عليه بنفسه أو برسوله، و أمّا



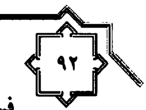
ردّه للاول فالله اعلم به. فان ثبت امتاز الثانى بالقرب والخطاب، والا فقد حرم من لم يزر قبره الشريف ﷺ هذه الفضيلة، و هو مقتضى ما فسر المقبرى أحد اكابر شيوخ البخارى حديث «**ما من أحد يسلم علّى**» فقال: هذا اذا زارنى فسلم علىّ «**ردّ الله روحى حتى اردّ عليه**»، و أمّا خبر اتانى ملك فقال: يا محمد أما يرضيك ان لا يصلى عليك أحد من امّتك الا صليت عليه عشرا و لا يسلم عليك أحد الا سلمت عليه عشرا». فالظاهر انه بالسلام في النوع الاول.

وصحّ من طرق خبر «**انّ لله ملائكه سياحين في الأرض يبلغونى من امّتى السلام**»، و جاءت احاديث اخر في عرض الملائكة لصلاة الامة و سلامها عليه بل وسائر اعمالها، و هذا في السلام في حق الغائب، و أمّا الحاضر عند القبر فهل هو كذلك؟ أو يسمعه ﷺ بلا واسطه؟ فيه حديثان:

احدهما: و هو حديث ضعيف «**من صلى عند قبرى سمعته**»، و «**من صلى علىّ نائيا بلغته**» و في رواية ضعيفة جدا «**من صلى علىّ عند قبرى رددت عليه و من صلى علىّ في مكان آخر بلغونيه**».

ثانيهما: و هو اضعف من الاول «**من صلى علىّ عند قبرى وكّل الله بها ملكا يبلغنى و كفى امر آخرته و كنت له شهيدا و شفيعا**»، و في رواية «**ما من عبد يسلم علىّ عند قبرى الا وكّل الله بها ملكا يبلغنى و كفى امر آخرته و دنياه و كنت له شهيدا و شفيعا يوم القيامه**» فان ثبت الاول فكفى بذلك شرفا، والا فهو مرجوّ فينبغى الحرص عليه.

وصح من غير طريق «**ما من أحد يمّر بقبر اخيه المومن كان يعرفه في الدنيا و يسلم عليه الا عرفه و ردّ عليه السلام**»، و في رواية صحيحة أيضاً «**ما من رجل يمرّ بقبر الرجل كان يعرفه في الدنيا فيسلم عليه الا ردّ عليه روحه حتى يردّ عليه السلام**».



وروى ابن ابى الدنيا عن ابى هريره ﷺ قال: «**اذا مرّ الرجل بقبر يعرفه فسلم عليه ردّ و عرفه، و اذا مرّ بقبر لا يعرفه فسلم عليه ردّ عليه السلام**»[١] والاثار في هذا كثيره.

و قد ذكر ابن تيمية نفسه انّ كل المومنين اذا سلم عليهم الزائر عرفوه وردّوا عليه السلام، فإذا كان هذا في احاد المومنين فكيف بسيد المرسلين ﷺ ؟!

و قد وقع لجمع من الاولياء انهم سمعوا ردّ السلام عليهم من الحجره الشريفة، و قد ثبتت حياه الانبياء، و لا شك انها اكمل من حياه الشهداء المذكوره في القرآن الكريم وروى المنذرى خبر «**علمى بعد وفاتى كعلمى في حياتى**».

وصح خبر«**اكثروا الصلاة علّى يوم الجمعه فانه مشهود تشهده الملائكة و انّ احدا لن يصلى علّى الا عرضت عليّ صلاته حتى يفرغ منها**» قال ابو الدرداء قلت: يا رسول الله و بعد الموت قال: «**و بعد الموت انّ الله حرم على الارض ان تاكل اجساد الانبياء، فنبيّ الله تعالى حيّ يرزق**». قال السبكى: و هو مرسل لكنه اعتضد.

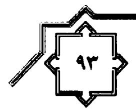
وصح خبر«**ان لله ملائكه سياحين يبلغوني عن امّتى السلام**». و نقل ابو منصور البغدادى عن محققى المتكلمين من اصحابنا انه ﷺ حيّ بعد وفاته، و انه ﷺ يسرّ بطاعات امّته، وروى فيه حديث و لفظه:«**حياتى خير لكم فإذا مت كانت وفاتي خيرا لكم تعرض علّى اعمالكم فان رايت خيرا حمدت الله و ان رايت غيرذلك استغفرت الله لكم**».

فإن قيل: قوله «**الا ردّ الله علّى روحى**» دال على عدم استمرار الحياة فجوابه ان البيهقى[٢] استدل به على حياه الانبياء، قال: و إنّما اراد ـ والله اعلم ـ

---

١ . ورد هذا فى السيره النبويه لابن هشام.

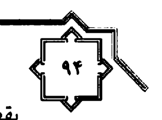
٢ . صاحب كتاب الفرق بين الفرق.



الا وقد ردّ الله علّى روحى حتى اردّ عليه و قال بعضهم: هو خطاب بحسب معقولنا انه لابّد من ردّ روحه ﷺ حتى يسمع ويجيب، و لا قائل بتكرار الرّد لانه يفضى إلى توالى موتات لا تنحصر، مع انا نعتقد ثبوت نحو السمع والعلم لكل ميت، و عود الحياة له في قبره كما ثبت في السنّة، و لم يثبت انه يموت بعد، بل ثبت نعيم القبر وعذابه، وادراكهما مشروط بالحياة لكن يكفى فيه حياه جزء يقع به الادراك فلايتوقف على حياه البنيه خلافا للمعتزله، و أمّا أدلة حياه الانبياء فمقتضاها حياه الابدان كحالة الدنيا مع الاستغناء عن الغذاء، أو مع قوه النفوذ في العالم، و خبر «**انا اكرم على ربى من ان يتركنى في قبرى بعد ثلاث**» لا اصل له. و ما روى عن ابن المسيب: ما مكث نبىّ في الارض اكثر من اربعين يوما لم يصحّ، ولو صحّ فالزيارة والسلام مشروعان حتى عند ابن المسيب، كيف و قصه سماعه الاذان والاقامه من القبر الشريف مشهوره؟!

سيدنا بلال يشد الرحل لزيارة رسول الله ﷺ

و جاء بسند جيد انّ بلالا رضي الله عنه شدّ رحله من الشام إلى زيارة رسول الله ﷺ. و في رواية انّ ذلك لرويته له ﷺ قائلا له: ما هذه الجفوه يا بلال؟ أما آن لك ان تزرونى! فاتى قبر النبىّ ﷺ و جعل يبكى و يمرغ وجهه عليه وكان ذلك في خلافه امير المؤمنين عمر بن الخطاب والصحابة رضي الله عنهم متوفرون و لم ينكر منهم أحد عليه هذه القضيه التى لا تخفى عليهم لان الحسن والحسين رضي الله عنهما اشتهيا عليه عند مجيئه لذلك سماع اذانه فاذّن في محله الذى كان يؤذن فيه من سطح المسجد الشريف، فما رؤى بعد موته ﷺ أكثر باكيا و باكيه من ذلك اليوم، وروى انه لم يؤذن لاحد بعد النبىّ ﷺ الا هذه المرّه، و انها كانت بطلب الصحابة رضي الله عنهم، و انه لم يتم الاذان المذكور لما غلبه من البكاء والوجد، و قيل اذن لابى بكر رضي الله عنه في خلافته.



و ثبت انّ عمر بن عبد العزيز كان يبعث البريد ليسلم له على النبيّ ﷺ لا يقصد غير ذلك البته و ذلك فيصدر زمن التابعين، و لم ينكر ذلك أحد منهم.

و جاء انّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما صالح أهل بيت المقدس جاءه كعب الاحبار فاسلم ففرح به، و قال له: هل لك ان تسير معى إلى المدينة و تزور قبر النبى ﷺ و تتمتع بزيارته قال: نعم.

وصح انّ ابن عمر رضي الله عنهما كان اذا قدم من سفر جاء لقبر النبيّ ﷺ عليه ثم على ابى بكر ثم على ابيه رضي الله عنه . قال نافع: رايته يفعل ذلك مائه مرّه أو اكثر من مائه.

و في مسند ابى حنيفه رحمه الله عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: من السنّة ان تاتى قبر النبيّ ﷺ من القبله و تجعلها لظهرك و تستقبل القبر الشريف بوجهك، ثم تقول: السلام عليك ايها النبى و رحمة الله و بركاته، و تقرر في الاصول ان قول الصحابى من السنّة، كذا محمول على سنته ﷺ فله حكم المرفوع.

و ذكر المؤرخون والمحدثون أنّ زياد بن ابيه لما اراد الحج جاءه ابو بكرة الصحابى رضي الله عنهما، و أشار عليه بتركها لان امّ حبيبة ام المومنين بالمدينة، فان اذنت له بالدخول عليها فهو خيانه لرسول الله ﷺ ــ اى لانه ليس بعمها الا باستلحاق اخيها معاويه رضي الله عنه، و قد علم الناس بطلان استلحاقه لامور مشهوره، و ان حجبته فذلك حجه عليه. فهذا يدل على ان زيارة الحاج كانت معهوده من ذلك الوقت، و الا لكان زياد يمكنه الحج من غير طريق المدينة، بل هو اقرب إليه لانه كان بالعراق، ولكن كان اتيان المدينة على ساكنها افضل الصلاة والسلام عندهم امرا لا يترك، انتهى، و قيل: حجّ و لم يزر و قيل: زار و لم يدخل عليها و قيل: منعته.

الفصل الثالث:

التحذير من ترك زيارته ﷺ مع استطاعتها

و ينبغى ضبطها بما ضبط بـه الأئمـة الاسـتطاعه في الحـج، فكـل اسـتطاعه اوجبت الحج اقتضت تأكد ندب الزيارة.

اعلم انه ﷺ حذرك من ترك زيارته اتّم تحذير، و ارشدك اليها بابلغ بيـان، و اوضح تقرير، و بيّن لك من آفاتها ما ان تأملته خشيت علـى نفـسك القطيعـه والعواقب حيث قال: «**من حج ولم يزرنـى فقـد جفـانى**» فبـيّن لـك انّ في تـرك زيارته جفاء، و مرّ انه من ترك البرّ والصله أو غلظ الطبع والبعد عن السخاء، و مرّ انّ ذكر من حج ليس قيدا فلا مفهوم له، و يؤيد ذلك انه ﷺ جعـل في عـدم الصلاة عليه ﷺ عند سماع ذكره الجفـاء أيـضاً، فقـد صـح عـن قتـادة مرسـلا انه ﷺ قال:«**من الجفاء ان أذكر عند رجل فلا يصلّ عليّ**» ﷺ، و بـه يعلـم ان بين ترك الزيارة مع القدره عليها و ترك الصلاة عليه ﷺ عند سماع ذكره استواء في الجفاء، بمعناه الاول بل و الثانى.

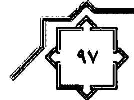
فيخشى حينئذ على تارك زيارته ان يحصل له من العقوبات والقبـائح نظـير ما ورد في ترك الصلاة عليه ﷺ عند سماع ذكره أو مطلقا.

الصلاة والسلام عليك يا سيدي يا رسول الله.

فمن ذلك ما صحّ عنه أنّه ﷺ قال: «**احضروا المنبر، فحضروا، فلما ارتقى ﷺ درجه قال: آمين ثم ارتقى الثانيه قال: آمين. ثم ارتقى الثالثه قال: آمين فلما نزل ﷺ قلنا: يا رسول الله قد سمعنا منك اليوم شيئا ما كنا نسمعه، فقال** ﷺ: «**ان جبريل عرض لى فقال بعد**» اى بالضم، عن الخير، و حكى الكسر، أي هلك ـ من ادرك رمضان فلم يغفر له قلت آمين، فلما رقيت ـ بكسر القاف «**الثانيه قال: بعد من ذكرت عنده فلم يصلّ عليك، قلت آمين، فلما رقيت الثالثه قال: بعد من ادرك ابويه الكبر عنده أو أحدهما فلم يدخلاه الجنه قلت: آمين**».

و في رواية صححها ابن حبان: من ذكرت عنده فلم يصلّ عليك فابعده الله قل آمين، فقلت: آمين».

و في أخرى سندها حسن: «**و رغم انف من ذكرت عنده فلم يصلّ عليك قلت: آمين**». و في أخرى«**و ارغم الله انف رجل**» الخ يقال رغم بكسر ثانيه المعجم وفتحه رغما، و بتثليث اوله، و ارغم انفه ـ اى الصقه بالرغام و هو التراب، هذا هو الاصل، ثم استعمل في الذل والعجز عن الانتصاف والانقياد على كره، و قيل رغم بالكسر: لصق بالتراب ذلا و هوانا، و بالفتح أيضاً: ذل، و في أخرى سندها حسن: «**شقى عبد ذكرت عنده فلم يصل عليك فقلت آمين**». و في أخرى عند البيهقى فلما صعد العتبه الثالثه، اى و كان المنبر اذ ذاك ثلاث درج، قال، اى جبرئيل: يا محمد قلت: لبيك و سعديك قال: من ذكرت عنده فلم يصلّ عليك فمات و لم يغفر له فدخل النار فابعده الله قل آمين فقلت: آمين». و في أخرى فقال: «**انّ من ذكرت عنده فلم يصلّ عليك دخل النار فابعده الله واسحقه فقلت: آمين، و في أخرى: «و من ذكرت عنده فلم يصلّ عليك فابعده الله ثم ابعده فقلت: آمين**».



وروى الديلميّ «**من ذكرت عنده فلم يصلّ عليّ دخل النار**»، و في هذا المحلّ ابحاث نفيسه بينتها في كتابى «الدرّ» السابق ذكره.

وجاء عنه ﷺ بسند حسن متصل انه ﷺ قال «**من ذكرت عنده فنسى الصلاة عليّ خطىء الجنه**» و نسى إمّا بمعنى: ترك عمدا على حدّ ﴿**كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا**﴾، أو على بابها، و يحمل على انه لماسمع بذكره ﷺ تشاغل حتى نسى، و محلّ عدم تكليف الناسى ما لم ينشأ النسيان عن تلاهيه و تقصيره، و الاّ اثم كالعامد، كما قالوه فيمن لعب بالشطرنج فنسى الصلاة حتى اخرجها عن وقتها.

و جاء عنه ﷺ بسند حسن أو صحيح انه قال: «**البخيل كل البخل من ذكرت عنده فلم يصلّ عليّ**».

وروى ابو نعيم في الحليه في قصه الغزاله المشهوره انها قالت ﷺ: مر هذا ان يخليني حتى ارضع اولادى و اعود. قال: فان لم تعودى؟ قالت: ان لم اعد فلعنني الله كمن تذكر بين يديه فلا يصلى عليك.

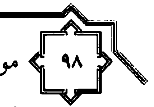
و اخرج ابو سعيد من جملة حديث انه ﷺ قال: «**ألأم الناس من اذا ذكرت عنده لم يصلّ عليّ**».

وجاء عنه ﷺ بسند فيه من لم يسمّ: من لم يصلّ عليّ فلا دين له».

وروى مرفوعا «**لا يرى وجهى ثلاثه انفس: العاق لوالديه، والتارك لسنتى، و من لم يصلّ عليّ اذا ذكرت بين يديه**»، فصلّى الله عليه و سلّم و على آله اصحابه عدد معلوماته ابدا.

حال من ترك الصلاة على رسول الله ﷺ

فعلم من هذه الأحاديث انّ من لم يصلّ عليه ﷺ عند سماع ذكره يكون

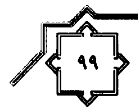


موصوفا باوصاف قبيحه شنيعه، ككونه شقيا و كونه راغم الانف و كونه مستحقا دخول النار و كونه بعيدا من الله و رسوله و كونه مدعوا عليه من جبريل، و من نبينا ﷺ بجميع هذه العقوبات و بالسحق، و كونه قد خطيء الجنه، و كونه موصوفا بانه البخيل كل البخل و كونه ملعونا و كونه لا دين له، و كونه لا يرى وجه نبيه ﷺ.

و علم مما مرّ ان بين ترك الصلاة عليه ﷺ، و ترك زيارته ﷺ مع القدره عليها تساويا في انّ كلا منها جفاء له ﷺ كما نصّ عليه، و انّ جميع هذه الاوصاف القبيحه الشنيعه التى ثبتت لتارك الصلاة عليه ﷺ عند سماع ذكره يخشى ان يثبت نظيرها لتارك الزيارة فيخشى عليه ان يكون شقيا، راغم الانف، مستحقا دخول النار، بعيدا من الله تعالى و رسوله، مدعوا عليه من جبريل و من نبينا ﷺ بذلك بالسحق، و بخيلا ملعونا لا دين له لا يرى وجه نبيه ﷺ، فاستحضر ذلك واحفظه، واخبر به من تهاون في ترك الزيارة مع قدرته عليها لعله يكون حاملا له على التنصل من هذه القبائح و الرجوع إلى الله سبحانه و تعالى بتركه جفاء نبيه الذى هو وسيلته ووسيلة سائر الخلق إلى ربهم.

و لقد شاهدنا كثيرين تركوا الزيارة مع القدره عليها فاورثهم الله عزّ و جلّ بذلك ظلمه محسوسه ظهرت على وجوههم، وفتره عن الخيرات قطعتهم عن عبادة الله سبحانه و تعالى، و شغلتهم بالدنيا إلى ان ماتوا على ذلك. و كثيرين غلبت عليهم مظالم الناس إلى ان منعوا منها قهرا.

و لقد اخبرت عن بعضهم من أهل مكة المشرفه انه كلما اراد ان يتجهز لها منعه عائق عنها، فلا زال الناس يوبخونه بترك الزيارة إلى ان اخذ في اسبابها، فجهّز حاله و اخذ جميع اهله و صرف عليهم مصروفا كثيرا، و قال لهم: اخرجوا قبلى والحقكم قريبا، فلما جهزّ مركوبه و اراد ان يركبه سلّط الله عليه صبّ الدم

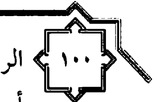


بكثره فاحشه فتخلف، و ذهب اهله للزيارة و عادوا، و قد عوفى ثم استمر متحسرا معايرا من الناس و موبخا بها وقع به إلى ان مات من غير زيارة، لما انه حقت عليه كلمه الحرمان، و باء بواسطه ظلمه للناس بابلغ القواطع و اعظم االخسران.

ووقع لغير واحد من الظلمه ايضا انه أخذ في اسبابها و سافر لها إلى ان وصل إلى قريب المدينة الشريفة على ساكنها افضل الصلاة والسلام وراى آثارها، فخرج بعض خدمة الحجره الشريفة النبويه إلى الكرب، يقول: اين فلان ابن فلان؟ فدل عليه، فقال له: انّ رسول الله ﷺ يقول لك لا تدخل إليه فجلس يبكى على نفسه إلى ان دخل الناس للزيارة و خرجوا إليه فرجع معهم خائبا و هو على غايه من الاسف والندم والعار والكآبه والظلم.

فاحذر ايها الزائر ان تزور و انت باق على توابعك و فواحشك، فيقع لك نظير ذلك، فتصير مثلة بين العالم في الدنيا بل والاخره، لانه ﷺ لا يفعل ذلك الا بمن ايس من صلاحه وقطع بعدم فلاحه. بل ذلك دليل واضح على خاتمة السوء والعياذ بالله، فحينئذ ينبغى لك، قبيل اخذك في اسباب الزيارة ان تقدّم بين يدى نجواك توبه صحيحة مستوفية لشروطها ماحية لذنوبك ساتره لعيوبك مؤهله لك إلى المثول في حضره سيد المرسلين ووسيله النبيين، و حقق الله سبحانه و تعالى ذلك لنا. آمين.

تنبيه: مرّ ان ذكر الحج في خبر **«من حج و لم يزرنى فقد جفانى»** إنّما هو لبيان الاولى، لانّ ترك الزيارة ممن حج وقد قرب من المدينة الشريفة اقبح من تركها ممن لم يحج، و ما ذكر لبيان الاولى لا مفهوم له، و حينئذ فيكون معنى الخبر، من لم يزرنى فقد جفانى، و اذا تقرر انّ هذا معناه فلا يفهم منه انّ من زاره ثم حج ولم يزره مرّة أخرى بعد حجه انه جفاه، نعم يؤخذ من قولهم الآتى اول الفصل



الرابع: اذا انصرف الحجاج الخ، انه يسنّ لكل حاج اذا انصرف من حجه مكيا أو غيرهان يزور عقب كل حج، و ان الزيارة تتأكد له حينئذ، و لا ينافى هذا ما قدّمته اولا بل يحمل هذا على الافضل و تركه لا جفاء فيه، بخلاف ترك السنّة التى هى الزيارة مثلا من اصلها، فانه جفاء اىّ جفاء.

والحاصل ان تكرر الزيارة بتكرر الحج هو الافضل، و انّ من لم يكرّرها بتكرّره بأن وجدت منه ولو مرّه لا يطلق عليه انه وجد منه جفاء، الا ان قيل: انه يطلق على ترك الافضل تجوّزا لما مرّ في معناه، و هذا فيمن ترك تكرّرها بتكرّر الحج، مع انه لم يعارضه ما هو أهم منها. اما من ترك تكرّرها لمعارضة ما هو اهمّ منها كافاده علم واستفادته فلا جفاء هنا بترك تكرّرها بتكرّر الحج لا حقيقه و لا مجازا فتامّل ذلك فانه مهمّ مع انّ احدا لم ينبه على شى منه

الفصل الرابع:

هل تسبق المدينة المنورة مكة المشرفة بالزيارة

في بيان الافضل للحاج هل هو تقديم الزيارة أو الحج.

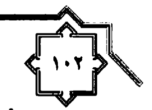
اعلم وفقنى الله و اياك لمرضاته ان السلف والخلف اختلفوا: هل الافضل لمريد الزيارة والحج البداءه بالمدينة الشريفة قبل مكة المشرفه أو عكسه؟ و ظاهر كلام اصحابنا ترجيح البداءه بمكة و كلام النووىّ و غيره كالصريح فيه، و هو:

اذا انصرف الحجاج والمعتمرون من مكة فليتوجهوا إلى مدينة رسول الله ﷺ لزيارة تربته فانها من اهم القربات و انجح المساعى.

و يؤيده ان احمد لما سئل ايبتدأ بالمدينة قبل مكة؟ ذكر باسناده عن زيد و عطا و مجاهد و النخعى: اذا اردت مكة فلا تبدأ بالمدينة، واجعل كل شئ لمكة تبعا.

وممن اختار البداءه بمكة ثم اتيان المدينة والقبر الشريف النبوىّ الامام ابو حنيفه.

والذى اختاره ان اتسع الزمن للزيارة مع اتساعه بعدها للحج فالاولى تقديم الزيارة اذا اطاقها حينئذ مبادره بتحصيل هذه القربة العظيمه فانه ربما يعوقه عائق عن التوجه اليها بعد الحج، و أيضاً فلتكن وسيلة اىّ وسيلة إلى قبول حجه و توفيقه للاتيان به على اكمل وجوه الاتقان والسداد، و من لجا إلى ذلك الجناب الرفيع حقيق بان يتوّج تاج القبول والقرب المنيع.



ثم رايت انّ ممن اختار البداءه بالمدينة النبويه علقمه والاسود و عمر بن ميمون من التابعين، و يتعين حمله على ما ذكرته و ان لم يتسع الزمن لها قدّم الحج.

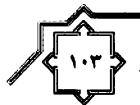
فان قلت: ما حكمة تقييد النووىّ و غيره سنّ الزيارة بفراغ المناسك؟

قلت: اجبت عن ذلك في حاشيه مناسك الحج بقولى: و حكمة تقييده كالاصحاب سنّ الزيارة بفراغ مناسك الحج مع انها مطلوبة في كل وقت اجماعا، بل قيل بوجوبها ان غالب الحجاج ليست المدينةالشريفة على طريقهم، و إنّما يتوجهون إلى مكة اولا للحج و أيضاً فهى في حق الحاج آكد للخبر السابق «**من حج ولم يزرنى فقد جفانى**»، ولانه اذا جاء من الافاق البعيده و قرب من المدينة يقبح منه ترك الزيارة اكثر من غيره لدلالته على عدم اهتمامه بما هو من اهمّ القربات و انجح المساعى، انتهى.

ثم رأيت عن احمد ما يصرح بها ذكرته من التفصيل و هو قوله: و اذا حج الذى لم يحج قط ـ يعنى من غير طريق الشام ـ لا يأخذ على طريق المدينة لانى اخاف عليه ان يحدث به حادث، فينبغى ان يقصد مكة من اقصر الطرق، و لا يتشاغل بغيره، و يؤخذ من علته ان الكلام فيما اذا دخل وقت الحج وخشى فواته، وانه اذا لم يخش ذلك بدأ بالمدينة النبويه.

ثم رايت السبكى أشار لما ذكرته فقال عقب كلام احمد هذا: و هذا في العمره متجه، لانه يمكنه فعلها متى وصل مكة، وأمّا الحج فله وقت مخصوص، فإذا كان الوقت متسعا لم يفت عليه بمروره بالمدينة الشريفة شى.

و لقد رايت اكثر العوامّ اذا عاد حاجا و لم يزر النبىّ ﷺ يعدّون ان ذلك نقص اىّ نقص، وعار، و يسمونه المفجل او الفجال، لانه آثر اكل فجل الينبوع مع الراحه فيه الى ان تاتيه الزوّار على مشقه الزيارة، ويسلخون عنه اسم الحاج، الذى هو اشرف الاوصاف عندهم، و يصير ذلك مثلة فيه الى ان يموت، بل

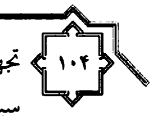


وفى اولاده بعد موته، و لقد اشتد من تعييرهم و تنقيصهم لمن رجع من غير زيارة ما الجأه إلى الانقطاع في بيته، و عدم الاجتماع باحد إلى ان خرج مع الحجاج في العام الثانى، فحج وزار ورجع الى بلده فرحا مسرورا بزوال تلك الوصمه الشنيعه عنه. فتامل ذلك من العوامّ تجد ان عظمته ﷺ و عظمة زيارته وقرت في قلوبهم واستحكمت في طباعهم، و كذا تجدهم غير مستقيمين في معاملاتهم، ثم يكثرون الزيارة يؤثرون لاجلها الخروج عن اراضيهم و دورهم و معايش امواهم و امتعتهم. فالرجاء من الله الربّ الكريم الجواد انّ يمحص بوائقهم و يمحو فرطاتهم و يغفر زلاتهم، و من نبيه الرئوف الرحيم البرّ الكريم الذى عمّت رأفته الحاضر والباد ان يشفع لهم إلى ربهم في تطهيرهم من مخالفتهم و ان يوفقهم إلى اصلاح اعمالهم مع ارسال عبراتهم اسفا على ما فات إلى الممات. يسر الله تعالى لنا ذلك ووفقنا لافضل المساعى والمسالك انه اكرم كريم وارحم رحيم آمين.

الحكمة في دفنه بالمدينة المنورة ﷺ

تنبيه: ان قلت: ما حكمة دفنه ﷺ بالمدينة النبويه؟ مع انه جاء انّ كل أحد إنّما يدفن في المحلّ الذى خلق منه، و هو صلّى عليه و سلّم إنّما خلق من الطينه التى خلقت منها الكعبه الشريفة فكان القياس ان يدفن فيها. لا سيما اذا قلنا بما عليه اكثر علماء الامّة انّ مكة افضل من المدينة؟

قلت: أمّا حكمة إفراده ﷺ عن مكة بمحلّ آخر بعيد منها اظهار عظيم فضله ﷺ و انه متبوع لا تابع. اذ لو دفن بمكة لكان قصده يقع تابعا لقصدها أو قصد الحج. فيكون غير متبوع، و ذلك لا يليق بعليّ كماله فاقتضى ذلك ان يفرد ﷺ بمحلّ مخصوص بعيد من مكة حتى يكون قصد زيارته مستقلا ليس تابعا لغيره، و حتى يتمايز الناس في شدّ الرحال إليه بخصوصه ﷺ، و من راى



تجهيز القوافل من مكة و اعمالها و اطراف اليمن و نجدها إلى زيارته ﷺ. لا سيما في رجب اتضح له حكمة انفراده ﷺ عن مكة، و انّ في ذلك من اظهار شعار زيارته ما يبهر العقول، و انّ في ذلك من رحمة الله تعالى لهذه الامّة باظهارهم لهذا الشعار الاعظم والناموس الافخم ما يؤمنهم من غوائل الفتن و عظائم المحن، فلله اكمل الحمد و افضله و اتمه و اشمله على توفيقهم لذلك.

وأمّا الجواب عمّا مرّ من ان كل انسان يدفن في المحلّ الذى خلق منه فهو ما قاله العارف بالله تعالى السهروردى صاحب العوارف و بسطت الكلام عليه في شرحها و تبعه عليه الحفاظ من المحدثين والمحققين من الفقهاء و هو انّ الطوفان لما علا الكعبه المشرفه موّج موجه منها ما ربا على وجه الماء من اصلها إلى ان وصل به الى محلّ قبره الشريف فهو ﷺ في الحقيقه لم يدفن الا في اصل الكعبه الذى خلق منه، و حكمه ذلك التموّج ما مرّ من افراده ﷺ حتى يكون قصد زيارته ﷺ متبوعا لا تابعا كما تقرّر فاعلمه.

و يؤيد ما قاله السهرورديّ ما جاء في بعض الاثار انّ سليمان بن داود صلّى الله على نبينا و عليهما و سلم زار محلّ قبر نبينا ﷺ و اخبر انه سيقبر فيه و ترك ثمّ اربعمائه رجل من احبار بنى اسرائيل ينتظرون بعثته و هجرته اليهم، فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنه الله على الكافرين.

فان قلت: هل لتخصيص المدينة بذلك من بين سائر قرى الحجاز حكمة؟

قلت: نعم لانها ـ باعتبار ذاتها لا بما عرض لها من نحو حماها مع انها نقلت إلى الحجفه ـ اعذب ارض في تهامه و اعدلها و اكثرها ماء و نخيلا و احسنها اهلا و مقيلا. سيما و فيها اخوال نبينا ﷺ و انصاره، و غير ذلك من محاسنها و محاسنهم الجمه التى لا توجد في ارض غير مكة من تهامه. فاتضح بما قرّرته ان تاملته هذا المقام، و انكشف ما كان يطرقه من ظلمات الاوهام، و فقنا الله تعالى فضلا و منّا لفهم المشكلات و ايضاح العويصات بمنه و كرمه آمين.

الفصل الخامس:

أمور يجب على الزائر القيام بها في سفره لزيارته ﷺ

فيما يتاكد على الزائر في طريقه فعله غير ما مرّ في المقدمة، قال العلماء من الشافعيه و غيرهم: يستحب للزائر ان ينوى مع زيارته ﷺ التقرّب بشد الرحل والسفر إلى مسجده ﷺ و الصلاة و الاعتكاف فيه قالوا: و يستحبّ له اذا توجه لزيارته ﷺ ان يكثر من الصلاة والتسليم في طريقه. فإذا وقع بصره على شجر المدينة و حرمها و ما يعرف بها ـ اى مما هو داخل في مسماها زاد من الصلاة والتسليم عليه، و يسال الله تعالى ان ينفعه بزيارته و ان يقبلها منه. انتهى. و لم ار لهم في خصوص ذلك دليلا، و قد يستدل له بان الصلاة عليه ﷺ سبب لكفايه المهمات في الدنيا والاخره.

فضل الصلاة على سيدنا رسول الله ﷺ

فقد اخرج الترمذيّ و حسنه و صححه الحاكم عن ابيّ بن كعب رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ اذا ذهب ثلثا الليل قام فقال: «**يا ايها الناس اذكروا الله جاءت الراجفه تتبعها الرادفه. جاء الموت بما فيه**». فقال ابى: فقلت: يا رسول الله انى اكثر الصلاة عليك فكم اجعل لك من صلاتى؟ قال:«**ما شئت**». قلت



الربع؟ قال:«**ما شئت وان زدت فهو خير لك**»، قلت فالنصف قال: «**ما شئت و ان زدت فهو خير لك**» قلت: فالثلثين؟ قال: «**ما شئت وان زدت فهو خير لك**»، اجعل لك صلاتى كلها. قال: «**اذاً تكفى همك و يغفر ذنبك**».

في رواية عند احمد و ابن ابى عاصم و ابن ابى شيبه قال رجل: يا رسول الله ارايت ان جعلت صلاتى كلها عليك؟ قال:«**اذاً يكفيك الله همك من دنياك و آخرتك**».

و اذا عرفت ان الصلاة عليه ﷺ سبب لكفاية المهمات في الدنيا والاخره فالمسافر للزيارة محتاج لكفايه مهمات السفر الدنيوية و هو واضح، والاخروية بقبول زيارته والتفات رسول الله ﷺ إليه و امداده له. فإذا اكثر من الصلاة والسلام عليه في طريقه رجى له حصول ذلك كله، و أيضاً فالاكثار منها يدل على زيادة محبته ﷺ و ذلك متكفل بحصول شفاعته، كما جاء عنه بسند لا بأس به «**من صلى عليّ عشرا صلى الله عليه مائه، و من صلى عليّ مائه صلى الله عليه الفا و من زاد صبابة و شوقا كنت له شفيعا و شهيدا يوم القيامة**» و بسند حسن من قال «**اللهم صلّى على محمد و انزله المقعد المقرّب عندك يوم القيامة وجبت له شفاعتى**» و بسند ضعيف انه ﷺ قال: «**من سرّه ان يلقى الله راضيا**»، وفى رواية«**و هو عنه راض فليكثر من الصلاة عليّ**». فإذا كانت كثره الصلاة عليه سببا لرضا الله تعالى فهى سبب لرضاه. فمن اكثر الصلاة عليه في طريقه لم يلقه الا وهو راض عنه، و كفى بذلك حاملا للزائر على اكثار الصلاة عليه في طريقه، و افراغ وسعه في ذلك ليكون ﷺ راضيا عنه اذا وقف بين يديه. فيلحظه بعين رافته و رحمته و يشفع له في حصول طلبته. حقق الله لنا ذلك آمين.

وجاء عن عليّ كرمّ الله وجهه بسند فيه متهم انه قال: «**لولا انّ النبىّ ﷺ ذكر الله عزّ و جلّ ـ اى الذكر المندوب في الاحوال المعروفه في الشرع ـ ما تقرّبت**

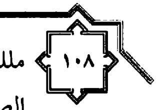


إلى الله الا بالصلاة على النبيّ ﷺ فانى سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قال جبريل: يا محمد انّ الله عزّ و جلّ يقول من صلى عليك عشر مرات استوجب الامان من سخطى» و من استوجب الامان من سخط الله استوجبه من سخط النبيّ ﷺ و حينئذ فليكثر الزائر في طريقه من الصلاة عليه حتى يستوجب ذلك و يزداد به تاهله إلى مواجهة نبيه ﷺ.

و جاء بسند حسن غريب انه ﷺ قال: **«من صلى عليّ في كل يوم مائه مرّه قضى الله له مائه حاجة سبعين لاخرته و ثلاثين لدنياه»** و لا شك انّ الزائر له حوائج دنيوية و اخروية فإذا اكثر من الصلاة عليه في طريقه كان ذلك سببا لقضاء حوائجه.

و جاء بسند حسن غريب أيضاً انه ﷺ قال: **«ان أولى الناس بى يوم القيامة اكثرهم عليّ صلاة في الدنيا»** و بسند ضعيف عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «اوحى الله عزّ و جلّ إلى موسى على نبينا و عليه الصلاة والسلام انني جعلت فيك عشره الاف سمع حتى سمعت كلامى و عشره الاف لسان حتى اجبتنى و احبّ ما تكون إلى و اقربه اذا اكثرت الصلاة على النبيّ ﷺ، و في لفظ: و اقرب ما تكون انت منى اذا صليت على محمد ﷺ. فتامل يا اخى اذا كان هذا حال موسى عليه الصلاة والسلام كليم الله انه اقرب ما يكون من الله و احبّ ما يكون من الله و احبّ ما يكون إلى الله اذا كان مصلّيا على نبينا ﷺ فنحن أولى بذلك.

و قد ذكر سفيان الثورى رحمه الله انه راى حاجا يكثر من الصلاة عليه ﷺ فقال له: هذا موضع الثناء على الله تعالى فاخبره ان اخاه لما حضرته الوفاه اسود وجهه فاحزنه ذلك، فبينما هو كذلك اذ دخل عليه رجل وجهه كالسراج المضيء فمسح بيده وجهه فزال سواده وصار كالقمر، فقرح وسأله عن اسمه فقال: انا

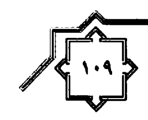


ملك موكل بمن يصلى على النبىّ ﷺ افعل به هكذا، و قد كان اخوك يكثر الصلاة على رسول الله ﷺ فأزال الله عنه ذلك السواد و كساه هذا الجمال.

و جاء أيضاً انّ رجلا لما مات حُوّل وجهه وجه حمار لاكله الربا، فراى ولده النبىّ ﷺ و سلم قائلا له: انه كان يصلى عليّ في كل ليله عند نومه مائه مرّه فلما اخبرنى الملك الذى يعرض عليّ صلاة امّتى سألت الله عزّ و جلّ فشفعنى فيه. فاستقيظ فراى وجه والده كالبدر، والحكايات في معنى ذلك كثيره، و قد استوفيت كثيرا منها في كتابى الدرّ السابق ذكره.

و اذا تقررّ ذلك فليكن دأبك في طريقك ليلا و نهارا و عشيه و ابكارا الصلاة والسلام عليه و لا تفتر عن ذلك ما استطعت فان به يحصل لك غاية الخير والقبول والاقبال منه ﷺ المتكفل ببلوغ المامول والفوز بشفاعته والامتزاج بمحبته، و كل من هذه الفوائد يستدعى الخروج عن النفس والاهل والمال فما بالك بحصوله باسهل شىء و ايسره عليك فإياك ثم إياك من ترك ذلك فانه من اوضح علامات الشقاوه والعياذ بالله تعالى.

و مما يتأكد على الزائر في طريقه أيضاً انه كلما رأى اثراً من آثاره ﷺ لا سيما منازله و محالّ صلاته ان يزيد من الصلاة والسلام عليه، فقد كانت اسماء بنت ابى بكر رضي الله عنها كلما مرّت بالحجون قالت: صلى الله على رسوله وسلم لقد نزلنا ههنا، رواه البخارى، و اخرج احمد انّ أنساً رضي الله عنه اخرج لجماعة ما بقى من قدحه ﷺ و فيه ماء فشربوا منه وصبوا على رؤوسهم ووجوههم وصلوا عليه ﷺ.



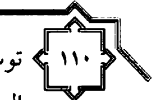
تنبيهات مهمة

تنبيه اول: هل الاولى ان يصلى برفع الصوت أو بخفضه؟ الذى يتجه في ذلك انه ان توفر خشوعه في أحدهما فقط فهو الافضل في حقه. نعم يشترط في الجهر ان يامن معه من الرياء والتشويش على نحو مصلّ أو نائم أو ذاكر، و ان لم يتميز أحدهما بزيادة الخشوع و امن مما ذكر فان كان ثم من يصلى بصلاته لو جهر أو يصغى إليه و يخشع فالجهر أولى، والا فالسرّ أولى لانه ابعد عن الرياء و لم يعارضه مصلحة راجحة، و كذا يقال في سائر الاذكار، و في قراءه القرآن، و هذا التفصيل و ان لم يذكروه لكنه ظاهر المعنى جداً فيتعين اعتماده.

تنبيه ثان: هل الاكثار من الصلاة والسلام عليه في الطريق افضل من قراءه القرآن أو عكسه؟ و كذايقال في ليله الجمعه ونحوهامما طلب فيه بخصوصه الاكثار من الصلاة والسلام عليه أو هما مستويان؟ كل محتمل، و كلامهم في باب الجمعه ربما يومىء إلى الاخير، والظاهر عندى الاول لان ذلك ذكر طلب في محلّ مخصوص، و قد قالوا: انّ القراءه إنّما هى افضل من الذكر الذى لم يخص، أمّا ما خص فهو افضل منها، انتهى. و ما نحن فيه مما خص فليكن افضل منها بنص كلامهم المذكور.

تنبيه ثالث: لا يتوهم من قول العلماء السابق انه يستحب للزائر ان ينوى مع زيارته ﷺ الخ ان في ذلك تشريكا مضرّاً لما مرّ اوّل الفصل الثانى في شرح قوله ﷺ «**من جاءنى زائرا لا تعمله حاجة الا زيارتى**».

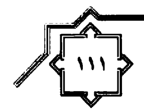
تنبيه رابع: قد يؤخذ من قولهم السابق: فإذا وقع بصره على اشجار المدينة و حرمها و ما يعرف بها زاد من الصلاة والتسليم عليه ﷺ انّ صعود الجبل الذى تسميه العامّه مفرحا بقصد رؤية ذلك ليزداد شوقه وصلاته عليه و خشوعه و



توسله و دعاؤه لا باس به، بل هو سنة لانـه حينئـذ وسيلة إلى هـذه الخيرات العظيمه، و من القواعد المقرّره ان للوسائل حكم المقاصد، و أمّا ما اعتاده العامّه من الطلوع له على اى حاله، ولو في الظلمه، و من التسابق المفرط إليـه بـضرب الدواب و حملها على ما لا تستطيعه من السير الشديد فهو بدعه مذمومـه يتعين على كل من له قدره منعهم منها.

ما يسنّ للزائر فعله

و مما يسنّ للزائر فعله في طريقه بل يتاكد عليه ايضا الاناخة بالبطحـاء التـى بذى الحليفه، و هى المعرّس، و يصلى بها تأسياً به ﷺ، والظاهر انّ الصلاة هذه لسبب متقدم هو النزول، فلتجز في وقت الكراهـة أيـضاً، قـال الـسبكيّ: و لم أر لاصحابنا في ندبها كلاما، و ينبغى ان تكـون سـنّة مؤكـده آكـد مـن الـصلاة في المواضع التى صلى بها النبى ﷺ في الطريق اتفاقا، و يبعد القـول بـالوجوب، و لعل مراد من قال به كمالك و أهل المدينة الاستحباب المؤكد، انتهى. و ما ترجـاه هو ظاهر بل صريح كلام ابن فرحون من المالكية فانه قال اذا وصلت المعرّس و هو البطحاء التى بذى الحليفه فلا تجـاوزه حتـى تنيخ فيـه و تقـيم بـه و تـصلى ركعتين، أو ما بدا لك فان ذلك من السنّة، فان اتيت في وقت لا يصلى فيه فـاقم حتى تحلّ النافله ثم صل به ثم ارتحل، و ذلـك لان ابـن عمـر رضي الله عنهما قـال: كـان رسول الله ﷺ اذا صدر من الحج أو العمره اناخ بالبطحـاء التـى بـذى الحليفـه يصلى بها، قال نافع: و كان ابن عمر يفعل ذلك، و قال مالك: لا احب لاحد ان يترك ذلك والتعريس به والصلاة فيه من السنّة انتهى. و قوله: فـاقم حتـى تحلّ النافله إنّما يتمشى على قاعده مذهبه، و أمّا قاعده مذهبنا فانها ظاهرة في الحلّ كما قدّمته آنفا.



و مما يسنّ له أيضاً انه اذا وصل قرب المدينة النبويه على ساكنها افضل الصلاة والسلام اغتسل لدخولها، و به صرّح أيضاً الحنفيه والمالكيه والحنابلـه، و ينبغى سنّ الغسل أيضاً لدخول حرمها قياسا على حرم مكة المشرفه، و حينئذ يأتي هنا ما قالوه في طلبه عند دخول مكة من ندبه لكل أحد و لو حلالا، و ان لم يرد دخول المسجد، و انه يكفى عنه الغسل من نحو التنعيم حيث لم يحصل تغير في البدن. و من عجز عنه تيمم، ولو وجد ماء لا يكفيه بدأ بها فيه تغير من بدنه، ثم باعضاء وضوئه ثم براسه و ما يليه ثم تيمم عن الباقى، قال في الإحياء: والاولى للزائر ان يغتسل من بئر الحرّه. قال السيد: الظاهر انه اراد بئر السقيا التى بالحرّه في طريق الداخل من المدرج، ثم هذا الاغتسال الذى للمدينة المنوّره المراد انه سنة لدخولها كما صرّح به جمع، و هل يفوت به أو لا، فيندب تداركه؟ كلّ محتمل و ميل النفس إلى الثانى، و كذا يقال في الاغتسال لدخول مكة و حرمها، ثم رايت بعض الحنفيه صرّح بذلك في المدينة.

و مما يسنّ له أيضاً ليس انظف ثيابه، و هل الاولى هنا الاعلى قيمه كالعيد؟أوالابيض كالجمعه؟ كل محتمل والاقرب الثانى اذ هو الاليق بالتواضع المطلوب. ثم رايت التصريح بانه يندب البياض للذهاب إلى اىّ مسجد كان، و هو صريح فيما ذكرته. لان هذا اللبس إنّما طلب ليكون دخوله المسجد الشريف ووقوفه بين يدى نبيه رسول الله ﷺ على اكمل الاحوال. و في حديث قيس بن عاصم ﷺ انه لما قدمع وفده اسرعوا بالدخول و ثبت هو حتى ازال مهنته[1] و آثار سفره و لبس ثيابه. و جاء إلى النبىّ ﷺ على تؤده ووقار فرضى ﷺ له ذلك واثنى عليه بقوله الشريف: «**ان فيك لخصلتين يحبهما الله و رسوله الحلم والاناة**»، و مما يسنّ له أيضاً ان يتطيب. اى بعد زوال الروائح الكريهه و نحو

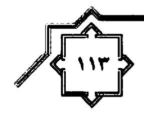
---

١ . ما في هيئته من شعث.

شعر ابطه و عانته و اظافره و غير ذلك مما ذكروه عند اراده الاحرام، فكل ما قالوه ثم مما يتأتى هنا ينبغى ان يقال بنظيره هنا، و قد يقع لبعض الجهله ان يتجرّد عن ملبوسه كالمحرم، و هذا بهذا القصد حرام يجب منعهم منه، و يعزرون عليه التعزير البليغ حتى ينزجروا هم و امثالهم عن مثل هذه البدعه القبيحه.

و مما يسنّ له أيضاً ـ اى للذكر القوى كما هو ظاهر ـ النزول عن راحلته عند رؤية المدينة الشريفة أو حرمها كما صرّح به المالكية، و ينبغى ان يحمل عليه قول البدر بن جماعة: و ما يفعله بعضهم من النزول عن الرواحل عند رؤية المدينة الشريفة أو حرمها لا بأس به، لان و فد عبد القيس ﷺ لما راوه ﷺ فعلوا ذلك، و تعظيم جهته ﷺ و حرمه المقدسّ بعد وفاته كهو في حياته، و قوله: نزلوا عن الرواحل اى: القوا انفسهم عنها و لم ينيخوها مسارعه إليه ﷺ، كذا ذكره غير واحد، والذى ذكره النوويّ و غيره معبرا عنه يروى انهم لما وصلوا المدينة الشريفة بادروا إليه مسرعين و اقام الاشج رئيسهم عند رحالهم فجمعها و عقل ناقته و ليس احسن ثيابه ثم ذهب إليه ﷺ فمدحه كما ذكر، و منجملة ما مدحه به انّ فيه خصلتين يحبهما الله و رسوله و هما الحلم والاناة، و هى بالفتح والقصر: التثبت و ترك العجله، قال القاضى عياض و تبعه النووى و غيره: الأناة التى مدحه ﷺ بها هى تربصه حتى نظر في مصالحه و مصالح و جماعته و لم يعجل، انتهى.

و ظاهر هذا انّ التثبت للانسان في كل اموره أولى من العجلة إلا في ثلاثه: احدها: الصلاة لأول وقتها، والثانى: وفاء الدين اذا حل وقدر على وفائه، والثالث: تزويج البنت اذا بلغت، و قد يجاب بانّ هنا تفصيلا لابد منه و هو انّ الانسان اذا كان غير متعلق بغيره أو كان له من يحفظ متاعه اذا ذهب من غير منّة



و لا استحياء منه فالافضل له ان ينزل مبادرا حافيا متخشعا قاصدا للقبر المكرّم غير معوّل على حوائجه نظير ما قالوه فيمن قدم مكة المشرفه انه يبادر لطواف القدوم كذلك، و ان كان كبير القوم بحيث لو ذهب لضاعوا أو بعضهم أو ضاع شيء لاحدهم فالافضل له ان يتاخر عند امتعتهم حتى يرى من يخلفه فيها، ثم يذهب إلى القبر المكرّم حينئذ. لان هذا فيه غايه المنفعه للغير والهضم للنفس فتدبر، و هذا التفصيل لابدّ منه فاحذر ان تغفل عنه، والاولى له اذا انزل ان يمشى حافيا ان اطاق و أمن تنجّس رجله اخذا مما ذكروه في دخول مكة و حرمها.

و مما ينبغى للزائر أيضاً انه اذا وصل حرم المدينة قال: «اللهم هذا حرم رسولك محمد ﷺ الذى حرّمته على لسانه و دعاك ان تجعل فيه من الخير والبركه مثلى ما هو في البيت الحرام، فحرّمنى على النار وامّنّى من عذابك يوم تبعث عبادك، وارزقنى من بركاته ما رزقته اولياءك و أهل طاعتك، وارزقنى فيه حسن الادب و فعل الخيرات و ترك المنكرات» و هذا ذكره غير واحد و لا بأس به. و ان لم يصح فيه شيء، و كأن قائله اخذه من نظيره القريب منه في دعاء دخول حرم مكة.



الفصل السادس:

في ما يسنّ بالمدينة الشريفة و قبل دخول المسجد النبوي

اعلم انّ لمدينة رسول الله ﷺ اسماء كثيره تقارب الالف، كما بينه بعض المتاخرين. لكن ليس له كبير جدوى. اذ قياس اعتباره انّ اسماءها تبلغ ألوفا كثيره لان حاصل اعتباره يرجع إلى انّ كل ما صح وصفها به من الانواع التى شرفت أو وقعت بها يصح ان تسمى به، والمشهور من اسمائها:

(المدينة) كما في الحديث الشريف **«من دان اطاع»** لان من شان اهلها انهم مطيعون لله تعالى و رسوله ﷺ و (طابه) و (طيبه) لخبر مسلم **«انّ الله سمى المدينة طابه»** و في نسخه (طيبه) اى لخلوصها و طهارتها من الشرك، اى باعتبار آخرة امرها، أو لطيبها لساكنيها لأمنهم و دعتهم، اى باعتبار الغالب أو الاصل، أو لطيب العيش بها، اى باعتبار ما فيها من عظيم الانس و توفر الحضور والخشوع ببركة مجاورة ذلك الضريح الشريف، والمعهد المنيف، ووقوع النظر عليه بكره و عشيه، بل و جميع الساعات الموجب لتوالى انواع ذلك الجمال على على قلب من كان لله تقيا.

(والـدار) لقولـه تعـالى ﴿وَالَّـذِينَ تَبَـوَّءُوا الـدَّارَ﴾[١] و يثـرب كـما في الآيةالكريمة، و ذكر هذا معترض بانه تسميه جاهليه، و ذكره في القرآن الكـريم إنّما وقع حكايه عن المنافقين كما حكى عـنهم الكفـر فـلا حجـه فيـه، ومـن ثـم غيّره ﷺ على عادته في تغيير الاسماء القبيحه اذا التثريب الملامـه والحـزن، و في الحديث الصحيح «**يقولون يثرب و هى المدينة**»، و هو ظاهر في كراهة تسميتها به لكونه من اسماء الجاهليه، و سميت به باسم مكان بها.

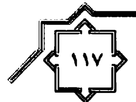
و في هذا الفصل مسائل.

الاولى: يسنّ لداخل المدينة الشريفة ان يقول «بسم الله ما شاءالله لا قـوه الا بالله. ربّ ادخلنى مدخل صدق، و اخرجنى مخرج صدق، واجعل لى من لدنك سلطانا نصيرا، حسبى الله آمنت بالله، توكلـت علـى الله، لا حـول و لا قـوة الا بالله، اللهمّ اليك خرجت، اللهـمّ سلمنى وردّنى سالما في دينـى، كـما اخرجتنـى، اللهم انى اعوذ بك من أن اضِلّأوأضَل، أو أزل أو اظلِـم أو اظلَـم أو اجهـل أو يُجهل علىّ عز جارك و جلّ ثناوك وتبـارك اسـمك ولا الـه غـيرك، اللهـم انـى اسالك بحق السائلين عليك، و بحق ممشاى هذا اليك، فانى لم اخرج بطـرا و لا اشرا. و لا رياء و لا سمعة، خرجت اتقاء سخطك و ابتغاء مرضـاتك، اسـالك ان تنقذنى من النار، و ان تغفر لى ذنوبى، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت يا يا ارحم الراحمين يا اكرم الاكرامين.[٢] وهذا ذكره غير واحـد أيـضاً ولا بـاس بـه، و ان لم يصح فيه شى نظير ما مرّ في دعاء الحرم. نعم التسميه هنا، و في دخول الحرم لهـا اصل لندبها لكل امر ذى بال الخ، و هذا من ذلك قطعا، وربّ ادخلنـى مـدخل صدق الخ مناسب لانّ من اسماء المدينة على سـاكنها افـضل الـصلاة والـسلام مدخل صدق، و من ثم قيل انها المرادة في الآية الكريـمة.

---

١ . الحشر:٩.

٢ . انظر: الازرقى فى اخبار مكه والفاسى: العقد الثمين.



تنبيه: ينبغى للزائر ان يصدق في قوله: فانى لم اخرج الخ والا كان كاذبا فيخشى عليه المقت و الطرد بسبب كذبه على الله تعالى العالم بخائنات الاعين، و ما تخفى الصدور، و نظيره قولهم في قول المصلى: وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض الخ في دعاء الافتتاح، و في قوله في ركوعه: خشع لك سمعى و بصرى و مخى و عظمى و عصبى الخ، ينبغى للراكع ان يكون مقبلا بوجهته كلها على الله سبحانه و تعالى في الاول اى في دعاء الافتتاح، و خاشعا في الثانى اى في الركوع حال الذكر المذكور كله فيه، والا كان كاذبا، مالم يرد انه بصورة المقبل على الله والخاشع له، و ينبغى له ان يحرص على هذا الدعاء كلما قصد المسجد اىّ مسجد كان. ففى حديث انّ من قاله حينئذ وكّل الله تعالى به سبعين الف ملك يستغفرون له، و يقبل الله عليه بوجهه ـ اى بمزيد اكرامه وانعامه.

الثانيه: ينبغى للزائر ان يستحضر بقلبه حين دخول المدينة شرفها واختصاصها برسول الله ﷺ، و انه الذى احدث حرمتها، كما اظهر ابراهيم الخليل حرمة مكة ولم يحدثها، لثبوتها من من يوم خلق الله السموات والارض. كما في الحديث المتفق على صحته، و انها افضل الارض على الاطلاق عند جماعة منهم الامام مالك، أو بعد مكة عند اكثر أهل العلم، وانّ الذى شرفت به هو خير الخلائق اجمعين.

الثالثه: ينبغى للزائر ان يكون من حين دخوله المدينة بل من حين دخوله حرمها إلى ان يرجع مستشعرا لتعظيمه ﷺ ممتلىء القلب من هيبته كانه يراه ﷺ، اذ بواسطة ذلك يعظم خشوعه و خضوعه و تكثر عبادته و تقلّ شهواته و مخالفاته، و يحسن خلقه و تطمئن نفسه و يظهر كرمه، و يزداد على ما فرط منه ندمه، وليعظم من الاسف على فوات رؤيته ﷺ فى الدنيا، و انه من



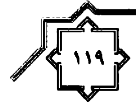
ذلك في الاخره على اعظم الخطر لقبيح عمله، و كبير زَلَلِه و خطر خطله. فعسى ببركة ذلك تقال عثراته و تتوالى مسراته، و سياتى عن القاضى حسين انه يجب على كل انسان ان يكون حزنه على فراقه ﷺ و خروجه من الدنيا اعظم من حزنه على ابويه و اولاده و احبابه، انتهى. و سياتى أيضاً ما في ذلك.

الرابعه: يسنّ للزائر عقب دخوله المدينة أو عنده و قبل دخوله مسجده على ساكنه الصلاة والسلام، ان يتصدّق بشيء و ان قلّ مستحضرا لقوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ذٰلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِن لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[1] و لكونه ﷺ حياً بعد وفاته كهو قبل وفاته، ولكن نفسه اى الزائر ملطخه بقاذورات الشهوات والمخالفات فلا تصلح لمخاطبته ﷺ والمثول بين يديه الا اذا توسلت إليه ﷺ بشيء مما امرها الله سبحانه و تعالى بالتوسل اليه به. فإذا تصدّق من مال غير حرام طيبة نفسه مستحضرا لما ذكرته كان ذلك سببا لقبول صدقته و تمام زيارته، و تأهله للمثول بين يدى نبيه محمد ﷺ و مخاطبته ولإجابته ﷺ له في التوسل به إلى ربه عزّ و جلّ و طلب شفاعته.

تنبيه: صرف ما يتصدق به إلى أهل المدينة أولى على اى حاله كانوا ما دام لهم حرمه الجوار، و ذلك لان شرف الجوار، الثابت لهم اوجب الإعراض عن مساويهم، والنظر إلى حرمتهم و ما تشرّفوا به من ذلك الجوار الاعظم، و لذلك كثر في الأحاديث الصحيحة الدعاء منه ﷺ لهم بالبركه و على من قصدهم بسوء باقبح النكال والهلكه، و قد استوفيت طرفا من ذلك في كتابى (الزواجر عن اقتراف الكبائر) ثم الذى يظهر انّ المراد بهم المستوطنون بها، و ان محل اولويتهم على المقيمين بها من غير توطن اذا لم يكن المقيمون احوج من

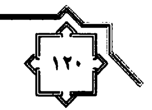
١. المجادلة: ١٢.



المستوطنين، والا فالصرف إلى الاحوج أولى نظير ما هو مقرر في فقراء حرم مكة.

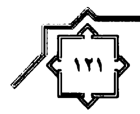
الخامسه: ينبغى للزائر الذكر ان لا يعرّج على غير المسجد النبوى الا لضروره كخوف على محترم و كراء منزل و تطهر و تنظيف و نحو ذلك، وللمرأه ان تؤخر زيارتها إلى الليل لانه أسترلها، و هذا كله مستنبط مما قالوه في داخل مكة للنسك، نعم العجوز في ثياب مهنتها ينبغى ان تكون كالذكر اخذا مما ذكروه ثمّ و في صلاه الجماعه والعيد و غيرهما.

السادسه: ينبغى للزائر ان يستحضر عند رؤية المسجد النبوى جلالته الناشئه عن جلالة مشرّفه والحالّ بجواره، و انه مهبط الوحى، والمحلّ الذى اختاره الله سبحانه و تعالى لعبادات نبيه مدّه اقامته بالمدينة نحو عشر سنين، و انه ﷺ باشر بناءه الاصلى بنفسه المعظمة، و كان ينقل مع اصحابه اللبن لبنائه، و انه تعالى عيّن له هذا المحلّ بالوحى، و اختاره له على بقيه اماكن المدينة بعد ان كان محلا خربا مهجورا فيه بقايا نخل وقبور للمشركين، فامر ﷺ بقطع تلك البقايا من النخل، و نقل تلك العظام منه، ثم اختطه و بناه. و من اعظم الدلائل على فضل ابى بكر رضي الله عنه و بقايا عظيم الثواب له الذى لا غايه له مما نقله بعض أهل السير انه ﷺ لما اشتراه من بنى النجار اى اخواله وزن ابو بكر ثمنه من ماله، ثم جعله ﷺ مسجدا، و يستحضر أيضاً انه ﷺ كان ملازم الجلوس فيه، لهداية اصحابه و تربيتهم رضي الله عنهم بادب السنّة الغرّاء و احكامها الباطنه والظاهره التى فاقوا هذه الامّة المحمدية و سائر الامم بسببها دنيا وأخرى، ولافادتهم تلك العلوم التى لا حدّ لها و لا غايه مما نقلوا الينا بعضه، و هو مع كثرته المانعه للعدّ قليل من كثير، كما أشار إليه الصحابة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين.



و من فضائل هذا المسجد النبوىّ الذى ينبغى للزائر أو المصلى فيه دائما ان يستحضر فضله و شرفه لشرف مشرّفه ﷺ ما صح من خبر منيف: **«خير ما ركبت إليه الرواحل مسجدى هذا والبيت العتيق»**، و في رواية سندها صحيح أو حسن **«خير ما ركبت إليه الرواحل مسجد ابراهيم و مسجد محمد صلى الله عليهما وسلم»**، وصح أيضاً عن الارقم و كان بدريا قال: **«جئت لرسول الله ﷺ لاودّعه، و اردت الخروج إلى بيت المقدس فقال ﷺ: «و ما يخرجك إليه، أفي تجارة؟ قلت: لا، و لكن اصلى فيه، فقال ﷺ: «صلاة ههنا خير من الف صلاة ثمّ»** وصحّ أيضاً خبر **«من صلى في مسجدى اربعين صلاة لا تفوته صلاة كتبت له براءة من النار و براءة من العذاب و براءة من النفاق»**، و خبر **«من دخل مسجدى ليتعلم خيراً أو ليعلّمه فهو بمنزلة المجاهد في سبيل الله، و من جاءه لغير ذلك فهو بمنزلة الرجل ينظر إلى متاع غيره»**.

السابعه: ينبغى للزائر ان لا يركب من حين دخوله المدينة الشريفة إلى حين خروجه منها اجلالا لمشرّفها الحالّ بها، و من ثم قال مالك رحمه الله: «انى استحيى من الله عزّ و جلّ ان أطأ تربة فيها رسول الله صلى الله عليه و سلم بحافر دابتى، بل يكون رحمه الله ماشيا إلى ان يدخل المسجد النبوى على غايه من التواضع والخضوع والانكسار والافتقار و الذلة و الخشوع. فان كل انسان إنّما يعطى من تلك الحضره النبويه على قدر استعداده و تواضعه.. الخ. فاحذر يا اخى ان يكون في قلبك حينئذ ادنى ذرّة من كبر اوتيه أو عُجب أو رؤية حال أو قال أو عمل أو مال، فان ذلك ربما يكون سببا لحرمانك من الوصول، و اياسك من بلوغ المأمول، واستحضر ذلك لئلا تقع في اعظم المهالك، اعاذنا الله سبحانه و تعالى و اياك من ذلك بمنه و كرمه آمين.



الثامنه: ينبغى له أيضاً بالقرب من باب المسجد ان يجدد توبة أو ينشئها اذا غفل عنها، و ان يجهد نفسه في استيفاء شرائطها و معتبراتها، و خصوصا في الخروج من ظلامات الخلق ظواهرها و بواطنها، و ما عجز عن تنجيزه يعزم بقلبه عزما مصمّما صادقا فيه على الخروج منه اذا قدر عليه و امكنه، و يقف لحظة عند دخوله المسجد الشريف حتى يعلم من نفسه انها وفت بجميع ذلك، و تطهرت من الذنوب والمهالك، ليكون على انظف حال و اكمله و اشرفه و افضله.

التاسعه: ينبغي له ان يفرغ قلبه من كل شى من امور الدنيا الدنيه و ما لا تعلق له بالزيارة، حتى يصلح قلبه للاستمداد منه ﷺ، اذ من المعلوم المقرر عند أهل القلوب، المكاشفين بحقائق العوارف والغيوب، انه حرام على قلب شغل بقاذورات الدنيا من الشهوات والارادات ان يصل إليه من ذلك المدد النبوى شىء، بل ربما يخشى عليه من الوقوف بين يديه ﷺ و هو ممتلىء بتلك القاذورات من نوع مقت أو اعراض منه ﷺ و العياذ بالله. فليجتهد في ذلك كله بالتفريغ ما امكنه، و ليلاحظ مع ذلك الاستمداد من سعه عفوه عنه و عطفه و رافته ان يسامحه فيما عجز عن ازالته من قلبه، فبسبب الصدق في ذلك يرجى له عدم عقابه، والتجاوز عن تقصيره، حقق الله سبحانه و تعالى لنا وله ذلك بمنه و كرمه آمين يا رب العالمين.

العاشره: ينبغى له أيضاً ان يستحضر ما قدمناه في الفصل الثانى من حياته المكرمه في قبره المكرم، و انه يعلم بزائريه على اختلاف درجاتهم و احوالهم و قلوبهم و اعمالهم، و انه ﷺ يمد كلا منهم بما يناسب ما هو عليه، و انه خليفه الله الذى جعل خزائن كرمه وموائد نعمه طوع يديه و تحت ارادته، يعطى منهما من يشاء و يمنع من يشاء، و انه لا يمكن أحدا ان يصل إلى الحضره العليه من

غير طريقه، و ان من سوّلت له نفسه اللعينه شيئا من ذلك كان سببا لحرمانه، و قبيح قطيعته و خسرانه، و من ثم رآه ﷺ بعض الصالحين في النوم، فقال له يا رسول الله ما تقول في ابن سينا؟ قال ﷺ: ذلك رجل اراد ان يصل إلى الله من غير طريقى فقطعته، و يشهد لذلك ان المحققين على كفره و دوام شقاوته.

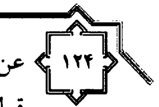
تنبيه: يتعين عليه اى الزائر أو المصلى في مسجده ﷺ من أهل المدينة و غيرهم ان يزيل ما امكنه ازالته من منكر رآه، لا سيما اذا كان فيه ترك الادب معه ﷺ مما يؤدى إلى محظور، فان من علامات المحبة غيرة المحبّ على المحبوب. فان اقوى الناس ديانة اعظمهم غيرة، و ما خلا عن الغيرة أحد الا لخلوه عن المحبه و امتلائه بالمخالفه، فيخشى على من لم يكن عنده غيرة و لا ازالة منكر إذا امكنه الحرمان والقطيعه والخسران، اعاذنا الله تعالى من ذلك بمنه كرمه آمين.

الفصل السابع:

ما ينبغي للزائر فعله بالمسجد النبوي حتى سفره لبلاده

وفيه مسائل:

الاولى: يسنّ له عند وصوله باب المسجد ان يقدّم رجله اليمنى أو بدلها، و ان يقول حينئذ: «**اعوذ بالله العظيم و بوجهه**» أي ذاته «الكريم و سلطانه القديم من الشيطان الرجيم بسم الله والحمد الله و لا حول و لا قوه الا بالله. ماشاء الله لا قوه الا بالله، اللهم صلّ على محمد و آل محمد وصحبه و سلم. اللهم اغفر لى ذنوبى و افتح لى ابواب رحمتك». زاد بعضهم: (ربّ وفقنى و سدّدنى و اصلحنى واعنّى على ما يرضيك عنى، و منّ علىّ بحسن الادب في هذه الحضره الشريفة. السلام عليك ايها النبىّ و رحمة الله و بركاته. السلام علينا و على عباد الله الصالحين)، و اذا خرج قدّم رجله اليسرى أو بدلها. و قال هذا الا انه يقول: (افتح لى ابواب فضلك، و أدلة ذلك أي هذا الذكر احاديث صحيحة و غيرها بينتها في (شرح المشكاة) مع بيان حكمة ذكر الرحمه في الدخول والفضل في الخروج، و حاصلها انّ المساجد محالّ رحمة الحق تعالى لعباده رحمة مخصوصة تناسب قصدهم و عبادتهم. فطلب تلك الرحمه الخاصه عند دخولها، و أمّا الخروج منها فهو إلى محالّ الاسباب والاكساب التى بها تحصل الارزاق والغنى



عن الناس. فهذا من مظاهر الفضل التى تفضل الله بها على عباده. كما يدل عليه قوله سبحانه و تعالى ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللهِ﴾[١] فيسأل عند التوجه اليها ليفاض عليه منه ما يتوفر به خشوعه و انقطاعه إلى الله تعالى.

ومن أدلة ذلك الذكر ما جاء بسند حسن لكنه غير متصل انه ﷺ كان اذا دخل المسجد صلى على محمد و سلم ثم قال: **«اللهم اغفر لى ذنوبى و افتح لى ابواب رحمتك»**، و اذا خرج صلى على محمد و سلم ثم قال: **«اللهم اغفر لى ذنوبى و افتح لى ابواب فضلك»**.

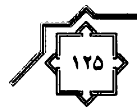
وصح من طرق **«اذا دخل احدكم المسجد فليسلم على النبىّ ﷺ ثم ليقل: اللهم افتح لى ابواب رحمتك، و اذا خرج من المسجد فليسلم على النبىّ ﷺ ثم ليقل: «اللهمّ افتح لى ابواب فضلك»**.

و في رواية ضعيفة **«كان ﷺ اذا دخل المسجد قال: بسم الله صلى اللهّ على محمد، و اذا خرج قال: بسم الله صلى الله عل محمد»**، و في أخرى **«اذا دخل أحدكم المسجد فليسلم على النبىّ ﷺ و ليقل: اللهم افتح لي أبواب رحمتك، و إذا خرج فليسلّم على النبي ﷺ، و ليقل: «اللهم اعصمنى من الشيطان»**. قال الحاكم صحيح على شرط الشيخين، وردّ بانّ علة خفيت عليه لكنه حسن لشواهده، وورد في: السلام عليك ايها النبىّ الخ حديث و ينبغى سنه كالذى قبله لكل داخل لهذا المسجد النبوى و ان كان من أهل المدينة.

الثانيه: قال بعضهم: ينبغى له آن يقف حينئذ بالباب وقفه لطيفه كالمستاذن في الدخول على العظماء انتهى. و فيه نظر اذ لا اصل لذلك و لا حال ولاادب يقتضيه، و كذا قول بعضهم: ينبغى له ان يستحضر بقلبه وكليته انّ هذا المسجد

---

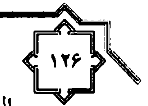
١ . الجمعة: ١٠.



مهبط ابى الفتوح جبريل، و منزل ابى الغنائم ميكائيل، و مردود أيضاً بانه لم يثبت تكنية هذين الملكين بما ذكر في حديث صحيح و لا اثر صحيح و لا نزول ميكائيل على النبىّ ﷺ بالمدينة الشريفة.

الثالثه: قال الجمال الطبرى ـ كامامه المحبّ الطبرى ـ ينبغى ان يكون الباب الذى يقصد الدخول منه باب جبريل لانه ﷺ كان يدخل منه انتهى. وان جلالته قاضيه بانه لم يعلل بما ذكر الا بعد اطلاعه على ما يدل له، و ظاهر تخصيص هذا الباب بهذه التسميه التى كاد التواتر ان يشهد بها يدل لما قاله، و منه ان الباب الذى وقف فيه جبريل لما اتى آمراً باغزاء بنى قريظه على فرس ابلق و على راسه اللأمة حتى وقف بباب الجنائز، هو هذا الباب المسمى بباب جبريل اليوم اذ تواتر تسميته بذلك على ألسنة أهل المدينة جيلا بعد جيل يدل لذلك، ووجود منفذ للمسجد في زمنه ﷺ غير هذا الباب لا ينافى ما ذكر، نعم سكوت الأئمة عن تعيين باب قاض استواء الكل، و بأن الآتي من جهة لا يكلف إلى التحوّل لغيرها، و يمكن الجمع بأن هذا لبيان اصل الفضيلة، و ما مرّ في كلام الطبرى بيان لاعلاها. لكن ان سلم له انّ تسمية ذلك بباب جبريل تقتضى دخوله منه ـ و هو قابل للنزاع فقد يكون سمى به لكونه وقف به في مجيئه لاغزاء بنى قريظه، و ان يقال انّ فعل جبريل لا نؤمر باتباعه فيه، و هو قابل للنزاع أيضاً، و كلام ائمتنا في الاصول مصرّح بانّ الملك لا يقتدى بمجرد فعله ـ فلم يتمّ للطبرى على افضليه دخول الجائى أو غيره من باب جبريل بخصوصه شىء البته.

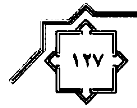
الرابعه: يسنّ له ان يقصد الروضه المقدسه فان دخل من باب جبريل قصدها من خلف الحجره مع ملازمه الهيبه والوقار و ملابسة الخشيه والانكسار والخضوع والافتقار.



ثم يبدأ بتحية المسجد ركعتين خفيفتين قبل يقرأ في الاولى الكافرون و في الثانيه الاخلاص، والافضل ان يكون بمصلاه ﷺ الذى كان يصلى فيه حتى توفى ﷺ و كانت له علامات ذكرها الأئمة في كتبهم، و قد ازيلت و جعل الآن علامة عليه المحراب الذى يصلى فيه امام الشافعيه و لكن فيه انحراف عنه فليتحرّ الواقف الطرف الغربىّ من ذلك المحلّ المرخم الذى هو شبه حوض امام ذلك المحراب بحيث يصير ذلك المحراب عن يساره فهذا هو محلّ موقفه الشريف للصلاة فان لم يتيسر له فما قرب منه مما يلى المنبر من الروضه ثم ما قرب منها.

و إنّما قدمت التحيه على زيارته ﷺ لما رواه مالك عن جابر رضي الله عنه قال قدمت من سفر فجئت رسول الله و هو بفناء المسجد فقال: **«ادخلت المسجد وصليت فيه؟قلت: لا.قال:فاذهب فادخل المسجد وصلّ فيه ثم ائت سلّم عليّ»** و به يعلم ردّ قول بعضهم محلّ البداءه بالتحيه إن لم يمر أمام الوجه الشريف والا بدأ بالزيارة أهـ، بل الأكمل البداءة بالتحية مطلقا، و عند المرور امام الوجه الشريف ينبغى ان يقف وقفه لطيفه و يسلم ثم يتنحى و يصلى ثم يأتي للزيارة الكامله، هذا ما دل عليه الحديث المذكور فخلافه لا يعوّل عليه، و إنّما كانت التحيه بالموقف الشريف افضل مطلقا اتباعا له ﷺ فانه لم يفرده بالقصد من بين سائر بقاع المسجد مع استمراره على ذلك إلى ان توفاه الله تعالى الا لسرّ عظيم، و من ثم كان احبّ موضع لكلّ صلاة في ذلك المسجد ما لم يعارضه فضيلة الصف الاول و ما يليه. فالتقدّم إليه افضل. خلافا لما أشارإليه الزركشى.

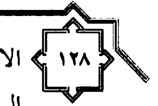
و محل سنّ الاشتغال بالتحيه، ان لم ير جماعة تسنّ الصلاة معهم، أو يخف فوت نحو مكتوبة و الا قدّم ذلك ودخلت التحيه في ضمنه ـ اى بالنسه لسقوط طلبها ان لم ينوها، والا اثيب عليها كما هو مقررّ في محله من شرح العباب و غيره.



الخامسه: يسنّ له اذا فرغ من صلاة التحيه أو ما يقوم مقامها ان يشكر الله سبحانه على هذه النعمه العظيمه ثم يساله سبحانه و تعالى اتمام ما قصده و قبول زيارته.

تنبيه: هذا الشكر يكون باللسان والقلب لا بالسجود، و أمّا قول الجمال الطبرى انه يسنّ له بعد فراغ التحيه ان يسجد لله سبحانه شكرا ففيه نظر ظاهر، لانه ليس قياس مذهبنا، إنّما هو مذهب الحنفيه، بل قياس مذهبنا حرمة ذلك، لان الأصح عندنا ـ خلافا لجمع ـ انه يحرم التقرّب إلى الله سبحانه بالسجود بلا سبب، و شروط سجده الشكر المذكوره في المجموع و غيره ـ و ان خالف في بعضها و بعض المتاخرين ـ لم توجد. اذ منها ان تفاجئه النعمه من حيث لا يحتسب، و هذه ليست كذلك كما هو ظاهر. لانّ حصوله في هذا المحلّ ناشى عن فعله و سفره المقتضى لترتب ذلك الحصول غالبا ان لم يكن دائما فهو من حيث يحتسب، و ليس مثله سجود الصدّيق ﵁ شكراً لفتح اليمامه لتصريحهم بان النصر على العدوّ مما يسجد له، لانه من حيث لا يحتسب. اذ تسببه فيه و توقعه له لا يقتضى حصوله. اذ كم من فئه قليله غلبت فئه كثيره، و كذلك تسببه في حصول الولد لا يقتضى حصوله، و قد حررت ذلك كله بعون الله سبحانه في شرح العباب و غيره ردّا لما توهمه بعض المتاخرين ويلزم الجمال الطبرىّ من سجده الشكر للحاج أو المعتمر عند رؤيته الكعبه الشريفة و نحو ذلك، و لم ينقل ذلك عنه ﷺ و لا عن أحد من اصحابه مع انّ مثله تتوفر الدواعى على نقله لو فعل.

(السادسه) يسنّ له بعد ذلك ان يأتي القبر المكرّم. قال بعضهم والاولى له ان ياتيه ﷺ من جهة ارجل الصحابة لانه ابلغ في الادب من الاتيان من راسه المكرم.. انتهى. و هو محتمل ان سلمت له علته هذه انّ ذلك ابلغ في الادب من



الاتيان من جهة راسه المكرّم والظاهر خلافه. فقد مرّ عن بعض اكابر من أهل البيت ما يدل على انّ قصد راسه الشريف بالبداءه أولى وقول ابن عمر رضي الله عنهما السابق (من السنّة ان يؤتى القبر الشريف من القبله) الخ صريح فيما ذكرته و حررّته. فاستفده افادك الله تعالى و ارشدك لاتباع السنّة المنيفة.

(فان قلت) هل يمكن ان توجه تلك المقاله بانّ المجيء من جهة ارجل الشيخين رضي الله عنهما فيه استشفاع بهما إليه ﷺ و توسل بهما إلى قبول زيارته.

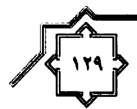
(قلت) ليس في مجرّد الاتيان من تلك الجهه التى الكلام فيها شى من ذلك. على انّ البداءه بالراس المكرّم ايثار الاشرف فالاشرف بالتقديم، فكان هذا هو الأحق بالمراعاه من غيره والاليق بالادب فتامّله.

(السابعه) يسنّ له اذااتى القبر المكرّم ان يستدبر القبله و يستقبل الوجه الشريف و كان لذلك علامات ذكرها الأئمة في كتبهم، و قد انمحت و بقيت العلامة الان مسمارا من فضه مموّها بذهب في رخامه حمراء و هو امام الوجه الشريف. فمن استقبل ذلك المسمار كان مستقبلا للوجه الشريف.

(تنبيه)

الافضل استقبال الوجه الشريف

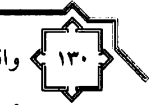
ما ذكرناه من انّ الافضل استدبار القبله و استقبال الوجه الشريف المكرّم هو مذهبنا و مذهب جمهور العلما، و قال آخرون: الافضل استقبال الكعبه، و نقل عن ابى حنيفه رحمه الله، لكن نقل عنه أيضاً موافقة الاوّل، وانتصر له المحقق الكمال ابن الهمام فقال: و ما نقل عن ابى حنيفه انه يستقبل القبله مردود بما رواه في مسنده عن ابن عمر رضي الله عنهما انه قال (من السنّة استقبال القبر المكرّم و جعل الظهر للقبله). و سبقه لذلك ابن جماعة منا فنقله عن مذهب الحنفيه، وردّ قول



الكرمانيّ منهم بالثانى و من تبعه و انه ليس بشى، انتهى. و يستدل للاول باننا متفقون على انه ﷺ حيّ في قبره يعلم بزائره و هو ﷺ لو كان حيا لم يسع زائره الّا استقباله و استدبار القبله، و اذا اتفقنا في المدرّس من العلماء بالمسجد الحرام المستقبل على انّ طلبته يستقبلونه و يستدبرون الكعبه فما بالك به ﷺ فهو أولى بذلك قطعا، و سياتى قول مالك للمنصور، و ان كان في غير ما نحن فيه و قد سأله: ااستقبل القبله و ادعو ام استقبل رسول الله ﷺ؟ قال: ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة ابيك آدم إلى يوم القيامة؟ و نقل المطوعيّ عن السلف انهم كانوا قبل ادخال الحُجَر في المسجد يقفون في الروضه مستقبلين راسه الشريف، وصح انهم كانوا يقفون على باب البيت يسلمون ـ اى لتعذر استقبال الوجه الشريف حينئذ، ثم لما دخلت حجر ازواجه ﷺ و رضى الله عنهنّ في المسجد اتسع ما امام الوجه الكريم فوقفوا فيه مستقبلين له ﷺ مستدبرين القبله، و هذا شاهد صدق لما مرّ عن الجمهور، واذا سنّ استدبارها في الخطبه لاجل السامعين فلاجله ﷺ أولى و أحرى.

(الثامنه) ينبغي له اذا استقبل الوجه الشريف ان يكون واقفا، فذلك افضل من جلوسه كما اقتضاه كلامهم و هو ظاهر. اذ هو الماثور بل والادب و من خُيّر بينهما ـ كابى موسى الاصفهانى و نقله عنه النووىّ في مجموعه و سكت عليه ـ لعله اراد استواءهما في اصل الجواز، ثم رايت كلام المحدثين يوافق ما ذكرته، و هو: ثم يجلس ان طال القيام به ليكثر من الصلاة والتسليم عليه، و الاولى ان يجلس مفترشا أو متورّكا أو جاثيا عل ركبتيه، فانّ ذلك اليق بالادب معه ﷺ من التربيع و نحوه.

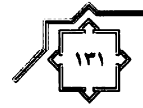
(التاسعه) يسنّ له اذا وقف أو جلس ان ينظر إلى الارض أو إلى اسفل ما يستقبله من جدار القبر، وان يغض طرفه عما احدث ثَمّ من الزينه، و عمن هو



واقف ثَمّ، و ان يكون في مقام الهيبه والاجلال، فارغ القلب من علائق الدنيا، مستحضرا بقلبه جلالة موقفه و منزلة من هو بحضرته، و انه ﷺ حيّ في قبره، و انه ناظر إليه و مطلع عليه، و انه ﷺ ربما اطلعه الله سبحانه و تعالى على قلبه و ما فيه، ومن استحضر ذلك حق الاستحضار تخلّى عند الوقوف ثمّ عن كل تعلق، و تحلى بكل كمال و تخلق.

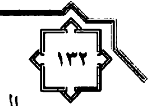
(تنبيه) كان يقع في نفسى ترددّ في انّ الأولى في حال الزيارة في غير وقت الدعاء وضع اليمنى على الشمال كما في الصلاة أو ارسالهما لان الصلاة امتازت عن غيرها بامور انفردت بها، و أيضاً فهى وظيفه متعلقه بسائر الاعضاء، فميّز كل عضو بحاله مخصوصه فيها عن غيره. الا ترى ان اليدين لهما حالات مختلفات عند النيه، و في القيام والركوع والاعتدال والسجود والجلوس، و اذا علم انّ الزيارة ليست مثلها لما ذكر اتجه انّ الاولى إرسالهما، ثم رايت الكرمانى الحنفىّ قال: يضع يمينه على شماله كالصلاة، انتهى. و قد علمت وضوح الفرق بينهما فالاوجه الثانى.

(فان قلت): تخصيصهم ذلك الوضع بالقيام فيها يدل على انه الادب في كل قيام، (قلت): لاتتم تلك الكليه. اذ لا يقاس بالأدب اللائق بالصلاه غيره. على ان الارسال فيها لا بأس به كما قاله الشافعىّ ﵀. بل قال مالك انه الأولى، و انّ ذلك الوضع خلاف الأولى أو مكروه ـ اى لانه عبث لا ادب فيه. لكن ما قاله مخالف للسنة الصحيحة و لعله لم يطلع عليها، و ليس بعبث بل له حكمة واضحة جلية هي أنّ ذلك الوضع يستلزم كون الإمساك محاذياً للقلب فيتذكر به أنّه لا يمسك كذلك الا الشيء النفيس، ثم ينتقل إلى انه لا انفس من القلب، فيمسك عن الخواطر التى تطرقه المزيله لنفاسته والموجبه لخساسته، فيتذكر بذلك الامساك الحسىّ، الامساك المعنوى الذى هو روح الصلاة و سرّها

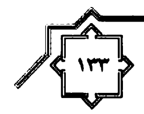


المقصود منها، و عند النظر لهذا اللائق فى هذا المقام أيضاً يقوى ما قاله الكرمانىّ فتامله فانه مهمّ.

(العاشره) اختلف العلماء: هل الاولى هو القرب من القبر المكرّم أو البعد عنه؟ و على الثانى: فهل الاولى البعد عنه بنحو اربعه اذرع كما في ايضاح النووىّ أو ثلاثه اذرع كما عبر به ابن عبد السلام؟ والذى في كتب غير واحد من المالكية: القرب أولى، والمعتمد عندنا: البعد أولى، و قد ذكر النووىّ في ايضاحه انّ هذا من جمله الصواب الذى اطبق عليه العلماء كما يبعد عنه لو حضر في حياته ﷺ. اهـ و يؤيد ذلك قول ائمتنا: و يقرب زائر الميت منه كقربه منه حيا و حينئذ فيختلف ذلك باختلاف الاشخاص والاحوال، و قول الاحياء بعد بيان موقف الزائر بنحو اربعه اذرع: فينبغى ان تقف بين يديه كما وصفنا و تزوره ميتا كما كنت تزوره حيا، و لا تقرب من قبره الا ما كنت تقرب من شخصه الكريم لو كان حيا أهـ. فذكره كغيره نحو الاربعة الأذرع لبيان اقل مرتبة البعد، و طلب مزيد اظهار الادب في تلك الحضره الشريفة يقتضى ان الشخص كلما بعد أولى، فقول بعضهم انّ البعد بأربعة اذرع أو ثلاثه إنّما هو باعتبار ما كان ـ اى من انّ الناس كانوا يَصِلون لجدار القبر الشريف، و أمّا الان فقد جعل عليه ﷺ مقصوره بعيده عنه منعت الناس الزائرين من الوصول إليه أو إلى اقرب منه، فانما يقف الزائر خلف الشباك الحديد الشريف الذى في المقصوره الدائرة حول الحجرة الشريفة، فإن تمكن من داخل المقصورة فهو أولى، لانه موقف السلف، سواء قلنا يبعد بنحو ثلاثه اذرع أو بنحو اربعه اذرع، يردّ بما ذكرته سابقا من انّ البعد كلما زاد كان أولى، لأنه الأليق بالادب، و لانه الذى دلّ عليه كلامهم المذكور.



(الحاديه عشر) اذا وقف أو جلس ثم سلم لا يرفع صوته بل يقتصد فيقول: السلام عليك ايها النبيّ و رحمة الله و بركاته. السلام عليك يا رسول الله. السلام عليك يا نبى الله. السلام عليك يا خيرة الله. السلام عليك يا صفوة الله. السلام عليك يا حبيب الله. السلام عليك يا نبى الرحمه. السلام عليك يا هادى الامّه. السلام عليك يا بشير يا نذير يا ظهيريا ظاهر، السلام عليك يا ماحى يا عاقب يا رؤوف يا رحيم يا حاشر. السلام عليك يا رسول ربّ العالمين. السلام عليك يا سيد المرسلين. السلام عليك يا شفيع المذنبين. السلام عليك يا من وصفه ربه عز و جل بقوله تعالى ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ و بقوله عز من قائل ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾. السلام عليك يا خاتم النبيين. السلام عليك يا خير الخلائق اجمعين. السلام عليك يا قائد الغرّ المحجلين. السلام عليك و على آلك و أهل بيتك و ازواجك و صحابتك اجمعين، السلام عليك و على سائر الانبياء والمرسلين والملائكة المقربين و جميع عباد الله الصالحين. جزاك الله عنا يا رسول الله أفضل ما جزي نبياً و رسولاً عن أمته، وصلى الله عليك و سلم، كلما ذكرك ذاكر و غفلعن ذكرك غافل، افضل و اكمل و اطيب و اطهر و ازكى و انمى ما صلى على أحد من الخلق اجمعين، أشهد ان لا اله إلا الله وحده لا شريك له و اشهد ان محمدا عبده و رسوله و خيرته من خلقه، و اشهد انك قد بلغت الرسالة و اديت الامانه و نصحت الامه و اقمت الحجه و اوضحت المحجه، و جاهدت في الله حق جهاده. اللهم آته الوسيله و الفضيلة و الدرجه العاليه الرفيعه و ابعثه المقام المحمود الذى وعدته و آته نهايه ما ينبغى ان يسأله السائلون. اللهم صلّ على محمد عبدك و رسولك النبى الامّىّ و على آل محمد و ازواجه امّهات المؤمنين و ذرّيته وأهل بيته كما صليت على ابراهيم و على آل ابراهيم في العالمين، انك حميد مجيد، وبارك على محمد عبدك و رسولك النبي الأمي و على



آل محمد و أزواجه أمهات المؤمنين و ذريته و أهل بيته كما باركت على إبراهيم و على آل إبراهيم في العالمين، إنك حميد مجيد كما يليق بعظيم شرفه و كماله و رضاك عنه، و ما تحبّ و ترضى له، دائما ابدا، بعدد معلوماتك و مداد كلماتك و رضا نفسك وزنة عرشك افضل صلاة و اكملها و اتمها، كلما ذكرك و ذكره الذاكرون، و غفل عن ذكرك و ذكره الغافلون و سلم تسليما كذلك و علينا معهم.

و من عجز عن حفظ هذا أو ضاق وقته عنه اقتصر على بعضه. فيقول: السلام عليك يا رسول الله صلّى الله و سلّم عليك، و ذكر بعض علماء الشافعيه و غيرهم اوصافا كثيره غير ما مرّ، و اقتصرت منها على ما مرّ. لان اوصافه ﷺ لا تنحصر ـ مع شهرة اكثرها، فليذكر ما استحضر منها و ان طال بناء على ما عليه الاكثرون كما يأتي.

(الثانيه عشر) اختلف العلماء ﷺ هل الاولى التطويل كما ذكر أو الايجاز والاختصار؟

قال ابن عساكر: والذى بلغنا عن ابن عمر و غيره من السلف الاولين الثانى، انتهى. و مال إليه المحبّ الطبرى حيث قال: و ان قال الزائر ما مرّ من التطويل فلا باس به الا انّ الاتباع أولى من الابتداع، واستدلّ بقول الحليميّ: لو لا قال رسول الله ﷺ: لا تطرونى» لوجدنا فيما نثنى عليه به ما تكلّ الالسن عن بلوغ مداه. لكن اجتناب منهيه ﷺ خصوصا بحضرته أولى فليعدل عن التوسع في ذلك إلى الدعاء له والصلاة والسلام عليه، انتهى. و انت خبير بان المنهيّ عنه ليس مطلق الاطراء، بل اطراء مشابه لاطراء النصارى لعيسى من دعوى الالوهيه و نحوها، والاولى ما قاله النوويّ و غيره تبعا لاكثر العلماء من التطويل. نعم هنا تفصيل لابدّ منه فهو الاولى و هو: انّ القلب مادام حاضرا



مستحضرا لما مرّ من الهيبه والاجلال صادق الاستمداد والذله والانكسار فالتطويل أولى، و متى فقد ذلك فالاسراع أولى والله اعلم.

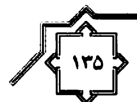
(الثالثه عشر) يسنّ له اذا اوصاه أحد بالسلام على رسول الله ﷺ ان يقول: السلام عليك يا رسول الله من فلان بن فلان، أو فلان بن فلان يسلم عليك يا رسول الله أو نحوه من العبارات.

(فان قلت) يشكل على تصريحهم بسنية هذا قولهم لو امر انسان آخر بالسلام له على غيره وجب عليه ـ اى ان لم يصرّح بعدم القبول كما هو ظاهر ـ ان يسلم عليه منه، و يجب على المسلّم عليه الردّ بلسانه فورا كما لو كان المسلم حاضرا، و هو ﷺ حيّ في قبره فلِمَ لم يجب على من حمل سلاما عليه ان يسلم عليه نظير ما تقرّر في الحيّ.

(قلت) يفرق بينهما بان القصد بالسلام ابتداء وردّا من الأحياء التواصل و عدم التقاطع الذى يغلب وقوعه بين الأحياء، و حينئذ فارسال السلام للغائب القصد به مواصلته و عدم مقاطعته، و اذا كان هذا هو القصد به كان تركه مع تحمله تسببًا أووسيلةإلى المقاطعه المحرّمه التى من شانها ذلك والله اعلم وللوسائل حكم المقاصد، فاتجه تحريم ترك ابلاغ السلام، و أمّا ارسال السلام إليه ﷺ فالقصد منه الاستمداد منه، وعود البركه على المسلمين، فتركه ليس فيه الا عدم اكتساب فضيلة للغير، فلم يكن لتحريمه سبب يقتضيه. فاتجه انّ ذلك التبليغ سنّة لا واجب.

(فان قلت): صرّحوا بان تفويت الفضائل على الغير حرام كازاله دم الشهيد و كازاله خلوف الصائم بعد الزوال.

(قلت): هذا اشتباه اذ يوجد فرق واضح بين عدم اكتساب الفضيلة للغير، و تفويت الفضيلة الحاصله على الغير. فمن ثم حرم هذا التفويت، ولم يحرم ترك ذلك الاكتساب فافهم ذلك.



(الرابعه عشر) يسنّ له بل يتأكد عليه اذا فرغ من السلام على رسول الله ﷺ ان يتاخر إلى صوب يمينه قدر ذراع للسلام على خليفه رسول الله ﷺ ابى بكر الصديق رضي الله عنه و كرّم وجهه، لان راسه عند منكب رسول الله ﷺ. فيقول: السلام عليك يا ابا بكر صفي رسول الله و خليفته، و ثانيه في الغار، و من لولاه لما عبد الله بعد محمد ﷺ. جزاك الله عن امة رسول الله ﷺ خيرا و رضى عنك و ارضاك، ثم يتاخر إلى صوب يمينه أيضاً قدر ذراع للسلام على سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه، لأن راسه عند منكب ابى بكر فيقول السلام عليك يا عمر، يا من اعز الله به الاسلام، جزاك الله عن امّة نبيه محمد ﷺ خيراو رضى عنك و ارضاك. و هذه صوره القبور الثلاثه الكريمة على الاصح المذكور و عليه الجمهور.

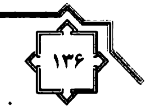
عمر الفاروق رضي الله عنه

ابوبكر الصديق رضي الله عنه

نبى الله محمد ﷺ

مع انى اخترت وضعها على هذه الكيفيه لانها المطابقه للواقع عند توجه الزائر اليهم، كما عند النظر الان إلى صورهم، و قيل صفتها على غير هذه الكيفيه، و ذكر لذلك المؤرخون كيفيات كثيره اعرضت عنها لطولها وعدم الاحتياج اليها بالنسبة لمن يريد الوقوف على اصح الاقوال.

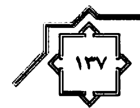
و مما يدلّ لذلك الاصح ما صح عن القاسم بن محمد بن ابى بكر الصديق رضي الله عنهم قال: دخلت على عائشه رضي الله عنها فقلت: يا امّه اكشفى لى عن قبر النبىّ ﷺ و صاحبيه فكشفت عن ثلاثه قبور لا مشرفه و لا لاطئه مبطوحه ببطحاء العرصه الحمراء. فرايت رسول الله ﷺ مقدما و ابابكر راسه بين كتفى رسول الله ﷺ، و عمر عند رجلى النبىّ، اى تقريبا لانه اذا نزل لكتفى ابى بكر الصديق راسه عند منكبه ﷺ كان، اعنى عمر، قريبا لرجليه ﷺ والله اعلم.



(تنبيه) ما ذكر من إفراد كلّ من الشيخين بالسلام هو ما درج عليه ائمتنا فهو الاولى والأفضل، و قال بعض المالكيه يقول: السلام عليكما يا صاحبى رسول الله ﷺ. إلى آخره. و لا شك ان هذا مفضول، ولو قيل انه بعد السلام على كلّ منهما قبل وصوله إلى امام الوجه الشريف يتوجه اليهما مستشفعا بهما إليه ﷺ ليقبله و يشفع له عند ربه سبحانه و تعالى لكان متجهًا، و ان لم ار من ذكر ذلك لانه ـ لعزة حضرته ﷺ ـ اقتضى قصور اكثر الناس عند الاستمداد منها الا بواسطه صدق، و لا واسطه اليها اعظم منهما رضى عنهما فكان التمسك بهما اقرب إلى حصول المقصود.

(الخامسه عشر) يسنّ اذا فرغ من السلام على الشيخين ان يرجع إلى موقفه الاوّل قبالة وجه رسول الله ﷺ، و يتوسل به في حق نفسه و يستشفع به ﷺ إلى ربه سبحانه و تعالى له و لاحبابه، قال اصحابنا و غيرهم منأهل المناسك من جميع المذاهب: و من احسن ما يقول ما جاء عن محمد العتبيّ ـ روى عن ابن عيينه وعدّه بعضهم في مشايخ الشافعى رحمه الله ـ قال: كنت جالساً عند قبر رسول الله ﷺ فجاءه اعرابى فقال: السلام عليك يا رسول الله سمعت الله تعالى يقول، و فيرواية: يا خير الرسل ان الله انزل عليك كتابا صادقا قال فيه: **﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّاباً رَحِيماً﴾** و قد جئتك مستغفرا من ذنبى مستشفعا بك يا رسول الله ﷺ إلى ربى عزّ و جلّ و في رواية: و انى جئتك مستغفرا ربك عزّ و جلّ من ذنوبى ثم بكى و انشا يقول:

يا خير من دفنت بالقاع أعظمه	فطاب من طيبهنّ القاع
نفسي الفداء لقبر انت ساكنه	فيه العفاف وفيه الجود والكرم



قال: ثم استغفر و انـصرف فحملتنـى عينـاى فرايـت النبـىّ ﷺ في النـوم فقال: يا عتبىّ ألحق الاعرابى فبشره بان الله تعالى قد غفر لـه. فخرجـت خلفـه فلم اجده، وروى بعض الحفاظ عن ابى سعيد السمعانىّ انه روى عن علىّ كرّم الله وجهه انهم بعد دفنه ﷺ بثلاثه ايام جاءهم اعرابىّ فرمى نفسه علـى القبر الشريف على ساكنه الصلاة والسلام وحثا من ترابه على راسه و قال: يا رسول الله قلت فسمعنا قولك، ووعيت عن الله سبحانه و تعالى و مـا وعينـا عنـك، و كان فيما انزل الله عليك قولـه تعـالى: ﴿وَلَـوْ أَنَّهُـمْ إِذ ظَلَمُـوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُـولُ لَوَجَـدُوا اللهَ تَوَّابـاً رَحِيـماً﴾ و قـد ظلمـت نفسى وجئتك تستغفر لى إلى ربى. فنودى من القبر الشريف انه قد غفر لـك، و جاء ذلك عن علّى أيضاً من طريق أخرى.

ويؤخذ من ذلك انه يتأكد تجديد التوبه في ذلك الموقـف الـشريف، و يـسال الله سبحانه تعالى ان يجعلها توبه نصوحا ويستشفع به ﷺ إلى ربه عز وجـلّ في قبولها و يكثر الاستغفار والتضرّع بعد تـلاوة هـذه الآيـة الكريمـة المـذكوره، و يقول: نحن وفدك يا رسول الله عليك و سـلّم وزوّارك، جئنـاك لقـضاء حقـك والتبرّك بزيارتك والاستشفاع بك مما اثقل ظهورنا واظلم قلوبنا، فلـيس لنـا يـا رسول الله شفيع غيرك نؤمله و لا رجاء غير بابك نصله فاستغفر لنا و اشفع لنـا عند ربك، و اساله ان يمنّ علينا بسائر طلباتنا و يحشرنا في زمره عباده الصالحين والعلماء العاملين.

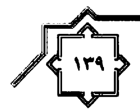
وجاء عن الاصمعىّ انه راى اعرابيا وقـف علـى القـبر الـشريف، و قـال: اللهم ان هذا حبيبك و انا عبدك، والشيطان عدوكّ فان غفرت لـى سرّ حبيبـك وفاز عبدك و غضب عدوّك، و ان لم تغفر لى غضب حبيبك و رضـى عـدوّك و هلك عبدك، و انت يا ربّ اكرم من ان تغضب حبيبك وترضى عدوك و تهلـك



عبدك، اللهمّ انّ العرب الكرام اذا مات فيهم سيد اعتقوا على قبره، و انّ هذا سيد العالمين اعتقني على قبره يا ارحم الراحمين. قال الاصمعيّ: فقلت له يا اخا العرب انّ الله تعالى قد غفر لك و اعتقك بحسن هذا السوال.

(السادسه عشر) يسنّ له اذا فرغ من الدعاء لنفسه ووالديه و مشايخه و من اوصاه من المسلمين من اخوانه بخيرى الدنيا والاخره امام الوجه الشريف ان يتقدم إلى راس القبر المكرم، و علامه جهه الراس الشريف الان صندوق مصفح بالفضه باصل الاسطوانه اللاصقه بحذاء القبر الشريف عند نهايه الصفه القريبه منه ﷺ مما يلى القبله في صف اسطوان السرير واسطوان التوبه الاتى بيانها. فيقف بين القبر والاسطوانه التى هى علم على جهه الراس الشريف فيجعلها عن يساره، و تكون الاسطوانه المقابله لها الملاصقه للمقصوره المستديره بالحجره الشريفة على يمينه، و يستقبل القبله و يحمد الله تعالى و يمجده بابلغ ما يمكنه، ثم يصلى و يسلم على نبيه محمد ﷺ ثم يدعو للنفسه بما احبّ و ما اهمه من خيرى الدنيا والاخره، و كذلك لوالديه و اولاده و اقاربه و احبابه المسلمين من الاحياء الاموات و إلى من اوصاه بالدعاء والسلام عليه ولسائر المسلمين، ثم يصلى و يسلم عليه ثم يدعو كذلك، ثم يصلى و يسلم عليه و يختم الزيارة.

(تنبيه اول) انكر العز بن جماعة هذا الموقف كالعود بعد السلام على الشيخين رضي الله عنهما إلى موقفه الاول محتجا بان واحدا منهما لم يرد عن الصحابة و لا التابعين. وردّ بانّ الدعاء هناك والتوسل به ﷺ له اصل عن السلف، والذى لم يفعل إنّما هو هذا الترتيب المخصوص و حكمته انّ في تاخر الدعاء والتوسل عن السلام على الشيخين حصول الجمع بين موقف السلف الذى كان قبل ادخال الحجره النبويه في المسجد لما لم يكن الاستقبال يتاتى لهم، فانه جاء انهم كانوا يقفون في جهه الراس الشريف، و بين موقفهم الثانى الذى كان بعد ذلك و هو



حسن. لانه ﷺ لما فرغ من دفن ابنه ابراهيم صلّى الله على نبينا محمد ابيه و عليه و سلم، قال عند راسه الكريم: السلام عليكم: و هو ظاهر في انّ السلام من جهه الراس الشريف.

(تنبيه ثان) ما ذكرناه من الاستقبال هنا في حالة الدعاء هو مذهبنا و مذهب جمهور العلماء، و مشى عليه بعض المالكية، مع كون مالك خالف في ذلك، فراى انّ الاولى إنّما يكون في حال الدعاء أيضاً مستقبلا للوجه الشريف، و قد سأله الخليفه المنصور فقال له: يا اباعبد الله ااستقبل القبله و ادعو ام استقبل رسول الله ﷺ فقال له مالك: و لم تصرف وجهك عنه؟ و هو وسيلتك ووسيله ابيك آدم إلى الله يوم القيامة. بل استقبله و استشفع به يشفعه الله فيك، و قال: قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ﴾.. الآية. و انكار ابن تيمية لهذه الحكايه عن مالك حتى لا يردّ عليه انكاره التوسل والتشفع به ﷺ من خرافاته و تهوّراته، كيف و قد جاءت عنه بالسند الصحيح الذى لا مطعن فيه، ولمالك قول: انه لا يقف امام الوجه الشريف للدعاء بل للسلام فقط و جُمع بين قوليه بانّ الاول ممن يعرف آداب الدعاء و شروطه و محظوراته، والثانى في الجاهل بذلك، لانه يخشى منه ان يأتي في حضرته ﷺ المعظمه بما لا ينبغى.

(خاتمه) في فوائد تتعلق بما مرّ لابأس بذكرها لتحفظ و تستفاد.

(اولاها) جاء السلام عليه عند قبره الشريف عن ابن عمر رضي الله عنهما و غيره من السلف. بل قال المجد اللغوىّ: السلام عليه عند قبره افضل من الصلاة عليه، اى: للاخبار السابقه في الفصل الثانى، و منها: «**ما من أحد يسلم علىّ عند قبرى الا ردّ الله على روحى حتى اردّ**»، انتهى. و يعارضه انه تعالى يصلى هو و ملائكته على المصلى عليه بدل الصلاة الواحده عشراً أو مائه على الروايه السابقه، و صلاة الله افضل من ردّه ﷺ، على أنّه مرّ أنّه ﷺ يردّ الصلاة عليه

كالسلام، فالاولى ان توجه افضليه السلام بانه شعار للقاء والتحيه، و حينئذ تختص افضليته بحالة اللقاء عند كل زيارة. أمّا اذا سلم سلام اللقاء فالصلاة بعده أولى من استمرار السلام، و ان كان باقيا في مقام الزيارة، و يدلّ لذلك صنيع العلماء فانهم لما ذكروا انّ الزائر يبدأ بالسلام ذكروا انه يختم بالصلاة عليه.

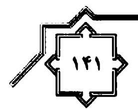
(ثانيتها) اخرج البيهقى عن ابن فديك قال: سمعت بعض من ادركت من الفضلاء يقول: بلغنا انه من وقف عند قبر النبى ﷺ فتلا قوله تعالى ﴿إِنَّ اللهَ وَمَلاَئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾[1] الآية ثم قال صلى الله على محمد و سلم، و في رواية «صلى الله عليك يا محمد» سبعين مرّه ناداه ملك: صلّى الله عليك يا فلان لم تسقط لك اليوم حاجة، و لا دليل فيه لجواز ندائه ﷺ باسمه، فقد صرّح ائمتنا بحرمة ذلك، و ظاهره انه لا فرق بين أن يتقدمه تعظيم له و ان لا، و هو ظاهر خلافا لمن بحث تخصيصه بالثانى، و ذلك لما في النداء بالاسم ـ و ان تقدّمه تعظيم كما هو جلّى ـ من ترك التعظيم. اذ مثله يقع من بعضنا لبعض، و ما تقدّمه لا نظر إليه لانقضائه، و قد قال تعالى ﴿لاَ تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضاً﴾[2] قال ائمتنا: و إنّما ينادى بنحو يا نبى الله يا رسول الله فقول الزين المراغىّ: الاولى لمن عمل بالاثر ان يقول يا رسول الله، وهم. بل الصواب انّ ذلك واجب لا أولى. و ظاهر قول شيخ الاسلام والحفاظ في فتح البارى[3] انه ﷺ و ان كان ذا اسماء و كنى لكن لا ينبغى ان ينادى بشيء منها، والكنيه كالاسم فيحرم النداء بها أيضاً، و يؤيده قول الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما: (كانوا يقولون يا ابا القاسم فنهاهم الله سبحانه و تعالى عن ذلك اعظاما

---

١ . الأحزاب: ٥٦.

٢ . النور: ٦٣.

٣ . لابن حجر العسقلانى.



لنبيه ﷺ فقال: قولوايا نبى الله يا رسول الله و هكذا)، قال مجاهد و سعيد بن جبير، و قال مقاتل: «لا تسموا اذا دعوتموه يا محمد و لاتقولوا يا بن عبد الله، و لكن شرفوه و قولوا يا نبى الله يا رسول الله»، و قال قتادة: «امر الله ان يهاب نبيه ﷺ و ان يبجّل، و ان يعظم و أن يسوّد ـ اى يقولوا سيدنا»، قال مالك عن زيد بن اسلم: «أمرهم سبحانه و تعالى أن يشرفوه». فهذه الآثار كلها دالة على أنّ الكنية كالاسم فيما ذكر، و لايعارض ذلك الحديث الصحيح الآتى في دعاء الحاجة «**يا محمد إنى متوجه بك إلى ربى**» لأنه ﷺ صاحب الحق فله أن يتصرّف كيف شاء و لا يقاس به غيره، و تعليم بعض الصحابة ذلك لغيره يحتمل أنها مذهب له، أو أنه رأى أن ألفاظ الدعوات و الأذكار يقتصر فيها على الوارد.

(ثالثتها) يكره إفراد الصلاة عن السلام و عكسه كما نقله النووىّ رحمه الله عن العلماء لورود الأمر بهما في الآية، و اعترض بما أجبت عنه في كتاب الدرّ المنضود و مما ورد في فضل السلام عليه ﷺ حديث الشجرة السابق و حديث: «**لما كانت ليلة أسرى بى ما مررت بشجرة و لا حجر إلا قال: السلام عليك يا رسول الله**»، و حديث «**أنى لأعرف حجراً بمكة كان يسلم عليّ قبل أن أبعث**»، وفى لفظ «**إنّ بمكة حجراً كان يسلم عليّ ليالى بعثت أنى لأعرفه إذا مررت عليه**» وفيه إيماء إلى ما اشتهر على ألسنة الخلق عن السلف: إنه الحجر البارز الآن بزقاق المرفق لأنه كان على ممرّه إلى بيت خديجة رضي الله عنها، وحديث «**علم جبريل رسول الله ﷺ كيف يتوضأ فتوضأ، ثم صلى ركعتين ثم انصرف، فلم يمرّ ﷺ على حجر و لا مدر إلا وهو يسلم عليه: يقول سلام عليك**».

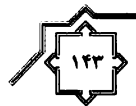
(رابعتها) اختلفوا في معنى الصلاة و السلام عليه على اقوال بينت حاصلها و ما فيها في (الدّر)، والحاصل أنّ الصلاة من الله سبحانه و تعالى هى الرحمة المقرونة بالتعظيم، ومن الملائكة و الآدميين سؤال ذلك فطلبا له ﷺ، و السلام



هو السلامة من المذام و النقائص. فمعنى اللهمّ سلم عليه: اللهمّ اكتب له فى دعوته و أمّته و ذكره السلامة من كلّ نقص فتزداد دعوته على ممرّ الأيام علوّاً، و أمّته تكاثراً، و ذكره ارتفاعاً و عدّى بعلى لأنّ المعنى قضى الله تعالى به عليك و قضاؤه تعالى إنّما ينفذ في العبد من أجل ملكه و سلطانه الذى عليه، فلإفادة «على» ذلك كانت أبلغ من «لك».

(خامستها) قدّم السلام على الصلاة هنا وفى التشهد في الصلاة عكس الآية لأنّ الغرض المقصود منها التعليم أو الإتيان بالمأمور، و ذلك يبدأ فيه بالأهم الأحق بالمعرفة و الفعل وهو الصلاة لأنها لعلوّ مقامها اختصت فيها بالله تعالى و ملائكته و لأنها تستلزم السلام بمعنى التحية و الدعاء بالسلامة، بخلاف السلام فإنّ من معانيه ما لا يتأتى في حق الله تعالى و ملائكته و هو الأذعان و الانقياد و حينئذ فهو لا يستلزم الصلاة فكان دونها في الرتبة، و مبنى الزيارة على أنه يبدأ فيها بالتحية كهي في حال الحياة و مبنى الصلاة ذات الأركان بل والزيارة أيضاً على أنه يترقى فيهما من الأدنى إلى الأعلى في كلّ مقام من مقاماتها كما بينته بالنسبة للصلاة في كتابى (الدرّ المنضود). وأمّا بالنسبة للزيارة فبيانه أن الزائر طالب و مستمد و متوسل و كلّ من هو كذلك إنّما يناسبه التدرّج في الأسباب الموصلة إلى ذلك بأن ينتقل من سبب أدنى إلى أرفع منه و هكذا حتى يحصل له مطلوبه و يتم له مرغوبه.

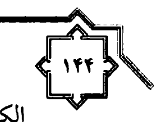
(سادستها) الصلاة منا على غير الأنبياء و الملائكة عليهم الصلاة و السلام إستقلالاً خلاف الأولى، لقول ابن عباس رضي الله عنهما «لا تنبغى الصلاة من أحد على أحد إلا على النبىّ صلى الله عليه وسلم»، وفى رواية عنه رضي الله عنه بلفظ: (ا تصلح) ولما جاء عن عمر بن عبد العزيز رحمه الله بسند حسن أو صحيح أنه كتب لعامله)أن ناساً من القصاص قد أحدثوا في الصلاة على خلفائهم و أمرائهم عدل صلاتهم على النبىّ صلى الله عليه وسلم فإذا جاءك كتابى هذا فمرهم أن تكون صلاتهم على النبيين خاصة،



و دعاؤهم للمسلمين عامة و يدعوا ما سوى ذلك)، وقيل: يجوز مطلقاً بلا كراهة، ونقل عن أكثر العلماء لما صح أنه ﷺ صلى على جماعة من الصحابة ﷺ، وردّ بأنّ هذا من تبرّع صاحب الحق به ـ و هو رسول الله ﷺ ـ على أصحابه، فلا يقاس به غيره، لا سيما و الصلاةعلى غير الأنبياء والملائكة استقلالاً لم تكن من الأمر بالمعروف و إنّما ابتدعت و أحدثت في دولة بني هاشم و لا عبرة بذلك، إذ لفظ الصلاة شعار للأنبياء ﷺ ولتوقيرهم و تعظيمهم، فلا يقال لغيرهم استقلالاً و إن صح معناه، و أيضاً فهو قد صار من شعار المبتدعة وقد نهينا عن شعارهم، وقيل: لا يجوز إلا على النبى ﷺ، وقيل: يجوز تبعاً ولا يجوز استقلالاً، و السلام كالصلاة فيما ذكر إلا إذا كان تحية لحاضر أو لحى غائب.

(سابعتها) ما ذكرته فيما مضى آخر الحادية عشر من كيفية الصلاة عليه ﷺ هو ما جمعت فيه بين الكيفيات الواردة جميعها. بل وبين كيفيات أخر استنبطها جماعة وزعم كل منهم أن كيفيته أفضل الكيفيات لجمعها الوارد، وقد بينت في الدرّ المنضود أن تلك الكيفية جمعت ذلك كله و زادت عليه بزيادات كثيرة بليغة، فعليك بالإكثار منها أمام الوجه الشريف بل ومطلقاً، لأنك حينئذ تكون آتياً بجميع الكيفيات الواردة في صلاة التشهد و زيادات.

وسئل الغزالى رحمه الله عن معنى صلاتنا عليه و صلاة الله تعالى ـ أى عشرا أو مائة على من صلى عليه واحدة، و عن معنى استدعائه من أمّته الصلاة منهم عليه ﷺ أيرتاح بذلك؟ فأجاب بما حاصله مع الزيادة عليه: معنى صلاة الله على نبيه و على المصلّين عليه إفاضة أنواع الكرامات ولطائف النعم و سوابغ المنن و الكرم عليه بحسب ما يليق به، و عليهم بحسب ما يليق بهم.



وأمّا صلاتنا و صلاة الملائكة عليه فمعناها السؤال و الابتهال في طلب تلك الكمالات و الرغبة في إفاضتها عليه.

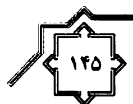
وأما استدعاؤه الصلاة من أمته فلثلاثة أمور:

أحدها: أن الأدعية مؤثرة في استدرار فضل الله سبحانه و تعالى ونعمته لاسيما في الجمع الكثير فإن الهمم إذا اجتمعت مع تخليتها عن النفس و الهوى اتحدت مع روحانيات ملائكة الملأ الأسفل لما بينهما من المناسبة الناشئة عن التخلي عن كدورات الشهوات، ومن ثم قلما يخطئ دعاء الجمع الذين هم كذلك، ولذا طلب ـ أى الجمع الكثير ـ في الاستسقاء وغيره.

ثانيها: ارتياحه ﷺ بذلك كما قال ﷺ: «**إنى أباهى بكم الأمم**»، كما يرتاح العالم في حياته بتلامذته الذين تمّ به فلاحهم و رشادهم، وصدقت منهم محبته وإجلاله على ذلك.

ثالثها: شفقته ﷺ على أمّته بتحريضهم على القربة بل القربات الكثيرة التى تجمعها الصلاة عليه كتجديد الإيمان بالله سبحانه ثم برسوله، ثم بتعظيمه ثم العناية بطلب الكرامات، ثم باليوم الآخر لأنه محلّ أكثر تلك الكرامات، ثم بذكر آله و أصحابه، وعند ذكر الصالحين تنزل الرحمة، ثم بتعظيم الله سبحانه ثم بسبب نسبته إليه، ثم بإظهار المودة له ولهم، ثم بالابتهال و التضرّع في الدعاء، ثم بالاعتراف بأن الأمر كله إليه سبحانه وتعالى وأنّ النبىّ ﷺ وإن جل قدره و لم يصل أحد لمرتبته عبد له سبحانه و تعالى محتاج إلى فضله و رحمته.

(ثامنتها) معنى أللهم: هي كلمة كثر استعمالها في الدعاء، وهى بمعنى يا الله فالميم عوض عن يا، ومن ثم لا يجمع بينهما إلا نادراً، ولا يقال: اللهم غفور بل اغفر، وجاء عن النضر بن شميل: من قالها فقد سأل الله بجميع أسمائه.



ومحمد: علم منقول من اسم المفعول المضعف لمن كثرت خصاله المحمودة، وقد كثرت بحمد الله عز و جلّ محامده حتى صار هو صاحب المقام المحمود الذى يغبطه فيه و يحمده عليه الأوّلون و الآخرون فجمعت له معانى الحمد و أنواعه، وجعل لواؤه ﷺ لواء الحمد، وهو اللواء الجامع الذى دخل تحته آدم ﷺ و من بعده من الأنبياء و الرسل وغيرهم ومما يدل على عظم موقع الحمد أنه سبحانه و تعالى يلهمه نبيه حين يخرّ ساجداً تحت العرش بعد أن فزع إليه أهل الموقف ليشفع لهم في فصل القضاء ليستريحوا مما اعتراهم من الزحمة الشديدة ومن العرق الذى كادت نفوسهم تزهق منه، فيفتح الله تعالى عليه بمحامد لم يعلمها قبل ذلك ثم يقول له الربّ: ارفع رأسك وسل تعط، و قل يسمع لك واشفع تشفع ولم يسمّ بأحمد أحد قبله ولا بمحمد، لكن لما شاع قبيل ولادته أن نبيّا يبعث اسمه محمد سمى قوم من العرب أبناءهم بذلك رجاء أن يكون هو، والله أعلم حيث يجعل رسالاته، وعدّتهم، أى الأبناء خمسة عشر على الأصح.

والأمّى نسبة للأم وهو من لا يكتب و لا يقرأ المكتوب، كأنه على أصل ولادة أمّه أو مثلها. إذ الغالب في النساء عدم الكتابة وقيل نسبته لأمّ القرى وهى مكة المشرفة لخلقه ﷺ منها و نشئه بها وغير ذلك، وكان عدم الكتابة معجزة له ﷺ مع ما أوتيه من العلوم التى لا حدّ لها و لا غاية، ووقوع الكتابة منه ﷺ في قصة الحديبية على الخلاف فيه معجزة له ﷺ.

(تنبيه حسن)

أمهات المؤمنين

في ذكر أزواجه ﷺ: خديجة فسودة فعائشة فحفصة فزينب بنت خزيمة الهلالية فأمّ سلمة فزينب بنت جحش فجويرية بنت الحرث المصطلقية فريحانة

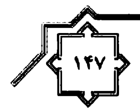
من بنى النضير أخوة قريظة فأمّ حبيبة بنت أبى سفيان فصفية الإسرائيلية فميمونة الهلالية فهؤلاء الاثنتا عشرة جملة من دخل بهنّ رضى الله تعالى عنهنّ، وعقد ﷺ على سبع ولم يدخل بهنّ، وجاء في رواية من روايات الصلاة ـ كما مرّ ـ وصفهنّ بأمهات المؤمنين، فيخرج من لم يدخل بها منهنّ لأن المقيد يقضى به على المطلق.

و الذريّة بضم المعجمة وقد تكسر: نسل الإنسان من ذكر أو أنثى وقد يخص بالنساء والأطفال ومنه ذرارىّ المشركين من الذرّ وهو الخلق سقطت همزته لكثرة الاستعمال، وقيل: من ذرّ: فرّق، وقيل: من الذرّ وهو النمل الصغير لأنهم خلقوا أوّلاً مثله وعليهما فلا همز فيه، ويدخل فيهم أولاد البنات إلا عند أبى حنيفة ؒ، وفى رواية عن أحمد ؒ، ومحلّ الخلاف في غير أولاد الزهراء ؓ و عنهم لإجماعهم على دخولهم في ذريّته ﷺ وسلّم خصوصية لهم.

والآل اصله: أهل أو أول ولا يضاف إلا إلى معظم كخبر «**حملة القرآن آل الله**»، وإنما قيل: آل فرعون لتصوره بصورة العظماء، ويضاف للضمير لا لغير العاقل ويدخل المضاف إليه في حكمه، كقوله ﷺ للحسن ؓ «**إنّا آل محمد لا تحلّ لنا الصدقة**» إلا بقرينة[1] كما لو ذكرا معاً نظير الفقراء والمساكين، والمراد بهم هنا عند الشافعىّ ؒ والجمهور: من حرمت عليهم الزكاة وهم مؤمنو بنى هاشم والمطلب وقيل: أزواجه وذرّيته، وردّ بالجمع بين الثلاثة، وفى رواية تدلّ على التغاير، وقيل ذرّية فاطمة ؓ وعنهم خاصة، وقيل ذرّية على والعباس وجعفر وعقيل وحمزة وبالغ بعضهم في الانتصار لهذا، وقيل: جميع قريش، وقيل جميع أمّة الإجابة، ومال إليه مالك، واختاره الأزهرىّ وبعض الشافعية ورجحه

---

١ . ورد فى مفتاح كنوز السنة.



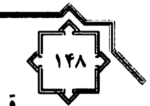
النووى في شرح مسلم لكن قيده القاضى حسين وغيره بالأتقياء منهم، وضعف بأن المراد بالصلاة عليهم الرحمة المطلقة، وهى تعمّ غير الأتقياء أيضاً، وخبر «آل **محمد كل تقى**» سنده واه جداً، وجاء عن جابر من قوله بسند ضعيف، والصلاة على الأصحاب معهم في غير تشهد الصلاة سنة بقياس الأولى، لأنهم أفضل من الآل غير الصحابة. فقول ابن عبد السلام ﵀: الأولى الاقتصار على الوارد ضعيف، وبين الآل و الأزواج عموم و خصوص من وجهه، وبين الذريّة والآل عموم و خصوص مطلق.

والبركة: النمو وزيادة الخير و الكرامة وقيل: التطهير من العيب، وقيل: دوام ذلك، ومنه بركة الماء لدوامه فيها، فمعنى (بارك على محمد) اعطه من الخير أوفاه، وأدم ذكره و شريعته وكثر أتباعه و عرفهم من يمنه و كرامته أن تشفعه ﷺ فيهم، وتحلهم دار رضوانك وعلى آله و أعطهم من الخير ما يليق بهم و أدم لهم ذلك.

وإبراهيم ﷺ هو ابن آزر كما نطق به القرآن الكريم، أو آزر عمه على ما أجمع عليه أهل الكتابين، و العم يسمى أبا، و آله: ذريّته من إسماعيل و إسحق ـ أى المؤمنون منهم.

والعالمون: جمع عالم و هو ما سوى الله سبحانه على الأصح، و لا واحد له من لفظه، وجمع لاختلاف أصنافه بالواو أوالياء أو النون تغليباً للعقلاء لشرفهم، وأشار بقوله (في العالمين) إلى اشتهار الصلاة والبركة على إبراهيم وآله فيهم، و انتشار شرفه و تعظيمه، وأن المطلوب لنبينا ﷺ صلاة وبركة يشبهان ذينك فيما ذكر.

والحميد: إمّا بمعنى محمود لجمعه أكمل صفات الحمد، أو حامد لأفعال عباده.

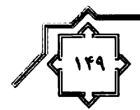


والمجيد: بمعنى ماجد أى كريم و ختم بهما لأنهما كالتعليل أو التذييل لما قبلهما. إذ معناهما أنه سبحانه و تعالى فاعل ما يستوجب به الحمد من النعم المترادفة التى لا تحد و لا تحصى. كريم بغايات الإحسان وكثرته إلى جميع عباده، فناسبا المطلوب قبلهما من طلب ثناء الله سبحانه وتعالى على نبيه و حبيبه و خليله و تكريمه بزيادة تقريبه.

وسبب إيثار سيدنا إبراهيم الخليل وآله المؤمنين عليهم الصلاة و السلام أن الله تعالى لم يجمع بين الرحمة والبركة إلا لهم بقوله عز و جلّ في سورة هود ﷺ ﴿رَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ﴾ وأنه أفضل الأنبياء بعد نبينا محمد ﷺ أو مكافأة لدعائه لهذه الأمة بقوله عز و جلّ على لسان سيدنا إبراهيم ﴿وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُم﴾[1] الآية ووجه التشبيه ـ مع ما عرف من أن المشبَّه دون المشبَّه به ـ ومحمد ﷺ أفضل من إبراهيم و آله ـ اختلفوا فيه على أوجه كثيرة بينتها مع ما فيها في «الدر المنضود»، ومن أحسنها ـ خلافاً لمن نازع فيه ـ قول إمامنا الشافعى رحمه الله: إنّ التشبيه راجع لآل محمد ﷺ فقط وأن الشبيه قد يكون بالأدون غيرها لنكتة كشهرته أو إظهار فضله، وهو من باب إلحاق ما لم يشتهر بما اشتهر، إذ لم تبق أمة إلا عرفت إبراهيم و نبوّته، ويؤيده خبر مسلم إذ فيه ذكر (في العالمين) بعد إبراهيم وآله دون نبينا محمد و آله، أو المراد تشبيه الأصل بالأصل أو المجموع بالمجموع وزيادة الترحم بدعة وإن ورد ذلك في أحاديث لأنها كلها واهية جداً إذ لا يخلو سندها من كذّاب أو متهم بالكذب، وزيادة(سيدنا) قبل (محمد) لا بأس بها، بل هى الأدب في حقه ﷺ وسلّم ولو في الصلاة ـ أى الفريضة كما بينته ثَمّ، وإفتاء ابن تيمية بتركها أطال بعض فضلاء الشافعية و الحنفية في رده و تزييفه.

---

١ . البقرة: ١٢٩.



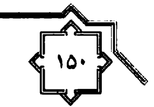
تاسعتها: صح فيالأحاديث«**فمن سأل الله لى الوسيلة حلت له شفاعتى يوم القيامة**»، وفى رواية «وجبت» أى بالوعد الصادق الذى لا تخلف له، وفى رواية «عليه» فحلت بمعنى نزلت، وفى رواية «**الشفاعة يوم القيامة**» وفيه بشرى عظيمة بالموت على دين الإسلام، إذ لا تجب الشفاعة إلا لمن هو كذلك، وشفاعته ﷺ لا تختص بالمذنبين، بل قد تكون برفع الدرجات وغيرها من الكرامات الخاصة كالإيواء في ظلّ العرش وعدم الحساب وسرعة دخول الجنة فسائل الوسيلة يختص بذلك أو بعضه. قيل: يشترط أن يقوله مخلصاً لا بقصد الثواب، وردّ بأنه تحكم غير مرضيّ، ولو أخرج الغافل اللاهى لكان أشبه، ويأتى جميع ذلك في الخبر السابق «**من زار قبرى وجبت له شفاعتى**».[١]

و بما تقرّر من أنّ شفاعته ﷺ لا تختص بالمذنبين، ردّ على من زعم أنه يكره أن يسأل الله أن يرزقه شفاعة نبيه ﷺ زاعماً أنها لا تكون إلا للمذنبين، وقد عرف بالنقل المستفيض سؤال السلف الصالح إياها، ورغبتهم فيها، على أنّ من شأن كل عاقل أن يعتقد أنه مذنب هالك إن لم يتداركه الله تعالى بعفوه و لطفه و إن كثر عمله، و يلزم هذا القائل أن لا يدعو بمغفرة و لا رحمة لأنهما على زعمه ذلك لا يكونان إلا للمذنبين وهو خلاف المعروف من دعاء السلف و الخلف.

وفائدة طلب الوسيلة ـ مع رجائه لها ورجاؤه لا يخيب ـ الإعلان بأن الله سبحانه و تعالى لا يجب عليه لأحد من خلقه شيء، وأنّ له عز وجلّ أن يفعل بمن شاء ـ وإن جلت مرتبته ـ ما شاء. ففى ذلك عظيم إظهار تواضعه وخوفه المقتضى لمزيد ترقيه و علوّه. فعلم أنّ فيه فائدة عليه ﷺ وعلينا خلافاً لمن حصر الفائدة في الثانية.

---

١ . ورد فى صحيح البخرى و سنن الترمذى.



تنبيه: الشفاعات الأخروية خمسة أنواع كلها ثابتة لنبينا ﷺ وبعضها يختص به دون غيره، وفيما شورك فيه يكون هو ﷺ المقدم على غيره. فالشفاعات كلها راجعة إلى شفاعته وهو صاحب الشفاعة على الإطلاق. فقوله «**وجبت له شفاعتي**» يصح أن يكون إشارةإلى النوع المختص به، أوإلى العموم، أوإلى الجنس لنسبة ذلك كله إليه. إذ الذى في الأحاديث أنه ﷺ يكون في ذلك اليوم إمام النبيين وصاحب شفاعتهم فكل ما صح من شفاعتهم ينسب إليه بذلك، فلا يخرج شئ عن شفاعته، لا من أنواع الشفاعة ولا من الأشخاص المشفوع لهم من ملته و من غير ملته، لأنه إذا كان صاحب شفاعة الأنبياء والكل تحت لوائه فتقديمهم للشفاعة وإجابة شفاعتهم إنّما هو إجابة له ﷺ، فكل شئ تقع شفاعة النبيين فيه هو داخل تحت شفاعة نبينا ﷺ ومن شفع فيه من المؤمنين كذلك بطريق الأولى، فهو ﷺ شفيع الشفعاء لا تخرج شفاعة عن حيطة شفاعته، وإنّما الشفعاء نوّابه في الحقيقة، وقد تميز عن جميعهم بشفاعات ليظهر ـ لا سيما في ذلك ـ سؤدده الأعظم على الكل صلوات الله عليه و عليهم أجمعين.

والوسيلة: هيى أعلى درجة في الجنة كما قاله ﷺ، و أصلها لغة: ما يتقرب به إلى الرب عز و جلّ أوإلى الملك أو السيد، وفى كتاب (شعب الإيمان) للخليل القصرى: ذكر في تفسير الوسيلة التى اختص بها نبينا ﷺ أنها التوسل، وأن النبى ﷺ يكون في الجنة بمنزلة الوزير من الملك بغير تمثيل ولا تشبيه، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، فلا يصل إليأحد شئ من العطايا والمنح ذلك اليوم إلا بواسطته، قال الإمام السبكيّ رحمه الله تعالى بعد ذكره ذلك: وإن كان كذلك فالشفاعة في زيادة الدرجات في الجنة لأهلها تكون خاصة به لا يشركه فيها غيره.



والمقام المحمود: هو الشفاعة العظمى في فصل القضاء لنبينا يحمده فيه الأولون و الآخرون، ومن ثم فسر في أحاديث بالشفاعة، و عليه إجماع المفسرين كما قاله الواحدى، وقيل: شهادته ﷺ لأمته و عليهم، وقيل: إعطاؤه لواء الحمد يوم القيامة، وقيل هو أن يجلسه الله سبحانه و تعالى على العرش، وفى صحيح ابن حيان «**يبعث الله الناس فيكسونى ربى حلة خضراء، فأقول ما شاء الله أن أقول**» أى من الحمد و الثناء «**فذلك المقام المحمود**»، ولا ينافى الأول لما هو ظاهر أن هذه الكسوة المشرفة له ﷺ علامة على الإذن له في الشفاعة العظمى.

قال القاضى: والذى يستخرج من جملة هذه الأحاديث أن مقامه المحمود هو كون آدم ومن دونه تحت لوائه يوم القيامة من أول عرصاتها إلى دخولهم الجنة، وإخراج من يخرج من النار، فأول مقاماته إجابة المنادى و تحميده ربه وثناؤه عليه، ثم الشفاعة من مزاحمة العرض وكرب المحشر، وهذا مقامه المحمود الذى يحمده فيه الأولون و الآخرون، ثم شفاعته لمن لا حساب عليه من أمّته، ثم لمن يخرج من النار حتى لا يبقى فيها من في قلبه مثقال ذرة من ايمان، ثم يتفضل الله سبحانه و تعالى بإخراج من قال لا إله إلا الله ومن لم يشرك بالله شيئاً ولا يبقى في النار إلا المخلّدون، و هذا آخر عرصات القيامة ومثاقل الحشر. فهو في جميعها له المقام المحمود بيده فيها لواء الحمد.

عاشرتها: ينبغى له أي الزائر بل يتأكد عليه أكثر من بقية المساجد أن لا يرفع صوته بمسجد رسول الله ﷺ. فقد ثبت أن المنصور أمير المؤمنين ناظر مالكاً فيه فقال له: يا أمير المؤمنين لا ترفع صوتك في هذا المسجد النبوى فإن الله تعالى أدّب قوماً فقال تعالى ﴿**لا تَرْفَعُوا أَصْواتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ**﴾[1] الآية، ومدح

---

١ . الحجرات: ٢.



قوماً فقال تعالى ﴿إِنَّ الَّذينَ يَغُضُّونَ أَصْواتَهُم عِنْدَ رَسُول الله﴾[1] الآية، وذمّ قوماً فقال تعالى ﴿إِنَّ الَّذينَ يُنادُونَكَ مِنْ وَراءِ الْحُجُرات﴾[2] الآية وإن حرمته ميتاً كحرمته حيّاً فاستكان لذلك المنصور. فانظر يا أخي هذا الأدب العظيم من الإمام مالك والمنصور ﷺ، وفى البخارى عن عمر بن الخطاب ﷺ أنه قال لرجلين من أهل الطائف: لو كنتما من أهل البلد لأوجعتكما. ترفعان أصواتكما في مسجد رسول الله ﷺ.

حاديّة عشرها: ينبغى له الإكثار من الصلاة و السلام عليه وإيثار ذلك على سائر الأذكار ما دام هناك أى بالمدينة المشرفة.

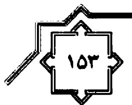
ثانية عشرها: قال ابن عساكر: وليحرص على المبيت في المسجد المنوّر المشرف ولو ليلة واحدة يحييها بالذكر والدعاء وتلاوة القرآن الكريم والتضرع إلى الله سبحانه، ويكثر من الحمد و الشكر له على ما أعطاه من ذلك، وإن أمكنه أن لا يفارق المسجد النبوى دائماً مادام بالمدينة المشرفة إلا لضرورة أو مصلحة راجحة فليغتنم ذلك، فإن فيه من الخيرات ما لا يحصى ومن المواهب والمنع ما لا يستقصى.

ثالثة عشرها: من خرافات ابن تيمية التى لم يقلها عالم قبله وصار بها بين أهل الإسلام مثلة أنه أنكر الاستغاثة والتوسل به ﷺ، و ليس ذلك كما أفتى، بل التوسل حسن في كل حال قبل خلقه وبعد خلقه في الدنيا و الآخرة.

جواز التوسل برسول الله ﷺ

فمما يدل لطلب التوسل به قبل خلقه وأن ذلك هو سيرة السلف الصالح الأنبياء و الأولياء و غيرهم ـ فقول ابن تيمية ليس له أصل من افترائه ـ ما

١ . الحجرات: ٣.
٢ . الحجرات: ٤.



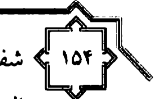
أخرجه الحاكم و صححه أنه ﷺ قال: «**لما اقترف آدم الخطيئة قال: يا رب أسألك بحق محمد ﷺ إلا ما غفرت لي، فقال الله يا آدم: كيف عرفت محمداً ولم أخلقه؟ قال يا رب لما خلقتني بيدك**» أي بقدرتك «**و نفخت في من روحك**» أي من سرّك الذي خلقته وشرّفته بالإضافة إليك بقولك ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾[1] «**رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوباً «لا إله إلا الله محمد رسول الله» فعلمت أنك لم تضف إلى إسمك إلا أحبّ الخلق إليك فقال له الله: صدقت يا آدم أنه لأحب الخلق إليّ إذ سألتني بحقه فقد غفرت لك، ولولا محمد ما خلقتك**»، والمراد بحقه رتبته و منزلته إليه، أو الحق الذي جعله الله سبحانه و تعاليله على الخلق، أو الحق الذي جعله الله بفضله له عليه كما في الحديث الصحيح قال: «**فما حقّ العباد على الله**» لا الواجب، إذ لا يجب على الله شيء، ثم السؤال به ﷺ ليس سؤالا له حتى يوجب إشتراكاً، وإنما هو سؤال الله بمن له عنده قدر عليّ، ومرتبة رفيعة، وجاه عظيم، فمن كرامته على ربه أن لا يخيب السائل به والمتوسل إليه بجاهه، ويكفي في هوان منكر ذلك حرمانه إياه.

وفي حياته[2] ما أخرجه النسائي و الترمذي وصححه ـ وقوله: إنه غريب، أي باعتبار إفراد طرقه ـ أن رجلا ضريراً أتى النبي ﷺ فقال أدع الله لي أن يعافيني فقال ﷺ: «**إن شئت دعوت وإن شئت صبرت وهو خير لك**». قال فادعه، وفي رواية: ليس لي قائد وقد شقّ علي. فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه ويدعوه بهذا الدعاء «**اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد ﷺ نبيّ الرحمة. يا محمد إني أتوجه بك إلى ربي في حاجتي لتقضى لي، اللهم شفعه فيّ**». وصححه أيضاً البيهقي وزاد: فقام وقد أبصر. وفي رواية: اللهم شفعه فيّ و

---

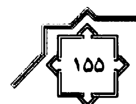
١ . الحجر: ٢٩.

٢ . أي مما يدل لطلب التوسل به في حياته ﷺ.



شفعنى في نفسى، وإنما علمه النبيّ ﷺ ذلك ولم يدع له، لأنه أراد أن يحصل منه التوجه وبذل الافتقار و الانكسار و الاضطرار مستغيثاً به ﷺ ليحصل له كمال مقصوده، وهذا المعنى حاصل في حياته وبعد وفاته، ومن ثم استعمل السلف هذا الدعاء في حاجاتهم بعد موته، وقد علّمه عثمان بن حنيف الصحابى رواية لمن كان له حاجة عند عثمان بن عفان زمن إمارته بعده ﷺ وعسر عليه قضاؤها منه وفعله فقضاها منه، رواه الطبراني و البيهقى، وروى الطبرانى بسند جيد أنه ﷺ ذكر في دعائه «**بحق نبيك والأنبياء الذين من قبلى**» ولا فرق بين ذكر التوسل و الاستغاثة و التشفع و التوجه به ﷺ أو بغيره من الأنبياء، وكذا الأولياء وفاقاً للسبكىّ، وإن منعه ابن عبد السلام، بل الذى نقله بعضهم عنه أنه منعه بغير نبينا، وذلك لأنه ورد جواز التوسل بالأعمال كما في حديث الغار الصحيح مع كونها أعراضاً فالذوات الفاضلة أولى، ولأن عمر بن الخطاب توسل بالعباس رضي الله عنهما في الاستسقاء ولم ينكر عليه، وكأنّ حكمة توسله به دون النبى ﷺ وقبره إظهار غاية التواضع لنفسه والرفعة لقرابته. ففى توسله به توسل بالنبى ﷺ وزيادة.

و لا يقال: لفظ التوجه و الاستغاثة يوهم أن المتوجّه والمستغاث به أعلى من المتوجّه والمستغاث عليه لأن التوجه من الجاه وهو علوّ المنزلة، وقد يتوسل بذى الجاه إلى من هو أعلى جاهاً منه والإستغاثة: طلب الغوث والمستغيث يطلب من المستغاث به أن يحصل له الغوث من غيره وإن كان أعلى منه، فالتوجه و الاستغاثة به ﷺ وبغيره ليس لهما معنى في قبول المسلمين غير ذلك، ولا يقصد بهما أحد منهم سواه، فمن لم ينشرح صدره لذلك فليبك على نفسه. نسأل الله العافية.



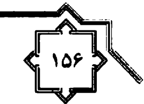
والمستغاث به في الحقيقة هو الله والنبى ﷺ واسطة بينه و بين المستغيث. فهو سبحانه مستغاث به والغوث منه خلقاً وإيجاداً والنبى مستغاث و الغوث منه سبباً و كسباً ومستغاث به، ولا يعارض ذلك خبر أبى بكر رضي الله عنه: قوموا نستغيث برسول الله ﷺ من هذا المنافق. فقال رسول الله ﷺ: «**إنه لايستغاث بى إنّما يستغاث بالله عزّ وجلّ**» لأن فى الخبر ابن لهيعة والكلام فيه مشهور. وبفرض صحته فهو على حد قوله تعالى ﴿**وَما رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلكِنَّ اللهَ رَمى**﴾[1] و«**ما أنا حملتكم و لكنّ الله حملكم**» أى أنا و إن استغيث بي فالمستغاث به في الحقيقة هو الله، وكثيراً ما تجئ السنّة بنحو هذا، أى من بيان حقيقة الأمر، ويجئ القرآن الكريم بإضافة الفعل لمكتسبه كقوله ﷺ «**لن يدخل أحدكم الجنة بعمله**» مع قوله تعالى ﴿**ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُون**﴾[2] وبالجملة فإطلاق لفظ الاستغاثة لمن يحصل منه غوث ولو سبباً أو كسباً أمر معلوم لا شك فيه لغة ولا شرعا. فلا فرق بينه وبين السؤال، وحينئذ تعين تأويل الحديث المذكور لاسيما مع ما نقل أنّ في حديث البخارى رحمه الله في الشفاعة يوم القيامة «**فبينما هم كذلك استغاثوا بآدم ثم بموسى ثم بمحمد ﷺ**».

وقد يكون معنى التوسل به ﷺ طلب الدعاء منه إذ هو حى يعلم سؤال من يسأله، وقد صحّ في حديث طويل أن الناس أصابهم قحط في زمن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه فجاء رجل إلى قبر النبى ﷺ فقال: يا رسول الله استسق لأمتك فإنهم قد هلكوا، فأتاه ﷺ في النوم وأخبره أنهم يسقون فكان كذلك، وفيه: «**ائت عمرو فأقرئه السلام وأخبره أنهم يسقون، وقل له عليك الكيس، الكيس**» أى الرفق لأنه رضي الله عنه كان شديداً في دين الله فأتاه فأخبره فبكى ثم قال: يا رب ما آلو إلا ما عجزت عنه.

---

١ . الأنفال: ١٧.

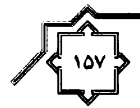
٢ . النحل: ٣٢.



وفى رواية أن رائى المنام بلال بن الحارث المزنى الصحابي ﷺ.

فعلم أنه ﷺ يطلب منه الدعاء بحصول الحاجات كما في حياته لعلمه بسؤال من سأله، ـ كما ورد ـ مع قدرته على التسبب في حصول ما سئل فيه بسؤاله و شفاعته ﷺ إلى ربه عزّ وجلّ، وأنه ﷺ يتوسل به في كل خير قبل بروزه لهذا العالم، وبعده في حياته، و بعد وفاته، وكذا في عرصات القيامة فيشفع إلى ربه، وهذا مما قام الإجماع عليه وتواترت به الأخبار، وصح عن ابن عباس ﷺ أنه قال: أوحى الله تعالى إلى عيسى صلوات الله على نبينا و عليه و سلامه: يا عيسى آمن بمحمد و مر من أدركه من أمتك أن يؤمنوا به، فلولا محمد ما خلقت آدم، ولولا محمد ما خلقت الجنة و النار، ولقد خلقت العرش على الماء فاضطرب فكتبت عليه: لا إله إلا الله محمد رسول الله، فسكن، فكيف لا يتشفع ويتوسل بمن له هذا الجاه الوسيع و القدر المنيع عند سيده و مولاه المنعم عليه بما حباه به وأولاه.

رابعة عشرها: قال القاضى حسين من أكابر أئمتنا: يجب على كل إنسان أن يكون حزنه على فراقه ﷺ وخروجه من الدنيا أعظم من حزنه على فراق أبويه و أولاده، انتهى. وأقره غير واحد، ومعنى وجوب ذلك فيما يظهر لى، أنه يلزمه أن يكون على حالة من تعظيمه و إجلاله أعلى و أجلّ وأكمل من تعظيم و إجلال سائر الناس حتى أبويه و أولاده، ويلزم من هذه الحالة أنه متى خطر له فراقه ﷺ لو اجتمع به كان أعظم من فراق أبويه و أولاده. فهذا هو معنى كلام القاضى، وليس معناه أن أحداً يكلف بتصور فراقه والحزن عليه أكثر من فراق أبويه وأولاده، فإن الشخص قد لا يخطر له ذلك في عمره، وإنما معناه ما قدمته أن يكون ذلك عنده بالقوة فحسب. نعم كونه عنده أقوى لأنه يدل على قوة



الإيمان ومزيد المحبة والإذعان، ومما يصرح بكلام القاضي قولهم: يجب أن يكون ﷺ أحب إلى كل إنسان ممن ذكر، أى بنحو المعنى الذى قررته فتأمله فإنه مهم جداً، و الحاصل أنّ محبة الإجلال و التعظيم أكثر من نحو الأب و الولد شرط في أصل الإيمان، ومحبة الميل بمعنى السعي في أسبابها ـ إذ لا تكليف في الملكات النفسانية إلا بذلك ـ شرط في كمال الإيمان فكلام القاضى المذكور منزل على ذلك قطعا.

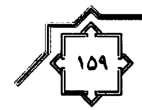
خامسة عشرها: لا يجوز أن يطاف بقبره ﷺ كما نقله النوويّ رحمه الله عن أطباق العلماء، ويوجه بأنهم كما أجمعوا على تحريم الصلاة لقبره ﷺ إعظاماً له كذلك أجمعوا على حرمة الطواف بقبره لأن الطواف بمنزلة الصلاة كما في الحديث الصحيح إلا في مسائل ليست هذه منها.

سادسة عشرها: قال الحليمى وغيره من أئمتنا وغيرهم: يكره إلصاق الظهر و البطن بجدار القبر المكرم، انتهى. وينبغى أن يلحق بجداره الجدار الحائز عليه ﷺ وكان القياس تحريمهما. لكن لما كان من شأن ذلك عند فاعليه أنهم لا يفعلونه إلا لقصد التبرك به جهلاً بما يليق به من الأدب اقتضى ذلك رفع الحرمة عنهم وإثبات الكراهة ولا عبرة بذلك القصد في نفى الكراهة، أيضاً زجراً لهم عن التهجم عليه بما لم يؤذن لهم فيه، ومن ثم تعين على كل أحد أن لا يعظمه إلا بما أذن الله لأمته في جنسه مما يليق بالبشر فإن مجاوزة ذلك تفضى إلى الكفر و العياذ بالله بل مجاوزة الوارد من حيث هو ربما تؤدى إلى محذور فليقتصر على الوارد ما أمكنه، وقد تقرر أن غير هذه الحضرة الشريفة يتعين صونها عن المبتدعات والمحدثات فهى أولى وأحرى، إذ من يخالف الملك على سرير ملكه بحضرته أقبح وأحق بالنكال والعذاب والبعد والطرد ممن يخالفه بعيداً عنه.

جواز تقبيل القبر الشريف

سابعة عشرها: قال النووى رحمه الله في إيضاحه: قالوا: ويكره مسحه أى جدار القبر الشريف باليد و تقبيله، بل الأدب أن يبعد منه كما يبعد منه لو حضر في حياته ﷺ. هذا هو الصواب، وهو الذى قاله العلماء وأطبقوا عليه، وينبغي أن لا يغتر بكثيرين من العوام في مخالفتهم ذلك فإن الاقتداء والعمل إنّما يكون بأقوال العلماء ولايلتفت إلى محدثات العوام وجهالاتهم، ولقد أحسن السيد الجليل أبو على الفضيل بن عياض في قوله ما معناه: اتبع سبيل الهدى ولا يضرك قلة السالكين وإياك وطرق الضلالة ولاتغتر بكثرة الهالكين، ومن خطر بباله أن المسح ونحوه أبلغ في البركة فهو من جهالته وغفلته، لأن البركة إنّما هى فيما وافق الشرع وأقوال العلماء وكيف يبتغى الفضل في مخالفة الصواب؟ انتهى كلام الإيضاح، وبينت في حاشيته ما اعترض به عليه مع رده، فقلت:

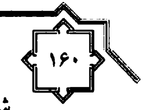
قوله: وهو الذى قاله العلماء وأطبقوا عليه اعترضه العز بن جماعة وغيره في تقبيل القبر الشريف ومسه بقول أحمد: لابأس به، وقول المحب الطبرى وابن أبى الصيف: يجوز تقبيل القبر الشريف ومسه وعليه عمل العلماء الصالحين، وقول السبكى إن عدم التمسح بالقبر الشريف ليس مما قام الإجماع عليه. ثم ذكر حديث إقبال مروان فإذا برجل ملتزم القبر الشريف.. الحديث، وفيه أن ذلك الرجل هو أبو أيوب الأنصارى رضي الله عنه وهذا الحديث أخرجه أحمد والطبرانى والنسائى بسند فيه من ضعفه النسائى لكن وثقة آخرون، وقد يجاب بأن قول أحمد لابأس به يحتمل نفى الحرمة ونفى الكراهة ـ أى والمتبادر منه الاول كما حقق فيكتب الفقه، وقول المحب الطبرى وغيره: وعليه يحتمل رجوع الضمير فيه إلى الجواز المأخوذ من (يجوز) وإلى نفس التقبيل والمس والاول أقرب،



ويؤيده تعبيره بيجوز دون يستحب. إذ لو كان مراده الاستحباب لعبر به ثم استدل بعمل العلماء. فلما عدل عنه إلى الجواز كان ظاهراً فيما ذكرناه، وشمول الجواز للاستحباب والوجوب اصطلاح للأصوليين لا للفقهاء، بل ما يأتي في كلام الأثرم عن أهل العلم بالمدينة المشرفة، وفى كلام أنس أنهم كانوا لايعرفون ذلك، معيِّن للتأويل الذى ذكرته. إذ كيف يليق بالعلماء والصلحاء أن يبتدعوا مثل ذلك المؤدى إلى مفاسد كما مرّ فأعلمه.

والحديث المذكور ضعيف وبتسليم صحته، فيجوز أن يكون السلف أجمعوا على ذلك بعد انقراض الصحابة رضي الله عنهم، أى لمصلحة فطم الناس عن ذلك المؤدى التمكين منه إلى مفاسد من العوام لا تنحصر كما هو ظاهر، وقد مرّ عن بعض أكابر أهل البيت الشريف وغيرهم ما يدلّ لذلك، على أنه ـ أى ما مر عن أبى أيوب ـ مذهب صحابى وليس إجماعاً سكوتياً كما هو ظاهر، أي لأن شرطه انتشار الواقعة حتى تبلغ علماء العصر ويسكتوا عليها، ولم يوجد ذلك هنا، ومعنى قول السبكى: ليس مما قام الإجماع عليه أى ابتداء. فما قاله المصنف أى النووى صحيح لا مطعن فيه، ويؤيد ما ذكرته أى في كلام أحمد ما في مغنى الحنابلة من أنه لا يستحب التمسح بحائط القبر المكرم ولا تقبيله، وقال أحمد: ما أعرف هذا فتعارض الروايتان عن أحمد أى بفرض أن قوله لا بأس به يفيد الاستحباب وظاهر كلام الأثرم ـ وهو من أجلّ أصحابه ـ أن ميل أحمد إلى المنع فإنه قال: رأيت أهل العلم بالمدينة المشرفةلا يمسون القبر المكرم. قال أحمد: وهكذا كان يفعل ابن عمر رضي الله عنهما. انتهى.

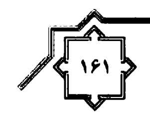
وبه تعارض رواية بعضهم عن ابن عمر أنه كان يضع يده اليمنى على القبر الشريف، أى إلا أن يحمل على أنه كان في بعض الأوقات يمسه لغلبة وجد أو حال ومن ثم قال في الإحياء: مس المشاهد وتقبيلها عادة اليهود و النصارى.



وقال الزعفراني: وضع اليد على القبر ومسه وتقبيله من البدع التي تنكر شرعاً. وروى عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه رأى رجلاً وضع يده على القبر المكرم فنهاه وقال: ما كنا نعرف هذا، أي الدنو منه إلى هذا الحد.

و علم مما تقرر كراهة مس مشاهد الأنبياء وتقبيلها، نعم أن غلبه وجد أو حال فلا كراهة. انتهى كلامي في الحاشية. وحديث أبي أيوب المشار إليه هو أن مروان أقبل فرآه ملتزم القبر المكرم فأخذ مروان برقبته ثم قال: هل تدرى ماذا تصنع؟ فأقبل عليه فقال: نعم لم آت الحجر ولا اللبن إنّما جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تبكوا على الدين إذا وليه أهله ولكن إبكوا عليه إذا وليه غير أهله إنتهى. وفيه إشارة واضحة إلى عذره وهو أنه لم يقصد مجرد التزام حجارة القبر ولا لبنه، وإنما قصد غير ذلك لأنه صلى الله عليه وسلم حيّ مكرم في قبره الشريف فكان ذلك كالتزامه، وقد تغلب المحبة والشوق على بعض الناس فترتفع الحجب عن نظره ويصير كالمشاهد لوجهه المكرم صلى الله عليه وسلم المماس لحبيبه حتى يخرجه ذلك عن قياس العادات إلى حقائق المنازلات، أذاقنا الله سبحانه و تعالى ذلك والمحسنين إلينا وذرارينا بمنه وجوده وكرمه آمين.

ونقل بعضهم عن الإمام مالك والشافعي وأحمد رحمهم الله أنهم أنكروا تلك الثلاث أشدّ الإنكار وعن بعض العلماء أنه إن قصد بوضع اليد مصافحة من في القبر من الصالحين يرجى أن لا يكون به حرج، قال: ومتابعة الجمهور أحق. انتهى، وما ترجاه في غاية السقوط فاحذره، وفي تحفة ابن عساكر أن تلك الثلاثة لا تجوز وأن الوقوف من بعد أقرب إلى الاحترام انتهى. وعلى ما وجهنا به ما مرّ عن ابن عمر يحمل ما جاء عن غيره أيضاً، كما جاء بسند جيد أن بلالاً رضي الله عنه لما زار النبي صلى الله عليه وسلم من الشام للمنام السابق ذكره جعل يبكي ويمرغ وجهه على القبر. وجاء عن فاطمة الزهراء رضي الله عنها أن صلى الله عليه وسلم لما قبر أخذت قبضة من تراب



قبره الشريف وجعلته على عينها وبكت وقالت منشدة بيتين:

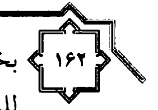
ماذا على من شمّ تربة أحمد ... أن لايشمّ مدى الزمان غواليا

صبت عليّ مصائب لو أنها ... صبت على الأيام عدن لياليا

ثم رأيت الخطيب ابن جملة ذكر ما قلته فإنه لما ذكر عن ابن عمر وبلال ﷺ ما قلته مما مرّ قال: لا شك أن الاستغراق في المحبة يحمل عل الإذن في ذلك، والمقصود من ذلك كله الاحترام والتعظيم، والناس تختلف مراتبهم في ذلك كما كانت تختلف في حياته ﷺ، فأناس حين يرونه لا يملكون أنفسهم بل يبادرون إليه، وأناس فيهم أناة يتأخرون والكل على خير انتهى.

ثامنة عشرها: يكره أيضاً الانحناء للقبر الشريف وأقبح منه تقبيل الأرض ذكره ابن جماعة ولفظه، قال بعض العلماء: إن ذلك من البدع أى القبيحة، ويظن من لا علم له أنه من شعار التعظيم، وأقبح منه تقبيل الأرض له، لأنه لم يفعله السلف الصالح والخير كله في اتباعهم، ومن خطر بباله أن تقبيل الأرض أبلغ في البركة فهو من جهالته وغفلته، لأن البركة إنّما هى فيما وافق الشرع وأقوال السلف وعملهم، وليس عجبى ممن جهل ذلك فارتكبه، بل عجبى ممن أفتى بتحسينه مع علمه ـ أى لو تأمل ـ بقبحه ومخالفته لعمل السلف واستشهد لذلك بالشعر. قال السيد: ولقد شاهدت بعض جهال القضاة فعل ذلك بحضرة الملأ وزاد بوضع الجبهة كهيئة الساجد فتبعه العوامّ. انتهى.

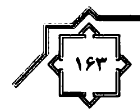
ووقع من بعض الصالحين نظير ذلك في بعض قبول الأولياء بحضرتى. لكن الظاهر أنه كان في حال أخرجه عن شعوره، و من تحقق منه الوصول لذلك لا يعترض عليه، وهذا كله في الانحناء بمجرد الرأس والرقبة، أما بالركوع فهو حرام، وأما تقبيل الأرض له فهو أشبه شئ بالسجود له، بل هو هو فلا ينبغى التوقف في تحريمه، ذكره بعضهم وهو وجيه في الركوع إذا قصد به التعظيم،



بخلاف تقبيل الأرض، ويفرق بأن نحو الركوع صورته صورة عبادة ففعله للمخلوق بقصد تعظيمه يوهم التشريك فحرم. بل ربما ينتهي الحال إلى الكفر إذا قصد به تعظيمه كما يعظم الله سبحانه وتعالى، وأما نحو تقبيل الأرض مما ليس على صورة العبادة فهو بنحو مس القبر وإلصاق الظهر والبطن به أشبه، فلم يكن محرما بل مكروها، لأنه لا يوهم نظير ما تقرر في نحو الركوع فلم يكن فيه مقتض للحرمة فتأمل ذلك فإنه مهمّ.

الروضة الشريفة

تاسعة عشرها: يسنّ له، أي للزائر، إذا فرغ من زيارة القبر المكرم أن يأتي الروضة الشريفة فيكثر فيها من الصلاة والدعاء. بل إن أمكنه أن لا يجعل صلاته مدّة إقامته بالمدينة إلا فيها فليفعل، فإنه أولى ما لم يعارضه فضيلة نحو صف أوّل كما مر، وذلك لحديث الصحيحين عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة، و منبري على حوضي**» وفي رواية صحيحة «**منبري على ترعة من ترع الجنة**» وفسر الترعة بالباب ولا تنافي إذ لا يبعد أن يكون على الحوض، ثم ينتقل للجنة، وفي معنى «**روضة من رياض الجنة**» أقول بينتها وما فيها في شرح المشكاة، وذكرت في الحاشية بعض ذلك فقلت: وفي رواية أخرى «**ما بين منبري وبيتي**» و في أخرى: «**ما بين حجرتي و منبري**» و لا اختلاف لأنّ قبره ﷺ في بيته، والبيت هو الحجرة، قيل: ومعنى كونه «**روضة من رياض الجنة**» أن العمل فيها يوجب ذلك، وفيه نظر. والأولى ما قاله مالك وغيره من بقائه على ظاهره فينتقل إلى الجنة، وليست كسائر الأرض تفنى و تذهب، أي وهذا ما عليه الأكثرون، أو هي من الجنة الآن حقيقة أي: و هو الأصح، وإن لم تمنع نحو الجوع لاتصافها بصفة دار الدنيا، كما

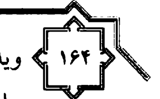


أن الحجر الأسود ومقام إبراهيم الخليل صلّى الله عليه وعلى نبينا وسلم من الجنة ولكن لما نزلا هذه الدار اتصفا بصفاتها، ومعنى قوله «**ومنبرى على حوضى**» أنّ ملازمه الأعمال الصالحة عنده تورث الحوض كذا قيل، وقيل: يعيده الله على حاله فينصبه على حوضه ﷺ وهو الأولى أيضاً لأن الأصل بقاء اللفظ على ظاهره الممكن.

عشرونها: يستحب له أن يتحرى الوقوف والدعاء عند المنبر الشريف وكأن وجهه أن في ملازمته ﷺ لذلك المحلّ في المهمات التى كان ﷺ يخطب لها وفى خطب الجمع وللدعاء فيه، دليلاً واضحاً على سرّ عظيم لذلك المحلّ، وطلب الدعاء فيه تأسياً به ﷺ المقتضى لكون الدعاء ثَمَّ أسرع إجابة وأبلغ قبولاً، وكيف لا وقد تكرّر وقوفه ودعاؤه ﷺ به، ومن ثم قالوا ينبغى أن يجعل من دعائه ثَمّ السؤال من الخير أجمع، والاستعاذة من الشرّ أجمع، واستدل بعضهم لذلك بما جاء أنّ رجالاً من الصحابة ﷺ كانوا إذا دخلوا المسجد الشريف أخذوا برمّانة المنبر الشريف التى كان ﷺ يمسكها بيده ثم يستقبلون ويدعون. ونقل في الشفاء أنّ الصحابة كانوا إذا دخلوا المسجد جسوا رمّانة المنبر التى تلى القبر الشريف بميامنهم ثم استقبلوا القبلة يدعون.

حادية عشرينها: من جهالات العامة الشنيعة وبدعهم القبيحة الفظيعة تقربهم بأكل التمر البرنىّ والصيحانى في الروضة الكريمة وقطعهم شعورهم ورميها في القنديل الكبير كذا في إيضاح النووى وغيره لكن قطع الشعور الآن غير موجود فيما علمت وأكل التمر المذكور موجود من بعض الحجاج المصريين وغيرهم.

تنبيه: قيل سبب تسميته بالصيحانىّ ما أخرجه ابن المؤيد الحموىّ عن جابر ﷺ: كنت مع النبى ﷺ يوماً في بعض حيطان المدينة ويده في يد علىّ

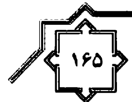


ويد على في يده ﷺ فمررنا بنخيل فصاح النخل: هذا محمد رسول الله وهذا عليّ سيف الله فالتفت النبى ﷺ إلى عليّ وقال له: «سمّه الصيحانى» فسمى من ذلك اليوم الصيحانى. انتهى. وهذا الحديث ذكر ابن الجوزى في موضوعاته حديثاً مشتملاً عليه وعلى زيادة أخرى، وقال: إنه موضوع وأقرّوه فاستفد ذلك.

ثانية عشرينها: قال بعضهم يسنّ لمن بالمسجد النبوىّ إدامة النظر للحجرة الشريفة ولمن خارجه إدامة النظر للقبة المعظمة مع المهابة والحضور قياسا على الكعبة المنيفة. انتهى. وهو حسن محتمل ولا منافاة لطلب استقبال القبلة، لأن المدار في استقبالها على الاستقبال بالصدر، و إن كان الوجه ملتفتاً إلى جهةأخرى.

ثالثة عشرينها: ينبغى له مدة إقامته بالمدينةالمشرفة أن يصلى الصلوات كلها في المسجد وأن ينوى الاعتكاف كلما دخله وإن كان مارّاً. لكن إن قلد القائل بحصوله بالمرور لا مطلقاً خلافاً لما يوهمه كلام النووى وغيره، لأن نية الاعتكاف مع المرور من مقلد من لايرى ذلك تلبّس بعبادة فاسدة وهو حرام.

رابعة عشرينها: ينبغى له أن يتحرى الصلاة فيما كان مسجداً في حياته ﷺ لا فيما زيد بعده ﷺ فإن المضاعفة المذكورة في الخبر الصحيح «**صلاة في مسجدى هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام**» مختصة بالأول كما قاله النوويّ ووافقه السبكى وغيره وابن عقيل الحنبلى واعترضه ابن تيمية وأطال فيه والمحبّ الطبرىّ وأورد آثاراً لا تقوم الحجة بها، وغيرهما بأنه مسلم في مسجد مكة، إذ المضاعفة لا تختص بما كان موجوداً في زمنه ﷺ، وبأن الإشارة في الخبر المذكور إنّما هى لإخراج غيره من المساجد المنسوبة إليه ﷺ، وبأن مالكاً سئل عن ذلك فأجاب بعدم الخصوصية قال: لأنه أخبر بما يكون بعده وزويت



له الأرض فعلم ما يحدث بعده، ولولا هذا ما استجاز الخلفاء الراشدون المهديون أن يزيدوا فيه بحضرة الصحابة ولم ينكر ذلك عليهم. انتهى.

وقد انتصرت للنووى رحمه الله في الحاشية فقلت بعد ذكر هذه الاعتراضات: وأنت خبير بأن مثل هذه الأمور لا يقتضى ردّ كلام المصنف، بل ولا ضعفه لأنّ له أن يجيب عن الأول بأن الإشارة أقوى في الدلالة على الحضور والتعيين منه ﷺ في«إلّا المسجد الحرام» واستثناءه منه في الخبر المذكور لا ينافى ذلك، وما يدل لما ذكرت جريان خلاف قوىّ في أنّ المراد بالمسجد ثَمّ جميع الحرم، ولم يقل هنا بنظيره لما علمت أنّ إطلاقه على ذلك كثير شائع في القرآن فأولى السنة، وعن الثانى بأنّ قولهم: إنّما هى إلى آخره خلاف الظاهر فلابد له من دليل، وعما احتج به مالك بأنّ سكوت الصحابة رضي الله عنهم على ذلك يحتمل أنه إنّما كان لما رأوه في ذلك من المصلحة لكثرة الناس بالمدينة حينئذ فخافوا من تضررهم بالزحمة فوسعه الخلفاء الراشدون وأقرّهم الباقون على ذلك، وهذا احتمال قريب بل هو الظاهر، ومثل هذه الواقعة الفعلية يسقط الاستدلال بها بدون هذا الاحتمال.

ثم رأيت الوالى العراقى في شرح تقريب الأسانيد جزم بما قاله المصنف ثم استشكله بما فيه تاريخ المدينة المنورة عن عمر رضي الله عنه: أنه لما فرغ من الزيادة قال: لو انتهى إلى الجبانة ـ وفى رواية منسوبة إلى الخليفة ـ لكان الكل مسجد رسول الله ﷺ. وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«لو زيد في هذا المسجد ما زيد كان الكل مسجدى»** وفى رواية: **«لوبنى هذا المسجد إلى صنعاء كان مسجدى»** ثم قال الولىّ: فإن صح ذلك فهو بشرى حسنة، قال غيره: ولم يصح من ذلك شئ أى فلا اعتراض على النووى حينئذ، بل ظاهر هذا الحديث السابق وهو «مسجدى هذا» يساعده كما مرّ.

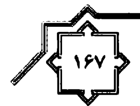


تنبيهان: أولهما: أوّل من زاد في المسجد النبوى أمير المؤمنين عمر ﷺ وزيادته من جهة القبلة الرواق المتوسط بين الروضة ورواق المحراب العثماني، وحدّه في المغرب إلى الإسطوانة السابعة من المنبر ولم يزد شيئاً من جهة المشرق لأنّ الحجرة المكرمة كانت هى الحدّ من المشرق في زمنه، ثم زاد عثمان ﷺ في القبلةإلى موضع محرابه اليوم ولم يزد في شرقيه، وزاد في غربيه قدر اسطوانة. فجدار المسجد في زمنه ﷺ من جهة المغرب ينتهى إلى الإسطوانة الثامنة من المنبر، وما بعدها إلى الجدار إسطوانتان فقط زادهما الوليد، والخامسة من المنبر هى نهاية المسجد النبوى بعد الزيادة الثانية التى زادها ﷺ فيه وحده من جهة الشام قريباً من الأحجار التى هى عند ميزان الشمس بصحن المسجد خلف مجلس مشايخ الحرم.

ثانيهما: قال في الإحياء: إنّ الأعمال الصالحة تتضاعف في المدينة، وذكر الحديث السابق في الصلاة ثم قال: وكذلك كل عمل بالمدينة بألف وصرّح به أيضاً بعض المالكية، واستشهد له بما رواه البيهقى عن جابر مرفوعاً «**والجمعة في مسجدى هذا أفضل من ألف جمعة فيما سواه إلا المسجد الحرام، وشهر رمضان في مسجدى هذا أفضل من ألف شهر رمضان فيما سواه إلا المسجد الحرام**».

وعن ابن عمر نحوه انتهى. وفيه نظر ولا دليل في الحديث على تعدّى المضاعفة إلى ما زيد في المسجد فضلاً عن بقية المدينة، ولا يستبعد وقوع الصوم في المسجد لأنه الإمساك من الفجر إلى الغروب، وهذا يتيسر وقوعه في المسجد لكل أحد، ولا فرق في مضاعفة الصلاةبين فرضها ونفلها خلافاً لبعض المالكية والحنفية.

خامسة عشرينها: قال العز بن عبد السلام: وإذا أردت صلاة فلا تجعلن حجرته ﷺ وراء ظهرك ولا بين يديك وتأدّب معه بعد وفاته أدبك معه في حياته لو أدركتها، فإن لم تفعل فانصرافك خير من مقامك انتهى.



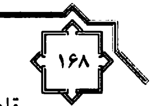
واستدبار قبره ﷺ في غير الصلاةأيضاً خلاف الأدب ومن الأدب أيضاً أن لا تمر بالقبر المكرم حتى تقف و تسلم على ساكنه. سواء مررت من داخل المسجد أو من خارجه ولقد وقع لبعض السلف أنه تهاون في ذلك فرأى النبى ﷺ قائلاً له: أنت المارّ بى معرضاً لا تقف تسلم علىّ. فلم يترك ذلك بعد، ومن ثم سئل مالك أترى أن يسلم المارّ عليه كلما مر؟ قال: نعم أرى عليه ذلك. قال ابن رشد من أتباعه، والمعنى أنه يلزم أن يسلم عليه كلما مرّ به متى ما مرّ، وليس عليه أن يمرّ به ليسلم عليه إلا للوداع عند الخروج انتهى. والظاهر أن مراده بلزوم ذلك تأكده.

سادسة عشرينها: تحرم الصلاة إلى قبر نبى أو ولى تبركاً و إعظاماً وقول النووى في تحقيقه: تكره الصلاة إلى قبر غيره ﷺ محمول ـ كما هو ظاهر ـ على من لم يرد تعظيم القبر بذلك، وإلا حرّم. بل ربما يكون ذلك كفراً والعياذ بالله تعالى.

سابعة عشرينها: كره مالك ﵀ لأهل المدينة كلما دخل أحدهم المسجد وخرج الوقوف بالقبر الشريف وإنما ذلك للغرباء، قال: و لا بأس لمن قدم منهم من سفرأو خرج إلى سفر أن يقف عند قبر النبى ﷺ فيدعو له ولأبى بكر و عمر ﵄. قال الباجى: فرق مالك بين أهل المدينة والغرباء لأن الغرباء قصدوا ذلك، و أهل المدينة مقيمون بها، فكره لهم إكثار المرور به ﷺ والسلام عليه و الإتيان إليه كل يوم، لئلا يجعل القبر بفعلهم ذلك كالمسجد الذى يؤتى كل يوم للصلاة فيه، وقد قال رسول الله ﷺ **«اللهم لا تجعل قبرى وثناً يعبد»**.[١] انتهى.

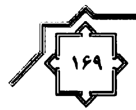
---

١ . ورد فى مفتاح كنوز السنة.



قال السبكى: هذا من مالك ـ مع قوله أن الزيارة في أصلها قربة ـ جارٍ على قاعدته في سد الذرائع. لأن ذلك من المقيمين قد يفضى إلى ملل وقلة أدب، والمذاهب الثلاثة يقولون باستحباب الإكثار منها لكل أحد من أهل المدينة وغيرهم، لأن الإكثار من الخير خير انتهى. وإفضاء ذلك إلى ملل لا نظر إليه لما مر أن من وجد قلبه وتوفر أدبه طوّل ما شاء، ومن لا سلم وانصرف، ومجرد السلام لا يفضى إلى ملل ألبته، واستدلاله بالحديث المذكور يأتي الجواب عنه قريباً، وقد صرحوا بأنه يسنّ الإكثار من زيارة القبور وإكثار الوقوف عند قبور أهل الخير والصلاح. فما بالك بقبره ﷺ؟ واحتج مالك لما مر عنه أيضاً بأنه لم يفعله أحد من السلف، ويردّه ما جاء عن غير واحد منهم من أهل المدينة في زمن شيخه ربيعة وقبله وبعده من فعله، ولما أنكر على من يقف عند القبر المكرم يوم الجمعة من العصر إلى المساء قال ربيعة: دعوه فإن للمرء وجداً وشوقا.

ثامنة عشرينها: كره مالك أيضاً أن يقال زرنا قبر النبى ﷺ بخلاف زرنا النبى. قال القاضى عياض: قيل معنا أنه كره الاسم لخبر «**لعن الله زوّارات القبور**» وردّ بخبر: «**كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها**»، وقيل لأن الزائر أفضل من المزور وليس بشيء، لأنه ورد في أهل الجنة أنهم يزورون ربهم، والأولى عندى أن منعه وكراهة مالك له لإضافته إلى قبر النبى ﷺ، و أنّه لو قال: زرت النبي ﷺ لم يكرهه لقوله ﷺ «**اللهم لا تجعل قبرى وثنا يعبد، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**». فحمل على إضافة هذا اللفظ إلى القبر و التشبه بفعل أولئك قطعاً للذريعة وحسماً للباب انتهى. وأنت خبير بما قدمته في مبحث مشروعية الزيارة أن قوله ﷺ «**من زار قبرى وجبت له شفاعتى**» صريح في أنه لا كراهة في ذلك، وأن الحديث الذى ذكره القاضى لا دليل فيه للكراهة لأن النهى فيه للتحريم إجماعاً، وليس فيقول: زرنا قبر



النبى ﷺ اتخاذه وثناً ولا قريب من ذلك كما هو جلى، إذ المراد باتخاذه وثناً هو أن يعظم بنظير ما عظمت به اليهود والنصارى قبور أنبيائهم، كما يصرح به قوله ﷺ **«وثناً يعبد بعدى»** ثم عقبه ﷺ بقوله **«اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»** وفى الحديث الصحيح أيضاً: **«لعن الله اليهود و النصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد يحذر مما صنعوا»** أى من تقربهم إلى تلك القبور بعباداتهم حيث صيروها كالأوثان و الأصنام فى عبادتها من دون الله سبحانه وتعالى، وإذا تقرر أن هذا هو معنى: **«لا تجعلوا قبرى»**.. إلى آخره فأى دليل على كراهة ذلك؟ فالوجه أن يقال إنّ هذا جار أيضاً على قاعدة مالك في سد الذرائع، ومن لا يقول بهذه القاعدة من المذاهب الثلاثة وغيرهم لا كراهة عنده في ذلك.

ثم رأيت السبكى صرّح بما قدمته حيث قال: يشكل على مالك حديث «من زار قبرى» إلا أن يكون لم يبلغ مالكاً، أو لعله يقول: المحذور في قول غيره ﷺ. انتهى.

وبتقدير هذا الأخير يجاب بأنه ﷺ مشرّع. فالأصل الاقتداء به في القول والفعل ما لم يرد مانع من ذلك ولم يرد هنا مانع فوجب أن لا كراهة في ذلك، وقولنا: بخلاف «زرنا النبى» هو ما ذكره جماعة من المالكية، لكن نقل ابن رشد عن مالك أنه كره هذا أيضاً حيث قال: وأكره ما يقول الناس زرت النبى ﷺ و أعظم أن يكون النبى يزار و وجهه ابن رشد بأن الزيارة تستعمل في الموتى فكره مالك ذلك لئلا يتوهم منه أنه ﷺ كغيره من الموتى، كما يكره أن يقال العتمة وأيام التشريق وطواف الزيارة. انتهى. وبه بان أنه إنّما يكره اللفظ دون المعنى، ومع ذلك يردّ بمنع اختصاص الزيارة بالموتى لأن الفرض أنه لم يذكر القبر، وحينئذ فلا يتوهم ذلك أحد، وقيل كرهه لأنه المضى إلى قبره ﷺ ليس ليصله

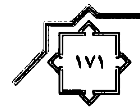


بذلك وينفعه به وإنما هو رغبة في الثواب. قال السبكي: وهذا هو المختار في تأويل كلام مالك أي و مع ذلك لا نسلم أن زرنا النبيّ ﷺ يوهم ذلك، لأن كل مسلم علم جلالته ﷺ، وأن كل أحد من أمته وإن جلت مرتبته مفتقر إلى التبرك به، والمثول بحضرته ﷺ.

تاسعة عشرينها: إعلم أن سواري المسجد النبوى الذى كان في زمنه ﷺ لكل واحدة منها فضل، إذ لا تخلوا من صلاته ﷺ أو أحد من الصحابة رضي الله عنهم إليها كما يدل له حديث البخارى والذى ورد له فضل خاص منها ثمانية: الأولى، التى هى علم المصلى الشريف كان جذعه ﷺ الذى يخطب إليه و يتكئ عليه أمامها في محل كرسى الشمعة.

ثم اسطوانة عائشة رضي الله عنها صلى إليها النبى ﷺ المكتوبة بعد تحويل القبلة بضعة عشر يوماً و هى الثالثة من المنبر و من القبر الشريف و من القبلة متوسطة الروضة، و تسمى اسطوانة القرعة لما في أوسط الطبرانى «**أن في مسجدى لبقعة**»، قيل: هى هذه الاسطوانة«**لو يعلم الناس ما صلوا إليها إلا أن تطير لهم قرعة**»، و كان أبو بكر و عمر و غيرهما من الصحابة رضي الله عنهم، يصلون إليها و المهاجرون من قريش يجتمعون عندها، و قيل الدعاء عندها مستجاب.

ويليها لناحية القبر الشريف إسطوانة التوبة كان ﷺ إذا اعتكف يخرج له فراشه أو سريره إليها مما يلى القبلة فيستند إليها، و كان يصلى ﷺ نوافله إليها، و سميت بذلك لأن أبا لبابة رضي الله عنه ربط نفسه بها حتى نزلت توبته، و اسطوانة السرير و هى اللاصقة بالشباك اليوم شرقى اسطوانة التوبة كان سريره ﷺ يوضع عندها مرة و عند اسطوانة التوبة مرة أخرى. الخامسة: اسطوانة على رضي الله عنه، كان يجلس في صفحتها التى تلى القبر الشريف كان يحرس رسول الله ﷺ و هى خلف اسطوانة التوبة من جهة الشمال، و كانت الخوخة التى يخرج منها النبى ﷺ من بيت عائشة رضي الله عنها إلى الروضة الشريفة في مقابلتها.



وخلفها من الشمال أيضاً إسطوانة الوفود، كان ﷺ يجلس عندها لوفود العرب.

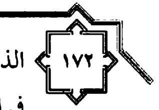
السابعة: اسطوانة مربعة القبر الشريف و يقال لها مقام جبريل عليه الصلاة و السلام و هى في حائز الحجرة الشريفة عند منحرف صفحته الغربية للشمال، و بينها و بين اسطوانة الوفود الاسطوانة اللاصقة بشباك الحجرة الشريفة كانت باب فاطمة رضي الله عنها، و كان ﷺ يأتي إليه حتى يأخذ بعضادتيه و يقول: «**السلام عليكم أهل البيت ﴿إِنَّما يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرا﴾**»[١] و قد حرم الناس التبرك بها و باسطوانة السرير لغلق أبواب الشباك الدائرة على الحجرة الشريفة.

الثامنة: اسطوانة التهجد كان ﷺ يصلى إليها ليلاً و محلها الآن دعامة بها محراب مرخم قرب باب جبريل ونوزع في أن ذلك محلها.

الثلاثون: قال ابن جماعة وغيره: لم يتحرر لنا عرض الروضة، أى لاختلاف الروايات الصحيحة فيها كرواية «**ما بين بيتى ومنبرى روضة من رياض الجنة**» ورواية «**مابين قبرى و منبرى**» ورواية «**ما بين بيتى ومنبرى أو قبرى ومنبرى**» على الشك وفي رواية الطبرانى «**ما بين المنبر و بيت عائشة**» وفى أخرى له:«**ما بين حجرتى ومصلاى**». قيل: المراد مصلاه في مسجده وقيل: مصلى العيد وهو ما فهمه بعض الصحابة رضي الله عنهم أجمعين، وفى رواية صحيحة لأحمد «**ما بين هذه البيوت**» يعنى بيوته ﷺ «**إلى محل منبرى**» فهذه كرواية«بيتى» لأنه مفرد مضاف فيفيد العموم يدل على أن مسجده كله روضة لأن بيوته ﷺ كانت محيطة به من القبلة والشرق والشام والمنبر غربيه، وممن رجح هذا الزين المراغى، لكن المشهور أن المراد بيت خاص وهو بيت عائشة رضي الله عنها لرواية«قبرى» أى بيتى

---

١ . الأحزاب: ٣٣.



الذى أقبر فيه وهو بيت عائشة، وفى تحريرها على هذا المشهور اضطراب ذكرته في الحاشية. قيل: وهى رواق المصلى الشريف والرواقان بعده إلا يسيرا، أى وهذا هو المشهور لأن ذلك مسقف مقدم المسجد الشريف في عهده ﷺ.

تنبيه: جمع بين الروايات السابقة بأن الروضة تطلق على أماكن متفاوتة في الفضل، فأفضلها ما بين القبر والمنبر ثم ما بين بيوته ﷺ كلها والمنبر، ثم بقية المدينة المنوّرة، ثم ما كان خارجها إلى المصلى، وأما رواية «**حجرتى وبيتى وقبرى وبيت عائشة**» فهى متحدة إذ قبره ﷺ في حجرته، وهى في بيته وهو مسكن عائشة رضي الله عنها.

خاتمه: روى ابن المبارك رحمه الله وإسماعيل القاضى وابن بشكوال والبيهقى والدارمى عن كعب الأحبار رضي الله عنه «**أنه ما من يوم وليلة إلا وينزل عند الفجر سبعون ألفاً من الملائكة يحفون بقبر النبى ﷺ ويصلون عليه إلى الليل ثم ينزل سبعون ألفاً يفعلون كذلك إلى الفجر، وهكذا حتى تقوم الساعة، ويقوم ﷺ من قبره في سبعين ألف يزفونه**». وفى رواية يوقرونه.

فإن قلت ما معنى قوله يصلون عليه مع إفادة آية ﴿**إِنَّ اللهَ وَ مَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِي**﴾[1] أن جميع الملائكة مع كثرتهم التى لا يحيط بها إلا خالقهم ـ ومن ثمّ صح أنهم تسعة أعشار الخلق ـ يصلون عليه دائماً؟

قلت: معناه أن هؤلاء السبعين ألفاً يؤمرون بصلاة مخصوصة مناسبة لوقوفهم في حضرته ﷺ.

---

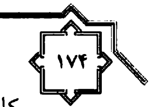
١ . الأحزاب: ٥٦.

الفصل الثامن:

جملة من الآداب بعد الخروج من المسجد الشريف

و فيه مسائل:

الأولى: ينبغي له أن ينزل بمحل قريب من المسجد المكرم ليشاهد منه القبة المكرمة، و يتفكر فيما ينزله الله سبحانه و تعالى من واسع فضله و كرمه على الحالّ بها ﷺ حتى أنه يقوى رجاؤه في التوسل به إلى ربه في قضاء مآربه و بلوغ مطالبه، و ليسمع النداء و يدرك الجماعة فيه و يتأكد عليه المحافظة على ذلك فإنّ الإقامة بالمدينة من فرص الدهر التي لا تقع لكل أحد، فليغتنم تلك الفرصة و يصرف في أمهات الأعمال و فواضلها جميع زمنه، و لا يضيع مواسم الخيرات سدى، فإن ذلك دليل على الحرمان و العياذ بالله تعالى، و هذا كله واضح و إن لم أر من صرح به، ويجرى مثله في الساكن بمكة المشرّفة و لا يعارض ذلك ما أشار إليه قوله ﷺ لبني سلمه حينما أرادوا التحوّل إلى قريب المسجد «**يا بني سلمة دياركم تكتب آثاركم**». لإن ذلك إنّما هو للخوف على المدينة أن يعرى خارجها من السكان فيتمكن منها العدوّ، و بتسليم أنه لمحض إيثار البعد عن المسجد لكثرة الثواب الناشئة عن كثرة الخطأ، فالكلام هنا في غريب يشق عليه البعد، و يفوته الاستكثار من الخير المتيسر مع القرب فقط. أمّا لو فرض أنه مع البعد يتيسر له ذلك كهو في القرب فالبعد أولى كما هو ظاهر.

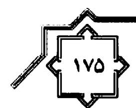


الثانية: قال الأئمة: ينبغى له مدّة إقامته بالمدينة الشريفة أن يصلى الصلوات كلها في مسجد رسول الله ﷺ، و أن ينوى الاعتكاف كلما دخله و مرّ بقيده.

الثالثة: يسنّ له أن يخرج متطهرا كل يوم إلى زيارة من بالبقيع المبارك تأسيا به ﷺ، فأنه كان كثيرا ما يخرج إليه و يدعو لمن فيه و قد خرج إليه ﷺ ليلة نصف شعبان فسجد فيه طويلا حتى ظنّ أنه ﷺ قبض، و روى مالك أنه ﷺ قال: «**بعثت إلى أهل البقيع لأصلى عليهم**»، أى أدعو لهم، و خروجه له يوم الجمعة آكد، و الأولى له أن يكون ذلك بعد السلام عليه و على صاحبيه.

و إذا انتهى إلى البقيع قال «السلام عليكم» أى و خبر «**عليكم السلام تحية الموتى**» مرّ بيان الجواب عنه،

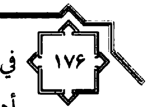
(دار) أى يا دار، و عبر بها تجوزا من اسم الحالّ إلى المحل، إذ السلام لا يكون للجمادات بل للأحياء، و من جملتهم الأرواح فهى المراد هنا «قوم مؤمنين و إنا إن شاء الله بكم لاحقون» و الاستثناء للتبرك أواللحوق المقيد بهذا المحل «اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد اللهم اغفر لنا ولهم» و ينبغى له أن يقصد القبور الظاهرة فيه كقبر سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه، و الأولى أن يبدأ به لأنه أفضل من فيه هذا إن لم يمرّ بقبر غيره و إلا سلّم مع وقوف يسير ثم رجع إليه، ثم بعد السيد عثمان يبدأ بالعباس ثم بالحسن بجنبه ثم بأمه فاطمة الزهراء بجنبه فإن الأرجح أنها هنا، ثم بسيدنا زين العابدين علىّ بن الحسين بن على بن ابن أبى طالب رضي الله عنهم ثم بابنه محمد الباقر ثم بابنه جعفر الصادق رضي الله عنهم، و هؤلاء كلهم بقبة واحدة ثم بسيدنا إبراهيم ابن النبى ﷺ، و معه في قبته جماعة من الصحابة فيسلم عليهم أيضاً، ثم بمشهد أبى سفيان بن الحارث عم النبى ﷺ و ينسب الآن لعقيل بن أبى طالب، و هو إنّما توفى بالشام ثم بأمهات المؤمنين و كلهن هنا إلا خديجة فبمكة، و إلا ميمونة فبسرف، و هذا الترتيب الذى ذكرته هو ما



يظهر لى خلافا لبعضهم، و وقوع السلام على المفضول تبعا كبعض من بقبة العباس قبل إبراهيم لا يضر، ويزور أيضاً قبر مالك بن أنس ﷺ، و كذا شيخه نافع بجنبه في قبة لطيفة على ما يقال، و المشهد المشهور بفاطمة بنت أسد أمّ عليّ ﷺ، الأقرب أنّه مشهد سعد بن معاذ سيد الأنصار، لأنّ ما ذكره القدماء لا ينطبق إلا على ذلك، ذكره السيد، و يختم بقبر صفية ﷺ عمة رسول الله ﷺ، و يزور أيضاً مشهد إسماعيل بن جعفر الصادق بركن السور من داخله قباله قبة العباس، و مالك بن سنان والد أبى سعيد الخدري ﷺ بلصق السور غربى المدينة المشرفة، و مشهد النفس الزكية محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علىّ ﷺ و هو خارج السور شرقى سلع.

الرابعة: يسنّ له أن يأتي متطهرا قبور الشهداء بأحد ويبدأ بسيد الشهداء حمزة ﷺ عمّ رسول الله ﷺ و يبكر بعد صلاة الصبح بمسجد رسول الله ﷺ حتى أنه يعود و يدرك جماعة فريضة الظهر في المسجد المكرم، و الأفضل أن يكون ذلك يوم الخميس لأن الموتى يعلمون ـ أى يزيد علمهم للأدلة على دوام علمهم ـ بزوارهم يوم الجمعة و يوما قبله و يوما بعده كما نقله في الإحياء عن محمد بن واسع أنه بلغه ذلك و المطلوب يوم الجمعة التبكير، و يوم السبت الذهاب لقبا فتعين الخميس قال: محقق الحنفية الكمال بن الهمام: ويزور جبل أحد نفسه للحديث الصحيح «**أحد جبل يحبنا و نحبه**».

الخامسة: يستحب استحبابا متأكدا أن يأتي متطهرا من حين خروجه من المدينة الشريفة مسجد قبا ناوياً التقرب بزيارته و الصلاة فيه للحديث الصحيح «**صلاة في مسجد قباء كعمرة**» و أخرج الشيخان: «**كان ﷺ يأتي مسجد قبا راكبا و ماشيا فيصلى فيه ركعتين**»، و الأولى أن يكون ذلك يوم السبت للحديث الصحيح أيضاً: «**كان ﷺ يأتيه كل سبت**» و قد بينت حكمة خصوص السبت

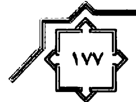


في شرح المشكاة، و يظهر مما مرّ نقله آنفا حكمة أخرى، و هي أن في إتيانه زيارة أهله و مرّ أن الموتى يعلمون بزوّارهم يوما قبل الجمعة و يوما بعده، و أعطى أهلأحد يوم الخميس لأنهم أفضل فبقى السبت لأهل قبا، و أخذ بعضهم من الحديثين المذكورين مشروعية شدّ الرّحل له وصحة نذر الصلاة به قال: و لعل عدم ذكره مع الساجد الثلاثة في حديث «**لا تشدّ الرحال**» اكتفاء بما خصه به ﷺ من الحث عليه على أنه مسجده ﷺ، أيضاً و شدّ الرحل إنّما هو فى من يأتي من بعده عادة و من جاء كذلك لا يقصد عادة مسجد قبا و يترك مسجد المدينة الأفضل منه بلا خلاف. فلذا اقتصر عليه في الحديث الشريف كما أنّ قوله ﷺ في المسجد الذى أسس على التقوى هو «**مسجدكم هذا**» يشير ﷺ إلى مسجد المدينة لاينفى ذلك عن مسجد قبا.

السادسة: يسنّ أن يأتي الأبار التى بالمدينة و هى مشهورة لأهلها و ذكرت منها في الحاشية تسعة عشر، و بينت أن من قال كالنووى أنها سبع، كان ﷺ يتوضأ منها، أو يغتسل فيشرب منها و يتوضأ. لعله أراد الذى اشتهر منها.

السابعة: يسنّ له أن يأتي المساجد التى بالمدينة و هى نحو ثلاثين موضعا ذكرتها في الحاشية فليعتمد في معرفتها كالآبار على خبير من أهل المدينة، و إلا فعلى نحو تاريخ السيد السمهودى شكر الله سعيه و رحمه، و باستحباب ذلك أعنى إتيان الآبار و المساجد و الآبار المنسوبة له ﷺ سواء علمت عينه أو جهته صرّح جماعة من الشافعية و غيرهم، و قد كان ابن عمر رضي الله عنهما يتحرى الصلاة و النزول و المرور حيث ﷺ و نزل.

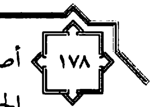
و ما روى عن مالك رحمه الله مما يخالف ذلك فهو جرى على قاعدته في سدّ الذرائع، و كذا ما جاء عن عمر رضي الله عنه أنه رأى الناس في الرجوع من الحج ابتدروا مسجدا، فقال: ما هذا ؟ قالوا: مسجد صلى فيه رسول الله ﷺ فقال:



هكذا هلك أهل الكتاب قبلكم اتخذوا آثار الأنبياء بيعا من عرضت له منكم الصلاة فيه فليصل، و من لم تعرض له فليمض.

و جرى صاحب الشفاء على الأول غير موافق ما مرّ عن مالك فقال: و من إعظامه ﷺ و إكباره إعظام جميع أسبابه و إكرام جميع مشاهده و أمكنته و معاهده و ما لمسه ﷺ بيده أو عرف به. انتهى.

فإن قلت: يمكن حمل كلامه على إكرام ذلك بغير نحو الصلاة فيه ليوافق ما مرّ عن إمامه، قلت: يمكن لكنه بعيد من ظاهر عبارته و يؤيد ظاهرها أنّ الشيخ خليلاً محقق متأخريهم قال: يسنّ زيارة البقيع و مسجد قبا و غير ذلك لكنه قيد ذلك بمن كثرت إقامته بالمدينة الشريفة قال: و إلا فالمقام عنده ﷺ أحسن ليغتنم مشاهدته، ثم نقل عن العارف ابن أبى جمرة أنه من حين دخل المسجد النبوى ما جلس إلا للصلاة حتى رحل الركب و لم يخرج لبقيع و لا غيره و لما خطر له ذلك قال: هذا باب الله مفتوح للسائلين و المتضرعين، و ليس ثَمّ من يقصد مثله. قال السيد: و الحق أن من منح دوام الحضور و الشهود و عدم الملل فاستمراره هناك أولى و أعلى و إلا فتنقله في تلك البقاع أولى، و به يستجلب النشاط و دفع الملل و لذلك نوّع الله سبحانه و تعالى لعباده الطاعات. انتهى. و أقول فيه نظر لما يصرّح به كلام أصحابنا من إطلاق ندب جميع ما مرّ لمن قصرت إقامته و دام حضوره و غيره فإنّ في الإتيان لذلك فوائد تعينه على ما هو بصدده. أمّا لنحو أهل البقيع فليتشفع بهم إلى من هم أقرب إليه منه لينال ببركة ذلك من القرب إليه ﷺ ما لا يحصل له لو لم يستمدّه بواسطة تلك الوسائط. إذ من عادات الكبراء الظفر منهم بالوسائط المقربة عندهم بما لم يظفر به منهم مع عدم الواسطة، و أيضاً ففى الإتيان إليهم غاية الوصلة و الإشعار بالذلة، و أنه لعظم جنايته يحتاج في قضاء مطلوبه إلى تعدد الشافعين فيه حتى يقبله ﷺ ويقبل عليه و يجيبه لما طلبه منه، و أيضاً ففى ذلك أيضاً وصلة له ﷺ. إذ وصلة



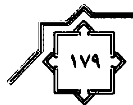
أصحابه وأهل بيته ﷺ وصلة له ﷺ فببركة هذه الوصلات تجاب جميع الحاجات و تقضى سائر الطلبات، و أمّا النحو المساجد و المعاهد فلأن رؤية الآثار تزيد في شهود المؤثر و رؤية الديار تزيد في التعلق بأهلها، فكان في إتيان تلك غير مزيد الفضل الحاصل له بإتيانها من مزيد استجلاء مذكر القرب المعنوى منه ﷺ و الشهود له المندرج عند أبواب القلوب في شهود آثاره ما لم يحصل له لو لم يخرج إليها، فاتجه إطلاق أصحابنا و أنه الطريق الأكمل و السبيل الأقوم الأفضل فاستفد ذلك فإنه مهم.

الثامنة: ينبغى له أن يلاحظ بقلبه في مدة مقامه بالمدينة الشريفة جلالتها و فضلها، و أنها البلدة التى حرمها رسول الله ﷺ، أى أنشأ تحريمها، كما حرّم إبراهيم على نبينا و عليه الصلاة و السلام مكة المشرفة أي أظهر تحريمها، و أنها التى اختارها الله لهجرة نبيه ﷺ، و استيطانه و دفنه و يستحضر تردده ﷺ فيها و مشيه في بقاعها، و من ثم ينبغى له أن لا يركب فيها كما مرّ.

التاسعة: يسنّ المجاورة بالمدينة كمكة لمن ظنّ من نفسه عدم مواقعه مذموم شرعىّ، و حينئذ فليكن بغاية من الفرح بجوار نبيه الكريم ﷺ مع إكثار الدعاء لنفسه و لأحبابه، لا سيما بالتوفيق و بغاية من زمّ نفسه بزمام الخشية و الإجلال لله جلّ جلاله و رسوله مع غض الصوت و التحلى بسائر الآداب المطلوبة، لا سيما معه ﷺ و بغاية من الصبر على ضيق المدينة و معيشتها بالنسبة لبلاد الخصب و التوسع في المعايش. فقد أخرج مسلم أنه ﷺ قال:

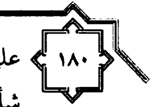
«من صبر على لأواء المدينة و شدّتها كنت له شهيدا أو شفيعا يوم القيامة».

وروى أحمد و الترمذى و غيرهما، **«من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت بها فإنى أشفع لمن يموت بها»** أى شفاعة مخصوصة نظير ما مرّ في خبر **«من زار قبرى وجبت له شفاعتى»**.



و الأحاديث في فضل المقام و الموت بها كثيرة، و من ثم أخذ منها جمع متأخرون من الشافعية أن السكنى بها أفضل منها بمكة، مع مزيد المضاعفة بمكة. قالوا: لأنه صح «**لا يصبر على لأوائها و شدّتها أحد إلا كنت له شفيعا أو شهيدا يوم القيامة**»، و لم يرد في سكنى مكة نحو ذلك بل كرهه جماعة و نقل عن أحمد القول بذلك. انتهى. و نقل ورددته عليهم في الحاشية فقلت: و فيه نظر بل الموافق للقواعد أن سكنى مكة أفضل و كفى بزيادة مضاعفة الأعمال مرجحا. كيف و قد صح أنه ﷺ قال لمكة: «**والله إنك لخير أرض الله و أحب أرض الله إلى الله و لولا أني أخرجت منك ما خرجت**» فهذا نص صريح قاطع للنزاع في أن السكنى بها أفضل و قد يرد للمفضول ميزة بل مزايا لا يرد مثلها للفاضل و كراهة جماعة المجارة بها ليس إلا خوفا مما قد يقع فيها من التقصير بل هذا دليل على أن سكناها لمن وثق بنفسه أفضل من سكنى غيرها فكراهة بعض السلف سكناها لكونه ﷺ أخرج منها مذهب له، و كذا ما جاء «**اللهم لا تجعل منايانا بها**»، و مرت طرق خبر: «**من مات بأحد الحرمين بعث من الآمنين يوم القيامة**».

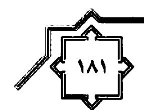
العاشرة: قال العلماء: يستحب أن يصوم بالمدينة ما أمكنه، و أن يتصدق بما أمكنه على جيران رسول الله ﷺ، و لا سيما أقاربه ﷺ و أهل بيته الطيبين الطاهرين، أماتنا الله سبحانه و تعالى على محبتهم على أى حالة كانوا سواء المتوطنون و غيرهم و المحاويج أولى فإن ذلك من جملة برّه ﷺ. انتهى، و مر أن الأعمال تتضاعف بالمدينة على ما فيه، فينبغي أن يستكثر فيها من أعمال الخير كلها و ينبغي له أيضاً أن ينظر أهلها بعين التعظيم، و لا يبحث عما ستروه في بواطنهم و يكل سرائرهم إلى الله سبحانه و تعالى تأسيا برسول الله ﷺ. فإن الله تعالى جعل من عداد أصحابه في الصورة الظاهرة جمعا جما فوق ثمانين نفسا منافقين يظهرون الأسلام و يخفون الكفر و لا يألون إيذاء قدروا عليه إلا أوصلوه إليه ﷺ أوإلى أصحابه رضي الله عنهم مع إطلاع الله سبحانه و تعالى له ﷺ



على بواطنهم على قول، و عليه فعذره ما أظهره الله بقوله ـ و قد قيل له في شأنهم ـ فقال: «**لا يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه**»، ثم رأيت بعض الأئمة صرح بحاصل هذا الذى ذكرته، فقال: ينبغى محبة جميع من بها على حسب حاله و قربه منه ﷺ إلى أن لا يبقى له مزية سوى اتصافه بجواره. إذ عظم الإساءة لا يسلب حرمة الجوار، فلا نظر إلى ما يرمى به عوامهم من البدع بل لو ثبت في شخص لم يترك لأجلها إكرامه نظرا لجواره ﷺ.

الحادية عشر: يحرم عليه أن يستجلب شيئا مما عمل من تراب حرم المدينة أو من أحجاره إلى خارج حرمها و لو إلى حرم مكة كما يحرم إخراج شئ من ذلك من حرم مكة إلى حرم المدينة، هذا هو المعتمد فيهما فاحفظه فإن كثيرين يجهلونه أو يتساهلون فيه و ربما أخذ بعض المتساهلين من المتفقهة بقول ضعيف بالكراهة و التحذير المشهور في السنة الغراء من الوقوع في الشبهات يمنع من ذلك فاحذره على أنه خير ممن يرتكب ذلك من غير تقليد للقائل بجوازه لأن هذا حرام صرف و الشبهة خير منه، و يجب على من أخرج شيئا من ذلك ردّه إلى محله، و لا يزول عصيانه إلا بذلك مادام قادرا عليه.

الثانية عشر: يحرم صيد حرم المدينة المشرفة، و قطع شجره و حشيشه على المحرم و الحلال، و يأتي هنا جميع ما قالوه في قطع ذلك من حرم مكة إلا في الضمان فإن الجديد المعتمد نقلا أنه لا ضمان هنا لصيد و لا شجر، و القديم الضمان و اختاره جماعة لأخبار صحيحة فيه لا تقبل التأويل، و من ثم كان القول بعدم حرمة ذلك أصلا فضلا عن عدم الضمان، و أنه كأرض الحل في غاية السقوط و الضعف لمخالفته لصرائح الأحاديث الصحيحة، و لعل عذر قائله أنها لم تبلغه، و يسنّ التزام ضمان ذلك خروجا من خلاف من أوجبه لقوته كما تقرر.



الثالثة عشرة: حدّ حرم المدينة المشرفة ـ كما في خبر الصحيحين ـ ما بين عير و هو مشهور، و ثور و هو جبل صغير خلف أحد، و وَهِم من وَهَّم رواته ظنا منه أن ثورا بمكة فقط، و ما بين لابتيها و هما الحرتان المشهورتان.

الرابعة عشر: من الأحاديث الباطلة التى وضعها بعض الفجرة: من زارنى و زار أبى إبراهيم في عام واحد ضمنت له الجنة، و زيارة الخليل قربة مستقلة لا تعلق لها بحج، ولا بزيارة نبينا ﷺ، و من الباطل أيضاً ما زعمه بعض الجهلة أن زيارة القدس بعد الحج تقدّس حجه إذ لا تعلق لها بالحج و عكسه، بل هى قربة مستقلة أيضاً.

الخامسة عشر: لو نذر زيارة قبر نبينا ﷺ لزمه الوفاء بها، و ظاهره أنه يعتبر في اللزوم هنا من الاستطاعة ما يعتبر في الحج المنذور، و اللزوم هنا متفق عليه على ما قاله ابن كج[١] بخلاف نذر زيارة قبر غيره ﷺ فإن في لزومه وجهين. قال السبكى: و حكاية الاتفاق هى الحق ـ أى للأدلة الخاصة فيها الدالة ـ كما علم مما مرّ ـ على أنها من القرب المندوبة المقصودة المتأكدة التى لا يؤتى بها إلا على وجه العبادة، و كل قربة كذلك تجب بالنذر اتفاقا، و قبور سائر الأنبياء و غيرهم ممن تسن زيارته كذلك ـ و اشتراط كون المنذور مما وجب جنسه بالشرع قول شاذ، فلا ينظر إليه، على أن زيارته ﷺ وجب جنسها و هو الهجرة إليه في حياته و ما نقل عن مالك ؒ، أنها لا تلزم بالنذر لا ينافى ـ بتقدير صحته عنه ـ كونها قربة الذى صح عنه و عن سائر علماء المسلمين كما مرّ، لأن النذر لا يوجب سائر القرب بل قربا مخصوصة كما هو مقرر في محله. على أن عبارة المختصر ـ و هو العمدة عندهم ـ و إنّما يلزم به ما ندب، و هى كما ترى ظاهرة في خلاف ما نقل عن مالك، و قد صرح بعض أئمة المالكية بأن المشى إلى المدينة

---

١ . له ذكر و ترجمة فى طبقات السبكى.

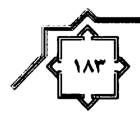


للزيارة أفضل من المشى إلى الكعبة و بيت المقدس، أى للزيارة، و هذا يؤيد عبارة المختصر المذكورة كما هو ظاهر.

السادسة عشر: لو نذر الذهاب أو الإتيان أو نحوهما إلى مسجد رسول الله ﷺ أو إلى المسجد الأقصى لم يلزمه بل يسنّ له على الأصح لأن ذات نحو الذهاب إليهما ليست قربة مستقلة في نفسها و به فارق نذره لمسجد مكة أو بقعة من حرمها، إذ هذا يجب قصده بالنسك أويسنّ فكان قربة مقصودة في نفسها و لو نذر الاعتكاف في أحد المسجدين الأولين لزمه كالثالث، لأنه عبادة مستقلة مختصة بالمسجد، فإذا كان له فضل و لها مزيد ثواب فكأنه التزم فضيلة في العبادة الملتزمة و نحو الإتيان فيهما ليس كذلك.

السابعة عشر: قال العلماء: ينبغى للزائر أن يختم القرآن بالمدينة قبل خروجه منها، فقد كان السلف يحبون ذلك و نظيره ما قاله بعض أئمتنا في مكة من سن ذلك فيها أيضاً، و كأنّ حكمة ذلك فيهما أن كلا منهما نزل به بعض القرآن الكريم عليه ﷺ، فإذا قرئ القرآن الكريم في أحدهما و تأمل القارئ نعمة إنزال القرآن بالمحل الذى هو فيه و كمال من أنزل عليه ﷺ حمله ذلك على أمر عظيم من الخشوع و الخضوع، و الإجلال و الخشية و فتح له أبواب واسعة من التدبر و التفكر فيما يقرؤه، و من الشكر و الحمد على هذه النعمة التي لا توازيها نعمة، و المنة التي لا تلحقها منة، و ربما انتقل به ذلك إن طهرت سريرته و نارت بصيرته إلى ما لم يكن في حسبانه من المعارف، و ما لم يخطر بباله من الحكم و اللطائف حقق الله لنا ذلك بمنه و كرمه آمين. ثم رأيت أبا مخلد قال: كانوا يحبون لمن أتى المساجد الثلاثة أن يختم فيها القرآن الكريم رواه سعيد بن منصور.

الثامنة عشر: ذكر أصحابنا أن الاستئجار للزيارة لا يصح لأنه عمل غير مضبوط و لا مقدر بشرع و كذا الجعالة على نفس الوقوف عند القبر الشريف،



لأنه لا يقبل النيابة بخلافهما على الدعاء عنده لقبوله النيابة، و لا أثر للجهل به أى لأنه يتسامح في أعوانه. قال السبكى: و بقى قسم ثالث و هو إبلاغ السلام له ﷺ. و لا شك في جواز الإجارة و الجعالة عليه كما كان عمر بن عبد العزيز يفعل ذلك، و قيل يجوز الاستئجار للزيارة و صححه غير واحد و أفتى به الأصبحى محمد بن أبى بكر و هو غير الأصبحى صاحب المعين و هو مذهب المالكية كما نقله السبكى، و حمل ذلك على إبلاغ السلام قال و إلا فمجرد الوقوف لا يحصّل للمستأجر غرضا.

التاسعة عشر: قال بعض الأئمة: ينبغى أن لا يضيق على المحتاجين بسكنى الأربطة و الأخذ من الصدقات ما وجد له مندوحة عن ذلك، و كذلك لا يخدم خدمة بالمسجد الشريف كأذان و إقراء و فراشة إلا مع غاية إخلاص النية و لا يأخذ عليها معلوماً إلا ان اضطر إليه.

من فضائل المدينة المنورة

العشرون: مما يدل لعظم فضل المدينة المكرمة ما أخرجه ابن الأثير في جامعه عن سعد رضي الله عنه أنه ﷺ لما رجع من تبوك أثار من تلقاه من أهلها غبارا فغطى من معه ﷺ أنفه فكشف ﷺ اللثام عن وجهه الشريف، و قال: «**و الذى نفسى بيده إن في غبارها شفاء من كل داء**» قال سعد: و أراه ذكر الجذام و البرص و في رواية: فأماطه عن وجهه و قال: «**أو ما علمت أن عجوة المدينة شفاء من السقم و غبارها شفاء من الجذام و البرص**».

و من فضائلها أيضاً أن فيها حفرة معروفة قد جربها العلماء و غيرهم للشفاء من الحمى شربا و غسلا لكن الشرب هو الوارد عند ابن النجار و غيره لما أصابت الحمى بنى الحارث قال لهم ﷺ: «**أين أنتم من صهيب ؟**» قالوا: و ما



نصنع به ؟ قال: «**تأخذون من ترابه فتجعلونه في ماء ثم يتفل عليه أحدكم ويقول باسم الله تراب أرضنا بريق بعضنا شفاء لمريضنا بإذن ربنا**»، ففعلوا ذلك فتركتهم الحمى و لأجل وروده أعنى الشراب حلّ، و إلا فأكل التراب و شربه حرام لأنه مضر.

و في الصحيحين: «من تصبح» أي أكل صباحا قبل أن ينزل جوفه شئ «**بسبع تمرات عجوة لم يضره ذلك اليوم سم و لا سحر**»، و لمسلم «**من أكل سبع تمرات مما بين لابتيها لم يضره شئ حتى يمسى**» و هو أعم. و في رواية صحيحة «على الريق» و له أيضاً «**إن في عجوة العالية شفاء و أنها ترياق أول البكرة**»، و صح أيضاً «**إن الكمأة من المن و ماؤها شفاء للعين و العجوة من الجنة وماؤها شفاء من السحر**» و هى ـ كما قال ابن الأثير ـ ضرب من التمر يضرب إلى السواد قال السيد أي السمهودى: و هو هذا النوع المعروف بالمدينة يأثره الخلف عن السلف و أطباق الناس على التبرك به يرد ما قيل فيه من غير ذلك.

و صح أيضاً خبر «**أمرت بقرية تأكل القرى يقولون يثرب و هى المدينة تنفى الناس كما ينفى الكير خبث الحديد**» و خبر «**يأتي على الناس زمان يدعو الرجل ابن عمه و قريبه هلم إلى الرخاء و المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون و الذى نفسى بيده لا يخرج أحد رغبة عنها إلا أخلف الله فيها خيراً منه**»، و خبر «**إن الإيمان ليأرز**» أى بفتح التحتية و سكون الهمزة و كسر الراء و بالزاى أى ينقبض و ينضم «**إلى المدينة كما تأرز الحية إلى حجرها**»، و خبر «**من صبر على لأوائها و شدتها كنت له شهيدا أو شفيعا يوم القيامة**» وأو للتقسيم، أى شفيعا إن عصى أو شهيدا إن أطاع. و في رواية صحيحة أيضاً بالواو فأو بمعنى الواو بالنسبة لمن جمع بين الطاعة و المعصية فيشهد له بطاعته و يشفع له في معصيته و خبر «**من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت فإنه من يمت بها أشفع له و أشهد له**» و خبر

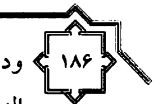


«لا يكيد أهل المدينة أحد إلا إنماع» أى هلك و اضمحل **«و إن أمهل كما ينماع الملح في الماء»** قيل هذا خاص بزمنه ﷺ و ليس كذلك إذ لا دليل. فالأصح أنه عام، و خبر **«اللهم اكفهم من دهمهم»** أى أغار عليهم بغتة، و خبر **«اللهم من ظلم أهل المدينة وأخافهم فأخفه و عليه لعنة الله و الملائكة و الناس أجمعين لا يقبل الله منه صرفاً»** أي فرضاً **«و لا عدلا»** أي نفلا، وقيل عكسه، و خبر **«اللهم إن إبراهيم خليلك و عبدك و نبيك دعاك لأهل مكة و أنا محمد عبدك و رسولك أدعوك لأهل المدينة مثل ما دعاك به إبراهيم لمكة، أدعوك أن تبارك لهم في صاعهم و مدهم و ثمارهم. اللهم حبب إلينا المدينة كما حببت إلينا مكة و اجعل ما بها من وباء»** أى حمى عفنة «بخم» و هو بضم الخاء المعجمة: الجحفة قريب رابغ، و خبر **«على أنقاب المدينة و طرقها ملائكة يحرسونها لا يدخلها الطاعون و لا الدجال»**.

خاتمة في آدابه

أى الزائر في أمرين آخرين.

أولهما: عند أخذه في أسباب رجوعه أو خروجه من المدينة إن كان ساكنا بها يسنّ له حينئذ أن يودع المسجد الشريف بركعتين، و الأولى أن يكونا بمصلاه ﷺ، ثم بما قرب منه نظير ما مر في تحية المسجد للداخل، و ينوى بها سنة وداع المسجد كما هو المتبادر من كلامهم، و يحتمل أن ينوى بهما نية النافلة المطلقة، و على كل فيشترط غير وقت الكراهة، أمّا على الثانى فواضح، و أمّا على الأول فكذلك لأن سببها متأخر ثم بعدهما يدعو بما أحب دينا و دنيا، و من آكده الابتهال إلى الله سبحانه في قبول زيارته و إجابة طلباته ثم بعد الركعتين أيضاً، كما يصرح به كلام النووى و غيره خلافا لقول بعض الحنفية: يكون

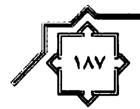


وداعه ﷺ سابقا عليهما يأتي القبر المكرم و يعيد جميع ما مر عنده في ابتداء الزيارة، ثم يقول: اللهم لا تجعل هذا آخر العهد بنبيك ﷺ و مسجده و حرمه، و يسر لى العود إلى زيارته و العكوف في حضرته سبيلا سهلا، و ارزقنى العفو و العافية في الدنيا و الآخرة وردنا لأهلينا سالمين غانمين ثم ينصرف تلقاء وجهه و لا يمشى القهقرى و يسنّ أن يستصحب معه هدية لأهله من تمر المدينة أو مياه آبارها المأثورة أو نحوها من غير تكلف و بلا قصد مفاخره. بل لإدخال السرور على أهله و أحبابه، و في حديث ضعيف «**إذا سافر أحدكم فليهد لأهله و لو حجارة**» و ليكن حال مفارقته لآثاره ﷺ في غاية التشوق للعود و يستديم ذلك ما أمكنه لعل ببركة ذلك أن يسهله الله سبحانه له عن قريب و يكون في غاية الصدق مع الله في ملازمته التوبة و الأعمال الصالحة.

ثانيهما: عند شروعه في رجوعه: اعلم أن معظم ما مرّ في المقدمة يأتي هنا بل و في كل سفر و يتميز هذا بباب آخر.

(الأول) يسنّ أن يقول ما صح عنه ﷺ أنه كان إذا قفل أى رجع من حج أو عمرة ـ و يقاس بهما غيرهما على أن الظاهر أن ذكرهما ليس قيدا بل لبيان الواقع فحسب ـ كبّر على كل شرف ثلاث تكبيرات ثم يقول لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك و له الحمد و هو على كل شئ قدير. آيبون تائبون عابدون ساجدون لربنا حامدون صدق الله وعده و نصر عبده و هزم الأحزاب وحده: و في رواية لمسلم تقييد ذلك بما إذا قرب من منزله و لفظها أقبلنا مع النبى ﷺ حتى إذا كنا بظهر المدينة قال ﷺ: «**آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون**» فلم يزل يقول ذلك حتى قدمنا المدينة.

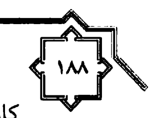
(الثانى) يسنّ له إذا قرب من وطنه أن يرسل أمامه من يخبر أهله به كيلا يقدم عليهم بغتة فربما يرى ما يسوءه فتتشوش عشرته و تحق ندامته.



(الثالث) إذا أشرف على بلده فحسن أن يقول سواء مكة و غيرها: اللهم إني أسألك خيرها و خير أهلها و خير ما فيها و أعوذ بك من شرها و شر أهلها و شر ما فيها. قال النووى في الإيضاح: و استحب بعضهم أن يقول: اللهم اجعل لنا بها قرارا ورزقا حسنا، اللهم ارزقنا حباءها و أعذنا من وبائها و حببنا إلى أهلها و حبب صالحي أهلها إلينا. فقد روينا هذا كله في الحديث. انتهى. و قلت في حاشيته عقبه: اعترض بأن طلب القرار إنّما أثر في المدينة الشريفة للحث على سكناها فهو من خواصها و يجاب بأن كل أحد لا يتيسر له سكناها و لئن سلم وروده فيها فلا يقتضى أنه من خواصها بل يقاس غيرها عليها في ذلك. لأن النفوس تنزع إلى أوطانها فإذا وصلت إليها طلب منها أن تطلب القرار بها حذرا من تشتتها إذا انتقلت إلى غيرها.

(الرابع) يسنّ له ألا يطرق أهله ليلا بل غدوة و إلا فمساء كذا في الإيضاح، و قلت في الحاشية: قضيته مع قوله قبله أن يبعث إلخ من أن طروقهم ليلا خلاف السنة و إن أرسل من يخبرهم بقدومه فيه. لأن في القدوم في الليل مشقة و اطلاعا ربما حثه على ما يسئ و إن أرسل من يخبرهم بقدومه فيه، و ظاهر أن الإرسال خاص بمن له حليلة و الطروق نهارا لا يختص بذلك و أن الكلام في من لم يشق عليه تأخير القدوم إلى الليل. انتهى، وينبغى أن محل قولى و أن أرسل من يخبرهم بقدومه ما إذا لم يسبقه الرسول بزمن صالح يسع التهيؤ فيه، أمّا إذا سبقه بذلك فلا يبعد عدم مخالفته للسنة حينئذ لظهور مدركه.

(الخامس) يسنّ ـ كما هو ظاهر أخذا من قياس الزيارة على الحج في كثير من الأحكام ـ لمن سلم على القادم من الزيارة أن يقول له: قبل الله زيارتك و غفر ذنبك و أخلف نفقتك.



(السادس) يسنّ أن يقول إذا دخل على أهله (توبا توبا) أى أسألك توبة كاملة (لربنا أوبا) أى رجوعا عما لا يرضيه (لا يغادر حوبا) أى لا يترك إثما.

(السابع) يسنّ لنحو أهل القادم أن يصنع له ما تيسر من الطعام.

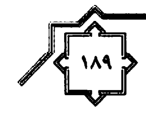
(الثامن) يسنّ له نفسه إطعام الطعام عند قدومه للاتباع في الثلاثة.

(التاسع) يسنّ معانقة القادم و تقبيله بين عينه لأنه ﷺ عانق جعفرا و قبله حين قدم من الحبشة و زيد بن حارثة لما قدم المدينة، و بهذا ردّ ابن عيينة قول مالك ؓ: تكره المعانقة و يكره تقبيل الوجه و معانقة غير نحو القادم و الطفل و معانقة ذى عاهة و مصافحته و يحرمان بغير حائل لا مرد جميل.

(العاشر) ينبغى أن يزداد خيره بعد زيارته فإن هذا من علامة قبولها.

تقبلها الله منا بمنه و كرمه، و ألبسنا بسببها سوابغ مننه و نعمه، و أفاض علينا هوامع لطفه و خيره، و لوامع رضاه و أمنه و ميره، و ختم لنا بالحسنى، و بلغنا من فضله المقام الأسنى، مديما علينا إكرامه و رضاه في هذه الدار و إلى أن نلقاه آمين، مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين و الصديقين و الشهداء و الصالحين و كذلك ذرياتنا و أحبابنا و إخواننا و ذرياتهم آمين، و الحمد لله الذى هدانا لهذا و ما كنا لنهتدى لو لا أن هدانا الله و حسبنا الله و نعم الوكيل و صلّى الله على سيدنا محمد و آله و صحبه و سلّم آمين.

تم الكتاب بفضل الله تعالى.



المصادر

الأنساب؛ للسمعاني نشره مصورا مرجليوث.. ليدن / لندن ١٩١٢م.

البداية و النهاية؛ لابن كثير ـ القاهرة ١٣٤٨هـ.

بقية الوعاة؛ للسيوطى تحقيق محمد أبى الفضل إبراهيم ـ دار إحياء الكتب العربية ـ القاهرة١٩٦٤م.

تاريخ (مكة) أخبار؛ للأزرقى ـ القاهرة ١٩٧٨م.

تاريخ بغداد؛ للخطيب البغدادى، الخانجى ـ القاهرة ١٣٤٩هـ.

تذكرة الحفاظ؛ للذهبى،.تصحيح عبد الرحمن بن يحيى المعلمى. حيدر آباد ـ الهند١٣٧٤م.

ترتيب المدارك؛ القاضى عياض. تحقيق الدكتور أحمد بكير ـ بيروت ١٣٨٤هـ.

تهذيب الأسماء و اللغات؛ للنووى، المنيرية ـ القاهرة ـ بدون تاريخ.

تهذيب التهذيب؛ لابن حجر العسقلانى. حيدر آباد ١٣٧٤هـ .

جمهرة انساب العرب؛ لابن حزم، تحقيق عبد السلام هارون. دار المعارف ـ القاهرة ١٩٦٧

الجواهر المضية؛ لعبد القادر بن محمد القرشى حيدر آباد ـ الهند ١٣٣٢هـ .

حسن المحاضرة؛ للسيوطى، تحقيق محمد أبى الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية ١٩٦٨م.

حلية الأولياء؛ للأصبهانى الصعادة ـ القاهرة ١٣٥١هـ .

خلاصة تذهيب الكمال؛ للخزرجى ـ المطبعة الخيرية ـ القاهرة ١٣٢٢هـ .

الديباج المذهب؛ لابن فرحون، مطبعة المعاهد ـ القاهرة ١٣٥١هـ .

الرسالة المستطرفة؛ للكتانى، دار الفكر ـ دمشق ١٩٦٤م.

سنن ابن ماجة؛ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى، عيسى الحلبى ـ القاهرة ١٩٥٢م.

شذرات الذهب؛ لابن عماد الحنبلى، نشر القدسى ـ القاهرة ١٣٥٠هـ.

صحيح مسلم؛ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى ـ عيسى الحلبى ـ القاهرة ١٩٥٥م.

طبقات الحفاظ؛ للسيوطى، تحقيق الدكتورعلى محمد عمر وهبة ـ القاهرة ١٩٧٧م.

طبقات الحنابلة؛ لابن أبى يعلى. تحقيق حامد الفقى، السنة المحمدية ـ القاهرة ١٩٥٢م.

طبقات ابن سعد؛ بيروت ١٩٥٧م.

طبقات الشافعية؛ للسبكى. تحقيق محمود الطناحى و عبد الفتاح الحلو. عيسى الحلبى ـ القاهرة ١٣٨٣هـ.



طبقات الفقهاء؛ للشيرازى، تحقيق على محمد عمر وهبة ـ القاهرة ١٩٧٨م.
طبقات المفسرين؛ للداوورى، تحقيق على محمد عمر وهبة ـ القاهرة.
طبقات المفسرين؛ للسيوطى، تحقيق على محمد عمر وهبة ـ القاهرة ١٩٧٨م.
العبر؛ **الذهبى**، تحقيق صلاح الدين المنجد و فؤاد سيد ـ الكويت ١٩٧٤م.
فوات الوفيات؛ لابن شاكر الكتبى. تحقيق د / إحسان عباس ـ بيروت ١٩٨٥
اللباب؛ لابن الأثيرو نشره القدسى ـ القاهرة ١٣٥٧هـ.
لسان الميزان؛ لابن حجر العسقلانى، حيدر آباد الهند ١٣٣١هـ.
مرآة الجنان؛ لليافعى، حيدر آباد الهند ١٣٣٨هـ.
المعارف؛ لابن قتيبة، تحقيق ثروت عكاشة دار المعارف ١٩٧٥م.
ميزان الاعتدال؛ للذهبى، تأليف على محمد البجاوى. عيسى الحلبى ـ القاهرة ١٩٦٣م.
النجوم الزاهرة؛ لابن تغرى بردى، دار الكتب ـ القاهرة ١٩٣٢م.
نكت الهميان؛ للصفدى ـ تحقيق أحمد زكى الجمالية ـ القاهرة ١٩١١م.
الوافى بالوفيات؛ للصفدى، استانبول ١٩٢١.
وفيات الأعيان؛ لابن خلكان، تحقيق إحسان عباس ـ بيروت ١٩٨٤م.



للامام جلال الدين عبد الرحمن السيوطي

٨٤٩هـ-٩١١هـ

دراسة وتحقيق:

مصطفى عبد القادر عطا



بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَاعَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾.(التوبه/ ١٢٨).

و قال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ (الانبياء/ ١٠٧).

و فى صحيح مسلم: عن واثله بن الأسقع الكنانى الليثى قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله اصطفى كنانه من ولد إسماعيل، واصطفى قريشاً من كنانه، واصطفى من قريش بنى هاشم، واصطفانى من بنى هاشم**».

صحيح مسلم، كتاب الفضائل.

و قال ابن العباس بن عبدالمطلب:

و أنت لما ولدت أشرقت الأرض ... و ضاءت بنورك الأفق

فنحن فى ذلك الضياء و في النور ... و سبل الرشاد نخترق

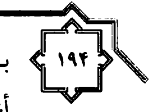
و قال الشاعر أحمد شوقي:

ولد الهدى فالكائنات ضياء ... و فم الزمان تبسم و ثناء

الروح و الملأ الملائك حوله ... للدين و الدنيا به بشراء

و العرش يزهو و الحظيره تزدهى ... والمنتهى و السدره العصماء

أشرق النور فى العوالم لما ... بشرتها بأحمد الأنبياء



بـاليتيم الأمـى و البـشر المـوحى	إليـــه العلـــوم و الأســـماء
أشرف المرســلين آيتــه النطــق	مبينـــاً و قومـــه الفـــصحاء

ترجمه السيوطي لنفسه:

لقد ترجم الإمام السيوطى لنفسه فى كتابه «حسن المحاضره» فقال:

عبدالرحمن بن الكمال بن أبى بكر بن محمد بن سابق الدين ابن الفخر عـثمان بن ناظر الدين محمد بن سيف الدين خضر بن نجم الدين أبى الصلاح أيوب بن ناصر الدين محمد بن الشيخ همام الدين الخضيرى الأسيوى.

أما جدى الأعلى همام الدين فكان من أهل الحقيقه، و من مشايخ الطريقـه، و من دونه كانوا من أهل الوجاهه و الرياسه، مـنهم مـن ولـى الحكـم ببلـده، و منهم من ولى الحسبه بها، و منهم من كان تاجراً فى صـحبه الأمـير شـيخويه، و بنى مدرسه بأسيوط وقف عليها أوقافاً، و منهم مـن كـان متجـولاً، ولا أعـرف منهم من خدم العلم حق الخدمه إلا والدى.

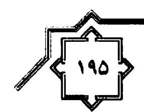
و أما نسبتنا إلى الخضيرى فلا أعلم ما تكون هذه النسبه إلا الخضيريه محلـه ببغداد.

وقد حدثنى من أثق به أنه سمع والـدى رحمه الله يـذكر أن جـده الأعلـى كـان أعجمياً أو من الشرق، فالظاهر أن النسبه إلى المحله المذكوره.

و كان مولدى بعد المغرب ليله الأحد مستهل رجب سنه تـسع و أربعـين و ثمانمائه، و حملت فى حياه أبى إلى الشيخ محمد المجذوب، رجل من كبار الأولياء بجوار المشهد النفيس[1]، فبارك على.

---

١ . يقصد بالمشهد النفيس؛ المشهد الحسيني.



و نشأت يتيماً، فحفظت القرآن ولي دون ثماني سنين، ثم حفظت العمده، و منهاج الفقه، و النحو عن جماعه من الشيوخ، و أخذت الفرائض عن العلامه فرضى زمانه الشيخ شهاب الدين الشارساحى الذى كان يقال إنه بلغ السن العاليه، و جاوز المائه بكثير ـ والله أعلم بذلك ـ قرأت عليه شرحه، و أجزت بتدريس العربيه فى مستهل سنه ست و ستين و ثمانمائه.

وقد ألفت فى هذه السنه، فكان أول شىء ألفته «شرح الاستعاذه و البسمله» و أوقفت عليه شيخنا علم الدين البلقينى، فكتب عليه تقريظاً، ولازمته فى الفقه إلى أن مات.

فلزمت ولده، و قرأت عليه من أول التدريب لوالده إلى الوكاله، و سمعت عليه من أول الحاوى الصغير إلى العدد، و من أول المنهاج إلى الزكاه، و من أول التنبيه إلى قريب من الزكاه، و قطعه من الروضه، من باب القضاء، و قطعه من تكمله شرح المنهاج للزركشى، و من إحياء الموات إلى الوصايا أو نحوها، و أجازنى بالتدريس والافتاء من سنه ست و سبعين و ثمانمائه و حضر تصديرى.

فلما توفى سنه ثمان و سبعين و ثمانمائه لزمت شيخ الإسلام شرف الدين المناوى، فقرأت عليه قطعه من المنهاج، و سمعته عليه فى التقسيم إلا مجالس فاتتنى، و سمعت دروساً من شرح البهجه و من حاشيته عليها، و من شرح البيضاوى.

و لزمت فى الحديث و العربيه شيخنا العلامه تقى الدين الشبلى الحنفى فواظبته أربع سنين، و كتب لى تقريظاً على شرح ألفيه ابن مالك، و على جمع الجوامع فى العربيه تأليفى، و شهد لى غيره مره بالتقدم فى العلوم بلسانه و بنانه، و رجع إلى قولى مجرداً مجرداً فى حديث، فإنه أورد فى شرحه على الشفا و حديث ابن أبى الجمره فى الإسراء، و عزاه إلى تخريج ابن ماجه، فاحتجت

إلى ايراده بسنده، فكشفت فى ابن ماجه فلم أجده، فمررت على الكتاب كله فلم أجده، فاتهمت نظرى، فمررت مره ثانيه فلم أجده، فعدت ثالثه فلم أجده، و وجدته فى معجم الصحابه لابن قانع فجئت إلى الشيخ و أخبرته، فبمجرد ما سمع منى ذلك أخذ نسخته، و أخذ القلم فضرب على ابن ماجه و ألحق ابن قانع فى الحاشيه، فأعظمت ذلك، وهبته لعظم منزله الشيخ فى قلبى، واحتقارى فى نفسى، و قلت: ألا تصبرون لعلكم تراجعون! فقال: لا، إنما قلدت فى قولى ابن ماجه البرهان الحلبى، ولم أنفك عن الشيخ إلى أن مات.

و لزمت شيخنا العلامه أستاذ الوجود محى الدين الكافيجى أربع عشره سنه، فأخذت عنه الفنون من التفسير و الأصول و العربيه و المعانى و غير ذلك، و كتب لى إجازه عظيمه.

و حضرت عند الشيخ سيف الدين الحنفى دروساً عديده فى الكشاف، و التوضيح، و حاشيته عليه، و تلخيص المفتاح، و العضد.

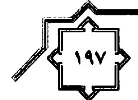
و شرعت فى التصنيف فى سنه ست و ستين و ثمانمائه، و بلغت مولفاتى إلى الآن ثلثمائه كتاب سوى ما غسلته و رجعت عنه.

و سافرت بحمدالله تعالى إلى بلاد الشام، و الحجاز، و اليمن، و الهند، و المغرب و التكرور.

و لما حججت شربت من ماء زمزم لأمور منها: أن أصل فى الفقه إلى رتبه الشيخ سراج الدين البلقينى، و فى الحديث إلى رتبه الحافظ بن حجر.

و عقدت إملاء الحديث من مستهل سنه اثنتين و سبعين و ثمانمائه.

و رزقت التبحر فى سبعه علوم: التفسير، والحديث، والفقه، و النحو، والمعانى، و البديع، على طريقه العرب و البلغاء، لا على طريقه العجم، و أهل الفلسفه، والذى اعتقده أن الذى وصلت إليه من هذه العلوم السبعه سوى الفقه



و النقول التى اطلعت عليها لم يصل اليه ولا وقف عليه أحد من أشياخى فضلاً عمن دونهم، و أما الفقه فلا أقول ذلك فيه، بل شيخى فيه أوسع نظراً و أطول باعاً.

و دون هذه السبعه فى المعرفه: أصول الفقه، والجدل، و التصريف، و دونها الإنشاء، و الترسل، و الفرائض، و دونها القراءات ـ ولم آخذها عن شيخ ـ و دونها الطب.

و أما علم الحساب، فهو أعسر شيء عليّ، و أبعده عن ذهنى، و إذا نظرت فى مسأله تتعلق به فكأنما أحاول جبلاً أحمله، وقد كملت عندى آلات الاجتهاد بحمد الله. أقول ذلك تحدثاً بنعمة الله تعالى، لا فخر أو أى شيء فى الدنيا حتى يطلب تحصيلها فى الفخر، وقد أزف الرحيل، و بدأ الشيب، و ذهب أطيب العمر.

ولو شئت أن أكتب فى كل مسأله مصنفاً لها بأقوالها و أولتها النقليه و القياسيه، و مداركها و نقوضها و أجوبتها، و الموازنه بين اختلاف المذاهب فيهما لقدرت على ذلك من فضل الله لا بحولى، ولا قوه إلا بالله، ما شاء الله لا قوه إلا بالله.

وقد كنت فى مبادىء الطلب قرأت شيئاً فى علم المنطق، ثم ألقى الله كراهته فى قلبى، و سمعت أن الصلاح أفتى بتحريمه فتركته لذلك، فعوضنى الله تعالى عنه علم الحديث الذى هو أشرف العلوم.

أما مشايخى فى الروايه سماعاً و إجازه فكثيرون، أوردتهم فى المعجم الذى جمعتهم فيه، وعدتهم نحو مائه و خمسين، ولم أكثر من سماع الروايه لاشتغالى بما هو أهم و هو قراءه الدرايه.

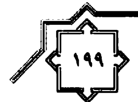
قال: هذه أسماء مصنفاتى لتستفاد.

في فن التفسير و تعلقاته و القراءات:

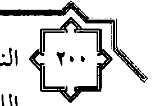
الإتقان فی علوم القرآن، الدر المنثور فی التفسیر المأثور، ترجمان القرآن فی التفسیر، المسند، أسرار التنزیل یسمی قطف الأزهار فی کشف الأسرار، لباب النقول فی أسباب النزول، مفحمات الأقران فی مبهمات القرآن، المهذب فیما وقع فی القرآن من المقرب، الإکلیل فی استنباط التنزیل، تکمله تفسیر الشیخ جلال الدین المحلی، التحبیر فی علوم التفسیر، حاشیه علی تفسیر البیضاوی، تناسق الدرر فی تناسب السور، مراصد المطالع فی تناسب المقاطع و المطالع، مجمع البحرین و مطلع البدرین فی التفسیر، مفاتح الغیب فی التفسیر، الأزهار الفائحه علی الفاتحه، شرح الاستعاذه و البسمله، الکلام علی أول الفتح، و هو تصدیر ألقیته لما باشرت التدریس بجامع شیخون بحضره شیخنا البلقینی، شرح الشاطبیه، الألفیه فی القراءات العشر، خمائل الزهر فی فضائل السور، فتح الجلیل للعبد الذلیل فی الأنواع البدیعیه المستخرجه من قوله تعالی: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا...﴾ الآیه، وعدتها مائه و عشرون نوعا، القول الفصیح فی تعیین الذبیح.

فن الحديث و تعليقاته:

کشف المغطی فی شرح الموطأ، إسعاف المبطأ برجال الموطأ، التوشیح علی الجامع الصحیح، الدیباج علی صحیح مسلم بن الحجاج، مرقاه الصعود إلی سنن أبی داود، شرح ابن ماجه، تدریب الراوی فی شرح تقریب النووی، شرح ألفیه العراقی، الألفیه و تسمی نظم الدرر فی علم الأثر و شرحها یسمی قطر الدرر، التهذیب فی الزوائد علی التقریب، عین الإصابه فی معرفه الصحابه، کشف التلبیس عن قلب أهل التدلیس، توضیح المدرك فی تصحیح المستدرك،



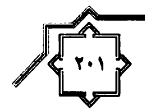
اللآلـىء المـصنوعه فـى الأحاديـث الموضـوعه، النكـت البـديعات علـى الموضوعات، الذيل على القول المسدد، القول الحسن فى الذب عن السنن، لب اللباب فى تحرير الأنساب، تقريب الغريب، المدرج إلى المدرج، تذكره المؤتـسى بمن حدث و نسبى، تحفه النابه بتلخيص المتشابه، الروض المكلل و الورد المعلل فـى المـصطلح، منتهـى الآمـال فـى شرح حـديث إنـما الأعـمال، المعجـزات و الخصائص النبويه، شرح الصدور بشرح حال الموتى و القبور، البـدور الـسافره عن أمور الآخره، ما رواه الواعون فى أخبـار الطـاعون، فـضل مـوت الأولاد، خصائص يوم الجمعه، منهاج السنه، و مفتاح الجنه، تمهيد الفـرش فـى الخـصال الموجبه لظل العرش، بزوغ الهلال فى الخصال الموجبه للظلال، مفاتح الجنبه فى الاعتصام بالـسنه، مطلـع البـدرين فـيمن يـؤتى أجـرين، سـهام الإصـابه فـى الدعوات المجابه، الكلم الطيـب، القـول المختـار فـى المـأثور مـن الـدعوات و الأذكار، إذكار الأذكار، الطب النبوى، كـشف الصلـصه عـن وصـف الزلزلـه، الفوائد الكامنه فى إيمان السيده آمنه، و يسمى أيضاً التعظيم و المنه فى أن أبـوى النبى ﷺ فى الجنه، المسلسلات الكبرى، جياد المسلسلات، أبواب السعاده فى أسباب الشهاده، أخبار الملائكه، الثغـور الباسـمه فـى مناقـب الـسيده، منـاهج الصفا فى تخريج أحاديث الشفا، الأساس فى مناقب بنـى عبـاس، در الـسحابه فيمن دخل مصر من الصحابه، زاوئد شعب الإيمان للبيهقى، لم الأطراف و ضم الأتراف، أطراف الأشراف بالأشراف على الأطراف، جـامع المـسانيد، الفوائـد المتكاثره فى الأخبار المتواتره، الأزهـار المتنـاثره فـى الأخبـار المتـوابره، تخـريج أحاديث الدره الفاخره، تخريج أحاديث الكفايه يسمى تجربه العنايـه، الحـصر و الإشاعه لأشراط الساعه، الدرر المنتثره فى الأحاديث المشتهره، زوائـد الرجـال على تهذيب الكمال، الدر المـنظم فـى الاسـم المعظـم، جـزء فـى الـصلاه علـى



النبى ﷺ، من عاش من الصحابه مائه و عشرين، جزء فى أسماء المدلسين، اللمع فى أسماء من وضع، الأربعون المتباينه، درر البحار فى الأحاديث القصار، الرياضه الأنيقه فى شرح أسماء خير الخليقه، المرعاه العليه فى شرح الأسماء النبويه، الآيه الكبرى فى شرح قصه الإسراء، أربعون حديثاً من روايه مالك عن نافع عن ابن عمر، فهرست المرويات، بغيه الرائد فى الذيل على مجمع الزوائد، أزهار الآكام فى أخبار الأحكام، الهبه السنيه فى الهيئه السنيه، تخريج أحاديث شرح العقائد، فضل الجلد، الكلام على حديث ابن عباس: «احفظ الله يحفظك»، هو تصدير ألقيته لما وليت درس الحديث بالشيخونيه، أربعون حديثاً فى فضل الجهاد، أربعون حديثاً فى رفع اليدين فى الدعاء، التعريف بآداب التأليف، العشاريات، القول الأشبه فى حديث: «**من عرف نفسه فقد عرف ربه**»، كشف النقاب عن الألقاب، نشر العبير فى تخريج أحاديث الشرح الكبير، من وافقت كنيته كنيه زوجه من الصحابه، ذم زياره الأمراء، زوائد نوادر الأصول للحكيم الترمذى، تخريج أحاديث الصحاح يسمى فلق الصباح، ذم المكس، آداب الملوك.

فن الفقه و تعلقاته:

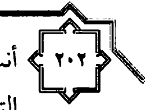
الأزهار الغضه فى حواشى الروضه، الحواشى الصغرى، مختصر الروضه يسمى القنيه، مختصر التنبيه، يسمى الوافى، شرح التنبيه، الأشباه و النظائر، اللوامع و البوارق فى الجوامع و الفوارق، نظم الروضه يسمى الخلاصه، شرحه يسمى رفع الخصاصه، الورقات المقدمه، شرح الروض، حاشيه على القطعه للإسنوى، العذب السلسل فى تصحيح الخلاف المرسل، جمع الجوامع، الينبوع فيما زاد على الروضه من الفروع، مختصر الخادم، يسمى تحصين الخادم، تشنيف



الأسماع بمسائل الاجماع، شرح التدريب الكافى، زوائد المهذب على الواقى، الجامع فى الفرائض، شرح الرحبيه فى الفرائض، مختصر الأحكام السلطانيه للماوردى.

الأجزاء المفرده في مسائل مخصوصه علي ترتيب الأبواب:

الظفر بقلم الظفر، الاقتناص فى مسأله التماص، المستطرفه فى أحكام دخول الحشفه، السلاله فى تحقيق المقر و الاستحاله، الروض الأريض فى طهر المحيض، بذل المسجد لسوال المسجد، الجواب الحزم عن حديث التكبير جزم، القذاذه فى تحقيق محل الاستعاذه، ميزان المعدله فى شأن البسمله، جزء فى صلاه الضحى، المصابيح فى صلاه التراويح، بسط الكف فى إتمام الصف، اللمعه فى تحقيق الركعه لإدراك الجمعه، وصول الأمانى بأصول التهانى، بلغه المحتاج فى مناسك الحاج، السلاف فى التفصيل بين الصلاه و الطواف، شد الأثوار فى سد الأبواب فى المسجد النبوى، قطع المجادله عند تغيير المعامله، إزاله الوهن عن مسأله الرهن، بذل الهمه فى طلب براءه الذمه، الإنصاف فى تمييز الأوقاف، أنموذج اللبيب فى خصائص الحبيب، الزهر الباسم فيما يزوج فيه الحاكم، القول المضى فى الحنث فى المضى، القول المشرق فى تحريم الاشتغال بالمنطق، فصل الكلام فى ذم الكلام، جزيل المواهب فى اختلاف المذاهب، تقرير الإسناد فى تيسير الاجتهاد، رفع منار الدين و هدم بناء المفسدين، تنزيه الأنبياء عن تسفيه الاغبياء، ذم القضاء، فضل الكلام فى حكم السلام، نتيجه الفكر فى الجهر بالذكر، طى اللسان عن ذم الطيلسان، تنوير الحلك فى إمكان رؤيه النبى و الملك، أدب الفتيا، إلقام الحجر لمن زكى سباب أبى بكر و عمر، الجواب الخاتم عن سوال الخاتم، الحجج المبينه فى التفضيل بين مكه و المدينه، فتح المغالق من



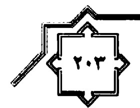
أنت طالق، فل الخطاب فى قتل الكلاب، سيف النظار فى الفرق بين الثبوت و التكرار.

فن العربيه و تعلقاته:

شرح ألفيه ابن مالك، يسمى البهجه المضيه فى شرح الألفيه، الفريده فى النحو و التصريف والخط، النكت على الألفيه و الكافيه و الشافيه و الشذور و النزهه، الفتح القريب على مغنى اللبيب، شرح شواهد المغنى، جمع الجوامع، شرحه يسمى همع الهوامع، شرحه الملحه، مختصر الملحه، مختصر الألفيه و دقائقها، الأخبار المرويه فى سبب وضع العربيه، المصاعد العليه فى القواعد النحويه، الاقتراح فى أصول النحو وجدله، رفع السنه فى نصب الزنه، الشمعه المضيئه، شرح كافيه ابن مالك، در التاج فى إعراب مشكل المنهاج، مسأله ضربنى زيداً قائماً، السلسله الموشحه، الشهد، شذا العرف فى إثبات المعنى للحرف، التوشيح على التوضيح، السيف الصقيل فى حواشى ابن عقيل، حاشيه على شرح الشذور، شرح القصيده الكافيه فى التصريف، قطر الندا فى ورود الهمزه للندا، شرح تصريف العزى، شرح ضروره التصريف لابن مالك، تعريف الأعجم بحروف المعجم، نكت على شرح الشواهد للعين، فجر الثمد فى إعراب أكمل الحمد، الزند الورى فى الجواب عن السوال السكندرى.

فن الأصول و البيان و التصوف:

شرح لمعه الإشراق فى الاشتقاق، الكوكب الساطع فى نظم جمع الجوامع، شرحه، شرح الكوكب الوقاد فى الاعتقاد، نكت التلخيص يسمى الافصاح، عقود الجمان فى المعانى و البيان، شرحه، شرح أبيات تلخيص المفتاح، مختصره، نكت على حاشيه المطول لابن الغزى ﷺ، حاشيه على المختصر، البديعيه،



شرحها، تأيد الحقيقه العليه و تشييد الطريقه الشاذليه، تشييد الأركان فى ليس فى الإمكان أبدع مما كان، درج المعالى فى نصره الغزالى، على المنكر المتغالى، الخبر الدال على وجود القطب و الأوتاد و النجباء و الأبدال، مختصر الأحياء، المعانى الدقيقه فى إدراك الحقيقه، النقايه فى أربعه عشر علماً، شرحها، شوارد الفوائد، قلائد الفرائد، نظم التذكره، و يسمى الفلك المشحون، الجمع و التفريق فى الأنواه البديعيه.

فن التاريخ و الأدب:

تاريخ الصحابه و قد مر ذكره، طبقات الحفاظ، طبقات النحاه: الكبرى و الوسطى و الصغرى، طبقات المفسرين، طبقات الأصوليين، طبقات الكتاب، حليه الأولياء، طبقات شعراء العرب، تاريخ الخلفاء، تاريخ مصر هذا، تاريخ سيوط، معجم شيوخى الكبير و يسمى حاطب ليل و جارف سيل، المعجم الصغير يسمى المنتقى، ترجمه النووى، ترجمة البلقينى، الملتقط من الدرر الكامنه، تاريخ العمر، و هو ذيل على إنبا الغمر، رفع الباس عن بنى عباس، النقمه المسكيه و التحفه المكيه، على نمط عنوان الشرق، درر الكلم و غرر الحكم، ديوان خطب، ديوان شعر، المقامات، الرحله الفيوميه، الرحله المكيه، الرحله الدمياطيه، الرسائل إلى معرفه الأوائل، مختصر معجم البلدان لياقوت، الشماريخ فى علم التاريخ، الجمانه، رساله فى تفسير ألفاظ متداوله، مقاطع الحجاز، نور الحديقه من نظم القول، المجمل فى الرد على المهمل، المنى فى الكنى، فضل الشتاء، مختصر تهذيب الأسماء للنووى، الأجوبه الزكيه عن الألغاز السبكيه، رفع شأن الحبشان، أحاسن الأقباس فى محاسن الاقتباس، تحفه المذاكر فى المنتقى من تاريخ ابن عساكر، شرح بانت سعاد، تحفه الظرفاء بأسماء الخلفاء، قصيده رائيه، مختصر شفاء الغليل فى ذم الصاحب و الخليل.



وفاته:

و هكذا فإننا نجد أنفسنا أمام قمه من شوامخ العلم و الحفظ و تنوع الثقافه، و الإجاده فی الكثير جداً من الكتب.

و فی ليل الجمعه فی التاسع عشر من جمادی الأولی سنه إحدی عشره و تسعمائه أسلم السيوطی روحه الطاهره إلی بارئها، و دفن بحصن قوصون، خارج باب القرافه، و ما زال حياً بيننا بما تركه لنا من تراث ننهل منه علماً فی كل لحظه.

رحم الله الإمام السيوطی، و جعل أعماله فی صحائفه يوم القيامه و أجزانا به. و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، و الصلاه و السلام علی أشرف المرسلين.

ثناء العلماء علي السيوطي:

ثناء ابن العماد الحنبلي

قال ابن العماد الحنبلی فی الإمام السيوطی:

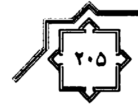
«المسند المحقق المدقق صاحب المولفات الفائقه النافعه... ولو لم يكن من الكرامات إلا كثره المولفات مع تحريرها و تدقيقها لكفی شاهداً لمن يومن بالقدره».[1]

ثناء الشوكاني:

قال الإمام الشوكانی فی الإمام السيوطی:

---

١ . شذرات الذهب ٨/ ٥١.



«إمام كبير فى الكتاب و السنه، محيط بعلوم الاجتهاد إحاطه متضاعفه، عالم بعلوم خارجه عنها».[1]

و قال: «برز فى جميع الفنون، وفاق الأقران و اشتهر ذكره، و بعد صيته و صنف الكتب المفيده كالجامعين فى الحديث، والدر المنثور فى التفسير، و الإتقان فى علوم القرآن، و تصانيفه فى كل فن من الفنون مقبوله و قد سارت فى الأقطار مسير النهار».[2]

الكتاب و منهج التحقيق

وصف المخطوطه؛

تقع هذه الرساله فى مجموع خطى نفيس يشمل على ما يقرب من مائه رساله كلها للإمام السيوطى، ما عدا رساله أو رسالتان، وقد كتبت بخط واضح ولكنها كثيره التحريف و التصحيف.

و هذا المجموع الخطى محفوظ بخزانه دار الكتب المصريه تحت رقم و فن (٢٥ مجاميع قوله). عدد صفحات الساله ١٠ صفحات، مسطرتها ٢٧ سطر، و قد كتبها السيد محمود يوم الجمعه وقت الضحى ٢٢ من شهر صفر سنه.

و الجدير بالذكر أن هذه الرساله موجوده ضمن الحاوى للسيوطى.

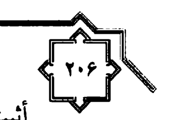
منهج التحقيق:

١ـ حققت نص الكتاب بمراجعه نسخه دار الكتب المصريه على الرساله الموجوده ضمن الحاوى.

---

١ . إرشاد الفحول ص٢٥٤.

٢ . البدر الطالع ص٣٢٨، ٣٢٩.



٢ـ رمزت لنسخه دار الكتب بالرمز (١)، و لنسخه الحاوى بـالرمز (ط)، و أثبت ما اختلف بينهما فى الهامش.

٣ـ خرجت الأحاديث النبويه الـشريفه علـى الكتـب المعتمـده، و الآيـات القرآنيه الشريفه على المصحف.

٤ـ ترجمت للأعلام الموجودين بالرساله.

٥ـ وضعت عناوين بسيطه كلما لزم الأمر لذلك.

٦ـ قمت بوضع دراسه مبسطه عن نبى الهـدى محمـد ﷺ ـ بـشاره الكتـب السماويه به، و مولده، و نسبه الطاهر، و بعثه ـ بالإضافه إلى أقوال بعض العلماء فى عمل المولد، و مناقشه لعلل إقامـه المولـد، و أخـيراً كيـف يكـون الاحتفـال بالمولد النبوى الشريف.

٧ـ كما قمت بوضع ترجمه بسيطه عن الإمام السيوطى و مكانته العلميه.

٨ـ قمت بوضع فهارس للأعلام، والأحاديث النبويـه الـشريفه، و فهـرس للموضوعات.

والله أدعو أن يتقبل هذا العمل خالصاً لوجهه، ابتغاءً لمرضاته، و طمعاً فـى كرمه و لطفه راجياً من الله أن ينفع به المسلمين فى كل مكـان، و أى زمـان، والله الموفق إلى ما فيه الخير و الصواب.

المحقق

مصطفى عبد القادر عطا

الدراسه

مقدمه

نبي الهدى

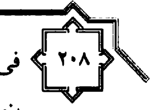
باسمه سبحانه يكون البدء و الاهتداء، و بفضله جل و علا يكون التوفيق و الاعتلاء، و بالصلاه و السلام على نبيه المصطفى يقرب الوصول، و يدنو المأمول.

و الحمد لله رب العالمين، خلق فسوى، و قدر فهدى، بيده الحركه و السكون، و هو الذى يقول للشيء كن فيكون، من قصد غيره ضل، و من تعزز بغيره ذل، و من تكاسل عن طاعته خاب و فشل، يعز من يشاء، و يذل من يشاء، يعز من يشاء بطاعته، و يذل من يشاء بمعصيته، فلا عز إلا فى طاعته، ولا ذل إلا فى معصيته.

و أشهد أن لا إله إلا الله، الملك الحق المبين، و أشهد أن محمداً رسول الله، الصادق الوعد الأمين، بلّغ الرساله، و أدى الأمانه، و نصح الأمه، و كشف الغمه، فجزاه الله عنا خير ما جزى نبياً عن أمته.

و صلوات الله و سلامه و تحيته و بركاته على هذا النبى التقى، النقى، الوفى، الكريم، و على آله و أصحابه و أتباعه و ذريته أجمعين.

و بعد: فكلما أتى علينا شهر ربيع الأول، أتت معه نسمات عطره لذكرى عطره، و حلقت بالمسلمين حيث منبع تلك النسمات... حيث ولد ذلك النبى



فى جوف الصحرا، فتحولت به إلى روضه من رياض الجنه، بنعم فيها من اتبعه بنور الإسلام.

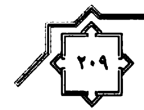
اهتزت الصحراء... بل اهتز العالم كله بمولد سيد الخلق أجمعين... فكان حدثاً عظيماً غير مجرى التاريخ، فأشرقت شمس العدل و الرحمه على هذا الكون، و تلألأ ضياؤها فأطمث ظلام الجهل المخرب، و أقبرت العقائد الباطله، و المبادىء الباليه.

فقد كان العالم يموج بالفتن و الأحقاد المدمره، و يتخبط فى ظلمات الجاهليه، و غياهب العزله و الانطواء، فاستبد القوى بالضعيف، و سفكت الدماء، و قتل الأبرياء، و ألغيت العقول، و أتى الناس بكل ما هو غير معقول!!

فسجدوا لغير خالقهم و عبدوه، سجدوا لأصنام لا تنفع ولا تضر، وسفكوا الدماء من أجلها، و أفنوا أعمارهم رغبه فى رضاها، و أتوا بكل ما هو منكر و مشين.

و فى هذا الجو المشحون بالفساد و الأحقاد، و الظلم و الظلمات، شاء الله عز و جل أن يمحو الظلم بالعدل، و الظلمات بالنور، والحقد بالحب و الألفه، و الفساد بالصلاح... شاء المولى سبحانه و تعالى أن يرسل لذلك الكون من يصلح ما عبثت به أيدى البشر و عقولهم، فكان اختياره سبحانه و تعالى من جوف الصحراء، من بيئه الأصنام، اصطفاه و أدبه تأديباً يليق بمكانته، فكان على خلق عظيم.

فقد شهد عام الفيل مولده ﷺ، فى ذلك العالم الذى أراد أبرهه الغاشم الاعتداء على الكعبه المشرفه، فرده الله سبحانه و تعالى بالطير الأبابيل، و شاء أن يختم رسله بالصادق الوعد الأمين.



فكان مولده ﷺ فى الثانى عشر من شهر ربيع الأول، فى يوم الاثنين الموافق ٢٣ إبريل سنه ٥٧١ ميلاديه على أصح الأقوال.

ولد أعظم خلق الله كلهم و أشرفهم، فمحى الظلمه، و كشف الغمه، و أنقذ البشريه و حررها من أغلال الجهل و العبوديه، و أرشدهم إلى نور الله عزوجل، و بلغ الرساله، و أدى الأمانه، فكان رحمه للعالمين.

قال تعالى:

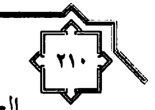
﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلاَلٍ مُبِينٍ﴾. (الجمعه/ ٢).

ففى مثل هذا اليوم من كل عام تطل علينا ذكرى المولد النبوى الشريف، و معالم حياه فاضله، و تاريخ أصيل عريق؛ فمن حق صاحب الذكرى أن نذكر فضله الذى نشره، و خلقه الكريم الذى وجب علينا أن نتأسى به، و نذكر الرحمه التى كان هو الباعث لها، و العدل الذى جاهد من أجله... كل هذا يوجب علينا الاحتفال به.

و نحن إذ نقول «ذكرى» لا نعنى أنها مجرد ذكرى فقط، لكنه اللفظ الذى يطلق فى تلك المناسبات، فمحمد ﷺ شبيه بالوجود اللامحدود.

فما كان محمداً ﷺ مجرد مولود لفظه رحم، فانخرط بين ملايين البشر، ولم يكن إنساناً عادياً، بل كان قوه إلهيه أعادت صياغه الحياه صياغه قويمه، بعد ما ساد فيها من فوضى وجهالات، و كان نسمه زكيه ردت إلى الحياه رشدها، و سكبت الطهر و العفاف فى وجدانها.

فكيف لا نحتفل به و هو أعظم خلق الله كلهم، أنقذ البشريه، و حررها من عقال الجهل و الظلم و الفرقه، و هداهم إلى الصراط المستقيم.



ولكن... كيف نحتفل بهذه الذكرى العطره، و صاحبها على هـذه المكانـه العظيمه و الكمال الانسانى؟ كيف نوفيه حقه غير منقوص؟

فقد أثارت هذه المناسبه الكريمه رأى بعض العلماء من حيث إنها بدعـه، و ليس من الاسلام فعلها؛ لأن كل بدعه ضلاله، و كل ضلاله فى النار...

ولكن... تعالوا بنا نناقش تلك القضيه مناقشه هادئـه غـير متعـصبه، كـى تكون مناقشه موضوعيه مفيده، نخرج منها بنتيجه قيمه مقنعه.

هل الاحتفال بمولد الرسول ﷺ هو البدعه نفسها؟ أم مـا يفعلـه النـاس اليوم من أفعال مشينه بحجه الاحتفال بالمولد هو الشيء المبتدع المشين؟

نجـد أن هنـاك مـن العلـماء الأفاضـل مـن نفـى فكـره الاحتفـال بمولـد الرسول ﷺ نفياً قاطعاً بحجه أنه شيء مبتدع، و من هولاء الأخ الفاضـل أبـى بكر الجزائرى بالمدينه المنوره، فقد أقام الأدله و البراهين على حرمه عمل المولـد النبوى الشريف، و أبطل العلل التى قال بها من جوز عمل المولد بطلاناً قاطعـاً، و ذلك فى كتابه «**الإنصاف فيما قيل فى المولد من الغلو و الإجحاف**».

و نحن الآن بصدد مناقشه تلك العلل التى قال بها العلماء إنها مبيحه لعمـل المولد، و التى أبطلها الأخ الفاضل. فلنناقش تلك العلـل، و إبطـال الأخ لهـا، و نخلص من ذلك بنتيجه تتفق و مـا تبيحـه لنـا شريعتنـا الـسمحه، و تقـف فـى مواجهه ما يفعله الناس من أفعال لا تبيحه شريعه، و لا يقره عقل إنسان.

والله الموفق

مصطفى عبد القادر عطا

بشاره الكتب السماوية به ﷺ

في التوراه:

فمما اتفقوا عليه مما جاء فى التوراه، و ترجموه بالعربيه، و رضوا ترجمته قوله: **«جاء الله من طور سيناء، و أشرق لنا من ساعير، و استعلن من جبال فاران. فمجيئه من سيناء تكليمه لموسى، و إشراقه من ساعير إنزاله الإنجيل على عيسى، و استعلائه من جبال فاران إنزاله القرآن على محمد ـ صلوات الله عليهم أجمعين»**.[1]

في الزبور:

و فى الزبور يقول الله تعالى لداود: **«سيولد لك ولد أدعى له أباً، و يدعى لى إبناً. فقال داود: اللهم اجعل جاعل السنه يحيا، يعلم الناس أنه بشر»**.

و فيه أيضاً: **«يا داود، سيأتى من بعدك نبى يسمى «أحمد» و «محمد» صادقاً سيداً، لا أغضب عليه أبداً، ولا يعصينى أبداً، قد غفرت له قبل أن يعصينى ما تقدم من ذنبه و ما تأخر، أمته مرحومه، أعطيتهم النوافل مثلما أعطيت الأنبياء، و افترضت عليهم الفرائض التى افترضت على الأنبياء و الرسل، حتى يأتوا يوم القيامه نورهم مثل نور الأنبياء»**.

---

١ . نفح الأزهار فى مولد المختار، للأستاذ على الجندى، نقلا عن معجم البلدان ٥/ ١٠، ٦/ ٣٢٣. و خير البشر لابن ظفر ص٩.

و في الإنجيل:

قال عيسى عليه السلام: «**إن أحببتمونى، فاحفظوا وصيتى، و أنا أطلب إلى إبى فيعطيهم بارقليط آخر يكون معكم الدهر كله**».

و فى إنجيل متى: «و أما الآن فإن شئتم. فافعلوا، فإن إيليا المزمع أن يأتى، فمن كانت له أذنان سامعتان فليسمع، فهذه بشاره بمحمد صلى الله عليه و آله، فمن زعم أن إيليا: إلياس فهذا من أعظم الجهل و الكذب على الله؛ لأن إلياس تقدم إرساله إلى قومه، و صار إلى الله تعالى...».

و في كتاب سعيا:

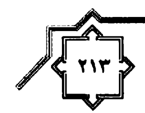
«عبدى الذى سُرّت به نفسى، أنزل عليه وحيى، فيظهر فى الأمم عدلى، و يوصيهم بالوصايا، لا يضحك ولا يسمع صوته فى الأسواق، يفتح العيون العور، و الآذان الصم، و يحيى القلوب الغلف، و ما أعطيته لا أعطى أحداً، مشقح يحمد الله حمداً جديداً، يأتى من أقصى الأرض، تفرح البريه، و سكانها يهللون الله على كل شرف و يكبرونه على كل رابيه...».

نجد أنه فى كل الكتب السماويه بشاره به صلى الله عليه و آله لتعمر به الأرض، و تملأ قسطاً و عدلاً، وقد كان.

مولده صلى الله عليه و آله

ولد رسولنا الكريم صلى الله عليه و آله بمكه عام الفيل، فى اليوم الثانى عشر من شهر ربيع الأول، و المشهور بين العلماء أنه ولد يوم الاثنين.

ففى الحديث: أن النبى صلى الله عليه و آله سئل عن يوم الاثنين، فقال: «**هذا يوم ولدت فيه، و بعثت فيه، و أنزل عليّ فيه، و هاجرت فيه**».



وقد وافق سنه ولادته سنه إحدى و سبعين و خمسمائه ميلاديه.

أما مكان ولادته ﷺ ففى دار ابن يوسف بمكه المكرمه، و قد ولد ليلاً، أو بعد الفجر و قبل طلوع الشمس على قولين.

نسب طاهر

إن نسب الرسول الكريم لنسب طاهر خالص، و أجمع على ذلك العلماء و الفقهاء.

فعن علي رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «**خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح، من لدن آدم إلى أن ولدنى أبي و أمى؛ لم يصبنى من سفاح أهل الجاهليه شىء**».[1]

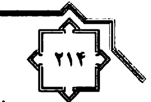
و عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما ولدنى من سفاح الجاهليه شىء، ما ولدنى إلا نكاح الإسلام**».[2]

و فى السيره الحلبيه للإمام السبكى ١/ ٤٧: «الأنكحه التى فى نسبه ﷺ منه إلى آدم، كلها مستجمعه شروط الصحه كأنكحه الإسلام، ولم يقع فى نسبه ﷺ منه إلى آدم إلا نكاح صحيح مستجمع لشرائط الصحه، كنكاح الإسلام الموجود اليوم».

---

١ . الحديث أخرجه الطبرانى فى الكبير، و ابن عدى فى الكامل، و ابن عساكر فى تاريخه، و ابن أبى عمرو العدنى فى مسنده، كلهم عن عليّ رضي الله عنه.
كما أورده السيوطى فى الجامع الكبير حديث رقم ١٣٥٦٣، و فى الصغير حديث رقم ٩٠٣ و رمز له بالحسن.

٢ . الحديث أخرجه الطبرانى فى الكبير، و البيهقى فى السنن الكبرى، و ابن عساكر فى تاريخه عن ابن عباس رضي الله عنهما. و أورده السيوطى فى جمع الجوامع.



فرسولنا الكريم ﷺ هو: محمد بن عبد الله بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن مره بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانه بن خزيمه بن مدركه بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان.

بعثه ﷺ

لما بلغ رسول الله ﷺ أربعين سنه، أراد المولى عزوجل إنفاذ إمره، فأرسله رحمه للعالمين، بشيراً و نذيراً، و داعياً إلى الله، و سراجاً منيراً.

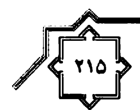
رسول الرحمه و الهدي:

«هى فتره رهيبه انقطع فيها وحى السماء، و بعد العهد بالنفحات النبويه، و جللت الآفاق ظلمات بعضها فوق بعض، إذا أخرج الانسان يده لم يكد يراها، و غمرت الأرض سيول عاتيه من الفوضى، لم تدع فوق بساطها بقعه يأوى إليها ملك كريم، و بسط الجهل سلطانه على العقول، فهبط زعيم المخلوقات إلى مستوى العجماوات... و تنبهت الغرائز الوضيعه فى النفوس، فأصبح إشباع الذكوره الجائعه، و إرضاه الشهوات الجامحه، الغرض المنشود»[1].

هكذا كان العالم قبل بزوغ القمر المكى الأبطحى، مصوراً فى أضيق الحدود، و كأن الله سبحانه قد ابتلى الناس بهذه المحن القاسيه، و أغرقهم فى تلك الفتن المائجه، ليعذب لديهم وقع النعم، و يقدروا مبلغ ما خولهم من الفيض و الكرم، كالفقير يصافحه الإتراب بعد المرتبه، و المريض تفىء اليه الصحه، بعد العله المنهكه. ولقد كان من تأثر هذه الأحوال أو الأوحال، أن

---

١ . نفح الأزهار فى مولد المختار، للأستاذ على الجندى ص٢١٨.



استشرفت الدنيا إلى هدى نبوى، يكشف هذه الغمه، و يصدع هذه العمايه، و يزيح النقاب عن محيا الصواب، ولا غرو فقد استحكم اليأس، و بلغت الروح الحلقوم، والله أوسع جوداً، و أعم نوالاً من أن يترك خليفته فى أرضه، يخبط فى ضلاله عمياء، و جهاله جهلاء... و مد الكتاب خاصه عيونهم عيونهم تلقاء مكه، يتنورون طلعه النبى الذى نعتته كتبهم، و أخبرت به رسلهم... فأما اليهود فهو عندهم «محمد» الذى يعرفونه كما يعرفون أبناءهم، و كانوا يستفتحون به من قبل. و أما النصارى فهو عندهم «أحمد» الذى بشر به الإنجيل و المعبر عنه بالفارقليط، روح الحق الذى يبين لهم كل شىء»[1]

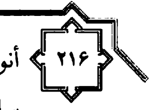
«لقد ولد العالم من جديد بمولد البشير، و تبدلت الأرض غير الأرض. فالدين يسر ﴿لاَنُكَلِّفُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا﴾. والعقيده واضحه يستوى فى فهمها العالم و الجاهل، و الكبير و الصغير ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لاَ إِلٰهَ إِلَّا اللهُ﴾. و التوحيد ديننا و دين الأنبياء من قبلنا ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لاَ إِلٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾. و الرسل جميعاً نجل مكانتهم و نعتقد عصمتهم ﴿لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِن رُسُلِهِ﴾. و المسلمون على اختلاف ألسنتهم و ألوانهم و تباين ديارهم و أوطانهم، أسره واحده ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾. و الناس عبيد الله وحده لا يفضل أحد أحداً إلا بالتقوى ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ﴾.

المولد كما يجب الإحتفال به

و بعد، فقضيتنا الآن هى الاحتفال بمولد الهادى الكريم، هل هو ممنوع غير مقبول؟ أم هو غير ممنوع، لكن الممنوع هو ما يحدث فيه؟ و إن احتفلنا بمولد رسولنا الكريم، هل يكون بإقامه المأدبات الزاخره بأصناف الأطعمه الشهيه، و

---

١ . المرجع السابق ص٢١٩، ٢٢٠، ٢٢١.



أنواع المشروبات العذبه؟ أم بإحياء الليالى الساهره بالأمداح و تلاوه السيره فى ساعات قليله عابره؟ و بعدها يولى المحتفل لها ظهره دون أن يكون فى نفسه أدنى أثر تلك الذكرى الفطره.

لا... بل يجب ان يكون الاحتفال بالمولد احتفالاً بالاسلام بكل معانيه، و أوامره و نواهيه، و الخضوع لكل ما يمليه علينا قواعد شرعيه، فلا نقف أمام يوم واحد هو يوم مولد رسولنا الكريم، بل نجعل لنا من كل يوم جديد مولد حياه كريمه، نحول فيها الضعف إلى قوه، و نرسى فى أنفسنا قواعد عقيدتنا، و مبادىء الإسلام العظيم.

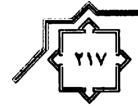
أقوال العلماء في عمل المولد

قول الإمام الحافظ أبو الفضل ابن حجر:

«أصل عمل المولد بدعه لم تنقل عن أحد من السلف الصالح من القرون الثلاثه، ولكنها مع ذلك قد اشتملت على محاسن و ضدها؛ فمن تحرى فى عملها المحاسن، و تجنب ضدها، كان بدعه حسنه».

قول الإمام السخاوي:

«ولو لم يكن فى ذلك إلا إرغام الشيطان، و سرور أهل الإيمان من المسلمين لكفى، و إذا كان أهل الصليب اتخذوا مولد نبيهم عيداً أكبر، فأهل الإسلام أولى بالتكريم و أجدر. فرحم الله امرءاً اتخذ ليالى هذا الشهر المبارك و أيامه أعياداً لتكون أشد علّه على من فى قلبه أدنى مرض، و أعيا داء».



قول العلامه فتح الله البناني:

«إن إحسن ما ابتدع فی زماننا هذا ـ كما قال الإمام إبو شامه و غيره ـ ما يفعل كل عام فی اليوم الذی يوافق مولده ﷺ من الصدقات و المعروف، و إظهار الزينه و السرور. فإن ذلك ـ مع ما فيه من الإحسان إلى الفقراء ـ مشعر بمحبه النبي ﷺ و تعظيمه فی قلب فاعل ذلك، و شكر الله تعالى على ما منّ به من إيجاد رسول الله ﷺ الذی أرسله رحمه للعالمين».

قول العلامه القسطلاني:

«ولا زال أهل الاسلام بعد القرون الثلاثه، يحتفلون بشهر مولده عليه الصلاه و السلام، و يعملون الولائم و يتصدقون فی لياليه بأنواع الصدقات، و يظهرون السرور، و يزيدون فی المبرات، و يعتنون بقراءه قصه مولده الكريم، و يظهر عليهم من بركاته كل فضل عميم».

قول الإمام بن عباد:

«و أما المولد فالذی يظهر لی أنه من أعياد المسلمين، و موسم من مواسمهم، و كل ما يفعل فيه مما يقتضيه وجود الفرح و السرور بذلك المولد المبارك من إيقاد الشمع، و إمتناع البصر و السمع، و التزين بلبس فاخر الثياب، و ركوب فاره الدواب، أمر مباح لا ينكر على أحد، قياساً على غيره من أوقات الفرح».

إلى آخر هذه الأحوال المؤيده لعمل المولد النبوی الشريف، و غيرها من الأقوال لكثير من العلماء المعاصرين.

مناقشه صريحه لعلل إقامه المولد

١ـ العله الأولى:

إن ذكرى مولد النبى الكريم تعد ذكرى سنويه يمكن للمسلمين تذكر نبيهم ﷺ، و ما تحمله فى سبيل إنقاذ العالم مما كان يغوص فيه من انحلال و تخلف، ليزدادوا تمسكاً بما أرساه ﷺ من قواعد، و يزداد حبهم له.

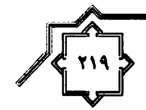
هذه العله قد حاول إبطالها الأخ أبو بكر جابر الجزائرى بقوله:

«كون المولد ذكرى... إلخ، هذه تصلح أن تكون علّة لو كان المسلم لا يذكر النبى ﷺ فى كل يوم عشرات المرات، فتقام له ذكرى سنويه أو شهريه يتذكر فيها نبيه، ليزداد بذلك إيمانه به، و حبه له، أما والمسلم لا يصلى صلاه من ليل أو نهار إلا ذكر فيها رسوله، و صلى عليه فيها وسلم، ولا يدخل وقت صلاه، و لا يقام لها إلا و يذكر الرسول ﷺ و يصلى عليه. إن الذى تقام له ذكرى خشيه النسيان هو من لا يذكر: أما من يذكر و لا ينسى، فكيف تقام له ذكرى حتى لا ينسى؟ أليس هذه من تحصيل حاصل، و تحصيل الحاصل عبث ينزه عنه العقلاء».

ولكنى أقول له:

أنك اعتبرت أنك تخاطب أقوام وصلوا إلى ذروه الإيمان و المعرفه الكامله بالدين و الرسول، و أغمضت عينيك عن الواقع الذى نعيشه، و نسيت أن هناك مسلمون فى بطاقاتهم الشخصيه فقط، ولا يقيمون من شعائر إسلامهم شيئاً، حتى الصلاه، ولا يعلمون عن نبيهم غير اسمه ﷺ.

فما رأيك فى هولاء؟ أليس بسماعهم سيره رسولنا الكريم، و شىء من تعاليم دينهم، قد يهديهم إلى ما فيه خير الاسلام و المسلمين؟



و ما رأيك فيمن هم غير مسلمين، أو هل قد أغلق الاسلام بابه على من اعتنقوه؟ أم ينتطر مزيداً ممن يعتنقون دين الله، لإعلاء كلمه الحق؟

أليس بإحياء مولد الهادى يعطى لمن يريد اعتناق دين الإسلام الفرصه لمعرفه شيء من هذا الدين الذى ينوى اعتناقه؟

٢ـ العله الثانيه:

سماع بعض الشمائل المحمديه، و معرفه النسب النبوى الشريف.

هذه العله قال فيها أخونا أبو بكر:

«سماع بعض الشمائل المحمديه الطاهره، و النسب الشريف... هذه عله غير كافيه فى إقامه المولد؛ لأن معرفه الشمائل المحمديه، و النسب الشريف لا يكفى فيها أن تسمع مره فى العام، و ماذا يغنى سماعها مره و هى جزء من العقيده الإسلاميه؟ إن الواجب على كل مسلم و مسلمه أن يعرف نسب نبيه ﷺ و صفاته كما يعرف الله تعالى بأسمائه وصفاته... و هذا لا بد له من التعليم. ولا يكفى فيه مجرد سماع تلاوه قصه المولد مره فى العام».

أقول:

لا يجب علينا أن نتجاهل واقعنا، فعصرنا هذا أصبح الناس مشغولون فيه بدنياهم عن دينهم، و أصبحوا لا يستمعون إلى أمور دينهم ولا يتدارسونه إلا فى أى مناسبه اعتادوا إحياؤها، و من تلك المناسبات: يوم المولد النبوى الشريف، فما بالك إذا نحن منعنا الاحتفال بهذه المناسبات، أو بمناسبه المولد؟

و إن كان الأخ الكريم يعترض على أنه لا يكفى لمعرفه النسب الشريف أن نستمع إليه مره فى كل سنه، فهذا شعور جميل، ولكن هكذا أصبح واقعنا،



فلنبقى على تلك المناسبات، و نوجهها حتى تصبح مفيده، و تؤتى بثمارها المنشوده، حتى نصل منها إلى إن نتدارس أمور ديننا كل يوم، بل كل ساعه.

٣ـ العله الثالثه:

إظهار الفرح بولاده الرسول ﷺ لما يدل ذلك على حب الرسول و كمال الإيمان به.

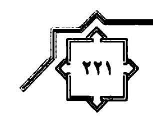
يقول الأخ أبو بكر:

«إعلان الفرح... إلخ هذه علّة واهيه، إذ الفرح إما أن يكون بالرسول ﷺ، أو بيوم ولد فيه، فإن كان بالرسول ﷺ فليكن دائماً كلما ذكر الرسول ولا يختص بوقت دون وقت، و إن كان باليوم الذى ولد فيه، فإنه أيضاً اليوم الذى ولد فيه، ولا أحسب عاقلاً يقيم احتفال فرح و سرور باليوم الذى مات فيه حبيبه، و موت الرسول ﷺ أعظم مصيبه أصابت المسلمين حتى أن الصحابه رضي الله عنهم كانوا يقولون: من أصابته مصيبه فليذكر مصيبته برسول الله ﷺ. أضف إلى ذلك أن الفطره البشريه قاضيه أن الانسان يفرح بالمولود يوم ولادته، و يحزن يوم موته، فسبحان الله كيف يحاول الانسان غروراً تغيير الطبيعه!!».

أقول:

إعلان الفرح بالرسول الكريم ﷺ فليكن دائماً كلما ذكر الرسول ﷺ ـ كما قال الأخ الكريم ـ و هو ما نتمناه.

أما إعلان الفرح باليوم الذى ولد فيه فلا يمنعه أنه نفس يوم وفاته؛ لأنه ﷺ انتقل من دار ترابيه فانيه إلى دار نورانيه باقيه، فـ﴿إِنَّا للهِ وإِنَّا إِلَيهِ رَاجِعُونَ﴾، فلن يخلد فيها أحد، و هذه هى عقيده المسلمين المومنين بقضاء الله.



٤ـ العله الرابعه:

إطعام الطعام، و هو مأمور به، و فيه أجر كبير لاسيما بنيه الشكر لله تعالى.
يرد على ذلك الأخ الكريم فيقول:

«إطعام الطعام... إلخ، هذه علّة أضعف من سابقتها؟ إذ إطعام الطعام مندوب إليه، مرغب فيه كلما دعت الحاجه إليه، فالمسلم يقرى الضيف و يطعم الجائع، و يتصدق طوال العام، ولم يكن فى حاجه إلى يوم خاص من السنه يطعم فيه الطعام، و عليه فهذه ليست بعله تستلزم إحداث بدعه بحال من الأحوال».

أقول:

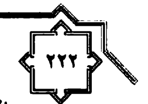
أى مثاليه هذه التى تتخيلها!؟ أين هؤلاء الذين يتصدقون طوال العام؟! و بأى نسبه بين المسلمين يوجد هؤلاء؟! ألم تر المجاعات التى تجتاح العالم؟ ألم تر وقد امتلأ العالم بالطبقات الاجتماعيه الطاحنه، فانتشرت المجاعات المهلكات، فى حين ينعم الآخرون بما لذ وطاب، ولم تبق سوى المواسم و الأعياد التى يتذكر فيها المسلم أخاه المسلم.

فقد أصبح المسلمون فى أمس الحاجه إلى معرفه سيره رسولهم الكريم، و إيثاره للغير بما لديه من كسره خبز، فأين نحن من هذه العظمه!؟ أين نحن من ذلك، و قد امتلأت بطون شبعاً، و شد الوثاق على بطون من شده الجوع!؟

نتمنى ما يتخيله الأخ الفاضل، لنهتدى بهدى رسولنا ﷺ.

٥ـ العله الخامسه:

الاجتماع على ذكر الله تعالى من قراءه القرآن و الصلاه على النبى ﷺ
و فى هذه يقول أبو بكر:



«الاجتماع على الذكر... هذه العله فاسده و باطله؛ لأن الاجتماع على الذكر بصوت واحد لم يكن معروفاً عند السلف، فهو فى حد ذاته بدعه منكره. و أما المدائح و القصائد بالأصوات المطربه الشجيه فهذه بدعه أقبح ولا يفعلها إلا المتهوكون فى دينهم و العياذ بالله.

مع أن المسلمين العالمين يجتمعون كل يوم و ليله طوال العام فى الصلوات الخمس فى المساجد و فى حلق العلم لطلب العلم و المعرفه، و ما هم فى حاجه إلى جلسه سنويه الدافع عليها فى الغالب الحظوظ النفسيه من سماع الطرب و الأكل و الشرب.

أقول:

أنا أؤيد رأيك يا أخى فى تلك، فإن كان الاجتماع على الذكر بصوت واحد، و التغنى بالمدائح و القصائد و غير ذلك، فإن هذا شىء مشين قبيح، و بخاصه ما أدخلته الطرق المتصوفه من أشياء مشينه منكره.

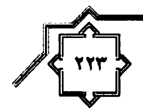
أما إن كان الاجتماع فى المساجد و فى خلق العلم و المعرفه، فهو شىء مستحب ولا شىء فيه.

ما يجب أن يكون

والآن بعد هذه المناقشه الصريحه، ما هو الذى يجب أن يكون؟؟ و كيف يكون الاحتفال بالمولد؟ و ماذا يجب فعله؟ و ماذا يجب أن يترك فعله؟

يجب أن يكون الاحتفال بمولد أشرف الخلق على مستوى من يحتفل به، من حيث الالتزام و الإيمان و عدم التكلف.

فيجب أن تقام الندوات العلميه التى من خلالها يتدارس المسلمون أمور



دينهم، و يحاولون حل مشاكلهم، ليشعر كل مسلم بكيانه ودوره فى بنـاء صرح الإسلام و المحافظه عليه شامخاً قوياً.

و أن يجتمع القائمون على أمور الدين بـرعيتهم لحـل مـشاكلهم، و إسـداء النصائح إليهم.

يجب أن يستعيد المسلمون السيره العطره للاقتداء بها.

يجب أن يكون هناك من يدعو إلى الإسلام مـن خـلال تلـك النـدوات، و جذب الناس إلى الإسلام ليعم الخير الإرض.

يجب أن يتفقه المسلمون فى أمور دينهم.

يجب أن يعيدوا النظر فى إعاده تنظيم صفوفهم ليستعيدوا قوتهم كما تـركهم الرسول الكريم.

و أما ما يجب الابتعاد عنه، فهو تلك الخرافـات التـى خلفتهـا لنـا العـصور الفاطميه والمملوكيه من عمل حلوى خاصه بالمولد، و إقامه المآدب التى ينعم بها الأغنياء لا الفقراء، إلى غير ذلك من المكروهات.

يجب الابتعاد عن حلقات الرقص التى تطيح بالعقول، و تـدخل الفوضـى فى عقول المسلمين.

فالأمر إذاً فى غايه البساطه إذا تحرينا تلك الأفعال التـى لا يقرهـا ديـن ولا عقل، و التزمنا بما يسمح لنا به ديننا العظيم.

فلنجعل من هذه المناسبه العظيمه وقفه لنحاسب فيها أنفسنا، و نـستوحى السيره العطره لنتخذ منها عبره نهتدى به او نقتدى.

والله المستعان، و هو ولى التوفيق، ﴿إِن يَعْلَـمِ اللهُ فِي قُلُـوبِكُمْ خَـيْرًا يُـؤْتِكُمْ خَيْرًا﴾.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، و سلام على عباده الذين اصطفى، و بعد فقد وقع السوال عن عمل المولد النبوى فى شهر ربيع الاول.

ما حكمه من حيث الشرع؟

هل هو محمود أو مذموم؟

و هل يثاب فاعله، أم لا[۱]؟

و الجواب [عندى][۲]: أن أصل عمل المولد الذى هو اجتماع الناس، و قراءه ما تيسر من القرآن و روايه الأخبار الوارده فى مبدأ [أمر][۳] النبى ﷺ، و ما وقع فى مولده من الآيات، ثم يمد لهم سماطاً يأكلونه، و ينصرفون من غير زياده على ذلك من البدع [الحسنه][٤] التى يثاب عليها صاحبها؛ لما فيه من تعظيم قدر النبى ﷺ، و إظهار الفرح و الاستبشار بمولد [ﷺ][٥] الشريف.

تاريخ عمل المولد النبوي الشريف:

و أول من أحدث فعل ذلك [صاحب اربل][٦] الملك المظفر أبو سعيد كوكبرى[۷] بن زين الدين على بن بكتكين، أحد الملوك الأمجاد، والكبراء الأجواد، و كان له آثار حسنه، و هو الذى عمر الجامع المظفرى بسفح قاسيون[۸].

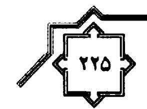
---

١ . فى ط: أو لا.

۲و۳و٤و٥و٦ . ما بين المعقوفتين سقطت من ا.

۷ . فى ا: كولكبودى.

۸ . فى ا: قاشيون.



قال ابن كثير[١] فى تاريخه، كان يعمل المولد الشريف فى ربيع الأول، و يحتفل به احتفالاً هائلاً، و كان [شهماً][٢] شجاعاً بطلاً، عاقلاً، عالماً رحمه الله و أكرم مثواه.

قال: و قد صنف [له][٣] الشيخ أبو الخطاب ابن دحيه[٤] المولد النبوى[٥] [ﷺ][٦] سماه «التنوير فى مولد البشير النذير». فأجازه على ذلك بألف دينار. و قد طالت مدته فى الملك إلى أن مات و هو محاصر[٧] الفرنج بمدينه عكا[٨]، عام[٩] ثلاثين و ستمائه، محمود السيره[١٠] و السريره.

---

١ . هو: إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضو بن درع القرشى البصروى ثم الدمشقى، أبو الفداء، عماد الدين، حافظ مؤرخ فقيه. ولد فى قريه من أعمال بصرى الشام، و رحل فى طلب العلم، ولد سنه ٧٠١، وتوفى بها سنه ٧٧٤. تناقل الناس تصانيفه فى حياته و من كتبه: البدايه و النهايه، و شرح صحيح ـ البخارى لم يكلمه ـ و طبقات الفقهاء الشافعيين، و تفسير القرآن الكريم، و غيرها من الكتب. (أنظر: ذيلاً طبقات الحفاظ للحسينى و السيوطى و الدررالكامنه ١: ٣٧٣ و البدر الطالع ١: ١٥٣، و الدارس ١: ٣٦، و الأعلام ١/ ٣٢٠) و غيرهم.

٢و٣ . ما بين المعقوفتين سقطت من ا.

٤ . هو: عمر بن الحسن بن على بن محمد، أبو الخطاب، ابن دحيه الكلبى: أديب، مورخ، حافظ للحديث، من أهل سبته بالأندلس. ولى قضاء دانيه، و رحل إلى مراكش و الشام و العراق و خراسان و استقر بمصر، ولد سنه ٥٤٤هـ، و توفى سنه ٦٣٣هـ. (أنظر ترجمته فى: وفيات الأعيان ١: ٣٨١، و نفح الطيب ١: ٣٦٨، و ميزان الاعتدال ٢: ٢٥٢، و لسان الميزان ٤: ٢٩٢، و آداب اللغه ٣: ٥٧، و شذرات الذهب ٥: ١٦٠، و الأعلام ٥/ ٤٤).

٥ . فى ا: مولد النبى.

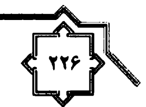
٦ . ما بين المعقوفتين سقطت من ا.

٧ . فى ا: حاصر.

٨ . فى ا: عكاشه.

٩ . فى ط: سنه.

١٠ . فى ا: السير.



و قال سبط ابن الجوزى[1] فى «مرآه الزمان»: حكى أن بعض من حضر سماط المظفر فى بعض الموالد[2] أنه عد فى ذلك السماط: خمسه آلاف رأس غنم مشوى، و عشره آلاف دجاجه، [و مائه][3] فرس، و مائه ألف زبديه، و ثلاثين ألف صحن حلوى. قال: و كان يحضر عنده فى المولد أعيان العلماء [و][4] الصوفيه، فيخلع عليهم، و يطلق لهم[5] و يعمل للصوفيه سماعاً من الظهر إلى الفجر، و يرقص بنفسه معهم، و كان يصرف على المولد فى[6] كل سنه ثلثمائه ألف دينار، و كانت له دار ضيافه للوافدين من أى جهه، على أى صفه، فكان يصرف على هذه الدار فى كل سنه مائه ألف دينار، و كان يستفك[7] من الفرنج فى كل سنه أسارى بمائه ألف دينار، و كان يصرف على الحرمين [الشريفين[8]]، و المياه بدرب الحجاز فى كل سنه[9] ثلاثين ألف[10] دينار، هذا كله سوى صدقات السر.

---

١ . هو: يوسف بن قز أو غلى ـ أو قزغلى ـ ابن عبدالله، أبو المظفر، شمس الدين، سبط أبى الفرج ابن الجوزى، مورخ، من الكتاب الوعاظ،ولد ونشأ ببغداد سنه ٥٨١هـ، وتوفى فى دمشق سنه ٦٥٤هـ، من مصنفاته، مرآه الزمان فى تاريخ الأعيان، و تذكره خواص الأمه بذكر خصائص الأئمه، و كنزل الملوك فى كيفيه السلوك، و منتهى السول فى سيره الرسول، و غيرها (أخظر ترجمته فيك مفتاح السعاده ١: ٢٠٨، والتبر المسبوك ١٧١، والسلوك ١: ٤٠١، و البدايه و النهايه ١٣: ١٩٤، و الجواهر المضيه ٢: ٢٣٠، و ذيل مراه الزمان ١: ٣٩، و الأعلام ٨/ ٢٤٦).

٢ . فى ا: المواليد.

٣و٤ . ما بين المعقوفتين سقطت من ا.

٥ . فى ا: و يطلبهم.

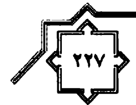
٦ . فى ا: على مولده كل سنه.

٧ . فى ا: ويفك.

٨ . ما بين المعقوفتين سقطت من ط.

٩ . فى ا: و الماره كل سنه.

١٠ . فى ا: ثلاثه آلاف دينار.



و حكت زوجته ربيعه خاتون بنت أيوب [أخت الملك الناصر صلاح الدين][1] أن قميصه كان من كرباس[2] غليظ، لا يساوى[3] خمسه دراهم. قالت: فعاتبته فى ذلك، فقال:

لبسى قميص[4] بخمسه، و أتصدق بالباقى، خير من أن ألبس ثوباً مثمناً، و أدع[5] الفقير و المسكين.

و قال ابن خلكان[6] فى ترجمه الحافظ أبى الخطاب بن دحيه: كان من أعيان العلماء، و مشاهير الفضلاء، قدم من المغرب، فدخل الشام و العراق، و اجتاز بأربل[7] سنه أربع و ستمائه، فوجد[8] ملكها المعظم مظفر الدين بن زين الدين يعتنى بالمولد النبوى[9]، فعمل له[10] كتاب «التنوير فى مولد البشير النذير» و قرأه عليه بنفسه، فأجازه بألف دينار.

قال: وقد سمعناه على السلطان فى سته مجالس، فى سنه خمس و عشرين و ستمائه [انتهى][11]

---

١ . ما بين المعقوفتين سقطت من ا.

٢ . الكرباس هو الثوب الخشن.

٣ . فى ل: لا يسوى.

٤ . فى ط: ثوبا.

٥ . فى ا: و أورع.

٦ . هو: أحمد بن محمد بن ابراهيم بن أبى بكر ابن خلكان البرمكى الاربلى. أبو العباس، المورخ الحجه، الأديب الماهر، صاحب وفيات الأعيان، ولد سنه ٦٠٢، وتوفى سنه ٦٧٢ (أنظر ترجمته فى: وفيات الأعيان ٢: ٤٢٠، ٤٢١، و فوات الوفيات ١/ ٥٥، و الأعلام ١/ ٢٢٠).

٧ . فى ا: بابل. و إربل بلد بالقرب من الموصل على شاطىء دجله الشرقى.

٨ . فى ا: نوجد.

٩ . فى ا: النبى.

١٠ . فى ا: فعمل لى.

١١ . ما بين المعقوفتين سقطت من الأصل.

قول الشيخ تاج الدين اللخمي في عمل المولد:

وقد ادعى الشيخ تاج الدين عمر بن على اللخمى السكندرى[١] المشهور بالفاكهانى من متأخرى المالكيه ـ أن عمل المولد بدعه مذمومه، و ألف فى ذلك كتاباً سماه «المورد فى الكلام على عمل المولد». و أنا أسوقه هنا برمته، و أتكلم عليه حرفاً حرفاً.

قال رحمه الله [تعالى][٢]: «الحمد لله الذى هدانا لاتباع سيد المرسلين، و أيدنا بالهدايه إلى دعائم الدين، و يسر لنا اقتفاء آثار[٣] السلف الصالحين، حتى امتلأت قلوبنا بأنوار[٤] علم الشرع[٥]، و قواطع الحق المبين، و طهر سرائرنا من حدث الحوادث و الابتداع فى الدين.

أحمده على ما منّ به من أنوار اليقين، و أشكره على ما أسداه من التمسك بالحبل المتين، و أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له و أن محمداً عبده و رسوله، سيد الأولين و الآخرين، صلى الله عليه و على آله و أصحابه و أزواجه الطاهرات أمهات المومنين صلاه دائمه إلى يوم الدين.

---

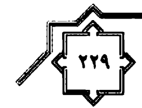
١ . هو: عمر بن على بن سالم بن صدقه اللخمى الإسكندى، تاج الدين الفاكهانى: عالم بالنحو، من أهل الاسكندريه، زار دشمق سنه ٧٣١هـ و اجتمع به ابن كثير صاحب البدايه و النهايه، و قال: سمعنا عليه و معه. و حج و رجع إلى الاسكندريه. و صلى عليه بدمشق لما وصل خبر وفاته. ولد سنه ٦٥٤هـ و توفى سنه ٧٣٤هـ. له كتب منها: (الاشاره) فى النحو، و (المنهج المبين) و (التحرير و التحبير) و (رياض الأفهام فى شرح عمده الأحكام) و (الفجر المنير فى الصلاه على البشير النذير) و (الغايه القصوى فى الكلام عن آيات التقوى). أنظر ترجمته فى: البدايه و النهايه ١٤: ١٦٨، و الدرر الكامنه ٣/ ١٧٨، (٢٢) ٢٦ Brock:٢، و شجره النور ٢٠٤، و الأعلام ٥/ ٥٦.

٢ . ما بين المعقوفتين سقطت من ط.

٣ . فى ا: أثر.

٤ . فى ا: بنور.

٥ . فى ا: الشرائع.



أما بعد. فإنه تكرر سوال جماعه من المباركين[١] عـن الاجـتماع الـذى يعملـه بعض الناس فى شهر ربيع الاول، و يسمونه «المولد».

هل له أصل فى الشرع، أو هو بدعه و حدث فى الدين؟

و قصدوا الجواب عن ذلـك مبينـاً، و الإيـضاح عنـه معينـا، فقلـت و بـالله التوفيق: لا أعلم لهذا المولد أصلاً فى كتاب الله تعالى، ولا سـنه رسـوله ﷺ[٢]، ولا ينقل عمله عن أحد من علماء الأمه[٣] الذين هم القدوه فى الدين، المتمسكون بآثار المتقدمين.

بل هو بدعه أحدثها الباطلون، و شهوه نفس اعتنى بهـا الأكـالون. بـدليل: أننا إذا أجرينا[٤] عليه الأحكام الخمسه قلنا: إما أن يكـون واجبـاً، أو منـدوباً، أو مباحاً، أو مكروهاً، أو محرماً.

و ليس بواجب إجماعاً، ولا مندوباً، لأن حقيقه المندوب: ما طلبه الشرع من غير ذم على تركه، و هذا لم يأذن فيه الشرع، ولا فعله[٥] الـصحابه ولا التـابعون[٦]، [ولا العلماء][٧] المتدينون فيما علمت، و هذا جوابى عنه بين يدى الله تعالى إن عنه سئلت.

ولا جائز أن يكـون مباحـاً؛ لأن الابتـداع فـى الـدين لـيس مباحـاً بإجمـاع المسلمين.

---

١ . فى ا: المناركين.

٢ . فى ط: فى كتاب ولا سنه.

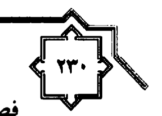
٣ . فى ا: علماء الأئمه.

٤ . فى ا، و فى ط: أدرنا.

٥ . فى ا: ولا بقيه.

٦ . فى ا: ولا التابعين.

٧ . ما بين المعقوفتين سقطت من ا.



[لابد إلا أن يكون][١] مكروهاً أو حراماً، و حينئذ يكون الكلام فيه في فصلين، و التفرقه بين حالين:

أحدهما: أن يعمله الرجل من عين ماله، لأهله، و أصحابه، و عياله، لا يجاوزون في ذلك الاجتماع على أكل الطعام، ولا يقربون[٢] شيئاً من الآثام. و هذا الذي وصفناه بأنه بدعه مكروهه و شناعه[٣]، إذ لم يفعله أحد من متقدمي أهل الطاعه الذين هم فقهاء الإسلام، و علماء الأنام، سرج[٤] الأزمنه، وزين[٥] الأمكنه.

و الثاني: أن تدخله الجنايه، و تقوى به العنايه، حتى يعطي أحدهم الشيء و نفسه تتبعه، و قلبه يؤلمه و يوجعه، لما يجد من ألم الحيف.

وقد قال العلماء: أخذ المال بالحياء[٦] كأخذه بالسيف.

لا سيما إن انضاف إلى ذلك شيء من الغناء ـ مع البطون الملآى[٧] ـ بآلات الباطل من الدفوف[٨]، و الشبابات، و اجتماع الرجال مع الشباب، و المرء مع النساء[٩] الفتانات، إما مختلطات بهن أو مشرفات، و الرقص بالتثني[١٠] و الانعطاف، و الاستغراق في اللهو[١١]، و نسيان يوم المخاف.

---

١ . ما بين المعقوفتين سقطت من ا و أثبتت على هامش المخطوطه و في ط: فلم يبق إلا أن يكون.

٢ . في ط: ولا يقربون.

٣ . في ا: و شائعه.

٤ . في ا: و فرح.

٥ . في ا: وزمن.

٦ . في ا: بالجاه.

٧ . في ا: الملأ.

٨ . في ا: الدف.

٩ . في ط: و اجتماع الرجال مع الشباب المرد و النساء.

١٠ . في ا: بالشقا.

١١ . في ا: والاستغراق في الهوى.



و كذلك النساء إذا اجتمعن على انفرادهن رافعات أصـواتهن بالتنهيـد[١]، و التطريب فى الإنشاد، و الخروج فى التلاوه و الذكر [عن][٢] المشروع و عن الأمر المعتاد، غافلات عن قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾.

و هذا[٣] لا يختلف فى تحريمه إثنان، ولا يستحسنه ذو المروءة الفتيـان، و إنـما يحلو ذلك لنفوس[٤] موتى القلوب، غير المستقلين[٥] من الآثام و الذنوب.

و أزيدك[٦] أنهم يرونه من العبادات لا من [الأمـور][٧] فـ ﴿إِنَّـا لله وإِنّـا إِلَيْـهِ رَاجِعُونَ﴾[٨] «بدأ الإسلام غريباً و سـيعود كـما بـدأ»[٩]. ولله در شـيخنا القـشيرى حيث يقول فيما أجازنا:

قد عرف المنكر و استنكر الـ	معروف فـى أيامنـا الـصعبه
و صار أهل العلم في وهده[١٠]	و صار أهل الجهل فـى رتبـه
حادوا عن الحـق فـما للـذى	ساروا بـه فـيما مـضى نـسبه
فقلــت للأبـرار أهــل التقــى	والدين لمـا اشـتدت الكربـه

---

١ . فى ط: بالتنهيك.

٢ . ما بين المعقوفتين سقطت من ا.

٣ . فى ط: و هذا الذى.

٤ . فى ا: والمستغلين بالآثام و الذنوب.

٥ . فى ا: و أزيد.

٦ . فى ا: بنفوس.

٧ . ما بين المعقوفتين سقطت من ا.

٨ . سوره البقره، ايه: ١٥٦.

٩ . الحديث أخرجه الامام أحمد بن حنبل عن عبدالرحمن بن سـنه الأشـجعى، و أورده الهيثمـى فـى مجمع الزوائد ٧/ ٢٧٨ عن عبدالرحمن بن شيبه، و قال: رواه عبدالله، و الطبرانى و فيـه اسـحاق بن عبدالله بن أبى فروه و هو متروك. اهــ.

١٠ . فى ا: فى رهده.



لا تكروا أحوالكم قد أتت ... نوبتكم في زمن الغربه

[تفكروا][1]

و لقد أحسن الإمام أبو عمرو بن العلاء[2] حيث يقول: لا يزال الناس بخير ما تعجب من العجب. هذا مع أن الشهر الذي ولد فيه ﷺ ـ و هو ربيع الأول ـ هو بعينه الشهر الذي توفي فيه؛ فليس الفرح [والسرور][3] فيه بأولى من الحزن [فيه][4].

و هذا ما علينا أن نقول، و من الله نرجو حسن القبول.

نقد كلام الشيخ تاج الدين اللخمي:

هذا جميع ما أورده الفاكهاني في كتابه المذكور، و أقول:

أما قوله: «لا أعلم لهذا المولد أصلاً في كتاب ولا سنه».

فيقال عليه: نفي العلم لا يلزم منه نفي الوجود، وقد استخرج له الحافظ[5] أبو الفضل بن حجر[6] أصلاً من السنه، واستخرجت أنا له أصلاً ثانياً، و سيأتي

---

١ . ما بين المعقوفتين سقطت من ا.

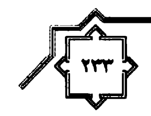
٢ . هو: زبان بن عمار التميمي المازني البصري، أبو عمرو، و يلقب أبوه بالعلاء: من أئمه اللغه و الأدب، وأحد القراء السبعه، ولد بمكه سنه ٧٠هـ، و نشأ بالبصره، و مات بالكوفه سنه ١٥٤هـ (أنظر ترجمته في: غايه النهايه ١: ٢٨٨، و فوات الوفيات ١: ١٦٤، و ابن خلكان ١: ٣٨٦، و الذريعه ١/ ٣١٨، و الشريشي ٢/ ٢٥٤، و نزهه الألباء ٣١، و طبقات النحويين للزبيدي، و الأعلام للزركلي ٣/ ٤١).

٣ . ما بين المعقوفتين سقطت من ط.

٤ . ما بين المعقوفتين سقطت من ا.

٥ . في ط: إمام الحفاظ.

٦ . هو: أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني، أبو الفضل، شهاب الدين، ابن حجر، من أئمه العلم و التاريخ، أصله من عسقلان بفلسطين، و مولده و وفاته بالقاهره، ولد سنه ٧٧٣هـ، و توفي سنه ٨٥٢هـ (أنظر ترجمته في: التبر المسبوك ٢٣٠، والضوء اللامع ٢/ ٣٦، والبدر الطالع ١/ ٨٧، و خطط مبارك ٦/ ٣٧، و آداب اللغه ٣/ ١٦٥، و لسان الميزان ٦/ خاتمه، والدر الكامنه ٤/ خاتمته للناشر، والعلام للزريكلي ١/ ١٧٩).



ذكرهما بعد هذا.

[و][١] أما قوله: «بل هو بدعه أحدثها الباطلون... إلى قوله ولا العلماء المتدينون».

يقال عليه: قد تقدم أنه أحدثه[٢] ملك عادل عالم، و قصد به التقرب إلى الله عزوجل، وحضر عنده [فيه][٣] العلماء و الصالحون[٤] من غير نكير، و ارتضاه ابن دحيه، و صنف له من أجله كتاباً. فهؤلاء علماء متدينون رضوه، و أقروه و لم ينكروه.

و قوله: «ولا مندوباً، لأن حقيقه المندوب ما طلبه الشرع».

يقال عليه، إن الطلب فى[٥] المندوب تاره يكون بالنص، و تاره يكون بالقياس، و هذا و إن لم يرد فيه نص[٦]، ففيه القياس على الأصلين الآتى ذكرهما.

و قوله: «ولا جائز أن يكون مباحاً؛ لأن الابتداع فى الدين ليس مباحاً بإجماع المسلمين».

كلام غير مسلم؛ لأن البدعه لم تنحصر فى الحرام و المكروه، بل قد تكون [أيضاً][٧] مباحاً و مندوبه و واجبه.

---

١ . ما بين المعقوفتين سقطت من ا.

٢ . فى ا: حدثه.

٣ . ما بين المعقوفتين سقطت من ا.

٤ . فى ط: والصلحاء.

٥ . فى ا: من.

٦ . فى ا: النص.

٧ . ما بين المعقوفتين سقطت من ا.



ما هي البدعه:

قال النووى رحمه الله[1] فى تهذيب الأسماء و اللغات: البدعه فى الشرع هى إحداث ما لم يكن فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، و هى منقسمه إلى: حسنه، و قبيحه.

[و][2] قال الشيخ عز الدين بن عبدالسلام[3] فى القواعد: البدعه منقسمه إليك واجبه [و][4] محرمه، و مندوبه، و مكروهه، و مباحه.

قال: و الطريق فى ذلك أن نعرض البدعه على قواعد الشرع[5]، فاذا دخلت فى قواعد الإيجاب فهى واجبه، أو فى قواعد التحريم فهى محرمه، أو فى الندب فمندوبه، أو المكروه فمكروهه، أو المباح فمباحه.

و ذكر لكل قسم من هذه الخمسه أمثله، إلى أن قال: وللبدع المندوبه أمثله منها: احداث الربط، و المدارس، و كل إحسان لم يعهد فى العصر الأول. و منها: التراويح[6]، والكلام فى دقائق التصوف[7]، و فى الجدل. و منها: جمع المحافل للاستدلال فى المسائل إن قصد بذلك وجه الله تعالى.

---

١ . هو: يحيى بن شرف بن مرى بن حسن الحزامى الحورانى، النووى، الشافعى، أبو زكريا، محيى الدين، علامه بالفقه و الحديث، مولده و وفاته فى نوا، ولد سنه ٦٣١هـ، و توفى سنه ٦٧٦هـ. (أنظر الأعلام للزريكلى ٨/ ١٤٩).

٢ . ما بين المعقوفتين سقطت من ا.

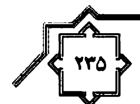
٣ . هو: عبدالعزيز بن عبدالسلام بن أبى القاسم بن الحسن السلمى الدمشقى، عزالدين الملقب بسلطان العلماء، فقيه شافعى بلغ رتبه الاجتهاد، ولد و نشأ فى دمشق سنه ٥٧٧هـ، وزار دمشق سنه ٥٩٩هـ، و توفى سنه ٦٦٠هـ. (أنظر: فوات الوفيات ١: ٢٨٧، و طبقات السبكى ٥/ ٨٠ ـ ١٠٧، و الفهرس التمهديى ٢٠٧، و النجوم الزاهره ٧: ٢٠٨؛ و علماء بغداد ١٠٤، و ذيل الروضتين ٢١٦، و الاعلام ٤/ ٢١).

٤ . ما بين المعقوفتين سقطت من ا.

٥ . فى ط: الشريعه.

٦ . فى ا: التواريخ.

٧ . فى ا: فى الرقائق و التصوف.



وروى البيهقى[1] بإسناده فى مناقب الشافعى عن الشافعى [رحمه الله قال][2]: المحدثات من الأمور ضربان: أحدهما ما أحدث مما يخالف كتاباً، أو سنه، أو أثراً، أو إجماعاً، فهذه البدعه الضلاله. و الثانى[3]: ما أحدث من الخير لا خلاف فيه لواحد [و هى][4] [من المذكورات][5]، فهذه[6] محدثه غير مذمومه.

و قد قال عمر رضي الله عنه فى قيام شهر رمضان: «نعمت البدعه هذه».[7]

يعنى: إنها محدثه لم تكن، و إذا كانت، ليس فيها رد لما مضى. هذا آخر كلام الشافعى [رضي الله عنه][8].

فعرف بذلك منع قول الشيخ تاج الدين: «ولا جائز أن يكون مباحاً» إلى قوله: «و هذا الذى وصفناه بأنه بدعه مكروهه»... إلى آخره.

لأن هذا القسم مما أحدث[9]، و ليس فيه مخالفه لكتاب، ولا سنه، ولا أثر، ولا إجماع، فهى غير مذمومه كما فى عباره الشافعى «و هو من الإحسان الذى لم يعهد فى العصر الأول».

---

١ . هو: أحمد بن الحسين بن على، أبو بكر، من أئمه الحديث، ولد فى خسر وجرد بنيسابور، نشأ فى بيهق و رحل إلى بغداد ثم الكوفه و مكه و غيرهما، ولد سنه ٣٨٤هـ، و توفى سنه ٤٥٨هـ، من كتبه السنن الكبرى، و السنن الصغرى (أنظر: شذرات الذهب ٣/ ٣٠٤، و طبقات الشافعيه ٣/ ٣، و معجم البلدان ٢/ ٣٤٦، و الأعلام ١/ ١١٦).

٢ . ما بين المعقوفتين سقطت من ط.

٣ . فى ا: والثانيه.

٤ . ما بين المعقوفتين سقطت من (ا) ر كتبت على الهامش. و فى ط: من هذا.

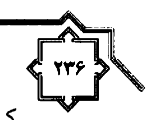
٥ . ما بين المعقوفتين سقطت من ط.

٦ . فى ط: و هذه.

٧ . رواه البخارى عن عبدالله بن يوسف عن مالك. والبيهقى فى السنن الكبرى ٢/ ٤٩٣؛ و غيرهما.

٨ . ما بين المعقوفتين سقطت من ط.

٩ . فى ا: إخذت.



فإن إطعام الطعام الخالى عن اقتراف الآثام إحسان، فهو من البدع المندوبه كما فى عباره ابن عبدالسلام.

و قوله: «والثانى...» إلى آخره.

هو كلام صحيح فى نفسه، غير أن التحريم فيه إنما جاء من قبل هذه الأشياء المحرمه التى ضمت إليه، لا من حيث الاجتماع[١] لإظهار شعار المولد، بل لو وقع مثل هذه الأمور فى الاجتماع لصلاه الجمعه مثلا لكانت قبيحه شنيعه، ولا يلزم من ذلك ذم أصل الاجتماع لصلاه الجمعه كما هو واضح.

و قد رأينا بعض هذه الأمور تقع فى ليالى من رمضان عند اجتماع الناس لصلاه التراويح [سُنّة][٢]، فلا نمنع من الاجتماع[٣] لصلاه التراويح لأجل هذه الأمور التى قرنت بهما.

كلا، بل نقول: أصل الاجتماع لصلاه التراويح سنّة و قربه، و ما ضم إليها من هذه الأمور قبيح [و][٤] شنيع.

و كذلك نقول: أصل الاجتماع لإظهار شعار[٥] المولد مندوب و قربه، و ما ضم إليه[٦] من هذه الأمور مذموم ممنوع.

و قوله[٧] «مع أن الشهر الذى ولد فيه...» إلى آخره.

---

١. فى ا: الاجماع.

٢. ما بين المعقوفتين سقطت من ط.

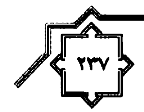
٣. فى ط: فهل يتصور ذم الاجتماع.

٤. ما بين المعقوفتين سقطت من ا.

٥. فى ا: إجتماع شعار المولد.

٦. فى ا، إليها.

٧. فى ا: و قول.



جوابه أن يقال: ولادته ﷺ[١] أعظم النعم علينا، [و][٢] وفاته أعظم المصائب بنا[٣]، و الشريعه حثت على إظهار شكر النعم و الصبر و السكون و الكتم عند المصائب. وقد أمر الشارع[٤] بالعقيقه[٥] عند الولاده و هى إظهار [و][٦] شكر و فرح بالمولود[٧]، ولم يأمر عند الموت بذبح ولا[٨] بغيره، بل نهى عن النياحه و إظهار الضجر[٩]، فذلت قواعد الشريعه على أنه يحسن فى هذا[١٠] الشهر إظهار الفرح بولادته ﷺ[١١] غير إظهار الحزن فيه بوفاته.

وقد قال ابن رجب[١٢] فى كتاب اللطائف فى ذم الرافضه، حيث اتخذوا يوم

---

١ . فى ط: جوابه أن يقال أولا إن ولادته.

٢ . ما بين المعقوفتين سقطت من ا.

٣ . فى ط: لنا.

٤ . فى ط: الشرع.

٥ . العقيقه: عق عن ولده ـ من باب رد ـ إذا ذبح عنه يوم أسبوعه، و كذا إذا حلق عقيقته، و هى الشعر الذى يولد عليه كل مولود من الناس و البهائم، و منه سميت الشاه التى تذبح عن المولود يوم اسبوعه عقيقه.

٦ . ما بين المعقوفتين سقطت من ا.

٧ . فى ا: و فرح بالمولد.

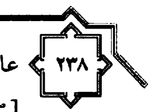
٨ . فى ا: فلا.

٩ . فى ط: الجزع.

١٠ . فى ا: هذه.

١١ . فى ط: دون.

١٢ . هو: عبدالرحمن بن أحمد بن رجب السلامى البغدادى ثم المدمشقى، أبو الفرج، زين الدين، حافظ للحديث، من العلماء. ولد فى بغداد و نشأ و توفى فى دمشق، ولد سنه ٧٣٦هـ، و توفى سنه ٧٩٥هـ. من كتبه: شرح جامع الترمذى، و جامع العلوم والحكم، فضائل الشام و غيرهم (أنظر: ذيل طبقات الحفاظ للسيوطى، و المنهج الأحمد، و شذرات الذهب ٦: ٣٣٩، و الفهرس التمهيدى ٣٩٢، ٤٠٤، ٤١٤، ٥٤٩، و الذيل على طبقات الحنابله، والدرر الكامنه ٢/ ٣٢١، و الدارس ٢/ ٧٦، والأعلام ٣/ ٢٩٥).



عاشوراء مأتماً لأجل قتل الحسين [عليه السلام][1]؛ لم يأمر الله [تعالى][2] ولا رسوله [صلى الله عليه وآله][3] باتخاذ أيام مصائب الأنبياء و موتهم مأتما، فكيف بمن هو دونهم؟

قول الإمام أبو عبدالله ابن الحاجفی عمل المولد:

وقد تكلم الإمام أبو عبد الله بن الحاج[4] في كتابه «المدخل» على عمل المولد؛ فأتقن الكلام فيه جداً، و حاصله مدح ما كان فيه من إظهار شعار و شكر، و ذم ما احتوى عليه من محرمات و منكرات.

و أنا أسرد[5] كلامه فصلاً فصلاً قال:

فصل في المولد

و من جمله ما أحدثوه من البدع مع اعتقادهم أن ذلك من أكبر العبادات و إظهار الشعائر، ما يفعلونه فی شهر ربيع الأول من المولد.

و قد احتوى ذلك على بدع[6] [و] محرمات جمله، فمن ذلك استعمالهم[7] المغانی و معهم آلات الطرب من الطار المصرصر و الشبابه و غير ذلك مما جعلوه آله للسماع، و مضوا فی ذلك على العوائد الذميمه فی كونهم يشغلون[8]

---

۱ و۲و۳ . ما بين المعقوفتين سقطت من ط.

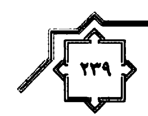
٤ . هو: محمد بن محمد بن محمد بن ا لحاج، أبو عبدالله العبدرى المالكى الفاسى، نزيل مصر، فاضل، تفقه فی بلاده، و عدم مصر، و حج، و كف بصره فی آخر عمره و أقعد. و توفی بالقاهره سنه ۷۳۷هـ عن نحو ۸۰ عاما، له مدخل الشرع الشريف، و شموس الأنوار و كنوز الأسرار، و بلوغ القصد و المنى فی خواص أسما الله الحسنى (أنظر: الديباج المذهب ۳۲۷، والدرر الكامنه ٤/ ۲۳۷، و شجره النور ۲۱۸، و الأعلام ۷/ ۳٥).

٥ . فی ط: أسوق، و فی ا: أسرق.

٦ . ما بين المعقوفتين سقطت من ا.

۷ . فی ا: استعمال.

۸ . فی ط: يشتغلون فی.



أكثر الأزمنه التى فضلها الله تعالى و عظمها ببدع [و][١] محرمات.

ولا شك أن السماع فى غير هذه الليله فيه ما فيه، فكيف به إذا انضم إلى فضيله هذا الشهر العظيم الذى فضله الله تعالى، و فضلنا فيه بهذا النبى الكريم [ﷺ][٢].

فآله الطرب و السماع أى نسبه بينها و بين [تعظيم][٣] هذا الشهر الكريم الذى منّ الله علينا فيه بسيد المرسلين[٤] فكان[٥] يجب أن يزاد فيه من العباده[٦] و الخير شكراً[٧] للمولى على ما أولانا به من هذه النعم العظيمه، و إن كان النبى ﷺ لم يزد فيه على غيره من الشهور شيئاً من العبادات، و ما ذلك إلا لرحمته ﷺ بأمته و رفقه [بهم][٨]؛ لأنه ﷺ كان يترك العمل خشيه أن يفرض على أمته، رحمه منه بهم.

لكن أشار عليه الصلاه و السلام إلى فضيله هذا الشهر العظيم بقوله للسائل الذى سأله عن صوم يوم الاثنين: «ذلك يوم ولدت فيه».[٩]

١و٢و٣ . ما بين المعقوفتين سقطت من ا.

٤ . فى ط: بسيد الأولين و الآخرين.

٥ . فى ا: و كان.

٦ . فى ط: العبادات.

٧ . فى ا: بشكر.

٨ . ما بين المعقوفتين سقطت من ا و ثبتت على هامش المخطوطه.

٩ . أخرجه مسلم فى صحيحه ٨/ ٥٢ عن أبى قتاده الأنصارى رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ سئل عن صوم الاثنين فقال: «**فيه ولدت و فيه أنزل على**». و أخرجه الامام أحمد ٥/ ٢٩٧ و لفظه: «**ذلك يوم ولدت فيه، و أنزل على فيه**». و أخرجه أبو داود فى سننه، ابن حبان فى صحيحه، و الحاكم فى المستدرك و الطيالسى، و ابن زنجوله، و البيهقى فى شعب الايمان، و أورده السيوطى فى جمع الجوامع حديث رقم ١٤١١٠.



فتشريف هذا اليوم متضمن لتشريف هذا الشهر الذى ولد فيه، فينبغى أن نحترمه حق الاحترام و نفضله بما فضل الله به الأشهر الفاضله؛ و هذا منها، لقوله عليه الصلاه و السلام: **«أنا سيد ولد آدم ولا فخر، آدم فمن دونه تحت لوائى»**.[١]

و فضيله الأزمنه و الأمكنه[٢] بما خصها الله [عزوجل][٣] من العبادات التى تُفَعل فيها، لما علم أن الأمكنه و الأزمنه لا تشرف[٤] لذاتها، و إنما يحصل لها التشريف بما خُصّت به من المعانى.

فانظر إلى ماخص الله به هذا الشهر، و يوم الاثنين، ألا ترى أن صوم هذا اليوم فيه فضل عظيم لأنه ﷺ ولد فيه؟

فعلى هذا ينبغى إذا دخل هذا الشهر الكريم أن يُكرّم و يُعظّم و يُحترَم الاحترام اللائق، إتباعاً له ﷺ فى كونه كان يخص الأوقات الفاضله بزياده فعل البر فيها و كثره الخيرات.

ألا ترى إلى قول ابن عباس رضي الله عنهما: **«كان رسول الله ﷺ أجود الناس بالخير، و كان أجود ما يكون فى رمضان[٥]»**. فنمتثل تعظيم الأوقات الفاضله بما

---

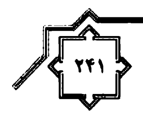
١ . أخرج الامام أحمد فى مسنده و الترمذى فى سننه، وابن ماجه فى سننه عن أبى سعيد الخدرى، قال رسول الله ﷺ: **«أنا سيد ولد آدم يوم القيامه ولا فخر، و بيدى لواء الحمد ولا فخر، و ما من نبى يومئذ ـ آدم فمن سواه ـ إلا تحت لوائى، و أنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخرف و أنا أول شافع، و أول مشفع ولا فخر»**. و رمز اليه السيوطى بالحسن فى جمع الجوامع ١/ ٣٢٨.

٢ . فى ا: وللأمكنه.

٣ . ما بين المعقوفتين سقطت من ط.

٤ . فى ا: ولا تشرف.

٥ . أخرجه الامام البخارى فى صحيحه، فى كتاب بدء الخلق، باب ٦٢، و فى كتاب الصوم، باب ٧، و فى كتاب المناقب، و فى كتاب بدء الخلق، و فضائل القرآنف و الأدب. و مسلم فى الفضائل، و الترمذى فى الجهاد و النسائى فى الصيام، و ابن ماجه فى الجهاد، و الدارمى فى المقدمه، و أحمد ١/ ٢٣١، ٢٨٨، ٣٢٦، ٣٦٣، ٣٦٧، ٣٧٣، ٦/ ١٣٠.



امتثله على قدر استطاعتنا.

فإن قال قائل: قد التزم عليه الصلاه و السلام [فى الأوقات الفاضله][١] ما التزمه مما قدم علم، ولم يلتزم فى هذا الشهر ما التزمه فى غيره.[٢]

فالجواب: إن ذلك لما علم من عادته الكريمه أنه يريد التخفيف عن أمته، سيما فيما كان يخصه.

ألا ترى أنه عليه الصلاه و السلام حرم المدينه مثل ما حرم [إبراهيم][٣] مكه؟ و مع ذلك لم يشرع فى قتل صيده ولا فى قطع شجره الجزاء، تخفيفاً على أمته[٤] [و رحمه بهم، فكان ينظر إلى ما هو من جهته ـ و إن كان فاضلاً فى نفسه ـ فيتركه للتخفيف عنهم][٥].

ما يجب عمله في المولد:

فعلى هذا فتعظيم[٦] [هذا][٧] الشهر الشريف إنما يكون بزياده الأعمال الزاكيات فيه، و الصدقات، إلى غير ذلك من القربات.

فمن عجز عن ذلك؛ فأقل أحواله أن يجتنب ما يحرم عليه و يكره له، تعظيماً لهذا الشهر[٨] [الشريف، و إن كان مطلوباً فى غيره، إلا أنه فى هذا الشهر أكثر

---

١ . ما بين المعقوفتين سقطت من ا.

٢ . فى ا: غيرها.

٣ . ما بين المعقوفتين سقطت من ا.

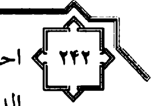
٤ . فى ا: ولا شجره الجزاء تخفيفاً عنهم.

٥ . ما بين المعقوفتين سقطت من ا.

٦ . فى ا: تعظيم.

٧ . ما بين المعقوفتين سقطت من ا.

٨ . فى ا: لهذا الشهر و احتراماً.



احتراماً[١]]، كما يتأكد فى شهر رمضان، و فى الأشهر الحرم، فيترك الحدث فى الدين، و يجتنب مواضع البدع و ما لا ينبغى.

أفعال منكره في المولد:

و قد ارتكب بعضهم فى هذا الزمان ضد هذا المعنى، و هو أنه إذا دخل هذا الشهر العظيم[٢] يسارعون[٣] فيه إلى اللهو و اللعب بالدف و الشبابه و غيرهما.[٤]

و يا ليتهم عملوا المغانى ليس إلا، بل يزعم بعضهم أنه يتأدب[٥]، فيبدأ المولد بقراءه الكتاب العزيز، و ينظرون إلى من هو أكثر معرفه بالتهوك و الطرق المهيجه[٦] لطرب النفوس، و هذا فيه وجوه من المفاسد، ثم أنهم لم يقتصروا على ما ذكر [بل ضم][٧] بعضهم إلى ذلك الأمر الخطر و هو أن يكون المغنى شاباً لطيف الصوره، حسن الصوت و الكسوه و الهيئه، فينشد التغزل، و يتكسر فى صوته [و حركاته][٨]، فيفتن بعض من معه من الرجال و النساء، فتقع الفتنه فى الفريقين، و يثور من المفاسد ما لا يحصى، و قد يؤول ذلك فى الغالب إلى فساد حال الزوج و حال الزوجه[٩]، و يحصل الفراق والنكد[١٠] العاجل، و تشتت أمرهم بعد جمعهم.

---

١ . ما بين المعقوفتين سقطت من ا.

٢ . فى ا: الشريف.

٣ . فى ط: تسارعوا.

٤ . فى ا: غيرها.

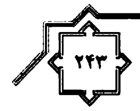
٥ . فى ا: بل بعضهم يزعم أنه يثاب.

٦ . فى ا: المهيجت.

٧و٨ . ما بين المعقوفتين سقطت من ا.

٩ . فى ا: الزوجات.

١٠ . فى ا: النكه.



و هذه المفاسد مركبه على فعل المولد إذا عمل بالسماع، فإن خلا منه، و عمل طعاماً فقط، و نوى به المولد، و دعا إليه الإخوان، و سلم من كل ما تقدم ذكره، فهو بدعه بنفس نيته فقط[١]؛ لأن ذلك زياده فى الدين، و ليس من عمل السلف الماضين، و إتباع السلف أولى. ولم ينقل عن أحد منهم أنه نوى المولد، و نحن تبع، فيسعنا ما وسعهم[٢]. إنتهى[٣].

نقد كلام ابن الحاج:

و حاصل ما ذكر أنه لم يذم المولد؛ بل ذم ما يحتوى عليه من المحرمات و المنكرات.

و أول كلامه صريح فى أنه ينبغى أن يخص هذا الشهر بزياده فعل البر، و كثره الخيرات و الصدقات، إلى[٤] غير ذلك من وجوه[٥] القربات، [و هذا][٦] هو المولد الذى استحسناه، فإنه ليس فيه شىء سوى قراءه القرآن، و إطعام، و ذلك خير و [بر][٧] و قربه.

و أما قوله آخراً أنه بدعه[٨]، فإما أن يكون مناقضا لما تقدم، أو يحمل على أنه بدعه حسنه كما تقدم تقريره فى أول الكتاب[٩]، أو يحمل على أن فعل ذلك خير،

---

١ . فى ا: بنفس ذلك فقط.

٢ . فى ا: فيسعنا ما يسعهم.

٣ . نقل السيوطى لكلام ابن الحاج جاء مضطرباً، فقد حذف منه الكثير مما أدى لاختلال المعنى.

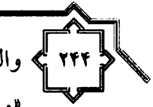
٤ . فى ا: و.

٥ . فى ا: عمل.

٦و٧ . ما بين المعقوفتين سقطت من ا.

٨ . فى ا: البدعه.

٩ . فى ط: فى صدر الكتاب.



والبدعه منه نيه المولد[١] كما أشار إليه بقوله: «فهو بدعه بنفس نيته فقط» و بقوله: «ولم ينقل عن أحد منهم أنه نوى المولد».

فظاهر هذا الكلام أنه كره أن ينوى به المولد فقط، ولم يكره عمل الطعام و دعاء الإخوان إليه. و هذا ـ إذا حقق النظر ـ لا يجتمع مع أول كلامه؛ لأنه حث[٢] فيه على زياده فعل البر و ما ذكر معه على وجه الشكر لله تعالى، إذا أوجد[٣] فى هذا الشهر الشريف سيد المرسلين ﷺ.

و هذا[٤] هو معنى نيه المولد، فكيف يذم هذا القدر مع الحث عليه أولاً؟

و أما مجرد فعل البر و ما ذكر معه من غير نيه أصلاً؛ فإنه لا يكاد يتصور، ولو تصور ولم يكن عباده، ولا ثواب فيه. إذ لا عمل إلا بنيه، ولا نيه هنا إلا الشكر لله تعالى على ولاده هذا النبى الكريم ﷺ فى هذا الشهر الشريف.

و هذا معنى نيه المولد؛ فهى نيه مستحسنه بلا شك، فتأمل.

ثم قال ابن الحاج: [و منهم][٥] من يفعل المولد لا لمجرد التعظيم، ولكن له فضه عند الناس متفرقه، كان أعطاها فى بعض الأفراح أو المواسم[٦]، و يريد أن يستردها و يستحى أن يطلبها بذاته، فيعمل المولد حتى يكون ذلك سبباً لأخذ ما اجتمع له عند الناس، و هذا فيه وجوه من المفاسد؛ منها أن يتصف بصفه[٧] النفاق، و هو أن يظهر خلاف ما يبطن.

---

١ . فى ا: فعل نيه المولد.

٢ . فى ا: جرى.

٣ . فى ا: إذ وجد.

٤ . فى ا: هذا هو.

٥ . ما بين المعقوفتين سقطت من ا.

٦ . فى ا: الموسم.

٧ . فى ا: بصفت.



إذ ظاهر حاله أنه عمل المولد يبتغى[١] به الدار الآخره، و باطنه أنه يجمع به[٢] فضه.

و منهم من يعمل المولد لأجل جمع الدراهم، أو طلب ثناء الناس عليه، و مساعدتهم له، و هذا أيضاً فيه من المفاسد ما لا يخفى. إنتهى.

و هذا أيضاً من نمط ما تقدم ذكره، و هو أن الذم فيه إنما حصل من عدم النيه الصالحه، لا من أصل عمل المولد.

كلام الحافظ أبو الفضل ابن حجر في عمل المولد:

وقد سئل شيخ الاسلام حافظ العصر أبو الفضل ابن حجر عن عمل المولد فأجاب بما نصه:

أصل عمل المولد بدعه لم ينقل عن أحد من السلف الصالح من القرون الثلاثه، ولكنها مع ذلك فقد اشتملت على محاسن و ضدها. فمن تحرى فى عملها المحاسن، و تجنب ضدها، كان بدعه حسنه، و إلا فلا.

قال: وقد ظهر لى تخريجها على أصل ثابت، و هو ما ثبت فى الصحيحين من «**أن النبى ﷺ قدم المدينه، فوجد اليهود يصومون يوم عاشوراء، فسألهم فقالوا: هو[٣] يوم أغرق الله فيه فرعون، و نجى موسى، فنحن نصومه شكراً لله تعالى**»[٤].

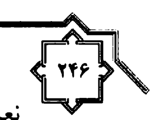
---

١ . فى ا: متغى.

٢ . فى ا: فيه.

٣ . فى ا: هذا يوم.

٤ . أخرجه البخارى، فى كتاب الصوم، باب ٦٩، و فى كتاب الأنبياء، باب ٢٤، و ابن ماجه، فى كتاب الصيام، باب ٤١. و مالك فى الموطأ، فى كتاب الصيام حديث ١٢٨. و الإمام أحمد بن حنبل فى المسند ١/ ٢٩١، ٣١٠، ٣٦٦؛ ٢/ ٣٥٩.



فيستفاد منه فعل الشكر لله [تعالى][1] على ما منّ به فى يوم معين من إسداء[2] نعمه، أو دفع نقمه. و يعاد ذلك فى نظير ذلك اليوم من كل سنه.

و الشكر لله [تعالى][3] يحصل بأنواع العبادات كالسجود و الصيام و الصدقه و التلاوه، و أى نعمه أعظم من النعمه ببروز هذا النبى [ﷺ][4] [الذى هو][5] نبى الرحمه فى ذلك اليوم.

و على هذا فينبغى أن يتحرى اليوم بعينه، حتى يطابق قصه موسى عليه السلام فى يوم عاشوراء.

و من لم يلاحظ[6] ذلك لا يبالى بعمل المولد فى أى يوم فى الشهر، بل توسع قوم فنقلوه إلى يوم من السنه، و فيه ما فيه، فهذا ما يتعلق بأصل عمله.

ما يجب أن يقتصر عليه عمل المولد:

و أما ما يعمل فيه فينبغى أن يقتصر فيه على ما يفهم الشكر لله تعالى من نحو ما تقدم ذكره من التلاوه، و الإطعام، و الصدقه، و إنشاء شىء من المدائح النبويه و الزهديه المحركه للقلوب إلى فعل الخير، و العمل للآخره.

ما يجب تجنبه:

و أما ما يتبع ذلك من السماع و اللهو و غير ذلك، فينبغى أن يقال: ما كان من ذلك مباحاً بحيث يقتضى السرور[7] بذلك اليوم، لا بأس بإلحاقه به، و ما كان

---

١ . ما بين المعقوفتين سقطت من ط.

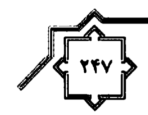
٢ . فى ا: كلمه غير مقروه رسمت هكذا ؟؟؟أصول.

٣ . ما بين المعقوفتين سقطت من ا.

٤و٥ . ما بين المعقوفتين سقطت من ط.

٦ . فى ا: و من أن لم.

٧ . فى ا: لا يتعين للسرور.



حراماً أو مكروهاً فيمنع. و كذا ما كان خلاف الأولى. إنتهى.

ما ورد فى عقيقه النبى ﷺ عن نفسه بعد البعث:

قلت: و ظهر لى تخريجه على أصل آخر، و هو ما أخرجه البيهقى، عن أنس، رضي الله عنه «أن النبى ﷺ عقّ عن نفسه بعد النبوه».[١]

مع أنه قد ورد أن جده عبدالمطلب عق عنه فى سابع ولادته، والعقيقه لا تعاد مره ثانيه، فيحمل ذلك على أن الذى فعله النبى ﷺ إظهاراً للشكر على إيجاد الله تعالى إياه، رحمه للعالمين، و تشريفا[٢] لأمته، كما كان يصلى على نفسه، لذلك[٣] فيستحب لنا أيضاً إظهار الشكر بمولده باجتماع الإخوان[٤]، و إطعام الطعام، و نحو ذلك من وجوه القربات، و إظهار المسرات.

قول الحافظ شمس الدين الجزري:

ثم رأيت إمام القراء الحافظ شمس الدين الجزرى[٥] قال فى كتابه

---

١ . فى السنن الكبرى ٩/ ٣٠٠. قال البيهقى: قال عبدالرزاق: إنما تركوا عبدالله بن محرر ـ و هو الذى روى عنه أنس عن قتاده عن عبدالله بن محرر ـ لحال هذا الحديث. و فى مجمع الزوائد لهيثمى ٤/ ٥٩: عن أنس رضي الله عنه أن النبى ﷺ عق عن نفسه بعدما بعث نبياً. قال الهيثمى: رواه البزار و الطبرانى فى الأوسط، و رجال الطبرانى رجال الصحيح خلا الهيثم بن جميل و هو ثقه، و شيخ الطبرانى أحمد بن مسعود الخياط القدسى ليس هو فى الميزان. اهـ.

٢ . فى ط: تشريع.

٣ . فى ا: كذلك.

٤ . فى ط: بالاجتماع و إطعام الطعام.

٥ . هو: محمد بن عبد الله شمس الدين الجزرى الشافعى، متأدب، متفقه، من أهل الجزيره، رحل إلى عدن، و كتب بعض أعيانها إلى الملك المظفر (الرسولى) بتعز، مات بعد سنه ٦٦٠هـ، له (المختصر فى الرد على أهل البدع (أنظر: تاريخ ثغر عدن ٢٢١، ٧٦٦: BROCKS.١، و الإعلام للزركلى ٦/ ٢٣٣).



[المسمى][1] «عرف التعريف بالمولد الشريف» ما نصه:

و قد رؤى أبو لهب [بعد موته][2] فى النوم فقيل له: ما حالك؟ فقال: فى النار، إلا أنه يخفف عنى كل ليله اثنين، و أمص من بين أصبعى هاتين ماء بقدر هذا ـ و أشار برأس إصبعه ـ و إن ذلك بإعتاقى لثويبه عندما بشّرتنى بولاده النبى ﷺ و بإرضاعها له».

فإذا كان أبو لهب الكافر، الذى نزل القرآن بذمه جوزى [فى النار][3] بفرحه ليله مولد النبى ﷺ به، فما حال المسلم الموحد من أمة النبى ﷺ، يسر بمولده، و يبذل ما تصل إليه قدرته فى محبته ﷺ

و لعمرى إنما يكون جزاؤه من المولى الكريم، أن يدخله بفضله جنات النعيم.

قول الحافظ شمس الدين بن ناصر الدين الدمشقي:

و قال الحافظ شمس الدين بن ناصر الدين الدمشقى فى كتابه المسمى ب «مورد الصادى[4] فى مولد الهادى»:

و قد صح أن أبا لهب يخفف عنه عذاب [النار][5] فى مثل يوم الاثنين، لإعتاقه ثويبه سروراً بميلاد النبى ﷺ، ثم أنشد:

إذا كان هذا كافراً جاء ذمه — و تبت يداه فى الجحيم مخلدا
أتى أنه فى يوم الاثنين دائماً — يخفف عنه للسرور بأحمدا

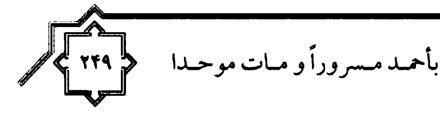
---

١ و٢ ما بين المعقوفتين سقطت من ا.

٣ . ما بين المعقوفتين سقطت من (ا) و كتبت على الهامش.

٤ . فى ا: مولد الصارى.

٥ . ما بين المعقوفتين سقطت من ا.



فما الظن بالعبد الذى طول عمره   بأحمد مسروراً و مات موحدا

قول الكمال الأدفوي:

و قال الكمال الأفوى[1] فى «الطالع السعيد»:

حكى لنا صاحبنا العدل ناصر الدين محمود بن العماد أن أبا الطيب محمد بن ابراهيم السبتى المالكى نزيل قوص، أحد العلماء العاملين، كان يجوز بالمكتب فى اليوم الذى ولد فيه النبى ﷺ فيقول: يا فقيه، هذا يوم سرور، اصرف الصبيان، فيصرفنا.

و هذا منه دليل على تقريره و عدم إنكاره، و هذا الرجل كان فقيهاً مالكياً متفنناً فى علوم، متورعاً، أخذ عنه أبو حيان و غيره، مات سنه خمس و تسعين و ستمائه.

حكمه مولده ﷺ في يوم الاثنين من شهر ربيع الأول:

قال ابن الحاج[2]: فإن قيل: ما الحكمه فى كونه عليه الصلاه و السلام خص مولده الكريم بشهر ربيع الأول، و يوم الاثنين، ولم يكن فى شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن و فيه ليله القدر، ولا فى الأشهر الحرم، ولا فى ليله النصف من

---

١ . هو: جعفر بن تغلب بن جعفر الأفوى، أبو الفضل، كمال الدين: مورخ، له علم بالأدب و الفقه و الرائض و الموسيقى. ولد فى ادفو بصعيد مصر سنه ٦٨٥هـ، و توفى فى سنه ٧٤٨هـ . من كتبه: الطالع السعيد الجامع لأسماء لجباء الصعيد، و البدر الساخر و تحفه المسافر، و الإمتاع بأحكام السماع و غيرهم. (أنظر: ديوان الإسلام، و آداب اللغه ٣/ ١٦٠، و شذرات الذهب ٦/ ١٥٣، والدرر الكامنه ١/ ٥٣٥، و البدر الطالع ١/ ١٨٢، و الإعلام للزريكلى ٢/ ١٢٢، ١٢٣).

٢ . سبقت ترجمته.

شعبان[١]، ولا فی یوم الجمعه و لیلتها؟

فالجواب من أربعه أوجه:

الأول: ما ورد فی الحدیث من أن الله [سبحانه و تعالی][٢] خلق الشجر فی یوم الاثنین، و فی ذلك تنبیه عظیم و هو أن خلق الأقوات و الأرزاق و الفواكه و الخیرات التی یمتد[٣] بها بنو آدم و یحیون، و تطیب و تطیب بها نفوسهم [فیه][٤].

الثانی: أن فی لفظته «ربیع» إشاره و تفاؤلاً حسناً بالنسبه إلی اشتقاقه، و قال أبو عبدالرحمن الصقلی: لكل إنسان من اسمه نصیب.

الثالث: أن فصل الربیع أعدل الفصول و أحسنها و شریعته أعدل الشرائع [و أسمحها][٥].

الرابع: أن الحكیم سبحانه و تعالی أراد أن یشرف به الزمان الذی ولد فیه، فلو ولد فی الأوقات المتقدم ذكرها لكان قد یتوهم أنه یتشرف بها.

انتهی ذلك، والحمدالله وحده. كان فراغه یوم الجمعه، وقت الضحی من شهر صفر سنه علی ید أحقر العباد السید محمود.[٦]

---

١ . فی (فی ا: الشعبان).

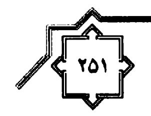
٢ . ما بین المقوفتین سقطت من ط.

٣ . فی ا: تمیز.

٤ . ما بین المعقوفتین سقطت من ط.

٥ . ما بین المعقوفتین سقطت من ا.

٦ . جاء فی نهایه ط: تم الكتاب ولله الحمد والمنه.



الكشافات:

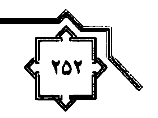
١ـ فهرس الأحاديث.

٢ـ فهرس الأعلام.

٣ـ فهرس الموضوعات.

فهرس الأحاديث

فهرس الأعلام



٣ـ أبى الطيب محمد بن ابراهيم السبتى

٤ـ ابن كثير

٥ـ أبو حيان

٦ـ أبو الخطاب بن دحيه

٧ـ أبو سعيد كوكبرى بن زين الدين على بكتكين

٨ـ أبو عمرو بن العلاء

٩ـ أبو الفضل ابن حجر

١٠ـ أبو عبدالله ابن الحاج

١١ـ البيهقى

١٢ـ تاج الدين عمر بن على اللخمى

١٣ـ سبط ابن الجوزى

١٤ـ شمس الدين الجزرى

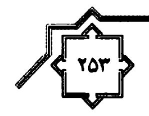
١٥ـ شمس الدين ناصر الدين الدمشقى

١٦ـ عز الدين بن عبد السلام

١٧ـ الكمال الأدقوى

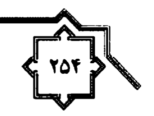
١٨ـ ناصر الدين محمود بن العماد

١٩ـ النووى

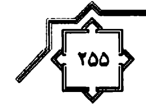


المصادر

١ـ القران الكريم.
٢ـ المعجم الفهرس لألفاظ القران الكريم ـ تأليف: فؤاد عبدالباقى.
٣ـ المعجم الفهرس لألفاظ الحديث النبوى الشريف تأليف أ. ى. و نسنك وى. ب. منسنج.
٤ـ السيره النبويه لابن هشام.
٥ـ القاموس المحيط ـ الفيروز ابادى.
٦ـ مختار الصحاح ـ للإمام محمد بن أبى بكر بن عبدالقادر الرازى.
٧ـ صحيح مسلم.
٨ـ صحيح البخارى.
٩ـ صحيح ابن حيان.
١٠ـ سنن أبو داود.
١١ـ سنن النسائى.
١٢ـ سنن ابن ماجه.
١٣ـ مسند الإمام أحمد بن حنبل.
١٤ـ موطأ مالك.
١٥ـ تحفه الأحوذى بشرح صحيح الترمذى.
١٦ـ المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابورى.
١٧ـ مسند الدارمى.
١٨ـ مجمع ا لزوائد و منبع الفوائد للهيثمى.
١٩ـ السنن الكبرى للبيهقى.
٢٠ـ تاريخ الصحابه.
٢١ـ مروج الذهب للمسعودى.
٢٢ـ تاريخ الرسل و الملوك لابن جرير الطبرى.
٢٣ـ تاريخ دمشق لابن عساكر.
٢٤ـ روح المعانى للآلوسى.

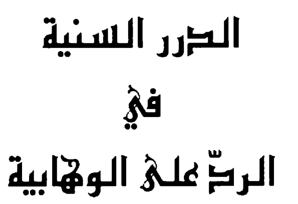


٢٥ـ العقد الفريد لابن عبد ربه.
٢٦ـ المزهر للسيوطى.
٢٧ـ الكشاف للزمخشرى.
٢٨ـ وفاء الوفا للسمهودى.
٢٩ـ البدايه و النهايه لابن كثير.
٣٠ـ دليل الفالحين لابن علان الصديقى.
٣١ـ عيون الأخبار لابن قتيبه.
٣٢ـ المعارف لابن قتيبه.
٣٣ـ خزانه الأدب للبغدادى.
٣٤ـ خير البشر لابن ظفر.
٣٥ـ الرساله المحمديه لكامل حته.
٣٦ـ حياه الحيوان للمدميرى.
٣٧ـ المختصر فى أخبار البشر لأبي الفداء.
٣٨ـ النهايه لابن الأثير.
٣٩ـ نيل الأوطار للشوكانى.
٤٠ـ الإستيعاب لابن عبد البر.
٤١ـ نتائج الأفهام لمحمود باشا الفلكى.
٤٢ـ المدخل لابن الحاج.
٤٣ـ المواهب اللدنيه للقسطلانى.
٤٤ـ الإكمال لابن ماكولا.
٤٥ـ الطالع السعيد للكمال الأدفوى.
٤٦ـ عرف التعريف لابن الجوزى.
٤٧ـ الخطط للمقريزى.
٤٨ـ الكامل لابن الأثير.
٤٩ـ الوفيات لابن خلكان.
٥٠ـ التنوير فى مولد البشر النذير لابن دحيه.
٥١ـ مرآه الزمان لابن سبط الجوزى.
٥٢ـ أزهار الرياض للقاضى عياض.



٥٣ـ نفح الطيب للمقرى.
٥٤ـ نفح الأزهار فى مولد المختار لعلى الجندى.
٥٥ـ الإنصاف فيما قيل فى المولد من الغلو و الإحجاف لأبى بكر جابر الجزائرى.
٥٦ـ صفوه السيره المحمديه لأحمد حسن الباقورى.
٥٧ـ أسرار ترتيب القرآن للسيوطى. بتحقيق عبدالقادر أحمد عطا الدراسه.
٥٨ـ إحياء أفعال الرسول للأستاذ عبدالقادر أحمد عطا.
٥٩ـ مجله الوعى الإسلامى العدد ١٧٣ لسنه ١٩٧٩م ص٤ فما بعدها.
٦٠ـ مجله الوعى الإسلامى العدد ١٩٥ لسنه ١٩٨١م ص٢٢، ٢٣، ٢٤، ٢٥، ٢٦، ٢٧.
٦١ـ مجله الوعى الإسلامى العدد ١٩٦ لسنه ١٩٨١م ص٦، ٧، ٨، ٩، ١٠، ١١.
٦٢ـ مجله الوعى الإسلامى العدد ٢٢٠ لسنه ١٩٨٣م ص٤، ٥، ٦.





تاليف

السيد أحمد بن السيد زيني دحلان



أحمد بن زيني دحلان

هو أبو العباس السيد أحمد زيني دحلان الحسني الهاشميّ القرشيّ المكّي الشافعي، فقيه و مؤرّخ و صاحب رأي في مختلف العلوم فضلاً عن أنّه كان مفتي الشافعية و شيخ الإسلام في مكّة المكرّمة. وُلد زيني دحلان في مكّة عام (١٢٣١هـ) و توفّي في المدينة المنورة سنة (١٣٠٤هـ).

نسبه

يتّصل نسب أحمد بن زيني بن أحمد بالشيخ عبد القادر الجيلانيّ (أو الكيلانيّ) ثمّ بعبد الله المحض حفيد الإمام الحسن المجتبى ﷺ. وُلد زيني دحلان في أسرة اشتهرت بالعلم و التديّن و التقوى و كان بيت دحلان معروف في مكّة المكرّمة بالعلم و المعرفة و عُرف أهله بين الناس هناك بأخلاقهم الحسنة و تواضعهم و محبّتهم. و ترعرع أحمد في مكّة و قضى طفولته فيها و تعلّم من علمائها الكثير من العلوم حتى تمكّن بجهوده المضنية من أن يصبح مُفتياً في مسقط رأسه مكّة المكرّمة. كان أحمد دحلان شافعيّ المذهب أشعريّ المسلك.

أساتذته و مشايخه

وفيما يأتي أسماء بعض أساتذة و مشايخ أحمد بن زيني دحلان:

١ ـ محمد سعيد المقدسي



٢ ـ علي سرور

٣ ـ عبد الله سراج الحنفي

٤ ـ بشري الجبرتي

٥ ـ الشيخ حامد العطار

درس دحلان الفقه الحنفي على يَد السيد محمد الكتبي، و كانت أغلب رواياته عن وجيه الكزبري و القاضي ارتضا عليّ خان المدراسي الهندي و الشمس محمد بن حسين الحبشي الباعلوي المكي و يوسف الصاوي و مفتي المالكية أبي الفوز المرزوقي، و أكثر روايته كانت عن الشيخ عثمان الدمياطي و غالباً ما كان يستند إلى مصادر العلماء المصريين.

آثاره و مؤلّفاته

افتُتحت في مكّة في حياة زيني دحلان أوّل مطبعة فتسنّى له طبع بعض كُتبه فيها بنجاح. و بسبب تأليفه لعدد من الكُتب في السيرة، مثل (الفتوحات الإسلامية بعد الفتوحات النبوية) و (السيرة النبوية) و (تاريخ الأندلس) و (تاريخ أُمراء بلد الله الحرام)، يمكن اعتباره أحد المؤرّخين المعروفين.

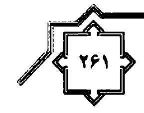
وبالإضافة إلى اختصاصه في التاريخ، فقد برع دحلان أيضاً في الفقه و التفسير و علم الرّجال و الأدب و له في كلّ واحد من تلك العلوم كتاباً أو أكثر. و من مؤلّفاته المشهورة ما يلي:

١ ـ الأزهار الزينية في شرح متن الألفية

٢ ـ تاريخ الدول الإسلامية بالجداول المرضية

٣ ـ فتح الجواد المنّان على العقيدة المسماة بفيض الرحمن

٤ ـ نهل العطشان على فتح الرحمن



٥ ـ أسنى المطالب في نجاة أبي طالب

٦ ـ تيسير الأصول لتسهيل الوصول

٧ ـ فضائل العلم

٨ ـ بيان المقامات و كيفيّة السلوك

٩ ـ النَّصائح الإيمانية للأمة المحمَّدية

١٠ ـ الأنوار السّنيّة بفضائل ذرِّيَّة خير البريَّة

وغير ذلك من الكُتب و الرسائل.

وقد انتقدَ زيني دحلان في كتابيْن من كُتبه الفرقة الوهابية و هما:

١ ـ كتاب (فتنة الوهابية): و هو كتاب مختصر في تاريخ الوهابية و جرائمها. و بما أنّ زيني دحلان كان مُعاصراً لمحمد بن عبد الوهاب فقد كان ملمّاً و مطّلعاً بشكل واسع و جيّد بكلّ التفاصيل التاريخية و الأفعال الوهابية، و قد تمّ طبع كتابه هذا في تركية عام (١٩٧٨م) كما تُرجِم كذلك إلى اللغة الفارسية تحت عنوان (تاريخ وهابيان) و (سرگذشت وهابيّت) و طبع مرّات عديدة.

٢ ـ كتاب (الدّرر السنيّة في الرّد على الوهابية): و هو كتاب يتناول موضوع التوسل و زيارة القبور و هو بمثابة ردّ على العقائد الوهابية.

لمزيد من المعلومات و التوضيح، راجع كتاب (نفحة الرحمن في مناقب شيخنا سيدي أحمد دحلان).

مجيد فاطمي نژاد

باحث في مؤسسة دار الاعلام

لمدرسة اهل البيت ﷺ



بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمـد لله الواحـد الأحـد الـذى فـضل سـيدنا محمـداً ﷺ علـى سـائر المخلوقات، و شرف أمته على سائر الأمم و أعلى لهم الدرجات، و علـى آلـه و أصحابه المقتفين آثاره و من تبعهم فى جميع الحالات و الأوقات.

أما بعد:

فيقول العبد الفقير خادم طلبة العلم بالمسجد الحرام، كثير الذنوب و الآثام، المفتقر إلى ربه المنان «أحمد بن زينى دحلان» غفر الله لـه و لوالديـه و مـشايخه و محبيه و المسلمين أجمعين يا رب العالمين:

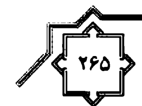
قد سألنى من لا تسعنى مخالفته أن أجمع له ما تمسك به أهل السنة فى زيـارة النبى ﷺ و التوسل به من الدلائل و الحجج القوية مـن الآيـات و الأحاديـث النبوية، و ما ورد فى ذلك عن السلف و العلماء و الأئمـة المجتهـدين، ليكـونن ذلك مبطلاً إنكـار المنكـرين، فجمعـت لـه هـذه الرسـالة مـن كتـب كثـيرة، و اختصرتها غاية الاختصار اعتماداً على ما هو مبسوط فى كتب العلماء الأخيـار، فأستعين الله و أقول:

بيان حكم زيارة قبر النبي ﷺ

اعلم رحمك الله أن زيارة قبر نبينا ﷺ مشروعة مطلوبة بالكتاب و السنة و إجماع الأمة.

أما الكتاب فقوله تعالى: ﴿وَلَو أَنَّهُم إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُم جَآءُوكَ فَاستَغفَرُوا اللهَ وَاستَغفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّاباً رَّحِيماً﴾ دلت الآية على حث الأمة على المجيء إليه ﷺ و الاستغفار عنده و استغفاره لهم و هذا لا ينقطع بموته، و دلت أيضاً على تعليق وجدانهم بالله تواباً رحيماً بمجيئهم و استغفارهم و استغفار الرسول لهم.

فأما استغفاره ﷺ فهو حاصل لجميع المؤمنين بنص قوله تعالى: ﴿وَ استَغفر لذنبك و للمُؤمِنِينَ وَ المُؤمِنَاتِ﴾ و صحّ في صحيح مسلم أن بعض الصحابة فهم من الآية ذلك المعنى الذى دلت عليه هذه الآية، فإذا وجد مجيئهم و استغفارهم فقد تكملت الأمور الثلاثة الموجبة لتوبة الله تعالى و رحمته، و سيأتى فى الأحاديث الآتية ما يدل على أن استغفاره ﷺ لا يتقيد بحال حياته، و قد علم من كمال شفقته ﷺ أنه لا يترك ذلك لمن جاءه مستغفراً ربه سبحانه و تعالى، و الآية الكريمة و إن وردت فى قوم معينين فى حال الحياة تعم بعموم العلّة كلَّ من وُجِد فيه ذلك الوصف فى حال الحياة و بعد المات و لذلك فهم العلماء منها العموم للجائين، و استحبوا لمن أتى قبره ﷺ أن يقرأها مستغفراً الله تعالى و استحبوها للزائر و رأوها من آدابه أن يسن له فعلها، و ذكرها المصنفون فى المناسك من أهل المذاهب الأربعة و دلت الآية أيضاً أنه لا فرق فى الجائى بين أن يكون مجيئه بسفر أو غير سفر لوقوع «جاءوك» فى حيز الشرط الدال على العموم و قد قال الله تعالى: ﴿وَ مَن يَخرُج مِن بَيْتِهِ مُهَاجِراً إِلَى اللهِ وَ رَسُولِهِ ثُمَّ يُدرِكهُ المَوتُ فَقَد وَقَعَ أَجرُهُ عَلَى اللهِ﴾ و لا شكّ عند من له أدنى



مسكة من ذوق العلم أن من خرج لزيارة رسول الله ﷺ يصدق عليه أنه خرج مهاجراً إلى الله و رسوله لما يأتى من الأحاديث الدالة على أن زيارته ﷺ بعد وفاته كزيارته فى حياته و زيارته فى حياته داخلة فى الآية الكريمة قطعاً، فكذا بعد وفاته بنصّ الأحاديث الشريفة الآتية. و أما السنة فما يأتى من الأحاديث.

و أما القياس فقد جاء أيضاً فى السنة الصحيحة المتفق عليها الأمر بزيارة القبور، فقبر نبينا ﷺ منها أولى و أحرى و أحقّ و أعلى، بل لا نسبة بينه و بين غيره، و أيضاً فقد ثبت أنه ﷺ زار أهل البقيع و شهداء أحد، فقبره الشريف أولى لما له من الحق و وجوب التعظيم، و ليست زيارته ﷺ إلا لتعظيمه و التبرّك به ولينال الزائر عظيم الرحمة و البركة بصلاته و سلامه عليه ﷺ عند قبره الشريف بحضرة الملائكة الحافين به ﷺ.

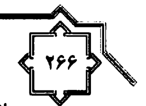
و أما إجماع المسلمين فقد قال العلامة ابن حجر فى (الجوهر المنظم فى زيارة قبر النبى المكرم ﷺ): قد نقل جماعة من الأئمة حملة الشرع الشريف الذين عليهم المدار و المعوّل الإجماع، و إنما الخلاف بينهم فى أنها واجبة أو مندوبة، فمن خالف فى مشروعية الزيارة فقد خرق الإجماع.

و احتج القائلون بوجوب الزيارة بقوله ﷺ **«من حج البيت و لم يزرنى فقد جفانى»**[1].

و أجاب الجمهور القائلون بندب الزيارة بأن الجفاء من الأمور النسبية، فقد يقال فى ترك المندوب إنه جفاء إذ هو ترك البر و الصلة، و يطلق أيضاً على غلظ الطبع و البعد عن الشىء، فأكثر العلماء من الخلف و السلف على ندبها دون و جوبها، و على كل من القولين فالزيارة و مقدمتها من نحو السفر من أهم القربات و أنجح المساعى.

---

١ . رواه ابن عدى بسند يحتج به، قال: و جفاؤه ﷺ حرام، فعدم زيارته المتضمن لجفائه حرام.



و يدل على ذلك أحاديث كثيرة صحيحة صريحة لا يشك فيها إلا من انطمس نور بصيرته، منها قوله ﷺ: «**من زار قبري وجبت له شفاعتي**»[1] و في رواية «**حلت له شفاعتي**»، و قد طال الإمام السبكي في كتابه المسمى (شفاء السقام في زيارة خير الأنام) في بيان طرق هذا الحديث و بيان من صححه من الأئمة، ثم ذكر روايات في أحاديث الزيارة كلها تؤيد هذا الحديث، منها رواية «**من زارني بعد موتي فكأنما زارني في حياتي**»[2] و في رواية «**من جائني زائراً لا تهمه حاجة إلا زيارتي كان حقاً عليّ أن أكون له شفيعاً يوم القيامة**»[3] و في رواية «**من جائني زائراً كان له حق على الله عز و جل أن أكون له شفيعاً يوم القيامة**» و في رواية «**من حج فزار قبري**»[4] و في رواية «**فزارني بعد وفاتي عند قبري كان كمن زارني في حياتي**» و في رواية «**من حج فزارني في مسجدي بعد وفاتي كان كمن زارني في حياتي**».[5]

و في رواية «**من زارني إلى المدينة كنت له شفيعاً و شهيداً و من مات بأحد الحرمين بعثه الله من الآمنين يوم القيامة**»[6] ثم ذكر أحاديث كثيرة كلها تدل على مشروعية الزيارة لا حاجة لنا إلى الإطالة بذكرها، فتلك الأحاديث كلها مع ما ذكرناه صريحة في ندب بل تأكيد زيارته ﷺ حياً و ميتاً للذكر و الأنثى. و كذا زيارة بقية الأنبياء و الصالحين و الشهداء.

---

١ . أخرجه الدار قطني في سننه برقم ١٩٤، و البيهقي في شعب الإيمان برقم: ٤١٥٩.

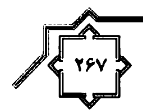
٢ . أخرجه البيهقي في شعب الإيمان برقم ٤١٥٤.

٣ . رواه الطبراني في المعجم الكبير برقم ١٣٤٩.

٤ . رواه البيهقي في السنن برقم ١٠٠٥٤.

٥ . رواه الدارقطني برقم ١٩٢، و البيهقي في السنن برقم ١٠٠٥٤.

٦ . رواه الدارقطني، برقم ١٩٣.



و الزيارة شاملة للسفر لأنها تستدعى الانتقال من مكان الزائر إلى مكان المزور، كلفظ المجيء الذى نصت عليه الآية الكريمة، و إذا كانت كل زيارة قربة كان كل سفر إليها قربة، و قد صح خروجه ﷺ لزيارة قبور أصحابه بالبقيع و بأحد. فإذا ثبت مشروعية الانتقال لزيارة قبر غيره ﷺ فقبره الشريف أولى و أحرى.

و القاعدة المتفق عليها أن وسيلة القربة المتوقفة عليها قربة: أى من حيث إيصالها إليها، فلا ينافى أنه قد ينضمّ إليها محرم من جهة أخرى كمشى فى طريق مغصوب.

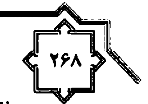
و أقوال العلماء صريحة فى أن السفر للزيارة قربة مثلها، و من زعم أن الزيارة قربة فى حق القريب فقط افترى على الشريعة الغرّاء فلا يعوّل عليه.

و أما تخيل بعض المحرومين أن منع الزيارة أو السفر إليها من باب المحافظة على التوحيد و أن ذلك مما يؤدى إلى الشرك فهو تخيل باطل، لأن المؤدى إلى الشرك إنما هو اتخاذ القبور مساجد أو العكوف عليها و تصوير الصور فيها، كما ورد فى الأحاديث الصحيحة، بخلاف الزيارة و السلام و الدعاء، و كل عاقل يعرف الفرق بينهما، و يتحقق أن الزيارة إذا فعلت مع المحافظة على آداب الشريعة الغراء لا تؤدى إلى محذور ألبتة، و أن القائل بالمنع منها سداً للذريعة مُتَقَوِّلٌ على الله و على رسوله ﷺ.

وهنا أمران لابد منهما:

أحدهما وجوب تعظيم النبى ﷺ و رفع رتبته عن سائر الخلق.

و الثانى إفراد الربوبية و اعتقاد أن الرب تبارك و تعالى منفرد بذاته و صفاته و أفعاله عن جميع خلقه.



فمن اعتقد فی مخلوق مشارکة الباری سبحانه و تعالی فی شیء من ذلك فقد أشرك، و من قصر بالرسول ﷺ عن شیء من مرتبته فقد عصی أو کفر، و من بالغ فی تعظیمه ﷺ بأنواع التعظیم و لم یبلغ به ما یختص بالباری سبحانه و تعالی فقد أصاب الحق و حافظ علی جانب الربوبیة و الرسالة جمیعاً، و ذلك هو القول الذی لا إفراط فیه و لا تفریط.

و أما قوله ﷺ **«لا تشد الرحال إلا لثلاثة مساجد: المسجد الحرام و مسجدی هذا و المسجد الأقصی»**[1] فمعناه أنه لا تشد الرحال إلی مسجد لأجل تعظیمها و الصلاة فیها و هذا التقدیر لا بد منه، و لو لم یکن التقدیر هکذا لاقتضی منع شد الرحال للحج و الجهاد و الهجرة من دار الکفر و لطلب العلم و تجارة الدنیا و غیر ذلك، و لا یقول بذلك أحد.

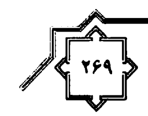
قال العلامة ابن حجر فی (الجوهر المنظم) و مما یدل أیضاً لهذا التأویل للحدیث المذکور التصریح به فی حدیث سنده حسن و هو قوله ﷺ **«لا ینبغی للمطی أن تشد رحالها إلی مسجد یبتغی الصلاة فیه غیر المسجد الحرام و مسجدی هذا و المسجد الأقصی.»**[2]

و بالجملة فالمسألة واضحة جلیة قد أفردت بالتألیف، فلا حاجة إلی الإطالة بأکثر من هذا، فإن من نور الله بصیرته یکتفی بأقل من هذا، و من طمس الله بصیرته فما تغنی عنه الآیات و النذر.

---

١. أخرجه مسلم فی باب لا تشد الرحال، برقم ١٣٩٧.

٢. ذکره المبار کفوری فی تحفة الأحوذی ٢/ ٢٤١.



بيان حكم التوسل

و أما التوسل فقد صح صدوره من النبى ﷺ و أصحابه و سلف الأمة و خلفها. أما صدوره من النبى ﷺ فقد صح فى أحاديث كثيرة: منها انه ﷺ كان من دعائه: «**اللهم إنى أسألك بحق السائلين عليك**» و هذا توسل لا شك فيه، و صح فى أحاديث كثيرة أنه كان يأمر أصحابه أن يدعوا به، منها ما رواه ابن ماجه بسند صحيح عن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «**من خرج من بيته إلى الصلاة فقال: اللهم إنى أسألك بحق السائلين عليك، و أسألك بحق ممشاى هذا إليك، فإنى لم أخرج أشراً و لا بطراً و لا رياء و لا سمعة خرجت اتقاء سخطك و ابتغاء مرضاتك فأسألك أن تعيذنى من النار و أن تغفر لى ذنوبى فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت أقبل الله عليه بوجهه و استغفر له سبعون ألف ملك**»[1]

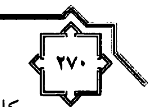
و ذكر هذا الحديث الجلال السيوطى فى الجامع الكبير، و ذكره أيضاً كثير من الأئمة فى كتبهم عند ذكر الدعاء المسنون عند الخروج إلى الصلاة حتى قال بعضهم: ما من أحد من السلف إلا و كان يدعو بهذا الدعاء عند خروجه إلى الصلاة، فانظر قوله: «**بحق السائلين عليك، فإن فيه التوسل بكل عبد مؤمن.**

و روى الحديث المذكور أيضاً عن بلال رضي الله عنه مؤذن رسول الله ﷺ إذا خرج إلى الصلاة قال: «بسم الله آمنت بالله و توكلى على الله و لا حول و لا قوة إلا بالله، اللهم إنى أسألك بحق السائلين عليك و بحق مخرجى هذا فإنى لم أخرج بطراً و لا أشراً و لا رياء و لا سمعة، خرجت ابتغاء مرضاتك و اتقاء سخطك، أسألك أن تعيذنى من النار و أن تدخلنى الجنة».[2]

---

١ . اخرجه ابن ماجة فى سننه برقم ٧٧٨.

٢ . رواه ابن السنى بإسناد صحيح.



و رواه الحافظ أبو نعيم فى عمل اليوم و الليلة من حديث أبى سعيد بلفظ: كان رسول الله ﷺ إذا خرج إلى الصلاة قال: «**اللهم إنى أسألك بحق السائلين**» إلى آخر الحديث المتقدم.

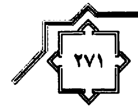
و رواه البيهقى فى كتاب الدعوات من حديث أبى سعيد أيضاً، و محل الاستدلال قوله «**أسألك بحق السائلين عليك**» فعلم من هذا كله أن التوسل صدر من النبى ﷺ و أمر أصحابه أن يقولوه و لم يزل السلف من التابعين و من بعدهم يستعملون هذا الدعاء عند خروجهم إلى الصلاة و لم ينكر عليهم أحد فى الدعاء به.

و مما جاء عنه ﷺ من التوسل أنه كان يقول فى بعض أدعيته «**بحق نبيك و الأنبياء الذين من قبلى**». قال العلامة ابن حجر (فى الجوهر المنظم) رواه الطبرانى بسند جيد.

و من ذلك قوله ﷺ «**اغفر لأمى فاطمة بنت أسد و وسع عليها مدخلها بحق نبيك و الأنبياء الذين من قبلى**»[1] و هذا اللفظ قطعة من حديث رواه الطبرانى فى الكبير و الأوسط و ابن حبان و الحاكم و صححوه عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال «**لما ماتت فاطمة بنت أسد بن هاشم أم على بن أبى طالب رضي الله عنه و كانت ربت النبى ﷺ دخل عليها رسول الله ﷺ و جلس عند رأسها و قال: رحمك الله يا أمى بعد أمى و ذكر ثناءه عليها و تكفينها ببرده و أمره بحفر قبرها، قال فلما بلغوا اللحد حفره ﷺ بيده و أخرج ترابه بيده، فلما فرغ دخل ﷺ فاضطجع ثم قال: الله الذى يحيى و يميت و هو حى لا يموت اغفر لأمى فاطمة بنت أسد، و وسع عليها مدخلها بحق نبيك و الأنبياء الذى من قبلى فإنك أرحم الراحمين**».

---

١ . رواه الطبرانى فى المعجم الكبير برقم ٨٧١.



و روى ابن أبى شيبة عن جابر ﷺ مثل ذلك و كذا روى مثله ابن عبد البر عن ابن عباس ﷺ، و رواه أبو نعيم فى الحلية عن أنس ﷺ، ذكر ذلك كله الحافظ جلال الدين السيوطى فى الجامع الكبير.

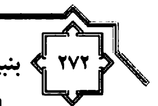
و من الأحاديث الصحيحة التى جاء التصريح فيها التوسل ما رواه الترمذى و النسائى و البيهقى و الطبرانى بإسناد صحيح عن عثمان بن حنيف و هو صحابى مشهور ﷺ: **«أن رجلاً ضريراً أتى النبى ﷺ فقال: ادع الله أن يعافينى، فقال: إن شئت دعوت، و إن شئت صبرت، و هو خير، قال فادعه، فأمره أن يتوضأ فيحسن و ضوءه و يدعو بهذا الدعاء: اللهم إنى أسألك و أتوجه إليك بنبيك محمد نبى الرحمة، يا محمد إنى أتوجه بك إلى ربى فى حاجتى لتقضى اللهم شفّعه فى، فعاد و قد أبصر»**.[1]

و فى رواية قال ابن حنيف: **«فو الله ما تفرقنا وطال بنا الحديث حتى دخل علينا الرجل كأن لم يكن به ضر قط»** ففى هذا الحديث التوسل أيضاً.

و أخرج هذا الحديث أيضاً البخارى فى تاريخه و ابن ماجه و الحاكم فى المستدرك بإسناد صحيح، و ذكره الجلال السيوطى فى الجامع الكبير و الصغير، و ليس لمنكر التوسل أن هذا إنما كان فى حياة النبى ﷺ؛ لأن قوله ذلك غير مقبول، لأن هذا الدعاء استعمله الصحابة ﷺ و التابعين أيضاً بعد وفاته ﷺ لقضاء حوائجهم.

فقد روى الطبرانى و البيهقى أن رجلاً كان يختلف إلى عثمان بن عفان ﷺ فى زمن خلافته فى حاجة فكان لا يلتفت إليه و لا ينظر إليه فى حاجة، فشكا ذلك لعثمان بن حنيف الراوى للحديث المذكور، فقال له: **«ائت الميضأ فتوضأ، ثم ائت المسجد فصل ثم قل: اللهم إنى أسألك و أتوجه إليك**

١ . أخرجه الحاكم فى المستدرك برقم: ١١٨٠ و رقم: ١٩٢٩، و الترمذى فى سننه برقم: ٣٥٧٨.



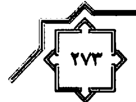
بنبينا نبي الرحمة، يا محمد إني أتوجه بك إلى ربك لتقضى حاجتي، و تذكر حاجتك»[١] فانطلق الرجل فصنع ذلك، ثم أتى بباب عثمان بن عفان رضي الله عنه، فجاء البواب فأخذ بيده فأدخله على عثمان رضي الله عنه فأجلسه معه و قال له: اذكر حاجتك، فذكر حاجته فقضاها، ثم قال له ما كان لك من حاجة فاذكرها ثم خرج من عنده فلقى ابن حنيف فقال له: جزاك الله خيراً ما كان ينظر لحاجتي حتى كلمته لى، فقال ابن حنيف: و الله ما كلمته و لكن شهدت رسول الله صلى الله عليه وآله و أتاه ضرير فشكا إليه ذهاب بصره، إلى آخر الحديث المتقدم، فهذا التوسل و نداء بعد وفاته صلى الله عليه وآله.

و روى البيهقى و ابن أبى شيبة بإسناد صحيح أن الناس أصابهم قحط فى خلافة عمر رضي الله عنه، فجاء بلال بن الحارث رضي الله عنه و كان من أصحاب النبى صلى الله عليه وآله إلى قبر النبى صلى الله عليه وآله، و قال: يا رسول الله استسق لأمتك فإنهم هلكوا، فأتاه رسول الله صلى الله عليه وآله فى المنام و أخبره أنهم يسقون، و ليس الاستدلال بالرؤيا للنبى صلى الله عليه وآله فإن رؤياه إن كانت حقاً لا تثبت بها الأحكام لإمكان اشتباه الكلام على الرائى لا شك فى الرؤيا، و إنما الاستدلال بفعل الصحابى و هو بلال بن الحارث رضي الله عنه، فإتيانه لقبر النبى صلى الله عليه وآله و نداؤه له و طلبه منه أن يستسقى لأمته دليل على أن ذلك جائز، و هو من باب التوسل و التشفع و الاستغاثة به صلى الله عليه وآله، و ذلك من أعظم القربات.

و قد توسل به صلى الله عليه وآله أبوه آدم عليه السلام، قبل وجود سيدنا محمد صلى الله عليه وآله حين أكل من الشجرة التى نهاه الله عنها، و حديث توسل آدم عليه السلام بالنبى صلى الله عليه وآله رواه البيهقى بإسناد صحيح فى كتابه المسمى (دلائل النبوة) الذى قال فيه الحافظ الذهبى: **«عليك به فإنه كله هدى و نور»**، فرواه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: رسول

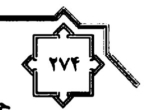
---

١ . رواه الطبرانى فى المعجم الكبير برقم: ٨٣١١، و المعجم الصغير برقم: ٥٠٨.



الله ﷺ: «لما اقترف آدم الخطيئة قال: يا رب أسألك بحق محمد إلا ما غفرت لى، فقال الله تعالى: يا آدم كيف عرفت محمداً ولم أخلقه؟ قال: يا رب إنّك لما خلقتنى رفعت رأسى فرأيت على قوائم العرش مكتوباً: لا إله إلّا الله محمد رسول الله، فعلمت أنك لم تضف إلى اسمك إلّا أحب الخلق إليك، فقال الله تعالى: صدقت يا آدم إنه أحب الخلق إلىّ و إذ سألتنى بحقه فقد غفرت لك. و لولا محمد ما خلقتك» رواه الحاكم و صححه الطبرانى و زاد فيه «و هو آخر الأنبياء من ذريتك» و إلى هذا التوسل أشار الإمام مالك رضي الله عنه للخليفة المنصور، و ذلك أنه لما حج المنصور و زار قبر النبى ﷺ سأل الإمام مالكاً رضي الله عنه و هو بالمسجد النبوى فقال لمالك: يا أبا عبدالله استقبل القبلة و أدعو أم أستقبل رسول الله ﷺ و أدعو؟ فقال له الإمام مالك: و لم تصرف وجهك عنه و هو وسيلتك و وسيلة أبيك آدم إلى الله تعالى؟ بل استقبل و استشفع به فيشفعه الله فيك، قال الله تعالى: ﴿وَلَو أَنَّهُم إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُم جَآءُوكَ فَاستَغفَرُوا اللهَ وَاستَغفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّاباً رَّحِيماً﴾ ذكره القاضى عياض فى (الشفاء) و ساقه بإسناد صحيح، و ذكره الإمام السبكى فى (شفاء السقام) و السيد السمهودى فى (خلاصة الوفاء) و العلامة القسطلانى فى (المواهب اللدنية) والعلامة ابن حجر فى (الجوهر المنظم) و ذكر كثير من أرباب المناسك فى آداب الزيارة. و قال العلامة ابن حجر فى (الجوهر المنظم) رواية ذلك عن مالك جاءت بالسند الصحيح الذى لا مطعن فيه.

و قال العلامة الزرقانى فى (الشفاء) بإسناد صحيح رجاله ثقات ليس فى إسنادها وضاع و لا كذاب، و مراده بذلك الرد على من لم يصدق رواية ذلك عن الإمام مالك و نسب له كراهية استقبال القبر، فنسبة الكراهة إلى الإمام مالك مردودة.



و قال بعض المفسرين فى قوله تعالى ﴿فَتَلَقَّى ءَادَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ﴾ من جملة تلك الكلمات توسل آدم بالنبى ﷺ حين قال: «**يا رب أسألك بحرمة محمد إلا ما غفرت لى.**»

و استسقى عمر بن الخطاب ﷺ من زمان خلافته بالعباس بن عبدالمطلب ﷺ عم النبى ﷺ لما اشتد القحط عام الرمادة فسقوا، و ذلك مذكور فى صحيح البخارى[1] من رواية أنس بن مالك ﷺ و ذلك من التوسل.

و فى (المواهب اللدنية) للعلامة القسطلانى: أن عمر ﷺ لما استسقى بالعباس ﷺ قال: «**يا أيها الناس إن رسول الله ﷺ كان يرى للعباس ما يرى الولد للوالد فاقتدوا به فى عمه العباس و اتخذوه وسيلة إلى الله تعالى**» ففيه التصريح بالتوسل، و بهذا يبطل قول من منع التوسل مطلقاً، سواء كان التوسل بالأحياء أو بالأموات، و قول من منع ذلك بغير النبى ﷺ.

و نص اللفظ الواقع من عمر ﷺ حين استسقى بالعباس رضى الله عنه: «**اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا ﷺ فتسقينا، و إنا نتوسل إليك بعم نبيك ﷺ فاسقنا**» و الحديث مذكور فى صحيح البخارى من رواية أنس بن مالك ﷺ.

و صدر الحديث عن أنس ﷺ «**أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبدالمطلب، و قال: اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا ﷺ فتسقينا، و إنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا، قال فيسقون**» انتهى.

وفعل عمر ﷺ حجةلقوله ﷺ «إن الله جعل الحق على لسان عم وقلبه»[2]

---

١ . أخرجه البخارى باب سؤال الناس الاستسقاء برقم ٩٦٤.

٢ . أخرجه ابن حبان فى صحيحه برقم ٦٨٨٩، و الترمذى برقم: ٣٦٨٢، و الحاكم فى المستدرك برقم ٤٥٠١، و البيهقى فى السنن برقم ١٢٥٠٣، و أبى داود برقم ٢٩٦٢، و ابن ماجة برقم ١٠٨، و أحمد فى مسنده ٥١٤٥، و الطبرانى فى الأوسط ٦٦٩٢.



رواه الإمام أحمد و الترمذى عن ابن عمر رضي الله عنهما و رواه الإمام أحمد أيضاً و أبو داود و الحاكم فى المستدرك عن أبى ذر رضي الله عنه، و رواه أبو يعلى و الحاكم فى المستدرك أيضاً عن أبى هريرة رضي الله عنه، و رواه الطبرانى فى الكبير عن بلال و معاوية رضي الله عنهما، وروى الطبرانى فى الكبير و ابن عدى فى الكامل عن الفضل بن العباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «**عمر معى و أنا مع عمر، و الحقّ بعدى مع عمر حيث كان**»[1] و هذا مثل ما صحّ فى حق على رضي الله عنه حيث قال صلى الله عليه وسلم فى حقه «**و أدر الحق معه حيث دار**» و هو حديث صحيح رواه كثير من أصحاب السنن، فكل من عمر و علىّ رضي الله عنهما يكون الحق معهما حيث كانا: و هذان الحديثان من جملة الأدلة التى استدل بها أهل السنة على صحة خلافة الخلفاء الأربعة، لأن علياً رضي الله عنه كان مع الخلفاء الثلاثة، قبله لم ينازعهم فى الخلافة. فلما جاءت الخلافة له و نازعه غيره ممن لا يستحق التقدم عليه قاتله. و من الأدلة على أن توسل عمر بالعباس رضي الله عنهما حجة على التوسل، قوله صلى الله عليه وسلم «**لو كان بعدي نبى لكان عمر**»[2]، و روى الطبرانى، فى الكبير عن أبى الدرداء رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**اقتدوا باللذين من بعدى أبى بكر و عمر، فإنهما حبل الله الممدود، من تمسك بهما فقد تمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها**»[3]

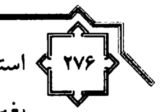
و إنما استسقى عمر رضي الله عنه بالعباس رضي الله عنه، و لم يستسق بالنبى صلى الله عليه وسلم ليبين للناس جواز الاستسقاء بغير النبى صلى الله عليه وسلم، و أن ذلك لا حرج فيه، و أما الاستسقاء بالنبى صلى الله عليه وسلم، فكان معلوماً عندهم فلربما أن بعض الناس يتوهم أنه لا يجوز الاستسقاء بغير النبى صلى الله عليه وسلم، فبيّن لهم عمر باستسقائه بالعباس الجواز، و لو

---

١ . رواه الطبرانى فى الكبير برقم ٧١٨.

٢ . رواه الإمام أحمد و الترمذى و الحاكم فى المستدرك عن عقبة بن عامر الجهنى رضي الله عنه، و رواه الطبرانى فى الكبير عن عصمة بن مالك رضي الله عنه.

٣ . مصنف ابن أبى شيبة برقم ٣١٩٤٢.

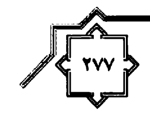


استسقى بالنبى ﷺ لربما يفهم منه بعض الناس أنه لا يجوز الاستسقاء بغيره ﷺ.

و ليس لقائل أن يقول: إنما استسقى بالعباس لأن العباس حى و النبى ﷺ قد مات، و أن الاستسقاء بغير الحى لا يجوز. لأنا نقول: أن هذا التوهم باطل و مردود بأدلة كثيرة و منها توسل الصحابة ﷺ بالنبى ﷺ بعد وفاته كما تقدّم فى القصة التى رواها عثمان بن حنيف فى الحاجة التى كانت لرجل عند عثمان بن عفان ﷺ، و كما فى حديث بلال ابن الحارث ﷺ و كما فى توسل آدم بالنبى ﷺ قبل وجوده، و حديث توسل آدم رواه عمر ﷺ كما تقدم، فكيف يتوهم أنه لا يعتقد صحته، بعد وفاته، و قد روى التوسل به قبل وجوده، مع أنه ﷺ حىّ فى قبره، فتلخص من هذا أنه يصح التوسل به ﷺ قبل وجوده وفى حياته و بعد وفاته، و أنه يصح أيضاً التوسل بغيره من الأخيار كما فعل عمر حين استسقى بالعباس ﷺ، و ذلك من أنواع التوسل كما تقدم.

و إنما خص عمر العباس ﷺ من بين سائر الصحابة ﷺ لإظهار شرف أهل بيت رسول الله ﷺ، و لبيان أنه يجوز التوسل بالمفضول مع وجود الفاضل فإن علياً ﷺ كان موجوداً و هو أفضل من العباس ﷺ.

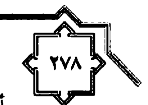
قال بعض العارفين: و فى توسل عمر بالعباس ﷺ دون النبى ﷺ نكتة أخرى أيضاً زيادة على ما تقدم و هى شفقة عمر ﷺ على ضعفاء المؤمنين، فإنه لو استسقى بالنبى ﷺ لربما استأخرت الإجابة، لأنها معلقة بإرادة الله تعالى و مشيئته، فلو تأخرت الإجابة، بخلاف ما إذا كان التوسل بغير النبى ﷺ، فإنها لو تأخرت الإجابة لا تحصل تلك الوسوسة و لا ذلك الاضطراب.



جواز التوسل بالأولياء و الصالحين

و الحاصل أن مذهب أهل السنة و الإجماع صحة التوسل و جوازه بالنبى ﷺ فى حياته و بعد وفاته، و كذا بغيره من الأنبياء و المرسلين صلوات الله و سلامه عليه و عليهم أجمعين، و كذا بالأولياء و الصالحين، كما دلت عليه الأحاديث السابقة، لأنا معاشر أهل السنة لا نعتقد تأثيراً و لا خلقاً و لا إيجاداً و لا إعداماً و لا نفعاً و لا ضراً إلا لله وحده لا شريك له، و لا نعتقد تأثيراً و لا نفعاً و لا ضراً للنبى ﷺ و لا لغيره من الأحياء والأموات، فلا فرق فى التوسل بالنبى ﷺ و غيره من الأنبياء و المرسلين صلوات الله و سلامه عليه و عليهم أجمعين، و كذا بالأولياء و الصالحين لا فرق بين كونهم أحياء و أمواتاً، لأنهم لا يخلقون شيئاً و ليس لهم تأثير فى شىء و إنما يتبرّك بهم لكونهم أحباء الله تعالى. و أما الخلق و الإيجاد و الإعدام والنفع و الضر فإنه لله وحده لا شريك له؛ و أما الذين يفرّقون بين الأحياء و الأموات فإنهم بذلك الفرق يتوهم منهم أنهم يعتقدون التأثير للأحياء دون الأموات، و نحن نقول: ﴿اللهُ خَالِقُ كُلِّ شىءٍ﴾ و ﴿وَاللهُ خَلَقَكُم وَ مَا تَعمَلُونَ﴾.

فهؤلاء المجوّزون التوسل بالأحياء دون الأموات، هم المعتقدون تأثير غير الله و هم الذين دخل الشرك فى توحيدهم لكونهم اعتقدوا تأثير الأحياء دون الأموات فكيف يدّعون أنهم محافظون على التوحيد و ينسبون غيرهم إلى الإشراك؟ ﴿سُبحَانَكَ هَذَا بُهتَانٌ عَظِيمٌ﴾ فالتوسل و التشفع و الاستغاثة كلها بمعنى واحد و ليس لها فى قلوب المؤمنين معنى إلا التبرّك بذكر أحباء الله تعالى لما ثبت أن الله يرحم العباد بسببهم، سواء كانوا أحياء أو أمواتاً، فالمؤثر و الموجد حقيقة هو الله تعالى، و ذكر هؤلاء الأخيار سبب عادى فى ذلك التأثير، و ذلك مثل الكسب العادى فإنه لا تأثير له.



و حياة الأنبياء عليهم الصلاة و السلام فى قبورهم ثابتة عند أهل السنة بأدلة كثيرة: منها حديث: «**مررت على موسى ليلة أسرى بى يصلى فى قبره**»[١] و مثله «**مررت على إبراهيم فأمرنى على تبليغ أمتى السلام، و أن أخبرهم أن الجنة طيبة التربة و أنها قيعان و أن غراسها سبحان الله و الحمد لله و لا إله إلا الله و الله أكبر**». و مثل حديث اجتماعهم لما صلى بهم فى البيت المقدس ليلة أسرى به ثم تلقوه فى السموات، و حديث تردّد النبى ﷺ بين موسى و مقام مكالمته ربه لما فرض عليه خمسين صلاة فأمره موسى بالمراجعة، و حديث «**إن الأنبياء يحجون ويلبون**» و كل هذه الأحاديث صحيحة لا مطعن فيها لطاعن، فلا حاجة إلى الإطالة بذكرها.

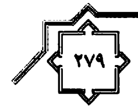
و أيضاً فقد ثبت بنص القرآن حياة الشهداء، و الأنبياء أفضل من الشهداء، فالحياة لهم ثابتة بالأولى.

ثم إن الحياة الثابتة للأنبياء عليهم الصلاة و السلام و للشهداء ليست مثل الحياة الدنيوية بل هى حياة تشبه حال الملائكة و لا يعلم صفتها و حقيقتها إلا الله تعالى، فيجب علينا الإيمان بثبوتها من غير بحث عن صفتها و كيفيتها، و إذا كان الأمر كذلك فلا ينافى أن كلا منهم قد مات و انتقل من الحياة الدنيوية؛ بمعنى أنه زالت عنه الحياة التى كانت فى الدار الدنيا و ثبتت لهم حياة أخرى، فلا إشكال فى قوله تعالى ﴿**إِنَّكَ مَيِّتٌ وَ إِنَّهُم مَّيِّتُونَ**﴾ و الكلام على ذلك مبسوط فى المطولات، فلا حاجة لنا إلى الإطالة بذكره.

فإن قال قائل: إن شبهة هؤلاء المانعين للتوسل أنهم رأوا بعض العامة يأتون بألفاظ توهم أنهم يعتقدون التأثير لغير الله تعالى، و يطلبون من الصالحين أحياء و أمواتاً أشياء جرت العادة بأنها لا تطلب إلا من الله تعالى، و يقولون للولىّ

---

١ . أخرجه مسلم فى صحيحه برقم: ٢٣٧٥.



افعل لى كذا و كذا و أنهم ربما يعتقدون الولاية فى أشخاص لم يتصفوا بها بل اتصفوا بالتخليط و عدم الاستقامة و ينسبون لهم كرامات و خوارق عادات و أحوال ليسوا بأهل لها و لم يوجد فيهم شيء منها. فأراد هؤلاء المانعون للتوسل أن يمنعوا العامة من تلك التوسعات دفعاً للإيهام و سدّاً للذريعة، و إن كانوا يعلمون أن العامة لا يعتقدون تأثيراً و لا نفعاً و لا ضراً لغير الله تعالى، و لا يقصدون بالتوسل إلا التبرّك، و لو أسندوا للأولياء شيئاً لا يعتقدون فيهم تأثيراً. فنقول لهم: إذا كان الأمر كذلك و قصدتم سد الذريعة فما الحامل لكم على تكفير الأمة، عالمهم و جاهلهم، خاصهم و عامهم؟ و ما الحامل لكم على منع التوسل مطلقاً؟ بل كان ينبغى لكم أن تمنعوا العامة من الألفاظ الموهمة لتأثير غير الله تعالى و نأمرهم بسلوك الأدب فى التوسل، مع أن تلك الألفاظ الموهمة يمكن حملها على المجاز من غير احتياج إلى التكفير للمسلمين، و ذلك المجاز مجاز عقلى شائع معروف عند أهل العلم و مستعمل على ألسنة جميع المسلمين و وارد فى الكتاب و السنة، و عليه يحمل قول القائل: هذا الطعام أشبعنى و هذا الماء أروانى و هذا الدواء شفانى و هذا الطبيب نفعنى فكل ذالك عند أهل السنة محمول على المجاز العقلى، فإن الطعام لا يشبع حقيقة و المشبع حقيقة هو الله، و الطعام سبب عادى لا تأثير له و هكذا بقية الأمثلة.

فالمسلم الموحد متى صدر منه إسناد لغير من هو له يجب حمله على المجاز العقلى، و الإسلام و التوحيد قرينة على ذلك المجاز كما نص على ذلك علماء المعانى فى كتبهم و أجمعوا عليه.

و أما منع التوسل مطلقاً فلا وجه له مع الأحاديث الصحيحة و صدوره من النبى ﷺ و أصحابه و سلف الأمة و خلفهم، فهؤلاء المنكرون للتوسل المانعون منه، منهم من يجعله محرّماً و منهم من يجعله كفراً و إشراكاً، و كل ذلك



باطل لأنه يؤدى إلى اجتماع معظم الأمة على ضلالة؛ و من تتبع كلام الصحابة و علماء الأمة سلفها و خلفها يجد التوسل صادراً منهم بل و من كل مؤمن فى أوقات كثيرة و اجتماع أكثر الأمة على محرم أو كفر لا يجوز لقوله ﷺ فى الحديث الصحيح «**لا تجتمع أمتي على ضلالة**»[1] قال بعضهم إن هذا حديث متواتر و قال تعالى ﴿**كُنتُم خَيرَ أُمَّة أُخرجت لِلنَّاس**﴾.

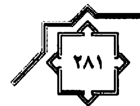
فاللائق بهؤلاء المنكرين إذا أرادوا سدّ الذريعة و منع الناس من الألفاظ الموهمة لتأثير غير الله تعالى أن يقولوا: ينبغى أن يكون التوسل بالأدب و بالألفاظ التى ليس فيها إيهام، كأن يقول المتوسل: اللهم إنى أسألك و أتوسل إليك بنبيك ﷺ و بالأنبياء قبله و بعباده الصالحين أن تفعل بى كذا و كذا، لا أنهم يمنعون من التوسل، و لا أن يتجاسروا على تكفير المسلمين الموحدين الذين لا يعتقدون التأثير إلا لله وحده لا شريك له.

و من الشبه التى تمسك بها هؤلاء المنكرون للتوسل، قوله تعالى: ﴿**لَّا تَجعَلُوا دُعَآءَ الرَّسُولِ بَينكُم كَدُعآءِ بَعضِكُم بَعضاً**﴾ فإن الله نهى المؤمنين فى هذه الآية أن يخاطبوا النبى ﷺ بمثل ما يخاطب بعضهم بعضاً كأن ينادوه باسمه؛ و قياساً على ذلك يقال لا ينبغى أن يطلب من غير الله تعالى كالأنبياء و الصالحين الأشياء التى جرت العادة بأنها لا تطلب إلا من الله تعالى، لئلا تحصل المساواة بين الله تعالى و خلقه بحسب الظاهر، و إن كان الطلب من الله على أنه الموجد للشىء و المؤثر فيه و من غيره على أنه سبب عادى لكنه ربما يوهم التأثير، فالمنع من ذلك الطلب لدفع هذا الإيهام.

و الجواب: أن هذا لا يقتضى المنع من التوسل مطلقاً و لا يقتضى منع الطلب من موحد فإنه يحمل على المجاز العقلى إذا صدر من موحد فلا وجه

---

١ . سنن ابن ماجة كتاب الفتن ٣٩٤٠.

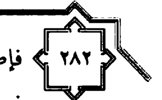


لكونه شركاً و لا لكونه محرماً، فلو قالوا إن ذلك خلاف الأدب و أجازوا التوسل و شرطوا فيه أن يكون بالأدب و احتراز على الألفاظ الموهمة لكان له وجه، و أما المنع مطلقاً فلا وجه له.

قال العلامة ابن حجر فى (الجوهر المنظم) و لا فرق فى التوسل بين أن يكون بلفظ التوسل أو التشفع أو الاستغاثة أو التوجه، لأن التوجه من الجاه و هو علوّ المنزلة، و قد يتوسل بذى الجاه إلى من هو أعلى منه جاهاً، و الاستغاثة: معناها طلب الغوث، و المستغيث يطلب من المستغاث به أن يحصل له الغوث من غيره و إن كان أعلى منه؛ فالتوجه والاستغاثة به ﷺ و بغيره ليس له معنى فى قلوب المسلمين إلا طلب الغوث حقيقة من الله تعالى، و مجازاً بالتسبب العادى من غيره، و لا يقصد أحد من المسلمين غير ذلك المعنى. فمن لم ينشرح له صدره فليبك على نفسه، نسأل الله العافية.

فالمستغاث به حقيقة هو الله تعالى، و أما النبى ﷺ فهو واسطة بينه و بين المستغيث، فهو سبحانه و تعالى مستغاث به حقيقة، و الغوث منه بالخلق و الإيجاد، و النبى ﷺ مستغاث به مجازاً و الغوث منه بالكسب و التسبب العادى باعتبار توجهه و تشفعه عند الله لعلو منزلته و قدره، فهو على حد قوله تعالى ﴿**وَ مَا رَمَيتَ إِذ رَمَيتَ وَلَكنَّ اللهَ رَمَى**﴾ أى ما رميت خلقاً و إيجاداً، و كذا قوله تعالى ﴿**فَلَم تَقتُلُوهُم و لكنَّ الله قَتَلَهُم**﴾ و قوله ﷺ «**ما أنا حملتكم و لكن الله حملكم**» و كثيراً ما تجيء السنة لبيان الحقيقة، و يجيء القرآن بإضافة الفعل لمكتسبه و يسند إليه مجازاً كقوله تعالى ﴿**ادخُلُوا الجَنَّة بِمَا كُنتُم تَعمَلُون**﴾ وقوله ﷺ «**لن يدخل أحدكم الجنة بعمله**»[١] فالآية بيان للسبب العادى و الحديث لبيان سبب فعل الفاعل الحقيقى و هو فضل الله تعالى. و بالجملة

١ . أخرجه مسلم فى صحيحه برقم: ٢٨١٦، و رواه أحمد فى مسنده برقم: ١٠١٢٧.



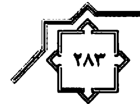
فإطلاق لفظ الاستغاثة لمن يحصل منه غوث باعتبار الكسب أمر معلوم لا شك فيه لغة و لا شرعاً، فإذا قلت أغثني يا الله تريد الإسناد الحقيقي باعتبار الخلق و الإيجاد، و إذا قلت أغثني يا رسول الله تريد الإسناد المجازي باعتبار التسبب و الكسب و التوسط بالشفاعة.

لو تتبعت كلام الأئمة و سلف الأمة و خلفها لوجدت شيئاً كثيراً من ذلك، بل في الأحاديث الصحيحة كثير من ذلك، و منه ما في صحيح البخاري في مبحث الحشر و وقوف الناس للحساب يوم القيامة، بينما هم كذلك استغاثوا بآدم ثم بموسى ثم بمحمد ﷺ، فتأمل تعبيره ﷺ «**و استغاثوا بآدم**» فإن الاستغاثة به مجازية عنه ﷺ لمن أراد عوناً يقول «**يا عباد الله أعينوني**» و في رواية «**أغيثوني**».

و جاء في الحديث قصة قارون لما خسف به أنه استغاث بموسى عليه السلام فلم يغثه بل صار يقول يا أرض خذيه، فعاتب الله موسى حيث لم يغثه و قال له: استغاث بك فلم تغثه و لو استغاث بي لأغثته فإسناد الإغاثة إلى الله تعالى إسناد حقيقي، و إسنادها إلى موسى مجازي.

و قد يكون معنى التوسل به ﷺ طلب الدعاء منه إذ هو ﷺ حيّ في قبره يعلم سؤال من يسأله.

و قد تقدم حديث بلال بن الحارث رضي الله عنه المذكور فيه: أن جاء إلى قبره ﷺ و قال: يا رسول الله استسق لأمتك: أي ادع الله لهم، فعلم منه أنه ﷺ يطلب منه الدعاء بحصول الحاجات كما كان يطلب منه في حياته لعلمه بسؤال من يسأله مع قدرته على التسبب في حصول ما سئل فيه بسؤاله و دعائه و شفاعته إلى ربه عز و جل و أنه ﷺ يتوسل به في كل خير قبل بروزه لهذا العالم و بعده، في حياته و بعد وفاته، و كذا في عرصات القيامة فيشفع إلى ربه و كل



هذا مما تواترت به الأخبار وقام به الإجماع قبل ظهور المانعين منه، فهو ﷺ له الجاه الوسيع و القدر المنيع عند سيده و مولاه المنعم عليه بما حباه و أولاه.

و أما تخيل المانعين المحرومين من بركاته أن منع التوسل و الزيارة من المحافظة على التوحيد، و أن التوسل و الزيارة مما يؤدى إلى الشرك فهو تخيل فاسد باطل؛ فالتوسل و الزيارة إذا فعل كل منهما مع المحافظة على آداب الشريعة الغراء لا يؤدى على محذور ألبتة.

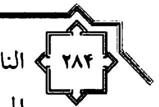
و القائل بمنع ذلك سداً للذريعة متقوّل على الله تعالى و على رسوله ﷺ.

واجب تعظيم النبي ﷺ

و كأن هؤلاء المانعين للتوسل و الزيارة يعتقدون أنه لا يجوز تعظيم النبى ﷺ، فحيثما صدر من أحد تعظيم له ﷺ حكموا على فاعله بالكفر و الإشراك، و ليس الأمر كما يقولون، فإن الله تعالى عظم النبى ﷺ فى القرآن الكريم بأعلى أنواع التعظيم، فيجب علينا أن نعظم من عظمه الله تعالى و أمر بتعظيمه، نعم يجب علينا أن لا نصفه بشيء من صفات الربوبية، و رحم الله البوصيرى حيث قال:

دع ما ادّعته النصارى فى نبيهم   واحكم بما شئت مدحا فيه واحتكم

فليس فى تعظيمه بغير صفات الربوبية شيء من الكفر و الإشراك، بل ذلك من أعظم الطاعات و القربات، و هكذا كل من عظمهم الله تعالى كالأنبياء و المرسلين صلوات الله و سلامه عليه و عليهم أجمعين، كالملائكة و الصديقين و الشهداء و الصالحين. قال تعالى ﴿وَ مَن يُعَظِّم شَعَائِرَ الله فَإِنَّها مِن تَقوَى القُلُوب﴾ و قال تعالى ﴿وَ مَن يُعَظِّم حُرُماتِ الله فَهُوَ خَيرٌ لَّهُ عَندَ رَبِّهِ﴾ و من تعظيمه ﷺ: الفرح بليلة ولادته ﷺ، و إطعام الطعام و غير ذلك مما يعتاد



الناس فعله من أنواع البرّ، فإن ذلك كله من تعظيمه ﷺ، و قد أفردت مسألة المولد و ما يتعلق بها بالتأليف، و اعتنى بذلك كثير من العلماء، فألفوا في ذلك مصنفات مشحونة بالأدلة و البراهين، فلا حاجة لنا إلى الإطالة بذلك.

و مما أمر الله بتعظيمه: الكعبة المعظمة، و الحجر الأسود، و مقام إبراهيم عليه السلام فإنها أحجار و أمرنا الله بتعظيمها: بالطواف بالبيت، و مس الركن اليماني و تقبيل الحجر الأسود، و بالصلاة خلف المقام، و بالوقوف للدعاء عند المستجار، و باب الكعبة، و الملتزم، و الميزاب، كما جرى على ذلك السلف و الخلف و كلهم في ذلك لا يعبدون إلا الله و لا يعتقدون تأثيراً لغيره و لا نفعاً و لا ضراً، لأن ذلك لا يكون إلا لله وحده لا يكون لأحد سواه.

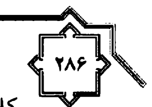
و الحاصل كما تقدم أن هنا أمرين: أحدهما وجوب تعظيم النبي ﷺ و رفع رتبته عن سائر المخلوقات. و الثاني إفراد الربوبية و اعتقاد أن الرب تبارك و تعالى منفرد بذاته و صفاته و أفعاله عن جميع خلقه، فمن اعتقد في مخلوق مشاركة الباري سبحانه و تعالى في شيء من ذلك فقد أشرك كالمشركين الذين كانوا يعتقدون الألوهية للأصنام و استحقاقاتها للعبادة؛ و من قصر بالرسول ﷺ في شيء عن مرتبته فقد عصى أو كفر؛ و أمّا من بالغ في تعظيمه بأنواع التعظيم و لم يصفه بشيء من صفات الربوبية فقد أصاب الحقّ و حافظ على جانب الربوبيّة و الرسالة جميعاً، و ذلك هو القول الذي لا إفراط فيه و لا تفريط.

و إذ وجد في كلام المؤمنين إسناد لشيء غير الله تعالى يجب حمله على المجاز العقلي، و لا سبيل إلى تكفير أحد من المؤمنين، و إذ المجاز العقلي مستعمل في الكتاب و السنة؛ فمن ذلك قوله تعالى **﴿و إذا تُلِيَت عَلَيهِم ءَايَاتُهُ زَادَتهُم إيماناً﴾** فإسناد الزيادة إلى الآيات مجاز عقلي، و هي سبب عادي للزيادة،



و الذى يزيد فى الإيمان حقيقة هو الله تعالى وحده لا شريك له و قوله تعالى **﴿يوماً يجعلُ الوِلدانَ شِيباً﴾** فإسناد الجعل إلى اليوم مجاز عقلى لأن اليوم محل لجعله شيباً، فالجعل المذكور واقع فى اليوم، و الجاعل حقيقة هو الله تعالى وحده، و قوله تعالى **﴿وَ لا يَغُوثَ وَ يَعُوقَ وَنَسراً * وَ قَد أضَلُّوا كَثيراً﴾** فإسناد الإضلال إلى الأصنام مجاز عقلى، لأنها سبب فى حصول الإضلال و الهادى و المضلّ حقيقة هو الله تعالى وحده لا شريك له، و قوله تعالى حكاية عن فرعون **﴿يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحاً﴾** فإسناده البناء إلى هامان مجاز عقلى لأنه سبب آمر، فهو يأمر بذلك و لا يبنى بنفسه، و الذى يبنى إنما هو الفعلة.

و أما الأحاديث النبوية ففيها من المجاز العقلى شىء كثير يعرف ذلك من وقف عليه من ذلك الحديث المتقدم «**بينما هم كذلك استغاثوا بآدم**» فإغاثة آدم عليه السلام مجازية و المغيث حقيقة هو الله تعالى. و أما كلام العرب ففيه من المجاز العقلى ما لا يحصى كقولهم: أنبت الربيع البقل، فجعلوا الربيع هو المطر منبتاً، و المنبت حقيقة هو الله تعالى، فإسناد الإنبات إلى الربيع مجاز عقلى، فإذا قال العامى من المسلمين نفعنى النبى ﷺ أو أغاثنى أو نحو ذلك فإنما يريد الإسناد المجازى، و القرينة على ذلك أنه مسلم موحد لا يعتقد التأثير إلا لله، فجعلهم ذلك و أمثاله من الشرك جهل محض و تلبيس على عوام الموحدين، و قد اتفق العلماء على أنه إذا صدر مثل هذا الإسناد من موحد فإنه يحمل على المجاز، و التوحيد يكفى قرينة لذلك لأن الاعتقاد الصحيح هو اعتقاد أهل السنة و الجماعة و اعتقادهم أن الخالق للعبد و أفعالهم هو الله تعالى لا تأثير لأحد سواه؛ لا لحىّ و لا الميت، فهذا الاعتقاد هو التوحيد المحض بخلاف من اعتقد غير هذا فإنه يقع فى الإشراك.



و أما الفرق بين الحی و المیت کما یفهم من کلام هؤلاء المانعین للتوسل فإن کلامهم یفید أنهم یعتقدون أن الحی یقدر علی بعض الأشیاء دون المیت، فکأنهم یعتقدون أن العبد یخلق أفعال نفسه فهو مذهب باطل، و الدلیل علی أن هذا هو اعتقادهم أنهم إذا نودی الحی و طلب منه ما یقدر علیه فلا ضرر فی ذلك، و أما المیت فإنه لا یقدر علی شیء أصلاً. و أما أهل السنة فإنه یقولون: الحی لا یقدر علی شیء کما أن المیت کذلك لا یقدر، و القادر حقیقة هو الله تعالی، و العبد لیس له إلا الکسب الظاهری باعتبار الحیّ، و الکسب الباطنی باعتبار التبرك بذکر اسم النبی ﷺ و غیره من الأخیار و تشفعهم فی ذلك، و الخالق للعباد و أفعالهم و الله وحده لا شریك له.

و قد تقدم کثیر من الدلائل الدالة علی صحة التوسل و لا بأس بإلحاق أدلة تدل علی ذلك زیادة علی ما تقدم.

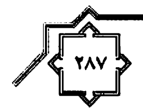
أدلة جواز التوسل بالنبي

ذکر العلامة السید السمهودی فی (خلاصة الوفاء) أن من الأدلة الدالة علی صحة التوسل بالنبی ﷺ بعد وفاته ما رواه الدارمی فی صحیحه عن أبی الجوزاء قال: «**قحط أهل المدينة قحطاً شديداً، فشكوا إلى عائشة ﵂ فقالت: انظروا إلى قبر رسول الله ﷺ فاجعلوا منه كوّة إلى السّماء حتى لايكون بينه و بين السماء سقف، ففعلوا فمطروا حتى نبت العشب و سمنت الإبل حتى تفتقت من الشحم، فتسمي عام الفتق**»[1]

قال العلامة المراغی «**و فتح الكوة عند الجدب سنّة أهل المدينة يفتحون كوة فی أسفل قبو الحجرة المطهرة و إن كان السقف ليس حائلاً بين القبر الشريف و السماء**».

---

١ . أخرجه الدارمی فی سننه برقم ٩٢.



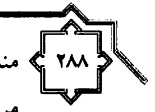
قال السيد السمهودى بعد كلام المراغى: و سنّتهم اليوم فتح الباب المواجه للوجه الشريف و يجتمعون هناك و ليس القصد إلا التوسل بالنبى ﷺ و الاستشفاع به إلى ربه لرفعة قدره عند الله و قال أيضاً فى (خلاصة الوفاء) ﷺ و بجاهه و بركته من سنن المرسلين و سيرة السلف الصالحين ا هـ.

و ذكر كثير من علماء المذاهب الأربعة فى كتب المناسك عند ذكرهم زيارة النبى ﷺ أنه يسن للزائر أن يستقبل القبر الشريف و يتوسل بى إلى الله تعالى فى غفران ذنوبه و قضاء حاجاته و يستشفع به ﷺ، قالوا: من أحسن ما يقول ما جاء عن العتبى، و هو مروىّ أيضاً عن سفيان بن عيينة و كلّ منهما من مشايخ الإمام الشافعى، قال العتبى: كنت جالساً عند قبر رسول الله ﷺ فجاء أعرابى فقال: السلام عليك يا رسول الله، سمعت الله يقول، و فى رواية: يا خير الرسل إن الله أنزل عليك كتاباً صادقاً قال فيه **﴿وَ لَو أَنَّهُم إذ ظَّلَمُوا أنفُسَهُم جَآءُوكَ فَاستَغفَرُوا اللهَ وَ استَغفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّاباً رَّحيماً﴾** و قد جئتك مستغفراً من ذنبى مستشفعاً بك إلى ربى، و فى رواية: و إنى جئتك مستغفراً ربك عز و جل من ذنوبى، ثم بكى و أنشأ يقول:

يا خير من دفن بالقاع أعظمه فطاب من طيبهن القاع والأكم

نفسى الفداء لقبر أنت ساكنه فيه العفاف وفيه الجود والكرم

قال العتبى: ثم استغفر الأعرابى و انصرف، فغلبتى عيناى فرأيت النبى ﷺ فى النوم فقال: يا عتبى ألحق الأعرابى و بشره أن الله غفر له، فخرجت خلفه فلم أجده، و ليس محل الاستدلال الرؤيا فإنها لا تثبت بها الأحكام لاحتمال حصول الاشتباه على الرائى كما تقدم ذلك، و إنما محل الاستدلال كون العلماء استحسنوا الإتيان بما تقدم ذكره، و ذكروا فى مناسكهم استحباب الإتيان به للزائر، و ليس فى قولهم: و فى رواية كذا و فى رواية كذا



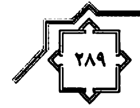
منافاة لاحتمال أن الراوى حكى ذلك بالمعنى؛ فمرة عبر بقوله يا خير الرسل و مرة عبر بقوله يا رسول الله و على ذلك يحمل أمثال هذا.

و قال العلامة ابن حجر فى (الجوهر المنظم): و روى بعض الحفاظ عن أبى سعيد السمعانى أنه روى عن على بن أبى طالب ﷺ و كرم الله وجهه أنهم بعد دفنه ﷺ بثلاثة أيام جاءهم أعرابى فرمى بنفسه على القبر الشريف على صاحبه أفضل الصلاة و السلام و حثا ترابه على رأسه و قال: يا رسول الله قلت فسمعنا قولك، و وعيت عن الله ما وعينا عنك، و كان فيما أنزل الله عليك قوله تعالى **﴿وَلَو أَنَّهُم إذ ظَّلَمُوا أنفُسَهُم جَآءُوكَ فاستغفَرُوا للهَ وَاستَغفَرَ لَهُمُ الرَّسولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّاباً رَّحيماً﴾** و قد ظلمت نفسى و جئتك مستغفراً إلى ربى، فنودى من القبر الشريف: إنه قد غفر لك.

و جاء مثل ذلك عن على ﷺ من طريق أخرى، فهى رواية السمعانى، و يؤيد ذلك أيضاً ما صح عنه ﷺ من قوله «**حياتى خير لكم تحدثون و يحدث لكم، ما رأيت من خير حمدت الله تعالى، و ما رأيت من شرّ استغفرت لكم**»[١] و يؤيد ذلك أيضاً ما ذكره العلماء فى آداب الزيارة من أنه يستحب أن يجدد الزائر التوبة فى ذلك الموقف الشريف، و يسأل الله تعالى أن يجعلها توبة نصوحاً، و يستشفع به ﷺ إلى ربه عز و جل فى قبولها، و يكثر الاستغفار و التضرّع بعد تلاوة قوله تعالى **﴿وَ لَو أَنَّهُم إذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُم جَآءُوكَ فَاستَغفَرُوا الله وَاستَغفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدوا اللهَ تَوَّاباً رَّحيماً﴾** و يقول نحن و فدك يا رسول الله و زوّارك جئناك لقضاء حقك و التبرّك بزيارتك و الاستشفاع بك مما أثقل ظهورنا و أظلم قلوبنا، فليس لنا يا رسول الله شفيع غيرك نؤمله، و لا رجاء بابك نصله،

---

١ . رواه الديلمى فى الفردوس برقم: ٢٧٠١.



فاستغفر لنا و شفع لنا عند ربك، و اسأله أن يمن علينا بسائر طلباتنا و يحشرنا في زمرة عباده الصالحين و العلماء العاملين.

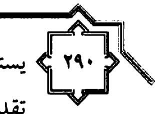
و فى (الجوهر المنظم) أيضاً: أنّ اعرابياً وقف على القبر الشريف و قال: اللهم إن هذا حبيبك و أنا عبدك و الشيطان عدوّك فإن غفرت لى سرّ حبيبك و فاز عبدك و غضب عدوّك، و إن لم تغفر لى غضب حبيبك؛ و رضى عدوّك و هلك عبدك، و أنت يا ربّ أكرم من أن تغضب حبيبك و ترضى عدوّك و تهلك عبدك. اللهم عبدك. اللهمّ إن العرب إذا مات فيهم سيد أعتقوا على قبره، و إن هذا سيد العالمين فأعتقنى على قبره يا أرحم الراحمين، فقال له بعض الحاضرين: يا أخا العرب إن الله تعالى قد غفر لك بحسن هذا السؤال.

و ذكر علماء المناسك أيضاً أن استقبال قبره الشريف ﷺ وقت الزيارة والدعاء أفضل من استقبال القبلة.

قال العلامة المحقق الكمال بن همام: إن استقبال القبر الشريف أفضل من استقبال القبلة، و أما ما نقل عن الإمام أبى حنيفة رضي الله عنه أن استقبال القبلة أفضل فهذا النقل غير صحيح فقد روى الإمام أبو حنيفة نفسه فى مسنده عن أبى عمر رضي الله عنهما أنه قال: من السنة استقبال القبر المكرّم و جعل الظهر للقبلة.

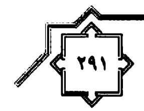
و سبق ابن الهمام فى النص على ذلك العلامة ابن جماعة، فإنه نقل استحباب استقبال القبر عن الإمام أبى حنيفة رضي الله عنه وردّ على الكرمانى فى أنه تستقبل القبلة فقال إنه ليس بشىء.

ثم قال فى (الجوهر المنظم): و يستدل لاستقبال القبر أيضاً بأنا متفقون على أنه ﷺ حىّ فى قبره يعلم بزائره، و هو ﷺ لما كان فى الدنيا لم يسع زائره إلا استقباله و استدبار القبلة فكذا يكون الأمر حين زيارته فى قبره الشريف ﷺ، و إذا اتفقنا فى المدرس من العلماء بالمسجد الحرام المستقبل للقبلة أن الطلبة



يستقبلونه و يستدبرون الكعبة، فما بالك به ﷺ؟ فهذا أولى بذلك قطعاً، و قد تقدم قول الإمام مالك للخليفة المنصور: «**و لم تصرف وجهك عنه و هو وسيلتك و وسيلة أبيك آدم إلى الله؟ بل استقبله و استشفع به**».

قال العلامة الزرقانى فى شرح المواهب: كتب المالكية طافحة باستحباب الدعاء عند القبر مستقبلاً له مستدبراً للقبلة. ثم نقل عن مذهب الإمام أبى حنيفة و الشافعى و الجمهور مثل ذلك، و أما مذهب الإمام أحمد ففيه اختلاف بين علماء مذهبه. والراجح عند المحققين منهم استحباب استقبال القبر الشريف كبقية المذاهب، و كذا القول فى التوسل فإن المرجح عن المحققين منهم استحبابه لصحة الأحاديث الدالة على ذلك فيكون المرجح عند الحنابلة موافقاً لما عليه أهل المذاهب الثلاثة، و قد أطال الإمام السبكى فى (شفاء السقام) فى نقل نصوص أهل المذاهب الأربعة فى ذلك. و ذكر الشيخ طاهر سنبل فى رسالة له فى ذلك أن ممن ذكر من علماء الحنابلة أبا عبيد الله السامرى فى المستوعب، و رفعت فتوى لمفتى الحنابلة بمكة الشيخ محمد عبد الله بن حميد فى هذه المسألة، فأجاب بأن الراجح عند الحنابلة استقبال القبر الشريف عند الدعاء و استحباب التوسل. قال و ذلك مذكور فى كثير من كتب المذهب المعتمدة: منها شرح مناسك المقنع للإمام شمس الدين بن مفلح صاحب الفروع، و منها شرح الإقناع لمحرر المذهب الشيخ منصور البهوتى، و منها شرح غاية المنتهى، و منها منسك الشيخ سليمان بن على جد الشيخ محمد بن عبد الوهاب صاحب الدعوة، و كثير من المؤلفين فى المذهب ذكروا ذلك. قال: و بعض هؤلاء ذكروا أيضاً قصة العتبة المشهورة و إنشاد الأعرابى (يا خير من دفن بالقاع أعظمه... إلى آخرها، و أما الحديث الذى فيه «**اللهم إنى أسألك و أتوجه إليك**» إلى آخره، فهو حديث أخرجه الترمذى و صححه، و أخرجه النسائى البيهقى أيضاً



و صححه، ثم قال المفتى المذكور إذا تحقق ذلك علمنا أن المعتمد عند الحنابلة هو ما ذكره السائل أعنى استحباب استقبال القبر الدعاء و استحباب التوسل، و المنكر لذلك جاهل بمذهب الإمام أحمد ا هـ.

و أما ما ذكره الآلوسى فى تفسيره من أن بعضهم نقل عن الإمام أبى حنيفة رضي الله عنه أنه منع التوسل فهو نقل غير صحيح، إذ لم ينقله عن الإمام أحد من أهل مذهبه و هم أدرى به، بل كتبهم طافحة باستحباب التوسل، و نقل المخالف غير معتبر فإياك أن تغترّ به.

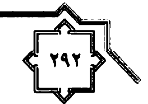
و فى المواهب اللدنية للإمام القسطلانى: وقف أعرابى على قبره الشريف ﷺ و قال: اللهم إنك أمرت بعتق العبيد و هذا حبيبك و أنا عبدك فأعتقنى من النار على قبر حبيبك، فهتف به هاتف: يا هذا تسأل العتق لك وحدك، هلا سألت العتق لجميع المؤمنين؟ اذهب فقد أعتقتك، ثم أنشد القسطلانى أحد البيتين المشهورين و أنشد شارحه الزرقانى البيت الآخر، و هما:

إن الملوك إذا شابت عبيدهم ... فى رقهم أعتقوهم عتق أحرار

و أنت يا سيدى أولى بذا كرماً ... قد شبت فى الرقِ فأعتقنى من النار

ثم قال فى المواهب عن الحسن البصرى قال: وقف حاتم الأصمّ على قبره ﷺ فقال: يا ربّ إنا زرنا قبر نبيك ﷺ فلا تردنا خائبين، فنودى يا هذا ما أذنا لك فى زيارة قبر حبيبنا إلا وقد قبلناك فارجع أنت و من معك من الزوّار مغفوراً لكم.

و قال ابن أبى فديك: سمعت بعض من أدركت من العلماء و الصلحاء يقول: بلغنا أن من وقف عند قبر النبىّ ﷺ فتلا هذه الآية ﴿**إِنَّ اللهَ و مَلَٰئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَٰأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيهِ وَ سَلِّمُوا تَسلِيماً**﴾ و قال صلى الله عليك يا فلان و لم تسقط له حاجة.



قال الشيخ زين الدين المراغى و غيره: الأولى أن يقول صلى الله عليك يا رسول الله بدل قوله يا محمد للنهى عن ندائه باسمه حياً و ميتاً، و ابن أبى فديك من أتباع التابعين، و كان من الأئمة الثقات المشهورين، هو من المروى عنه فى الصحيحين و غيرهما من كتب السنن: قال الزرقانى فى شرح (المواهب): اسمه محمد بن إسماعيل بن مسلم الديلمى، مات سنة مائتين، و هذا الذى نقله من المواهب عن ابن أبى فديك رواه عنه أيضاً البيهقى.

و فى شرح المواهب للزرقانى أن الداعى إذا قال: اللهم إنى أستشفع إليك بنبيك: يا نبىّ الرّحمة اشفع لى عند ربك استجيب له.

فقد اتضح لك من هذه النصوص المروية عن النبى ﷺ و أصحابه و سلف الأمة و خلفها أن التوسل به ﷺ و زيارته و طلب الشفاعة منه ثابتة عنهم قطعاً بلا شك و لا مرية، و أنها من أعظم القربات و أن التوسل به واقع قبل خلقه و بعد خلقه فى حياته و بعد وفاته، و سيكون التوسل به أيضاً بعد البعث فى عرصات القيامة.

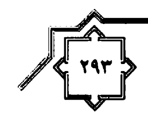
قال فى المواهب: و رحم الله ابن جابر حيث قال:

به قد أجاب الله آدم إذ دعا ونجى فى بطن السفينة نوح
وما ضرّت النار الخليل لنوره ومن أجله نال الفداء ذبيح

ثم قال و فى كتاب (مصباح الظلام فى المستغيثين بخير الأنام) للشيخ أبى عبد الله بن النعمان ما يشفى الغليل من ذلك. ثم ذكر فى المواهب كثيراً من البركات التى حصلت له ببركة توسله بالنبى ﷺ.

و روى البيهقى عن أنس رضي الله عنه **«أن أعرابياً جاء إلى النبى ﷺ يستسقى به، و أنشد أبياتاً أوّلها:**

أتيناك و العذراء يدمى لبانها وقد شغلت أم الصبىّ عن الطفل



إلى أن قال:

وليس لنا إلا إليك فرارنا وأنى فرار الخلق إلا إلى الرسل

فلم ينكر عليه ﷺ هذا البيت، بل قال أنس لما أنشد الأعرابى الأبيات قام ﷺ يجرّ رادءه حتى رقى المنبر فخطب و دعا لهم فلم يزل يدعو حتى مطرت السماء»[١].

و فى صحيح البخارى «أنه لما جاء الأعرابى و شكا للنبى ﷺ القحط، فدعا الله فأنجابت السماء بالمطر، قال رسول الله: لو كان أبو طالب حياً لقرّت عيناه: و من ينشدنا قوله؟ فقال على بن أبى طالب رضي الله عنه: يا رسول الله كأنك أردت قوله:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل

فتهلهل وجه النبىّ ﷺ و لم ينكر إنشاد البيت و لا قوله يستسقى الغمام بوجهه، و لو كان ذلك حراماً أو شركاً لأنكره و لم يطلب إنشاده»[٢].

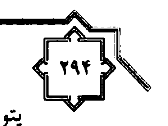
و كان سبب إنشاء أبى طالب هذا البيت من جملة قصيدة مدح بها النبى ﷺ أن قريشاً فى الجاهلية أصابهم قحط فاستسقى لهم أبو طالب و توسل بالنبى ﷺ و كان صغيراً، فاغدودق عليهم السحاب بالمطر، فأنشأ أبو طالب تلك القصيدة.

وصح عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال أوحى الله تعالى إلى عيسى عليه السلام: يا عيسى آمن بمحمد و مر من أدركه من أمتك أن يؤمنوا به، و لولا محمد ما خلقت الجنة و النار، و لقد خلقت العرش على الماء فاضطرب فكتبت عليه لا إله إلا الله محمد رسول الله فسكن.

---

١ . ذكر فى التمهيد لابن عبد البر ٢٢/ ٦٤.

٢ . ذكر فى فتح البارى ٢/ ٤٩٥.

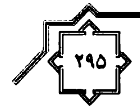


قال فی الجوهر المنظم فإذا کان له ﷺ هذا الفضل و الخصوصية أفلا يتوسل به؟

و ذکر القسطلانی فی شرحه علی البخاری عن کعب الأحبار: أن بني إسرائيل کانوا إذا قحطوا استسقوا بآل بيت نبيهم، فعلم بذلك أن التوسل مشروع حتی فی الأمم السابقة.

و قال السيد السمهودی فی خلاصة الوفاء: إن العادة جرت أن من توسل عند شخص بمن له قدر عنده يکرمه لأجله و يقضي حاجاته، و قد يتوجه بمن له جاه إلی من هو أعلی منه، و إذا جاز التوسل بالأعمال الصالحة کما فی صحيح البخاری فی حديث الثلاثة الذين أووا إلی غار فأطبق عليهم ذلك الغار فتوسل کل منهم إلی الله تعالی بأرجی عمل له فانفرجت الصخرة التی سدت الغار عليهم، فالتوسل به ﷺ أحق و أولی لما فيه من النبوّة و الفضائل سواء کان ذلك فی حياته أو بعد وفاته، فالمؤمن إذا توسل به إنما يريد بنبوّته التی جمعت الکمالات.

و هؤلاء المانعون للتوسل يقولون يجوز التوسل بالأعمال الصالحة مع کونها أعراضاً، فالذوات الفاضلة أولی، فإن عمر رضي الله عنه توسل بالعباس رضي الله عنه، و أيضاً لو سلمنا ذلك نقول لهم: إذا جاز التوسل بالأعمال الصالحة فما المانع من جوازها بالنبیّ ﷺ باعتبار ما قام به من النبوّة والرسالة و الکمالات التی فاقت کل کمال و عظمت علی کل عمل صالح فی الحال و المآل مع ما ثبت من الأحاديث الدالّة علی ذلك، و مثله سائر الأنبياء و المرسلين صلوات الله و سلامه عليه و عليهم أجمعين و کذا الأولياء و عباد الله الصالحين لما فيه من الطهارة القدسية و محبة ربّ البرية و حيازة أعلی مراتب الطاعة و اليقين من رب العالمين، و ذلك سببه کونهم من عباد الله المقربين، فيقضی الله سبحانه و



تعالى بالتوسل بهم حوائج المؤمنين، و ينبغى أن يكون ذلك التوسل مع الأدب الكامل و اجتناب الألفاظ التى توهم التأثير لغير الله تعالى.

و من أدلة جواز التوسل قصة سواد بن قارب رضي الله عنه التى رواها الطبرانى فى الكبير، و فيها أن سواد بن قارب أنشد رسول الله ﷺ قصيدته التى فيها التوسل و لم ينكر عليه، و منها قوله:

و أشهد أن الله لا ربّ غيره ... و أنك مأمون على كل غائب
و أنك أدنى المرسلين وسيلة ... إلى الله يا ابن الأكرمين الأطايب
فمرنا بما يأتيك يا خير مرسل ... و إن كان فيما فيه شيب الذوائب
و كن لى شفيعاً يوم لا ذو شفاعة ... بمغن فتيلا عن سواد بن قارب

فلم ينكر عليه رسول الله ﷺ قوله «**أدنى المرسلين وسيلة**» و لا قوله «**و كن لى شفيعا**».

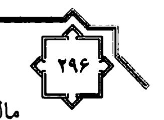
و كذا من أدلة التوسل مرثية صفية رضي الله عنها عمة رسول الله ﷺ، فإنها رثته بعد وفاته ﷺ بأبيات فيها قولها:

ألا يا رسول الله أنت رجاؤنا ... وكنت بنا براً ولم تك جافيا

ففيها النداء بعد وفاته مع قولها «أنت رجاؤنا» و سمع تلك المرثية الصحابة رضي الله عنهم فلم ينكر عليها أحد قولها «يا رسول الله أنت رجاؤنا»

قال العلامة ابن حجر فى كتابه المسمى بـ (الخيرات الحسان فى مناقب الإمام أبى حنيفة النعمان) فى الفصل الخامس و العشرين: إن الإمام الشافعى أيام هو ببغداد كان يتوسل بالإمام أبى حنيفة رضي الله عنه يجيء إلى ضريحه يزوره فيسلم عليه ثم يتوسل إلى الله تعالى به فى قضاء حاجاته.

و قد ثبت أيضاً أن الإمام أحمد توسل بالإمام الشافعى رضي الله عنهما حتى تعجب ابنه عبد الله بن الإمام أحمد، فقال له الإمام أحمد إن الشافعى كالشمس للناس و كالعافية للبدن.



و لما بلغ الإمام الشافعی أن أهل المغرب یتوسلون إلی الله تعالی بالإمام مالك لم ینکر علیهم.

و قال الإمام أبو الحسن الشاذلی ﷺ : من کانت له إلی الله حاجة و أراد قضاءها فلیتوسل إلی الله بالإمام الغزالی.

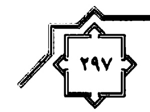
و ذکر العلامة ابن حجر فی کتابه المسمی: بـ(الصواعق المحرقة فی الرد علی أهل البدع و الزندقة) أن الإمام الشافعی ﷺ توسل بأهل البیت النبوی حیث قال:

آل النبـی ذریعتـی	و هـم إلیـه و سـیلتی
أرجو بهم أعطی غـداً	بیدی الیمین صحیفتی

و ذکر العلامة السید طاهر بن محمد بن هاشم با علوی فی کتابه المسمی (مجمع الأحباب فی ترجمة الإمام أبی عیسی الترمذی صاحب السنن) أنه رأی فی المنام ربّ العزّة فسأله عما یحفظ علیه الإیمان حتی یتوفاه علیه، قال: فقال لی: قل بعد صلاة رکعتی الفجر قبل صلاة فرض الصبح: إلهی بحرمة الحسن و أخیه وجده و بنیه و أمه و أبیه نجنی من الغم الذی أنا فیه، یا حیّ یا قیوم یا ذاالجلال و الإکرام أسألك أن تحیی قلبی بنور معرفتك یا الله یا الله یا الله یا أرحم الرّاحمین) فکان الإمام الترمذی یقول ذلك دائماً بعد صلاة الصبح سنة و یأمر أصحابه به و یحثهم علی فعله و علی المواظبة علیه و هو إمام حجة یقتدی به.

بل هذا الأمر أعنی التوسل لم ینکره أحد قط من السلف و الخلف حتی جاء هؤلاء المنکرون.

و فی الأذکار للإمام النووی «**أن النبیّ ﷺ أمر أن یقول العبد رکعتی الفجر (ثلاثاً) اللهم ربّ جبریل و مکائیل و إسرافیل و محمد ﷺ أجرنی من النار**» قال العلامة ابن علان فی شرح الأذکار: خص هؤلاء بالذکر للتوسل بهم



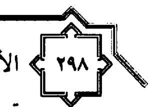
فى قبول الدعاء، و إلا فهو سبحانه و تعالى رب جميع المخلوقات، فأفهم ذلك أنه من التوسل المشروع.

و فى شرح حزب البحر للإمام زروق قال بعد ذكر كثير من الأخيار. اللهم إنا نتوسل إليك بهم فإنهم أحبوك، و ما أحبوك حتى أحببتهم، فبحبك إياهم وصلوا إلى حبك و نحن لم نصل إلى حبهم فيك، فتمم لنا ذلك مع العافية الكاملة الشاملة حتى نلقاك يا أرحم الراحمين.

و لبعض العارفين دعاء مشتمل على قوله «**اللهم رب الكعبة و بانيها و فاطمة و أبيها و بعلها و بنيها نوّر بصرى و بصيرتى و سرى و سريرتى**» قال بعض العارفين و قد جرب هذا الدعاء لتنوير البصر؛ و أن من ذكر عند الاكتحال نور الله بصره، و ذلك من الأسباب العادية و هى لا تأثير لها، و المؤثر هو الله تعالى وحده لا شريك له، فكما أن الله تعالى جعل الطعام و الشراب سببين للشبع و الرى، لا تأثير لهما و المؤثر هو الله تعالى وحده، و جعل الطاعة سبباً للسعادة و نيل الدرجات جعل أيضاً التوسل بالأخيار الذين عظمهم الله تعالى و أمر بتعظيمهم سبباً لقضاء الحاجات، فليس فى ذلك كفر و لا إشراك.

و من تتبع أذكار السلف و الخلف و أدعيتهم و أورادهم وجد فيها شيئاً كثيراً فى التوسل و لم ينكر عليهم أحد فى ذلك حتى جاء هؤلاء المنكرون، و لو تتبعنا ما وقع من أكابر الأمة فى التوسل لامتلأت بذلك الصحف و فيما ذكر كفاية و مقنع لمن كان بمرأى من التوفيق و مسمع، و إنما أطلت الكلام فى ذلك ليتضح الأمر لمن كان متشككاً فى غاية الإيضاح لأن كثيراً من المنكرين للتوسل يلقون إلى كثير من الناس شبهات يستميلونهم بها إلى معتقدهم الباطل.

فعسى أن يقف على هذا النصوص من أراد الله حفظه من قبول شبهاتهم فلا يلتفت إليها فيقيم عليها الحجة فى إبطاله، فعليك باتباع الجمهور و السواد



الأعظم و إلا كنت مشاققاً لله و رسوله و متبعاً غير سبيل المؤمنين، و قد قال تعالى ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً﴾ و قال رسول الله ﷺ **«عليكم بالسواد الأعظم فإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية»** و قال ﷺ **«من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه»**[1]

و قد ذكر العلامة ابن الجوزى فى كتابه المسمى (تلبيس إبليس) أحاديث كثيرة فى التحذير من مفارقة السواد الأعظم:

منها حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبى ﷺ أنه خطب فى الجابية فقال **«من أراد بحبوحة الجنة فليلتزم الجماعة، فإن الشيطان مع الواحد و هو من الاثنين أبعد.»**[2]

و حديث عرفجة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول **«يد الله على الجماعة و الشيطان مع من يخالف الجماعة»**.[3]

و حديث أسامة بن شريك رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول **«يد الله على الجماعة فإذا شذ الشاذ منهم اختطفته الشياطين كما يختطف الذئب الشاذة من الغنم»**[4]

و حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال **«إن الشيطان ذئب الإنسان كذئب الغنم يأخذ الشاة الشاذة القاصية والنائية، فإياكم و الشعاب و عليكم بالجماعة العامة و المسجد»**[5]

---

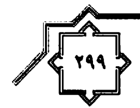
١ . أخرجه الحاكم برقم: ٤٠١.

٢ . رواه النسائى فى السنن الكبرى برقم: ٩٢٢٥.

٣ . أخرجه ابن حبان فى صحيحه برقم: ٤٥٧٧.

٤ . أخرجه الحاكم فى المستدرك برقم: ٣٩١.

٥ . رواه الطبرانى فى المعجم الكبير برقم ٣٤٤، و الهيثمى فى مجمع الزوائد ٢/ ٢٣.



و حديث أبى ذر رضي الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال «**اثنان خير من واحد و ثلاثة خير من اثنين و أربعة خير من ثلاثة، فعليكم بالجماعة فإن الله تعالى لن يجمع أمتى إلا على هدى**»[1]

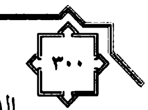
فهؤلاء المنكرون للتوسل و الزيارة فارقوا الجماعة و السواد الأعظم و عمدوا إلى آيات كثيرة من آيات القرآن التى نزلت فى المشركين فحملوها على المؤمنين الذين تقع منهم الزيارة و التوسل و توصلوا بذلك إلى تكفير أكثر الأمة من العلماء و الصلحاء و العباد و الزهاد و عوامّ الخلق، و قالوا مثل أولئك المشركين الذى قالوا ﴿**مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَىٰ**﴾ و قد علمت أن المشركين اعتقدوا ألوهية غير الله تعالى و استحقاقه العبادة، و أما المؤمنين فلم يعتقد أحد منهم ألوهية غير الله و استحقاقه العبادة، وأما المؤمنين فلم يعتقد أحد منهم ألوهية غير الله واستحقاقه العبادة، فكيف يجعلونهم مثل أولئك المشركين ﴿**سُبْحَانَكَ هَٰذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ**﴾.

الرد علي معتقدات المنكرين للزيارة والتوسل

و مما يعتقده المنكرون للزيارة و التوسل منع طلب الشفاعة من النبى ﷺ، و يقولون أن الله تعالى قد قال فى كتابه العزيز ﴿**مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ**﴾ و قال تعالى ﴿**وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ**﴾ فالطالب للشفاعة لا يعلم حصول الإذن للنبى ﷺ فى أنه يشفع له فكيف يطلب منه الشفاعة و لا يعلم أنه ممن ارتضى فكيف يطلب الشفاعة؟ و احتجاجهم هذا مردود بالأحاديث الصحيحة الصريحة فى حصول الإذن للنبى ﷺ بالشفاعة للمؤمنين.

---

١ . مسند الإمام أحمد برقم: ٢١٣٣١.



و قد صحت الأحاديث بأنه ﷺ يشفع لمن قال بعد الأذان: اللهم رب هذه الدعوة التامة إلى أخر الدعاء المشهور، و لمن صلى على النبى ﷺ يوم الجمعة، و لمن زار قبره ﷺ.

و جاءت أحاديث كثيرة فى أعمال من عملها حلت له الشفاعة و لو ذكرناها لطال الكلام.

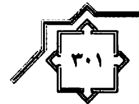
و جاءت أحاديث صريحة فى شفاعته لعصاة أمته كقوله ﷺ **«شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى»**[1]

و ذكر كثيراً من المفسرين فى قوله تعالى ﴿وَلاَ يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ﴾ أن كل من مات مؤمناً كان ممن ارتضى فيدخل فى شفاعته ﷺ، فثبت بهذا كله أن الشفاعة ثابتة و مأذون للنبى ﷺ فيها لكل من مات مؤمناً. فالطلب للشفاعة كأنه يتوسل إلى الله تعالى بالنبى ﷺ أن يحفظ عليه الإيمان إلى أن يتوفاه الله فيدخل فى شفاعة النبىّ ﷺ و يكون من أهلها، و هذا كله ظاهر لا يخفى إلا على من انطمست بصيرته و العياذ بالله تعالى. و مما يعتقده هؤلاء المنكرون للزيارة و التوسل منع النداء للميت و الجماد[2] و يقولون إن ذلك كفر و إشراك و عبادة لغير الله تعالى و هذا أيضاً باطل و مردود و لا مستند لهم فيه، و شبهتهم التى يتمسكون بها أنهم يزعمون أن النداء دعاء و كل دعاء عبادة بل الدعاء مخ العبادة، و حملوا كثيراً من الآيات القرآنية التى انزلت فى المشركين على الموحدين الذين يصدر منهم النداء المذكور و هذا تلبيس فى الدين توصلوا به إلى تضليل كثير من الموحدين.

---

١ . أخرجه ابن حبان فى صحيحه برقم: ٦٤٦٧؛ و الحاكم فى المستدرك برقم: ٣٤٤٢.

٢ . يعنى أن المنكرين للتوسل يقولون: إن الجسم بعد مفارقة الروح صار جماداً، و هم محجوبون بقول النبى ﷺ **«القبر إما من رياض الجنة و إما حفرة من حفر النار»** فالجسم ينعم تبعاً لتنعم الروح كذلك، و لو كان جماداً لما نعّم أو عُذّب. ا هـ.



و حاصل الرد عليهم أن النداء قد يسمى دعاء كما فى قوله تعالى ﴿لاَ تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضاً﴾ لكنه لا يسمى عبادة، فليس كل دعاء عبادة.

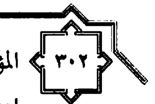
و لو كان كل نداء دعاء و كل دعاء عبادة لشمل ذلك نداء الأحياء و الأموات، فيكون كل نداء ممنوعاً مطلقاً سواءً كان للأحياء و الأموات أم للحيوانات و الجمادات، و ليس الأمر كذلك، و إنما النداء الذى يكون عبادة هو نداء من يعتقد ألوهيته و استحقاقه للعبادة فيرغبون إليه و يخضعون بين يديه.

فالذى يوقع فى الإشراك هو اعتقاد ألوهية غير الله تعالى، أو اعتقاد التأثير لغير الله تعالى، و أما مجرد النداء لمن لا يعتقدون ألوهيته و تأثيره أو استحقاق للعبادة فإنه ليس عبادة و لو كان ميتاً أو غائباً أو جماداً، و قد ورد فى أحاديث كثيرة نداء الأموات و الجمادات.

فقولهم كل نداء دعاء و كل دعاء عبادة غير صحيح على إطلاقه و عمومه، و لو كان الأمر كذلك لامتنع نداء الحى و الميت فإنهما مستويان فى أن كلا منهما لا تأثير له فى شىء.

و لا يعتقد أحد من المسلمين ألوهية غير الله تعالى و لا تأثير أحد سوى الله تعالى، فإن قالوا إن نداء الحى و الطلب منه لشىء من الأشياء إنما هو لكونه قادراً على فعل ذلك الشىء الذى طلب منه... و أما الميت و الجماد فإنه عاجز و لا قدرة له على فعل شىء من الأشياء يستلزم اعتقادكم أن العبد يخلق أفعال نفسه الاختيارية و هو اعتقاد فاسد و مذهب باطل.

فإن اعتقاد أهل السنة وا لجماعة أن الخالق للعباد و أفعالهم هو الله وحده لا شريك له، و العبد ليس له إلا الكسب الظاهرى، قال الله تعالى ﴿اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ فيستوى الحى و الميت و الجماد فى أن كلا منهم لا خلق له و لا تأثير، و



المؤثر هو الله تعالى وحده، فالذى يقدح فى التوحيد هو اعتقاد التأثير لغير الله أو اعتقاد الألوهية و استحقاق العبادة لغير الله، و أما مجرد النداء من غير اعتقاد شيء من ذلك فلا ضرر و الأحاديث التى ورد فيها النداء للأموات و الجمادات من غير اعتقاد الألوهية و التأثير كثيرة:

منها حديث الأعمى الذي تقدمت روايته عن عثمان بن حنيف رضي الله عنه فإنه فيه «**يا محمد إنى أتوجه بك إلى ربك**» و تقدم أن الصحابة رضي الله عنهم استعملوا ذلك الدعاء بعد وفاته صلى الله عليه وآله.

و حديث بلال بن الحارث المتقدم أيضاً فإن فيه: أنه جاء إلى قبر النبى صلى الله عليه وآله و قال: يا رسول الله استسق لأمتك، ففيه النداء بعد وفاته صلى الله عليه وآله، و الخطاب بالطلب منه أن يستسقى لأمته.

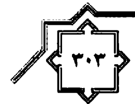
و من ذلك الأحاديث الواردة فى زيارة القبور منها النداء و الخطاب كقوله «السلام عليكم يا أهل القبور السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين إن شاء الله بكم لاحقون» ففيها نداء و خطاب، و هى أحاديث كثيرة لا حاجة إلى الإطالة بذكرها.

و تقدم أن السلف و الخلف من أهل المذاهب الأربعة استحبوا للزائر أن يقول تجاه القبر الشريف «يا رسول الله إنى جئتك مستغفراً من ذنبى مستشفعاً بك إلى ربى».

و قد جاءت صورة النداء أيضاً فى التشهد الذى يقرأه الإنسان فى كل صلاة حيث يقول: السلام عليك أيها النبى و رحمة الله و بركاته.

و صح عن بلال بن الحارث رضي الله عنه أنه ذبح شاة عام القحط المسمى عام الرمادة فوجدها هزيلة فصار يقول: وا محمداه وامحمداه.

و صح أيضاً أن أصحاب النبى صلى الله عليه وآله لما قاتلوا مسيلمة الكذاب كان شعارهم وا محمداه وا محمداه.



و فى الشفاء للقاضى عياض أن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما خدرت رجله مرة فقيل له اذكر أحب الناس إليك، فقال وا محمداه فانطلقت رجله.

و جاء فى الخطاب و النداء للجمادات أحاديث كثيرة منها: أنه صلى الله عليه وسلم كان إذا نزل أرضاً قال: «**يا أرض ربى و ربك الله**»[1] فهذا نداء و خطاب لجماد و لا كفر و لا إشراك فيه: إذ ليس فى اعتقاد الألوهية و استحقاق عبادة و لا اعتقاد تأثير لغير الله تعالى.

و فى ذكر الفقهاء فى آداب السفر: أن المسافر إذا انفلتت دابته بأرض ليس بها أنيس فليقل: يا عباد الله احبسوا، و إذا ضل شيئاً أو أراد عوناً فليقل يا عباد الله أعينونى أو أغيثونى، فإن لله عباداً لا تراهم.

و استدل الفقهاء على ذلك بما رواه ابن السنى عن عبدالله بمن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «**إذا انفلتت دابة أحدكم بأرض فلاة فليناد: يا عباد الله احبسوا فإن لله عباداً يجيبونه**»[2] ففيه نداء و طلى نفع أى التسبب فى ذلك من عباد الله الذين لم يشاهدهم. و فى حديث آخر رواه الطبرانى أنه صلى الله عليه وسلم قال: «**إذا أضل أحدكم شيئاً أو أراد عوناً و هو بأرض ليس فيها أنيس فليقل يا عباد الله أعينونى**» و فى رواية «**أغيثونى فإن لله عباداً لا ترونهم**» قال العلامة ابن حجر فى حاشيته على إيضاح المناسك: و هو مجرب كما قاله الراوى للحديث المذكور.

و روى أبو داود و غيره عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سافر فأقبل الليل قال «**يا أرض ربى و ربك الله، أعوذ بالله من شرك و من شرّ ما فيك و من شرّ ما خلق فيك و شرّ ما يدب عليك، أعوذ بالله من أسد**

---

١ . أخرجه الحاكم فى مستدركه برقم: ٦١٣٧.

٢ . ذكر فى فيض القدير ١/ ٣٠٧.



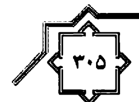
و أسود و من الحية و العقرب و من شرّ ساكن البلد و والد و ما ولد»[١] و ذكر الفقهاء أنه يسن للمسافر الإتيان بهذا الدعاء عند إقبال الليل، و فيه النداء و الخطاب للجماد.

و روى الترمذى عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما و الدارمى عن طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه (أنه صلى الله عليه وآله كان إذا رأى الهلال قال: ربى و ربك الله) ففيه خطاب للجماد.

و صح (أنه لما توفى صلى الله عليه وآله أقبل أبو بكر رضي الله عنه حين بلغه الخبر، فدخل على رسول الله صلى الله عليه وآله فكشف عن وجهه ثم أكب عليه فقبله ثم بكى و قال: بأبى و أمى طبت حياً و ميتاً، اذكرنا يا محمد عند ربك و لنكن من بالك) و فى رواية للإمام أحمد ـ فقبل جبهته ثم قال و انبياه، ثم قبلها ثانياً و قال: واصفياه، ثم قبلها ثالثاً و قال: وا خليلاه) ففى ذلك نداء و خطاب له صلى الله عليه وآله بعد وفاته و لما تحقق عمر رضي الله عنه وفاته صلى الله عليه وآله بقول أبى بكر رضي الله عنه قال و هو يبكى: بأبى أنت و أمى يا رسول الله لقد كان لك جذع تخطب الناس عليه فلما كثروا واتخذت منبراً لتسمعهم حن الجذع لفاقك حتى جعلت يدك عليه فسكن، فأمتك أولى بالحنين عليك حين فاقتهم، بأبى أنت و أمى يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عند ربك أن جعل طاعتك طاعته فقال: ﴿مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ﴾ بأبى أنت و أمى يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده أن بعثك آخر الأنبياء و ذكرك فى أولهم فقال ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّين مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ﴾ بأبى أنت و أمى يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده أن أهل النار يودون أن يكونوا أطاعوك و هم بين أطباقها يعذبون يقولون ﴿يَالَيْتَنَا أَطَعْنَا اللهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولاَ﴾ بأبى أنت و أمى يا رسول الله لقد اتبعك فى قصر

---

١ . أخرجه الحاكم فى مستدركه برقم: ٦١٣٧.



عمرك ما لم يتبع نوحاً فى كبر سنه و طول عمره. فانظر إلى هـذه الألفـاظ التـى نطق بها عمر ﷺ فقد تعدد فيها النداء له ﷺ بعد وفاته و قد رواها كثير مـن أئمة الحديث، و ذكرها القاضى عياض فى الشفاء و القسطلانى فـى المواهـب و الغزالى فى الإحياء و ابن الحاج فى المدخل فيبطل بها و بغيرها من الأدلـة قـول المانعين للنداء مطلقاً القائلين إن كل نداء دعاء و كل دعاء عبادة.

و روى البخارى عن أنس ﷺ أن فاطمة ﷺ بنت رسول الله عليه و آله و سلم قالت لما توفى رسول الله ﷺ «**يا أبتاه أجـاب ربـاه دعـاه؛ يـا أبتـاه جنـة الفردوس مأواه، يا أبتاه جبريل ننعاه، و فى رواية: إلى جبريـل نعـاه.**»[1] و النعـى هو الإخبار بالموت؛ ففى هذا الحديث أيضاً نداؤه ﷺ بعد وفاته.

ورثته عمته صفية بمراثى كثيرة، قالت فى مطلع قصيدة منها:

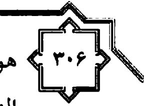
ألا يا رسول الله كنت رجاءنا　　　　وكنت بنا براً ولم تـك جافيـاً

ففى هذا البيت أيضا نداؤه ﷺ بعد وفاته و لم ينكر عليها أحد من الصحابة مع حضورهم و سماعهم له.

و مما جاء من النداء للميت التلقين لـه بعـد الـدفن، و قـد ذكـره كثـير مـن الفقهاء و استندوا فى ذلك إلى حديث الطبرانى عن أبى أمامة ﷺ و اعتـضد بشواهد كثيرة. و صورته أن يقول للميت عند قبره بعد دفنه: يا عبد الله ابن أمـة الله اذكر العهد الذى خرجت عليه من الـدنيا شـهادة أن لا إلـه إلا الله وحـده لا شريك له و أن محمداً عبده و رسوله، و أن الجنة حقّ و أن النار حقّ و أن الساعة آتية لا ريب فيها و أن الله يبعث من فى القبور، قل رضيت بالله رباً، و بالإسـلام ديناً، و بمحمد ﷺ نبياً و بالكعبة قبلة، و بالمسلمين إخواناً، ربـى الله لا إلـه إلا

---

١ . أخرجه البخارى برقم: ٤١٩٣.



هو ربّ العرش العظيم. ففى التلقين الخطاب و النداء للميت فكيف يمنعون النداء مطلقاً؟

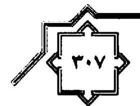
و من النداء للميت ما جاء فى الحديث المشهور حيث نادى النبىّ ﷺ كفار قريش المقتولين يوم بدر بعد إلقائهم فى القليب، رواه البخارى و أصحاب السنن، و ذكروا أن النبىّ ﷺ جعل يناديهم بأسمائه و أسماء آبائهم و يقول: «أيسركم أنكم أطعتم الله و رسوله؟ فإنا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً، فهل وجدتم ما وعدكم ربكم حقا؟»

و أما ما جاء من الآثار عن الأئمة الأحبار و العلماء الأخيار و الأولياء الكبار مما يدل على جواز ذلك النداء و الخطاب فشىء كثير تنقضى دون نقله الأعمال و مضى على ذلك القرون و الأعصار و لا وقع منهم إنكار، فكيف يجوز الإقدام على تكفير المسلمين بشىء قام ثبوته بالبراهين. و فى الحديث الصحيح «**من قال لأخيه المسلم يا كافر فقد باء بها أحدهما إن كان كما قال و إلا رجعت عليه**»[1] قال العلماء: ترك قتل ألف كافر أولى من إراقة دم امرئ مسلم، فيجب الاحتياط فى ذلك فلا يحكم على أحد من أهل القبلة بالكفر إلا بأمر واضح قاطع للإسلام.

و رأيت رسالة للشيخ محمد سليمان الكردى المدنى صاحب الحواشى على مختصر بأفضل فى الفقه على مذهب الإمام الشافعى رضي الله عنه، قال فى تلك الرسالة يخاطب محمد بن عبد الوهاب حين قام بالدعوة، و كان محمد بن عبد الوهاب من تلامذة الشيخ محمد بن سليمان المذكور و قرأ عليه بالمدينة المنورة، قال فى تلك الرسالة: يا ابن عبدالوهاب سلام على من اتبع الهدى، فإنى أنصحك لله تعالى أن تكف لسانك عن المسلمين، فإن سمعت من شخص أنه

---

١ . أخرجه البخارى برقم ٥٧٥٢.



يعتقد مثل ذلك المستغاث به من دون الله تعالى فعرّفه الصواب و اذكر له الأدلة على أنه لا تأثير لغير الله تعالى، فإن أبى فكفره حينئذ بخصوصه، و لا سبيل لك إلى تكفير السواد الأعظم من المسلمين و أنت شاذ عن السواد الأعظم، فنسبة الكفر إلى من شذ عن السواد الأعظم أقرب لأنه اتبع غير سبيل المؤمنين، قال تعالى ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً﴾ و «إنما يأكل الذئب من الغنم القاصية» اهـ.

بيان أن المانعين للزيارة و التوسل قد تجاوزوا الحد

و الحاصل أن هؤلاء المانعين للزيارة و التوسل قد تجاوزوا الحد فكفرو أكثر الأمة و استحلوا دمائهم و أموالهم و جعلوهم مثل المشركين الذين كانوا في زمن النبيّ ﷺ.

و قالوا إن الناس مشركون في توسلهم بالنبيّ ﷺ و بغيره من الأنبياء و الأولياء و الصالحين و في زيارتهم قبره ﷺ و ندائهم له بقوله يا رسول الله نسأل الشفاعة، و حملوا الآيات القرآنية التي نزلت في المشركين على خواص المؤمنين و عوامهم، كقوله تعالى ﴿فَلاَ تَدْعُوا مَعَ الله أَحَداً﴾ و قوله تعالى ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِن دُونِ الله مَن لاَ يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ * وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾ و قوله تعالى ﴿فَلاَ تَدْعُ مَعَ الله إِلَٰهاً آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ﴾ و قوله تعالى ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لاَ يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلاَلٍ﴾ و قوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ * إِن تَدْعُوهُمْ لاَ يَسْمَعُوا

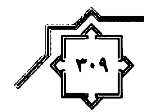


دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلاَ يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ و قوله تعالى ﴿قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِن دُونِهِ فَلاَ يَمْلِكُون كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلاَ تَحْوِيلاً * أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُوراً﴾ و أمثال هذه الآيات فى القرآن كثير، كلها حملوا الدعاء فيها على النداء ثم حملوها على المؤمنين الموحدين.

و قالوا: إن من استغاث بالنبى ﷺ أو بغيره من الأنبياء و الأولياء و الصالحين أو ناداه أو سأله الشفاعة فإنه يكون مثل هؤلاء المشركين و يكون داخلاً فى عموم هذه الآيات، و إنهم مثل المشركين الذين كانوا يقولون ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَىٰ﴾ فإن المشركين ما اعتقدوا فى الأصنام التأثير و أنها تخلق شيئاً بل كانوا يعتقدون أن الخالق هو الله تعالى بدليل قوله تعالى ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَنْ خَلَقَ السَّماوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾ فما حكم الله عليهم بالكفر و الإشراك إلا لقولهم ﴿لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَىٰ﴾ فهؤلاء مثلهم.

و قالوا: إن التوحيد نوعان: توحيد الربوبية و هو الذى أقر به المشركون، و توحيد الألوهية و هو الذى أقر به الموحدون و هو الذى يدخلك فى دين الإسلام. و أما توحيد الربوبية فلا يكفى.

و كلامهم كله باطل لأن الدعاء الذى فى الآيات بمعنى العبادة وهم لبّسوا على الخلق و جعلوه بمعنى النداء و قد علمت بطلانه من النصوص السابقة. و أما جعلهم التوحيد نوعين توحيد الربوبية و توحيد الألوهية فباطل أيضاً، فإن توحيد الربوبية هو توحيد الألوهية، ألا ترى إلى قوله تعالى ﴿ألست بربّكم قالوا بلى﴾ و لم يقل ألست بإلهكم، فاكتفى منهم بتوحيد الربوبية، و من المعلوم



أن من أقر لله بالربوبية فقد أقرّ له بالألوهية إذ ليس الرب غير الإله بل هو الإله بعينه. و فى الحديث «**إن الملكين يسألان العبد فى قبره فيقولان له: من ربك؟ و لم يقولا له من إلهك؟**» فدل على أن توحيد الربوبية هو توحيد الألوهية. و من العجب إن هؤلاء القوم يأتيهم المسلم فيقول: أشهد أن لا إله إلا اله و أشهد أن محمد رسول الله، فيقولون له أنت لم تعرف التوحيد، و توحيدك هذا توحيد الربوبية و ما عرفت توحيد الألوهية، فيستحلون دمه و ماله بالتلبيسات الباطلة، و هل للكافر توحيد صحيح لأخرجه من النار إذ لا يبقى فيها موحد.

فهل سمع المسلمون فى الأحاديث و السير أن رسول الله ﷺ إذا قدمت عليه أجلاف العرب ليسلموا على يده يفصل لهم توحيد الربوبية و الألوهية، و يخبرهم أن توحيد الألوهية هو الذى يدخلهم فى دين الإسلام أو يكتفى منهم بمجرد الشهادتين و ظاهر اللفظ و يحكم بإسلامهم، فما هذا الافتراء و الزور على الله و رسوله، فإن من وحّد الرب فقد وحّد الإله، و من أشرك بالرب أشرك بالإله فليس للمسلمين إله غير الرب، فإذا قالوا لا إله إلا الله إنما يعتقدون أنه هو ربهم فينفون الألوهية عن غيره كما ينفون الربوبية عن غيره أيضاً و يثبتون له الوحدانية فى ذاته و صفاته و أفعاله.

و الذى أوقع المشركين فى الشرك و الكفر ليس مجرد قولهم ﴿**مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَىٰ**﴾ كما زعم هذا القائل بل اعتقادهم أن غير الله قد يكون إلهاً يستحق العبادة، و إن كانوا يعتقدون أن الخالق و المؤثر هو الله تعالى، فلما اعتقدوا ألوهية غير الله و استحقاقه و أقيمت عليهم الحجة بأنهم لا يملكون لكم ضراً و لا نفعاً و لا يخلقون و هم يخلقون قالوا ﴿**مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَىٰ**﴾ فاعتقاد الألوهية و استحقاق العبادة لغيره هو الذى أوقعهم فى الشرك و لم ينفعهم اعتقادهم أن الخالق و المؤثر هو الله مع وجود اعتقادهم

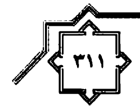


ألوهية غير الله و استحقاقه العبادة. و أما المسلمون فإنهم و لله الحمد بريئون من ذلك إذ لا يعتقدون شيئاً يستحقّ الألوهية و العبادة غير الله، فهذا هو الفرق بين الحالتين. و أما هؤلاء الجاهلون المكفرون للمسلمين فإنهم لما لم يعرفوا الفرق بين الحالتين تخبطوا و قالوا: إن التوحيد نوعان: توحيد الربوبية، و توحيد الألوهية، و توصلوا بذلك إلى تكفير المسلمين.

فتأمل فيما تقدم من النصوص يتضح لك الحال إن شاء الله تعالى و تعلم أن ما عليه السواد الأعظم هو الحق الذى لا محيص عنه، و مما يعتقده هؤلاء الملاحدة المكفرون للمسلمين أن قصد الصالحين و الاعتقاد فيهم والتبرّك بهم شرك أكبر و هذا أيضاً باطل، فإن رسول الله ﷺ أمر صاحبيه عمر بن الخطاب و علىّ بن أبى طالب رضي الله عنهما أن يقصدا أويساً القرنى و يسألاه الدعاء والاستغفار كما فى صحيح مسلم.

جواز التبرك بآثار الصالحين

و أما التبرك بآثار الصالحين فقد كان الصحابة رضي الله عنهم يزدحمون على ماء وضوئه يتبرّكون به، و إذا تنخّم أو بصق يأخذون ذلك و يتمسحون به، و ازدحموا على الحلاق عند حلق رأسه ﷺ و اقتسموا شعره يتبركون به. و شرب عبد الله بن الزبير دمه ﷺ لما احتجم. و شربت أم أيمن بوله فقال لها: صحة يا أم أيمن، و كل ذلك ثابت فى الأحاديث الصحيحة و لا ينكر ذلك إلا جاهل أو معاند، بل ثبت «**أنه ﷺ جاء سقاية العباس رضي الله عنه ليشرب من ماء السقاية، فأمر العباس ابنه عبد الله أن يأتى للنبى ﷺ بماء آخر من الدار غير ما يشرب منه المسلمون لأنه استقذره، و قال: يا رسول الله هذا تمسه الأيد نأتيك بماء غيره، فقال لا إنما أريد بركة المسلمين و ما مسته أيديهم**».



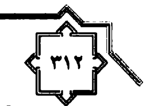
فإذا كان رسول الله ﷺ يقول ذلك فما بالك بغيره، فكل مسلم له نور و بركة، و لا نعتقد التأثير لغير الله تعالى، فطلب بركة الصالحين بالتماس آثارهم ليس فيه شيء من الإشراك و لا الحرمة، و إنما هؤلاء القوم يلبسون على المسلمين توصلاً إلى أغراضهم، فلا حول و لا قوة إلا بالله العلى العظيم، فلا يعتقدون موحداً إلا من تبعهم فيما يقولون فصار الموحدون على زعمهم أقل من كل قليل.

بيان ردود أهل العلم على محمد بن عبدالوهاب

كان محمد بن عبدالوهاب الذى ابتدع هذه البدعة يخطب للجمعة فى مسجد الدرعية و يقول فى كل خطبة: و من توسل بالنبى فقد كفر، و كان أخوه سليمان بن عبد الوهاب من أهل العلم، فكان ينكر عليه إنكاراً شديداً فى كل ما يفعله أو يأمر به و لم يتبعه فى شيء مما ابتدعه، و قال له أخوه سليمان يوماً: كم أركان الإسلام يا محمد بن عبدالوهاب؟ فقال خمسة، فقال أنت جعلتها ستة، السادس: من لم يتبعك فليس بمسلم هذا عندك ركن سادس للإسلام.

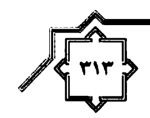
و قال رجل آخر يوماً لمحمد بن عبدالوهاب: كم يعتق الله كل ليلة فى رمضان؟ فقال له يعتق فى كل ليلة مائة ألف، و فى آخر ليلة يعتق مثل ما أعتق فى الشهر كله، فقال له لم يبلغ من اتبعك عشر عشر ما ذكرت فمن هؤلاء المسلمين الذين يعتقهم الله و قد حصرت المسلمين فيك و فيمن اتبعك، فبهت الذى كفر.

و لما طال النزاع بينه و بين أخيه خاف أخوه أن يأمر بقتله فارتحل إلى المدينة المنورة و ألف رسالة فى الرد عليه و أرسل له فلم ينته. و ألف كثير من علماء الحنابلة رسائل فى الرد و أرسلوها له فلم ينته.



و قال له رجل آخر مرة و كان رئيساً على قبيلة بحيث أن لا يقدر أن يسطوا عليه: ما تقول إذا أخبرك رجل صادق ذو دين و أمانة و أنت تعرف صدقه بأن قوماً كثيرين قصدوك و هم وراء الجبل الفلانى فأرسلت ألف خيال ينظرون القوم الذين وراء الجبل فلم يجدوا أثراً و لا أحد منهم، بل ما جاء تلك الأرض أحد منهم أتصدق الألف أم الواحد الصادق عندك؟ فقال أصدق الألف، فقال له: إن جميع المسلمين من العلماء الأحياء و الأموات فى كتبهم يكذبون ما أتيت به و يزيفونه فنصدقهم و نكذبك، فلم يعرف جواباً لذلك.

و قال له رجل آخر مرة: هذا الدين الذى جئت به متصل أم منفصل؟ فقال له حتى مشايخى و مشايخهم إلى ستمائة سنة كلهم مشركون، فقال له الرجل: إذن منفصل لا متصل، فعمن أخذته؟ فقال وحى إلهام كالخضر، فقال له: إذن ليس ذلك محصوراً فيك، كل أحد يمكنه أن يدعى وحى الإلهام الذى تدعيه، ثم قال له: إن التوسل مجمع عليه أهل السنة حتى ابن تيمية فإنه ذكر فيه وجهين و لم يذكر أن فاعله يكفر به، حتى الرافضة و الخوارج و المبتدعة و كافة المبتدعة يقولون بصحة التوسل به ﷺ، فلا وجه لك فى التكفير أصلاً، فقال له محمد بن عبدالوهاب: إن عمر استسقى بالعباس فلم يستسق بالنبى ﷺ؟ و مقصد محمد بن عبد الوهاب بذلك أن العباس كان حياً و أن النبى ﷺ ميت فلا يستسقى به، فقال له ذلك الرجل: هذه حجة عليك، فإن استسقاء عمر بالعباس إنما كان لإعلام الناس بصحة الاستسقاء و التوسل بغير النبى ﷺ، و كيف تحتج باستسقاء عمر بالعباس و عمر هو الذى روى حديث توسل آدم بالنبى ﷺ قبل أن يخلق، فالتوسل بالنبى ﷺ كان معلوماً عند عمر و غيره، إنما أراد عمر أن يبين للناس و يعلمهم صحة التوسل بغير النبى ﷺ، فبهت و تحير و بقى على عماوته و مقابح الشنيعة.



بيان طرف من مقابحه

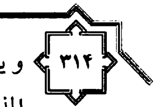
و من مقابحه أنه لما منع الناس من زيارة النبى ﷺ خرج ناس من الأحساء و زاروا النبى ﷺ و بلغه خبرهم، فلما رجعوا مروا عليه بالدرعية، فأمر بحلق لحائهم ثم أركبهم مقلوبين من الدرعية إلى الأحساء.

و بلغه مرة أن جماعة من الذين لم يتابعوه من الآفاق البعيدة قصدوا الزيارة و الحج و عبروا على الدرعية، فسمعه بعضهم يقول لمن اتبعه: خلوا المشركين يسيرون فى طريق المدينة، و المسلمين: يعنى أتباعه يخلفون معنا.

و كان ينهى عن الصلاة على النبى ﷺ و يتأذى من سماعهم و ينهى عن الإتيان بها يوم الجمعة و عن الجهر بها على المنابر، و يؤذى من يفعل ذلك و يعاقبه أشد العقاب، حتى أنه قتل رجلاً أعمى كان مؤذناً صالحاً ذا صوت حسن نهاه عن الصلاة على النبى ﷺ فى المنارة بعد الأذان فلم ينته و أتى بالصلاة على النبى ﷺ فأمر بقتله فقتل، ثم قال: إن الربابة فى بيت الخاطئة: يعنى أن الزانية أقل إثماً ممن ينادى بالصلاة على النبى ﷺ فى المنائر، و يلبس على أصحابه بأن ذلك كله محافظة على التوحيد.

و كان يمنع أتباعه من مطالعة كتب الفقه و التفسير والحديث و أحرق كثيراً منها، و أذن لكل من اتبعه أن يفسر القرآن بحسب فهمه حتى همج الهمج من أتباعه، فكان كل واحد منهم يفعل ذلك و لو كان لا يحفظ القرآن و لا شيئاً منه، فيقول الذى لا يقرأ منه لآخر يقرأ: اقرأ عليّ حتى أفسر لك، فإذا قرأ عليه يفسر برأيه، و أمرهم أن يعلموا و يحكموا بما يفهمونه و جعل ذلك مقدماً على كتب العلم و نصوص العلماء.

و كان يقول فى كثير من الأقوال الأئمة الأربعة ليست بشىء. و تارة يتستر



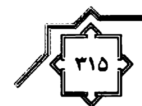
و يقول: إن الأئمة على حق و يقدح في أتباعهم من العلماء الذين ألفوا في المذاهب الأربعة و حرروها و يقول إنهم ضلوا و أضلوا و تارة يقول: إن الشريعة واحدة فما لهؤلاء جعلوها مذاهب أربعة هذا كتاب الله و سنة رسوله ﷺ لا نعمل إلا بهما و لا نقتدي بقول مصري و شامي و هندي: يعني بذلك أكابر علماء الحنابلة و غيرهم ممن لهم تآليف في الرد عليه، فكان ضابط الحق عنده ما وافق هواه و إن خالف النصوص الشرعية و إجماع الأمة، و ضابط الباطل عنده ما لم يوافق هواه و إن كان على نص جلي أجمعت عليه الأمة.

و كان ينتقص النبي ﷺ كثيراً بعبارات مختلفة و يزعم أن قصده المحافظة على التوحيد؛ فمنها أن يقول إنه طارش، و هو في لغة أهل المشرق بمعنى الشخص المرسل من قوم إلى آخرين، فمراده أنه ﷺ حامل كتب: أي غاية أمره أنه كالطارش الذي يرسله الأمير أو غير في أمر لأناس ليبلغهم إياه ثم ينصرف؛ و منها أنه كان يقول: نظرت في قصة الحديبية فوجدت بها كذا و كذا، إلى غير ذلك مما يشبه هذا حتى إن أتباعه كانوا يفعلون مثل ذلك أيضاً و يقولون مثل قوله بل أقبح مما يقول و يخبرونه بذلك فيظهر الرضا و ربما أنهم قالوا ذلك بحضرته فيرضى به، حتى أن بعض أتباعه كان يقول: عصاي هذه خير من محمد لأنها ينتفع بها في قتل الحية و نحوها و محمد قد مات و لم يبق فيه نفع أصلاً و إنما هو طارش و قد مضى.

قال بعض من ألف في الرد عليه: إن ذلك كفر في المذاهب الأربعة و هو كفر عند جميع أهل الإسلام.

بيان نشأته و ظهوره أمره

و كان محمد بن عبد الوهاب في مبتدأ أمره يطلب العلم بالمدينة و أصله من



بني تميم، و كان من طلبة العلم بالمدينة يتردّد بينها و بين مكة، فأخذ عن كثير من علماء المدينة منهم: الشيخ محمد بن سليمان الكردى الشافعى و الشيخ محمد حياة السند الحنفى، و كان الشيخان المذكوران و غيرهما من أشياخه يتفرّسون فيه الإلحاد و الضلال، و يقولون: سيضل هذا و يضل الله به من أبعده و أشقاه، فكان الأمر كذلك و ما أخطأت فراستهم فيه. و كان والده عبد الوهاب من العلماء الصالحين فكان أيضاً يتفرّس فى ولده المذكور الإلحاد و يذمه كثيراً و يحذر الناس منه، و كذا أخوه سليمان بن عبدالوهاب فكان ينكر ما أحدثه من البدع و الضلالات و العقائد الزائغة. و تقدم أنه ألف كتاباً فى الرد عليه.

و كانت ولادة محمد بن عبدالوهاب سنة ١١١١ ألف و مائة و أحد عشر و عاش عمراً طويلاً حتى بلغ عمره اثنين و تسعين سنة فإنه توفى سنة١٢٠٦ ألف و مائتين و ستة.

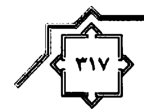
و لما أراد إظهار ما زينه له الشيطان من البدعة و الضلالة انتقل من المدينة و رحل إلى المشرق و صار يدعوا الناس إلى التوحيد و ترك الشرك، و يزخرف لهم القول ويفهمهم أن ما عليه الناس كله شرك و ضلال و يظهر لهم عقيدته شيئاً فشيئاً، فتبعه كثيراً من غوغاء الناس و عوام البوادى.

و كان ابتداء ظهور أمره فى الشرق سنة ١١٤٣ ألف و مائة و ثلاثة و أربعين، و اشتهر أمره بعد الخمسين و ألف و مائة بنجد و قراها، فتبعه و قام بنصرته أمير الدرعية و جعل ذلك وسيلة إلى اتساع ملكه و نفاذ أمره، فحمل أهل الدرعية على متابعة محمد بن عبد الوهاب فيما يقول فتبعه أهل الدرعية و ما حولها، و ما زال يطيعه على ذلك كثير من أحياء العرب حيّ بعد حى و قبيلة بعد قبيلة حتى قوى أمره فخافته البادية، فكان يقول لهم: إنما أدعوكم إلى التوحيد و ترك الشرك بالله، و يزين لهم القول و هم بوادى فى غاية الجهل لا



يعرفون شيئاً من أمور الدين، فاستحسنوا ما جاءهم به و كان يقول لهم: إني أدعوكم إلى الدين و جميع ما هو تحت السبع الطباق مشرك على الإطلاق و من قتل مشركاً فله الجنة، فتابعوه و صارت نفوسهم بهذا القول مطمئنة فكان محمد بن عبد الوهاب بينهم كالنبي في أمته، لا يتركون شيء مما يقول و لا يفعلون شيئاً إلا بأمره و يعظمونه غاية التعظيم، و إذا قتلوا إنساناً أخذوا ماله و أعطوا الأمير منه الخمس و اقتسموا الباقي، و كانوا يمشون حيثما مشى و يأتمرون له بما شاء و الأمير ينفذ كل ما يقول حتى اتسع له الملك.

و كانوا قبل اتساع ملكهم و تطاير شررهم أرادوا الحج في دولة الشريف مسعود بن سعيد ابن سعد بن زيد، و كانت ولاية الشريف مسعود إمارة مكة سنة ١١٤٦ ستة و أربعين و مائة و ألف، و وفاته سنة ١١٦٥ خمسة و ستين و مائة و ألف فأرسلوا يستأذنونه في الحج و غاية مرادهم إظهار عقيدتهم و حمل أهل الحرمين عليها، فأرسلوا قبل ذلك ثلاثين من علمائهم ظناً منهم أنهم يفسدون عقائد أهل الحرمين و يدخلون عليهم الكذب و المين و طلبوا الإذن بالحج و لو بشيء مقرر عليهم كل عام يدفنونه، و كان أهل الحرمين قد سمعوا بظهورهم في نجد و إفسادهم عقائد البوادي و لم يعرفوا حقيقة ذلك، فلما وصل علماؤهم مكة أمر الشريف مسعود أن يناظر علماء الحرمين العلماء الذين بعثوهم فناظروهم فوجدوهم ضحكة و مسخرة كحمر مستنفرة فرت من قسورة، و نظروا إلى عقائدهم فإذا هي مشتملة على كثير من المكفرات فبعد أن أقاموا عليهم الحجة و البرهان أمر الشريف مسعود قاضي الشرع أن يكتب حجة بكفرهم الظاهر ليعلم أن الأول و الآخر، و أمر بسجنهم و وضعهم في السلاسل و الأغلال، فقبض منهم جماعة و سجنهم و فر الباقون و وصلوا إلى الدرعية و أخبروا بما شاهدوا، فعتا أميرهم و استكبر و نأى عن هذا المقصد و

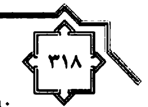


تأخر إلى أن مضت دولة الشريف مسعود و توفى سنة ١١٦٥ خمس و ستين و مائة و ألف، و ولى إمارة مكة أخوه الشريف مساعد بن سعيد، فأرسلوا أيضاً يستأذونه فى الحج فأبى و امتنع من الإذن لهم فضعفت عن الوصول مطامعهم، فلما مضت دولة الشريف مساعد و توفى سنة ١١٨٤ أربع و ثمانين و مائة و ألف، و ولى إمارة مكة أخوه الشريف أحمد بن سعيد أرسل أمير الدرعية جماعة من علمائهم، فأمر العلماء أن يختبروهم فاختبروهم فوجدوهم لا يدينون إلا بدين الزنادقة، فأبى أن يأذن لهم فى الحج.

ثم انتزع إمارة مكة منه ابن أخيه الشريف سرور بن مساعد سنة ١١٨٦ ست و ثمانين و مائة و ألف، فأرسلوا فى مدة الشريف سرور يستأذنون فى الحج، فأجابهم بأنكم إن أردتم الوصول آخذ منكم فى كل سنة ما آخذ من الأعاجم و زيادة على ذلك مائة من الخيل الجياد فعظم عليهم دفع ذلك و أن يكونوا مثلهم.

فلما توفى الشريف سرور سنة ١٢٠٢ ألف و مائتين و اثنين و ولى إمارة مكة أخوه غالب أرسلوا أيضاً يستأذنون فى الحج فمنعهم و تهددهم بالركوب عليهم و جهز عليهم جيشاً فى سنة ١٢٠٥ ألف و مائتين و خمسة و تتابع بينه و بينهم القتال و الحرب من سنة ١٢٠٥ ألف و مائتين و خمسة إلى سنة ١٢٢٠ ألف و مائتين و عشرين حتى دخلوا مكة بعد أن عجز عن دفعهم و وقع بينه و بينهم وقعات كثيرة قبل دخولهم مكة يطول الكلام بذكرها.

ثم قصدوا مكة فى الشهر الحرام من سنة ١٢١٨ ألف و مائتين و ثمانية عشر، و لم يكن للشريف طاقة لقتالهم، فترك لهم مكة و نزل إلى جدّة فخرج ناس من أهل مكة إليهم قبل دخولهم بمرحلتين و أخذوا منهم الأمان لأهل مكة فدخلوا بالأمان.



ثم توجهوا إلى جدة لقتال الشريف غالب فقاتلهم و أطلق عليهم المدافع فلم يستطيعوا دخول جدة، فارتحلوا إلى ديارهم في شهر صفر من سنة ١٢١٨ ألف و مائتين و ثمانية عشر و أبقوا بمكة من يقوم بحفظها من جماعتهم.

و في شهر ربيع الأول من السنة المذكورة رجع الشريف غالب من جدة و معه الباشا صاحب جدة و كثير من العساكر، و أخرج من كان بمكة من جماعتهم و استولى على مكة كما كان، ثم تتابع بينه و بينهم الحرب و الغزوات إلى سنة ١٢٢٠ عشرين و مائتين و ألف، فتغلبوا و ملكوا جميع الأطراف و حاصروا مكة حتى اشتد البلاء و عم الغلاء و أكل الناس الكلاب و الجيف، ثم عقد الشريف غالب معهم الصلح فدخلوا مكة بالصلح و استمر ملكهم بها إلى سنة سبع و عشرين و مائتين و ألف.

فأمر مولانا السلطان محمود الوزير المعظم و المشير المفخم بمصر محمد على الباشا فجهز عليهم الجيوش حيت أخرجهم من الحرمين، ثم بعث الجيوش إلى قتالهم في ديارهم و سار مع بعض الجيوش بنفسه حتى استأصلهم و قطع دابرهم. و أرخ بعض العلماء تاريخ خروجهم من مكة بقوله قطع دابر الخوارج سنة ١٢٢٧ و الكلام على و قائعهم و ما فعلوه بالمسلمين يطول، فلا حاجة لذكره.

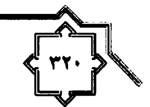
و كان أتباع محمد بن عبد الوهاب إذا أراد أحداً أن يتبعهم على دينهم طوعاً أو كرهاً كانوا يأمرونه بالإتيان بالشهادتين أولاً ويقولون له اشهد على نفسك إنك كنت كافراً و اشهد على والديك أنهما كانا كافرين، و اشهد على فلان و فلان أنه كان كافراً و يسمون له جماعة من أكابر العلماء الماضين فإن شهدوا بذلك قبلوهم و إلّا أمروا بقتلهم.



و كانوا يصرحون بتكفير الأمة من منذ ستمائة سنة. و أول من صرّح بذلك محمد بن عبد الوهاب فتبعوه على ذلك، و إذا دخل إنسان فى دينهم و كان قد حج حجة الإسلام قبل ذلك يقولون له حج ثانياً فإن حجتك الأولى فعلتها و أنت مشرك فلا تسقط عنك الحج، و يسمون من اتبعهم من الخارج المهاجرين، و من أهل بلدتهم يسمونهم الأنصار.

و كان محمد بن عبد الوهاب يدعى الانتساب إلى مذهب الإمام أحمد ﷺ كذباً و زوراً، و الإمام أحمد بريء منه، و لذلك انتدب كثير من علماء الحنابلة المعاصرين له للرد عليه، و ألفوا فى الرد عليه رسائل كثيرة، حتى أخوه الشيخ سليمان بن عبد الوهاب ألف رسالة فى الرد عليه كما تقدم و تمسك فى تكفير المسلمين بآيات نزلت فى المشركين، فحملها على الموحدين، و قد روى البخارى عن عبد الله بن عمر ﷺ فى وصف الخوارج أنهم انطلقوا إلى آيات نزلت فى الكفار فجعلوها فى المؤمنين. و فى رواية أخرى عن ابن عمر عند غير البخارى أنه ﷺ قال «**أخوف ما أخاف على أمتى متأوّل للقرآن يضعه فى غير موضعه**» فهذا و ما قبله صادق على ابن عبدالوهاب و من تبعه.

و أعجب من ذلك كله أنه كان يكتب إلى عماله الذين هم أجهل الجاهلين اجتهدوا بحسب فهمكم و انظروا و احكموا بما ترونه مناسباً لهذا الدين و لا تلتفتوا لهذه الكتب فإن فيها الحق و الباطل، و قتل كثيراً من العلماء الصالحين و عوام المسلمين لكونهم لم يوافقون على ما ابتدعه و كان يقسم الزكاة على ما أمره به شيطانه و هواه، و كان أصحابه لا يتخذون مذهباً من المذاهب بل يجتهدون كما أمرهم و يتسترون ظاهراً بمذهب الإمام أحمد و يلبسون بذلك على العامة، و كان ينهى عن الدعاء بعد الصلاة و يقول إن ذلك بدعة و إنكم تطلبون بذلك أجراً.

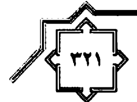


و قد اعتنى كثير من العلماء من أهل المذاهب الأربعة للرد عليه في كتب مبسوطة عملاً بقول النبي ﷺ «**إذا ظهرت البدع و سكت العالم فعليه لعنة الله و الملائكة و الناس أجمعين**» و بقوله ﷺ «**ما ظهر أهل بدعة إلا أظر الله فيهم حجته على لسان من شاء من خلقه**» فلذلك انتدب للرد عليه علماء المشرق و المغرب من جميع المذاهب، و التزم بعضهم في الرد عليه بأقوال الإمام أحمد و أهل مذهبه و سألوه عن مسائل يعرفها أقل طلبة العلم فلم يقدر على الجواب عنها لأنه لم يكن له تمكن في العلوم و إنما عرف هذه النزعات التي زينها له الشيطان.

فممن ألّف في الرد عليه و سأله عن بعض المسائل فعجز: العلامة الشيخ محمد بن عبد الرحمن بن عفالق، فإنه ألّف كتاباً جليلاً سماه (تهكم المقلدين بمن ادعى تجديد الدين) وردّ عليه في كل مسئلة من المسائل التي ابتدعها بأبلغ الرد ثم سأله عن أشياء تتعلق بالعلوم الشرعية و الأدبية بسؤالات أجنبية عن الرسالة كتبها و أرسلها فعجز عن الجواب عن أقلها فضلاً عن أجلها.

فمن جملة ما سأله عنه قوله أسألك عن قوله تعالى:

﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحاً﴾ إلى آخر السورة التي هي من قصار المفصل، كم فيها من حقيقة شرعية و حقيقة لغوية و حقيقة عرفية؟ و كم فيها من مجاز مرسل و مجاز مركب و استعارة حقيقة و استعارة وفاقية و استعارة تبعية و استعارة مطلقة و استعارة مجردة و استعارة مرشحة؟ و أين الوضع و الترشيح و التجريد و الاستعارة بالكناية و الاستعارة التخييلة؟ و كم فيها من التشبيه الملفوف و المفرد و المركب؟ و ما فيها من المجمل و المفصل؟ و ما فيها من الإيجاز و الإطناب و المساواة و الإسناد الحقيقي و الإسناد المجازي المسمى بالمجاز الحكمي و العقلي؟ و أي موضع فيها وضع المضمر موضع المظهر و العكس؟ و ما موضع



ضمير الشأن و موضع الالتفافات و موضع الفصل و الوصل و كمال الاتصال و كمال الانقطاع؟ و الجامع بين كل جملتين متعاطفتين؟ و محل تناسب الجمل و وجه التناسب و وجه كماله فى الحسن و البلاغة و ما فيها من إيجاز و قصر و إيجاز و حذف؟ و ما فيها من احتراس و تتميم، و بين لنا موضع كل ما ذكر؟ فلم يقدر محمد بن عبدالوهاب على الجواب عن شيء مما سأله عنه.

إخبار النبي بابن عبد الوهاب و أتباعه

وقد أخبر النبى ﷺ عن هؤلاء الخوارج فى أحاديث كثيرة، فكانت تلك الأحاديث من أعلام نبوّة النبى ﷺ لأنها من الإخبار بالغيب، و تلك الأحاديث كلها صحيحة بعضها فى صحيحى البخارى و مسلم و بعضها فى غيرهما.

فمنها قوله ﷺ **«الفتنة من ههنا الفتنة من ها هنا و أشار إلى المشرق»** و قوله ﷺ **«يخرج ناس من قبل المشرق يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، لا يعودون فيه حتى يعود السهم إلى فوقه، سيماهم التحليق»**[1] انتهى.

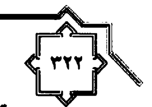
و الفوق بضم الفاء: موضع الوتر.

و قوله ﷺ **«سيكون فى أمتى اختلاف و فرقة، قوم يحسنون القيل و يسيئون الفعل، يقرءون القرآن لا يتجاوز إيمانهم تراقيهم سيمرقون من الدين مروق السهم من الرمية لا يرجعون حتى يعود السهم إلى فوقه، هم شرّ الخلق و الخليقة، طوبى لمن قتلهم أو قتلوه، يدعون إلى كتاب الله و ليسوا منه فى شيء، من قتلهم كان أولى بالله منهم سيماهم التحليق»**[2]

---

١ . أخرجه الإمام أحمد فى مسنده برقم ٤٧٥٤.

٢ . أخرجه الحاكم فى المستدرك برقم ٢٦٤٩.



و قوله ﷺ «سيخرج فى آخر الزمان قوم أحداث الأسنان سفهاء الأحلام يقولون قول خير البرية يقرءون القرآن لا يتجاوز حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، فإذا لقيتموهم فاقتلوهم، فإن قتلهم أجراً لمن قتلهم عند الله يوم القيامة»[1]

وقوله ﷺ «أناس من أمتى سيماهم التحليق يقرءون القرآن لا يتجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كمايمرق السهم من الرمية هم شرّ الخلق والخليقة»[2].

و قوله ﷺ «يخرج ناس من المشرق يقرءون القرآن لا يتجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم لا يعودون فيه حتى يعود السهم إلى فوقه سيماهم التحليق»

و قوله ﷺ «رأس الكفر نحو المشرق و الفخر و الخيلاء فى أهل الخيل و الإبل».[3]

و قوله ﷺ «من ها هنا جاءت الفتن و أشار نحو المشرق».[4]

و قوله ﷺ «غلظ القلوب و الجفاء بالمشرق و الإيمان فى أهل الحجاز»[5]

و قوله ﷺ «اللهم بارك لنا فى شامنا، اللهم بارك لنا فى يمننا، قالوا يا رسول الله: و فى نجدنا، قال اللهم بارك لنا فى شامنا، اللهم بارك لنا فى يمننا، و قال فى الثالثة: هناك الزلازل و الفتن و بها يطلع قرن الشيطان.»[6]

---

١ . أخرجه مسلم برقم: ١٠٦.

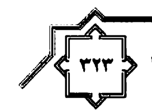
٢ . أخرجه الإمام أحمد برقم: ٢١٥٧١.

٣ . أخرجه مسلم فى صحيحه برقم: ٢١٠٥.

٤ . أخرجه الإمام أحمد فى مسنده برقم ٤٧٥٤.

٥ . أخرجه الحاكم فى مستدركه رقم: ١٨٧.

٦ . أخرجه البخارى فى صحيحه برقم: ٩٩٠، و مسلم برقم: ٢٩٠٥.



و قوله ﷺ «**يخرج ناس من المشرق يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم كلما قطع قرن نشأ قرن حتى يكون آخرهم مع المسيح الدجال**»

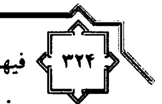
و فى قوله ﷺ «**سيماهم التحليق**» تنصيص عن هؤلاء القوم الخارجين من المشرق التابعين لابن عبد الوهاب فيما ابتدعه، لأنهم كانوا يأمرون من اتبعهم أن يحلق رأسه و لا يتركونه يفارق مجلسهم إذا تبعهم حتى يحلقوا رأسه و لم يقع مثل ذلك قط من أحد الفرق الضالة التى مضت قبلهم، فالحديث صريح فيهم.

و كان السيد عبد الرحمن الأهدل مفتى زبيد يقول: لا يحتاج أن يؤلف أحد تأليفاً للردّ على ابن عبد الوهاب بل يكفى فى الرد عليه قوله ﷺ «**سيماهم التحليق**» فإنه لم يفعله أحد من المبتدعة غيرهم.

و كان ابن عبدالوهاب يأمر أيضاً بحلق رؤوس النساء اللاتى يتبعنه فأقامت عليه الحجة مرة امرأة دخلت فى دينه كرهاً وجددت إسلامها على زعمه، فأمر بحلق رأسها، فقالت له: أنت تأمر الرجال بحلق رؤوسهم، فلو أمرت بحلق لحائهم لساغ لك أن تأمر بحلق رؤوس النساء، لأن شعر الرأس للمرأة بمنزلة اللحية للرجال، فبهت الذى كفر و لم يجد لها جواباً، لكنه إنما فعل ذلك ليصدق عليه و على من تبعه قوله ﷺ «**سيماهم التحليق**» فإن المتبادر منه حلق الرأس، فقد صدق ﷺ فيما قال.

و قوله ﷺ حين أشار إلى المشرق من حيث يطلع قرن الشيطان، فجاء فى رواية «**قرنا الشيطان**» بصيغة التثنية. قال بعض العلماء: المراد من قرنى الشيطان مسليمة الكذاب و ابن عبد الوهاب. و جاء فى بعض الروايات «و بها» يعنى نجداً «الداء العضال». قال بعض الشراح و هو الهلاك.

و فى بعض التواريخ بعد ذكر قتال بنى حنيفة: قال «**و يخرج فى آخر الزمان فى بلد مسيلمة رجل بغير دين الإسلام**» و جاء فى بعض الأحاديث التى جاء



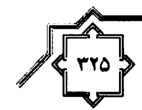
فيها ذكر الفتن قوله ﷺ «**منها فتنة عظيمة تكون في أمتي لا يبقى من العرب إلا دخلته تصل إلى جميع العرب قتلاها في النار و اللسان فيها أشد من وقع السيف**» و في رواية «**ستكون فتنة صماء بكماء عمياء**» يعني تعمى بصائر الناس فلا يرون مخرجاً و يصمون عن استماع الحق «**من استشرف لها استشرفت له**» و في رواية «**سيظهر من نجد شيطان تتزلزل جزيرة العرب من فتنته**».

و ذكر العلامة السيد علوي بن أحمد بن حسن القطب السيد عبد الله الحداد با علوي في كتابه الذي ألفه في الرد على ابن عبد الوهاب المسمى (جلاء الظلام في الرد على النجدي الذي أضل العوام) و هو كتاب جليل ذكر فيه جملة من الأحاديث، منها حديث مروي عن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه عم النبي ﷺ أسنده إلى النبي ﷺ قال فيه «**سيخرج في ثاني عشر قرناً، في وادي بني حنيفة رجل كهيئة الثور، لا يزال يلعق براطمه يكثر في زمانه الهرج و المرج، يستحلون أموال المسلمين و يتخذونها بينهم متجراً، و يستحلون دماء المسلمين ويتخذونها بينهم مفخراً، وهي فتنة يعتز فيها الأرذلون والسفل، تتجارى بينهم الأهواء كما يتجارى الكلب بصاحبه**» قال و لهذا الحديث شواهد تقوي معناه.

ثم قال السيد المذكور في الكتاب الذي مر ذكره: و أصرح من ذلك أن هذا المغرور محمد بن عبد الوهاب من تميم، فيحتمل أنه من عقب ذي الخويصرة التميمي الذي جاء في حديث البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**إن من ضئضئ هذا (أو في عقب هذا) قوماً يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية يقتلون أهل الإسلام و يدعون أهل الأوثان، لئن أدركتهم لأقتلهم قتل عاد**»[1] فكان هذا الخارجي يقتل أهل الإسلام و يدع أهل الأوثان.

---

١ . أخرجه البخاري كتاب المغازي رقم: ٤٠٠٤.



و لما قتل على بن أبى طالب رضي الله عنه الخوارج قال رجل: الحمد لله الذى أبادهم و أراحنا منهم، فقال على رضي الله عنه: كلا والذى نفسى بيده إن منهم لمن هو فى أصلاب النساء والرجال لم تحمله النساء و ليكونن مع المسيح الدجال.

و جاء فى حديث عن أبى بكر رضي الله عنه ذكر فيه بنى حنيفة قوم مسيلمة الكذاب و قال فيه «**إن واديهم لا يزال وادى فتن إلى آخر الدهر، و لا يزال فى فتنة من كذابهم إلى يوم القيامة**» و فى رواية «**ويل لليمامة ويل لا فراق له**».

و فى حديث ذكره فى مشكاة المصابيح «**سيكون فى آخر الزمان قوم يحدثونكم بما لم تسعوا أنتم و لا آباؤكم فإياكم و إياهم، لا يضلونكم و لا يفتنونكم**»

و أنزل الله فى بنى تميم ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ**﴾

و أنزل الله فيهم أيضاً ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ**﴾.

قال السيد علوى الحداد المذكور آنفاً، إن الذى ورد فى بنى حنيفة و فى ذم بنى تميم و وائل شىء كثير، و يكفيك أن أغلب الخوارج و أكثرهم منهم، و أن الطاغية ابن عبد الوهاب منهم.

جاء عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال «**كنت فى مبدأ الرسالة أعرض نفسى على القبائل فى كل موسم، و لم يجبنى أحد جواباً أقبح و لا أخبث من رد بنى حنيفة**» قال السيد علوى الحداد: لما وصلت الطائف لزيارة حبر الأمة عبد الله بن عباس رضي الله عنهما اجتمعت بالعلامة الشيخ طاهر سنبل الحنفى ابن العلامة الشيخ محمد سنبل الشافعى فأخبرنى أنه ألف كتاباً فى الرد على هذه الطائفة سماه (الانتصار للأولياء الأبرار) و قال لى لعل الله يهدي به من لم تدخل بدعة النجدى قلبه، و

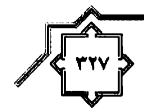


أما من دخلت فى قلبه فلا يرجى فلاحه، لحديث البخارى «**يمرقون من الدين، ثم لا يعودون فيه.**»

و أما ما نقل عن بعض العلماء أنه استصوب من فعل النجدى جمع البدو على الصلاة، و ترك الفواحش الظاهرة و قطع الطريق و الدعوة إلى التوحيد، فهو غلط حيث حسن للناس فعله، و لم يطلع على ما ذكرناه من منكراته و تكفيره الأمة من ستمائة سنة، و حرق الكتب الكثيرة، و قتله كثيراً من العلماء و خواص الناس و عوامهم، و استباحة دمائهم و أموالهم، و إظهار التجسيم للبارى تعالى، وعقده الدروس لذلك و تنقيصه النبى ﷺ و سائرالأنبياء و المرسلين و الأولياء ونبش قبورهم، وأمر في الأحساء أن تجعل بعض قبور الأولياء محلاً لقضاء الحاجة، و منع الناس من قراءة دلائل الخيرات و من الرواتب الأذكار، و من قراءة مولد النبى ﷺ فى المنائر بعد الأذان و قتل من فعل ذلك، و كان يعرض لبعض الغوغاء الطعام بدعواه النبوّة، و يفهمهم ذلك من فحوى كلامه، و منع الدعاء بعد الصلاة، و كان يقسم الزكاة على هواه، و كان يعتقد أن الإسلام منحصراً فيه و فيمن تبعه، و أن الخلق كلهم مشركون، و كان يصرح فى مجالسه و خطبه بتكفير المتوسل بالأنبياء و الملائكة و الأولياء ويزعم أن من قال لأحد: مولانا أو سيدنا فهو كافر، و لا يلتفت إلى قول الله تعالى فى سيدنا يحيى عليه السلام «و سيد» و لا إلى قول النبى ﷺ للأنصار «**قوموا لسيدكم**»[1] يعنى سعد بن معاذ رضي الله عنه، و يمنع من زيارة النبى ﷺ، و يجعله كغيره من الأموات و ينكر علم النحو و اللغة و الفقه و التدريس بهذه العلوم، و يقول إن ذلك بدعة.

---

١ . أخرجه البخارى فى كتاب الاستئذان رقم: ٥٧٩١.



ثم قال السيد علوى الحداد فى كتابه المتقدم ذكره: و الحاصل أن المحقق عندنا من أقواله و أفعاله ما يوجب خروجه عن القواعد الإسلامية، لاستحلاله أموالاً مجمعاً على تحريمها معلومة من الدين بالضرورة بلا تأويل سائغ مع تنقيصه الأنبياء و المرسلين والأولياء و الصالحين. و تنقيصهم تعمداً كفر بإجماع الأئمة الأربعة. اهـ.

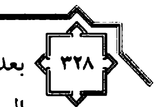
و تقدم أنه عاش من العمر اثنتين و تسعين سنة، لأن ولادته كانت سنة أحد عشر و مائة و ألف، و هلاكه سنة ألف و مائتين و ستة و أرخ بعضهم وفاته بقوله: بدا هلاك الخبيث ١٢٠٦ و خلف أولاداً قاموا بالدعوة بعده عبد الله و حسن و حسين و على و كانوا يقال لهم أولاد الشيخ.

و كان عبد الله أكبرهم فقام بادعوة بعد أبيه و خلف سليمان و عبد الرحمن و كان سليمان متعصباً أكثر من أبيه، فقتله إبراهيم باشا سنة ألف و مائتين و ثلاثة و ثلاثين، و قبض على عبد الرحمن و بعثه إلى مصر فعاش مدة بمصر، ثم مات بمصر.

و أما حسن بن محمد بن عبد الوهاب فخلف عبدالرحمن، و ولى مكة فى بعض السنين التى كانوا يحكمون فيها بمكة و عاش عبد الرحمن دهراً طويلاً حتى قارب المائة و مات قريباً فخلف عبد اللطيف. و أما حسين بن محمد بن عبد الوهاب فخلف أولاداً كثيرين و لم يزل نسلهم باقياً حتى الآن بالدرعية، يعرفون بأولاد الشيخ و نسأل الله أن يهديهم للصواب.

لطيفة:

كان رجل صالح من علماء البلدة التى تسمى بالزبير اسمه الشيخ الجبار يصلى إماماً فى مسجد تلك البلدة، فاتفق أن اثنين تجادلا فى شأن هذه الطائفة

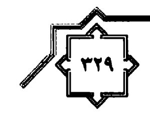


بعد أن جاء إبراهيم باشا إلى الدرعية و دمرها و دمر من فيها، فقال أحد الرجلين المتجادلين: لابد أن يرجع أمر هذا الدين كما كان و ترجع هذه الدولة كما كانت، و قال الآخر: لا يرجع أمرهم أبداً كما كان و لا ما كانوا عليه من البدعة، ثم اتفقا على أنهما يذهبان في غد و يصليان صلاة الصبح خلف الشيخ عبد الجبار و ينظران ماذا يقرأ بعد الفاتحة في الركعة الأولى، و يجعلان ذلك فألاً يحكمان به فيما اختلفا فيه فذهبا و صليا خلفه فقرأ بعد الفاتحة في الركعة الأولى ﴿وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاها أَنَّهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ﴾ فتعجبا من ذلك و رضيا بذلك الفأل حكماً.

و الله سبحانه و تعالى أعلم، و صلى الله على سيدنا محمد و على آله و صحبه و سلم.

بفضل الله تعالى و ببركة رسول الله ﷺ

تم كتاب: الدّرر السنية في الرد على الوهابية



المصادر

إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري: احمد بن محمّد القسطلاني(م ٩٢٣)، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، الطبعة: السابعة، ١٣٢٣هـ.

تاريخ دمشق: أبو القاسم علي بن حسن بن عساكر (م ٥٧١)، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥هـ.

تفسير القرآن العظيم: اسماعيل بن عمر بن كثير دمشقي(م ٧٧٤)، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ.

الدر المنثور: عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (م ٩١١)، دار الفكر، بيروت.

الدعوات الكبير: أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي (م ٤٥٨)، تحقيق: بدر بن عبد الله البدر، غراس للنشر والتوزيع، الكويت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٩م.

دلائل النبوة: أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي(م ٤٥٨)، تحقيق: د. عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، دار الريان للتراث، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ.

سنن ابن ماجه: محمّد بن يزيد ابن ماجه القزويني، (م ٢٧٣)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية.

سنن أبي داود: أبو داود سليمان بن اشعث السجستاني (م ٢٧٥)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت.

سنن الترمذي: الترمذي، محمّد بن عيسي (م ٢٧٩)، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٨م.

سنن الدارقطني: الدارقطني، علي بن عمر(م ٣٨٥)، تحقيق: شعيب الارنؤوط، حسن عبد المنعم شلبي، عبد اللطيف حرز الله، أحمد برهوم، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ.

سنن الدارمي: عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي (م ٢٥٥)، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.

السنن الكبرى: البيهقي، أحمد بن حسين(م ٤٥٨)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤هـ.

الشفا بتعريف حقوق المصطفى: أبو الفضل عياض بن موسى(م ٥٤٤)، دار الفيحاء، عمان، الطبعة: الثانية، ١٤٠٧هـ.



الصارم المنكي في الردّ على السبكي: محمّد بن أحمد بن عبد الهادي(م ٧٤٤)، تحقيق: عقيل بن محمد المقطري اليماني، مؤسسة الريان، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ.

صحيح البخاري: البخاري، محمّد بن إسماعيل (م ٢٥٦)، تحقيق: محمد زهير بن ناصر، دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ.

الطبقات الكبرى: البغدادي، محمّد بن سعد (م ٢٣٠)، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٦٨م.

عمل اليوم والليلة سلوك النبي مع ربه عز وجل ومعاشرته مع العباد: أحمد بن محمد المعروف بـ «ابن السُّنِّي» (م ٣٦٤)، تحقيق: كوثر البرني، دار القبلة للثقافة الإسلامية ومؤسسة علوم القرآن، بيروت.

الكامل في ضعفاء الرجال: أحمد بن عدي الجرجاني(م ٣٦٥)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ.

كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال: علي بن حسام المتقي الهندي، (م ٩٧٥)، تحقيق: بكري حياني وصفوة السقا، مؤسسة الرسالة، الطبعة الخامسة، ١٤٠١هـ.

المستدرك على الصحيحين: محمّد بن عبدالله النيسابوري(م ٤٠٥)، تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا، دارالكتب العلمية، الطبعة: الأولى، بيروت، ١٤١١هـ.

مسند أحمد بن حنبل: ابن حنبل الشيباني، أحمد بن محمّد (م ٢٤١)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد وآخرون، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ.

مشكاة المصابيح: محمّد بن عبد الله التبريزي (م ٧٤١)، تحقيق: ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٩٨٥م.

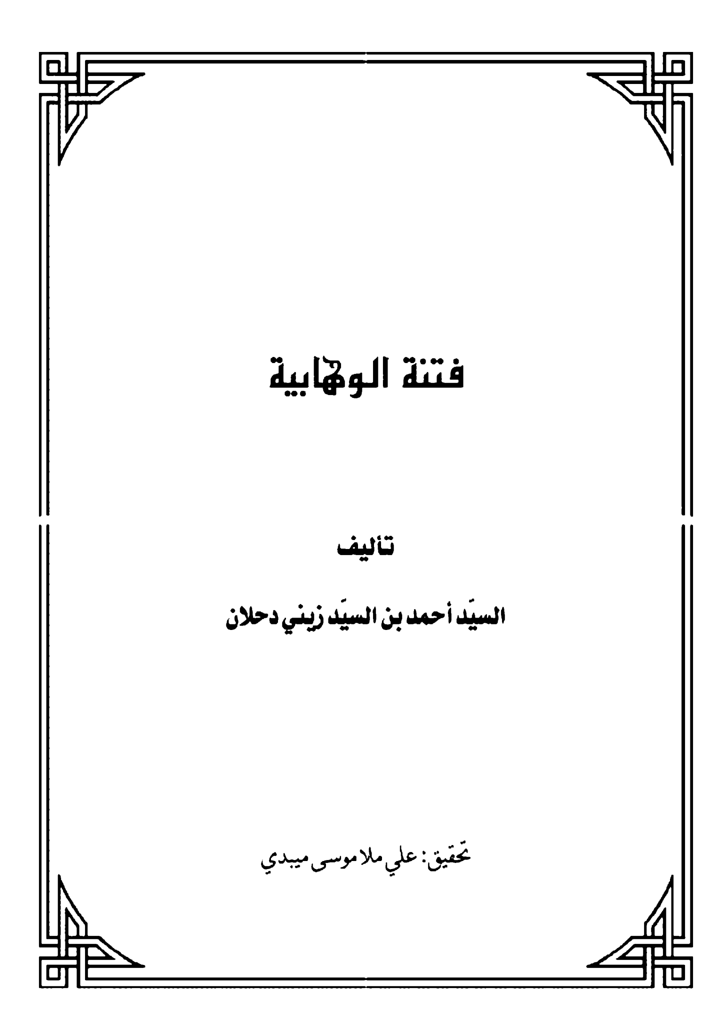
المصنّف: عبد الرزّاق الصنعاني (م ٢١١)، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، المجلس العلمي، الهند، الطبعة: الثانية، بيروت، ١٤٠٣هـ.

المعجم الأوسط: الطبراني، سليمان بن أحمد(م ٣٦٠)، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمّد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، القاهرة.

المعجم الكبير: سليمان بن أحمد الطبراني (م ٣٦٠)، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، الطبعة: الثانية.

المواهب اللدنيّة بالمنح المحمديّة: احمد بن محمّد القسطلاني (م ٩٢٣)، المكتبة التوفيقية، القاهرة.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى: السمهودي، علي بن عبد الله (م ٩١١)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ.



فتنة الوهابية

تأليف

السيّد أحمد بن السيّد زيني دحلان

تحقيق: علي ملا موسى ميبدي



فتنة الوهابية

إعلم أن السلطان سليم الثالث(١٢٠٤ ـ ١٢٢٢هـ) حدث في مدة سلطنته فتن كثيرة:

منها ما تقدم ذكره.

ومنها فتنة الوهابية التي كانت في الحجاز حتى استولوا على الحرمين ومنعوا وصول الحج الشامي والمصري.

ومنها فتنة الفرنسيين لما استولوا على مصر من سنة ثلاث عشرة (١٢١٣هـ) إلى سنة ست عشرة (١٢١٦هـ) ولنذكر ما يتعلق بهاتين الفتنتين على سبيل الاختصار لأن كلا منهما مذكور تفصيلا في التواريخ وأفرد كل منهما بتأليف رسائل مخصوصة.

أما فتنة الوهابية فكان ابتداء القتال فيها بينهم وبين أمير مكة مولانا الشريف «غالب بن مساعد» وهو نائب من جهة السلطنة العلية على الأقطار الحجازية وابتداء القتال بينهم وبينه من سنة خمس بعد المائتين والألف(١٢٠٥هـ) وكان ذلك في مدة سلطنة مولانا السلطان سليم الثالث ابن السلطان مصطفى الثالث بن أحمد.

(وأما ابتداء أول ظهور الوهابية) فكان قبل ذلك بسنين كثيرة وكانت قوتُهم وشوكتهم في بلادهم أوّلاً، ثم كثر شرهم وتزايد ضررهم واتسع ملكهم وقتلوا

من الخلائق ما لا يحصون واستباحوا أموالهم وسبوا نساءهم، وكان مؤسس مذهبهم الخبيث محمد بن عبد الوهاب وأصله من المشرق من بني تميم وكان من المعمرين فكاد يعد من المنظرين لأنه عاش قريب مائة سنة حتى انتشر عنه ضلالُهم، كانت ولادتُه سنةَ ألف ومائة وإحدى عشرة(١١١١هـ) وهلك سنة ألف ومائتين(١٢٠٠هـ)، وأرخه بعضهم بقوله: «**بدا هلاك الخبيث ١٢٠٦هـ**».

وكان في ابتداء أمره من طلبة العلم بالمدينة المنورة ـ على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ـ وكان أبوه رجلاً صالحاً من أهل العلم، وكذا أخوه الشيخ سليمان، وكان أبوه وأخوه ومشايخه يتفرّسون فيه أنّه سيكون منه زيغٌ وضلالٌ لما يشاهدونه من أقواله وأفعاله ونزعاته في كثير من المسائل، وكانوا يُوبّخونه ويحذرون الناس منه، فحقّق الله فراستهم فيه لما ابتدع ما ابتدعه من الزيغ والضلال الذي أغوى به الجاهلين، وخالف فيه أئمة الدين، وتوصل بذلك إلى تكفير المؤمنين، فزعم أن زيارة قبر النبي ﷺ والتوسل به وبالأنبياء والأولياء والصالحين وزيارة قبورهم شرك، وأن نداء النبي ﷺ عند التوسل به شرك، وكذا نداء غيره من الأنبياء والأولياء والصالحين عند التوسل بهم شرك، وأن من أسند شيئاً لغير الله ولو على سبيل المجاز العقلي يكون مشركاً نحو: «**نفعني هذا الدواء**»، و«**هذا الولي الفلاني عند التوسل به في شيء**»، وتمسك بأدلة لا تنتج له شيئاً من مرامه، وأتى بعبارات مزورة زخرفها ولبس بها على العوام حتى تبعوه، وألّف لهم في ذلك رسائل حتّى اعتقدوا كفر أكثر أهل التوحيد، واتّصل بأمراء المشرق أهل الدرعية ومكث عندهم حتى نصروه وقاموا بدعوته وجعلوا ذلك وسيلة إلى تقوية ملكهم واتّساعه، وتسلطوا على الأعراب وأهل البوادي حتى تبعوهم وصاروا جنداً لهم بلا عوض وصاروا يعتقدون أن من لم يعتقد ما قاله ابن عبد الوهاب فهو كافر مشرك مهدر الدم والمال، وكان ابتداء ظهور أمره سنة



ألف ومائة وثلاث وأربعين(١١٤٣هـ)، وابتداء انتشاره من بعد الخمسين ومائة وألف(١١٥٠هـ). وألف العلماء رسائل كثيرة للرد عليه حتّى أخوه الشيخ سليمان وبقية مشايخه، وكان ممن قام بنصرته وانتشار دعوته من أمراء المشرق محمد بن سعود أمير الدرعية وكان من بني حنيفة قوم مسيلمة الكذاب، ولما مات محمد بن سعود قام بها ولده عبد العزيز بن محمد بن سعود، وكان كثير من مشايخ ابن عبد الوهاب بالمدينة يقولون: «**سيضلّ هذا أو يضلّ الله به من أبعده وأشقاه**» فكان الأمر كذلك، وزعم محمد بن عبد الوهاب أن مراده بهذا المذهب الذي ابتدعه إخلاص التوحيد والتبري من الشرك وأنّ الناس كانوا على شرك منذ ستمائة(٦٠٠) سنة وأنّه جدّد للناس دينهم، وحمل الآيات القرآنية الّتي نزلت في المشركين على أهل التوحيد كقوله تعالى: ﴿**وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللهِ مَنْ لا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلى يَوْمِ الْقِيامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعائِهِمْ غافِلُونَ**﴾[1] وكقوله تعالى: ﴿**وَلا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللهِ ما لا يَنْفَعُكَ وَلا يَضُرُّكَ**﴾[2] وكقوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ**﴾[3] وأمثال هذه الآيات في القرآن كثيرة، فقال محمد بن عبد الوهاب: «من استغاث بالنبيّ ﷺ أو بغيره من الأنبياء والأولياء والصالحين أو ناداه أو سأله الشفاعة فإنّه مثل هؤلاء المشركين ويدخل في عموم هذه الآيات، وجعل زيارة قبر النبي ﷺ وغيره من الأنبياء والأولياء والصالحين مثل ذلك».

وقال في قوله تعالى حكايةً عن المشركين في عبادة الأصنام ﴿**ما نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونا إِلَى اللهِ زُلْفى**﴾[4]: «إنّ المتوسّلين مثل هؤلاء المشركين الذين

---

١ . الأحقاف: ٥.

٢ . يونس: ١٠٦.

٣ . الرعد: ١٤.

٤ . الزمر: ٣.

يقولون: ﴿ما نَعْبُدُهُمْ إلاّ لِيُقَرِّبُونا إِلَى الله زُلْفى﴾».

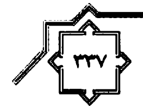
قال: «فإنّ المشركين ما اعتقدوا في الأصنام أنها تخلق شيئاً بل يعتقدون أن الخالق هو الله تعالى بدليل قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللهُ﴾[١] و ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللهُ﴾[٢] فما حكم الله عليهم بالكفر والإشراك إلا لقولهم ليقربونا إلى الله زلفى فهؤلاء مثلهم، ومما ردوا به عليه في الرسائل المؤلفة للرد عليه أن هذا استدلال باطل فإن المؤمنين ما اتخذوا الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ولا الأولياء آلهة وجعلوهم شركاء لله بل إنهم يعتقدون أنّهم عبيد الله مخلوقون ولا يعتقدون أنهم مستحقون العبادة. وأما المشركون الذين نزلت فيهم هذه الآيات فكانوا يعتقدون استحقاق أصنامهم الألوهية ويعظمونها تعظيم الربوبية وإن كانوا يعتقدون أنها لا تخلق شيئاً، وأما المؤمنون فلا يعتقدون في الأنبياء والأولياء استحقاق العبادة والألوهية ولا يعظمونهم تعظيم الربوبية بل يعتقدون أنهم عباد الله وأحباؤه الذين اصطفاهم واجتباهم وببركتهم يرحم عباده فيقصدون بالتبرك بهم رحمة الله تعالى، ولذلك شواهد كثيرة من الكتاب والسنة. فاعتقاد المسلمين أنّ الخالق الضارّ والنافع المستحقّ العبادة هو الله وحده ولا يعتقدون التأثير لأحد سواه، وأن الأنبياء والأولياء لا يخلقون شيئا ولا يملكون ضرّاً ولا نفعاً، وإنما يرحم الله العباد ببركتهم، فاعتقاد المشركين استحقاق أصنامهم العبادة والألوهية هو الذي أوقعهم في الشرك، لا مجرّد قولهم: ﴿ما نَعْبُدُهُمْ إلاّ لِيُقَرِّبُونا إِلَى الله﴾[٣] لأنّهم لـمّا أقيمت عليهم الحجة بأنّها لا تستحقّ العبادة وهم يعتقدون استحقاقها العبادة قالوا معتذرين: ﴿ما نَعْبُدُهُمْ إلاّ لِيُقَرِّبُونا إِلَى الله زُلْفى﴾ فكيف يجوز لابن عبد

---

١. الزخرف: ٨٧.

٢. الزمر: ٣٨.

٣. الزمر: ٣.



الوهاب ومن تبعه أن يجعلوا المؤمنين الموحّدين مثل أولئك المشركين الذين يعتقدون ألوهية الأصنام؟ فجميع الآيات المتقدمة وما كان مثلها خاصّ بالكفّار والمشركين ولا يدخل فيه أحد من المؤمنين.

روى البخاري عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ في وصف الخوارج أنهم انطلقوا إلى آيات نزلت في الكفار فحملوها على المؤمنين، وفي رواية عن ابن عمر أيضاً أنه ﷺ قال: **«أخوف ما أخاف على أمتي رجل يتأول القرآن يضعه في غير موضعه»**[1] فهو وما قبله صادق على هذه الطائفة ولو كان شئ مما صنعه المؤمنون من التوسل وغيره شركاً ما كان يصدر من النبي ﷺ وأصحابه وسلف الأمة وخلفها ففي الأحاديث الصحيحة أنه ﷺ كان من دعائه: **«اللّهم إنّي أسألك بحقّ السائلين عليك»**[2] وهذا توسلٌ لا شك فيه وكان يعلّم هذا الدعاءَ أصحابَه ويأمرهم بالإتيان به، وبسطُ ذلك طويلٌ مذكور في الكتب وفي الرسائل الّتي في الرد على ابن عبد الوهاب.

وصحّ عنه أنّه ﷺ لـمّا ماتت فاطمة بنت أسد أمّ علي رضي الله عنهما ألحدها ﷺ في القبر بيده الشريفة وقال: **«اللّهم اغفر لأمّي فاطمة بنت أسد ووسّع عليها مدخلها بحقّ نبيّك والأنبياء الّذين من قبلي إنّك أرحم الراحمين»**[3].

وصحّ أنّه ﷺ سأله أعمى أن يردّ الله بصره بدعائه فأمره بالطهارة وصلاة ركعتين ثم يقول: **«اللّهم إنّي أسألك وأتوجّه إليك بنبيّك محمّد نبيّ الرحمة يا محمّد إنّي أتوجّه بك إلى ربّي في حاجتي لتقضى اللّهم شفّعه فيَّ»**[4]، ففعل فرد الله عليه بصره.

---

١ . المعجم الأوسط، ج٢، ص٢٤٢، ح١٨٦٥.

٢ . سنن ابن ماجه، ج١، ص٢٥٦، ح٧٧٨.

٣ . المعجم الأوسط، ج١، ص٦٧، ح١٨٩.

٤ . سنن الترمذي، ج٥ ص٤٦١ ح٣٥٧٨.



وصحّ أنّ آدم عليه السلام توسّل بنبينا ﷺ حين أكل من الشجرة لأنّه لـمّا رأى اسمه ﷺ مكتوباً على العرش وعلى غرف الجنّة وعلى جباه الملائكة سأل عنه فقال الله له:«**هذا ولد من أولادك لولاه ما خلقتك**»، فقال: «**اللّهم بحرمة هذا الولد ارحم هذا الوالد**»، فنودي: «**يا آدم لو تشفّعت إلينا بمحمّد في أهل السماء والأرض لشفّعناك**»[1].

وتوسّل عمر بن الخطاب بالعباس رضي الله عنه لـمّا استسقى الناس، وغير ذلك مما هو مشهور فلا حاجة إلى الإطالة بذكره.

والتوسل الذي في حديث الأعمى قد استعمله الصحابة والسلف بعد وفاته ﷺ وفيه لفظ:«**يا محمّد**»وذلك نداءٌ عند التوسّل، ومن تتبّع كلام الصحابة والتابعين يجد شيئاً كثيراً من ذلك:

كقول بلال بن الحارث الصحابي رضي الله عنه عند قبر النبي ﷺ «**يا رسول الله إستسق لأمتك**»[2].

كالنداء الوارد عن النبي ﷺ عند زيارة القبور.

وممن ألف في الرد على ابن عبد الوهاب أكبر مشايخه وهو الشيخ محمد بن سليمان الكردي مؤلف حواشي شرح ابن حجر على المتن فقال من جملة كلامه: «يا ابن عبد الوهاب إني أنصحك لله تعالى أن تكفّ لسانك عن المسلمين فإن سمعت من شخص أنه يعتقد تأثير ذلك المستغاث به من دون الله فعرفه الصواب وأبن له الأدلة على أنه لا تأثير لغير الله فإن أبى فكفره حينئذ بخصوصه ولا سبيل لك إلى تكفير السواد الأعظم من المسلمين، وأنت شاذ عن السواد الأعظم فنسبة الكفر إلى من شذ عن السواد الأعظم أقرب؛ لأنه اتبع غير سبيل

---

١ . فتوح الشام، ج٢ ص٧٤.

٢ . المصنّف في الحديث والآثار، ج٦، ص٣٥٦، ح٣٢٠٠٢.



المؤمنين قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُشاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ ما تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبيلِ الْمُؤْمِنينَ نُوَلِّهِ ما تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَساءَتْ مَصيراً﴾[1] وإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية».

وأما زيارة قبر النبي ﷺ فقد فعلها الصحابة ﵃ ومن بعدهم من السلف والخلف وجاء في فضلها أحاديث أفردت بالتأليف.

ومما جاء في النداء لغير الله تعالى من غائب وميت وجماد قوله ﷺ: **«إذا أفلتت دابة أحدكم بأرض فلاة فليناد يا عباد الله احبسوا فإن لله عبادا يجيبونه»**[2].

وفي حديث آخر: **«إذا أضل أحدكم شيئاً أو أراد عوناً وهو بأرض ليس فيها أنس فليقل: «ياعباد الله أعينوني ـ وفي رواية: «أغيثوني» ـ فإن لله عباداً لا تروهم»**[3].

وكان النبي ﷺ إذا سافر فأقبل الليل قال: **«يا أرض ربي وربك الله»**[4].

وكان ﷺ إذا زار قال: **«السلام عليكم يا أهل القبور»**[5].

وفي التشهّد الذي يأتي به كلّ مسلم في كل صلاة صورة النداء في قوله: **«السلام عليك أيّها النبيّ»**[6].

والحاصل: أن النداء والتوسل ليس في شئ منهما ضرر إلّا إذا اعتقد التأثير لمن ناداه أو توسّل به، ومتى كان معتقداً أنّ التأثير لله لا لغير الله فلا ضرر في ذلك، وكذلك إسناد فعل من الأفعال لغير الله لا يضرّ إلّا إذا اعتقد التأثير،

---

١ . النساء: ١١٥.

٢ . المعجم الكبير، ج١٠، ص٢١٧، ح١٠٥١٨.

٣ . نفس المصدر، ج١٧، ص١١٧، ح٢٩٠.

٤ . سنن ابى داود، ج٣، ص٣٤، ح٢٦٠٣.

٥ . سنن الترمذى، ج٢، ص٣٦٠، ح١٠٥٣.

٦ . صحيح البخاري، ج١، ص١٦٦، ح٨٣١.



ومتى لم يعتقد التأثير فإنّه يحمل على المجاز العقلي كقوله: «نفعني هذا الدواء أو فلان الولي»، فهو مثل قوله: «أشبعني هذا الطعام، وأرواني هذا الماء، وشفاني هذا الدواء» فمتى صدر ذلك من مسلم فإنه يحمل على الإسناد المجازي والإسلام قرينة كافية في ذلك فلا سبيل إلى تكفير أحد بشيء من ذلك، ويكفي هذا الذي ذكرناه إجمالاً في الرد على ابن عبد الوهاب، ومن أراد بسط الكلام فليرجع إلى الرسائل المؤلفة في ذلك وقد لخصت ما فيها في رسالة مختصرة فينظرها من أرادها.

ولـمّا قام ابن عبد الوهاب ومن أعانه بدعوتهم الخبيثة التي كفّروا بسببها المسلمين ملكوا قبائل الشرق قبيلة بعد قبيلة، ثم اتّسع ملكهم فملكوا اليمن والحرمين وقبائل الحجاز وبلغ ملكهم قريباً من الشام فإنّ ملكهم وصل إلى المزيريب وكانوا في ابتداء أمرهم أرسلوا جماعة من علمائهم ظنا منهم أنهم يفسدون عقائد علماء الحرمين ويدخلون عليهم الشبهة بالكذب والمين، فلما وصلوا إلى الحرمين وذكروا لعلماء الحرمين عقائدهم وما تمّلكوا به رد عليهم علماء الحرمين وأقاموا عليهم الحجج والبراهين التي عجزوا عن دفعها، وتحقق لعلماء الحرمين جهلهم وضلالهم ووجدوهم ضحكة ومسخرة، كحمر مستنفرة، فرّت من قَسْورة، ونظروا إلى عقائدهم فوجدوها مشتملة على كثير من المكفّرات، فبعد أن أقاموا البرهان عليهم كتبوا عليهم حجّة عند قاضي الشرع بمكة تتضمّن الحكم بكفرهم بتلك العقائد؛ ليشتهر بين الناس أمرُهم، فيعلم بذلك الأوّل والآخر، وكان ذلك في مدّة إمارة الشريف مسعود بن سعيد بن سعد بن زيد المتوفّى سنة خمس وستّين ومائة وألف(١١٦٥هـ)، وأمر بحبس أولئك الملحدة فحبسوا وفرّ بعضهم إلى الدرعية، فأخبرهم بما شاهدوا فازدادوا عُتواً واستكباراً، وصار أمراء مكّة بعد ذلك يمنعون وصولهم للحجّ فصاروا



يغيرون على بعض القبائل الداخلين تحت طاعة أمير مكّة ثمّ انتشب القتال بينهم وبين أمير مكّة مولانا الشريف غالب بن مساعد بن سعيد بن سعد بن زيد وكان ابتداء القتال بينهم وبينه من سنة خمس بعد المائتين والألف(١٢٠٥هـ) ووقع بينهم وبينه وقائع كثيرة، قتل فيها خلائق كثيرون ولم يزل أمرهم يقوى وبدعتهم تنتشر إلى أن دخل تحت طاعتهم أكثر القبائل والعربان الذين كانوا تحت طاعة أمير مكة. وفي سنة سبع عشرة بعد المائتين والألف(١٢١٧هـ) ساروا بجيوش كثيرة حتى نازلوا الطائف وحاصروا أهله في شهر ذي القعدة من السنة المذكورة، ثم تملكوه وقتلوا أهله رجالاً ونساءً وأطفالاً ولا نجا منهم إلا القليل، ونهبوا جميع أموالهم ثم أرادوا المسير إلى مكة فعلموا أنّ مكّة في ذلك الوقت فيها كثير من الحجاج ويقدم إليها الحاج الشامي والمصري فيخرج الجميع لقتالهم فمكثوا في الطائف إلى أن انقضى شهر الحج وتوجه الحجاج إلى بلادهم، وساروا بجيوشهم يريدون مكة ولم يكن للشريف غالب قدرةٌ على قتال جيوشهم فنزل إلى جدّة فخاف أهل مكّة أن يفعل الوهابيّة معهم مثل ما فعلوا مع أهل الطائف فأرسلوا إليهم وطلبوا منهم الأمان لأهل مكّة فأعطوهم الأمان ودخلوا مكّة ثامن محرم من السنة الثامنة عشرة بعد المائتين والألف (١٢١٨هـ) ومكثوا أربعة عشر يوماً يستتيبون الناس ويجدّدون لهم الإسلام على زعمهم ويمنعونهم من فعل ما يعتقدون أنّه شرك كالتوسّل وزيارة القبور، ثمّ ساروا بجيوشهم إلى جدّة لقتال الشريف غالب فلمّا أحاطوا بجدة رمى عليهم بالمدافع والقلل، فقتل كثيراً منهم ولم يقدروا على تملّك جدّة فارتحلوا بعد ثمانية أيام ورجعوا إلى بلادهم وجعلوا لهم عسكراً بمكّة وأقاموا لهم أميراً فيها وهو الشريف عبدالمعين أخو الشريف غالب وإنما قبل أمرهم ليرفق بأهل مكّة ويدفع ضرر أولئك الأشرار عنهم، وفي شهر ربيع الأوّل من السنة المذكورة سار الشريف غالب من جدّة

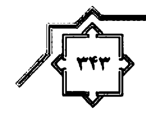


ومعه والي جدة من طرف السلطنة العلية وهو شريف باشا ومعهما العساكر فوصلوا إلى مكة وأخرجوا من كان بها من عساكر الوهابية ورجعت إمارة مكة للشريف غالب ثم بعد ذلك تركوا مكّة واشتغلوا بقتال كثير من القبائل وصار الطائف بأيديهم وجعلوا عليه أميرا (عثمان المضايفي) فصار هو وبعض جنودهم يقاتلون القبائل التي في أطراف مكة والمدينة ويدخلونهم في طاعتهم حتى استولوا عليهم وعلى جميع الممالك التي كانت تحت طاعة أمير مكة فتوجّه قصدهم بعد ذلك للاستيلاء على مكّة فساروا بجيوشهم سنة عشرين وحاصروا مكّة وأحاطوا بها من جميع الجهات وشدّدوا الحصار عليها وقطعوا الطرق ومنعوا الميرة[1]عن مكّة فاشتدّ الحصار على أهل مكّة حتّى أكلوا الكلاب لشدّة الغلاء وعدم وجود القوت فاضطرّ الشريف غالب إلى الصلح معهم وتأمين أهل مكّة فوسط أناساً بينه وبينهم فعقدوا الصلح على شروطٍ فيها رفق بأهل مكّة، فمن تلك الشروط أنّ إمارة مكّة تكون له فتمّ الصلح ودخلوا مكّة في أواخر ذي القعدة سنة عشرين وتملكوا المدينة المنوّرة ـ على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ـ وانتهبوا[2]الحجرة وأخذوا ما فيها من الأموال، وفعلوا أفعالاً شنيعة، وجعلوا على المدينة أميراً منهم «مبارك بن مضيان»، واستمرّ حكمهم في الحرمين سبع سنين ومنعوا دخول الحجّ الشامي والمصري مع المحامل مكة، وصاروا يصنعون للكعبة المعظمة ثوبا من العباء القيلان الأسود، وأكرهوا الناس على الدخول في دينهم ومنعوهم من شرب التنباك ومن فَعَل ذلك واطّلعوا عليه وعزّروه بأقبح التعزير، وهدموا القبب التي على قبور الأولياء. وكانت الدولة

---

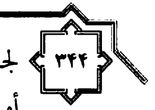
١ . الميرة بالكسر فالسكون: «طعام يمتاره الإنسان أي يجلبه من بلد إلى بلد». مجمع البحرين، ج٣، ص٤٨.

٢ . الانْتِهابُ: «أن يأْخُذَه مَنْشاء». لسان العرب، ج١، ص: ٧٧.



العثمانية في تلك السنين في ارتباك كثير وشدة قتال مع النصارى وفي اختلاف في خلع السلاطين وقتلهم كما سنقف عليه إن شاء الله تعالى.

ثمّ صدر الأمر السلطاني لصاحب مصر محمد علي باشا بالتجهيز لقتال الوهابية وكان ذلك في سنة ١٢٢٦هـ فجهز محمد علي باشا جيشا فيه عساكر كثيرة جعل عليهم بفرمان سلطان ولده طوسون باشا فخرجوا من مصر في رمضان من السنة المذكورة ولم يزالوا سائرين برا وبحرا حتى وصلوا إلى ينبع فملكوه من الوهابية، ثم لما وصلت العساكر إلى الصفرا والحديدة وقع بينهم وبين العرب الذين في الحربية قتال شديد بين الصفرا والحديدة وكانت تلك القبائل كلها في طاعة الوهابي وانضم إليها قبائل كثيرة فهزموا ذلك الجيش وقتلوا كثيرا منهم وانتهبوا جميع ما كان معهم وكان ذلك في شهر ذي الحجة سنة (١٢٢٦هـ) ولم يرجع من ذلك الجيش إلى مصر إلّا القليل، فجهّز جيشاً غيره سنة سبع وعشرين (١١٢٧هـ) وعزم محمد علي باشا على التوجّه إلى الحجاز بنفسه وتوجّهت العساكر قبله في شعبان في غاية القوة والاستعداد وكان معهم من المدافع ثمانية عشر مدفعاً وثلاثة قنابل فاستولت العساكر على ما كان بيد الوهابية وملكوا الصفراء والحديدة وغيرهما في رمضان بلا قتال بل بالمخادعة ومصانعة العرب بإعطاء الدراهم الكثيرة حتى أنهم أعطوا شيخ مشايخ حرب مائة ألف ريال وأعطوا شيخا من صغار مشايخ حرب أيضا ثمانية عشر ألف ريال ورتبوا لهم علائف تصرف لهم كل شهر، وكان ذلك كله بتدبير شريف مكة الشريف غالب وهو في الظاهر تحت طاعة الوهابي، وأما المرة الأولى التي هزموا فيها فلم يكونوا كاتبوا الشريف غالب في ذلك حتى يكون الأمر بتدبيره ودخلت العساكر المدينة المنورة في أواخر ذي القعدة، ولما جاءت الأخبار إلى مصر صنعوا زينة ثلاثة أيام وأكثروا من الشنك وضرب المدافع وأرسلوا بشائر



لجميع ملوك الروم واستولت العساكر السائرة من طريق البحر على جدة في أوائل المحرم سنة ثمان وعشرين ثم طلعوا إلى مكة واستولوا عليها أيضا، وكل ذلك بلا قتال بتدبير الشريف سرا، ولما وصلت العساكر إلى جدة فر من كان بمكة من عساكر الوهابية وأمرائهم، وكان سعود أمير الوهابية حج في سنة سبع وعشرين ثم ارتحل إلى الطائف، ثم إلى الدرعية ولم يعلم باستيلاء العساكر السلطانية على المدينة إلا بعد ذلك ثم لما وصل إلى الدرعية علم باستيلائهم على مكة ثم الطائف ولما وصلت العساكر إلى جدة ومكة فر من الطائف أميرها عثمان المضايفي وفر من كان بها من عساكر الوهابية وأمرائهم. وفي شهر ربيع الأول من سنة ثمان وعشرين (١١٢٨هـ) أرسل محمد علي باشا مبشرين إلى دار السلطنة ومعهم المفاتيح وكتبوا إليهم أنها مفاتيح مكة والمدينة وجدة والطائف فدخلوا بها دار السلطنة بموكب حافل ووضعوا المفاتيح على صفائح الذهب والفضة وأمامهم البخورات في مجامر الذهب والفضة وخلفهم الطبول والزمور وعملوا لذلك زينة وشنكا ومدافع وخلعوا على من جاء بالمفاتيح وزادوا في رتبة محمد علي باشا وبعثوا له أطواخا وعدة أطواخ بولايات لمن يختار تقليده، وفي شهر شوال سنة ثمان وعشرين(١٢٢٨هـ) توجه محمد علي باشا بنفسه إلى الحجاز وقبل توجهه من مصر قبض الشريف غالب على عثمان المضايفي الذي كان أميراً على الطائف للوهابية، وكان من أهل أكبر أعوانهم وأمرائهم فزنجره بالحديد وبعثه إلى مصر فوصل في ذي القعدة بعد توجه الباشا إلى الحجاز ثم أرسل إلى دار السلطنة فقتلوه ووصل محمد علي باشا في ذي القعدة إلى مكة وقبض على الشريف غالب ابن مساعد وبعثه إلى دار السلطنة وأقام لشرافة مكة ابن أخيه الشريف يحيى بن سرور بن مساعد، وفي شهر محرم من سنة (١٢٢٩هـ) بعثوا إلى السلطنة مبارك بن مضيان الذي كان أميرا على المدينة



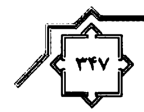
المنورة للوهابية فطافوا به في القسطنطينية في موكب ليراه الناس ثم قتلوه وعلقوا رأسه على باب السرايا وفعل مثل ذلك بعثمان المضايفي، وأما الشريف غالب فأرسلوه إلى سلانيك ويقي بها مكرما إلى أن توفي سنة إحدى وثلاثين(١٢٣١هـ) ودفن بها وبني عليه قبة تزار، ومدة إمارته على مكة ست وعشرون(٢٦) سنة.

ثم إن محمد علي باشا وجه كثيرا من العساكر إلى تربة وبيشة وبلاد غامد وزهران وبلاد عسير لقتال طوائف الوهابية وقطع دابرهم ثم سار بنفسه في أثرهم في شعبان سنة تسع وعشرين (١٢٢٩هـ) ووصل إلى تلك الديار وقتل كثيرا منهم وأسر كثيرا وخرب ديارهم، وفي شهر جمادى الأولى سنة تسع وعشرين(١٢٢٩هـ) هلك سعود أمير الوهابية وقام بالملك بعده ولده عبد الله ورجع محمد علي باشا من تلك الديار التي وصلها من ديار الوهابية عند إقبال الحج وحج ومكث بمكة إلى رجب سنة ثلاثين ثم توجه إلى مصر وترك بمكة حسن باشا ووصل الباشا إلى مصر في منتصف رجب سنة ثلاثين ومائتين وألف(١٢٣٠هـ) فتكون إقامته بالحجاز سنة وسبعة أشهر، وما رجع إلى مصر إلّا بعد أن مهّد أمور الحجاز، وأباد طوائف الوهابية التي كانت منتشرة في جميع قبائل الحجاز والشرق وبقي منهم بقية بالدرعية أميرهم عبدالله بن سعود فجهز محمد علي باشا لقتاله جيشا وأرسله تحت قيادة ابنه إبراهيم باشا، وكان عبد الله بن سعود قبل ذلك يكاتب مع طوسون باشا بن محمد علي باشا حين كان بالمدينة وعقد معه صلحا على بقاء إمارته ودخوله تحت طاعة محمد علي باشا فلم يرض محمد علي باشا بهذا الصلح فجهز ولده إبراهيم باشا وجعل أمر العساكر إليه، وكان ابتداء ذلك في أواخر سنة إحدى وثلاثين (١٢٣١هـ) فوصل إلى الدرعية سنة اثنتين وثلاثين (١٢٣٢هـ) ونازل بجيوشه عبد الله بن سعود في ذي القعدة



سنة (١٢٣٣هـ)، ولما جاءت الأخبار إلى مصر ضربوا لذلك ألف مدفع وفعلوا شنكا وزينوا مصر وقراها سبعة أيام.

وكان محمد علي باشا له اهتمام كبير في قتال الوهابية وأنفق في ذلك خزائن من الأموال حتى أخبر بعض من كان يباشر خدمته أنهم دفعوا في دفعة من الدفعات لأجرة تحميل بعض الذخائر خمسة وأربعين ألف ريال (٤٥٠٠٠) هذا في مرة من المرات كان ذلك الحمل من الينبع إلى المدينة عن أجرة كل بعير ست ريالات، دفع نصفها أمير ينبع والنصف الآخر أمير المدينة وعند وصول الحمل من المدينة إلى الدرعية كان أجر تلك الحملة فقط مائة وأربعين ألف ريال وقبض إبراهيم باشا، على عبد الله بن سعود وبعث به وكثير من أمرائهم إلى مصر فوصل في سابع عشر محرم سنة أربع وثلاثين (١٣٣٤هـ) وصنعوا له موكبا حافلا يراه الناس وأركبوه على هجين وازدحم الناس للتفرج عليه، ولما دخل على محمد علي باشا قام له وقابله بالبشاشة وأجلسه بجانبه وحادثه، وقال له الباشا: «ما هذه المطاولة؟»، فقال:«الحرب سجال» قال:«وكيف رأيت ابني إبراهيم باشا» قال: «ما قصر وبذل همته ونحن كذلك حتى كان ما قدره الله تعالى»، فقال له الباشا: «أنا أترجى فيك عند مولانا السلطان» فقال: «المقدر يكون»، ثم ألبسه خلعة وأنصرف إلى بيت إسماعيل باشا ببولاق، وكان بصحبة عبد الله ابن سعود صندوق صغير مصفح فقال الباشا له:«ما هذا ؟»، فقال:«هذا ما أخذه أبي من الحجرة أصحبه معي إلى السلطان»، فأمر الباشا بفتحه فوجدوا فيه ثلاثة مصاحف من خزائن الملوك لم ير الراؤون أحسن منها ومعها ثلاثمائة حبة من اللؤلؤ الكبار وحبة زمرد كبيرة وشريط من الذهب، فقال له الباشا: «الذي أخذتموه من الحجرة أشياء كثيرة غيرهذا»، فقال: «هذا الذي وجدته عند أبي، فإنّه لم يستأصل كلّ ما كان في الحجرة لنفسه بل أخذه العرب وأهل المدينة



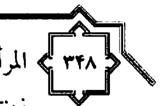
وأغاوات الحرم وشريف مكة»، فقال الباشا: «صحيح وجدنا عند الشريف أشياء من ذلك» ثمّ أرسلوا عبد الله بن سعود إلى دار السلطنة ورجع إبراهيم باشا من الحجاز إلى مصر في شهر المحرم من سنة (١٣٣٥هـ) بعد أن أخرب الدرعية خرابا كليا حتى تركوا سكناها. ولما وصل عبد الله بن سعود إلى دار السلطنة في شهر ربيع الأول طافوا به البلد ليراه الناس ثم قتلوه عند باب همايون وقتلوا أتباعه أيضا في نواح متفرقة.

هذا حاصل ما كان في قصة الوهابي بغاية الاختصار ولو بسط الكلام في كل قضية لطال، وكانت فتنتهم من المصائب التي أصيب بها أهل الإسلام فإنّهم سفكوا كثيراً من الدماء، وانتهبوا كثيراً من الأموال، وعمّ ضررهم، وتطاير شررهم فلا حول ولا قوة إلّا بالله، وكثير من أحاديث النبي ﷺ فيها التصريح بهذه الفتنة كقوله ﷺ: **«يخرج أناس من قبل المشرق يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية سيماهم التحليق»**[1] وهذا الحديث جاء بروايات كثيرة بعضها في صحيح البخاري وبعضها في غيره لا حاجة لنا إلى الإطالة بنقل تلك الروايات ولا لذكر من خرجها لأنّها صحيحة مشهورة، ففي قوله: **«سيماهم التحليق»** تصريح بهذه الطائفة؛ لأنهم كانوا يأمرون كلّ من اتبعهم أن يحلق رأسه ولم يكن هذا الوصف لأحد من طوائف الخوارج والمبتدعة الذين كانوا قبل زمن هؤلاء، وكان السيد عبد الرحمن الأهدل مفتي زبيد يقول: «لا حاجة إلى التأليف في الرد على الوهابية بل يكفي في الرد عليهم قوله ﷺ: **«سيماهم التحليق»** فإنه لم يفعله أحد من المبتدعة غيرهم.

واتفق مرة أنّ امرأة أقامت الحجة على ابن الوهاب لما أكرهوها على أتباعهم ففعلت، أمرها ابن عبد الوهاب أن تحلق رأسها فقالت له: «حيث أنّك تأمر

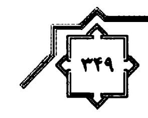
---

١ . صحيح البخاري، ج٩، ص١٦٢، ح٧٥٦٢.



المرأة بحلق رأسها ينبغي لك أن تأمر الرجل بحلق لحيته؛ لأن شعر رأس المرأة زينتها وشعر لحية الرجل زينته» فلم يجد لها جوابا.

ومما كان منهم أنهم يمنعون الناس من طلب الشفاعة من النبي ﷺ مع أن أحاديث شفاعة النبي ﷺ لأمّته كثيرة متواترة وأكثر شفاعته لأهل الكبائر من أمته وكانوا يمنعون من قراءة دلائل الخيرات المشتملة على الصلاة على النبي ﷺ وعلى ذكرها كثير من أوصافه الكاملة ويقولون إن ذلك شرك ويمنعون من الصلاة عليه ﷺ على المنابر بعد الأذان حتى أنّ رجلاً صالحاً كان أعمى، وكان مؤذناً وصلّى على النبي ﷺ بعد الأذان بعد أن كان المنع منهم، فأتوا به إلى ابن عبد الوهاب فأمر به أن يقتل فقتل، ولو تتبعت لك ما كانوا يفعلونه من أمثال ذلك لملأت الدفاتر والأوراق وفي هذا القدر كفاية والله سبحانه وتعالى أعلم.



المصادر

سنن ابن ماجه: ابن ماجه القزويني، محمّد بن يزيد (م ٢٧٣)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية.

سنن أبي داود: ابو داود السجستاني، سليمان بن الاشعث (م ٢٧٥)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت.

سنن الترمذي: الترمذي، محمّد بن عيسي (م ٢٧٩)، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٨م.

صحيح البخاري: البخاري، محمّد بن إسماعيل (م ٢٥٦)، تحقيق: محمد زهير بن ناصر، دار طوق النجاة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

فتوح الشام: الواقدي، محمد بن عمر (م ٢٠٧)، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ.

المصنّف في الأحاديث والآثار: ابن أبي شيبه، عبد الله بن محمّد (م ٢٣٥)، تحقيق: كمالي وسف الحوت، مكتبة الرشد، الطبعة الأولى، الرياض، ١٤٠٩هـ.

المعجم الأوسط: الطبراني، سليمان بن أحمد (م ٣٦٠)، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد؛ عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، القاهرة.

المعجم الكبير: الطبراني، سليمان بن أحمد (م ٣٦٠)، تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، الطبعة الثانية.





مع مقدمة وهبي

و مقالات شيخ يوسف الدجوي

المؤلف

محمد زاهد الكوثري



محمد زاهد الكوثري رحمه الله

١ ـ اسمه و نسبه:

هو العالم العلامة المحدث الفقيه الحجة الثبت، المؤرخ النقادة محمد بن زاهد بن الحسن الحلمى الكوثرى نسبة إلى قبيلة جركسية تسمى الكوثر.

هاجر أبواه الشيخ زاهد رحمه الله من بلاد القوقاس فرارا بدينه من ظلم الروس الذين احتلوا بلاده، فنزل عاصمة الخلافة الإسلامية، و ابتنى قريبا منها قرية سميت فيها بعد (دوزجة). و بها ولد شيخنا الكوثرى مع أذان فجر الثلاثاء ٢٧ شوال سنة ١٢٩٦هـ.

٢ ـ نشأته العلمية:

ولد فى بيت علم و دين، فوفقه الله تعالى إلى طلب العلم، فقد درس على والده الشيخ زاهد رحمه الله، و به كان عظم انتفاعه، و قد بارك الله تعالى فى عمر الشيخ زاهد فعمر مائة عام، و مات سنة ١٣٤٥هـ. و درس على غيره من شيوخ قريته.

و حين بلغ الخامسة عشر من عمره جاء الآستانة فنزل دار الحديث بها، و قد درس على كثيرين فى مسجد السلطان محمد الفاتح، منهم الشيخ إبراهيم الحقى الران رحمه الله توفى سنة ١٣١٨هـ و منهم الشيخ زين العابدين الألصونى رحمه الله



المتوفى ١٣٢٦هـ و آخرين إلى أن تخرج عليه سنة ١٣٣٢هـ. وانظر ترجمة شيوخه في (التحرير الوجيز فيما يبتغيه المستجير) و هو مطبوع.

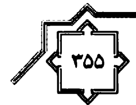
و في التاسعة و العشرين من عمره وذلك سنة ١٣٢٥هـ نال الشهادة العلمية و اشتغل بالتدريس في جامعة الفاتح إلى أوائل الحرب العالمية الأولى، و قد بارك الله تعالى في وقته و في علمه فارتقى درجات العلم و الفضل إلى أن أصبح وكيل المشيخة الإسلامية في الدرس، و هذا المنصب يعادل منصب شيخ الأزهر الشريف في مصر.

و قد أخذ في تلك الفترة يصنف و يكتب، كما سيذكر بعد إن شاء الله تعالى.

٣ ـ هجرته:

و لما كان يهود (الدونمة) قد أوغلوا في الجيش الإسلامي التركي، و في التربية و الصحافة، و غير العرب من النصارى و الأرمن (خاصة) و اشتروا لهم عناصر من الأتراك و غيرهم، فقد أخذ أولئك يحددون العلوم الشرعية، و يضطهدون العلماء... إلى أن أسقطوا الخلافة الإسلامية والعياذ بالله، و نقض بناؤها على يد اليهودي قرصو و أمثاله، و لما كان المترجم له ممن حارب هذه الدعوات الغريبة عن الإسلام، فقد عزل عن وظيفته، ثم حكم عليه بالإعدام فخرج مهاجرا إلى الله و رسوله تاركا وراءه أهله و ماله، و راتبا يبلغ (٧٥) جنيها ذهبيا في الشهر.

و نزل مصر سنة ١٣٤١هـ، و لم يقم بها سنة، ثم هاجر إلى الشام مهاجر أبينا إبراهيم عليه و على نبينا الصلاة و السلام.

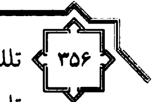


ثم عاد إلى مصر مرة أخرى، فسكن القاهرة، ثم عاود السفر إلى الشام فأقام بها قرابة سنة اطلع فيها على مخطوطات المكتبة الظاهرية و غيرها. و أخيرا عاد إلى مصر ليقيم بها إلى أن توفى ﷺ فى ١٩ ذى القعدة سنة ١٣٧١هـ عن (٧٥) سنة هجرية ممتعا بحواسه من سمع و بصر و عقل و وعى رحمه الله تعالى.

٤ـ أقوال بعض المعاصرين فيه:

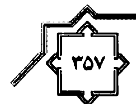
قال الشيخ محمد يوسف البنورى شيخ الحديث بدار العلوم الإسلامية بباكستان يصف مقالاته من كلام: و هذه خمس و خمسون مقالة بين طويلة و قصيرة كلها شاهد صدق على طول باع صاحبها فى جميع علوم الإسلام و مشاركته فى الفنون سائر علوم الإسلام، و براعة يترقرق خلالها مهارته البديعية و حسن تصرفه فى التعبيرات و التنبيه على مقاصد الشرع بكلام إمام محقق خبير بها فى الزوايا، بصير بها فى الخبايا، حكيم متغلغل فى غايات الدين و مبادئه، و أصول الدين الأساسية، عدة مقالات منها كلامية، و طائفة منها حديثية، و بعضها فى التفسير و القراءات، و بعضها فى الفقه و أصوله كلها يرمى إلى غاية سامية فى دين الإسلام، و يصادف الناظر فى كل منها شيئا طريفا بديعا إلخ.

و قال الشيخ محمد أبو زهرة ﷺ: لا أعرف عالما مات فخلا مكانه فى هذه السنين كما خلا مكان الإمام الكوثرى، لأنه بقية السلف الصالح الذين لم يجعلوا العلم مرتزقا، و لا سلما لغاية، بل كان هو منتهى الغايات، و أسمى مطارح أنظارهم فليس وراء علم الدين غاية يتفيأها مؤمن، و لا مرتقى يصل إليه عالم، لقد كان ﷺ عالما يتحقق فيه القول المأثور: «**العلماء ورثة الأنبياء**». و ما كان يرى تلك الوراثة شرفا فقط، ليفتخر به و يستطيل على الناس، إنما كان يرى



تلك الوراثة جهادا فى إعلان الإسلام، و بيان حقائقه، و إزالة الأوهام التى تلحق جوهره، فيبديه للناس صافيا مشرقا منيرا، فيعشوا الناس إلى نوره، و يهتدون بهديه، و إن تلك الوراثة تتقاضى العالم ان يجاهد كما جاهد النبيون، و يصبر على البأساء و الضراء كما صبروا، و أن يلقى العنت ممن يدعوهم إلى الحق و الهداية كما لقوا، فليست تلك الوراثة شرفا إلا لمن أخذ من أسبابها، و قام بحقها و عرف الواجب فيها، و كذلك كان الإمام الكوثرى ﷺ. إن ذلك الإمام الجليل لم يكن من المنتحلين لمذهب جديد، و لا من الدعاة إلى أمر بدى لم يسبق به، و لم يكن من الذين يسميهم الناس اليوم بسمة التجديد، بل كان ينفر منهم، فإنه كان متبعا و لم يكن مبتدعا، و لكنى مع ذلك أقول أنه كان من المجددين بالمعنى الحقيقى لكلمة التجديد، لأن التجديد ليس هو ما تعرفه الناس اليوم من خلع للربقة، ورد لعهد النبوة الأولى. إنما التجديد هو أن يعاد إلى الدين رونقه، و يزال عنه ما علق به من أوهام، و يبين للناس صافيا كجوهره نقيا كأصله، و إنه لمن التجديد أن تحيا السنة و تموت البدعة و يقوم بين الناس عمود الدين إلخ. و قال بعد كلام: و أشهد أنى سمعت ثناء من الكبراء و العلماء فما اعتززت بثناء أحد كما اعتززت بثناء ذلك الشيخ الجليل، لأنه وسام علمى ممن يملك إعطاء الوسام العلمى، إلخ و قال الشيخ محمد إسماعيل عبد رب النبى واعظ القاهرة: فى يوم الأحد التاسع عشر من ذى القعدة سنة ١٣٧١هـ، و بحى العباسية من ضواحى مصر.

توفى إلى رحمة الله تعالى العالم العالمى، و البحاثة اللوذعى، و المؤلف المحقق الراسخ فى العلم الواسع الأفق و المفسر العبقرى، و المناظر الذى لم يقهر قط فى حياته، و سيف الله المسلول على رقاب الملاحدة، و الفرق الضالة، و أقدر ناصر و مناضل عن السنة النبوية، و أبرع محارم و حارس للعقائد الدينية الصحيحة، و



صاحب المؤلفات القيمة الممتعة فى كل علم، و التعاليق البارعة فى شتى الفنون، و الذى انتهت إليه الزعامة فى علوم السنة المحمدية، و لا سيما فن الجرح و التعديل، اختلافها و أسباب تعددها و تطورها. ذلك هو العلامة صاحب السماحة و الفضيلة الأستاذ الشيخ محمد زاهد بن حسن الكوثرى وكيل المشيخة العثمانية سابقا. كان رحمه الله رحمة واسعة دمث الخلق، كريم الطبع، يزيده التواضع العلمى الساحر رفعة، و الإنصاف الأدبى مكانة، أشهد أنه كان يحب فى الله و يبغض فى الله، و كان يمثل جلال العلم و وقاره أروع تمثيل، و كان لبق الحديث يديره بمهارة فائقة. و إذا ما سئل فى معضلة أخذ يكشف الغامض من جوانبها، و يشرح حقيقتها شرح الخبير بأصولها و فروعها، العليم الملم بخوافيها و قوادمها، فى بيان فياض و قوة حجة، حتى أنه يرغم من السماع على الإنصاف التام، و يجتذب قلوب الجالس نحو بيانه و حديثه.

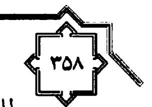
و كان قدس الله روحه، مهيب الطلعة كامل الرجولة حسن الصورة، جميل المعاشرة هاشا باشا عند اللقاء، كان يقول فلا يداجى، و ينطق فلا يحاجى و كان شجاعا فى الجهر بالحق، لا تأخذه فى الله لومة لائم، بل كانت شجاعته منقطعة النظير فى هذا العصر، و كان أمينا ثبتا فى العلم و النقل. إلخ[١].

٥ ـ مصنفاته:

بكر الكوثرى رحمه الله فى التصنيف، كتب و هو ما يزال فى عاصمة الخلافة (٢١) مصنفا، و كان أهمها عنده و آثرها لديه (المدخل لعلوم القرآن) و الذى كان يحمله معه، و كتبا أخرى نادرة، فانقلب المركب البحرى الذى يستقله و كاد يغرق، سلم الشيخ، و ذهبت الكتب، و الحمد لله على كل حال.

---

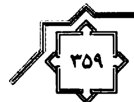
١ . من مقدمة (مقالات الكوثرى) جمع الأستاذ أحمد خيرى.



و من تلك الكتب التى ألفها فى تلك المرحلة من حياته: نقد كتاب الضعفاء للعقيلى، التعقب الحثيث لما ينفيه ابن تيمية من الحديث، البحوث الوفية فى مفردات ابن تيمية، و جميعها مخطوطة، و ربما مفقودة، و كتب بعد الهجرة (٣١) كتابا كان أولها فى مصر: دفع الريبة من تخبطات ابن قتيبة، و هو مخطوط و كان منها كتب فى موضوعات إسلامية مختلفة تدعو الحاجة إليها، يرد على كاتب، أو ينقد زعما، أو يدفع باطلا. فحين زعم الشيخ محمود شلتوت أن عيسى ﷺ قد مات و رفعت روحه إلى السماء، إلخ و هو معتقد القاديانية كتب: (نظرة عابرة فى مزاعم من ينكر نزول عيسى ﷺ) و هو مطبوع. و حين كتب أحمد شاكر كتابه نظام الطلاق، و فيه ما ينكره جماهير العلماء بحق، كتب: (الأشفاق على أحكام الطلاق) و هو مطبوع.

و حين طبع بعض الهنود بمساعدة أحد الأثرياء العرب مقطع كتاب المصنف لابن أبى شيبة و هو ما زعم فيه مخالفة أبى حنيفة للحديث، ألف ﷺ: (النكت الطريفة فى التحدث عن ردود ابن أبى شيبة على أبى حنيفة) و هو أجود كتب الرجل و أفضلها علما فى روايات الحديث و الجمع بينهما على أدب فى القول يفتقده كثير من علماء العصر. و حين أريد نشر تاريخ بغداد للخطيب، و فيه تقول حول أبى حنيفة ﷺ ثار الأزهر الشريف على ذلك فكلف الشيخ الكوثرى أن يعلق عليه بما يتيسر، و أن يطبع مع التاريخ (السهم المصيب فى كبد الخطيب) ففعل هو ذلك، ثم نشر كتابه (تأنيب الخطيب على ما ساقه فى ترجمة أبى حنيفة من الأكاذيب) فى كتاب مستقل.

و حين ظهرت كتب بعض المشبهة، و فيها وصف الله تعالى بما لا يليق به، من حلول الحوادث به سبحانه، و غير ذلك كتب (فصل المقال فى بحث أسطورة الأوعال) و قد سبقه إلى مثله الحافظ ابن عساكر بكتابه (تبيان الوهم و



التخليط فيما أخرجه أبو داود من حديث الأطيط). و حين ظهرت نونية ابن القيم، و فيها ما ينافى تنزيه الله تعالى عن مشابهة خلقه نشر السيف الصقيل للسبكى، و نشر معه تعليقا سماه (تبديد الظلام) و كل ذلك مطبوع.

و حين ظهرت طليعة التنكيل للشيخ المعلمى فى جزء صغير و فيه استدراكات على الكوثرى فى تأنيبه، كتب ﷺ رسالة (الترحيب بنقد التأنيب) بأسلوب علمى نظيف و هو مطبوع. و إن كانت الطليعة انتفخت بعد ذلك حتى أضحت فى مجلدين، و لا تسل على السباب و الإقذاع فيه، و ما يظن أنه كلام المعلمى المحقق المعروف.

و نشر كتبا و علق على كتب كانت حبيسة فى ظلمات الصناديق أو ثنايا الكتب المخطوطة، و قد اختلفت تلك التعليقات بين كلمات طويلة و قصيرة، و تبلغ (٦٠) مقدمة و تعليقا، جمعها بعض أهل العلم فى الكتاب و قد أخرجها فى كتاب مستقل.

٦ ـ زهد الرجل و فضله:

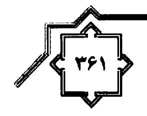
فى جميع ما كتب الرجل، و صنف، و نشر و علق لم يأخذ عليها مليما واحدا، بل كان يشترى من كتبه ليقدمها إلى الناس. و لما عرض عليه الأستاذ حسام الدين القدسى مائة نسخة من كل كتاب صححه من مطبوعاته، قال له الشيخ: هل يجتمع هذا مع الأجر فى الآخرة؟. و ذكر الشيخ محمد أبو زهرة الواقعة التالية فقال: لقد اقترح قسم الشريعة على مجلس كلية الحقوق بجامعة القاهرة أن ينيب الشيخ الجليل للتدريس فى دبلوم الشريعة من أقسام الدراسات العليا بالكلية، و وافق المجلس على الاقتراح بعد أن علم الأعضاء الأجلاء مكان الشيخ من علوم الإسلام و أعماله العلمية الكبيرة، و ذهبت إلى الشيخ مع الأستاذ رئيس قسم الشريعة إبان ذلك، و لكنا فوجئنا باعتذار الشيخ عن القبول



بمرضه، و مرض زوجه و ضعف بصره، ثم يصر على الاعتذار، و كلما ألححنا في الرجاء لج في الاعتذار حتى إذا لم نجد جدوى رجوناه في أن يعاود التفكير في هذه المعاونة العلمية التي نرقبها و نتمناها، ثم عدت إليه منفردا مرة أخرى أكرر الرجاء و ألح فيه، و لكنه في هذه المرة كان معي صريحا. قال الشيخ الكريم: إن هذا مكان علم حقا، و لا أريد أن أدرس فيه إلا و أنا قوى ألقي دروسي على الوجه الذي أحب، و أن شيخوختي و ضعف صحتي، و صحة زوجي، و هي الوحيدة في هذه الحياة كل هذا لا يمكنني من أداء هذا الواجب على الوجه الذي أرضاه. خرجت من مجلس الشيخ و أنا أقول أي نفس علوية كانت تسجن في ذلك الجسم الإنساني، إنها نفس الكوثري إلخ، قلت: و إذا علمنا أنه أخذ يبيع كتبه ـ و أغلى شيء على العالم كتبه ـ من أجل الحصول على الدواء، و حوله من يقدم له المال إذا شاء، لعرف أي زهد، و أي فضل كان عليه الكوثري رحمه الله.

٧ ـ حليته:

كان كما رأيته أكثر من مرة و أنا شاب حدث، و كما قال الأُستاذ أحمد خيري: طويل القامة ضخم الجثة ممتلىء الجسم من غير بدانة خفيف العارضين قصير اللحية، لا تبلغ القبضة. بهي الطلعة، أشيب الشعر، جميل الصورة يعتم بعمامة تركية على الطربوش الأحمر، و يلبس جبة تركية، حديد السمع و البصر، بديع الذاكرة، جميل الخط و كان خطه يقرأ بسهولة، لضبط قواعده و حرصه على مواضع النقط من الحروف فكأنه لدقته في تحقيقاته و علمه كانت تنعكس على الأوراق حين يرسم عليها حروفا ظاهرة جلية، و كان يجيد اللغات العربية و التركية و الفارسية، و الشركسية، و كان يقول الشعر و من شعره قوله و قد وضع على قبره:



يـا واقفـا بـشفير اللحـد معتـبرا قد صار زائر أمس اليوم قـد قـبرا
والموت حتم فلا تغفل وكن حذرا مـن الفجـاءة وادع للـذى عـبرا
فالزاهـد الكـوثرى ثـاو بمرقـده مـسترحما ضـارعا للعفـو منتظـرا

توفى عصر الأحد التاسع عشر مـن ذى القعـدة سـنة ١٣٧١ هــ. رحمـه الله تعالى و جعل الجنة مثواه، آمين.

في بيان مؤلفاته و تقدماته و تعاليقه و مقالاته

تنقسم مؤلفات الأستاذ إلى قسمين رئيسين، أولهما: ما ألفه قبل هجرته مـن الآستانة، و الثانى: ما ألفه بعدها و الغالب علـى القـسم الأول أنـه مخطـوط، و الثانى على العكس؛ كما أن مؤلفات القـسم الأول لا نـدرى عنهـا شـيئا سـوى إرغام المريد الذى أهدى منه نسخا لتلامذته.

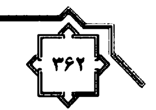
القسم الأول

١ ـ نظم عوامل الإعراب (باللغة الفارسية) و هو أول مؤلفاته. مخطوط.
٢ ـ إزاحة شبهة المعمم عن عبارة المحرم[1]. مخطوط.
٣ ـ الجواب الوفى فى الرد على الواعظ الأوفى[2]. مخطوط.

---

١ . لشيخ يدعى المحرم شرح على شرح عبد الرحمن الجامى على كافية ابن الحاجب فـى النحـو فيـه عبارة فى باب الندبة فى المنصوبات رأى أحد زملاء الشيخ شطب أسطر منها ليستقيم المعنى فى نظره و كان رأى الشيخ إبقاء العبارة كما هى بتأويل مستساغ تصح معه العبارة فألفها رسالة فـى نحو عشر صفحات.

٢ . فى ساحل البحر الأسود بلد يسمى أوف معروف بكثرة الوعاظ فقـصد أحـدهم بلـدة أسـتاذ و اشتهر بحسن الإلقاء و كان يقسو على الصوفية و فى يوم أوغل فـى وعظـه بعـد الظهـر و كـان الشيخ وقتئذ يناصرهم، فاختلى فى غرفته حتى أتم رسالة فى الرد عليه فى نحـو ٢٠ صـفحة و قدمها قبيل ظهر اليوم التالى إلى الواعظ فكأنما ألقمه الحجر و أقلع عن الكلام فى الصوفية.



٤ ـ تفريج البال بحل تاريخ ابن الكمال[١]. مخطوط.

٥ ـ الصحف المنشرة فی شرح الأصول العشرة لنجم الدين الطامة الكبری. مخطوط.

٦ ـ ترويض القريحة بموازين الفكر الصحيحة فی المنطق[٢]. مخطوط.

٧ ـ قرة النواظر فی آداب المناظر[٣]. مخطوط.

٨ ـ النظم العتيد فی توسل المريد[٤] طبع بآخر تاليه فی ٦ صفحات.

٩ ـ إرغام المريد فی شرح النظم العتيد لتوسل المريد[٥] طبع فی الآستانة سنة ١٣٢٨ فی ١١٤ صفحة غير الفهرس و التصويبات.

١٠ ـ إصعاد الراقی علی المراقی[٦]. مخطوط.

١١ ـ النقد الطامی علی العقد النامی علی شرح الجامی[٧]. مخطوط.

١٢ ـ الفوائد الكافية فی العروض والقافية[٨]. طبع وليس عليه اسم المؤلف.

---

١ . لابن الكمال لغز تاريخی يذكر فيه الأسداس و الأرباع و نحو ذلك كأن يقول: فی الربع لثانی من العام الثالث من العقد الرابع من الثلث الثالث و هكذا. . . و رسالة الأستاذ هی حل لذلك اللغز ببيان و وضع جداول لشرح المقصود.

٢ . نشر اسم هذا الكتاب فی ترجمة الأستاذ فی تأنيب الخطيب (بمناهج) بدل (بموازين) كما أملی علی و لما سألته عن الصحيح قال إنه لا يستطيع الجزم بذلك الآن وإنما كل ما يذكره أنه ترجمة كتاب معيار سداد الذی ألفه بالتركية الوزير جودت باشا فی المنطق.

٣ . هو ترجمة كتاب آداب سداد الذی ألفه بالتركية جودت باشا أيضا فی المناظرة.

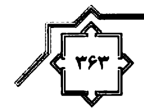
٤ . ألفه سنة ١٣١٨هـ و هو فی ٣٤ بيتا.

٥ . ألفه سنة ١٣٢٠هـ.

٦ . يتضمن تخريج أحاديث مراقی الفلاح و مواضع الإشكال فی الكتاب المذكور.

٧ . للشيخ محمد رحمی الكينی من علماء الآستانة (العقد النامی) فی مجلد فی التعليق علی الفوائد الضيائية شرح الكافية لعبد الرحمن الجامی نقده الأستاذ و سمی نقده (النقد الطامی) . فی النحو.

٨ . هكذا أملی علی (الكافية) و لكن جاءت الكلمة فی آخر الاستبصار (ص ٣٧) (الوافية) .



١٣ ـ تدريب الوصيف على قواعد التصريف. مخطوط.

١٤ ـ تدريب الطلاب على قواعد الإعراب. مخطوط.

١٥ ـ حنين المتفجع و أنين المتوجع قصيدة فى ويلات الحرب العظمى الأولى. طبعت.

١٦ ـ إبداء وجوه التعدى فى كامل ابن عدى. مخطوط.

١٧ ـ نقد كتاب الضعفاء للعقيلى. مخطوط.

١٨ ـ التعقب الحثيث[1] لما ينفيه ابن تيمية من حديث. مخطوط.

١٩ ـ البحوث الوفية فى مفردات ابن تيمية. مخطوط.

٢٠ ـ الروض الناظر الوردى فى ترجمة الإمام الربانى السرهندى المتوفى سنة ١٠٣٤هـ ألفه بقسطمونى و هو الكتاب الوحيد الذى ألفه باللغة التركية. مخطوط.

٢١ ـ المدخل العام لعلوم القرآن، مخطوط فى مجلدين ألفه بالآستانة، و هو أهم مؤلفاته مطلقا لما فيه من التقصى و المقارنة و البحث سواء من ناحية الموازنة بين المفسرين بالرواية و المفسرين بالدراية و مسالكهم و فيما يتعلق بجمع القرآن فى أدواره الثلاثة (النبى عليه الصلاة و السلام ـ و أبى بكر ـ و عثمان رضي الله عنهما) و ما يتعلق برسم القرآن و قراءاته الأربع عشرة و طبقات قرائه و الإلمام العام بما ألف فى القراءة و الرسم و تراجم المفسرين و ذلك على توالى القرون، و لم يكن الشيخ يأسف على شىء أسفه على ضياع هذا الكتاب الذى لا يدرى مآله، و لعل الله يسهل العثور عليه. فقد أخبرنى الأستاذ محمد سامى الخانجى أن كتب الشيخ التى كان يملكها ظهرت أخيرا فى الآستانة بعد انقضاء ثلاثين سنة على اختفائها عقب هجرته مما يدل على أنها كانت محفوظة و لعل المدخل يظهر يوما

---

١ . تعقبه فيما نفاه فى كتابه منهاج السنة من ورود أحاديث فى بعض المواضع مغالطة مع ورود أحاديث فيها.



ـ و يلاحظ: أن ما ذكر ألف بعضه بالآستانة و البعض بدوزجة أثناء العطلة المدرسية و البعض بقسطموني.

القسم الثاني

١ ـ رفع الريبة عن تخبطات ابن عتيبة[١]. مخطوط.

٢ ـ صفعات البرهان على صفحات العدوان[٢] طبع في دمشق بمطبعة الترقي سنة ١٣٤٨هـ في ٥٤ صفحة.

٣ ـ الإشفاق على أحكام الطلاق[٣] طبع في مطبعة مجلة الإسلام في ١٠٤ صفحة.

٤ ـ بلوغ الأماني في سيرة الإمام محمد بن الحسن الشيباني طبع ضمن الرسائل النادرة التي كان يطبعها الخانجي ١٣٥٥هـ في ٧٢ صفحة غير الفهارس و التصويبات.

٥ ـ التحرير الوجيز فيما يبتغيه المستجيز[٤] طبع بمطبعة الأنوار سنة ١٣٦٠هـ في ٤٧ صفحة.

٦ ـ تأنيب الخطيب على ما ساقه في ترجمة أبي حنيفة من الأكاذيب[٥] طبع سنة ١٣٦١هـ في ٢٠٠ صفحة غير مقدمة حافلة في ترجمة الأستاذ.

---

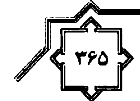
١ . رد به على ابن قتيبة في مؤلفه مختلف الحديث الذي وقع فيه في التشبيه و الطعن في أبي حنيفة و النقل عن كتب أهل الكتاب واصفا إياها بالصحة كقوله التوراة و الإنجيل ـ ألفه أوائل مجيئه مصر.

٢ . نقض به ما كتبه السيد محب الدين الخطيب في مجلة الزهراء.

٣ . رد به على نظام الطلاق للشيخ أحمد شاكر.

٤ . وهو ثبته ذكر فيه أسانيده وشيوخه وشيوخهم وترجم لكثير منهم وفيه على صغره فوائد جمة.

٥ . رد به على مفتريات الخطيب البغدادي في الجزء الثالث عشر من تاريخ بغداد عند ترجمته إمامنا أبا حنيفة مع تذييل في الرد على ما جاء في حق أبي يوسف و محمد بن الحسن و الحسن ابن زياد اللؤلؤي.



٧ ـ إحقاق الحق بإبطال الباطل فى مغيث الخلق[١] طبع بمطبعة الأنوار سنة ١٣٦٠هـ في ٦٦ صفحة.

٨ ـ أقوم المسالك فى بحث رواية مالك عن أبى حنيفة و رواية أبى حنيفة عن مالك طبع فى آخر إحقاق الحق فى الصفحات ٦٧ ـ ٧٢.

٩ ـ تذهيب التاج اللجينى فى ترجمة البدر العينى المتوفى سنة ٨٥٥هـ لخصها طابع شرحه للبخارى و طبعها بأوله.

١٠ ـ الاهتمام بترجمة ابن الهمام المتوفى سنة ٨٦١هـ لم يطبع.

١١ ـ عتب المغترين بدجاجلة المعمرين[٢]. مخطوط.

١٢ ـ تحذير الخلف من مخازى أدعياء السلف. مخطوط.

١٣ ـ قطرات الغيث من حياة الليث المتوفى سنة ١٧٥هـ مخطوط.

١٤ ـ الحاوى فى سيرة الإمام أبى جعفر الطحاوى المتوفى سنة ٣٢١هـ طبع بمطبعة الأنوار سنة ١٣٦٨هـ فى ٤٣ صفحة.

١٥ ـ فصل المقال فى بحث الأوعال ثم سماه فصل المقال فى تمحيص أحدوثة الأوعال[٣]. مخطوط.

١٦ ـ البحوث السنية عن بعض رجال أسانيد الطريقة الخلوتية[٤]. مخطوط و قد طبع.

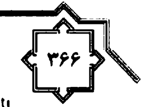
---

١ . رد به على مطاعن إمام الحرمين فى مؤلفه مغيث الخلق التى افترى فيها على الأحناف. (١١ و١٢).

٢ . ملخصها دحض المزاعم المنتشرة بين بعض أرباب الأثبات بخصوص معمرين أعمارا وهمية تبلغ المئات من السنين و استعارهما منه الأيوبى بالشام فى رحلته الثانية و بقيا عنده.

٣ . يتضمن الكلام على الحديث الخرافى القائل بأن حملة العرش أوعال و كانت قامت له ضجة فى مصر منذ نحو ١٢ سنة.

٤ . ألفه فى ربيع الآخر سنة (١٣٦٢هـ) بإشارة الشيخ عبد الخالق البشراوى المتوفى فى سنة ١٣٦٦هـ و ترجم فيه لثلاثة عشر شيخا خلوتيا فى ١٠ صفحات كبيرة و عندى الأصل الذى بخط المؤلف و نسخت له صورة أرسلتها إليه.



١٧ ـ نظرة عابرة فى مزاعم من ينكر نزول عيسى عليه السلام. مطبعة أمين عبد الرحمن سنة ١٣٦٢ هـ في ٦٧ صفحة غير التصويبات.

١٨ ـ نبراس المهتدى فى اجتلاء أنباء العارف دمرداش المحمدى المتوفى سنة ٩٢٩ هـ مطبعة الأنوار سنة ١٣٦٤ هـ فى ٣١ صفحة.

١٩ ـ النكت الطريفة فى التحدث عن ردود ابن أبى شيبة على أبى حنيفة[1] مطبعة الأنوار سنة ١٣٦٥ هـ فى ٢٧٣ صفحة.

٢٠ ـ رفع الاشتباه عن مسألتى كشف الرؤوس و لبس النعال فى الصلاة طبع سنة ١٣٦٦ هـ فى ٢٤ صفحة.

٢١ ـ ترجمة العلامة محمد منيب العنتابى[2] المتوفى سنة ١٢٣٨ هـ مخطوطة. من عبر التاريخ[3] طبع سنة ١٣٦٧ هـ فى ٣٢ صفحة نشره السيد عزت العطار.

٢٢ ـ حسن التقاضى فى سيرة الإمام أبى يوسف القاضى المتوفى سنة ١٨٢ هـ مطبعة الأنوار سنة ١٣٦٨ هـ فى ١٠٣ صفحة.

٢٣ ـ لمحات النظر فى سيرة الإمام زفر المتوفى سنة ١٥٨ هـ مطبعة الأنوار سنة ١٣٦٨ هـ فى ٣٠ صفحة.

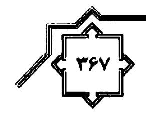
٢٤ ـ الإمتاع بسيرة الإمامين الحسن بن زياد المتوفى سنة ٢٠٤ هـ و صاحبه محمد بن شجاع المتوفى سنة ٢٦٦ هـ مطبعة الأنوار سنة ١٣٦٨ هـ فى ٧٠ صفحة.

---

١ . ادعى ابن أبى شيبة مخالفة أبى حنيفة لأحاديث الصحيحة فى ١٢٥ مسألة من أمهات المسائل الاجتهادية فقام هذا الكتاب بتمحيص أدلة الطرفين كاشفا عن كثير من الحقائق فى تفاوت مدارك الفقهاء و أطوار الفقه الإسلامى مما له خطره عنه الباحثين.

٢ . ألفها فى رمضان سنة ١٣٦٧ هـ بناء على طلب الفقير.

٣ . تضمنت بحث ٨ مسائل تاريخية.



٢٥ ـ الترحيب بنقد التأنيب[١] نشرته مكتبة الخانجى سنة ١٣٦٩هـ في ٥٢ صفحة.

٢٦ ـ محق التقول فى مسألة التوسل[٢] مطبعة الأنوار سنة ١٣٦٨هـ فى ١٨ صفحة.

٢٧ ـ تعطير الأنفاس بذكر سند ابن أركماس[٣] طبع ضمن مجموعة سنة ١٣٦٩هـ مطبعة الأنوار من ص٩ إلى ص١١.

٢٨ ـ الإفصاح عن حكم الإكراه فى الطلاق و النكاح طبع ضمن المجموعة السابقة من ص١٢ إلى ص١٦.

٢٩ ـ الاستبصار فى التحدث عن الجبر و الاختيار[٤] طبع بمطبعة الأنوار فى ذى القعدة سنة ١٣٧٠هـ و هو آخر ما نشره من مؤلفاته رضي الله عنه. و لعله آخرها تأليفا.

فجملة مؤلفاته التى أفردها هى ٥١ مؤلفا كما مر ذكره[٥]. على أن هناك مؤلفات سماها و لكنها طبعت ضمن الكتب التى كانت مؤلفات الأستاذ بمثابة التعاليق و الحواشى لها و أذكر من ذلك:

---

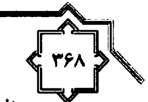
١ . رحب فيه بالنقد الذى هدد به مؤلف طليعة التنكيل و قد مر ذكر ذلك.

٢ . نفى فيه الشرك المزعوم عمن يتوسلون برسول الله ﷺ و آل بيته و هم الوسيلة الحقة.

٣ . ألفه بناء على طلب الأخ الفاضل الحاج إبراهيم الختنى من علماء المدينة المنورة و لم يحتفظ المؤلف بصورة فلما استنسخت صورة من الأصل بالمدينة المنورة نقلت له صورة طبع عليها.

٤ . رد فيه على الشيخ مصطفى صبرى التوقادى نزيل مصر و الذى كان شيخا للإسلام بالدولة العثمانية.

٥ . جاء فى ترجمته فى أول طبقات ابن سعد ذكر مؤلفين هما:
تاريخ مذاهب الفقهاء و انتشارها.
تاريخ الفرق و تأثيرها على المجتمع.
و لم يذكرهما المترجم لى و لذا لا أدرى أين ألفها و لا أعلم شيئا عنهما.



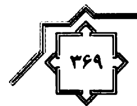
١ ـ لفت اللحظ إلى ما فى اللفظ و هو مقدمة و تعاليق على كتاب الاختلاف فى اللفظ و الرد على الجهمية و المشبهة لابن قتيبة طبعه القدسى بمطبعة السعادة بمصر فى ٨٦ صفحة بها فى ذلك الفهارس سنة ١٣٤٩هـ.

٢ ـ تبديد الظلام المخيم من نونية ابن القيم و هو مقدمة و تعاليق على كتاب السيف الصقيل فى الرد على ابن زفيل للسبكى الكبير. مطبعة السعادة سنة ١٣٥٦هـ فى ١٩٢ صفحة غير الفهارس و التصويبات و كلمة الناشر.

تقدماته و تعاليقه

لأستاذنا الكوثرى ﷺ تقدمات و تعاليق على كثير من الكتب النافعة و سأكتفى بالكلام على ثلاث منها ثم أسماء الباقى نقلا عن آخر مؤلفاته الاستبصار حيث سردها فى آخره:

١ ـ مقدمته الحافلة القيمة على نصب الراية لأحاديث الهداية للحافظ الزيلعى المتوفى سنة ٧٦٢هـ طبع بمصر سنة ١٣٥٧هـ و تقع من ص١٧ إلى ص٤٩ ثم من ص٥٧ إلى ص٦٠ من الجزء الأول و تعتبر تاريخا للفقه و منشأ تطوراته. فقد استهلها بكلمة عن فقه أهل العراق ثم استطرد إلى الرأى و الاجتهاد ثم تكلم عن الاستحسان و انتقل إلى شروط قبول الأخبار ثم استعرض منزلة الكوفة من علوم الاجتهاد و ذكر ٣٣ حبرا من أصحاب على عليه السلام و ابن مسعود بالكوفة ثم انتهى إلى طريقة أبى حنيفة فى التفقيه و ذكر ٩٦ حافظا من كبار المحدثين الأحناف و انتهى بكلمة فى كتب الجرح و التعديل. و الواقع أن هذه المقدمة تعتبر دستورا جليلا و مدخلا مضيئا للفقه الإسلامى.



٢ ـ مقدمته لكتاب المقدمات الخمس و العشرون... من دلالة الحائرين لابن ميمون الفيلسوف الإسرائيلى المتوفى سنة ٦٠٥هـ طبع مطبعة السعادة بمصر سنة ١٣٦٨هـ. و مقدمة الأستاذ تقع من ص٣ إلى ص٢٣ و فيها عدة أبحاث نفيسة خصوصا عن الشخصيات الإسرائيلية فى تاريخ الإسلام مع استطرادات مفيدة نافعة.

٣ ـ تعليقة قيمة على مادة (الجركس) فى تعريب دائرة المعارف الإسلامية و تقع تعليقة الأستاذ فى المجلد السادس ص٣٤٥ إلى ٣٥٠ ـ أراد بها تصحيح ما ورد فى الدائرة المذكورة عن الجركس فأجاد و أفاد على عادته. أما باقى تقدماته و تعاليقه فقد ذكر فى ص٣٨ من مؤلفه الاستبصار بعد سرد أسماء مؤلفاته ما نصه: ـ و مما قدم له و علق عليه ـ:

١ ـ الغرة المنيفة للسراج الغزنوى الهندى فى تحقيق نحو مائة و سبعين مسألة ردا على الطريقة البهائية للفخر الرازى.

٢ ـ دفع شبه التشبيه لابن الجوزى.

٣ ـ رسالة أبى داود السجستانى فى وصف سننه.

٤ ـ مناقب أبى حنيفة و أبى يوسف و محمد بن الحسن للذهبى و معها أيضا تعليق الأستاذ أبى الوفاء.

٥ ـ ذيول طبقات الحفاظ للحسينى و ابن فهد و السيوطى.

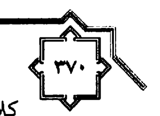
٦ ـ تبيين كذب المفترى فى الذب عن الإمام الأشعرى لابن عساكر.

٧ ـ التبصير فى الدين و تمييز الفرقة الناجية من الفرق الهالكين لأبى المظفر الإسفراينى.

٨ ـ العالم و المتعلم رواية أبى مقاتل عن أبى حنيفة.

٩ ـ رسالة أبى حنيفة إلى البتى إمام أهل البصرة فى الإرجاء.

١٠ ـ الفقه الأبسط رواية أبى مطيع.



١١ ـ الفرق بين الفرق لعبد القاهر البغدادى مع ملء الخروم من كلامه و كلام أصحابه.

١٢ ـ التنبيه و الرد على أهل الأهواء و البدع لأبى الحسين الملطى.

١٣ ـ اللمعة فى الوجود و القدر و أفعال العباد لإبراهيم بن مصطفى الحلبى المذارى.

١٤ ـ كشف أسرار الباطنية لمحمد بن مالك الحمادى.

١٥ ـ الروض الزاهر للبدر العينى فى سيرة الملك الظاهر (ططر).

١٦ ـ الانتصار و الترجيح للمذهب الصحيح لسبط ابن الجوزى.

١٧ ـ شروط الأئمة الستة لمحمد بن طاهر المقدسى و الخمسة للحازمى و التعليقات عليهما مسماة بالتعليقات المهمة على شروط الأئمة.

١٨ ـ مراتب الإجماع لابن حزم و نقده لابن تيمية.

١٩ ـ النبذ فى أصول المذهب الظاهرى لابن حزم.

٢٠ ـ اختلاف الموطآت للدارقطنى.

٢١ ـ كشف المغطى من فضل الموطأ لابن عساكر.

٢٢ ـ العقل و فضله لابن أبى الدنيا.

٢٣ ـ الحدائق فى الفلسفة العالية للبطليوس.

٢٤ ـ حقيقة الإنسان و الروح للجلال الدوانى.

٢٥ ـ العقيدة النظامية لإمام الحرمين.

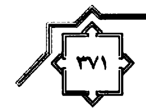
٢٦ ـ الإنصاف فيما يجب اعتقاده و لا يجوز الجهل به للباقلانى.

٢٧ ـ خصائص مسند أحمد لأبى موسى المدينى.

٢٨ ـ المصعد الأحمد لابن الجزرى.

٢٩ ـ زغل العلم للذهبى.

٣٠ ـ الأسماء و الصفات للبيهقى.



و مما قدم له و كتب فيه كلمة: ـ

١ ـ شرح مقامة (الحور العين) لنشوان الحميرى.

٢ ـ نثر الدار المكنون فى فضائل اليمن الميمون للسيد محمد الأهدل شيخ رواق اليمن.

٣ ـ الدر الفريد الجامع لمتفرقات الأسانيد السيد عبد الواسع اليمانى.

٤ ـ بيان مذهب الباطنية و بطلانه من كتاب قواعد عقائد آل محمد لمحمد ابن الحسن الديلمى.

٥ ـ طبقات ابن سعد من الطبعة المصرية.

٦ ـ فتح المهم فى شرح صحيح مسلم لمولانا العلامة شبير أحمد العثمانى رحمه الله.

٧ ـ ترتيب مسند الإمام الشافعى للحافظ محمد عابد السندى.

٨ ـ أحكام القرآن جمع البيهقى من نصوص الإمام الشافعى رضي الله عنه.

٩ ـ مناقب الإمام الشافعى للحافظ عبد الرحمن بن أبى حاتم الرازى الشافعى.

١٠ ـ ذيل الروضتين للحافظ أبى شامة.

١١ ـ فهارس البخارى لفضيلة الأستاذ الشيخ رضوان محمد رضوان.

١٢ ـ إشارات المرام لكمال الدين البياضى.

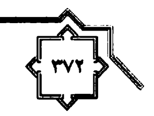
١٣ ـ كشف الستر عن فرضية الوتر لعبد الغنى النابلسى.

١٤ ـ العالم و المتعلم لأبى بكر الوراق الترمذى.

١٥ ـ الأعلام الشرقية للأستاذ زكى مجاهد.

١٦ ـ انتقاد المغنى عن الحفظ و الكتاب للأستاذ حسام الدين القدسى.

١٧ ـ النهضة الإصلاحية للأسرة الإسلامية للأستاذ الكبير مصطفى الحمامى رحمه الله.



١٨ ـ منتهى آمال الخطباء له أيضا.

١٩ ـ براهين الكتاب و السنة للعلامة العارف بالله الشيخ سلامة العزامى.

٢٠ ـ قانون التأويل لحجة الإسلام الغزالى.

٢١ ـ الثمرة البهية للصحابة البدرية لمحمد سالم الحفناوى.

٢٢ ـ كتاب بغداد لابن طيفور.

٢٣ ـ الروض النضير فى شرح المجموع الفقهى الكبير للسياغى الصنعانى.

قلت: و أزيد على ما مر ذكره ما يأتى: ـ

١ ـ منية الألمعى فيما فات من تخريج أحاديث الهداية للزيلعى للحافظ ابن قطلوبغا، قدم له و حققه و نشر مذيلا بتعليقات الحافظ قاسم بن قطلوبغا على النصف الثانى من الدراية مطبعة السعادة بمصر سنة ١٣٦٩ هـ.

٢ ـ إيضاح الكلام فيما جرى للعز بن عبد السلام فى مسألة الكلام بقلم ولده الشيخ محمد عبد اللطيف طبعة الأستاذ من نسخته بمطبعة الأنوار سنة ١٣٧٠ هـ و صححه و علق بأوله تعليقه.

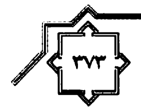
٣ ـ الانتقاء فى فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء علق عليه لغاية ص٨٨ و الكتاب طبع سنة ١٣٥٠ هـ فى ١٩٠ صفحة بما فى ذلك مقدمة الناشر و الفهارس.

و هناك أشياء من هذا القبيل أخفى الأستاذ فيها نفسه أذكر منها الآتى:

١ ـ تعليقاته النفسية على تاريخ القوقاز الذى طبع تعريبه بمطبعة عيسى الحلبى سنة ١٩٤٠م. و ذكرت منسوبة إلى عالم جركسى جليل.

٢ ـ مذكرات الأمير محمد على توفيق عربها و طبع التعريب فى مطبعة عنانى سنة ١٣٦٦ هـ فى ٥٧ صفحة و لم يذكر فيها اسمه.

٣ ـ بيان الخطوط المحفوظة فى المتحف الذى أنشأه الأمير محمد على فى سراى منيل الروضة المطبوع بمطبعة مصر سنة ١٣٧٠ هـ فى ٣٢ صفحة.



٤ ـ بعض وثائق تاريخية من عهد ساكنى الجنان إسماعيل باشا و توفيق باشا و أمر بترجمتها الأمير محمد على و طبعت بمطبعة عنانى سنة ١٣٦٧ فى ٩٣ صفحة غير التصويب و ذكر بأولها أنها ترجمة الأستاذ ﷺ و كان الإفصاح باسمه هنا مخالفا لما سبق.

و إنى أشكر مزيد الشكر كل من يتفضل فيرشدنى إلى ما أكون غفلت عنه من مؤلفاته خاصة و من تقدماته و تعاليقه عامة.

و قد عثر فى أوراق المترجم ﷺ على رسالة بخطه فى ١٦ صفحة اسمها (المنتقى المفيد) انتقى فيها أشياء من (العقد الفريد فى علو الأسانيد) تأليف العلامة سيدى الشيخ أحمد بن سليمان الأروادى المتوفى سنة ١٢٧٥هـ فرغ منها المترجم فى خامس جمادى الثانية سنة ١٣٥٤هـ. و هى مخطوطة بخطه كما ذكر.

كما عثر على نسخة من (حنين المتفجع) طبع قسطمونى سنة ١٣٣٧هـ و قد مر ذكرها و يأتى ذكر بعض أبياتها فى الفصل السابع الخاص بذكر شعره و نثره بمشيئة الله تعالى. و على قدر ما بذلته من جهد لحصر مؤلفات أستاذنا ﷺ و تعاليقه وتقدماته فإنى أستشعر أن منها ما فاتنى مضطرا. وقد نبهنى السيد حسام الدين القدسى إلى أن الترجمة الموجودة فى صدر الجزءالأول من فتاوى السبكى الذى طبعه سنة ١٣٥٦هـ الواقعة فى ص١٣ـ١٥هى من صنع الأستاذ ﷺ و لكنه لم يرد أن تذكر باسمه لصغرها و قلة الجهد المبذول فيها و لخلو الكتاب المطبوع من أى مجهود للأستاذ ﷺ ـ و من يطالع هذه الترجمة و لا سيما فى أواخر ص١٤ يستشف منها روح الكوثرى و مقدرته و علمه و سعة أفقه. و أخيرا أرجو قبول عذرى فى ما فاتنى و تكرار شكرى لمن ينبهنى إليه. اهـ.

قلت: ما جاء فى بيان مؤلفات الشيخ الكوثرى من ص(٣٦) إلى هذه الصفحة (٥١ و ٥٢) مأخوذ من مقدمة الأستاذ أحمد خيرى ﷺ و التى جعلها مقدمة (مقالات الكوثرى) ﷺ.

مقالاته

للمترجم ﷺ مقالات كثيرة فى فنون متشعبة و فى كل مقالة منها من الدروس ما يفيد جماعة و قد كان ينشر فى معظم المجلات التى تتمشى مع نواحى مقالاته على أنه اختص مجلة الإسلام ثم الشرق العربى بمعظم ما نشر و قد حرص بعض فضلاء تلاميذه على جمع مقالاته و نشرها فى مجلد مستقل رأوا أن تكون هذه الترجمة فى صدره و الله و المستعان و ختاما أحب أن أسجل أن للمترجم عدة رسائل علمية و هذه لا يسهل جمعها لأنها منتشرة فى بقاع الأرض حيث كان يرسلها ردا إلى من يسألونه و لا أدرى إذا كان احتفظ بصورها فى أوراقه ـ أما مراسلاته الخاصة معى فمحفوظة بفضل الله و يأتى الكلام عليها فى الفصل التالى إن شاء الله.

ويحسن التنويه بأن للأستاذ ترجمة نفيسة للسيد عزت العطار فى صدر تأنيب الخطيب و أخرى للأستاذ السراوى فى أول الطبقات الكبرى لابن سعد طبع مصر و قد كتب لى السيد عزت العطار بأن آخر ما كتبه شيخنا بخطه الكريم من تقدماته للكتب تقدمة كتاب جذوة المقتبس الذى طبعه السيد عزت و نشره.

هذه هى صفحة فخار من سجل حياة مجيدة لرجل عاش يرغب عن دنياه و يرجو من الله أخراه. رجل نقاه الله تعالى من الخطايا كما نقى الثوب الأبيض من الدنس. والله المسؤول أن يغسله بالماء و الثلج و البرد و أن يكرم نزله بمنه و فضله.

مجيد فاطمي نژاد

باحث في مؤسسة دار الاعلام

لمدرسة اهل البيت عليهم السلام

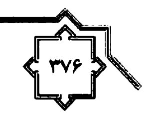
الشيخ يوسف أحمد الدجوي ﷺ

ولد ﷺ في (دجوة) سنة ١٢٨٧هـ، فقد بصره في صغره بسبب الجدري الذي أصابه، فعوضه الله تعالى عن بصره بصيرة جعلته عالما كبيرا يرجع إليه في حل المشكلات.

حفظ القرآن الكريم في بلده، ثم أرسله والده إلى الأزهر الشريف فتلقى العلوم على كبار علماء عصره، و قد دام في دراسته (١٦) عاما من (١٣٠١ ـ ١٣١٧) و في هذه السنة الأخيرة دخل امتحان العالمية فنال شهادتها بتفوق عظيم و أعجب به ممتحنوه، و لما أسست مجلة الأزهر و كانت تسمى (نور الإسلام) كان أول من وقع الاختيار عليه شيخ الدجوى ليكتب فيها البحوث الممتعة في الدين و التفسير و الحكمة و بقي على موافاتها بمقالاته إلى عهده الأخير.

و كان ﷺ واحدا من بقية الأعلام الأزهريين الذين مثلوا الأزهر القديم، و حفظوا تقاليده المتوارثة كابرا عن كابر، بحيث يتعذر ملء الفراغ الذي تركه أمدا غير قصير.

و قد كانت مقالاته في (نور الإسلام) مقالات في التوسل و ما يتعلق به، فأحببت تزيين ما كتب الشيخ محمد زاهد الكوثري في التوسل بهذه المقالات من شيخه العلامة العالم العامل يوسف الدجوى ﷺ و هما من معين واحد. توفي الشيخ أبو المحاسن يوسف الدجوى خامس صفر الخير سنة ١٣٦٥هـ، و صلى عليه شيخ الأزهر الشريف في ذلك الوقت ثم دفن في مقبرة عين شمس ﷺ.



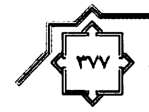
بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة بين يدي الرسالة:

الحمد لله حق حمده، أحمده سبحانه و أثني عليه حمدا و ثناء لائقين بجلال وجهه و عظيم سلطانه، جل جلاله، و عظم نواله، قال في محكم كتابه ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ و دعاهم على ذلك إلى التعاون على البر و الخير فقال سبحانه ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلاَ تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ و الصلاة والسلام على الرحمة المهداة المبعوث بالهدى و دين الحق ليظهره الله به و بأتباعه على الدين كله، جمع الله تعالى به ﷺ القلوب على دينه، و ألف بينهم بشريعته فكانوا بحق خير أمة أخرجت للناس، و وصفهم سبحانه بقوله ﴿مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾.

نعم رحماء بينهم.

أما بعد. فقد كتبت رسالة هادية هادئة في البدعة و ما يتعلق بها، و قدمت لها بكلمة قصيرة بينت فيها مقصدي من الكتابة - بعد بيان ما يراه أهل السنة من الحق في هذا الموضوع - و هو تجلية هذا الأمر و تنقيته ليعلم من يريد أن يعلم، ثم ليرى المخالف لما أقول، أن هذا القول له دليله، فيحترمه، و يكون من ثمرته بإذن الله أن يتأدب علماء المسلمين بعضهم مع بعض، و أن يوجهوا العامة إلى وجوب المحافظة على ذلك الأدب، فذاك الذي يكفل وحدة الصف - بإذن الله تعالى - و بالتالي يدفع إلى التعاون القائم على الحب و التفاهم و حسن الظن و احترام الرأي في نصرة دين الله تعالى و نشر مبادئه و أحكامه.



و ما أحسن التعاون فى: الدعوة إلى الله تعالى و تبليغ دينه إلى الكافة. والله الموفق الهادى.

و اليوم أنشر رسالة فى التوسل و ما يتعلق به، و أقدم لها بما سبق فى مقدمة البدعة ثم بما يلى:

١ ـ الخلاف فى المسائل الفرعية حق، و قد وقع فى أيام أصحاب رسول الله ﷺ و من بعدهم ممن يعرفون بالسلف الصالح، و أعنى القرون الثلاثة التى جاء فيها قوله ﷺ: **«خير القرون قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يجيء أقوام تسبق شهادة أحدهم يمينه و يمينه شهادته»**[١].

و لم يكن ذلك الخلاف دافعا لهم إلى النزاع و الخصام و التقاتل، أو إطالة الألسنة بالاتهام بالضلال و الكفر.

و هذا الأمر لا شك فيه فإن الخلاف فى المسائل الفرعية القائمة على الأدلة الظنية، أو المتعارضة و غيرهما، يقوم على قاعدة: قولنا صواب يحتمل الخطأ و قول غيرنا يحتمل الصواب.

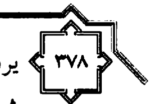
لم يكن خلافا فى المسائل العقدية و العملية القائمة على الأدلة القطعية مما يدخل فى قاعدة الهدى و الضلال.

و كثير من خلافات بعض أهل السنة اليوم ـ خاصة ـ تجرى فى المسائل الفرعية القائمة على الأدلة الظنية، ظنية الدليل و ظنية الدلالة، فلا ينبغى أن يكون فيها قول لسوى الخطأ و الصواب، لا الحق و الباطل، و العياذ بالله.

فينبغى فيها المحافظة على أدب القول و أدب النقاش بين العلماء على حسن الظن، و احترام دين المخالف و علمه و فهمه طالما أن الجميع يبنون أحكامهم على أدلة، و يرجعون إلى نقول مقبولة. أما العامة فما عليهم إلا أن يتبعوا، و أن

---

١. رواه البخارى فى كتاب فضائل الصحابة فى صحيحه.

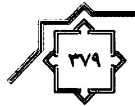


يروا الصدق و العلم و الإخلاص فى أهل العلم، و إنما يأخذون هذا من تأديب شيوخهم لهم، و توجيههم إياهم ثم من شذ من أولئك العامة أو المتعالمين من بعد ذلك فإنما ذلك لمرض خبيث فى قلبه و حق العلماء أن يعرضوا عنه، و يطردوه من مجالسهم كما طرد الإمام أبو يوسف بشرا المريسى من حلقته لما أظهر القول بخلق القرآن.

٢ ـ الواجب فى المسائل الفرعية ـ القائمة على الأدلة الظنية ـ أن يكون الحكم فيها العلماء و أدلتهم، و لا يكون ثمة مجال لتحكيم الناس على الأدلة، و لا قصر الفهم فى تلك الموضوعات على ما قاله فلان من الناس مهما أضفى عليه من ألقاب و شهر بين الناس بقوة العارضة، و طول اللسان، و تجنب الناس مناقشته، بل هو احترام فهوم العلماء و تقدير آرائهم طالما أنها تقوم على أصول إسلامية كانت من الأدلة المتفق عليها بين أهل السنة و هى الكتاب و السنة و الإجماع و القياس، أو كانت من الأدلة المختلف فى العمل بها بين الأئمة ذوى الشأن مثل الاستحسان، و الاستصحاب و المصالح المرسلة و قول الصحابى و شرع من قبلنا.

أما العامة فعليهم واجب الأدب بعد حسن الظن، و أن يسألوا العلماء، فحق على العلماء أن يعلموا العامة، و حق على العامة أن يتأدبوا مع العلماء و يحسنوا بهم الظن، ثم يتبعوهم فيما يرون و يحكمون، قال الله تعالى: ﴿**فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُم لاَ تَعْلَمُونَ**﴾.

٣ ـ من المسائل الفرعية التى أضحت مجالا للخلاف و الخصومة بين أهل السنة منذ قرنين من الزمان ـ خاصة ـ مسألة التوسل بالنبى ﷺ و الصالحين من أمته مما أدى بعضهم إلى الحكم على المخالفين بالشرك و الكفر، ثم إلى قتلهم و أخذ أموالهم، و يؤدى إلى التكفير أو الاتهام بالضلالة و المروق، و المحاربة فى



العمل و أسباب الرزق إلى أيامنا هذه ـ و العياذ بالله ـ فضلا على قطع التعاون بينهم و بين الآخرين فى تبليغ دين الله تعالى إلى الناس و ذلك شر كبير، و المسلمون مسؤولون عنه، كل على قدر ما منحه الله تعالى من علم أو جاه و سلطان و مال. قال عقبة بن عامر إن النبى ﷺ صعد المنبر فقال: «**إنى لست أخشى عليكم أن تشركوا بعدى و لكن أخشى عليكم الدنيا أن تنافسوا فيها فتقتتلوا فتهلكوا كما هلك من كان قبلكم**». رواه البخارى فى كتاب الجنائز، و مسلم فى الفضائل و غيرهما.

و إننا لنرى أهل السنة اليوم و قد صوبت الأسلحة المختلفة عليهم من كل صوب. و نرى أعداء أهل السنة يجتمعون و يتعاونون و يلقون خلافاتهم جانبا ـ و قد تكون عقدية ـ من أجل، نعم من أجل أن يصلوا إلى أهل السنة بما يريدون. و ما يريدون علم الله إلا إفساد عيشهم، و صرفهم عن دينهم، ثم القضاء عليهم ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾.

وهم ـ والله ـ لا يفرقون فيما يريدون للمسلمين بين المذهبيين و الخارجين على المذاهب، بين المقلدين و بعض مجتهدى هذا العصر و أى عصر، لا يفرقون بين الصوفية و السلفية، فضلا عن الأشاعرة و الماتريدية و من يسمون أهل الحديث.

٤ ـ لم تثر مسألة إنكار التوسل بالنبى ﷺ و الصالحين فى عصر النبى ﷺ و لا فى عصر الصحابة و التابعين، و هى خير القرون، فلو قيل إن إثارتها بعد ذلك و فى القرن السابع أنه بدعة، لما كان ذلك بعيدا.

لقد كان ابن تيمية من علماء القرن السابع و كان أول من أثار الكلام فى حديث توسل الأعمى بالنبى ﷺ و ادعى أن ذلك كان توسلا بدعائه ﷺ (حينا) و أنه يجوز التوسل به ﷺ فى حياته، و به بعد وفاته (حينا آخر)، و



ادعى أن توسل عمر بالعباس رضي الله عنهما كان توسلا بدعاء العباس، و لم يكن بذاته، و عظم من شأن القول بالتوسل حينا، و حينا آخر قال: و هو قول قريب؛ إن مسألة التوسل مسألة فرعية، يعنى أنها ليست من صلب العقيدة و أصولها، بل يدور أمر التوسل عنده بين أن يكون مكروها أو مباحا[١].

أقول على هذا: لا لوم على من قال بالتوسل و لا تنديد به، و لا نبز بالضلالة و المروق.

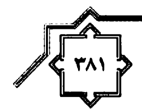
فعلام، و باسم ابن تيمية يكفر بعض المسلمين بعض المسلمين و يسلقونهم بألسنة حداد، و يحاربونهم فى الرزق و السمعة العلمية، و يسيؤون فيهم القول و الظن، بل ويقعون فى أعراضهم و يفترون عليهم الأكاذيب و يخترعون عليهم القصص كما فعل قديما نعيم بن حماد[٢] الذى وضع أحاديث فى السنة و ثلب أبى حنيفة رضي الله عنه ظنا من أنه يدافع عن السنة بالحديث الموضوع و يكيد لأبى حنيفة بالكذب، و قد جعله الله تعالى نبراسا و قدوة لصالحى العلماء و الأئمة المقتدى بهم رضي الله عنه و أرضاه.

٥ ـ و لقد اخترت فى مسألة التوسل نشر رسالة لأحد العلماء الأعلام، و النقلة الثقات أصحاب الحديث و الفقه، و نادرة العارفين بالكتب و الكتاب، و أصحاب الأهواء و الضلالات، و من أشهر المدافعين عن عقيدة أهل السنة و الجماعة فى هذا العصر ضد الغلاة و المنحرفين و أصناف من المجددين، كما يشهد بذلك معاصروه من العلماء فى قاصى الأرض و دانيها و تشهد كتبه و مقالاته المنثورة و المجموعة.

---

١ . انظر كتابه (قاعدة جليلة فى التوسل و الوسيلة) ص٦٤.

٢ . قال فيه النسائى: ضعيف. و قال غيره: كان يضع الحديث فى تقوية السنة، و حكايات فى ثلب أبى حنيفة كلها كذب. انظر (فقه أهل العراق و حديثهم) ص٨٨.



ذلك العلم هو المحدث الفقيه الأصولى الحجـة، و المحقـق الموفـق، العابـد الزاهد. الشيخ محمد زاهد بن حسن الكوثرى[١] وكيل المشيخة العثمانية قبل إلغـاء الخلافة، و إلغاء المنصب، المتوفى فى شعبان ١٣٧١ و اسم الرسالة (محق التقول فى مسألة التوسل).

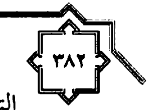
أسأل الله تعالى أن يوفقنى فى التعليق عليها تعليقات يسيرة مناسبة، موجزة لا مطولة، بما يفيد بالرسالة أكثر و أكثر تلك الفائـدة العلميـة المرجـوة بـإذن الله تعالى دون نبز أحد أو تحقير أحد فضلا عن اتهامه فى المعتقد.

٦ ـ و قصدى من هذا العمل ـ شهد الله ـ تضييق شـقة الخـلاف بـين علـماء أهل السنة و الجماعة. و لعل الله تعالى يجمع شمل أهل السنة المزوق ـ للأسف ـ و يقوى الشوكة لنقف جميعا علماء و أتباعا للعلماء صفا واحدا فى وجه مكايـد أعداء الإسلام و الفرق الخارجة عنه ممن جمعهم كفرهم و حقدهم على اختلاف مشاربهم و نحلهم على هذا الإسلام العظيم يريدون به السوء، و لأهله التفـرق و التباعد، و الخصام و القتال، ثم الهلاك إن لم يمكنهم القضاء علـى الإسـلام و إبادته و إبادة أهله ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُـورَ اللهِ بِـأَفْوَاهِهِمْ وَيَـأْبَى اللهُ إِلَّا أَن يُـتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَـافِرُونَ﴾(٣٢) [التوبـة: ٣٢] قـال الله تعـالى: ﴿وَإِذَا ذُكِـرَ اللهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ إِذَا هُـمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [الزمر: ٤٥].

فما أجل كلمة الإمام حسن البنا رحمه الله: [نتعاون فيما اتفقنا عليه و يعذر بعضنا بعضا فيما اختلفنا فيه]. و ما أجدرها بأن تكتب علـى صـفحات القلـوب، و أن توضع على مكاتب أهل العلم خاصة، و ما أجدرها أن تكـون شـعار العلـماء و الدعاة إلى الله تعالى على كل حال.

---

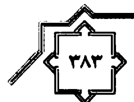
١ . كتب الكتب، و قدم للكتب و نشر مقالات و ما تقاضى على ذلك أجـرا و لا معلومـا، مـع قلـة ذات يده.



٧ ـ قد يقول قائل لم الخلاف فی أمر التوسل؟ فإذا كان بعضهم لا يرى التوسل، و الجمهور يرونه، و الذين يقولون به لا يرونه واجبا، و ترك الخلاف حق فدعوا التوسل إذن؟

يقال له: لو فتحنا لأنفسنا هذا الباب لتركنا الكثير من أمور الإسلام [و الإسلام أحق أن ينفذ أمره و يعمل به]. لتركنا مثلا الترضى على أبی سفيان و معاوية ﷺ، بل ربما سكتنا على من زعم عدم صحة إسلامهما، و العياذ بالله، لأن بعض الكتاب المسلمين المعاصرين يزعمون ذلك، و لتركنا القول بصلاة التسبيح الثابتة بالحديث الحسن لأن بعضهم ينكر ثبوت ذلك الحديث، بل لتركنا القول بنزول عيسى عليه و على نبينا الصلاة والسلام آخر الزمان؛ لأن القاديانية «الأحمدية» و بعض الكتاب المعاصرين أنكروا أحاديث نزول عيسى عليه‌السلام آخر الزمان و زعموها أحاديث آحاد، و جمهور العلماء على كفر من أنكر نزول عيسى عليه‌السلام آخر الزمان لإنكاره الأمر المتواتر، و لتركنا القول بإثبات المعجزات الوقتية لرسولنا ﷺ من تسبيح الطعام فی يده ﷺ و حنين الجذع إليه، و نبع الماء من بين أصابعه الشريفة ﷺ، لأن بعض الكتاب المعاصرين أنكروا أن تكون له ﷺ معجزة سوى القرآن الكريم، و ربما تركنا الإنكار على من زعم أن قصة نبينا آدم عليه و على نبينا الصلاة والسلام قصة تمثيلية و ليست واقعا لأن فلانا الشيخ ادعى ذلك. بل و ربما الاعتراض على الذين يزعمون حل الربا، و يدعون أن معاملات المصارف الربوية جميعها من القرض، و الإيداع، و فتح الحساب و أمثالها حلال، و قلنا: يا قوم لا خير فی الخلاف؟ و هل يقوم بهذا عالم بالشرع، و مقاصد الشرع؟ اللهم لا.

و من هنا نقول: إن التوسل وردت به السنة الصحيحة، و قد أمر به ﷺ رجلا من الصحابة رضوان الله عليه، و كيف ننكر ما هو ثابت عند الجمهور، بل جماهير المسلمين؟

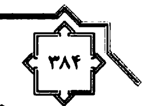


٨ ـ قد يقول قائل: لم لا نسأل الله تعالى دون واسطة؟ يقال: لأن رسول الله ﷺ علمنا هذا و هذا، علمنا أن نسأل الله تعالى، كما علمنا التوسل به ﷺ، و لقد توسل الصحابى ثانى أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ أعنى عمر ابن الخطاب رضي الله عنه بالعباس عم رسول الله ﷺ و قال قولته الثابتة فى الصحيح: (كنا نستسقى برسول الله ﷺ فتسقينا و اليوم نتوسل إليك بعم نبيك ﷺ فاسقنا)، و جاءه من يقول له: يا رسول الله هلكت المواشى و انقطعت السبل فادع الله يغيثنا (أى يمطرنا)... الحديث، و هو فى البخارى كتاب الاستسقاء، و علمنا سبحانه على لسان رسول الله ﷺ: أن نسأله شفاعة نبينا لنا، و هو سبحانه الأعلم بنا من أمرنا و أمر نفوسنا، و هو الأقرب، بيده وحده الأمر كله جل جلاله.

و أزيد أن الله سبحانه علمنا أن ننسب الأعمال كلها إلى الله تعالى ـ و هو الحق ـ فهو الفعال لما يريد، لكنه علمنا النظر إلى أرباب الأعمال و التعلق بالأسباب و بناء النتائج عليها إن شاء الله تعالى ذلك و أراد، فلئن قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ فقد قال كذلك: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾.

و لئن كان الله تعالى قد قال: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ اللهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللهَ رَمَىٰ﴾ فقد قال كذلك: ﴿وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُم وَأَخْرِجُوهُم مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ﴾.

و لئن قال الله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ و قال ﷺ لابن عباس فى حديث الترمذى: «**إذا سألت فاسأل الله و إذا استعنت فاستعن بالله**» فلقد قال كذلك: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلاَ تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ و قال ﷺ كما هو فى الصحيح «**والله فى عون العبد ما دام العبد فى عون أخيه**» رواه مسلم و غيره.



إن المؤمن العالم، و المتأدب بأدب العلماء من العامة يقول و يعتقد أن الأمور جميعا بيد الله تعالى، و لا يكون فى الكون خير أو شر إلا بإذن الله تعالى و إرادته. لكن الله سبحانه و له المثل الأعلى جعل ثمة أسبابا فإذا شاء الله تعالى تحقق المقصود بعد تلك الأسباب و إذا شاء لم يتحقق، و التوسل و دعاء الغير لنا من ذلك السبيل أيضا.

٩ ـ قد يقول قائل: أليس هناك توسل مشروع متفق عليه بين المسلمين، و هو التوسل بذات الله تعالى، و أسمائه الحسنى؟ يقال: نعم إن التوسل بذات الله تعالى و أسمائه ثابت فقد روى أبو داود و الترمذى و غيرهما أنه ﷺ سمع رجلا يقول: اللهم إنى أسألك بأنى أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذى لم يلد و لم يولد و لم يكن له كفوا أحد. فقال النبى ﷺ: «**لقد سألت الله بالاسم الأعظم الذى إذا سئل به أعطى و إذا دعى به أجاب**» و روى ابن حبان و الطبرانى و غيرهما أن رسول ﷺ أتى على رجل و هو يقول: اللهم إنى أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت الحنان المنان بديع السموات و الأرض ذو الجلال و الإكرام. فقال رسول الله ﷺ: «**لقد سأل الله بالاسم الذى دعى به أجاب و إذا سئل به أعطى**».

و التوسل بالأعمال الصالحة ثابت لحديث البخارى فى توسل الثلاثة بأعمالهم حتى كشف الله بذلك غمهم و كربهم.

و يقال أن التوسل بالنبى ﷺ ثابت كذلك لحديث الترمذى و أبى داود و غيرهما فى شأن الأعمى، و قد صححه الأئمة الحفاظ و منهم ابن تيمية كما سيأتى الكلام تفصيلا بإذن الله تعالى.

و ينبغى أن يقال: إن التوسل بالأعمال هو فى الحقيقة توسل بالعمل المقبول عند الله تعالى و ليس كل عمل، فهو إذن توسل بالمعنى و الفاعل لا مجرد الفعل.



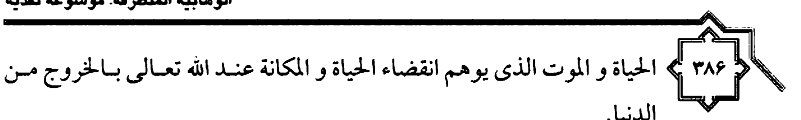
فماذا؟ ما الذى يمنع التوسل بالرجل الصالح عند الله تعالى و ما كان الرجل صالحا إلا لصلاح عمله، فكأن التوسل بالرجل الصالح هو توسل بالعمل الصالح فعلام التحسس؟ !

فإذا قال قائل: اللهم إنى أسألك برسولك محمد ﷺ أي بنبوته، و صلاحه و عبادته، و قبولك له. أو قال: أسألك بجاه فلان الصالح، أو بعبادة فلان لك، أو صلاح فلان، أى أسألك بصلاحه و عمله المقبول عندك فماذا؟ ما هو المانع من هذا النوع من السؤال و هو موجه إلى الله تعالى بوجاهة فلان الصالح، و ما هو موضع تعارضه مع التوحيد. ثم إن كل ذلك وارد منقول، عليه جماهير المسلمين قديما و حديثا، كما سيأتى الكلام عليه تفصيلا إن شاء الله تعالى.

١٠ ـ لكن المشكل الكبير الذى يقع فيه بعضهم و يحسبونه هينا و هو عند الله عظيم، أنهم يجيزون التوسل به ﷺ ـ و ربما بغيره من الصالحين ـ ما كان حيا، و ينفون ذلك، و ينكرونه بعد وفاته إنهم بذلك القول كأنما يوهمون الناس أن رسول الله ﷺ كان يملك فى حياته على ظهر الأرض من الأمر شيئا، و أنه لا يملكه بعد وفاته.

و تلك دعوى خطيرة، بل هو باطل من القول، مردود، لقد قال الله تعالى فيما حكاه عن رسوله ﷺ و هو الحق ﴿**قُل لاَأَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَلاَ ضَرّاً إِلَّا مَا شَاءَ اللهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**﴾ [الأعراف: ١٨٨].

أما لو علموا أن المراد بالتوسل بالنبى ﷺ فى حياته و بعد انتقاله من على ظهر الأرض هو طلب دعائه ﷺ ذلك من ربه، و هو ﷺ رسوله سبحانه فى الدنيا، و رتبته لا تسقط بعد الموت و فى الآخرة و العياذ بالله، فالنبوة لا تنقطع و تنقضى رتبتها عند الله تعالى، لو علموا ذلك أو تذكروه لما قالوا بهذا التفريق بين

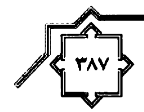


الحياة و الموت الذى يوهم انقضاء الحياة و المكانة عند الله تعالى بالخروج من الدنيا.

و أهل السنة يرون أن الأرواح الصالحة بعد انتقالها من هذه الدار، و خروجها من أبدان الدنيا لها أعمال، و تصرفات، و تملك أن يدعو، و أن تستنصر، و أن تصلى، و تعرض عليهم أعمال بعض أهليهم، و رسول الله ﷺ تعرض عليه أعمال أمته كما هو ثابت و يأتى الكلام عليه تفصيلا إن شاء الله تعالى.

و أما ما يزعمه بعضهم فيقول: ذلك الرجل الصالح الذى تتوسلون به، قد لا يكون صالحا، بل قد يكون مات كافرا. فذلك قول، من لا يحترم دينه، و يسيىء الظن بالمسلمين الصالحين ظاهرا.

إن المؤمنين شهداء بعضهم على بعض عند الله تعالى، مقبولة شهادة بعضهم فى بعض، فإذا شهدوا لأحدهم بالصلاح، حين رأوا منه علما و عملا، و تقوى و برا و استقامة ثم موتا على ذلك فإنهم يشهدون بما يعلمون، و لا يؤاخذهم الله بما لا يعلمون. لكن لو قيل لأحدهم: إن أباه الذى مات على عقيدته السليمة، و عمله الصالح و بره و تقواه أنه قد يكون من أهل النار فإنه يغضب لذلك، و يقول أحسن الظن بمن مات مسلما صالحا، و يأتى بالدليل تلو الدليل على أن شهادة المؤمنين بعضهم لبعض مقبولة، و شفاعتهم فى بعضهم مقبولة، يأتى بحديث: «**إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالإيمان**» و حديث شهادة الصحابة لجنازة بالخير، و أخرى بالشر و أن رسول الله ﷺ قال بعد كل قول منهم: «**وجبت؛ أنتم شهداء الله فى الأرض**» و الحديث فى الصحيح.



إن سوء الظن المسلم بالمسلم فى دينه و عبادته و بره و ما يقوم به من الطاعات إثم و معصية، و العياذ بالله.

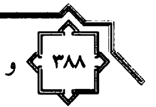
١١ ـ بقى أن يقال: إن بعض العامة يقول: يا رسول الله افعل بى كذا و كذا، أيها الرجل الصالح فعل بى كذا و كذا بعد موتهما. فيقال: هؤلاء جهال حق علينا أهل العلم أن نعلمهم. فنقول لهم: لا تقل يا فلان، بل قل: يا رب بفلان افعل بى كذا و كذا.

نقول: إنهم جهال و علينا أن نعلمهم، فإنا لو سألنا أغرقهم فى العامية و الجهل فقلنا له: هل ترى أن رسول الله ﷺ يقوم من قبره ليقضى لك حاجتك؟ ليقولن: لا، ثم لا، إنى أعتقد أنه ﷺ قد خرج من الدنيا، و لكنى أرجو أن يدعو لى رسول الله ﷺ و دعاؤه عند الله مستجاب أن يقضى حاجتى كذا و كذا.

و أرجو أن يدعو لى ذلك الرجل الصالح، و دعاؤه عند الله مستجاب. و كل ذلك بمشيئة الله تعالى و إرادته.

إذن فليس فى التوسل شرك يا قوم و الحمد لله.

لقد رأينا ابن تيمية و هو أول من أثار مسألة التوسل، و قال فيه ما قال و يتبعه فى ذلك من يتبعه يقول: إن التوسل من الأمور الفرعية، و ليست من المسائل العقدية الأصولية بل رأينا الشيخ محمد بن عبد الوهاب ـ المعروف شأنه من قتل المخالفين له من المسلمين و أخذ أموالهم ـ يقول فى فتاويه: و قول أحمد «يتوسل بالنبى ﷺ خاصة» مع قولهم أنه لا يستغاث بمخلوق فقال: الفرق ظاهر جدا، و ليس الكلام مما نحن فيه، فيكون بعض يرفض التوسل بالصالحين و بعض يخصه بالنبى ﷺ. و أكثر العلماء ـ سيأتى أنه غير سديد ـ ينهى عن ذلك



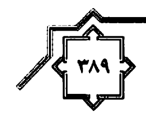
و يكرهه، فهذه المسألة بين مسائل الفقه و إن كان الصواب عندنا قول الجمهور من أنه مكروه، فلا ننكر على من فعله، و لا إنكار فى مسائل الاجتهاد، و لكن إنكارنا على من دعا المخلوق أعظم ما يدعو الله تعالى، و بقصد القبر يتضرع عند ضريح الشيخ عبد القادر أو غيره يطلب منه تفريج الكربات و إغاثة اللهفات و إعطاء الرغبات، فأين هذا ممن يدعو الله مخلصا له الدين لا يدعو مع الله أحدا، و لكن يقول فى دعائه: أسألك بنبيك أو بالمرسلين أو بعبادك الصالحين، أو يقصد قبرا معروفا أو غيره يدعو عنده لكن لا يدعو إلا الله مخلصا له الدين. فأين هذا مما نحن فيه. اهـ[١].

و قد يكون من المفيد أن أورد فى هذه الكلمة المقدمة نماذج لأعلام من العلماء قالوا بالتوسل بالنبى ﷺ فتخف بذلك حدة التحسس عند بعض الأحبة و يروا أن آراء جماهير المسلمين القائلين بالتوسل أهل أن ينظر إليها و أن تحترم، و أن يحسن الظن بأهلها، و أن يقولوا بعد أن قد أنكروا بما قال جماهير المسلمين أو يعذروا أولئك القائلين فيما يرون إن لم يقولوا بقولهم لأسباب و أسباب.

و ما أجمل أن يلتقى المسلمون و يتعاونوا ـ فيما اتفقوا عليه و يعذر بعضهم فيما اختلفوا فيه ـ على نصرة قضايا الإسلام الكبرى، و هم عرضة للإبادة، أو الإذابة و الانهيار و العياذ بالله من أعداء الإسلام ممن نعلمهم و ممن يعلمهم الله تعالى و لا نعلمهم ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ والله يقول الحق و هو يهدى السبيل.

---

١ . فتاوى الشيخ محمد بن عبد الوهاب فى مجموعة المؤلفات القسم الثالث ص٦٨ التى نشرها جامعة محمد بن سعود الإسلامية فى أسبوع محمد بن عبد الوهاب.



بيان أسماء المتوسلين من أئمة المسلمين:

و نذكر هنا أسماء أشهر من يقول بالتوسل من كبار الأئمة و حفاظ السنة:

١ ـ فمنهم الإمام الحافظ أبو عبد الله الحاكم في كتابه (المستدرك) على الصحيحين، فقد ذكر حديث توسل آدم بالنبى ﷺ و صححه.

٢ ـ و منهم الإمام الحافظ أبو بكر البيهقى فى كتابه (دلائل النبوة) فقد ذكر حديث آدم و غيره، و قد التزم أن لا يخرج الموضوعات.

٣ ـ و منهم الإمام الحافظ جلال الدين السيوطى فى كتابه (الخصائص الكبرى) فقد ذكر توسل آدم عليه و على نبينا الصلاة و السلام.

٤ ـ و منهم الإمام الحافظ أبو الفرج بن الجوزى الحنبلى فى كتابه (الوفاء) فقد ذكر هذا الحديث و غيره.

٥ ـ و منهم الإمام الحافظ القاضى عياض فى كتابه (الشفا فى التعريف بحقوق المصطفى) ﷺ فقد ذكر فى باب الزيارة في باب فضل النبى ﷺ كثيرا من ذلك.

٦ ـ و منهم الإمام نور الدين على القارى المعروف بملا على القارى فى شرحه (على الشفا) فى المواطن السابقة.

٧ ـ و منهم العلامة أحمد شهاب الدين الخفاجى فى شرحه على (الشفا) المسمى (نسيم الرياض) فى المواطن السابقة.

٨ ـ و منهم الإمام الحافظ العسقلانى فى كتابه (المواهب اللدنية) فى المقصد الأول من الكتاب.

٩ ـ و منهم العلامة الشيخ محمد عبد الباقى الزرقانى فى شرحه (على المواهب) / جـ١ ـ ٤٤/ .



١٠ ـ و منهم الإمام شيخ الإسلام أبو زكريا يحيى النووى فى كتابه (الإيضاح) فى الباب السادس ص٤٩٨.

١١ ـ و منهم العلامة ابن حجر الهيثمى فى حاشيته (على الإيضاح) ص٤٩٩، و له رسالة خاصة فى هذا الباب تسمى بـ (الجوهر المنظم).

١٢ ـ و منهم الحافظ شهاب الدين محمد بن محمد بن الجزرى الدمشقى فى كتابه عدة الحصن الحصين فى فضل آداب الدعاء.

١٣ ـ و منهم العلامة محمد بن على الشوكانى فى كتابه (تحفة الذاكرين) ص١٦١.

١٤ ـ و منهم العلامة المحدث على بن عبد الكافى السبكى فى كتابه (شفاء السقام فى زيارة خير الأنام).

١٥ ـ و منهم الحافظ عماد الدين ابن كثير فى تفسير قوله تعالى: (و لو أنهم إذ ظلموا أنفسهم) فقد ذكر قصة العتبى مع الأعرابى الذى جاء زائرا قاصدا مستشفعا بالنبى صلى الله عليه و آله، و لم يعترض عليها بشىء، و ذكر قصة توسل آدم بالنبى صلى الله عليه و آله فى (البداية و النهاية) (١/ ١٨٠) و لم يحكم بوضعها.

و ذكر قصة الرجل الذى جاء إلى قبر النبى صلى الله عليه و آله و توسل به، و قال: إن إسنادها صحيح (١ ـ ٩١).

و ذكر أن شعار المسلمين فى موقعة اليمامة كان يا محمداه (٦/ ٣٢٤).

١٦ ـ و منهم الإمام الحافظ ابن حجر عن قصة الرجل الذى جاء إلى قبر النبى صلى الله عليه و آله و توسل به، و صحح سندها فى فتح البارى (٢/ ٤٩٥).

١٧ ـ و منهم الإمام المفسر أبو عبد الله القرطبى فى تفسير قوله تعالى: (و لو أنهم إذ ظلموا أنفسهم) (٥/ ٢٦٥) عن (مفاهيم يجب أن تصحح) لفضيلة الشيخ الحسيب النسيب أحد مدرسى المسجد الحرام، و الحاصل على دكتوراه



فى الحديث الشريف محمد علوى المالكى الحسنى حفظه الله تعالى (ص ٧٦ ـ ٧٧) و الاستدراك آخر الكتاب. و ثمة آخرون غيرهم كثيرون منهم الإمام أحمد بن حنبل و غيره كما سيأتى ذكره فى ثنايا الرسالة إن شاء الله تعالى. بل قال ابن علان الصديقى فى تعليقه على قول النووى فى أدب الزيارة النبوية الشريفة، [ثم يرجع إلى موقفه الأول قبالة وجه رسول الله ﷺ فيتوسل به فى حق نفسه، و يتشفع به إلى ربه سبحانه و تعالى] لأن التوسل به ﷺ سيرة السلف الصالح من الأنبياء و الأولياء و غيرهم. اهـ.

و أخيرا أقول كما قال فضيلة الشيخ الدكتور محمد علوى المالكى حفظه الله تعالى: يخطىء كثير من الناس فى فهم حقيقة التوسل، و لذا فإننا سنبين مفهوم التوسل الصحيح فى نظرنا، و قبل ذلك لابد أن نبين هذه الحقائق:

أولا: التوسل هو أحد طرق الدعاء، و باب من أبواب التوجه إلى الله تعالى، فالمقصود الأصلى هو الله سبحانه و تعالى، و المتوسل به إنما هو واسطة و وسيلة للتقرب إلى الله سبحانه و تعالى. و من اعتقد غير ذلك فقد أشرك.

ثانيا: إن المتوسل ما توسل بهذه الواسطة إلا لمحبته لها، و اعتقاده أن الله سبحانه و تعالى يحبها، و لو ظهر خلاف ذلك لكان أبعد الناس عنها و أشد الناس كراهة لها.

ثالثا: إن المتوسل لو اعتقد أن من توسل به إلى الله تعالى ينفع و يضر بنفسه مثل الله تعالى أو دونه فقد أشرك.

رابعا: إن التوسل ليس أمرا لازما أو ضروريا، و ليست الإجابة متوقفة عليه، بل الأصل دعاء الله مطلقا، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ و كما قال تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا اللهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَانَ أَيّاً مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ﴾ اهـ.



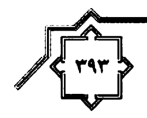
ثم تكلم فى التوسل بما فتح الله تعالى عليه، على أدب العلماء، لا يسب، و لا يشتم، و لا يتهم، و لا يضلل، يعرض الدليل الذى عنده و كفى، و لا غرو فالرجل سليل النبوة الطاهرة، ثم هو عالم بن عالم زاده الله تعالى من فضله. انظر (مفاهيم يجب أن تصحح ص١٢٥) و ما بعد.

و كتب الشيخ محمد بن سليمان الكردى المدنى إلى تلميذه محمد بن عبد الوهاب، يا ابن عبد الوهاب سلام على من اتبع الهدى.

فإنى أنصحك لله أن تكف لسانك عن المسلمين، فإن سمعت عن شخص أنه يعتقد تأثير المستغاث به دون الله فعرفه الصواب.

واذكر له الأدلة على أنه لا تأثير لغير الله تعالى فإن أبى فكفره حينئذ بخصوصه، و لا سبيل لك إلى تكفير السواد الأعظم من المسلمين إلخ من (الدرر السنية، لأحمد زينى دحلان ص٣٥ـ٣٩).

أحد المعاصرين الذى ينقل كلام ابن تيمية فى التوسل و مراميه فى التوسل دون أن ينسب ذلك إليه فى غالب الأحوال، ثم يزيد من كيسه ما يشاء، يفعل ذلك من أجل أن يرد القول بجواز التوسل بالنبى ﷺ و يخالف ما عليه جماهير المسلمين، هذا الرجل لما وجد الآثار الكثيرة فى تبرك الصحابة و من بعدهم بآثار النبى ﷺ و هو توسل، جاء بتفريق غريب لم يسبقه إليه عالم من السلف ألا و هو التفريق بين التوسل و التبرك، فقال: إن التبرك يرجى به شىء من الخير الدنيوى، و ثانيهما أن التبرك التماس الخير العاجل كما سبق بيانه بخلاف التوسل الذى هو مصاحب للدعاء، و لا يستعمل ـ التوسل ـ إلا معه. اهـ [قلت: و قد تبين أن التوسل فى ظاهره أنه لا يستعمل معه الدعاء و نورد أدلته] يقال له: إن أصحاب رسول الله ﷺ استعملوا التبرك فى طلب الدنيا و الآخرة. و قد ثبت فى الصحيح أن رجلا سأل رسول الله ﷺ جبة كانت عليه فدخل ﷺ بيته



ليأتيه بها فعتب على الصحابى بعض الصحابة فى ذلك فقال: [إنما أعدها لتكون كفنا لى] فأقروه عليها، و الخبر فى البخارى باب من استعد للكفن.

و ثبت أن أنسا ﷺ أوصى أن يجعل شعر من شعر رسول الله ﷺ فى كفنه، و فى البخارى أن أنسا أوصى أن يجعل فى حنوطه من ذلك السك الذى لأمه أم سليم و فيه الشعر الذى فى طيبها و هو من شعر رسول الله ﷺ و الخبر فى البخارى. و قال ابن المأمون و هو علم من أعلام الإسلام: كانت عندنا قصعة من قصاع رسول الله ﷺ فكنا نجعل فيها الماء للمرضى فيشفون. و الخبر فى (الشفا) للقاضى عياض. و أحمد بن حنبل وقعت له ثلاث شعرات من شعر رسول الله ﷺ فأوصى أن توضع اثنتان على جبينه و واحدة على لسانه. و الخبر فى تاريخ الإسلام للذهبى/ الهداية ص٨٥. بعض الأحباب يظنون أن قول القائل: يا رب بجاه نبيك محمد ﷺ الا وفقتنى للحج و الزيارة هذا العام و كل محب مشتاق، إن ذلك من الإقسام على الله تعالى. [قلت: و سنذكر أدلة فى جواز الإقسام على الله تعالى على لسان رسول الله ﷺ] و نزيد الأمر وضوحا إن التوسل و التوجه ـ بسؤال: بالجاه ـ ليس إقساما و حلفا على الله تعالى، و هذه أمثلة محدودة كيلا يطول البحث:

روى الطبرانى و أحمد عن معاذ و أبى موسى ﷺ أنهما قالا للنبى ﷺ: نسألك بحق الإسلام و بحق الصحبة لما أدخلتنا فى شفاعتك فدعا لهما فاحتج الناس فقالوا مثل مقالتنا فقال: «**إنى جاعل شفاعتى لمن مات لا يشرك بالله شيئا**» قال الحافظ الهيثمى فى (المجمع) رجالها رجال الصحيح غير عاصم بن أبى النجود، و فيه ضعف، و قد وثق.

و روى البخارى فى المغازى أن عراقيا قال لابن عمر ﷺ: (أنشدك بحرمة هذا البيت) الخبر...

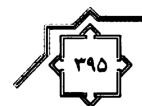


و أخرج أحمد أن مسروقا قال لعائشة ﵂: أسألك بحق صاحب هذا القبر ما الذى سمعته عن الخوارج) الخبر... و أخرج الترمذى و حسنه، و من حديث الصحابى ثمامة أنه سمع عثمان ﵁ فى حصاره يقول: (أنشدكم بالله و الإسلام) الخبر... (انظر هداية المتخبطين ص٧٧)، و ما بعد.

قال الله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾. قرىء بكسر الميم من الأرحام/ و هى قراءة سبعية، أى من القراءات المتواترة السبعة. قال إبراهيم و مجاهد و الحسن: هو كما يقال: أسألك بالله و بالرحم. انظر (مختصر ابن كثير ١/ ٣٥٤، و الجامع لأحكام القرآنى للقرطبى ٥/ ٢) ثم قال: و هو الصحيح فى المسألة على ما يأتى و قال بعد صفحة: (و أما ما ذكر من الحديث ـ أى النهى عن الحلف بالآباء ـ ففيه نظر، لأنه ﷺ قال لأبى العشراء: **«و أبيك لو طعنت فى خاصرته»**[1]، ثم النهى إنما جاء فى الحلف بغير الله، و هذا توسل إلى الغير بحق الرحم فلا نهى فيه، إلخ (٥/ ٤).

و قال ابن تيمية فى كتاب (الإيمان) لم يكفر الإمام أحمد الخوارج و لا المرجئة و لا القدرية، و إنما المنقول عنه و عن أمثاله تكفير الجهمية مع أن أحمد لم يكفر أعيان الجهمية و لا كل من قال أنا جهمى، بل صلى خلف الجهمية الذين دعوا إلى قولهم و امتحنوا الناس و عاقبوا من لم يوافقهم بالعقوبات الغليظة، و لم يكفرهم أحمد و أمثاله، بل كان يعتقد إيمانهم و إمامتهم و يدعو لهم، و يرى لهم الائتمام بالصلاة خلفهم، و الحج و الغزو معهم، و المنع من الخروج عليهم بما يراه لأمثالهم من الأئمة، و ينكر ما أحدثوا من القول الباطل الذى هو كفر عظيم، و إن لم يعلموا هم أنه كفر كان ينكره و يجاهدهم على رده بحسب الإمكان، فيجمع بين طاعة الله و رسوله ﷺ فى إظهار السنة و الدين و إنكار

١ . جاء فى هامش القرطبى، فى تهذيب: أبو العشراء الدارمى عن أبيه عن النبى ﷺ: **«لو طعنت فى فخذها لأجزاك»**. الحديث فى الذكاة.



بدع الجهمية الملحدين، و بين رعاية حقوق المؤمنين من الأئمة، و الأمة و إن كانوا جهالا مبتدعين و ظلمة فاسقين. اهـ. و نقل مؤلف (الصواعق الإلهية)[١] عن ابن تيمية و ابن القيم أن الجاهل و المخطىء من هذه الأمة و لو عمل من الكفر و الشرك ما يكون صاحبه مشركا أو كافرا، أنه يعذر بالجهل و الخطأ حتى تتبين له الحجة التي يكفر تاركها بينا واضحا لا يلتبس على مثله، أو ينكر ما هو معلوم بالضرورة من دين الإسلام ما أجمعوا عليه إجماعا جليا قطعيا يعرفه كل واحد من المسلمين من غير نظر و تأمل. اهـ (ص ٤٠). و نقل فيه عنه أيضا: و من البدع المنكرة تكفير الطائفة و غيرها من طوائف المسلمين و استحلال دمائهم و أموالهم. و هذا عظيم لوجهين:

أحدهما: أن تلك الطائفة الأخرى قد لا يكون فيها من البدعة أعظم مما في الطائفة المكفرة لها، بل قد تكون بدعة الطائفة المكفرة لها أعظم مما في الطائفة المكفرة و قد تكون نحوها، و قد تكون دونها. و هذا حال عامة أهل البدع و الأهواء الذين يكفر بعضهم بعضا، و هؤلاء من الذين قال الله فيهم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً﴾.

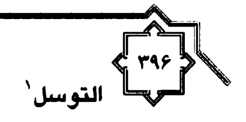
الثاني: أنه لو فرض أن إحدى الطائفتين مختصة بالبدعة و الأخرى موافقة للسنة لم يكن لهذه الطائفة السنية أن تكفر كل من قال قولا أخطأ فيه، فإن الله تعالى قال: ﴿رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ و ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أن الله تعالى قال: «قد فعلت» إلخ (ص ٦٥).

ليكن هذا آخر ما نقدم به للرسالة. والله تعالى ولي التوفيق و هو القادر على جمع كلمة علماء المسلمين على الهدى و الحق إنه جواد كريم. و صلى الله على سيدنا محمد و آله و صحبه و إخوانه و سلم.

وهبي

---

١ . هو القاضي سليمان بن عبد الوهاب شقيق محمد بن عبد الوهاب.



التوسل[١]

كتبنا كلمة وجيزة فى التوسل بالنبى ﷺ، و حذرنا الغلاة و من حذا حذوهم من تكفير المسلمين، و قلنا لهم: إن التكفير أمر عظيم لا ينبغى لمن يشفق على دينه أن يسارع إليه.

و ذكرنا من الأدلة على جوازه ما يخضع له المنصف، و لا يمارى فيه إلا الجاهل المتعسف.

فجاءتنا رسائل من الجهلة كلها سب و إقذاع و ليس فيها غير ذلك، و لا غرو فسلاح السفهاء بذاءة اللسان لا قوة البرهان.

و إنى أبادر فأقول: إن كل ما يجد القارىء فى مقالى هذا من كلمة لاذعة فإنا لا نقصد بها إلا سفهاءهم و أراذلهم، و حاشا أن نقصد منهم عاقلا أو كاملا. فإن سبق القلم بغير ذلك فهو على غير قصد منا، و إنما جرنا إليه جهل الجاهلين و جمود الجامدين:

وجرم جره سفهاء قوم فحل بغير جانيه البلاء

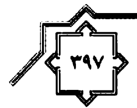
و قد خيل لأولئك السفهاء أنهم سينسفون الحق و أهله بسفاهتهم التى لا تزيدهم عندنا إلا صغارا و احتقارا، و لسنا نقيم لها وزنا و إن تفننوا فيها، و كم فى كلامنا من إشارات لم يفهموها ورموز لم يدروا المراد منها و إن ظنوا أنهم مبرزون فيما يكتبون:

إن العصافير لما قام قائمها توهمت أنها صارت شواهينا

و للحق و الإنصاف نقول: إنه جاءنا رسالة من بعض المكيين تحت إمضاء (ا. د) سلك فيها الكاتب مسلك الأدب و لم يقذع إقذاع أولئك الزعانف، و ربما نشرناها و علقنا عليها تحقيقا للحق و إبطالا للباطل.

---

١ . مجلة الأزهر ـ العدد الأول ـ المجلد الثانى ـ المحرم سنة ١٣٥٠.



أما اليوم فنقول: ليعلم القارىء الكريم أن إسناد الفعل تارة يكون لكاسبه كفعل فلان كذا، و تارة يكون لخالقه كفعل الله كذا. و الكل حقيقة فى اللسان العربى، و قد جاء ذلك فى القرآن الشريف: ﴿وَاللهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[1]. ﴿مَن يَهْدِ اللهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ﴾[2] و مع هذا فقد قال: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[3]. و هو كثير معروف.

فإن منع أولئك الجهال الإسناد على وجه الاكتساب فهم مجانين، و إن ادعوا أن الواقع فى كلام الناس هو الإسناد للخالق لا للكاسب فهى دعوى كاذبة لم يقع عليها برهان، و قد استباحوا بها دماء المسلمين جهلا و ضلالا. و من منع الإسناد على وجه الكسب سقطت مخاطبته و انقطع الكلام معه.

فمثلا: الغوث من الله خلق و إيجاد، و من النبى تسبب و كسب.

هذا على فرض أننا طلبنا الغوث منه ﷺ مع أننا لم نفعل ذلك، و لو فعلناه لصح على طريق التسبب و الاكتساب بطلب الدعاء منه ﷺ، و قد قالت أم إسماعيل عندما سمعت الصوت: «أغث إن كان عندك غواث» فأسندته إليه على سبيل الكسب.

فكيف يجوز مع هذا تكفير المسلمين و استباحة دمائهم و أموالهم بالتوسل و الاستغاثة، حتى على اصطلاحهم الذى لا نوافقهم عليه، و النزاع فى معان لا فى ألفاظ؟

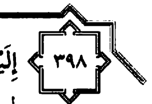
و قد جاء فى الحديث الصحيح: «**من قال لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما، فإن كان كما قال و إلا رجعت عليه**» و قد قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَىٰ

---

١ . سورة البقرة: الآية ٢١٣.

٢ . سورة الكهف: الآية ١٧.

٣ . سورة الشورى: الآية ٥٢.



إِلَيْكُمُ السَّلاَمَ لَسْتَ مُؤْمِناً تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾[1]. فإذا كان هذا في رجل لم يكن منه إلا مجرد السلام الذى هو تحية المسلمين، فكيف بمن يتجاسر على خيار الأمة المحمدية و يكفرهم بالتسول بالأنبياء و الصالحين بشبه أوهى من بيت العنكبوت: ﴿أَلاَّ يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُم مَبْعُوثُونَ * لِيَوْمٍ عَظِيمٍ * يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[2] و من المقرر أن اليقين لا يزول بالشك، و أنه يؤول للمسلم من وجه إلى سبعين وجها كما نص عليه النووى و غيره من العلماء.

و لست أدرى هل ياخذ هؤلاء بظواهر العبارات أم بالمقصود منها؟ فإن كان التعويل عندهم على الظواهر كان قول القائل: «أنبت الربيع البقل» و «أروانى الماء» و «أشبعنى الخبز» شركا و كفرا، و إن كانت العبرة بالمقاصد و التعويل على ما فى القلوب التى تعتقد أنه لا خالق إلا الله و أن الإسناد لغيره إنما هو لكونه كاسبا له أو سببا فيه لا لكونه خالقا له لم يكن شيء من ذلك كله كفرا و لا شركا.

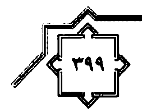
و لكن القوم متخبطون خصوصا فى التفرقة بين الحى و الميت على نحو ما يقولون: «كأن الحى يصح أن يكون شريكا لله دون الميت» أو كأن الأرواح تستمد قوتها و سلطانها من الأشباح لا العكس، و لكنهم ليسوا أهل منطق و لا برهان، ثم انضم إلى ذلك الصلف المذموم و الكبرياء الممقوتة. فبماذا نخاطبهم؟ و على أى قاعدة نحاورهم.

و لكننا نكتب لغيرهم عسى أن نقيه شر سمومهم التى ينفثونها فيما يكتبون تبعا لأسلافهم، مطبقين الآيات التى نزلت فى الكفار على المسلمين، مع أن الشاذ على جماعة المسلمين أولى بالتكفير منهم و أقرب إلى الخطأ و الضلال، و

---

١ . سورة النساء: الآية ٩٤.

٢ . سورة المطففين: الآية ٤، ٥، ٦.



هل يرضون أن نقول لهم؛ إنكم مخالفون لسلف الأمة و خلفها إتباعا لمن قبلكم، ثم نطبق عليكم قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾[1] ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدىً مِنَ اللهِ﴾[2]. ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلاَ هُدىً وَلاَ كِتَابٍ مُنِيرٍ * ثَانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللهِ﴾[3].

و عندنا من ذلك شيء كثير، و هل لنا أن نأخذ بظاهر هذا الحديث و هو أصح مما تأخذون به فنقول: إنكم كفرتم عندما رميتم المسلمين بالكفر؟ أو نقول: إنكم من أولئك الذين يحقر أحدنا صلاته بجنب صلاتهم يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية؟ أو نقول: إنكم من أولئك الخوارج الذين قال فيهم عبد الله بن عمر ـ كما فى صحيح البخارى ـ «**إنهم عمدوا إلى آيات نزلت فى المشركين فجعلوها فى المسلمين**»؟ أو نقول كما قال ابن عمر أيضا: «**إنكم قتلتم أهل الإسلام و تركتم أهل الأوثان**»؟ أو نقول: «**و لا نريد إلا أولئك الفظاظ الغلاظ الجامدين الجاهلين**»:

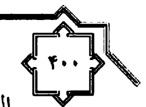
إنكم أعداء الله حيث أثبتم له الجهة و شبهتموه بخلقه، و أعداء رسول الله حيث لم توقروه و لم تراعوا حرمته، و أعداء أولياء الله حيث حقرتموهم كل التحقير، و أعداء جميع المسلمين حيث استحللتم دماءهم و أموالهم حتى قتل أطفالهم من بنات و بنين، و ذلك شيء لم نفعله مع أكفر الكفرة و أفجر الفجرة، إلى آخر فظائعكم و شنائعكم.

---

١ . سورة البقرة: الآية ١٧٠.

٢ . سورة القصص: الآية ٥٠.

٣ . سورة الحج: الآيتان ٨، ٩.



فيها أيها الناس، اتقوا الله فى المسلمين فنحن أحوج إلى الوئام و الاتحاد أمام العدو الذى أجمعنا جميعا على كفره و عداوته. بل اتقوا الله فى أنفسكم و اعلموا أن النفس أمارة بالسوء، و أن من اتبع هواه ضل عن سبيل الله. و لو سلكنا مسلككم و اتبعنا خطتكم و قابلنا السيئة بالسيئة لقلنا لمن يريد نصحكم و نحن يائسون منكم:

﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً * أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً﴾[1].

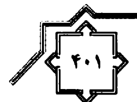
و على نهجكم كان يمكننا أن نسير و لكن ديننا أعز علينا من أعراضنا التى نهشتموها، و دمائنا التى استبحتموها، و لعمر الله لقد صيرتم الإسلام بذلك نارا مضطرمة على وجه الأرض، لا دين يسر و سلام كما جعله الله، بل صار دين جهالة و جمود مع أن نبيه يقول: «**إن الله لا ينظر إلى صوركم و أعمالكم و لكن ينظر إلى قلوبكم و نياتكم**». و إنا لنعلم أن الفرق الضالة كلها تستدل بالقرآن على نحلها و نزعاتها، فلا يغرنكم ما تستدلون به من الآيات فى غير محل الاستدلال، مطبقين إياها على المسلمين خطأ وجهلا، كما فعل أسلافكم، فإن ذلك لا يغنى عنكم من الله شيئا. و الناجى من نجاه الله **﴿مَن يَهْدِ اللهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيّاً مُرْشِداً﴾**[2].

و لا أدرى لماذا قامت قيامتكم، و قد قلنا: إننا نعتقد فى توسلنا أن الله هو الفاعل، و لسنا نطلب من غيره فعلا، و لا عملا، ولكن نسأله بمنزلة النبى عنده، و تلك المنزلة ثابتة له فى الدنيا و الآخرة، و بها نذهب إليه للشفاعة يوم القيامة. و ذكرنا وجوها أخرى هى فى غاية الوضوح لا داعى لإعادتها؟ ! و سنفيض بعد فيما يقنع المناظر و يفحم المكابر.

---

١ . سورة الفرقان: الآية ٤٣، ٤٤.

٢ . سورة الكهف: الآية ١٧.



فما ذلك الشرك الذى شغفتم بذكره؟ و ما ذلك التكفير الذى جننتم برمى المسلمين به؟ و سنذكر من أدلة التوسل ما يلقمكم الحجر، و نبين لكم أن آية ﴿وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ﴾[١] ما ذكرناها إلا لما قاله بعض أئمتكم.

و ستسمعونه بعد، و لأننا لا نستبعد منكم شيئا مما يعقل و ما لا يعقل، و لأن التفرقة بين الأحياء و الأموات فى هذا المقام غير صحيحة، فإن الطلب من الله و الفعل لله لا من المستغاث به على أن يستطيع أن ينفعنا بدعائه على ما نوضحه أتم توضيح.

و لنقتصر على هذا و نورد لكم شيئا عن الأرواح و عملها بعد الموت مما قاله ابن القيم، و شيئا عن التوسل مما قاله الشوكانى. و هما من أئمة الغلاة الذين يرددون كلامهم فى كل موطن، بل كل ما تراه لهم من علم أو ما يشبه العلم فإنما هو لابن تيمية و ابن القيم و الشوكانى، يحكونه واحدا بعد واحد كالببغاء أو كالحاكى للصوت «الفنوغراف» و ليتهم كان لديهم من الأمانة (ما للفنوغراف) أو ليتهم عرفوا كل ما قال أئمتهم، فسلكوا طريقتهم و لم يقولوا بغير قولهم.

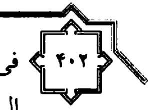
و هذا هو كلام ابن القيم فى الأرواح بعد موتها:

عمل الأرواح بعد الموت

قال ابن القيم فى «كتاب الروح»: إن للروح المطلقة من أسر البدن و علائقه و عوائقه من التصرف و القوة و النفاذ و الهمة و سرعة الصعود إلى الله تعالى و التعلق به سبحانه و تعالى ما ليس للروح المهينة المحبوسة فى علائق البدن و عوائقه بسبب انغماسها فى شهواتها. فإذا كان هذا فى عالم الحياة الأرضية و هى محبوسة فى بدنها، فكيف إذا تجرد عنه و فارقته، و اجتمعت فيها قواها، و كانت

---

١ . سورة الأنفال: الآية ٧٢.



فى أصل نشأتها روحا عالية زكية كبيرة ذات همة عالية؟ فهذه لها بعد مفارقة البدن شأن آخر و فعل آخر.

و قد تواردت الرؤى فى أصناف بنى آدم على فعل الأرواح بعد الموت أفعالا لا تقدر على مثلها حال اتصالها بالبدن فى هزيمة الجيوش الكثيرة بالواحد، و الفيالق بالعدد القليل جدا و نحو ذلك، و قد رئى النبى ﷺ ـ و معه أبو بكر و عمر رضي الله عنهما فى النوم قد هزمت أرواحهم عساكر الكفر و الظلم فإذا بجيوشهم مغلوبة مكسورة مع كثرة عددهم و ضعف المؤمنين و قلتهم[1].

هذا ما قاله ابن القيم. فانظر فيه مع ما يقول هؤلاء. و لا تنس أنه ليس لهم علم و لا شبه علم إلا من كلام ابن القيم أصحابه، و لكن يظهر أنهم قاصرو الاطلاع كما أنهم قاصرو العقل.

التوسل في رأي الشوكاني

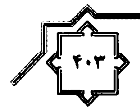
و قال الشوكانى و هو ثانى اثنين أو ثالث ثلاثة عندهم: قال شيخ الإسلام ابن تيمية فى بعض فتاواه ما لفظه: «و الاستغاثة بمعنى أن يطلب من الرسول ﷺ ما هو اللائق بمنصبه لا ينازع فيه مسلم، و من نازع فى هذا المعنى فهو إما كافر و إما مخطىء ضال». أقول: فليكن النزاع فيما هو اللائق به و ما يقدر عليه و فيما لا يليق به و لا يقدر عليه، و لا شك أنه قادر على أن يدعو لنا و هو فى البرزخ كما قال فى الحديث الذى ستعلم صحته: «**تعرض علي أعمالكم فإن وجدت خيرا حمدت الله و إن وجدت شرا استغفرت لكم**».

و لنرجع إلى تتميم كلام الشوكانى.

قال الشوكانى: «و أما التشفع بالمخلوق فلا خلاف بين المسلمين أنه يجوز طلب الشفاعة من المخلوقين فيما يقدرون عليه من أمور الدنيا».

---

١. الروح (١٠٢ـ١٠٣).



هذا ما قاله، و إنى أكرر لفت نظرك إلى أنه يجب أن يكون البحث إذا فى تحقيق ما يقدر عليه، و قد علمت أنه قادر على أن ينفعنا و هو فى البرزخ على أنه لا وجه للشرك على كل حال.

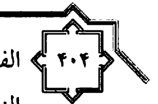
ثم قال الشوكاني: و فى سنن أبى داود أن رجلا قال للنبى ﷺ: إنا نستشفع بالله عليك و نستشفع بك على الله. فقال: «شأن الله أعظم من ذلك، إنه لا يستشفع به على أحد من خلقه» فأقره على قوله: «نستشفع بك على الله» و أنكر عليه قوله: «نستشفع بالله عليك».

إلى أن قال:

و أما التوسل إلى الله سبحانه بأحد من خلقه فى مطلب العبد من ربه فقد قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام: إنه لا يجوز التوسل إلى الله تعالى إلا بالنبى ﷺ: إن صح الحديث فيه، و لعله يشير إلى الحديث الذى أخرجه النسائى فى سننه و الترمذى فى صحيحه و ابن ماجه و غيرهم: أن أعمى أتى النبى ﷺ فقال: يا رسول الله إنى أصبت فى بصرى فادع الله لى، فقال له النبى ﷺ: «**توضأ وصل ركعتين ثم قل: اللهم إنى أسألك و أتوجه إليك بنبيك محمد، يا محمد إنى أستشفع بك فى رد بصرى اللهم شفع النبى فى**». و قال: «**فإن كان لك حاجة فمثل ذلك**» فرد الله بصره.

و إنى ألفت نظرك إلى قوله: «**فإن كان لك حاجة فمثل ذلك**».

ثم قال الشوكاني: و عندى أنه لا وجه لتخصيص جواز التوسل بالنبى ﷺ كما زعمه الشيخ عز الدين بن عبد السلام لأمرين: الأول: ما عرفناك به من إجماع الصحابة ﷺ و الثانى: أن التوسل إلى الله بأهل الفضل و العلم هو فى التحقيق توسل بأعمالهم الصالحة و مزاياهم الفاضلة، إذ لا يكون الفاضل فاضلا إلا بأعماله، فإذا قال القائل: اللهم إنى أتوسل إليك بالعالم



الفلانى، فهو باعتبار ما قام به من العلم، و قد ثبت فى الصحيحين و غيرهما أن النبى ﷺ حكى عن الثلاثة الذين دخلوا الغار فانطبقت عليهم الصخرة أن كل واحد منهم توسل إلى الله بأعظم عمل عمله فارتفعت الصخرة، فلو كان التوسل بالأعمال الفاضلة غير جائز أو كان شركا كما يزعمه المتشددون فى هذا الباب كابن عبد السلام و من قال بقوله من أتباعه لم تحصل الإجابة من الله لهم، و لا سكت النبى ﷺ عن إنكار ما فعلوه بعد حكايته عنهم.

و إنى أرجوك أن تمعن النظر فى جعله ابن عبد السلام متشددا مع قوله بجواز التوسل به ﷺ، غاية الأمر أنه قصر ذلك عليه.

ثم قال الشوكانى: و بهذا تعلم أن ما يورده المانعون من التوسل إلى الله بالأنبياء و الصلحاء من نحو قوله تعالى: **﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَىٰ﴾**[1] و نحو قوله تعالى: **﴿فَلاَ تَدْعُوا مَعَ اللهِ أَحَداً﴾**[2]. و نحو قوله تعالى: **﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لاَ يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ﴾**[3]. ليس بوارد، بل هو من الاستدلال على محل النزاع بما هو أجنبى عنه فإن قولهم: **﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَىٰ﴾** مصرح بأنهم عبدوهم لذلك.

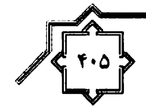
و المتوسل بالعالم مثلا لم يعبده، بل علم أنه له مزية عند الله بحمله العلم، فتوسل به لذلك و كذلك قوله تعالى: **﴿فَلاَ تَدْعُوا مَعَ اللهِ أَحَداً﴾** فإنه نهى عن أن يدعى مع الله غيره كأن يقول: يا الله يا فلان، و المتوسل بالعالم مثلا لم يدع إلا الله، و إنما وقع منه التوسل إليه بعمل صالح، عمله بعض عباده كما توسل الثلاثة الذين انطبقت عليهم الصخرة بصالح أعمالهم. و كذلك قوله: **﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ**

---

١ . سورة الزمر: الآية ٣.

٢ . سورة الجن: الآية ١٨.

٣ . سورة الرعد: الآية ١٤.



مِن دُونِهِ﴾ الآية فإن هؤلاء دعوا من لا يستجيب إلا الله و لم يدع غيره دونـه و لا دعا غيره معه.

فإذا عرفت هذا لم يخف عليك دفع ما يـورده المـانعون للتوسـل مـن الأدلـة الخارجة عن محل النزاع.

إلى أن قال:

و المتوسل بنبى من الأنبياء أو عالم مـن العلماء لا يعتقـد أن لمـن توسـل بـه مشاركة لله جل جلاله فى أمر. و من اعتقد هذا لعبد من العباد سواء كان نبيـا أو غير نبى فهو فى ضلال مبين. و هكذا الاستدلال على منع التوسل بقوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾[1]. ﴿قُل لاَأَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَلاَ ضَرّاً﴾[2] فـإن هـاتين الآيتين مصرحتان بأنه ليس لرسول الله ﷺ من أمر الله شـىء، و أنـه لا يملـك لنفسه نفعا و لا ضرا، فكيف يملك لغيره؟ و ليس فيها منع التوسل بـه أو بغـيره من الأنبياء و الأولياء أو العلماء.

و قد جعل الله لرسوله ﷺ المقام المحمود، مقام الشفاعة العظمى، و أرشد إلى أن يسألوه ذلك و يطلبوه منه و قال له: «**سل تعط و اشفع تشفع**».

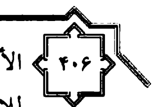
إلى أن قال: و هكذا الاستدلال على منع التوسل بقوله ﷺ لما نـزل قولـه تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾[3]: «يا فلان ابن فلان لا أملـك لـك مـن الله شيئا. يا فلانه بنت فـلان لا أملـك لـك مـن الله شـيئا» فـإن هـذا لـيس فيـه إلا التصريح بأنه ﷺ لا يستطيع نفع من أراد الله تعالى ضره، و لا ضر من أراد الله نفعه، و أنه لا يملك لأحد من قرابته فضلا عن غـيرهم شـيئا مـن الله تعـالى. و هذا معلوم لكل مسلم، و ليس فيه ألا يتوسل به إلى الله، فـإن ذلـك هـو طلـب

---

١ . سورة آل عمران: الآية ١٢٨.

٢ . سورة الأعراف: الآية ١٨٨.

٣ . سورة الشعراء: الآية ٢١٤.



الأمر ممن له الأمر و إنما أراد الطالب أن يقدم بين يدى طلبه ما يكون سببا للإجابة ممن هو المتفرد بالعطاء و المنع.

هذا كلام علمائهم الذين يقدمونهم على علماء المذاهب الأربعة، على أن لهم مع هذا شذوذا لا نوافقهم عليه فى كثير من المواضع، و لكن أتباعهم الذين لم يتذوقوا العلم إلا منهم، و لم يتشدقوا بما يشبه الحق إلا بفضل كتبهم التى لا يستقون الدين و الهدى إلا منها، و ليس وراءها لديهم علم و لا دين، يجب عليهم ألا يخالفوهم فى ورد و لا صدر، و أن يكون كلامهم حجة عليهم كما كان الحجة لهم.

و يكفى هذا اليوم. و سنذكر من الأدلة الصحيحة الصريحة ما يدل على أن النبى ﷺ يجوز التوسل به قبل وجوده، و بعد وجوده فى الدنيا، و فى البرزخ، و فى عرصات القيامة. و قد وعدناهم فى كلمتنا الأولى بذكر الأدلة و تمام التفصيل و لكنهم قوم لا يفقهون.

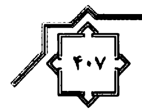
و كثيرا ما تراهم إذا أرادوا أن يردوا علينا. أو على غيرنا قرروا مذهبهم ـ و نحن أعرف به منهم ـ متخيلين أن الأدلة يرد عليها بالدعاوى غير المبرهنة. و حيث عجزوا عن الاستدلال فلنتبرع نحن بإقامة الأدلة على فساد كل دعاويهم ـ حتى دعوى التفرقة بين توحيد الألوهية و توحيد الربوبية ـ و إن كان عجز المدعى عن إثباتها كافيا فى سقوطها، فلينتظروا.

التوسل[1]

إنه لا بأس أن نتوسل بالنبى ﷺ و نستغيث به فى حياته و بعد مماته، لأن التوسل إنما هو بمنزلته عند الله، و هى ثابتة له فى الدنيا و الآخرة، و المطلوب

---

۱ . مجلة الأزهر ـ العدد الثانى ـ المجلد الثانى ـ صفر سنة ۱۳۵۰.



منه هو الله تعالى، على أنا لو طلبنا من النبى يتشفع لنا عنده تعالى لصح عقلا و نقلا، فإنه يمكنه و هو فى البرزخ أن يسأل الله لنا كما كان يسأله فى حياته.

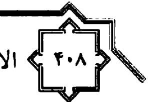
و قد قلنا: إن الأرواح بعد الموت باقية فاهمة مدركة، بل نقلنا عن إمامهم ابن القيم أن للروح بعد مفارقة الجسد أعمالا تعملها. «فى هذا العالم» لم يكن يمكنها أن تعلمها حال اتصالها بالبدن، إلى آخر ما نقلنا عنه.

و هو معقول جدا، فإن الأرواح لم تستمد قوتها من الأشباح حتى تذهب قواها و خصائصها بمفارقتها، بل الأشباح هى التى تستمد حياتها و أفاعيلها من الأرواح، فما هذا الاشتباه الذى أدى إلى قلب الحقائق و مصادمة المعقول و المنقول.

على أن تخصيص الجواز بالحى دون الميت أقرب إلى إيقاع الناس فى الشرك، فإنه يوهم أن للحى فعلا يستقل به دون الميت، فأين هذا من قولنا: إن الفعل فى الحقيقة لله لا للحى و لا للميت؟ ! و من أمعن النظر فى كلامهم لم يفهم منه إلا مذهب المعتزلة فى الأحياء، و مذهب الذين يئسوا من أصحاب القبور فى الأموات.

و على كل حال فالغفلة عن الفاعل الحقيقى، و تخيل أن الفاعل غيره أظهر فى الأحياء منه فى الأموات. و قد نقلنا لك كلام «الشوكانى» ـ و هو من أئمتهم ـ أيضا ـ فى التوسل ورده على «العز بن عبد السلام» فى تخصيصه جواز ذلك بالنبى ﷺ و قال: إنه لا فرق بينه و بين غيره.

و لنقل كما قال على سبيل التنزل عسى أن ينقطع النزاع بيننا و بينهم: لماذا لا تجعلون التوسل بالولى أو النبى توسلا بعمله الصالح، فإنك تتوسل بالولى من حيث هو ولى مقرب إلى الله تعالى، و ما تقرب إليه إلا بما أحبه من صالح



الأعمال، و سؤال الله بالأعمال الصالحة مجمع على جوازه منا و منكم؟ ! و ستسمعون أكثر من هذا. و لنذكر لكم اليوم عبارة ابن قدامة و هو من كبار الحنابلة الذين أنتم على مذهبهم، و قد قال فيه ابن تيمية: «إنه لم يدخل الشام بعد الأوزاعى أفضل منه» فلعله يحرك منكم الإنصاف أو يذكركم بمذهبكم إن كان لكم مذهب كما تدعون.

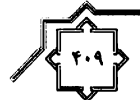
نريد أن نحاكمكم إلى العقل تارة، و إلى ما قاله «الشوكانى» «و ابن القيم» و أئمة الحنابلة تارة أخرى.

و ليت شعرى هل يفيد شيء من هذا! «بكل تداوينا فلم يشف ما بنا» و قد قال الله فى حق قوم أشربوا فى قلوبهم التعصب و العناد: ﴿وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لاَّيُؤْمِنُوا بِهَا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لاَ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً﴾[1] و سر ذلك كما بين الله أنهم كانوا يتكبرون فى الأرض بغير الحق، و أى تكبر أعظم من تكبر من يحتقر جميع المسلمين، و يعتقد أن لا ناجى غيره! و لكنا نكتب لغير جهلة الوهابيين كى نقيه من عدواهم، و للمنصفين منهم كى يرجعوا إلى الحق إذا نبين.

أما عبارة ابن قدامة الحنبلى فى (مغنيه) الذى هو من أجل كتب الحنابلة أو أجلها على الإطلاق فهاك نصها: قال فى صفة زيارته ﷺ فى الصفحة ٥٩٠ من الجزء الثالث: تأتى القبر فتولى ظهرك القبلة، و تستقبل وسطه و تقول: السلام عليك أيها النبى و رحمة الله و بركاته، السلام عليك يا نبى الله و خيرته من خلقه، إلى أن قال: اللهم أجز عنا نبينا أفضل ما جازيت به أحدا من النبيين و المرسلين، و ابعثه المقام المحمود الذى وعدته يغبطه به الأولون و الآخرون»،

---

١ . سورة الأعراف: الآية ١٤٦.



إلى أن قال: «**اللهم إنك قلت و قولك الحق: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّاباً رَحِيماً﴾[1] و قد أتيتك مستغفرا من ذنوبى مستشفعا بك إلى ربى**».

فانظر إلى استشفاعه به و هو فى قبره الذى يحرمه الوهابيون «الحنابلة»! و أظن أنهم لا يجرؤون على التفرقة بين الاستشفاع و التوسل، و إن كنا لا نستبعد منهم ما يعقل و ما لا يعقل، كما نعتقد أنهم لا يفهمون إلا ما يفهمه الناس أن الزائر يستغفر و الرسول يستغفر أيضا و هو فى البرزخ، و إلا فلا معنى لإيراد هذه الآية.

و لا بعد فى استغفاره ﷺ بعد موته، فقد ورد فى الحديث الصحيح «**تعرض على أعمالكم ـ أى بعد الموت ـ فإن وجدت خيرا حمدت الله و إن وجدت شرا استغفرت لكم**» و قد أطال المناوى و غيره فى تصحيح هذا الحديث، فأنت تراه أثبت الاستغفار لنا بعد وفاته بنص الحديث.

و فى شرح المقنع المطبوع مع المغنى على نفقة جلالة الملك ابن سعود و بتصحيح الأستاذ السيد رشيد رضا فى الصفحة (٤٩٥) مثله حرفا بحرف، و فيه زيادة على ذلك ما نصه: روى الدارقطنى عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**من حج فزار قبرى بعد وفاتى فكأنما زارنى فى حياتى**» و فى رواية: «**من زار قبرى وجبت له شفاعتى**» اهـ. و الدارقطنى من أعظم المحدثين تحريا و أكثرهم تشددا فى الحديث و لكنه وافق على حديث الزيارة كغيره من الحفاظ النقاد كما بينه السبكى فى «شفاء السقام» بما لا مزيد عليه.

فهذا كلام الحنابلة الأول المتبعين لمذهب الإمام أحمد، المتمسكين بسنة النبى ﷺ و محبته كسائر علماء المذاهب.

---

١ . سورة النساء: الآية ٦٤.



و لنذكر لك بعد ذلك ما وعدنا به من أدلة التوسل به من السنة الصحيحة فنقول: (شيء من أدلة التوسل):

جواز التوسل و حسنه معلوم لكل ذي دين، و كأنه مركوز في الفطر الإنسانية أن يتوسل إلى الله بأنبيائه و أصفيائه و المقربين لديه، و لذلك يذهب الناس يوم القيامة للأنبياء كي يشفعوا لهم لمنزلتهم عنده، و إن كان الله أقرب إليهم من حبل الوريد، و أتباع كل نبي كانوا يتوسلون إلى الله بذلك النبي.

و قد ثبت التوسل به ﷺ قبل وجوده و بعد وجوده في الدنيا و بعد موته في مدة البرزخ و بعد البعث في عرصات القيامة. أما التوسل به قبل وجوده فيدل له ما أخرجه الحاكم و صححه.

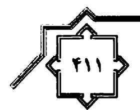
و قد صح عن مالك ـ أيضا على ما رواه القاضي عياض في (الشفا) ـ أن آدم لما اقترف الخطيئة توسل إلى الله بمحمد ﷺ فقال له: من أين عرفت محمدا و لم أخلقه؟ فقال وجدت اسمه مكتوبا بجنب اسمك فعلمت أنه أحب الخلق إليك، فقال الله: إنه لأحب إلي و إذ توسلت به فقد غفرت لك. ص٢٢٤.

و قال مالك للمنصور و قد سأله: يا أبا عبد الله أأستقبل القبلة و أدعو أم أستقبل النبي ﷺ ؟ فقال له الإمام مالك: و لم تصرف وجهك عنه و هو وسيلتك إلى الله و وسيلة أبيك آدم؟ يشير إلى ذلك الحديث. و قال المفسرون في قوله تعالى: ﴿وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾[١]: إن قريظة و النضير كانوا إذا حاربوا مشركي العرب استنصروا عليهم بالنبي المبعوث في آخر الزمان فينتصرون عليهم، و هو مروي عن ابن عباس و قتادة و غيرهما، فأنت تراهم سألوا الله به قبل وجوده[٢].

---

١ . سورة البقرة: الآية ٨٩.

٢ . انظر القرطبي ٢/ ٤٠ و غيره.



أما التوسل به بعد وجوده فی حیاته فلا أظن أن أحدا یماری فیه، فقد کانوا یذهبون إلیه فی کل شدة: إذا أجدبوا، أو نزلوا منزلا فلم یجدوا به ماء. و عندما یمسهم ضر أو کرب، مما لا یسعنا الإفاضة فیه الآن، و إن أنکره منکر ملأنا له الدنیا أدلة و براهین، و إن سموا بعضه استغاثة فلا ضرر فإنه یثبت المطلوب بالطریق الأولی و یرد علیهم علی کل حال، و النزاع لیس فی ألفاظ و عبارات کما قلنا فی العدد السابق.

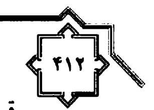
و لکن نسوق لك الآن حدیثا صحیحا أخرجه الترمذی و صححه و النسائی و البیهقی و الطبرانی بأسانید صحیحة اعترف بها الحفاظ حتی (الشوکانی): رووا جمیعا عن عثمان بن حنیف ﵁ أن رجلا أعمی جاء إلی النبی ﷺ و هم جلوس معه، فشکا إلیه ذهاب بصره فأمره بالصبر، فقال لیس لی قائد و قد شق علی فقد بصری، فقال له: «**ائت المیضأة فتوضا ثم صل رکعتین ثم قل: اللهم إنی أتوجه إلیك بنبیك محمد نبی الرحمة، یا محمد إنی توجهت بك إلی ربی فی حاجتی لتقضی لی اللهم شفعه فی**» و فی روایة: «**فإن کان لك حاجة فمثل ذلك**» قال عثمان بن حنیف: فوالله ما تفرق بنا المجلس حتی دخل علینا بصیرا کأنه لم یکن به ضر. هذا هو الحدیث الصحیح الصریح الذی کان ینبغی أن یقطع النزاع[1].

و لکن السخیف المتعصب لا یعدم خیالا فاسدا و کلاما فارغا، و قد قال الله تعالی: ﴿**وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا**﴾[2]، فلننتظر حتی یتخیل، و إنی ألفت نظرك إلی قوله ﷺ: «**فإن کان لك حاجة فمثل ذلك**» و إلی ندائه ﷺ و هو غائب عنه، و هو مما یحرمه الوهابیون أو یجعلونه شرکا.

---

١ . انظر / المنارة لتخریج أحادیث التوسل و الزیارة/ للشیخ محمود سعید. و مفاهیم یجب أن تصحح للشیخ محمد علوی المالکی.

٢ . سورة الکهف: الآیة ٥٤.

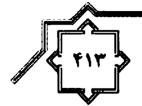


و أما التوسل به بعد وفاته فيمكننا أن نستدل عليه بهذا الحديث، فإن قوله ﷺ: «**فإن كان لك حاجة فمثل ذلك**» صريح فى جوازه بلا قيد و لا شرط، و يدل له أيضا ما رواه الطبرانى و البيهقى و الترمذى بسند صحيح عن عثمان بن حنيف: أن رجلا كان يختلف إلى عثمان بن عفان زمن خلافته فى حاجة له فكان لا يلتفت إليه، فرجا عثمان بن حنيف أن يكلمه فى شأنه فعلمه الدعاء المذكور فتوضأ و صلى ثم دعا به كما علمه، ثم جاء إلى باب عثمان فأخذه خادم و أدخله عليه فأجلسه بجانبه على الطنفسة ثم قضى حاجته و قال له: إذا عرضت لك حاجة فأتنا، فلما قابل الرجل عثمان بن حنيف قال له: جزاك الله خيرا، ما كان ينظر فى حاجتى حتى كلمته فيها، فقال له: والله ما كلمته و لكنى كنت مع رسول الله ﷺ فدخل عليه أعمى، و ذكر الحديث.

هذا و قد توسل ﷺ بالأنبياء السابقين بعد موتهم كما فى الحديث الصحيح.

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «**لما ماتت فاطمة بنت أسد بن هاشم أم على بن أبى طالب رضي الله عنه، و كانت قد ربت النبى ﷺ، دخل عليها رسول الله ﷺ فجلس عند رأسها ثم قال: رحمك الله يا أمى بعد أمى. و ذكر ثناءه عليها، ثم كفنها ببردته و أمر بحفر قبرها، قال فلما بلغوا اللحد حفره رسول الله ـ ﷺ ـ فاضطجع فيه ثم قال: «الله الذى يحيى و يميت و هو حى لا يموت»** اغفر لأمى فاطمة بنت أسد و وسع لها مدخلها بحق نبيك و الأنبياء الذين من قبلى فإنك أرحم الراحمين».

أخرجه الطبرانى فى الكبير و الأوسط و ابن حبان و الحاكم بسند صحيح.
و روى ابن أبى شيبة عن جابر رضي الله عنه مثل ذلك، و روى مثله ابن عبد البر عن ابن عباس رضي الله عنه، و رواه أبو نعيم فى الحلية عن أنس رضي الله عنه.



ثم نقول: إنهم كانوا يتبركون بآثاره ﷺ بعد موته، فقد ثبت أنه كان له ﷺ جبة عند أسماء بنت أبي بكر كانوا يستشفون بها، و لا معنى لهذا إلا أنهم كانوا يتوسلون بآثاره إلى الله تعالى فيشفيهم ببركتها.

و التوسل يقع على وجوه كثيرة لا على وجه واحد كما يفهمه هؤلاء، أفتراهم يتوسلون بآثاره و لا يتوسلون به! و في الباب شيء كثير لعلنا نذكره بعد.

أما توسل عمر بالعباس حينما استسقى به دون النبي ﷺ فلكون ذلك هو سنة الاستسقاء أو لكون العباس من ذوي الحاجة للمطر، أو لكون عمر أراد أن يبين للناس أنه يجوز التوسل بغيره ﷺ لفضله أو لقرابته منه ﷺ، أو لخوفه على ضعفاء المسلمين و عوامهم إذا تأخر المطر بعد التوسل، أو ليدلهم على أن التوسل بالمفضول جائز مع وجود الفاضل، و إلا فعلي أفضل من العباس و كذا عمر.

على أن البيهقي في (دلائل النبوة) أخرج ما يأتي، و كذا أخرجه ابن أبي شيبة بسند صحيح عن مالك الدار خازن عمر رضي الله عنه قال: أصاب الناس قحط في زمان عمر، فجاء رجل قبر النبي ﷺ فقال: يا رسول الله استسق الله لأمتك فإنهم قد هلكوا، فأتاه رسول الله ﷺ في المنام فقال: «**ائت عمر فأقرئه السلام و أخبره أنهم مسقون و قل له: عليك الكيس الكيس**». فأتى الرجل عمر فأخبره، فبكى عمر رضي الله عنه ثم قال: يا رب ما آلو إلا ما عجزت عنه.

و محل الاستشهاد في هذا الأمر طلبه الاستسقاء من النبي ﷺ بعد موته و إقرار عمر إياه على ذلك.

هذا و أحب أن تتذكر ما قلناه من أن المسؤول هو الله تعالى لا فاعل غيره و لا خالق سواه، و إنما نسأله بمنزلة حبيبه لديه و محبته له، و ذلك شيء ثابت لا يتغير في الدنيا و لا في الآخرة.



و من شك فى منزلة أو قربه ﷺ فقد كفر. على أن قول عمر بمحضر من الصحابة إنا نتوسل إليك بعم نبيك يدل على جواز التوسل بالمنزلة و إلا لم يكن له معنى، و أى حاجة إليه إذا كان المقصود دعاء العباس، و هل ذلك من دعاء العباس؟ !

أما التوسل به فى عرصات القيامة فلا حاجة للإطالة فيه، فإن أحاديث الشفاعة بلغت مبلغ التواتر، و فيها: أن الناس يذهبون إلى الأنبياء يطلبون منهم الشفاعة، إلى آخر ما هو معروف: «ضاق الكلام بنا من عظم ما اتسعا».

الخلاصة:

و الخلاصة أنه مما لا شك فيه أن النبى ﷺ له عند الله قدر علي، و مرتبة رفيعة، و جاه عظيم، فأى مانع شرعى أو عقلى يمنع التوسل به - فضلا عن الأدلة التى تثبته - فى الدنيا و الآخرة. و لسنا فى ذلك سائلين غير الله تعالى و لا داعين إلا إياه؟ ! فنحن ندعو بها أحب أيا كان، تارة نسأله بأعمالنا الصالحة لأنه يحبها، و تارة نسأله بمن يحب من خلقه كما فى حديث آدم السابق و كما فى حديث فاطمة بنت أسد الذى ذكرناه، و كما فى حديث عثمان بن حنيف المتقدم، و تارة نسأله بأسمائه الحسنى كما فى قوله ﷺ: «**أسألك بأنك أنت الله**». أو بصفته أو فعله كما فى قوله فى الحديث الآخر: «**أعوذ برضاك من سخطك و بمعافاتك من عقوبتك**». و ليس مقصورا على تلك الدائرة الضيقة التى يظنها الجاحدون.

و سر ذلك أن كل ما أحبه الله صح التوسل به، و كذا كل من أحبه من نبى أو ولى، و هو واضح لدى كل ذى فطرة سليمة و لا يمنع منه عقل و لا نقل، بل تضافر العقل و النقل على جوازه، و المسؤول فى ذلك كله الله وحده لا شريك



له، لا النبى، و لا الولى، و لا الحى، و لا الميت ﴿كُلٌّ مِنْ عِنْدِ الله فَمَالِ هٰؤُلاَءِ الْقَوْمِ لاَ يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثاً﴾[1].

و إذا جاز السؤال بالأعمال فبالنبى ﷺ أولى لأنه أفضل المخلوقات، و الأعمال منها، و الله أعظم حبا له ﷺ من الأعمال و غيرها. و ليت شعرى ما المانع من ذلك، و اللفظ لا يفيد شيئا أكثر من أن للنبى قدرا عند الله، و المتوسل لا يريد غير هذا المعنى، و من ينكر قدره عند الله فهو كافر كما قلنا.

لو كنا مثلهم نأخذ بالظنة و نتصيد الشبه و نسارع إلى تكفير المسلمين لأمكن أن نقول لهم: إن من لا يعرف قدر النبى أولى بالإشراك ممن عرفه، و من استباح دماء المسلمين أقرب إلى الضلال ممن استبرأ لدينه و عرضه.

و بعد، فمسألة التوسل تدل على عظمة المسؤول به و محبته فالسؤال بالنبى إنما هو لعظمته عند الله أو لمحبته إياه، و ذلك مما لا شك فيه.

على أن التوسل بالأعمال متفق عليه منا و منهم، فلماذا لا نقول: إن من يتوسل بالأنبياء أو الصالحين هو متوسل بأعمالهم التى يحبها الله تعالى، و قد ورد بها حديث أصحاب الغار فيكون من محل الاتفاق؟

و لا شك أن المتوسل بالصالحين إنما يتوسل بهم من حديث إنهم صالحون فيرجع الأمر إلى الأعمال الصالحة المتفق على جواز التوسل بها كما قلنا فى صدر المقالة.

و لنقتصر اليوم على هذا و موعدنا الأعداد المقبلة إن شاء الله.

---

١ . سورة النساء: الآية ٧٨.

التوسل و الاستغاثة[1]

لا تزال ترد إلينا الرسائل بشأن التوسل طلبا للتوضيح و الإسهاب، و قد ذكر بعض مرسليها أن من الناس من يكفر المتوسلين برسول الله ﷺ الذى سنتوسل به جميعا يوم القيامة على ما نطقت به الأحاديث الصحيحة. و لو قالوا إن فى المسألة تفصيلا أو أن بعض العبارات التى يقولها المتوسلون أو الزائرون ينبغى التحاشى عنها، و تعليم ما يصح أن يقول فى توسله أو عند زيارته، لقبلنا منهم ذلك و شكرناهم عليه، و لكنهم أفرطوا كل الإفراط، فرأينا أن نفيض القول فى ذلك، فلعلنا بزيادة التقرير و التكرير نزيل تلك العقيدة التى هى أخطر شيء على الإسلام و المسلمين:

و لنجعل الكلام معهم فى مقامين حتى نفحمهم بالمعقول و المنقول، فنقول: الكلام معهم من جهة الدليل العقلى و ما نضطر إليه من الدليل النقلى:

قبل الخوض فى الموضوع نحب أن نشترط عليهم أن يصبروا صبر المرتاضين بصناعة المنطق، العارفين بقوانين المناظرة، فلا يخرجوا عن الفرض الذى نفرضه حتى نتم الكلام فيه، و أن يعرفوا موضوح البحث فلا ينتقلوا عنه إلى غيره، و سنفرض الفروض كلها ثم نبطلها واحدا واحدا:

و لينظروا حتى لا يختلط المعقول بالمنقول، و لا المنقول بالمعقول، و سنوفى كلا حقه إن شاء الله، و عسى ألا يكونوا بعد ذلك ممن يسلم المقدمات ثم ينازع فى النتيجة، فنقول:

هؤلاء إن كانوا يمنعون التوسل و الاستغاثة و يجعلونها شركا من حيث إنها توسل و استغاثة، فاستغاثة المظلوم بمن يرفع ظلمه إذاً شرك، و استغاثة

---

١ . مجلة الأزهر ـ العدد الثالث ـ المجلد الثاني ـ ربيع الأول سنة ١٣٥٠ .



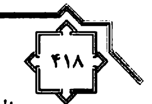
الرجل بمن يعينه فى بعض شؤونه شرك، و استغاثة الملك بجيشه لدى الحروب شرك، و استغاثة الجيش بالملك فيما يصلح أمره شرك، بل نقول: يلزمهم على هذا الفرض أن طلب المعونة من أرباب الحرف و الصنائع التى لا غنى للناس عنها شرك، و طلب المريض للطبيب شرك، بل يلزم بناء على تلك الكليات التى يقتضيها الحيثية أن استغاثة الرجل الإسرائيلى بسيدنا موسى عليه السلام و إجابته إياه كما قال تعالى: ﴿فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّه فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾[1] شرك، إلى غير ذلك مما لا يقول به عاقل فضلا عن فاضل.

هذا كله إن كانوا يقولون: إنها ممنوعة من حيث إنها استغاثة بغير الله كما فرضنا، فإن قالوا: إن الاستغاثة و التوسل بالأموات شرك دون الأحياء، قلنا لهم لا معنى لهذا بعد أن سلمتم أن الاستغاثة بغير الله من الأحياء ليست بشرك، و بعد ما ورد به القرآن و وقع عليه الإجماع فى كل زمان و مكان، و لا معنى لأن يكون طلب الفعل من غير الله شركا تارة و غير شرك تارة أخرى، فإن فيه نسبه الفعل لغير الله على كل حال.

و إن قالوا: إننا لا نعتقد التأثير الذاتى من الأحياء الذين نطلب منهم المعونة، قلنا لهم: يجب إذا أن تجعلوا مناط المنع هو اعتقاد التأثير الذاتى لغير الله تعالى لا فرق بين الأحياء و الأموات، فإن وجد ذلك الاعتقاد كان شركا و إلا فلا، سواء كانت الدعوة لحى أو ميت، و إن كان مناط المنع هو تلك السببية الظاهرة التى نفهم من ظواهر الألفاظ، وجب أن يكون ذلك كله شركا، حتى طلب الرجل من أخيه أن يعينه فى الحمل على دابته، أو بناء داره، أو حفر نهره، إلى غير ذلك كما أوضحنا فى الفرض الأول.

---

١ . سورة القصص: الآية ١٥.



فإن قالوا: إنا ننسب تلك الأفعال و التأثيرات إلى غير الله ـ تعالى ـ من الأحياء معتقدين أن الخلق و الإيجاد ليس إلا لله ـ تعالى ـ و أن الحى ليس له إلا الكسب لا غير، قلنا لهم: كذلك من يطلب من الأموات أو يتوسل بهم، و القرينة فيهما واحدة و هو إيمانه بأن الله بيده ملكوت السموات و الأرض و إليه يرجع الأمر كله، و أن ما شاء كان و ما لم يشأ لم يكن، و أنه لا خالق غيره، و لا موجد سواه، و إن كان سر المنع عندهم هو: أن الميت لا يقدر على شيء مما طلب منه.

فنقول لهم:

أولا: لا يلزم من ذلك أن يكون الطلب شركا بل عبثا فقط، و الاستغاثة بالأحياء أقرب إلى الشرك منها بالأموات، لأنها أقرب إلى اعتقاد تأثيرهم فى الإعطاء و المنع بمقتضى الحس و المشاهدة لولا نور الإيمان و ساطع البرهان.

ثانيا: ثم نقول لهم: ما معنى قولكم: إن الميت لا يقدر على شيء، و ما سره و باطنه عندكم؟ إن كان ذلك لكونكم تعتقدون أن الميت صار ترابا، فما أضلكم فى دينكم، و ما أجهلكم بما ورد عن نبيكم، بل عن ربكم من ثبوت حياة الأرواح، و بقائها بعد مفارقة الأجسام، و مناداة النبى ﷺ لها يوم بدر بقوله: **«يا عمرو بن هشام و يا عتبة بن ربيعة و يا فلان ابن فلان إنا وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا»** فقيل له: ما ذلك؟ فقال: **«ما أنتم بأسمع لما أقول منهم»** و من ذلك تسليمه على أهل القبور و مناداته لهم بقوله: **«السلام عليكم يا أهل الديار»**. و من ذلك عذاب القبر و نعيمه، و إثبات المجيء و الذهاب إلى الأرواح، إلى غير ذلك من الأدلة الكثيرة التى جاء بها الإسلام و أثبتتها الفلسفة قديما و حديثا.



و لنقتصر هنا على هذا السؤال:

أيعتقدون أن الشهداء أحياء عند ربهم كما نطق القرآن بذلك أم لا؟ فإن لم يعتقدوا فلا كلام لنا معهم، لأنهم كذبوا القرآن حيث يقول: ﴿وَلاَ تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلْ فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِن لاَ تَشْعُرُونَ﴾[1] ﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾[2].

و إن اعتقدوا ذلك فنقول لهم: إن الأنبياء و كثيرا من صالحى المسلمين الذين ليسوا بشهداء كأكابر الصحابة أفضل من الشهداء بلا شك و لا مرية، فإذا ثبتت الحياة للشهداء فثبوتها لمن أفضل منهم أولى.

على أن حياة الأنبياء مصرح بها فى الأحاديث الصحيحة، و قد رأى ﷺ - موسى عليه السلام - يصلى فوق الكثيب الأحمر، و راجعه مرارا عندما فرضت الصلاة خمسين فى كل يوم و ليلة حتى صارت خمسا، كما قابل آدم و إبراهيم و غيرهما من الأنبياء عليهم السلام فهذا كله يثبت حياة الأرواح و أنه لا شك فيها.

فإذاً تقول: حيث ثبتت حياة الأرواح بالأدلة القطعية التى قدمنا بعضها فلا يسعنا بعد ثبوت الحياة إلا إثبات خصائصها، فإن ثبوت الملزوم يوجب ثبوت اللازم كما أن نفى اللازم يوجب الملزوم كما هو معروف.

و أى مانع عقلا من الاستغاثة بها و الاستمداد منها كما يستعين الرجل بالملائكة فى قضاء حوائجه، أو كما يستعين الرجل بالرجل «و أنت بالروح لا بالجسم إنسان».

و تصرفات الأرواح على نحو تصرفات الملائكة لا تحتاج إلى مماسة و لا آلة، فليست على نحو ما تعرف من قوانين التصرفات عندنا فإنها من عالم آخر

---

١ . سورة البقرة: الآية ١٥٤.

٢ . سورة آل عمران: الآية ١٦٩.



﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾[١] و ماذا يفهمون من تصرف الملائكة أو الجن فى هذا العالم؟

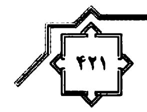
و لا شك أن الأرواح لها من الإطلاق و الحرية ما يمكنها من أن تجيب من يناديها، و تغيث من يستغيث بها، كالأحياء سواء بسواء، بل أشد و أعظم. و قد ذكرنا لك فيما سبق عن ابن القيم أن الأرواح القوية كروح أبى بكر و عمر ربما هزمت جيشا، إلى آخر ما ذكرناه. فإن كانوا لا يعرفون إلا المحسوسات و لا يعترفون إلا بالمشاهدات فما أجدرهم أن يسموا طبيعيين لا مؤمنين.

على أننا نتنزل معهم و نسلم لهم أن الأرواح بعد مفارقة الأجساد لا تستطيع أن تعمل شيئا، و لكن نقول لهم: إذا فرضنا ذلك و سلمناه جدلا فلنا أن نقرر: أنه ليست مساعدة الأنبياء و الأولياء للمستغيثين بهم من باب تصرف الأرواح فى هذا العالم على نحو ما قدمنا، بل مساعدتهم لمن يزورهم أو يستغيث بهم بالدعاء لهم، كما يدعو الرجل الصالح لغيره، فيكون من دعاء الفاضل للمفضول، أو على الأقل من دعاء الأخ لأخيه، و قد علمت أنهم أحياء يشعرون و يحسون و يعلمون، بل الشعور أتم و العلم أعم بعد مفارقة الجسد لزوال الحجب الترابية و عدم منازعات الشهوات البشرية.

و قد جاء فى الحديث: أن أعمالنا تعرض عليه ﷺ فإن وجد خيرا حمد الله و إن وجد غير ذلك استغفر لنا. و لنا أن نقول إن المستغاث به و المطلوب منه الإغاثة هو الله ـ تعالى ـ، و لكن السائل يسأل متوسلا إلى الله بالنبى أو الولى فى أنه يقضى حاجته، فالفاعل هو الله، و لكن أراد السائل أن يسأله ـ تعالى ـ ببعض المقربين لديه الأكرمين عليه، فكأنه يقول: أنه من محبيه «أو محسوبيه»

---

١ . سورة الإسراء: الآية ٨٥.



فارحمنى لأجله. و سيرحم الله كثيرا من الناس يوم القيامة لأجل النبى ﷺ و غيره من الأنبياء و الأولياء و العلماء.

و بالجملة فإكرام الله لبعض أحباب نبيه لأجل نبيه بل بعض العباد لبعض أمر معروف غير مجهول، و من ذلك الذين يصلون على الميت و يطلبون من الله أن يكرمه و يعفو عنه لأجلهم بقولهم: و قد جئناك شفعاء فشفعنا فيه.

و المقصود من ذلك كله إثبات أن الله يرحم بعض العباد ببعض، على أن توجه الإنسان إلى النبى أو الولى و التجاءه إليه تحس به روح النبى و الولى تمام الإحساس، و هو كريم ذو وجاهة عند الله ـ تعالى ـ، كما قال تعالى فى بعض أصفيائه: ﴿وَكَانَ عِندَ الله وَجِيهاً﴾[1] و كما قال فى بعض آخر: ﴿وَجِيهاً فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾[2] فتعتنى تلك الروح بذلك الملتجىء أشد الاعتناء فى تسديده و تأييده، و الدعاء له هى و الملائكة الذين يجلونها و يحبون مسرتها و رضاها.

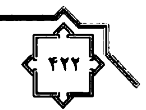
و الأنبياء و الأولياء محبوبون للملائكة بشاهد قوله ﷺ: «**إن الله إذا أحب عبدا نادى جبريل فى السماء: إن الله يحب فلانا فأحبوه**» إلى آخر الحديث، و أن الملائكة لتقول للذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا: ﴿نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾[3] كما نص على ذلك القرآن الشريف و ذلك سر التوجه إلى الأولياء و زياراتهم، لتتنبه أرواحهم لحال الزائر، و تلتفت إلى معونته بما أعطاهم الله تعالى من الخصائص، كما تنفع أخاك بما أعطاك الله من قوة أو وجاهة أو مكانة أو ثروة أو أعوان أو أنصار إلى آخره، و إن الإنسان هو هو فى الدنيا و الآخرة، و ليس الإنسان إنسانا إلا بها كما شرحنا، و الأمر جلى «و لكنها الأهواء عمت فأعمت».

---

١ . سورة الأحزاب: الآية ٦٩.

٢ . سورة آل عمران: الآية ٤٥.

٣ . سورة فصلت: الآية ٣١.



و لنرجىء تتميم المقام الثانى، فربما طال الكلام فيه لعدد آخر ـ إن شاء الله.

و الخلاصة: أنه لا يكفر المستغيث إلا إذا اعتقد الخلق و الإيجاد لغير الله تعالى. و التفرقة بين الأحياء و الأموات لا معنى لها، فإنه إن اعتقد الإيجاد لغير الله كفر، على خلاف للمعتزلة فى خلق الأفعال، و إن اعتقد التسبب و الاكتساب لم يكفر.

و أنت تعلم أن غاية ما يعتقد الناس فى الأموات، هو أنهم متسببون و مكتسبون كالأحياء، لا أنهم خالقون موجدون كالإله، إذ لا يعقل أن يعتقد فيهم الناس أكثر من الأحياء و هم لا يعتقدون فى الأحياء إلا الكسب و التسبب، فإذا كان هناك غلط فليكن فى اعتقاد التسبب و الاكتساب، لأن هذا هو غاية ما يعتقده المؤمن فى المخلوق كما قلنا، و إلا لم يكن مؤمنا، و الغلط فى ذلك ليس كفرا، و لا شركا.

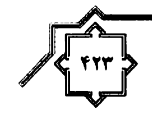
و لا نزال نكرر على مسامعك أنه لا يعقل أن يعتقد فى الميت أكثر مما يعتقد فى الحى، فيثبت الأفعال للحى على سبيل التسبب و يثبتها للميت على سبيل التأثير الذاتى و الإيجاد الحقيقى، فإنه لا شك أن هذا مما لا يعقل.

فغاية أمر هذا المستغيث بالميت ـ بعد كل تنزل ـ أن يكون كمن يطلب العون من المقعد غير عالم أنه مقعد، و من يستطيع أن يقول إن ذلك شرك؟ على أن التسبب مقدور للميت و فى إمكانه يكتسبه كالحى بالدعاء لنا، فإن الأرواح تدعو لأقاربهم كما فى الحديث الشريف إذا بلغهم عنهم ما يسوءهم، فيقولون: **«اللهم راجع بهم أو لا تمتهم حتى تهديهم»**[1].

بل الأرواح يمكنها المعاونة بنفسها كالأحياء، و يمكنها أن تلهمك و ترشدك كالملائكة، إلى غير ذلك على ما شرحناه، و كثيرا ما انتفع الناس برؤيا الأرواح فى المنام، و لعلنا نعود إليه.

---

١ . شرح الصدور بشرح حال الموتى و القبور، للإمام السيوطى ٩١١هـ، ص٣٤٢.



تعليق[١] على بعض ما جاء في مقال الأستاذ الشيخ الجبالي نقلا عن بعض العلماء الغلاة

قال فضيلته على ذلك العالم: «بدأ الكلام معى فى العتب على فضيلة الأستاذ المحقق يوسف الدجوى فيما نسبه إلى الغلاة من تكفيرهم بالتوسل و الاستغاثة بالموتى، فقد زعم الأستاذ أنهم يسوون بين الاستغاثة و التوسل فى الإنكار، و ليس الأمر كذلك عندهم، فهم و إن لم يقولوا بالتوسل لا ينكرونه، إنكارهم للاستغاثة و لا يكفرون به، إنما المنكر فى نظرهم أشد الإنكار هو الاستغاثة بالموتى.

و لقد كان من حق الأستاذ أن يفحص كلامهم و يتثبت مما يقولون قبل أن ينسب إليهم ما نسب.

و نحن نقول أولا: إننا كتبنا ما كتبنا إجابة عن سؤال يقول سائله: إنه اشتد النزاع فى التوسل برسول الله ﷺ حتى إن بعضهم كفر من يتوسل به ﷺ.

و ثانيا نقول لذلك العالم المغالى: يكفينا منكم تكفير المسلمين بالاستغاثة على ما يفهم من كلامك السابق.

التوسل و الاستغاثة[٢]

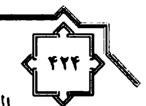
س: هل جاء فى السنة أن الرسول ﷺ علم الناس أن يسألوا الصالحين من الأموات و يطلبوا منهم الدعاء[٣]؟ أرجو أن تذكر و لو حديثا واحدا.

---

١ . مجلة الأزهر ـ الجزء الرابع ـ المجلد الثانى ـ ربيع الآخر سنة ١٣٥٠.

٢ . مجلة الأزهر ـ الجزء الخامس ـ جمادى الأولى سنة ١٣٥٠هـ.

٣ . جاءنا خطاب مطول بإمضاء (مسلم بمكة) أطال فيه صاحبه و أعاد و أبدى و أكثر و كرر، ظننا منه أنه أتى بالقواصم. و قد ألح فى طلب الإجابة حتى قال فى آخره: (يا فضيلة الشيخ أرجوك
←



الجواب: و نحن نقلب عليه السؤال أولا ـ فنقول: هل جاء في السنة أن الرسول ﷺ نهى الناس عن أن يسألوا الصالحين و يطلبوا منهم الدعاء؟ أرجو أن تذكر لنا شيئا من ذلك و لو حديثا واحدا.

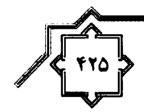
ثم نقول له ثانيا: إن جواز الأشياء لا يتوقف على ورود الأمر بها بل على عدم النهى عنها كما هو مقرر فى الأصول: ﴿قُل لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّماً عَلَىٰ طَاعِمٍ﴾[1] إلى آخره، فكل ما لم يرد فيه نص بالحظر فهو مباح على ما تقتضيه الآية، و علمنا ﷺ و فى السنة الصحيحة: أن ما أمرنا به فعلناه و لم نتركه، و ما نهى عنه اجتنبناه و لم نفعله، و ما سكت عنه فهو عفو، فهذه هى قواعد العلم الذى يعرفه العلماء.

و أما شبهة الموت فهى شبهة واهية لأنكم بين أمرين: إما أن تنكروا إدراك الأموات و علمهم و دعاءهم و سماعهم، و إما أن تقروا بذلك، فإن أنكرتموه ملأنا لكم الدنيا أدلة و براهين على ثبوت ذلك لهم مثل: دعاء آدم و إبراهيم و غيرهما من الأنبياء عليهم السلام لنبينا ﷺ ليلة المعراج كما فى حديث البخارى و مسلم و غيرهما، و كما فى حديث: «**تعرض على أعمالكم فإن رأيت خيرا حمدت الله و إن وجدت غير ذلك استغفرت لكم**» و كما فى حديث عرض أعمال الأحياء على الأموات و دعائهم لهم، و قد ذكره ابن تيمية نفسه فى فتاويه، و اعترف به ابن القيم كل الاعتراف و قرره أتم التقرير.

و من محاسن المصادفات فى هذا ما يقرره الأوروبيون الآن مما يوافق ذلك، و قد قرر قبلهم بعشرات القرون الفلاسفة الأقدمون مثل أفلاطون و غيره من

و أناشدك الله الذى لا إله إلا هو إلا ما حققت هذا الموضوع و أنصفت فيه) و نحن نلخص ما جاء فيه من الأسئلة معرضين عما فيها من غمز مشوب بأدب و تعريض نسامحه فيه فنقول و بالله التوفيق:

١ . سورة الأنعام، الآية ١٤٥.



الفلاسفة، فالمسألة متفق عليها بين علماء الدين و علماء الدنيا، أو نقول: بين المسلمين و غير المسلمين، أو نقول: بين أهل أثر و النقل، و بين أهل الفلسفة و العقل.

أما إذا اعترف الوهابيون بأن للأموات إدراكا و علما و سماعا، و أنهم يدعون و يردون السلام إلى غير ذلك كما ورد فى السنة، ثم منعوا طلب ذلك منهم كانوا متناقضين، أو نقول: كانوا ممن يسلم بالمقدمات و ينازع فى النتيجة، أو ممن يقطع اللوازم عن ملزوماتها. و هو مما لا يقول به عاقل فضلا عن فاضل.

عن أننا ذكرنا فى ذلك ما يقطع الشغب من أصله، و المراء من أساسه، و ذلك هو الحديث الصحيح الذى رويناه عن عثمان بن حنيف فى التوسل به فى حياته ﷺ و بعد مماته، و قد قال فيه: «**يا محمد اشفع لى عند ربك. و لا معنى للشفاعة إلا الدعاء الذى يكون منه** ﷺ: **و فى الحديث الصحيح «اللهم إنى أسألك بحق السائلين عليك»** و فى حديث آخر «بحق نبيك و الأنبياء قبله».

فالتوسل بالصالحين و الدعاء ثابت و واقع، و قد قلنا فى بعض ما كتبناه: لا معنى لكون هذا شركا كما يقوله الغلاة، فإن الحى إذا طلب من الميت الذى هو حى بروحه، متمتع بلوازم الحياة و خصائصها فإنما يطلب منه على سبيل التسبب و الاكتساب، لا على سبيل الخلق و الإيجاد، لأنه ليس من المعقول أن يرفعه عن رتبة الحى، و هو إذا طلب من الحى فإنما يطلب منه على هذا الوجه لا على جهة الخلق و الإيجاد، و الطلب من المخلوق على سبيل التسبب ليس شركا و لا كفرا، فلا معنى لتكفير المسلمين بذلك، و لو فرضنا أن الميت لا عمل له، فإن خطأ المنادى أو المستغيث على هذا الفرض إنما هو فى اعتقاد السببية لا الإلهية، و اعتقاد السببية فى غير الله ليس هو اعتقاد الإلهية كما يظنه الجاهلون، و قد عرفت مما قدمناه أنه ليس غلطا أيضا، و إنما الغالطون هم الغلاة، و إن كان التوسل بمنزلة عند الله فالأمر واضح، لأن الموت لا يغير المنزلة عند الله تعالى.



س: هل الرسول ﷺ أهمل نوعا من التوسل إلى الله تعالى أو ترك شيئا مما يقرب إلى الله تعالى؟

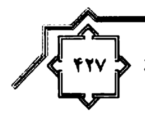
ج: لم يهمل الرسول ﷺ شيئا مما يقرب إلى الله، و لا ترك نوعا من أنواع التوسل، و قد علمنا التوسل فى حديث عثمان بن حنيف المتقدم. بل توسل هو بحقه و حق الأنبياء قبله، و عرفنا أن آدم ﷺ توسل به قبل وجوده، و قد بين ذلك كله فى الأعداد السابقة.

و بعد فماذا عسى أن يدل ذلك السائل، فلو فرضنا أن الرسول لم يتوسل بالصالحين لأمكن أن يقال إن مقامه أرفع من كل مقام، على أنه ﷺ كان عريقا فى العبودية، و كان أعلم خلق الله بإطلاق الربوبية وسعتها، و بأن الكل عبيدها، و تحت قهرها، و ليس هناك إلا فضلها الواسع، و كرمها الشامل، و أنه لا بد من ظهور تلك العبودية على كل أحد، و ذلك من تعظيم الربوبية.

و يعلم ﷺ أن عبيد السيد المطلق لهم منازل عنده، و أن لكل منهم مزية لديه، و أن المقتضى لعطائه ـ تعالى ـ إنما هو العبودية له عز وجل، فلا بد أن يكون بينهم ارتباط العبيد و تبادل المنافع، و على هذا قام بناء الكون.

كان ﷺ أعرف الناس بذلك كله، فطلب الدعاء من عمر و ابن عمر من رسول الله، و أمر عمر أن يطلب الدعاء من أويس القرنى، و أين أويس من عمر، و سأل الله ـ تعالى ـ بحق الأنبياء قبله، كما فى حديث فاطمة بنت أسد، و أمرنا أن نتوسل به إذا عرضت لنا حاجة إلى الله، فقال لذلك الأعمى: «فإن كان لك حاجة فمثل ذلك» و قد فعلها الرجل الذى كان يتردد على عثمان ابن عفان فى خلافته، و قد بينا ذلك أتم البيان.

على أننا نريد منكم أن لا تكفروا المسلمين بمثل هذا العلم الذى لا شيء فيه، و نكتفى منكم أن تقولوا إنه مباح أو خلاف الأولى أو مكروه «إذا أردتم»



و لو قلتم ذلك لاحتملناه منكم، و إن كان غير صحيح، و لكن قومك يا حضرة السائل الذى يظن أنه منصف و غير متعصب يعملون على خلاف ذلك.

س: هل ثبت ما يروى عنه ﷺ: **«ما تركت شيئا يقربكم إلى الله إلا بينته لكم»**؟ و إذا كان ثابتا فهل الطلب من الأموات أن يدعوا للأحياء مما قاله الرسول ﷺ و أمر به و فعله أم لا؟

ج: نعم ثبت أن رسول الله ﷺ قال ذلك، و دعاء الأموات داخل فى دعاء الأخ لأخيه الذى لا يمكنكم أن تمنعوه، و قد عرفتنا السنة الصحيحة أنه لا فرق بين الحى و الميت فى ذلك، و أن الميت يدعو للحى على ما سبق، فإن الموت ليس فناء أو عدما كما يظنه الجاهلون، و إنما هو انتقال من دار إلى دار:

لا تظنوا الموت موتا إنه ... لحياة وهو غايات المنى

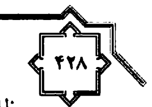
لا ترعكم هجمة الموت فما ... هو إلا نقلة من هاهنا

و لا نزال نكرر أنه قد دعا آدم عليه السلام ـ و غيره من الأنبياء لنبينا ﷺ و أن النبى يدعو لأمته فى البرزخ، بل آباؤنا يدعون لنا على ما عرفت و تعرف، على أننا نكتفى منكم أن تقولوا إنه مباح لا قربة، أو على الأقل لا تكفروا به مسلمين و قد قلنا فى ما كتبناه فى العدد الثالث من هذه السنة: أنه لا وجه لذلك و لو قلنا: إن الميت لا يمكنه أن يدعو و لا أن يفعل شيئا، فإن الغلط على هذا الفرض يكون غلطا فى اعتقاده التسبب لا الإلهية، و لا نزال نكرر أن معتقد السببية فى المخلوقات لا وجه لتكفيره و لا معنى له، فإن من يجعل غير السبب سببا يكون جاهلا لا كافرا، و يكفى هذا.

س: هل بين الرسول ﷺ ما أمر من الوسيلة فى آية المائدة عملا بقوله تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِن رَبِّكَ﴾**[1] الآية أم لا؟

---

١ . سورة المائدة: الآية ٦٧.



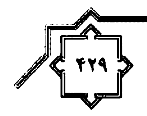
ج: نعم بين لنا ﷺ كل ما نحتاج إليه، على أن الوسيلة واضحة المعنى ظاهرة الدلالة، و القرآن عربى نزل بلغة العرب و لا وجه لقصركم إياها على نوع خاص فإنه بلا دليل، على أنه لا داعى لذلك كله فقد ثبت التوسل مصرحا به فى حديث عثمان بن حنيف و غيره مما قدمناه، و قد جاء فى آخر الحديث المذكور «**فإن كان لك حاجة فمثل ذلك**» و قد عمل به فى زمن عثمان بن عفان كما بيناه فيما سبق من الأعداد.

س: هل يلزم من عدم دعاء الأموات و مخاطبتهم بغير المشروع إنكار كرامتهم؟ و إذا قلتم بالتلازم فبينوا لنا وجهه بالبرهان، و اذكروا لنا من الصحابة و التابعين و الأئمة المتبوعين من قال بجواز هذا النوع من التوسل.

ج: نعم من كان مثلكم ينكر التوسل و الاستغاثة يجب أن ينكر كرامات الأموات، فإنه إذا لم يصح أن نتوسل إلى الله بالميت و لا يمكنه هو أن يدعوا لنا و لا تستطيع روحه أن تفعل شيئا كما هو اعتقادكم، فأى كرامة تكون له بعد ذلك؟ و ما معنى إثباتكم إياها و قد نفيتم عنه كل عمل و كل قدرة، و منعتم أن نتوسل به لله تعالى ليفعل لنا ما نريد لأجله؟ فأى شىء يبقى بعد ذلك.

و أما طلبكم منا ذكر من جوز ذلك من التابعين أو الأئمة المتبوعين فنحن نقول: إن الأمة كلها قبل ظهور ابن تيمية على هذا الجواز، و نتحداكم فنقلب السؤال عليكم فنقول: هل يمكنكم أن تذكروا لنا من التابعين أو الأئمة المتبوعين من منع ذلك النوع من التوسل؟

أليست المذاهب كلها مجمعة على توسل الزائرين للحجرة النبوية به ﷺ ؟ و قد ذكرنا لكم نص الحنابلة فى ذلك و كذلك جميع الأئمة، و لا نرى لكم سلفا فيما تقولون بل جميع العلماء يصرحون بأن ذلك مطلوب من كل زائر لا جائز فقط، فهذا هو الإجماع، و قد مر من الأدلة العقلية و النقلية ما يكفى و



يشفى. ثم نقول لكم: ألم يعرف ابن القيم بأن الروح القوية لها من الأعمال بعد الموت ـ ما لا تستطيعه حالة الحياة، و قد وصل الأمر إلى أئمتكم أنفسكم؟

فأنتم فى إثبات كرامات الأولياء و غيرها متناقضون تارة مع الهوى و تارة مع الحق، و يرحم الله من قال: المبطل لابد أن يتناقض شاء أم أبى.

و أما تضليلنا إياكم فإنما هو لتكفير المسلمين، و استباحة دمائهم و أموالهم، إلى آخر ما كان يفعله الخوارج، و كان ينقمه عليهم الإمام علي و من معه من الصحابة، و لو قلتم: إن الأولى أن يرجع الناس فى كل أمورهم إلى الله ـ تعالى ـ بلا واسطة، أو قلتم: إن هناك مقاما تسقط فيه الأسباب و الوسائط كما قال إبراهيم عليه السلام لجبريل عليه السلام ـ : «أما إليك فلا» عندما قال له: «ألك حاجة»؟

و لو قلتم ذلك و سلكتم هذا المسلك لم ننكر عليكم و لم نشتد فى مناقشتكم و لو كان لكم رأى فى المسألة غير التكفير لقلنا: مجتهدون ظنوا ظنا و إلى الله أمرهم، و كم مجتهد أخطأ، و لكن أولئك الذين أخطأوا لم يقدسوا أنفسهم هذا التقديس، و لم يحملوا الناس على مذاهبهم بالسيف، لأنهم يجوزون أن يكون الحق فى جانب غيرهم، و يعلمون ما جاء عن الرسول: أن سباب المسلم فسوق و قتاله كفر، و أن من رمى أخاه بالكفر فقد كفر أو كاد.

و لم يرض الإمام مالك من الخليفة المنصور العباسى أن يحمل الناس على الموطأ و هو عند مالك، و لا الرشيد أيضا أن يلزم الناس بما فيه احتراما للأمة و علمائها و اتهاما لنفسه، شأن أئمة الهدى و ورثة الرسول صلى الله عليه وسلم، و الجاهل لا يعرف غير تعظيم نفسه، و العالم لا يعرف غير تعظيم ربه، و من تعظيم الله تعظيم من عظّم الله تعالى، ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ الله فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾.

ثم قال السائل: لا يمكننا أن نسيغ توجه المسلم العارف بربه الآنس بذكره إلى عبد من عباده انتقل من عالم إلى آخر، لا يعلم حاله فيه إلا الله. يسأله و



يخاطبه بعد أن كان متلذذا بخطاب الله تعالى و مناجاته، و لا يخفى عليكم حديث أم العلاء من صحيح البخارى، و فيه أنها شهدت لمهاجر ـ وهو أبو السائب ـ توفى عندها فقالت: أما شهادتى فيك لقد أكرمك الله، و أن الرسول ﷺ قال لها: و ما يدريك أن الله أكرمه[1] إلى غير ذلك من الأحاديث من أمثاله.

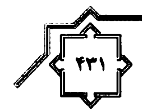
و كلها تدل على أن الأموات قد أفضوا إلى ما قدموا، و أنه لا يجوز لنا أن نحكم لأحد حكما جازما بأنه من أهل الجنة أو من أهل النار إلا ما ورد النص بأنهم من أهل الجنة أو من أهل النار كما ورد فى أهل بدر و بعض الصحابة كعكاشة بن محصن.

و نحن نقول: إن حضرة السائل أدمج فى هذا الكلام الخطابى أشياء لا نتركها له بل نناقشه الحساب فيها، أما التمويه بذكر توجه المسلم إلى ربه و تلذذه بذكره فهو لذيذ فى الأسماع يكاد يأخذ بمجامع النفوس، و لكن هذا مقام تحقيق علمى لا ينفع فيه التمويه و لا تفيد فيه الخطابة، و قد قلنا فيما سبق: لو كان رأى الوهابيين أن هذا هو مقام الكمال لم نتعرض له، و لكنهم بدعوا و فسقوا و كفروا ـ إلى آخره.

---

١ . هذا النص الحديث الذى أشار إليه:

عن ام العلاء امرأة من الأنصار رضي الله عنها ـ و هى ممن بايع النبى ﷺ ـ قالت: إنه اقتسم المهاجرون قرعة، فطار لنا عثمان بن مظعون فأنزلناه فى أبياتنا فوجع وجعه الذى توفى فيه فلما توفى و غسل و كفن فى أثوابه، دخل رسول الله ﷺ فقلت: رحمة الله عليك أبا السائب فشهادتى عليك لقد أكرمك الله. فقال النبى ﷺ: «**و ما يدريك أن الله أكرمه؟**» قلت: بأبى أنت يا رسول الله فمن يكرمه الله؟ فقال: «**أما هو فقد جاءه اليقين، و الله إنى لأرجوا له الخير، والله ما أدرى و أنا رسول الله ما يفعل بى؟**» قالت فوالله لا أزكى أحدا بعده أبدا.



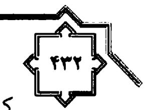
فأين هذا مما يقوله السائل، فإن كان يريد أن الاشتغال بذكر الله و مناجاته أولى، فليس الخلاف بيننا و بينه فى الأولوية، و لكن الناس درجات بعضها فوق بعض، و لا حرج على من يلتفت للأسباب و الوسائط عالما أن الله هو الأول و الآخر، فهو ممد كل شيء و المفيض على كل شيء، و إليه يرجع الأمر كله، و لا بين من ترك الأسباب ثقة بالمسبب فكان هذا غريقا فى قدرته كما كان ذاك ناظرا إلى حكمته، عاملا بسنته، فلا حرج على هذا و لا ذاك و إن صح أن نقول: إن بعضهم أفضل من بعض.

و هل ما ذكره السائل من حديث التلذذ و الأنس الذى قطعه خطاب الأموات صحيح أم تمويه و خيال؟ و لماذا لا يقول مثل ذلك فى الطلب من الأحياء؟ أليس الأنس بالله و مناجاته خيرا من الطلب من الأحياء أيضا «و لو كان وزيرا أو أميرا» أم التفضيل الذى ذكره لا يتحقق إلا بين الطلب من الله و الطلب من الأموات؟

و قد أدمج فى كلامه ما يلهج به كثير من الجهلة من أن الميت لا ندرى حاله و لا ما مات عليه، و هو سوء ظن كبير بالمسلمين بل بالله تعالى، فنلفت نظر السائل: إلى أن من عاش على شيء مات عليه كما فى الحديث الشريف، فهذه هى سنة الله الغالبة و ما عدا ذلك فشاذ لا يقاس عليه لحكمة يعلمها هو.

ثم نقول: إن الأمور فى هذا العالم مبنية على الظن، حتى الأمور الشرعية و الأحكام الفقهية، و على هذا يجب أن نعامل أمواتنا فنغسلهم و نكفنهم و ندفنهم فى مقابر المسلمين، و نورث أموالهم إلى غير ذلك، و لسنا على اليقين الذى يرده السائل من أمرهم «و لكن ذلك اليقين لم يشترطه أحدا».

فعلينا أن نعد من عاش فى حياته على خير و صلاح من أهل الخير و الصلاح بعد موته، و لا يجوز لنا غير ذلك اتباعا لتلك الوساوس التى ما أنزل الله بها من سلطان.

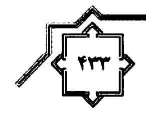


و ليت شعرى هل إذا رمينا أحدهم بأن أباه لا ندرى حاله أمسلم هو أم كافر أفيغضب أم لا؟ أو هل يريد أن لا نعمل شيئا إلا بناء على جزم و يقين؟ إذا يختل أمر هذا الوجود و تبطل أحكامه.

أما حديث عثمان بن مظعون الذى أشار إليه السائل فالمراد منه: أنه ينبغى الخوف من سعة التصرف الإلهى، و أن مرتبة العبودية لا تتخطى مقام الرجاء و الضراعة، و أم العلاء قد قطعت على الله أنه مكرمه على سبيل الجزم فأخرجت ذلك مخرج الشهادة، و أظن أنها لو شهدت له بالدين و الصلاح لتغير جواب رسول الله ﷺ و قد قال فى آخر الحديث: «**و إنى لأرجو له الخير**».

فهل يفرق السائل بين رجاء الخير و ظن الخير؟ و لماذا لا يذكر لنا ما أخرجه البخارى عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: مروا بجنازة فأثنوا عليها خيرا فقال النبى ﷺ: «وجبت». ثم مروا بأخرى فأثنوا عليها شرا فقال: «وجبت». فقال عمر بن الخطاب: ما وجبت؟ فقال: «**هذا أثنيتم عليه خيرا وجبت له الجنة، و هذا أثنيتم عليه شرا فوجبت له النار، أنتم شهداء فى الأرض**». أو ما أخرجه عن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أيما مسلم شهد له أربعة بخير أدخله الله الجنة**» فقلنا و ثلاثة؟ قال: و ثلاثة، فقلنا و اثنان، قال: و اثنان، ثم لم نسأله عن الواحد». أو ما أخرجه البخارى أيضا من قوله ﷺ فى شهداء أحد: «**أنا شهيد على هؤلاء**».

ثم نقول للغلاة جميعا: لماذا لا تذكرون أو لا تعلمون ـ و لا نقول لا تصدقون ـ بما أخرجه البخارى أيضا من قوله ﷺ: «**والله ما أخشى عليكم الشرك و لكن أخشى أن تبسط عليكم الدنيا فتنافسوها**» إلى آخره، بل سارعتم إلى القول بالشرك الذى لا يخافه ﷺ على أمته فأوسعتموهم ذبحا و قتلا معتقدين أنهم مشركون خارجون عن الملة، و كأن السائل قد أحس بذلك كله فقال: «على سبيل الجزم».



و نحن نقول له: يكفينا الظن، و حسن الظن بالمسلمين مطلوب خصوصا الصالحين، و أما الجزم الذى تريده فلم يشترطه أحد كما قلنا.

ثم قال السائل: و إن من المجازفة أن نزيد على حسن الظن فيمن لم يرد لهم شهادة من المعصوم، و نحن نقول له: إن من المجازفة أن تسىء الظن بمن لم يرد فيهم نص عن المعصوم، خصوصا من ظهرت عليه علامات الخير و أمارات الصلاح، أو ظهرت له كرامات فى حياته و بعد مماته، و تجويز أن يكون قد تغير حاله هو من سوء الظن بالمسلمين بل بالله تعالى، كما أنه عقوق للأباء و الأجداد، و ما معنى الزيادة التى زدتها حضرتك! و ليس ذلك كله إلا أثرا لحسن الظن و مبنيا عليه.

ثم قال السائل: و كم أكون مسرورا جدا إذا عثرت على نص صريح فى هذا النوع من الوسيلة.

و أقول: ذكرنا من الأدلة العقلية و النقلية الشىء الكثير، و قد كان يكفيه حديث واحد على ما يقول، و قد قلنا: إن من يثبت الحياة و الإدراك و العلم للأرواح، و القربة و المنزلة للصالحين، ثم يمنع التوسل و الاستغاثة بهم متناقض غاية التناقض قاطع للملزوم عن لوازمه، و قد ذكرنا إجماع الأئمة على التوسل به ﷺ عند زيارته، و لو لم يكن فى الموضوع إلا حديث عثمان بن حنيف لكان كافيا شافيا.

و على الجملة فقد أجمعت الشرائع كلها، و الفلاسفة الأقدمون، و الفلاسفة العصريون، أو نقول: المسلمون و الأوروبيون و الأمريكيون و الهندوس على إثبات الحياة و لوازمها للأرواح، و على أن لها من الإطلاق و سعة التصرف ما لم يكن لها حال حياتها فى هذا العالم، و هو عين ما قرره ابن القيم أحد أئمتهم فى (كتاب الروح). أسأل الله أن يزيل عنا حجاب المادة و كثافة الطبيعة و ظلمة الأشباح بمنه و كرمه.

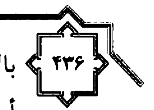
جواز التوسل عند الإمام الشوكاني

قال الإمام المحدث السلفي الشيخ محمد بن علي الشوكاني في رسالته (الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد) أما التوسل إلى الله سبحانه و تعالى بأحد من خلقه في مطلب يطلب العبد من ربه فقد قال الشيخ عز الدين ابن عبد السلام: إنه لا يجوز التوسل إلى الله تعالى إلا بالنبي ﷺ إن صح الحديث فيه. و لعله يشير إلى الحديث الذي أخرجه النسائي في سننه و الترمذي و صححه ابن ماجه و غيرهم أن أعمى أتى النبي ﷺ فذكر الحديث، قال و للناس في معنى هذا قولان أحدهما أن التوسل هو الذي ذكره عمر بن الخطاب لما قال: كنا إذا أجدبنا نتوسل بنبينا إليك فتسقينا و إنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا، و هو صحيح البخاري و غيره فقد ذكر عمر رضي الله عنه أنهم كانوا يتوسلون بالنبي ﷺ في حياته في الاستسقاء ثم توسل بعمه العباس بعد موته و توسلهم هو استسقاؤهم بحيث يدعو و يدعون معه فيكون هو وسيلتهم إلى الله تعالى. و النبي ﷺ كان في مثل هذا شافعا و داعيا لهم. و القول الثاني أن التوسل به ﷺ يكون في حياته و بعد موته و في حضرته و مغيبه و لا يخفاك أنه قد ثبت التوسل به ﷺ في حياته و ثبت التوسل بغيره بعد موته بإجماع الصحابة إجماعا سكوتيا لعدم إنكار أحد منهم على عمر رضي الله عنه في توسله بالعباس رضي الله عنه. و عندي أنه لا وجه لتخصيص جواز التوسل بالنبي ﷺ كما زعمه الشيخ عز الدين بن عبد السلام لأمرين: الأول ما عرفناك به من إجماع الصحابة رضي الله عنهم، و الثاني أن التوسل إلى الله بأهل الفضل و العلم هو في التحقيق توسل بأعمالهم الصالحة و مزاياهم الفاضلة إذ لا يكون فاضلا إلا بأعماله، فإذا قال القائل اللهم إني أتوسل إليك بالعالم الفلاني فهو باعتبار ما قام به من العلم. و قد ثبت في



الصحيحن و غيرهما أن النبى ﷺ حكى عن الثلاثة الذين انطبقت عليهم الصخرة أن كل واحد منهم توسل إلى الله بأعظم عمل عمله فارتفعت الصخرة، فلو كان التوسل بالأعمال الفاضلة غير جائز أو كان شركا كما زعمه المتشددون فى هذا الباب كابن عبد السلام و من قال بقوله من أتباعه لم تحصل الإجابة لهم و لا سكت النبى ﷺ عن إنكار ما فعلوه بعد حكايته عنهم، و بهذا تعلم أن ما يورده المانعون من التوسل بالأنبياء و الصلحاء من نحو قوله تعالى: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَىٰ﴾ و نحو قوله تعالى: ﴿فَلاَ تَدْعُوا مَعَ اللهِ أَحَداً﴾ ونحو قوله تعالى: ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لاَيَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ﴾ ليس بوارد بل هو من الاستدلال على محل النزاع بما هو أجنبى عنه، فإن قولهم ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى مصرح بأنهم عبدوهم لذلك، و المتوسل بالعالم مثلا لم يعبده بل علم أن له مزية عند الله بحمله العلم فتوسل به لذلك، و كذلك قوله ﴿فَلاَ تَدْعُوا مَعَ اللهِ أَحَداً﴾ فإنه نهى عن أن يدعى مع الله غيره كأن يقول بالله و بفلان، و المتوسل بالعالم لم يدع إلا الله فإنما وقع منه التوسل عليه بعمل صالح عمله بعض عباده كما توسل الثلاثة الذين انطبقت عليهم الصخرة بصالح أعمالهم وكذلك قوله ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ﴾ الآية:

فإن هؤلاء دعوا من لا يستجيب لهم و لم يدعوا ربهم الذى يستجيب لهم، و المتوسل بالعالم مثلا لم يدع إلا الله و لم يدع غيره دونه و لا دعا غيره معه، فإذا عرفت هذا لم يخف عليك دفع ما يورده المانعون للتوسل من الأدلة الخارجة عن محل النزاع خروجا زائدا على ما ذكرناه كاستدلالهم بقوله تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ * ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ * يَوْمَ لاَ تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئاً وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ للهِ﴾ فإن هذه الآية الشريفة ليست فيها دلالة إلا أنه تعالى هو المنفرد



بالأمر فى يوم الدين و أنه ليس لغيره من الأمر شىء، و المتوسل بنبى من الأنبياء أو عالم من العلماء هو لا يعتقد ان لمن توسل به مشاركة لله جل جلاله فى أمر يوم الدين. و من اعتقد هذا لعبد من العباد سواء كان نبيا أو غير نبى فهو فى ضلال مبين، و هكذا الاستدلال على منع التوسل بقوله: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ قل ﴿قُل لاَ أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرّاً وَلاَ نَفْعاً﴾ فإن هاتين الآيتين مصرحتان بأنه ليس لرسول الله ﷺ من أمر الله شىء وأ نه لا يملك نفعا و لا ضرا فكيف يملك لغيره، و ليس فيهما منع التوسل به أو بغيره من الأنبياء أو الأولياء أو العلماء، و قد جعل الله لرسول الله ﷺ المقام المحمود مقام الشفاعة العظمى و أرشد الخلق إلى أن يسألوه ذلك و يطلبوه منه و قال له (سل تعطه و اشفع تشفع) و قيل ذلك فى كتابه العزيز بأن الشفاعة لا تكون إلا بإذنه و لا تكون إلا لمن ارتضى، و هكذا الاستدلال على منع التوسل بقوله ﷺ لما نزل قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ يا فلان بن فلان لا أملك لك من الله شيئا، يا فلانه بنت فلان لا أملك لك من الله شيئا، فإن هذا ليس فيه إلا التصريح بأنه ﷺ لا يستطيع نفع من أراد الله ضره و لا ضر من أراد الله تعالى نفعه، و أنه لا يملك لأحد من قرابته فضلا عن غيرهم شيئا من الله، و هذا معلوم لكل مسلم و ليس فيه أنه لا يتوسل به إلى الله فإن ذلك هو طلب الأمر ممن له الأمر و النهى و إنما أراد الطالب أن يقدم بين يدى طلبه ما يكون سببا للإجابة ممن هو المنفرد بالعطاء و المنع و هو مالك يوم الدين، انتهى كلام الشوكانى. والله أعلم.

محق التقول في مسألة التوسل

المقدمة:

الحمد لله و صلوات الله و سلامه على سيدنا محمد رسول الله و آله و صحبه أجمعين.

أما بعد: فإنا نرى طائفة من الحشوية[1] يحاولون إكفار الأمة جمعاء بين حين و آخر بسبب أنهم يزورون القبور[2] و يتوسلون الله تعالى بالأخيار[3]. فكأنهم بذلك أصبحوا عباد الأوثان فحاشاهم من ذلك.

---

١ . قال الكوثرى رحمه الله: و كان الحسن البصرى من جلة التابعين و قد استمر سنين ينشر العلم فى البصرة، و يلازم مجلسه نبلاء أهل العلم، و قد حضر مجلسه أناس من رعاع الرواة، و لما تكلموا بالسقط عنده قال: ردوا هؤلاء إلى حشا الحلقة أى جانبها فسموا الحشوية، و منهم أصناف المجسمة و المشبهة. اهـ من مقدمة (تبيين كذب المفترين فيما نسب إلى الإمام الأشعرى) لناصر السنة حجة الحفاظ مؤرخ الشام أبى القاسم بن عساكر ص١١ . و جاء فى هامش تفسير (الجامع لأحكام القرآن) لأبى عبد الله محمد. الحشوية: طائفة من المبتدعة تمسكوا بالظواهر، و ذهبوا إلى التجسيم و غيره. اهـ (١/ ٥٥) .

٢ . يأتى أن ابن تيمية كان يرى إثم من سافر بقصد زيارة رسول الله ﷺ، لذا فلا يجوز لذلك المسافر أن يقصر الصلاة، لأن السفر سفر معصية، و هو أول من ظهر بهذا الرأى، فكلفه سجنا، و إبعادا عن الناس و إنكارا من العلماء.

٣ . بالأخيار، يأتى الكلام على معنى التوسل و حكمه فى موضعه من الرسالة إن شاء الله تعالى.



فأحببت ذكر آراء أئمة أصول الدين فى مسألة التوسل[١] لأنهم أصحاب الشأن فى تبيين وجود الفرق بين التوحيد و الإشراك و عبادة الأوثان، مع سرد ما فى الكتاب و السنة من وجوه الدلالة على ذلك عند أهل العلم، ردا للحق إلى نصابه، وردعا للجهل و أصحابه[٢]، والله سبحانه ولى التسديد و التوفيق[٣]

الفصل الأول:

فأقول مستعينا بالله جل جلاله: إنى أرى أن أتحدث هنا عن مسألة التوسل التى هى وسيلة دعاتهم إلى رميهم الأمة المحمدية بالإشراك[٤] و كنت لا أحب طرق هذا البحث لكثرة ما أثاروا حوله من جدل عقيم مع ظهور الحجة و استبانة المحجة.

و ليس قصد أول من أثار هذه الفتنة سوى استباحة اموال المسلمين ليؤسس حكمه بأموالهم على دمائهم باسم أنهم مشركون[٥] و أنى يكون للحشوية صدق

---

١ . أى علماء العقائد الإسلامية ممن سلمت لهم الأمة و ركنت إلى أقوالهم و اطمأنت فى أحكامهم التى أخذوها من كتاب الله تعالى و صريح و صحيح سنة رسول الله ﷺ، و سيأتى ذكر بعضهم أثناء الرسالة إن شاء الله تعالى.

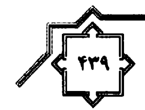
٢ . يقال ردعه عنه كمنعه: كفه ورده فارتدع، كذا فى القاموس المحيط.

٣ . يقال سدده تسديدا قومه، و وفقه للسداد أى الصواب من القول و العمل كذا فى القاموس المحيط.

٤ . كان أول من أثار فتنة التبديع بالتوسل و أكثر فى العصر القديم الشيخ أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، و كان فى القرن السابع، انظر ترجمته فى (الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة) لأحمد بن حجر العسقلانى، و فيه ولد عاشر ربيع الأول سنة ٦٦١هـ، و مات فى السجن فى ذى القعدة سنة ٧٢٨هـ انظر ترجمته (١/ ١٧٣) .

٥ . صان الله تعالى هذه الأمة أن تعود فى مجموعها و غالبيتها العظمى إلى الشرك لقوله ﷺ: «**إن الشيطان قد يئس أن يعبده المصلون فى جزيرة العرب و لكن التحريش**». رواه مسلم كتاب

←



الدعوة إلى التوحيد!.

و هم فى إنكارهم التوسل محجوجون بالكتاب، و السنة، و العمل المتوارث، و المعقول.

أما الكتاب فمنه قوله تعالى: ﴿وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾[1] و الوسيلة بعمومها

→

(المنافقيون) (٥٠) و قال البيهقى بعد ذكر الحديث: يريد أصحابه فمن بعدهم فكان كما قال. دلائل النبوة (٦/ ٣٦٣).

و من الثابت أن الأمة المسلمة عرفت التوسل فى عصر النبى ﷺ و زاولته، و فى عصر الصحابة رضوان الله عليهم و زاولته، و بعده إلى القرن السابع، و ما بعده إلى أيامنا هذه و إلى ما شاء الله و تزاوله، لأنه من مسائل أهل السنة الفرعية و لن يجمع الله تعالى أمة حبيبه ﷺ على الضلالة كما قال ﷺ، و الحمد لله. روى الترمذى و الحاكم عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال «**لا تجتمع هذه الأمة على ضلال أبدا**». و قال فيه: حديث غريب، و يؤيده ما رواه أبو داود عن أبى مالك الأشعرى مرفوعا «**أن الله أجاركم من ثلاث خلال ذكر منها: و أن لا تجتمعوا على ضلالة**» انظر التلخيص الحبير (٣/ ١٦٢).

١. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ٣٥]. الوسيلة، و الواسلة: المنزلة عند الملك، و الدرجة و القربة و وسل إلى توسيلا: عمل عملا تقرب به إليه كتوسل. كذا فى القاموس المحيط. و جاء فى القرطبى الوسيلة هى القربة، عن أبى وائل، و الحسن، و مجاهد، و قتادة، و عطاء، و السدى، و ابن زيد و عبد الله بن كثير، و هى فعلية من: توسلت إليه: تقربت، ثم قال: و الوسيلة القربة التى ينبغى ان يطلب بها، و الوسيلة: درجة فى الجنة إلخ (٦/ ١٥٩) و قال الشيخ أبو حامد بن مرزوق رحمه الله من كلام: فالتوسل لغة التقرب و الوسيلة كل ما يتوسل به إلى المقصود و على هذا المفسرون. ثم نقل عن الخطيب الشربينى فى تفسيره: اطلبوا ما تتوسلون به إلى ثوابه و الزلفى منه من فعل الطاعات و ترك المعاصى و قال الزمخشرى فى تفسيره كل ما يتوسل به أى يتقرب به من قرابة أو صنيعة أو غير ذلك اهـ فتحقق بهذا عموم معنى التوسل و الوسيلة، و عليه فتناول قول الناس اللهم إنى أتوسل إليك بفلان، و تتناول أيضا يا فلان ادع الله لى، فإن طلب دعاء الغير وسيلة إلى الله تعالى إذ هو من قبيل الشفاعة، و تتناول أيضا إحضار من يتوسل به و دعاء الله بحضرته كإحضار الفاروق العباس بن عبد المطلب رضي الله عنهما، أو الإتيان به مجردا عن الدعاء رجاءً أن ينصرهم الله تعالى بوجوده معهم

←



تشمل التوسل بالأشخاص، و التوسل بالأعمال بل المتبادر من التوسل فى الشرع هو هذا و ذاك، رغم تقول كل مفتر أفاك[1].

و الفرق بين الحى و الميت فى ذلك لا يصدر إلا عمن ينطوى على اعتقاد فناء الأرواح، المؤدى إلى إنكار البعث[2] و على ادعاه انتفاء الإدراكات الجزئية

فى الحرب كما أشار الإمام البخارى إلى ذلك فى صحيحه حيث ترجم بما يدل على الاستعانة فى الحروب بالضعفاء، و أخرج فيه ما يدل على الاستعانة بمجرد الحضور و تتناول أيضا زيارة الصلحاء لتعود بركتهم على الزائر. فجميع هذا يقصد منه التوجه إلى الله تعالى و التقرب إليه بالمتوسل به ولا محذور فى ذلك و لا يعد عبادة للمتوسل به، و قد تقدم فى بحث العبادة ان إرادة نفع الجاه المجردة عن التذلل لمن يراد جاهه ليست من العبادة شيء لأن التذلل و الحالة هذه إنما هو لله تعالى إلخ. (براءة الحنيفيين) (۱/ ۲۷۲).

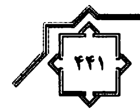
۱ . يأتى تحقيق المسألة قريبا إن شاء الله تعالى.

۲ . قال الإمام فخر الدين محمد بن عمر الخطيب الرازى: النفوس باقية بعد فناء الأبدان و على ذلك إطباق الأنبياء و والأولياء و الحكماء. انظر أصول الدين له ص۲۰.

و قال الإمام السيوطى فى بشرى الكئيب:

منزلـه بعـد الممات أوسـع	و قبره خير لـه و أرفـع
و فى السياق بالسلام يلقى	من ربه و من أولئك الملا
يلقون بالبشرى و بالأكفان	و الروح و الريحان و الرضوان
ثم عليه الأرض تبكى و السماء	إن كان يأتى الخير منه فيهما
يعرف من يغسله و يحمل	و يلبس الأكفان أو من ينزل
لـه إلى قبر بـه مرحب:	يضمه ضم الحبيب المعجب
و ربما حلوا بـه أحيانـا	و فيـه أيضا قرءوا القرآنـا
و بعضها فيها يزور بعضا	فحسنوا أكفان من تقضى
و يعرفون من أتاهم زائرا	و يأنسون إن أتى المقابرا
و سلموا ردا على المسلم	فى أى يوم قاله ابن القيم

و انظر شرح الأبيات، و تايید ما فيها بأحاديث شريفة و آثار لطيفة فى (جمع التثبيت فى شرح أبيات التثبيت) للسيد محمد بن إسماعيل الصنعانى ص۱۵۲ ـ ۱۶۵ ففيها فوائد.



من النفس بعد مفارقتها البدن، المستلزم لإنكار الأدلة الشرعية فى ذلك[١].

أما شمول الوسيلة فى الآية المذكورة للتوسل بالأشخاص. فليس برأى مجرد، و لا هو بمأخوذ من العموم اللغوى فحسب[٢]، بل هو المأثور عن عمر الفاروق رضي الله عنه حيث قال بعد توسل بالعباس رضي الله عنه فى الاستسقاء [هذا والله الوسيلة إلى الله عزّ و جلّ]. كما فى الاستيعاب لابن عبد البر[٣].

---

١ . قال ابن القيم فى (كتاب الروح): إن للروح المطلقة من أسرار البدن و علائقه و عواقبه فى التصرف و القوة النفاذ و الهمة و سرعة الصعود إلى الله تعالى و التعلق به سبحانه و تعالى ما ليس للروح المهينة المحبوسة فى علائق البدن و عواقبه بسبب انغماسها فى شهواتها، فإذا كان هذا فى عالم الحياة الأرضية و هى محبوسة فى بدنها فكيف إذا تجردت عنه و فارقته و اجتمعت فيها قواها و كانت فى أصل نشأتها روحا عالية زكية كبيرة ذات همة عالية؟ فهذه لها بعد مفارقة البدن شأن آخر و فعل آخر. و قد تواردت الرؤى فى أصناف بنى آدم على فعل الأرواح بعد الموت أفعالا لا تقدر على مثلها حال اتصالها بالبدن فى هزيمة الجيوش الكثيرة بالواحد، و الفيالق بالعدد القليل جداً و نحو ذلك و قد رؤى النبى ﷺ و معه أبو بكر و عمر رضي الله عنهما فى النوم و قد هزمت أرواحهم عساكر الكفر و الظلم فإذا بجيوشهم مقلوبة مكسورة مع كثرة عددهم و ضعف المؤمنين و قلّتهم. اه ص١٠٢ ـ ١٠٣ الخ.

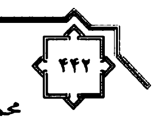
٢ . تقدم أن التوسل لغة التقرب، و الوسيلة كل ما يتوصل به إلى المقصود.

٣ . حديث توسل عمر بالعباس رضي الله عنهما رواه البخارى فى صحيحه، بسنده إلى أنس رضي الله عنه قال أنهم أجدبوا زمن عمر فخرج الناس إلى المصلى فقال عمر رضي الله عنه: [اللهم إنّا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا و إنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا] قال فيسقون.

كتاب الاستسقاء و قد فهم ابن تيمية و مقلدوه من المعاصرين أن فعل عمر رضي الله عنه هذا يدل على منع التوسل بالنبى ﷺ بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى، و هو خطأ من وجوه الأول: إن ترك الشيء لا يدل على منعه و قد تقدم فى العلم الأصول أن الترك ليس من أدلة الأحكام الشرعية بحال.

الثانى: أن العباس كان مضطراً و الله تعالى يقول: ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ﴾ فكان التوسل به أنسب.

←



و أما السنة فمنها حديث عثمان بن حنيف ـ بالتصغير ـ رضي الله عنه و فيه: «يا محمد إنى توجهت بك إلى ربى»[1].

و هكذا علّم الرسول ﷺ الضرير الدعاء، و فيه التوسل بالشخص، و صرفه عن ظاهره تحريف للكلم عن مواضعه بهوى[2].

الثالث: أن عمر أراد بالتوسل بالعباس الاقتداء بالنبى ﷺ فى إكرام العباس نص على ذلك عمر كما فى (فتوح البلدان) للبلاذرى.

الرابع: لعل عمر أراد أن يبين بفعله جواز التوسل بغير النبى ﷺ.

الخامس: أن عمر أراد أن يبين بفعله جواز التوسل بالمفضول مع وجود الفاضل، لأنه كان فى ذلك الجمع من هو أفضل من العباس كعلى و عثمان رضي الله عنهما.

السادس: أن توسل عمر بالعباس رضي الله عنه هو فى الحقيقة توسل بالنبى ﷺ لأن العباس إنما توسل به الصحابة لكونه عم النبى ﷺ و مكانته منه. اه من (إتحاف الأذكياء بجواز التوسل بالأنبياء و الأولياء) للمحدث الفقيه الشيخ عبد الله الصديق الغمارى حفظه الله تعالى بتصرف ص٣٥ ـ ٣٧.

١ . تمام الحديث أخرج الترمذى فى آخر كتاب الدعوات من جامعه عن عثمان بن حنيف رضي الله عنه أن رجلا ضرير البصر أتى النبى ﷺ فقال: ادع الله أن يعافينى قال: «**إن شئت دعوت و إن شئت صبرت فهو خير لك**» قال فادعه قال: فأمره أن يتوضأ و يحسن وضوءه و يدعو بهذا الدعاء «**اللهم إنى أسألك و أتوجه إليك بنبيك محمد نبى الرحمة يا محمد إنى أتوجه بك إلى ربى فى حاجتى هذه لتقضى اللهم فشفعه فى**» . قال عثمان بن حنيف فوالله ما تفرقنا و لا طال بنا الحديث حتى دخل الرجل و كأنه لم يكن به ضرّ قط.

ورواه ابن ماجه فى كتاب صلاة الحاجة، قال أبو إسحاق هذا حديث صحيح (١ ـ ٤٤٢) .

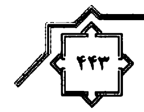
ورواه الحاكم فى الدعاء و فيه (فشفعه فى و شفعنى فيه) .

و قال صحيح و لم يخرجاه، و قال الذهبى على شرطهما (١ ـ ٣١٣) .

أى شفعنى فى نفسى، ورواه ابن السنى فى (عمل اليوم و الليلة) ص١٧٠ .

و البيهقى فى باب: ما جاء فى تعليمه الضرير ما كان فيه شفاؤه حين لم يصبر و ما ظهر فى ذلك من أثر النبوة.

٢ . هذا تأويل ما قال به أحد من السلف، و ظاهر اللفظ لا يفيد، فإن فى لفظ الترمذى كما تقدم (. . . فأمره أن يتوضأ و يحسن الوضوء و يدعوا بهذا الدعاء اللهم إنى أسألك) الحديث، و فى رواية ابن أبى خثيمة بإسناد صحيح أن النبى ﷺ لما علم الضرير الدعاء المذكور قال له: (و أن كانت



و أما كون استجابة دعاء الضرير بدعاء الرسول صلوات عليه ـ و هو غير مذكور فى الرواية ـ أو بدعاء الضرير، فلا شأن لنا بذلك، بل الحجة هى نص الدعاء المأثور عن الرسول عليه الصلاة و السلام.

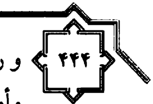
و قد نص على حجة هذا الحديث جماعة من الحفاظ كما سيأتى[1]: و قد ورد أيضا فى حديث فاطمة بنت أسد رضي الله عنها **«بحق نبيك و الأنبياء الذين من قبلى»**[2]

حاجة فافعل مثل ذلك) ، و هذا إذن بالتوسل فى سائر الأحوال و فى حديث الطبرانى أن عثمان بن حنيف أمر رجلا كانت له حاجة عند عثمان رضي الله عنه لا تقضى أمره أن يتوضأ و يصلى ركعتين، و يدعو بالدعاء، ففعل فقضيت حاجته، و سيأتى.

١ . أى من نقول المصنف رحمه الله.

٢ . تمام الحديث ما رواه الطبرانى فى معجمه الكبير و الأوسط عن أنس رضي الله عنه قال: **«لما ماتت فاطمة بنت أسد أم على رضي الله عنهما دخل عليها رسول الله ﷺ فجلس عند رأسها فقال يرحمك الله يا أمى، كنت أمى بعد أمى تجوعين و تشبعيننى و تعرين و تكسيننى و تمنعين نفسك طيبا و تطعميننى تريدين بذلك وجه الله تعالى و الدار الآخرة»** ثم أمر أن تغسل ثلاثا ثلاثا فلما بلغ الماء الذى فيه الكافور وضعه رسول الله ﷺ بيده ثم خلع قميصه فألبسه إياها و كفنها ببرد فوقه، ثم دعا أسامة بن زيد و أبا أيوب الأنصارى و عمر بن الخطاب، و غلاما أسود يحفرون، فحفروا قبرها فلما بلغوا اللحد حفره رسول الله ﷺ بيده و أخرج ترابه بيده، فلما فرغ دخل رسول الله ﷺ فاضطجع فيه و قال: **«الله الذى يحيى و يميت و هو حى لا يموت اغفر لأمى فاطمة بنت أسد و لقنها حجتها و وسع عليها مدخلها بحق نبيك و الأنبياء الذين من قبلى فإنك أرحم الراحمين»** و كبر عليها أربعا و أدخلها اللحد هو و العباس و أبو بكر رضي الله عنهم.

قال الحافظ نور الدين الهيثمى فى (مجمع الزوائد) رجاله رجال الصحيح غير روح بن صلاح، و قد وثقه ابن حبان، و الحاكم و فيه ضعف اه قال الشيخ المحدث عبد الله الصديق الغمارى روح بن صلاح المصرى، ذكره ابن عدى فى الضعفاء، و قال الدارقطنى: ضعيف، و ذكره ابن حبان فى الثقات، و قال الحاكم ثقة مأمون، على أن ضعفه خفيف عند من ضعفه كما يستفاد من عباراتهم، و لذا عبر الهيثمى بما يفيد خفة الضعف كما لا يخفى على من مارس كتب الفن فالحديث لا يقل عن رتبة الحسن بل هو على شرط ابن حبان صحيح. اه انظر (إتحاف الأذكياء) ص٢٠ ورواه كذلك ابن عبد البر عن ابن عباس، و ابن أبى شيبة عن جابر، و أخرجه (الديلمى و أبو نعيم) فطرقه يشد بعضها بعضا بقوة. و انظر مفاهيم يجب أن تصحح ص١٥١، و



و رجال هذا الحديث ثقات سوى روح بن صلاح. و عنه يقول الحاكم: ثقة مأمون و ذكره ابن حبان فى الثقات[١].

و هو نص على أنه لا فرق بين الأحياء و الأموات فى باب التوسل[٢].

و هذا توسل بجاه الأنبياء صريح.

و فى حديث أبى سعيد الخدرى ﵁: «**اللهم إنى أسألك بحق السائلين عليك**». و هذا توسل بالمسلمين عامة احياء و أمواتاً[٣].

و ابن الموفق فى سنده لم ينفرد عن مرزوق، و ابن مرزوق من رجال مسلم.

و عطية حسّن له الترمذى عدة أحاديث، كما سياتى.

الاستدراك فيه ص٣٣٢ ـ ٣٣٢ و (التوسل) للشيخ يوسف الدجوى ﵀ فى (مقالات و فتاوى (١/ ١٥٥)).

١ . ابن حبان من الطبقة التى فيها الذهبى [إذا وثق أحدهم شخصا فعض على قوله بناجذيك] كما جاء فى رسالة ذكر من يعتمد قوله فى الجرح و التعديل، تحقيق الشيخ أبو غدة حفظه مولاه.

٢ . تقدم ما يدل على تصرف الأرواح بعد خروجها من الأجساد، و قد صح أن رسول الله ﷺ مرّ ليلة الإسراء على موسى ﵇ يصلى فوق الكثيب الأحمر و إنه راجع نبينا ﷺ مراراً عندما فرضت الصلاة خمسين فى كل يوم و ليلة حتى صارت خمسا، كما قابل آدم و إبراهيم و غيرهما من الأنبياء عليهم الصلاة و السلام.

٣ . تمام الحديث: أخرج ابن ماجه عن أبى سعيد الخدرى ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من خرج من بيته إلى الصلاة فقال اللهم إنى أسألك بحق السائلين عليك و أسألك بحق ممشاى هذا فإنى لم أخرج أشراً و لا بطراً و لا رياء و لا سمعة خرجت اتقاء سخطك و ابتغاء مرضاتك فأسألك أن تعيذنى من النار و أن تغفر لى ذنوبى إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت أقبل الله عليه بوجهه و استغفر له سبعون ألف ملك**». و يأتى تخريجه عن المصنف، و المراد (بحق السائلين) هو الحرمة و الكرامة اللتان تكونان للسائلين الذين يرفعون أكف الضراعة إليه تعالى مخلصين فى دعائه، و هو صاحب الفضل جل جلاله أولاً و أخيراً، و هو معتقد أهل السنة و الجماعة يؤولون به حديث البخارى و غيره (حق العباد على الله...) أى ما يمنحه فضلا وجودا، فلا يجب على الله تعالى لعباده شىء ﴿**قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللهِ**﴾ .



وعلى التوسل بالأنبياءوالصالحين أحياءً وأمواتاً جرت الأمة طبقةفطبقة[١].

و قول عمر ﷺ في الاستسقاء: «إنا نتوسل إليك بعمّ نبينا[٢]» نص فى توسل الصحابة بالصحابة، و فيه إنشاء التوسل بشخص العباس ﷺ.

و ليس فى هذه الجملة فائدة الخبر، لأن الله تعالى يعلم أيضاً علم المتوسلين بتوسلهم، فتمحضت الجملة لإنشاء التوسل بالشخص[٣].

و قوله [كنا نتوسل] فيه أيضاً ما فى الجملة الأولى، على أن قول الصحابى: كنا نفعل كذا ينصب على ما قبل القول[٤] فيكون المعنى أن الصحابة ﷺ كانوا يتوسلون به ﷺ في حياته، و بعد لحوقه بالرفيق الأعلى إلى عام الرمادة.

و قصر ذلك على ما قبل وفاته ﷺ تقصير عن هوى، و تحريف لنص الحديث، و تاويل بدون دليل[٥].

---

١ . انظر (مفاهيم يجب أن تصحح) . فقد ذكر أعلاماً من العلماء قالوا بالتوسل منهم الحاكم و البيهقى. و غيرهم ذكرتهم فى مقدمة هذه الرسالة النافعة.

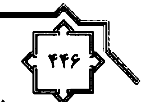
٢ . سيأتى القول فى موضعه من كلام المصنف.

٣ . يعنى ليس الأمر خبراً عن التوسل، بل فيه إنشاء التوسل و ابتداؤه منهم بدليل قول عمر ﷺ: (إنا نتوسل إليك بعم نبينا ﷺ).

٤ . ذلك عهد رسول الله ﷺ، قال الإمام النووى فى (التقريب) فروع أحدها قول الصحابى كنا نقول كذا او نفعل كذا إن لم يضفه إلى زمن رسول الله ﷺ فهو موقوف و إن أضافه فالصحيح أنه مرفوع، و قال الإسماعيلى موقوف، و الصحيح الأول، و كذا قوله: كنا لا نرى بأساً بكذا فى حياة رسول الله ﷺ، أو و هو فينا، أو بين أظهرنا، أو كانوا يقولون، أو يفعلون، أولا يرون بأساً بكذا فى حياته ﷺ فكله مرفوع، و من المرفوع قول المغيرة: كان أصحاب رسول الله ﷺ يقرعون بابه بالأظافير أخرجه البيهقى فى المدخل عن تدريب الراوى (١/ ١٨٥ ـ ١٨٦) و عام الرمادة كان سنة (١٨) كما سيأتى.

٥ . بل سيأتى من الأدلة ما يفيد التوسل به ﷺ بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى من كلام المصنف إن شاء الله تعالى.

و انظر (براءة الحنيفيين) (١/ ٢٥٨ ـ ٢٦٨) فثمة نصوص على جواز التوسل به ﷺ قبل خلقه، و بعد خلقه فى مدة حياته فى الدنيا و بعد موته، و بعد البعث، ف انظر ها.



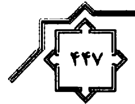
و من حاول إنكار جواز التوسل بالأنبياء بعد موتهم بعدول عمر إلى العباس فى الاستسقاء قد حاول المحال، و نسب إلى عمر ما لم يخطر له على بال، فضلاً عن أن ينطق به[١]، فلا يكون هذا إلا محاولة إبطال السنة الصريحة بالرأى[٢].

و فعل عمر إنما يدل على ان التوسل بقرابة الرسول ﷺ الأحياء جائز كجوازه بالنبى عليه و عليه الصلاة و السلام ليس غير، بل فى استيعاب ابن عبد البر بيان سبب استسقاء عمر بالعباس حيث يقول فيه [إن الأرض أجدبت إجداباً شديداً على عهد عمر زمن الرمادة و ذلك سنة سبع عشرة فقال كعب يا

---

١ . تقدم قريباً ذكر الاحتمالات الستة و التى لا يمكن الركون إلى واحد منها، نقلاً عن (إتحاف الأذكياء) .

٢ . يعنى والله أعلم بالرأى غير القائم على دليل، و لا شبه دليل، فلا ينظر إليه و لا يبالى به خاصة إن جاء فى موضع آخر ما يرّد ذلك الرأى، أعنى التوسل به ﷺ بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى.
و قال الشيخ الدكتور محمد علوى المالكى حفظه الله تعالى. و من فهم من كلام أمير المؤمنين أنه إنما توسل بالعباس و لم يتوسل برسول الله ﷺ، لأن العباس حىّ و النبى ميت، فقد مات فهمه، و غلب عليه وهمه، و نادى على نفسه بحالة ظاهرة، أو عصبية لرايه قاهرة، فإن عمر ﷺ لم يتوسل بالعباس إلا لقرابته من رسول الله ﷺ تلمح ذلك من قوله: (و إنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا) و هو بذلك قد توسل برسول الله ﷺ على أبلغ الوجوه، و قد بعد عن الصواب كل البعد من رمى المسلمين بالشرك بسبب ذلك مع قوله بجواز التوسل بالحى، فإن التوسل لو كان شركاً ما جاز بالحىّ و لا الميت ألا ترى أن اعتقاد الربوبية و استحقاق العبادة لغير الله تعالى من نبى أو ملك أو ولى هو شرك و كفر، لا يجوز هنا فى حياته و لا الآخرة، فهل سمعت من يقول إن اعتقاد الربوبية لغير الله تعالى جائز إذا كان حياً، أما بعد وفاته فشرك. و قد عرفت أن اتخاذ المعظم وسيلة إلى الله تعالى لا يكون عبادة للوسيلة، إلا إذا اعتقد أنه رب، كما كان ذلك شأن عباد الأوثان، مع أوثانهم فإذا لم يعتقد ذلك فيه، و كان مأموراً منه عز و جل باتخاذه وسيلة، كان ذلك الاتخاذ عبادة للآمر سبحانه. اه مفاهيم يجب أن تصحح ص١٦٠ .



أمير المؤمنين: إن بنى إسرائيل كانوا إذا أصابهم مثل هذا استقوا بعصبة الأنبياء فقال عمر: هذا عمّ رسول الله ﷺ وصنو أبيه و سيد بنى هاشم فمشى إليه عمر، و شكا إليه][1].

فهل استبان أن استسقاء عمر بالعباس لم يكن من جهة أن الرسول ميت لا يسمع نداء، و لا جاه له عند الله تعالى: حاش لله، ما هذا إلا إفك مفترى.

و حديث مالك الدار فى مجىء بلال بن الحارث الصحابى إلى قبر النبى ﷺ أيام القحط فى عهد عمر، و قوله [يا رسول الله استسق الله لأمتك فإنهم قد هلكوا فأتاه رسول الله ﷺ فى المنام فقال: «**ائت عمر فاقرئه السلام و أخبره أنهم يسقون**»[2] نص فى التوسل الصحابة به ﷺ بعد وفاته من غير نكير[3].

---

١ . الاستيعاب (٣/ ٩٨) .

٢ . تمام الخبر روى ابن أبى شيبة بإسناد صحيح كما قال الحافظ فى فتح البارى، عن أبى صالح السمان عن مالك الدار، و كان خازن عمر، قال أصاب الناس قحط فى زمن عمر رضي الله عنه فجاء رجل إلى قبر النبى ﷺ فقال: يا رسول الله استسق الله لأمتك فإنهم قد هلكوا، فأتاه رسول الله ﷺ فى المنام و قال له: «**ائت عمر فاقرئه السلام و أخبره يسقون و قل له عليك الكيس الكيس**» فأتى الرجل عمر فأخبره فبكى عمر رضي الله عنه و قال: يا رب ما آلو إلا ما عجزت عنه (٢/ ٤٩٥) .

قال الشيخ عبد الله الصديق: و الرجل هو بلال بن الحارث المزنى أحد الصحابة، كما رواه سيف فى الفتوح، و قد طعن بعض المعاصرين فى رواية سيف بأنه متكلم فيه، و هذا لا يضيرنا فإن الرجل إن لم يكن بلالاً بن الحارث فهو يقيناً إما صحابى أو تابعى، لا شك فى ذلك، و كفى بأحدهما حجة، أضف إلى ذلك أن عمر لم ينكر عليه توسله، و هو أحد الخلفاء الراشدين الذين أمرنا بإتباعهم. اه الإتحاف مع الهامش ص٣٤، و يأتى الكلام على الخبر من كلام المصنف إن شاء الله تعالى.

٣ . لا يزعم أحد أن رجلا من الصحابة يبتدع بدعة، خاصة بدعة شركية، كيف و قد تقدم أن عمر رضي الله عنه سمع بالموضوع فما أنكر بل قال قولته و هو يبكى (يا رب ما آلو) . و عمر عمر فى شدته فى الحق رضي الله عنه و الصحابة أجمعين.



و الحديث مما أخرجه ابن أبى شيبة بسند صحيح، كما فى «فتح البارى»[1].

و هذا قامع لمن لا يجيز التوسل به صلوات الله عليه بعد لحوقه بالرفيق الأعلى و كذلك حديث عثمان بن حنيف فى تعليمه دعاء الحاجة السابق ذكره لمن كان له حاجة عند عثمان بن عفان رضي الله عنه و فيه التوسل بالنبى صلى الله عليه وسلم بعد وفاته، من غير أن ينكر عليه أحد[2].

و الحديث صححه الطبرانى، و أقرّه أبو الحسن الهيثمى فى «مجمع الزوائد» كما سيأتى.

و قد جمع المحدث الكبير محمد عابد السندى، فى جزء خاص الأحاديث و الاثار الواردة فى هذا الباب فشفى و كفى[3].

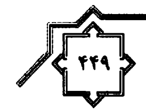
---

١ . فتح البارى (٢/ ٤٩٥).

٢ . تمام الخبر. روى الطبرانى و البيهقى عن أبى أمامة بن سهل بن حنيف رضي الله عنه أن رجلا كان يختلف إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه فى حاجة له، فكان عثمان لا يلتفت إليه و لا ينظر فى حاجته، ـ أى لنسيانه لها كما يأتى ـ فلقى الرجل عثمان بن حنيف فشكا إليه ذلك فقال له عثمان بن حنيف: ائت الميضأة فتوضأ ثم ائت المسجد فصل فيه ركعتين ثم قل: «**اللهم إنى أسألك و أتوجه إليك بنبينا محمد نبى الرحمة يا محمد إنى أتوجه بك إلى ربى فيقضى حاجتى**» و تذكر حاجتك، ورح حتى أروح معك فانطلق الرجل فصنع ما قال، ثم أتى باب عثمان بن عفان رضي الله عنه فجاء البواب حتى أخذ بيده فأدخله على عثمان بن عفان فأجلسه معه على الطنفسة، فقال: ما حاجتك ؟ فذكر حاجته فقضاها له، ثم قال له: ما تذكرت حاجتك حتى كان الساعة و قال: ما كانت لك من حاجة فاذكرها. ثم إن الرجل خرج من عنده فلقى عثمان بن حنيف فقال له جزاك الله خيرا ما كان ينظر فى حاجتى حتى كلمته. فقال عثمان بن حنيف و الله ما كلمته ولكنى شهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم و جاءه رجل ضرير فشكا إليه ذهاب بصره و ذكر الحديث الذى تقدم قريبا، و يأتى الكلام على الحديث من المصنف إن شاء الله تعالى.

٣ . السندى هو محدث الحجاز و مسنده العالم الجامع المحدث الحافظ الفقيه المتبحر الزاهد فى الدنيا وزخارفها محيى السنن حين عفت رسومها و هجرت علومها محمد عابد بن الشيخ أحمد بن شيخ الإسلام محمد مراد بن يعقوب النصارى الخزرجي السندى مولداً، الحنفى مذهباً النقشبندى

←



و عمل الأمة المتوارث طبقة فطبقة فى ذلك مما يصعب استقصاؤه، و فى ذلك كتب خاصة[١].

طريقة من ذرية أبى يعقوب الأنصارى، و من مؤلفاته المواهب اللطيفة من مسند أبى حنيفة، اقتصر فيه على رواية موسى بن زكريا الحصكفى، ورتب أحاديثه على أبواب الفقه، و أكثر فيه من المتابعات و الشواهد لأحاديثه و بيّن من أخرجها. و منها رسالة فى جواز الاستغاثة و التوسل و صدور الخوارق من الأولياء المقبورين عمد فيها إلى الاستشهاد بالآثار، لا كما يفعله الغير فى هذا الباب من الاقتصار على حطب أقوال المتأخرين الذين لا يقيم لهم الخصم وزناً، و هى فى كراس من أحسن ما كتب فى هذا الباب و أفيد و أجمع. مات ﷺ يوم الاثنين ١٨ ربيع الأول سنة ١٢٥٧، و دفن بالبقيع قبالة باب قبر عثمان.

عن فهرس الفهارس و معجم المعاجم و الشيخات و المسلسلات للمحدث الحافظ عبد الحى ابن عبد الكبير الكتانى ملتقطا (٢/ ٧٢ ـ ٧٢٢).

١ . منها: (مصباح الظلام) ذكره المصنف فى خاتمة رسالته هذه، و (شواهد الحق فى الاستغاثة بسيد الخلق) للعلامة المحب المتفانى الشيخ يوسف النبهانى ﷺ. و قال الشيخ يوسف الدجوى ﷺ: جواز التوسل و حسنه معلوم لكل ذى دين، و كأنه مركوز فى الفطر الإنسانية، أن يتوسل إلى الله تعالى بأنبيائه و أصفيائه و المقربين لديه، و لذلك يذهب الناس يوم القيامة للأنبياء كى يشفعوا لهم لمنزلتهم عنده، و إن كان الله أقرب إليهم من حبل الوريد، و أتباع كل نبى كانوا يتوسلون إلى الله تعالى بذلك النبى و قد ثبت التوسل به ﷺ قبل وجوده و بعد وجوده فى الدنيا، و بعد موته فى مدة البرزخ، و بعد البعث فى عرصات القيامة، ثم ذكر الأدلة و الشواهد على ما قال ﷺ اه مقالات و فتاوى (١ ـ ١٥٢) و ما أحسن ما قاله أمير المؤمنين فى الحديث أحمد بن حجر العسقلانى ﷺ:

نبى الله يا خير البرايا	بجاهك اتّقى فصل القضاء
و أرجو يا كريم العفو عما	جنته يداى يا رب الحباء
فكعب الجود لا يرضى فداء	لنعلك و هو رأس فى السخاء
و سنّ بمدحك ابن زهير كعب	لمثلى منك جائزة الثناء
فقل لى يا أحمد بن على اذهب	إلى دار النعيم بلا شقاء
فإن أحزن فمدحك لى سرورى	و إن اقنط فحمدك لى رجاءْ

من ديوان لابن حجر، و هو مطبوع فى الهند.



و فی مناسك الإمام أحمد رواية أبی بكر المروذی التوسل إلى الله تعالى بالنبی ﷺ[1] و الصيغة التی ذكرها أبو الوفاء بن عقيل كبير الحنابلة فی «تذكرته» فی التوسل به ﷺ، على مذهب الحنابلة فيها طول، ذكرنا نصّها فی تكملتنا «للسيف الصقيل»[2] و توسل الإمام الشافعی بأبی حنيفة مذكور فی أوائل «تاريخ الخطيب» بسند الصحيح[3].

---

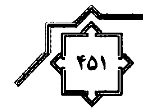
١ . قال ابن مفلح فی (الفروع) (١/ ٥٩٥) و يجوز التوسل بصالح، و قيل يستحب قال أحمد فی منسكه الذی كتبه للمروذی: إنه يتوسل به ﷺ فی دعائه، و جزم به فی (المستوعب) و غيره. اه و قال فی (كشف القناع) . قد استسقى عمر بالعباس، و معاوية بيزيد بن الأسود و استسقى به الضحاك مرة أخرى، ذكره الموفق و الشارح، و قال السامری و صاحب التلخيص لا بأس بالتوسل فی الاستسقاء بالشيوخ و العلماء و المتقين. و قال فی (المذهب) يجوز أن يستشفع برجل صالح و قيل يستحب اه. قلت و أعجب لمحرف الكلم يبتغی بذلك دنيا... أو هوى فقد قال الشيخ حامد الفقی ـ و خبره عند الشيخ أحمد شاكر ـ فی تعليقه على عبارة (كشف القناع): يريد الإمام رضی الله عنه التوسل بطاعته و اتباع هديه ﷺ بجاهه، لا كما يفعله المبتدعون الغارقون فی بحار الغفلة لتقليدهم الأعمى و هم لا يشعرون. انظر (براءة الحنيفيين) (١/ ٢٨) أطلع الغيب فعلم ما فی قلب الإمام أحمد، أم قلد غيره الذی قال بالظن، و الظن لا يغنی من الحق شيئاً.

قال الشيخ المالكی على أن الشيخ ابن تيمية فی بعض المواضع من كتبه أثبت جواز التوسل بالنبی ﷺ دون تفريق أو تفصيل بين حياته و موته، و حضوره و غيابه ﷺ و نقل عن الإمام أحمد و العز بن عبد السلام جواز ذلك فی الفتاوى الكبرى (١/ ١٠٥) ، و قال فی موضع آخر. و لذلك قال أحمد فی منسكه الذی كتبه للمروذی صاحبه، أنه يتوسل بالنبی ﷺ ولكن غير أحمد قال إن هذا إقسام على الله تعالى به، و لا يقسم على الله بمخلوق، و أحمد فی إحدى الروايتين قد جوّز القسم به، فلذلك جوّز التوسل به اه (١/ ١٤٠) قلت: و سيأتی أن التوسل إلى الله ليس قسماً بالمتوسل به، و أن القسم على الله تعالى قد جاءت به أحاديث، إن شاء الله تعالى، فما أعظم الفرق بين من يقول أسألك بمحمد ﷺ فی حاجة كذا، و بين من يقول أقسم عليك محمد ﷺ فی حاجة كذا.

٢ . السيف الصقيل ص١٥٨.

و يأتی تمام الكلام من المصنف فی موضعه إن شاء الله تعالى.

٣ . و سنده صحيح.



و تمسح الحافظ عبد الغنى المقدسى بقبر أحمد للاستشفاء لدمامل أعيا الأطباء مذكور فى «الحكايات المنثورة» للحافظ الضياء المقدسى سماعا من شيخه المذكور.

و الكتاب محفوظ بظاهرية دمشق، وهو بخط المؤلف. فهل هؤلاء عباد القبور[1]؟!

و أما من جهة المعقول فإن أمثال الإمام فخر الدين الرازى[2] و العلامة سعد الدين التفتازانى[3] و العلامة السيد الشريف الجرجانى[4] و غيرهم من كبار أئمة أصول الدين الذين يفزع إليهم فى حل المشكلات فى أصول الديانة: قد صرحوا بجواز التوسل بالأنبياء و الصالحين أحياء و أمواتا، و أى ضعيف يستطيع أن يرميهم بعبادة القبور، و الدعوة إلى الإشراك بالله، و إليهم تفزع الأمة فى معرفة الإيمان و الكفر، و التوحيد و الإشراك، و الدين الخالص[5].

---

١ . اللهم لا.

٢ . هو الإمام على بن محمد الرازى فخر الدين (٥٤٣ ـ ٦٠٦هـ) مفسر متكلم فقيه، أصولى حكيم أديب شاعر و طبيب كان ينال من الكرامية ـ المجسمة ـ و ينالون منه سبا و تكفيرا حتى قيل أنهم سموه، و توفى بهراة انظر معجم المؤلفين لكحالة (١١/ ٧٩) و طبقات الشافعية للسبكى (٥/ ٣٥) و وفيات الأعيان (١/ ٦٠٠) و إيضاح المكنون (٦/ ١٠٧) .

٣ . هو العلامة مسعود التفتازانى سعد الدين (١٢/ ٧٩١) عالم شارك فى النحو و التصريف و المعانى، و البيان و الفقه و الأصلين و المنطق و غير ذلك. و انظر الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة للسخاوى (٤/ ٣٥٠) و مفتاح السعادة لطاش كبرى زاده (١/ ١٦٥) و إيضاح المكنون (٦/ ٤٢٩) و قد جعل الخير ولادته ٧٢٢هـ و وفاته (٧٩٢هـ) . و الله أعلم.

٤ . هو العلامة السيد على بن محمد على الجرجانى الحنفى، و يعرف بالسيد الشريف (٧٤٠ ـ ٨١٦) شارك فى أنواع من العلوم من تصانيفه الكثيرة شرح التذكرة النصيرية فى الهيئة. انظر الفوائد البهية فى تراجم الحنفية للشيخ عبد الحى اللكنوى ١٢٥، و الضوء اللامع (٥/ ٣٢٨) و معجم المؤلفين و إيضاح المكنون (٥/ ٧٢٧) .

٥ . لا شك ان لكل فن رجالا، و قل أن يتقدم الإنسان فى كل فن يقال هذا فى التفسير، و الحديث و اللغة، و يقال كذلك فى التوحيد. انظر مثلا (تلبيس إبليس) لابن الجوزى فى نقله عن بعض المشتغلين بالحديث و جهلهم فى غير علم الحديث. و سبحان من تفرد بالكمال.



و المدد كله عند الجميع من مسبب الأسباب جلّ جلاله.

فدونك نصوصا من كلام هؤلاء الأئمة فى هذه المسألة.

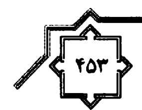
قال الرازى فى تفسيره: «إن الأرواح البشرية الخالية من العلائق الجسمانية، المشتاقة إلى الاتصال بالعلم العلوى بعد خروجها من ظلمة الأجساد تذهب إلى عالم الملائكة، و منازل القدس و يظهر منها آثار فى أحوال هذا العالم، فهى المدبرات أمرا أليس الإنسان قد يرى أستاذه فى المنام و يسأله عن مسألة فيرشده إليها[1].

---

١ . استشهد ثابت بن قيس يوم اليمامة، فكان عليه درع ثمينة فمرّ به رجل من المسلمين فأخذها، فبينا رجل من المسلمين نائم أتاه ثابت فى منامه فقال له: أوصيك بوصية فإياك أن تقول هذا حلم فتضيعه إنى لما قتلت مرّ بى رجل من المسلمين فأخذ درعى، و منزله فى أقصى الناس، و عند خبائه فرس يستنّ فى طوله ـ يعدو إقبالا و إدبارا و هو مربوط بحبل ـ و قد كفا على الدرع برمة، و فوق البرمة رحل ـ فأت خالدا فمره أن يبعث إلى درعى فيأخذها، و إذا قدمت المدينة على خليفة رسول الله ﷺ ـ يعنى أبا بكر فقل له: إن على من الدين كذا و كذا، و فلان من رقيقى عتيق و فلان...، فأتى الرجل خالدا فأخبره، فبعث إلى الدرع فأتى بها، وحدث أبا بكر برؤياه فأجاز وصيته... قال و لا نعلم أحد أجيزت وصيته بعد موته غير ثابت رضي الله عنه.

ذكره أبو عمر فى الاستيعاب. عن الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبى (١٦/ ٣٠٥) و قال ابن القيم فى كتاب (الروح): إن للروح المطلقة عن أسر البدن و علائقه و عوائقه فى التصرف و القوة و النفاذ، و الهمة و سرعة الصعود إلى الله تعالى و التعلق به سبحانه ! ما ليس للروح المهينة المحبوسة فى علائق البدن و عوائقه بسبب انغماسها فى شهواتها فإذا كان هذا فى عوالم الحياة الأرضية و هى محبوسة فى بدنها ـ فكيف إذا تجردت عنه و فارقته، و اجتمعت فيها قواها، و كانت فى أصل نشأتها روحا عالية زكية كبيرة ذات همة عالية ؟ فهذه لها بعد مفارقة البدن شأن آخر و فعل آخر. و قد تواردت الرؤى فى أصناف بنى آدم على فعل الأرواح بعد الموت أفعالا لا تقدر على مثلها حال انفصالها بالبدن، و هى هزيمة الجيوش الكثيرة بالواحد، و الفيالق بالعدد القليل جدا و نحو ذلك و قد رؤى النبى ﷺ و معه أبو بكر و عمر رضي الله عنهما فى النوم، قد هزمت أرواحهم عساكر الكفر و الظلم ؟ ، فإذا جيوشهم مغلوبة مكسورة مع كثرة عددهم و

←



و قال الرازى فى «المطالب العالية»: و هو من أمتع كتبه فى أصول الـدين: فى الفصل العاشر من المقالة الثالثة من الكتاب السابع منه: إن الإنسان قد يـرى أباه و أمه فى المنام و يسألهما عن أشياء و هما يـذكران أجوبـة صـحيحة، و ربـما أرشداه إلى دفين فى موضع لا يعلمه أحـد، ثـم قـال أنـا كنـت صـبيا فـى أول التعلم، و كنت أقرأ «حوادث لا أول لها»[١]: فرأيت فى المنام أبى فقال لى: أجـود

ضعف المؤمنين و قتلهم. اه ١٠٢ و انظر تفسير القرطبى (١٩/ ١٩٤) . فيرشـده إليهـا. قـال الإمام أبو بكر المقرىء كنت أنا و الطبرانى و أبو الشيخ فـى حـرم رسـول الله ﷺ و كنـا علـى حالة، و أثر فينا الجوع، و انصرفت، فقال لى أبو القاسم اجلس فإما أن يـأتى الـرزق أو المـوت. قال أبو بكر فقمت أنا و أبو الشيخ و الطبرانى جالس ينظر فى شىء، فحضر بالباب علوى فدقّ ففتحنا له، فإذا معه غلامان مع كل واحد زنبيل فيه شىء كثير، فجلسنا و أكلنا و ظننا أن البـاقى يأخذه الغلام، فولى و ترك عندنا الباقى، فلما فرغنا من الطعام قال العلوى: يا قوم أشكوتم إلـى رسول الله ﷺ فإنى رأيت رسول الله ﷺ فى المنام فأمرنى أن أحمل شيئا إليكم. اه وفاء الوفـاء. لنور الدين السمهودى (٤/ ١٣٨٠) و فيه قصص أخرى.

١ . قال ابن تيمية فى (منهاج السنة) من كلام: فيمتنع كون شىء من العالم أزليا و إن جـاز أن يكـون نوع الحوادث دائما لم يزل. اهـ . ترى هل يتصور وجود النوع دون وجـود الفـرد ؟ و شـبهة ابـن تيمية فى هذا الباب الذى أخذه عن الفلاسفة و دفعه إلى مخالفة جماهير علماء المـسلمين هـى مـا قاله الحافظ ابن حجر فى الفتح: قوله: أى النبى ﷺ «كان الله و لم يكن شـىء قبلـه» تقـدم فـى (بدء الخلق) بلفظ (و لم يكن شىء غيره) و فى رواية أبى معاوية (كان الله قبل كل شـىء) و هـو بمعنى : كان الله و لا شىء معه. و هى أصرح فى الرد على مـن أثبـت حـوادث لا أول لهـا مـن رواية الباب، و هى من مستشنع المسائل المنسوبة لابن تيمية. و وقفت فـى كـلام لـه علـى هـذا الحديث يرجع الرواية التى فى هذا الباب على غيرها، مع أن قضية الجمع بين الروايتين تقتـضى حمل هذه على التى فى (بـدء الخلـق) لا العكـس، و الجمـع مقـدم علـى الترجـيح بالاتفـاق اه (١٣/ ٤١٠) .

و انظر (التنبيه و الرد على معتقد قدم العالم و الحدّ) للشيخ حسن السقاف حفظـه مـولاه ص٦ .
و قال الشيخ شعيب قلت: قول الشيخ ابن تيمية فى القول بحلول الحوادث بالله تعالى لـيس لـه دليل من الكتاب و السنة و لا قول أحد من الصحابة، و إنما دليله ما قاله الدارمى الـسجزى فـى



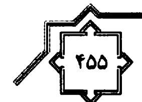
(النقص) فإنه قال ص۱۲۱ لا نسلم أن مطلق المفعولات مخلوقة، و قد أجمعنا على أن الحركة و النزول و المشى و الهرولة و الاستواء على العرش و إلى السماء قديم اهـ.

شيء عجاب مفعول، و غير مخلوق فى آن واحد ؟ تراه يثبت الحركة الحسية و النزول الحسى و المشى الحسى و الهرولة الحسية و الاستواء الحسى له تعالى و يدعى الأتفاق على أنها قديمة فسبحان قاسم العقول أيتصور القدم فيما له أول و آخر و بداية و نهاية ؟ و مبدأ و مقطع و طرر و زوال أم يعقل الاستواء على العرش أو الاستواء إلى السماء بدون قدم العرش و السماء و ما حكم ادعاء قدم العرش أو السماء قدما شخصيا أو نوعيا عند أهل الحق انظر (مقالات الكوثرى) ص۲۸۵ قلت و الله تعالى يقول ﴿اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ و السماء و العرش مخلوق لله تعالى. و قد صان الله تعالى الشيخ ناصرا عن مجاراة أولئك فى القول بحلول الحوادث لكنه لم يرد ذلك الباطل بقوة، و إنما قال [ليته ـ أى ابن تيمية ـ لم يقلها] و ذلك فى مختصره لشرح العقيدة الطحاوية لابن أبى العز التيمى.

و من أقرب ما يدل على بطلان نسبة الحوادث إلى الله تعالى و حلولها به جل جلاله، ما ذكره الله تعالى من استدلال سيدنا إبراهيم عليه و على نبينا الصلاة و السلام على بطلان عبادة غير الله من النجم و القمر و الشمس فى قوله ﴿فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لاَأُحِبُّ الآفِلِينَ * ... قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ * ... يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾.

فالتغير من حال إلى حال شأن المخلوق و ليس شأن الخالق جل جلاله.

و قال الشيخ شعيب الأرناؤوط فى تعليقه على شرح العقيدة الطحاوية لابن أبى العز التيمى [و حلول الحادث بالرب تعالى المنفى عنه فى علم الكلام المذموم لم يرد نفيه و لا إثباته فى كتاب و لا سنة] قال الشيخ شعيب: جمهور المتكلمين من أشاعرة و ما تريدية و معتزلة و فلاسفة (إسلاميين) اتفقوا على منع قيام الحوادث بذاته تعالى، و جوز قيامها بذاته الكرامية ـ مجسمة شيخهم محمد بن كرام ـ و فرقوا بين الحادث و المحدث فالأول عندهم هو ما يقوم بذاته من الأمور المتعلقة بمشيئته و اختياره، و أما الثانى فهو ما يخلقه الله عز و جل منفصلا عنه، و قد تبعهم شيخ الإسلام ابن تيمية فى تجويز قيام الحوادث بالذات. و المؤلف هنا يختصر كلامه المبسوط فى (منهاج السنة) . و قد غلا رحمه الله فى مناصرة هذا المذهب و الدفاع عنه ضد مخالفيه من المتكلمين و الفلاسفة، وادعى أنه هو مذهب السلف مستدلا بقول الإمام أحمد و غيره لم يزل متكلما إذا شاء بأنه إذا كان كلامه تعالى ـ و هو حقيقة قائمة به ـ متعلقا بمشيئة و اختيار، دل



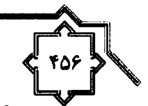
الدلائل أن يقال الحركة انتقال من حالة إلى حالة فهى تقتضى بحسب ماهيتها مسبوقيتها بالغير، و الأزل ينافى مسبوقا بالغير، فوجب أن يكون الجمع بينهما محالا[١] ثم قال المصنف و الظاهر أن هذا الوجه أحسن من كل ما قيل فى هذه المسألة.

ذلك على جواز قيام الحوادث بذاته، لأن ما يتعلق بالمشيئة و الاختيار لا يكون إلا حادثا، و قد انتهى به القول إلى أن كلام الله تعالى قديم الجنس حادث الإفراد، و كذلك فعله و إرادته، و نحو ذلك من الصفات غير اللازمة للذات و بما أن القول بذلك يستلزم التسلسل فقد جوزه ـ يعنى ابن تيمية ـ فى الماضى و المستقبل جميعا، و ادعى أن مثل هذا التسلسل ليس ممتنعا، و غير واحد من العلماء عدّ هذا الذى انتهى إليه شيخ الإسلام من جملة ما ندّ به عن الصواب، و ينكرونه، و يقولون كيف يقول بقدم جنس الصفات و الأفعال مع حدوث أفرادها، هل الجنس شىء غير الإفراد مجتمعة، و هل يتركب الكلى إلا من جزئياته، فإذا كان كل جزئى من جزئياته حادثا فكيف يكون الكلى قديما. اه ص٦٩ طبعة دمشق. لكن الشيخ شعيبا حذف هذا التعليق و أمثاله فى طبعة شرح العقيدة بتعليقه و الدكتور عبد الله التركى رئيس جامعة الإمام سعود، و الله أعلم.

و قال ابن حجر فى الفتح باب (و كان عرشه على الماء، و هو رب العرش العظيم) . ذكر قطعتين من آيتين و تلطف فى ذكر الثانية عقب الأولى لردّ من توهم من قوله فى أول الحديث «**كان الله و لم يكن شىء قبله و كان عرشه على الماء**» إن العرش لم يزل مع الله تعالى و هو مذهب باطل. إلخ (١١/ ٤٠٥) و قال مقلد ابن تيمية بما لا يكاد يخالفه و أعنى ابن القيم فى نونيته. و الحق أن العرش قبل لأنه، وقت الكتابة كان ذا أركان، يعنى أن العرش قبل القلم، و لا حول و لا قوة إلا بالله.

و انظر (السلفية ١٦٤) و ما بعد للشيخ الدكتور محمد سعيد رمضان البوطى.

١ . أى فيكون مستحيلا أن تحل الحوادث المخلوقة بالذات الأزلية القديمة الباقية، لأن معنى كونه سبحانه أزليا أنه ليس مسبوقا بشىء، و معنى الحادث أنه وجد بعد أن لم يكن، فكيف يحل فيه سبحانه، جل جلاله فالغنى الحى القيوم ليس محتاجا إلى حادث، و لا مكان، لأن ذلك دليل النقص و الفقر، و الله (هو الغنى الحميد) .



و أيضا سمعت أن الفردوسى الشاعر لما صنف كتابه المسمى «بشاهنامه» على اسم السلطان محمود بن سُبُكتُكِين[1] و لم يقض حقه كما يجب، و ما راعاه كما يليق بذلك الكتاب، ضاق قلب الفردوسى، فرأى فى المنام «رستم»[2] فقال له: قد مدحتنى فى الكتاب كثيرا و أنا فى زمرة الأموات فلا أقدر على قضاء حقك، و لكن اذهب إلى الموضع الفلانى واحفره فإنك تجد فيه دفينا فخذه. فكان الفردوسى يقول: أن رستم بعد موته أكثر كرما من محمود حال حياته.

و قال أيضا فى الفصل الثامن عشر من تلك المقالة ـ و الفصل الثامن عشر فى بيان كيفية الانتفاع بزيارة الموتى و القبور ـ : «ثم قال سألنى بعض أكابر الملوك عن المسألة، و هو الملك محمد بن سالم بن الحسين الغورى ـ و كان رجلا حسن السيرة مرضى الطريقة، شديد الميل إلى العلماء، قوى الرغبة فى مجالسة أهل الدين و العقل ـ فكتبت فيها رسالة. و أنا أذكر هنا ملخص ذلك فأقول[3]:

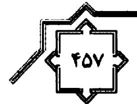
---

١ . أبو القاسم سيف الدولة، قال الإمام مسعود بن شيبة فى (التعليم) السلطان محمود من أعيان الفقهاء، فريد العصر فى الفصاحة و البلاغة، و له تصانيف فى الفقه و الحديث، و الخطب و الرسائل، و له شعر جيد، و من تصانيفه كتاب (التفريد) على مذهب أبى حنيفة مشهور فى بلاد غزنة و هو فى غاية الجودة و كثرة المسائل قال لعله ستين ألف مسألة. مات سنة إحدى و عشرين و أربعائة، ذكره الذهبى فى وفياته. اهـ.
و انظر الجواهر المضية تحقيق الدكتور عبد الفتاح الحلو (٣/ ٤٣٨) و المنتظم (٨/ ٥٢) الكامل (٩/ ٣٨٩) و وفيات الأعيان (٥/ ١٧٥).

٢ . قائد الفرس أيام الفتوح الإسلامية، هلك كافرا.

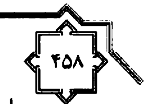
٣ . الحياة البرزخية حياة حقيقة أى ليست خيالية و لا مثالية، بل هى مما يعلم الله وحده حقيقتها، و حديث القليب الثابت فى الصحيحين، و حديث البخارى أن العبد إذا وضع فى قبره و تولى عنه أصحابه حتى أنه ليسمع قرع نعالهم أتاه ملكان فأقعداه. الحديث و أمثاله شواهد لما نقول. روى عبد الرزاق بسنده إلى أبى هريرة ﷺ أنه مرّ و صاحب له على قبر فقال أبو هريرة: سلّم. فقال الرجل أسلم على القبر ! فقال أبو هريرة إن كان راك فى الدنيا يوما قط إنه ليعرفك

←



للكلام فيه مقدمات. المقدمة الأولى: أنا قد دللنا على أن النفوس البشرية باقية بعد موت الأبدان، و تلك النفوس التى فارقت أبدانها أقوى من هذه النفوس المتعلقة بالأبدان من بعض الوجوه. أما أن النفوس المفارقة أقوى من هذه النفوس من بعض الوجوه، فهو أن تلك النفوس لما فارقت أبدانها فقد زال الغطاء، و انكشف لها عالم الغيب، و أسرار منازل الآخرة، و صارت العلوم التى كانت برهانية عند التعلق بالأبدان ضرورية بعد مفارقة الأبدان، لأن النفوس فى الأبدان كانت فى عناء و غطاء، و لما زال البدن أشرقت تلك النفوس و تجلت و تلألأت، فحصل للنفوس المفارقة عن الأبدان بهذا الطريق نوع من الكمال. و أما أن النفوس المتعلقة بالأبدان أقوى من تلك النفوس المفارقة من وجه آخر، فلأن آلات الكسب و الطلب باقية لهذه النفوس بواسطة الأفكار المتلاحقة، و الأنظار المتتالية تستفيد كل يوم علما جديدا، و هذه الحالة غير حاصلة للنفوس المفارقة.

الآن. (٢/ ٥٥٧). و سئل ابن تيمية عن الأحياء إذا زاروا الأموات هل يعلمون بزيارتهم، و هل يعلمون بالميت إذا كان من قرابتهم أو غيره ؟ فأجاب الحمد الله نعم جاءت الآثار بتلاقيهم و تساؤلهم و عرض أعمال الأحياء على الأموات كما روى ابن المبارك عن أيوب الأنصارى (إذا قبضت نفس المؤمن تلقاها أهل الرحمة من عباد الله كما يتلقون البشير فى الدنيا فيقبلون عليه، و يسألونه فيقول بعضهم لبعض، انظروا أخاكم يستريح فإنه كان فى كرب شديد، قال فيقبلون عليه و يسألونه ما فعل فلان و ما فعلت فلانة، هل تزوجت فلانة. الحديث. و أما علم الميت بالحى إذا زاره و سلم عليه، ففى حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ «ما من أحد يمرّ بقبر أخيه المؤمن كان يعرفه فى الدنيا فيسلم عليه إلا عرفه وردّ عليه السلام» . قال ابن مبارك: ثبت ذلك عن النبى ﷺ، و صححه عبد الحق صاحب (الأحكام) اه من مفاهيم يجب أن تصحح ص٢٤٩ نقلا عن فتاوى ابن تيمية (٢٤/ ٣٣١) و انظر التذكرة فى أحوال الموتى و الأخرة (لأبى عبد الله محمد القرطبى ١/ ١٤٥) و انظر فتح البارى فقد نقل عن عائشة فى السماع أحمد و حسنه.



و المقدمة الثانية أن تعلق النفوس بأبدانها تعلق يشبه العشق الشديد، و الحب التام، و لهذا السبب كان كل شيء تطلب تحصيله في الدنيا فإنما تطلبه لتتوصل به إلى إيصال الخير و الراحة إلى هذه البدن. فإذا مات الإنسان و فارقت النفس هذا البدن، فذلك الميل يبقى، و ذلك العشق لا يزول، و تبقى تلك النفوس عظيمة الميل إلى ذلك البدن، عظيمة الانجذاب، على هذا المذهب الذي نصرناه من أن النفوس الناطقة مدركة للجزئيات، و أنها تبقى موصوفة بهذا الإدراك بعد موتها. إذا عرفت هذه المقدمات فنقول: إن الإنسان إذا ذهب إلى قبر إنسان قويّ النفس، كامل الجوهر شديد التأثير، و وقف هناك ساعة، تأثرت نفسه من تلك التربة ـ و قد عرفت أن لنفس ذلك الميت تعلقا بتلك التربة أيضا ـ فحينئذ يحصل لهذا الزائر الحيّ، و لنفس ذلك الميت ملاقاة بسبب اجتماعها على تلك التربة، فصارت هاتان النفسان شبيهتين بمرآتين صقيلتين وضعتا بحيث ينعكس الشعاع من كل واحدة منهما إلى الأخرى.

فكلّ ما حصل في نفس هذا الزائر الحي من المعارف البرهانية، و العلوم الكسبية، و الأخلاق الفاضلة من الخضوع له، و الرضا بقضاء الله ينعكس منه نور إلى روح ذلك الميت، و كل ما حصل ذلك الإنسان الميت من العلوم المشرقة الكاملة فإنه ينعكس منه نور إلى روح هذا الزائر الحي.

و بهذا الطريق تكون تلك الزيارة سببا لحصول المنفعة الكبرى، و البهجة العظمى لروح الزائر، و لروح المزور، و هذا هو السبب الأصلي في شرع الزيارة[1] و لا يبتعد أن تحصل فيها أسرار أخرى أدق و أغمض مما ذكرنا. و تمام

---

١ . قال الشيخ نور الدين السمهودي نقلا عن (شفاء السقام) للإمام السبكي و الزيارة قد تكون للدعاء لأهل القبور، كما ثبت من زيارة أهل البقيع، و قد تكون للتبرك بأهلها إذا كانوا من أهل الصلاح. و قال أبو محمد الشامساحي المالكي: إن قصد الانتفاع بالميت بدعة إلا في زيارة

←



العلم بحقائق الأشياء ليس إلا عند الله اه.

و ها أنت رأيت ما يراه الإمام فخر الدين الرازى فى الزيارة من الأخذ و العطاء، و الاستفاضة و الإفاضة على نسبة منزلتى المزور و الزائر.

و قال العلامة المحقق السعد التفتازانى فى «شرح المقاصد» ـ و هو من امهات كتب أصول الدين ـ فى الصفحة ۳۲ من الجزء الثانى منه فى الردّ على الفلاسفة:

لما كان إدراك الجزئيات مشروطا عند الفلاسفة بحصول الصورة فى الآلات، فعند مفارقة النفس و بطلان الآلات لا تبقى مدركة للجزئيات ضرورة انتفاء المشروط بانتفاء الشرط. و عندنا لما لم تكن الآلات شرطا فى إدراك الجزئيات، إما لأنه ليس بحصول الصورة لا فى النفس و لا فى الحس، و إما لأنه لا يمتنع ارتسام صورة الجزئى فى النفس بل الظاهر من قواعد الإسلام أنه يكون للنفس بعد المفارقة إدراكات جزئية، و اطلاع على بعض جزئيات أحوال الأحياء، سيما الذين بينهم و بين الميت تعارف فى الدنيا، و لذا ينتفع بزيارة القبور، و الاستعانة بنفوس الأخيار من الأموات فى استنزال الخيرات و

→

المصطفى ﷺ و قبور الأنبياء و المرسلين صلوات الله و سلامه عليهم أجمعين. قال السبكى، و هذا الاستثناء صحيح، و حكمه فى غيرهم بالبدعة فيه نظر. و نقل عن الحافظ زين الدين الحسينى الدمياطى أن زيارة قبور الأنبياء و الصحابة و التابعين و العلماء و سائر المرسلين للبركة لها أثر معروف. و قال الإمام الغزالى كل من يتبرك بمشاهدته فى حياته يتبرك بزيارته بعد موته و يجوز شدّ الرحال لذلك الغرض. اهـ وقد تكون الزيارة لأداء حق أهل القبور، و قد روى عن النبى ﷺ أنه قال: «**آنس ما يكون الميت فى قبره إذا زاره من كان يحبه فى دار الدنيا**» . وروى بقى بن مخلد بسنده إلى محمد بن النعمان عن أبيه مرفوعا «**من زار قبر والديه فى كل جمعة أو أحدهما كتب بارّا و إن كان فى الدنيا قبل ذلك عاقاً**» . قال السبكى: وزيارة قبره ﷺ فيها هذه المعانى الأربعة، فلا يقوم غيرها مقامها. اهـ بتصرف يسير من (وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى ﷺ) (٤/ ١٣٦٢) .

استدفاع الملمّات، فإن للنفس بعد المفارقة تعلقا مـا بالبـدن و بالتربـة التـى دفـن فيها. فإذا زار الحيّ تلك التربة و توجهت نفسه تلقـاء نفـس الميـت حـصل بـين النفسين ملاقاة و إضافات. اه.

هذا هو تحقيق هذا الإمام الجليل فى المسئلة. أفهذا أيـضا ممـن لا يميـز بـين التوحيد و الإشراك ؟ أف لرأس يتخيل ذلك ! .

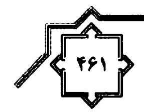
و قال التفتازانى أيضاً فى الصفحة (١٥٠) مـن الجـزء المـذكور: و بالجملـة ظهور كرامات الأولياء يكاد يلحق بظهور معجزات الأنبيـاء، و إنكارهـا لـيس بعجب من أهل البدع و الأهواء إذ لم يشاهدوا ذلك من أنفسهم قط و لم يسمعوا به من رؤسائهم الذين يزعمون أنهم على شىء مع اجتهادهم فى أمور العبادات و اجتناب السيئات، فوقعوا فى أولياء الله تعالى أصحاب الكرامـات[١] يمزقـون أديمهـم، و يمـضغون لحـومهم، لا يـسمونهم إلا باسـم الجهلـة، المتـصوفة[٢]

١ . الكرامة الأمر الخارق للعادة يظهره الله تعالى على أحد الصالحين من عباده و هى ثابتة بالكتـاب و السنة، و نقول السلف الصالح و من بعدهم إلـى يومنـا هـذا. و لعـل أفـضل مـن كتـب فـى موضوع الكرامات فى كتاب واحد الشيخ المحدث الأصولى عبـد الله الـصديق الغماري تحت عنوان (الحجج و البينات فى إثبات الكرامـات) و جمـع المحـب الـشيخ يوسـف النبهـانى ﵀ كرامات كثيرة من الصالحين تحت عنوان (جامع كرامات الأولياء) جاء فى مجلدين و هو مطبـوع متداول.

و قد كان الخوارج على شىء كثير من العبادة و لكن لما ساء ظنهم فى المسلمين و اعتقـدوا فـيهم الباطل و الضلال ردّ الله عليهم عبادتهم فقال ﷺ فيهم: **«يقولون من قول خير البريـة يقـرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية»** البخارى.

٢ . طوائف من الناس ينتسبون إلى التصوف الذى هو تزكية الـنفس، و تطهـير القلـب مـن بـواطن الآثام، و المقاصد، مع تطهير الظواهر من الـذنوب و الآثـام، و التـصوف ككـل فـن دخـل فيـه دخلاء، ألم يدخل على علماء أصول الدين من زعم أن الله تعالى أكبر من الجبل، ألم يدخل علـى علماء الحديث من زعم أنه يترك الحديث بقول الفقيه. و اقرأ إن شئت (الرسالة القـشيرية) . بـل (مدارج السالكين) لابن القيم و قد قال فيه (٢/ ٣٠٧) الـدين كلـه خلـق فمـن زاد عليـك فـى الخلق زاد عليك فى الدين، و كذلك التصوف. اه و قـال شـيخ الإسـلام الهـروى: و اجتمعـت

←



ولايعدونهم إلا فى عداد آحاد المبتدعة قاعدين تحت المثل السائر (أوسعتهم سبّا و أودوا بالإبل) (٤٠) و لم يعرفوا أن مبنى هذا الأمر على صفاء القصيدة و نقاء السريرة، و اقتفاء الطريقة و اصطفاء الحقيقة. اه. و هذا هو قول هذا الإمام الجليل فى أولياء الله أصحاب الكرامات مع أنه لا صلة له بالتصوف، و فى ذلك عبرة لمن تعودّ أن يلغ فى دماء أصفياء الأمة[١].

كلمة الناطقين فى هذا العلم أن التصوف هو الخلق و جميع الكلام فيه يدور على قطب واحد و هو: بذل المعروف و كفّ الأذى. اه و قال ابن تيمية فى مجموع الفتاوى (٢١/ ١٩٤) و كان السلف يسمعون أهل الدين و العلم (القراء) فيدخل فيهم العلماء و النسّاك ثم حدث بعد ذلك اسم (الصوفية و الفقراء) و اسم (الصوفية) هو نسبة إلى لباس الصوف، هذا هو الصحيح، و قد قيل إنه نسبة إلى صفوة الفقراء، إلخ. و قال أيضاً فى الفتاوى (١٠/ ٣٣٧) و الفناء الذى يوجد فى كلام الصوفية يفسر بثلاثة أمور: أحدها فناء القلب عن إرادة ما سوى الرب، و التوكل عليه و عبادته و ما يتبع ذلك، فهذا حق صحيح، هو محض التوحيد و الإخلاص و هو فى (الحقيقة) عبادة القلب و توكله و استعانته و تألهه و إنابته و توجهه إلى الله وحده لا شريك له، و ما يتبع ذلك من المعارف و الأحوال، و ليس لأحد خروج على هذا. و هذا هو القلب السليم الذى قال الله فيه: ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ و هو سلامة القلب عن الاعتقادات الفاسدة، و الإرادات الفاسدة، و ما يتبع ذلك و هذا الفناء لا ينافيه البقاء بل يجتمع هو و البقاء، فيكون العبد فانيا عن إرادة ما سواه و إن كان شاعراً، بالله بالسوى، و ترجمته قول لا إله إلا الله. إلخ و انظر (موقف الحركة السلفية من التصوف و الصوفية: جمع و ترتيب الشيخ عبد الحفيظ بن ملك عبد الحق الملكى، و فقه مولاه.)

١ . قال الشيخ عبد الحفيظ: إن الصوفية عند أئمة السلفية و سادتهم طائفة إسلامية مثل بقية الطوائف الإسلامية الأخرى كالمحدثين و الفقهاء و المتكلمين و المؤرخين و المجاهدين و غيرهم، فيهم المصيب و المخطىء و الصالح و الطالح و الأصلى و المزيف، و لكن إذا أطلق اللفظ فإنه يراد به دائماً الصالح و المصيب و الصحيح منهم. إلخ.

فدعوى بأن التصوف كله باطل، و أن الصوفية طائفة زائفة لا علاقة لها بالإسلام بل هم أعداء له، و أن أصلهم من اليونان و بوذية الهند. إلخ هى دعوى تحتاج إلى تمحيص و تحقق و قراءة مثل: رسالة المسترشدين للحارث المحاسبى، و مدارج السالكين لابن القيم و إحياء علوم الدين للإمام الغزالى أو مختصر منهاج القاصدين لابن قدامة، فلو أن صاحب تلك الدعوى قرأ كتابا من هذه الكتب لما قال الذى قال، و لا بعض الذى قال.



و قال العلامة السيد الشريف الجرجاني في أوائل حاشية على (المطالع) عند بيان الشارح وجه الصلاة على النبي و آله عليه و عليهم الصلاة و السلام في أوائل الكتب، و وجه الحاجة إلى التوسل بهم في الاستفاضة: «فإن قيل هذا التوسل إنما يتصور إذا كانوا متعلقين بالأبدان، و أما إذا تجردوا عنها فلا، إذ لا جهة مقتضية للمناسبة. قلنا يكفيه أنهم كانوا متعلقين بها متوجهين إلى تكميل النفوس الناقصة بهمّة عالية، فإن أثر ذلك باق فيهم، و لذلك كانت زيارة مراقدهم معدّة لفيضان أنوار كثيرة منهم على الزائرين كما يشاهده، أصحاب البصائر» اه[1].

فتطابق الكتاب و السنة، و عمل الأمة المتوارث، و كلام أئمة أصول الدين في المسألة كما رأيت و من عاند بعد ذلك فهو زائغ عن السبيل.

الفصل الثاني:

و أتحدث الآن بإذن الله تعالى عن الأحاديث، و الآثار المروية في هذا الباب تفصيلا لما أجملناه، هناك بعد الإشارة إلى الآيات في ذلك.

فأقول: سبق أن تلونا قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ**﴾[2] احتجاجا به على أن التوسل بالذوات و الأعمال مطلوب شرعا، لشمول ابتغاء الوسيلة لهذا و ذاك، لا بمجرد الرأي فقط، و لا بالعموم اللغوي فحسب، بل بما رواه ابن عبد البر في (الاستيعاب) عن عمر رضي الله عنه أنه قال بعد

---

١ . هم أصحاب التبصر و التأمل في الحقائق فيقومون عليها لا ينحرفون عنها و لا يبغون سواها و حقيقة الحقائق عند أهل البصائر طاعة الله تعالى و الوقوف عند أحكامه، و يجدون في ذلك سعادة لا يجدها سواهم فيما يغترّون به من الدنيا.

٢ . سورة المائدة: الآية ٣٥ .



أن استسقى بالعباس ﷺ و سقوا «هذا ـ و الله ـ الوسيلة إلى الله عـز و جـل و المكان منه»[١] وزد على ذلك قول عمر أيضا كما فى (أنساب الزبير بن بكار) على ما فى الفتح البارى: «و اتخذوه ـ يعنى العباس ـ وسيلة إلى الله[٢]» و لا يتصور أن يكون هذا بمعنى: اطلبوا الدعاء منه، لأن عمر طلب منـه الـدعاء، و تقـدم هـو للدعاء، و بعد طلب أمير المؤمنين منـه و تقدمـه للـدعاء إجابـة لطلـب عمـر لا يكون قول عمر هذا إلا بمعنى: «توسلوا به إلى الله» كما فعل عمـر نفـسه، لكـن الهوى يعمى و يصم.

و فى فتح البارى (٢ ـ ٣٣٧) و ليس فى قول عمر أنهم كانوا يتوسـلون بـه دلالة على أنهم سألوه أن يستسقى لهم إذ يحتمل أن يكونوا فـى الحـالتين طلبـوا السقيا من الله مستشفعين به ﷺ.

و قا لابـن رشـيد أراد بالترجمـة (بـاب سـؤال النـاس الإمـام الاسـتسقاء) الاستدلال بالطريق الأولى لأنهم إذا كانوا يسألون الله بـه فيـسقيهم فـأحرى أن يقدموه للسؤال. اه.

و كلام الحافظين يقضى على وهم من يهـم قـائلا أن التوسـل بـه ﷺ هـو طلب الدعاء منه[٣]، و أيـن التوسـل مـن الـدعاء ؟ نعـم قـد يـدعوا المتوسـل بـه

---

١ . فتح البارى (٢/ ٥١٩).

٢ . فتح البارى، و فيه فخطب عمر الناس فقال إن رسول الله ﷺ كان يرى للعباس ما يـرى الولـد للوالد فاقتدوا أيها الناس برسـول الله ﷺ فـى عمـه العبـاس و اتخـذوه وسـيلة إلـى الله. إلـخ (٢/ ٣٩٨ ـ ٣٩٩) و قال الحافظ فى الفتح يستفاد من قصة العباس استحباب الاستشفاع بأهـل الخير و الصلاح و أهل بيت النبوة اه إتحاف الأذكياء، ١٦.

٣ . إن الدعاء المأثور فى حديث الأعمى سؤال من الأعمى لله عـز و جـل مبـاشرة بطلـب شـفائه و الخطاب فيه له وحده عز و جل و ليس فيه طلـب للنبـى ﷺ. و إنـه دعـاء مـن الأعمـى أمـره به ﷺ و لم يأمره بطلبه من أحد. و إن النبى ﷺ قد دعا للأعمى من يطلب دعاء غيره، و يـؤده

←



للمتوسل، لكن ليس هذا مدلولا لغويا و لا شرعيا للتوسل، و يستأنس في التوسل به ﷺ بما ذكره البغوي و غيره من أهل التفسير بالرواية في قوله تعالى: ﴿وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ﴾: من أن اليهود كانوا إذا حزبهم أمر ودهمهم عدّو يقولون: «اللهم انصرنا عليهم بالنبي المبعوث في آخر الزمان الذي نجد صفته في التوراة، فكانوا ينصرون»[1] و استقصاء الروايات في ذلك في «الدر المنثور»[2].

و تخصيص قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّاباً رَحِيماً﴾ بما قبل الموت تخصيص بدون حجة عن هوى[3] و ترك المطلق على إطلاقه مما اتفق عليه أهل الحق، و التقييد لا

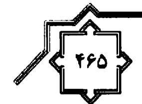
رواية حماد بن سلمة عن أبي جعفر، عن عمارة بن خزيمة، عن ابن حنيف، راوي حديث توسل الأعمى، و فيه زيادة (فإن كان حاجة فافعل مثل ذلك) و هي زيادة من ثقة، و هو حماد. لم تناف أصل الحديث فتقبل كما هو المعلوم عند أهل المصطلح، و هي تصرح بأن الدعاء المأثور رقية عامة، و أنه دعاء من الأعمى لربه سبحانه، لا طلب للدعاء من النبي ﷺ.

انظر (هداية المتخبطين) للشيخ علي بن يحيى العلوي ص١١ .

١ . البغوي. و ذكر مثله أبو حيان في البحر المحيط (١/ ٣٠٣) و الزمخشري في الكشاف (١/ ٨١) و أبو نعيم في (دلائل النبوة) ص٤٥ و قال ابن القيم إن اليهود كانوا يحاربون جيرانهم من العرب في الجاهلية و يستنصرون عليهم بالنبي ﷺ قبل ظهوره فيفتح لهم و ينصرون عليهم. إلخ بدائع الفوائد.

٢ . الدر المنثور في التفسير بالمأثور للإمام السيوطي (١/ ٨٨) .

٣ . أهل السنة يجعلون في دعاء الأعمى توسلا بجاه النبي ﷺ ، و هم لا يفرقون بين العمل به في حياته ﷺ و بعد وفاته ﷺ فإن جاهه باق، و هو فهم للحديث صحيح كان يعمل به راوي الحديث عثمان بن حنيف كما سيأتي، و كذلك بعض السلف كما جاء عن التابعي الإمام ابن أبجر، أخرجه ابن أبي الدنيا عنه، و قد توسل بالنبي ﷺ الإمام جعفر الصادق، و الإمام أحمد بن حنبل، و توسل بالعباس أحد أحفاده حمزة بن القاسم من رجال السنة الثقاة في استسقاء فامطروا. و قد قال الإمام ابن الجوزي في (المنتظم) إنه مذهب أهل السنة. اه انظر (هداية



يكون إلا بحجة، و لا حجة هنا تقيد الآية، بل فقهاء المذاهب حتى الحنابلة على شمول الآية لما بعد الموت، و الأنبياء أحياء فى قبورهم»[١].

و قد ذكرنا صيغة التوسل به ﷺ عند الحنابلة وقت زيارة قبره نقلا عن كتاب (التذكرة) لأبى الوفاء بن عقيل من قدماء الحنابلة فى أواخر تكملتنا للرد على نونية ابن القيم[٢]، و فيها التوسل، و تلاوة تلك الآية. و ليس خبر العتبى مما يردّ بجرّة قلم[٣].

المتخبطين) ص١٥ قال الدكتور عبد اللطيف صالح فرفور فى كتابه الجامع فى أصول الفقه الوجيز فى أصول استنباط الأحكام فى الشريعة الإسلامية، و حكم المقيد أن يجرى على تقييده، و هو مفاد قولهم: إن الخطاب إذا ورد مطلقا حمل على إطلاقه، و إن ورد مقيدا حمل على تقييده اه (١/ ٨٥) و انظر مختصر ابن كثير عند قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ﴾ لم يقيد ذلك بالحياة الدنيا (١/ ٤١٠) و القرطبى فى تفسيره (٥/ ٣٦٥).

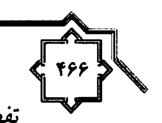
١ . رواه أبو يعلى و البزاز، و رجال أبى يعلى ثقاة. و فى (فيض القدير) شرح الجامع الصغير: رواه أبو يعلى عن أنس بن مالك و هو حديث صحيح اه (٣/ ١٨٤) قال الشيخ عبد الله الغمارى بعد كلام، و المقصود أن الآية: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ﴾ دليل على جواز التوسل و الاستشفاع بالنبى ﷺ فى سائر الأحوال، لأنه فى قبره الشريف حى يرزق، تعرض عليه أعمال أمته، فيدعو لهم و يستغفر، و يلحق به في جواز التوسل كل من ثبتت له هذه المزية كالشهداء و العلماء العاملين و الأولياء المتقين و نحوهم و الله أعلم. اه (إتحاف الأذكياء) ص١٦ .

٢ . السيف الصقيل فى الرد على ابن زفيل للإمام الحجة تقى الدين السبكى المتوفى ٧٥٦ يرد به على (نونية ابن القيم) و معه (تكملة الرد على نونية ابن القيم) للشيخ الكوثرى و فى حق السبكى قال الذهبى:

ليهن المنبر الأموى لما	علاه الحاكم البحر التقى
شيوخ العصر احفظهم جميعا	و أضبطهم و أقضاهم على

انظر ص١٥٨ منه.

٣ . قال القرطبى: روى أبو صادق عن على قال: قدم علينا أعرابى بعدما دفنا رسول الله ﷺ بثلاثة أيام فرمى بنفسه على قبر النبى ﷺ و حثا على رأسه من ترابه فقال: قلت يا رسول الله فسمعنا قولك، و وعيت عن الله فوعينا عنك و كان فيما أنزل الله عليك: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ



و لنعد الآن إلى الكلام فى بعض الأحاديث و الآثار الواردة فى التوسل تفصيلا لما أجملناه فيما سبق.

١ ـ فمنها ما أخرجه البخارى فى (الاستسقاء) حيث قال فى صحيحه، حدثنى الحسن بن محمد، قال: حدثنا محمد النصارى قال: حدثنى أبى عبد الله بن المثنى، عن ثمامة بن عبد الله بن أنس، عن أنس أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان إذا قحطوا استسقوا بالعباس بن عبد المطلب فقال: «اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا و إنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا قال فيسقون»[1].

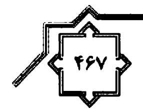
جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّاباً رَحِيماً﴾ و قد ظلمت نفسى و جئتك تستغفر لى. فنودى من القبر أنه قد غفر لك. و معنى ﴿لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّاباً رَحِيماً﴾ أى قابلا لتوبتهم و هما مفعولان لا غير. اه (٥/ ٢٦٥) و قال ابن كثير. و قد ذكر جماعة منهم الشيخ أبو منصور الصباغ فى كتابه (الشامل) الحكاية المشهورة عن العتبى قال: كنت جالسا عند قبر النبى ﷺ فجاء إعرابى فقال: السلام عليك يا رسول الله. سمعت الله تعالى يقول: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّاباً رَحِيماً﴾ و قد جئت مستغفرا لذنبى مستشفعا بك إلى ربى، ثم أنشأ يقول:

يا خير من دفنت بالقاع أعظمه	فطاب من طيبهن القاع و الأكم
نفسى الفداء لقبر أنت ساكنه	فيه العفاف و فيه الجود و الكرم

ثم انصرف الأعرابى، فغلبتنى عينى فرأيت النبى ﷺ فى النوم فقال: يا عتبى الحق الأعرابى فبشره إن الله قد غفر له. اه مختصر ابن كثير (١/ ٤٠٩).

ورواه الإمام النووى فى (الإيضاح) فى الباب السادس ٤٩٨ ورواه أبو محمد ابن قدامة فى (المغنى) (٣/ ٥٥٦). و قال النووى فى (المجموع) مبينا ما يستحب أن يقوله من يزور النبى ﷺ إذا وقف أمام القبر الشريف مخاطبا رسول الله ﷺ ما نصه: ثم يرجع إلى موقفه الأول قبالة وجه رسول الله ﷺ و يتوسل به فى حق نفسه و يستشفع به إلى ربه سبحانه و تعالى، و من أحسن ما يقول ما حكاه الماوردى و القاضى أبو الطيب و سائر أصحابنا، يعنى سائر الشافعية، عن العتبى مستحسنين له قال، و ذكر خبر العتبى. إلخ (٨/ ٢٧٤).

١. رواه البخارى فى كتاب الاستسقاء (١٥) من صحيحه. و انظر الفتح (٢/ ٥٠١).



و فيه التوسل بالذات، وادّعاء أن هناك مضافا محذوف، أى بدعاء عم نبينا تقوّل محض بدون أى حجة، كما أن فرض العدول ـ لوفاة النبى ﷺ ـ إلى العباس تقويل لعمر ما لم يخطر له على بال، بل فيه جواز التوسل بالمفضول مع وجود الفاضل، بل التوسل بلفظ «عم نبينا» توسل بقرابة العباس منه عليه الصلاة و السلام و بمنزلته لديه، فيكون هذا التوسل توسلا به ﷺ أيضا و لفظ «كنا» غير خاص بعهد النبى ﷺ بل يشمله و ما بعده إلى عام الرمادة، و التقييد تقييد بدون مقيّد[1].

و كان ابن عمر رضي الله عنهما يتمثل بشعر أبى طالب: و أبيض يسقى الغمام بوجهه. كما فى البخارى بل روى استنشاد الرسول ﷺ ذلك الشعر كما فى فتح البارى[2].

و فى شعر حسان رضي الله عنه: فسقى الغمام بغرّة العباس. كما فى الاستيعاب[3] و فى كل ذلك طلب السقيا من الله بذات العباس و جاهه عند الله تعالى[4].

۲ ـ و منها ما أخرجه البيهقى و بطريقة أخرجه التقى السبكى فى «شفاء السقام» و غيره، من حديث مالك الدار فى استسقاء بلال بن حارث

---

١ . تقدم أن المطلق يبقى على إطلاقه حتى يقيده مقيد نصا أو دلالة.

٢ . كما فى فتح البارى (٢/ ٣٩٧) و ما بعد.

٣ . الاستيعاب (٣/ ٩٩) و الذى فى ديوان حسان رضي الله عنه .

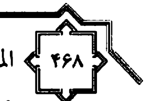
سأل الإمام و قد تتابع جدبنا ... فسقى الغمام بغرّة العباس

عم النبى و صنو والده الذى ... ورث النبى بذاك دون الناس

أحيا الإله به البلاد فأصبحت ... مخضرّة الأجناب بعد الياس

و انظر (دلائل النبوة) للبيهقى (٦/ ١٤٧) .

٤ . جاء فى الاستيعاب قال الزهرى: كان أصحاب رسول الله ﷺ يعرفون للعباس فضله، و يشاورونه، و يأخذون برأيه و استسقى عمر به فسقى (٣/ ١٠٠) .



المزنى رضي الله عنه فى عهد عمر بالنبى صلى الله عليه وسلم[١] و مالك الدار بالإضافة هو مالك بن عياض مولى عمر، و كان خازنه، و قد ولاه وكلة عيال عمر ثم ولاه عثمان وضى الله عنه القسم فسمى مالك الدار، كما فى طبقات ابن سعد، و الإصابة[٢].

و فى «معارف» ابن قتيبه: و من موالى عمر بن الخطاب مالك الدار، و كان عمر ولاه داراً و كان يقسم بين الناس فيها شيئا اه[٣].

---

١ . رواه البيهقى فى سننه.

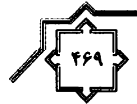
و الخبر رواه ابن أبى شيبة بسند صحيح كما قال ابن حجر فى الفتح (٢/ ٤٩٥)، و كذا قال ابن كثير.

٢ . ابن سعد (٥/ ١٢) و الإصابة فى تاريخه (٧/ ٩٢).

٣ . قال مالك الدار من موالى عمر بن الخطاب، و كان عمر ولاه داراً و كان يقسم بين الناس فيها شيئا، و أم ولده حبّى، و كانت قد أرضعت عثمان بن عفان رضي الله عنه.

ص ١٠٩ و قال الشيخ حسن السقاف. قلت: و مالك الدار ثقة بالإجماع، عدلّه و وثقه سيدنا عمر و سيدنا عثمان فولياه بيت المال و القسم، و لا يوليان إلا ثقة ضابطا عدلاً، كما نص الحافظ ابن حجر فى الإصابة فى ترجمته، و نقل ذلك عن إمام المحدثين على بن المدينى، و كذا وثقه جميع الصحابة الذين كانوا فى زمن عثمان رضى الله عن الجميع بل نص الحافظ أن لمالك الدار إدراكا، فهو صحابى صغير، و هذا يجعله ثقة اتفاقاً. ثم روى عنه أربعة من الثقات، و نص على أنه معروف البخارى فى تاريخه، و ساق هذه القصة، و ابن سعد فى طبقاته (٥/ ١٢) و قد فصلت ذلك تفصيلا فى (الباهر) و بينت أن تضعيف بعض المعاصرين لمالك، و قوله غير معروف العدالة حطاً، بل جهل و تدليس بالغ. فهذا الحديث يثبت بلا شك و لا ريب إجماع من حضر من الصحابة زمن عمر مع سيدنا عمر رضي الله عنه، على جواز الاستغاثة بالنبى صلى الله عليه وسلم، و نحن مقتدون بالصحابة فى ذلك اه (الإغاثة بأدلة الاستغاثة) و انظر الإرشاد للخليلى (فى خبر مالك الدار) (١/ ٣١٣).

ص ١٥ و قال الشيخ على بن محمد العلوى، من كلام: إن الحديث قد نص ثلاثة من كبار الحفاظ أنه صحيح، الأول الحافظ ابن الحجر، و الثانى الحافظ ابن كثير، فقد ذكره فى حوادث سنة ثمانى عشرة، و قال إسناده صحيح، و الثالث أحمد عبد الحليم بن تيمية فى كتابه (قصد القرط المستقيم) بعد أن ذكر وقائع منها هذا الأثر قال: و كلها وقائع حق، باختصار (هداية المتخبطين) ص٤٢ و تمام الكلام فيه إلى ص٤٨.



و نص الحديث: «أصاب الناس قحط فى زمان عمر بن الخطاب ﷺ، فجاء رجل إلى قبر النبى ﷺ فقال: يا رسول الله استسق لأمتك فإنهم قد هلكوا، فأتاه رسول الله ﷺ فى المنام فقال: «**ائت عمر فأقرئه السلام و أخبره أنهم يسقون**» الحديث[١].

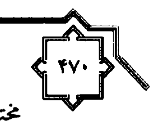
و محل الاستشهاد و طلب الاستسقاء منه ﷺ فى البرزخ، و دعاؤه لربه، و علمه بسؤال من يسأله لم ينكر صنيعه هذا أحد من الصحابة[٢].

---

١. و تمام ائت عمر فاقرئه السلام و أخبره أنهم مسقون، و قل له: عليك الكيس الكيس. فأتى الرجل عمر فأخبره، فبكى، ثم قال: ما آلو إلا ما عجزت. و قد روى سيف فى الفتوح أن الذى روى المنام المذكور بلال بن الحارث المزنى أحد الصحابة. اه كلام الحافظ بن حجر.
و انظر (براءة الحنيفيين (١/ ٢٧٦)) فقد أجاد و أفاد.

٢. عن ابن مسعود ﷺ الله أن النبى صلّى الله عليه و آله و صحبه و سلّم قال: «**حياتى خير لكم تحدثون فيحدث لكم و وفاتى خير لكم تعرض على أعمالكم فما رأيت من خير حمدت الله تعالى عليه و ما رأيت من شر استغفرت الله لكم**». رواه البزار كما فى مسنده كما فى كشف الأستار عن زوائد البزار (١/ ٣٩٧) قال الحافظ الهيثمى (٩/ ٢٤) رجاله رجال الصحيح. و قال الحافظ السيوطى فى الخصائص الكبرى (٢/ ٢٨١) سنده صحيح و قال الحافظان العراقيان الزين و ابنه ولى الدين، فى (طرح التثريب) (٣/ ٢٩٧) إسناده جيد. و انظر نهاية الآمال فى صحة و شرح حديث (عرض الأعمال) للشيخ عبد الله الصديق الغمارى، فقد نقل تصحيح عدد من المحدثين منهم الحافظ النووى، و ابن حجر انظر الفتح (١١/ ٣٨٥)، و المناوى فى (فيض القدير) شرح الجامع الصغير (٣/ ٤٠١) سوى من تقدم ذكرهم. فالخبر صحيح، و لا يلتفت بعد ذلك إلى من ضعفه من المعاصرين. والله أعلم.
و قال الشيخ عبد الله الصديق فى (إتحاف الأذكياء) له: و له مع هذه نحو عشرين طريقا ذكرت منها مايزيد على ستة طرق (الرد المحكم المتين) و باقيها مستوفى فى كتاب (الإلمام بما تواتر من حديثه ﷺ) لشقيقنا الحافظ السيد أحمد. اهـ. ص٢٥. وحكى الإمام السخاوى الإجماع على عرض أعمال أمته ﷺ فى حياة البرزخ و صلاة من صلى منهم عليه و سلامه ﷺ فقال بعد كلام: السادسة يؤخذ من هذه الأحاديث أنه ﷺ حيّ على الدوام، و ذلك أنه محال عادة أن

←



و قد أخرج هذا الحديث البخاری فی تاریخه بطریق أبی صالح ذکوان مختصراً[1].

و أخرجه ابن أبی خیثمة من هذا الوجه مطولاً، کما فی الإصابة[2].

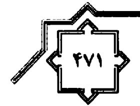
و أخرجه أیضا ابن أبی شیبة بإسناد صحیح، کما نص علیه ابن حجر، فی الفتح (٢/ ٣٣٨) من روایة أبی صالح السمان، عن مالك الدار ـ و الداری بالیاء سهو من الطابع ـ قال ابن حجر: أن الذی رأی المنام المذکور هو بلال بن الحارث المزنی أحد الصحابة، کما روی سیف فی الفتوح. اه.

و هذا نص علی عمل الصحابة فی الاستسقاء به ﷺ بعد وفاته حیث لم ینکر علیه أحد منهم مع بلوغ الخبر إلیهم، و ما یرفع إلی أمیر المؤمنین یذیع و یشیع. فهذا یقطع ألسنة المتقولین.

یخلو الوجود کله من واحد یسلم علیه فی لیل او نهار. و نحن نؤمن و نصدق بأنه ﷺ حیّ یرزق فی قبره، و أن جسده الشریف لا تأکله الأرض. و الأجماع علی هذا، وزاد بعض العلماء الشهداء و المؤذنین. و قد صح أنه کشف عن غیر واحد من العلماء و الشهداء فوجدوا لم تتغیر أجسامهم و الأنبیاء أفضل من الشهداء جزماً. اه و حکی الإجماع أیضاً ابن حزم فی (المحلی) و لهذا فهم العلماء الآیة علی عمومها و ذکر قصة الذی جاء قبر النبی ﷺ بعد دفنه بثلاث فقال قلت: یا رسول الله فسمعنا قولك و وعیت عن الله تعالی فوعینا عنك و کان فیما أنزل الله علیك: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّاباً رَحِيماً﴾. و قد ظلمت نفسی و جئتك تستغفر لی. فنودی من القبر أنه قد غفر لك. اه و انظر (الرد المحکم المتین) للمحدث الشیخ عبد الله الصدیق، و قال و هذا عرض إجمالی لا یلزم منه أن یکون النبی ﷺ عالما بأعمال الأمة و بإفرادهم علی سبیل الإحصاء. ص٥٢ و انظر (براءة الحنیفیین) للعلامة أبی حامد بن مرزوق رحمه الله (١/ ٢٨٥).

١. مختصراً.

٢. الإصابة (٢/ ٤٩٥) و ابن خیثمة هو الحافظ الحجة أحمد بن أبی خیثمة قال الدارقطنی ثقة مأمون. انظر (سیر أعلام النبلاء) (١١/ ٤٩٢).



٣ ـ و منها حديث عثمان بن حنيف ﷺ فى دعاء النبى ﷺ و فيه «**اللهم إنى أسألك و أتوجه إليك بنبيك محمد نبى الرحمة يا محمد إنى توجهت بك إلى ربى فى حاجتى**» الحديث[1] و فيه التوسل بذات النبى ﷺ و بجاهه، و نداء له فى غيبته.

و هذا أيضا مما يقطع ألسنة المتقولين.

و هذا الحديث أخرجه البخارى فى تاريخه الكبير[2] و الترمذى فى أواخر الدعوات من (جامعه)[3] و ابن ماجه فى (صلاة الحاجة من سننه) وفيه نص على صحته. و النسائى فى (عمل اليوم و الليلة) و أبو نعيم فى (معرفة الصحابة) والبيهقى فى (دلائل النبوة) و غير هم على اختلاف يسير فى غير موضع الاستشهاد، و صححه جماعة من الحفاظ يقارب عددهم خمسة عشر حافظاً.

فمنهم سوى المتاخرين: الترمذى، و ابن حبان، و الحاكم، و الطبرانى، و ابونُعَيم، والبيهقى، و المنذرى[4] وسند الترمذى: حدثنا محمود بن غيلان نا عثمان بن عمر، نا شعبه ف عن أبى جعفر عن عُمارة، ـ بالضم ـ ابن خزيمة بن ثابت، عن عثمان بن حُنيف، ثم ساق الحديث، وقال هذا حديث حسن صحيح غريب لا نعرف الا من هذا الوجه من حديث ابى جعفر ـ وهو الخَطمى ـ .

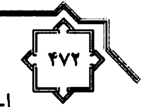
---

١ . تقدم تمام الحديث تعليقا. و لفظ ابن أبى خيثمة فيه... (و إن كانت حاجة فافعل مثل ذلك) إسناده صحيح. انظر (إرغام المبتدع الغبى) للشيخ عبد الله الصديق ص١٧ .

٢ . تاريخ البخارى.

٣ . ابن ماجه قال ابو اسحاق هذا حديث صحيح (١/ ٤٤٢) دلائل النبوة (٦/ ١٦٦) و الحاكم فى (الدعاء) وقال صحيح و لم يخرجاه، قال الذهبى على شرطهما (١/ ٣١٣)

٤ . انظر (مفاهيم يجب أن تصحح) ص١٣٦ ـ ١٣٧



وفى بعض النسخ المطبوعة «و هو غير الخطمى» و فى بعضها «وليس هو الخطمى».

وهذا و ذاك من تصرفات الناسخين، وليس من عادة الترمذى أن يقول هو غير فلان، و يتركه من غير بيان.

على أن أبا جعفر الراوى عن عُمارة بين شيوخ شعبة إنما هو عُمير بن يزيد الخطمى المدنى الأصل ثم البصرى، كما يظهر من كتب الرجال المعروفة من مطبوع و مخطوط.[١]

و أبو جعفر الرازى المتوفى ١٦٠ من شيوخ شعبة لم يدرك عُمارة المتوفى ١٠٥ اصلاً، لأن رحلته الى الحجاز بعد وفاة عمارة بنحو تسع سنين، وشعبة شعبة فى التثبيت فيما يروى.[٢] على ان طرقاً أُخرى للحديث عند الطبرانى و غيره تنص فى صلب السند على أنه الخطمى الثقه باتفاق، و سند الطبرانى فى هذا الحديث مسوق فى «شفاء السقام» للتقى السبكى.[٣]

و رجال سند الترمذى كلهم ثقات، و إنما سماه غريباً لانفراد عثمان بن عمر، عن شعبة، و انفراد ابى جعفر عن عمارة، وهما ثقتان باتفاق، و كم من حديث صحيح ينفرد به أحد الرواة كحديث «**إنما الأعمال بالنيات**»[٤].

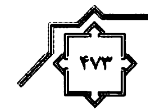
---

١ . قال ابن حجر نزيل البصرة صدوق من السادسة ص٤٣٢ و قال فيه ابن معين: وقد سمع مروان الغزارى من ابى جعفر الخَطمى. تاريخ ابن معين (٢/ ٤٥٧)

٢ . قال ابن حجر فيه: ثقه حافظ متقن. كان الثورى يقول هو اميرالمؤمنين فى الحديث، و هو أول من فتش بالعراق عن الرجال، و ذب عن السنه. و كان عابداً من السابعه. اهـ القريب ص٢٦٦

٣ . السبكى ص١٤ و ما بعد.

٤ . قال السيوطى فى تدريب الراوى: أجيب بأن حديث الأعمال لم يصح له طريق غير حديث عمر. ثم قال بعد كلام قال البزار فى مسنده فيه لا يصح عن رسول الله ﷺ الا من حديث عمر، ولا عن عمر إلا من حديث علقمة، ولا عن علقمة إلا من حديث محمد و لا عن محمد الا من حديث يحيى اهـ المراد منه (١/ ٢٣٧ ـ ٢٣٨)



و سماه حسنا لتعدد طرقه بعد أبى جعفر، وعثمان بن عمر.[١]
وتسميته صحيحا باعتبار تكامل أوصاف الصحه فى رواته.

٤ ـ و منها حديث عثمان بن حُنيف ايضاً فى تعليم دعاء صلاة الحاجه المذكور لرجل كانت له حاجة عند عثمان بن عفان ﷺ. فدعا به فقضيت حاجته.[٢]

---

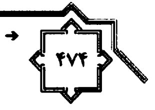
١ . قال الترمذى فى آخر الكتاب العلل قال ابو عيسى و ما ذكرنا فى هذا الكتاب حديث حسن إنما أردنا به حسن إسناده عندنا، كل حديث يُروى لايكون فى اسناده من يتهم بالكذب، و لا يكون الحديث شاذاً، ويروى من غير وجه نحو ذاك. فهو عندنا حديث حسن. اهـ عن (التقييد و الايضاح شرح مقدمة ابن الصلاح) للحافظ العراقى ص٣٢.

٢ . تمام الخبر كما روى الطبرانى فى المعجم الكبير (٩/ ١٧) من طريق ابن وهب عن شبيب، عن روح بن القاسم عن ابى جعفر الخطمى المدنى عن ابى امامة سهل بن حنيف، عن عمه عثمان بن حنيف ﷺ أن رجلاً كان يختلف الى عثمان بن عفان ﷺ فى حاجة له. فكان عثمان لا يلتفت اليه، و لاينظر فى حاجته، فلقى عثمان ابن حنيف فشكا اليه ذلك، فقال له عثمان بن حنيف ائت الميضاة، فتوضا ثم ائت المسجد فصل فيه ركعتين ثم قل: (اللهم إنى اسالك و اتوجه اليك بنبيك محمد ﷺ نبى الرحمه يا محمد إنى أتوجه بك الى ربى فتقضى لى حاجتى، و تذكر حاجتك، و رح إليّ أروح معك. فانطلق الرجل فصنع ما قال له ثم أتى باب عثمان بن عفان فجاء البواب حتى أخذ بيده فأدخله على عثمان بن عفان فأجلسه على الطنفسة، و قال له: ما حاجتك ؟ فذكر حاجته، فقضاها له ثم قال: ما ذكرت حاجتك حتى كانت هذه الساعة. وقال ما كانت لك من حاجة فائتنا.

ثم أن الرجل خرج من عنده فلقى عثمان بن حنيف فقال له جزاك الله خيرا ما كان ينظر فى حاجتى و لا يلتفت الى حتى كلمته فى. فقال عثمان بن حنيف والله ما كلمته ولكنى شهدت رسول الله ﷺ و أتاه ضرير، و ذكر تمام خبر و الاعمى الذى رد بصره اليه بذلك الدعاء باذن الله تعالى.)

قال المالكى: و صححه الطبرانى، و قال روى هذا الحديث شعبة عن أبى جعفر و اسمه عمير بن يزيد وهو ثقة تفرد به عثمان بن عمر عن شعبة. وقال ابو عبدالله المقدسى، والحديث صحيح، قال الشيخ ابن تيميه ذكره تفرده بمبلغ علمه، ولم تبلغه رواية روح بن عبادة عن شعبة، و ذلك

←



إسناد صحيح يبين أنه لم ينفرد به عثمان بن عمر اهـ (التوسل والوسيله) ص١٠١ عن (مفاهيم يجب أن تصحح) ص١٣٧.

قلت: أما المعلق على المعجم و هو الشيخ حمدى السلفى فقال لاشك فى صحة الحديث المرفوع و انما الشك فى هذه القصة التى يستدل لها على التوسل المبتدع، وهى انفرد بها شبيب كما قال الطبرانى و شبيب لا بأس بحديثه بشرطين أن يكون من رواية ابنه احمد عنه. وان يكون من رواية شبيب عن يونس بن يزيد. ثم قال: قال شيخنا محمد ناصر الدين الالبانى: و عون هذا و ان كان ضعيفاً فروايته اولى من رواية شبيب لموافقته لرواية شعبة و حماد بن سلمة عن ابى جعفر الخطمى اهـ.

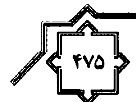
قلت: لكن الحاكم قال فى المستدرك (١/ ٥٢٦) و القول فيه قول شبيب فانه ثقة مأمون. اهـ، وقد كتم الالبانى، و رمى خصومه بكتم ما فيه عكس مصالحهم.

قال الشيخ عبدالله: و فى هذا الكلام، كلام الشيخ حمدى و شيخه، تدليس و تحريف نبينه فيما يلى

اولا: هذه القصة رواها البيهقى فى (دلائل النبوة) (٦/ ١٦٦ ـ ١٦٨) من طريق يعقوب بن سفيان حدثنا احمد بن شبيب بن سعيد، ثناء ابى عن روح بن القاسم عن ابى جعفر الخطمى، عن ابى امامة بن سهل بن حنيف، عن عمه عثمان بن حنيف، أن رجلاً كان يختلف الى عثمان بن عفان ﷺ، فذكر القصه بتمامها. و يعقوب بن سفيان هو الفسوى الحافظ الامام الثقه، و هو فوق الثقه هذا إسناد صحيح فالقصه صحيحه جداً، و قد وافق على تصحيحها ايضاً الحافظ المنذرى فى الترغيب (١/ ٦٠٦) و الحافظ الهيثمى فى مجمع الزوائد (٢/ ٢٧٩). بل و الطبرانى فى المعجم الصغير (١/ ٣٠٧) الروض الدانى و غيرهم.

ثانياً: احمد بن شبيب من رجال البخارى روى عنه فى (الصحيح) و (الادب المفرد). و كتب عنه المدينى وأبوه شبيب من رجال البخارى ايضاً، روى عنه فى (الصحيح) و (الادب المفرد) فيظهر انه ليس فيه اشتراط صحة رواية شبيب أن تكون عن يونس بن يزيد.

ثم تقديم رواية عون الضعيف على من زاد القصه لون ثالث من التدليس و الغش فان الحاكم روى حديث الضرير من طريق عون مختصراً ثم قال: تابعه شبيب بن سعيد الحَبَطى عن روح بن القاسم زيادات فى المتن والاسناد، والقول فيه قول شبيب فانه ثقه مأمون. هذا كلام الحاكم، وهو يؤكد ما تقرر عند علماء الحديث والأصول أن زيادة الثقة مقبولة، و ان من حفظ حجة على من لم يحفظ، و الالبانى راى الكلام الحاكم لكن لم يعجبه لذلك ضرب عنه صفحاً و تمسك



و موضع الاستشهاد أن الصحابى المذكور فهم من حديث دعاء الحاجة أنه لايختص بزمنه ﷺ. و هذا توسل به، و نداء بعد وفاته ﷺ، و عمل متوارث بين الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين و قد أخرج هذا الحديث الطبرانى فى الكبير و صحيحه بعد سوقه من طرق، كما ذكره أبوالحسن الهيثمى فى (مجمع الزوائد)[١] وأقره عليه، كما أقر المنذرى قبله فى (الترغيب و الترهيب) و قبله أبوالحسن المقدسى، وأخرجه أيضاً أبو نعيم فى (المعرفة) و البيهقى من طريقين، و اسنادهما صحيح ايضاً.

٥ ـ و منها حديث فاطمة بنت اسد رضي الله عنها، و فيه من لفظ رسول الله ﷺ **«بحق نبيك و الانبياء من قبلى»**[٢] وصححه ابن حبان[٣]، و الحاكم، و أخرجه الطبرانى فى الكبير والاوسط بسند فيه رَوح بن صلاح و ثقة ابن حبان[٣]، والحاكم، وبقية رجاله رجال الصحيح، كما قال الهيثمى فى (المجمع).[٤]

وفيه التوسل بذوات الانبياء الذين انتقلوا الى الدار الاخرة.

→

باولوية روايه عون الضعيف عناداً و خيانة.

ثالثاً: و قد يقال ان القصه من فهم الصحابى، ولكن الحقيقه ان مافعله عثمان بن حنيف من ارشاده الرجل الى التوسل جاء تنفيذاً لما سمعه من النبى ﷺ كما ثبت فى حديث الضرير.

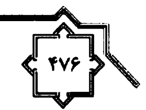
رابعاً: و نقول على سبيل التنزل لو فرضنا أن القصة ضعيفة و ان رواية ابن ابى خيثمة معلوله، قلنا فى حديث التوسل كفايه وغناء لان النبى ﷺ حين علم الضرير ذلك التوسل دل على مشروعيته فى جميع الحالات و لا يجوزأن يقال عنه توسل مبتدع، ولا يجوز تخصيصه بحال حياته ﷺ و من خصصه فهو المبتدع حقيقة، لانه عطل حديثاً صحيحاً و ابطل العمل به، وهو حرام. اهـ ملخصاً (١٣ ـ ١٩) . و انظر (هداية المتخبطين) (٢٩ ـ ٤٠) ففيه فوائد عظيمة.

١ . مجمع الزوائد (٢/ ٢٧٩) الترغيب (١/ ٦٠٦) و البيهقى (٦/ ١٦٦) و ما بعد.

٢ . تقدم ذكر الحديث كاملاً فيماسبق ص١٠٧

٣ . روح بن صلاح و ثقه ابن حبان والحاكم (التوسل بالانبياء) مجمع الزوائد.

٤ . المجمع



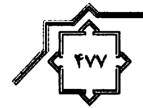
٦ ـ و منها حديث عمر ﷺ، عن النبى ﷺ **«لما اقترف آدم الخطيئة قال يا رب أسالك بحق محمد إلا غفرت لى»**[1] أخرجه الحاكم فى المستدرك، و قال هذا حديث صحيح الاسناد، و هو أول حديث ذكرته لعبد الرحمن بن زيد بن أسلم، اهـ وساق سنده السبكى فى (شفاء السقام)[2].

---

١ . روى الحاكم فى المستدرك على الصحيحين أو احدهما، بسنده الى عمر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ (لما اقترف آدم ﷺ الخطينه قال يا رب أسالك بحق محمد لما غفرت لى. فقال الله يا آدم و كيف عرفت محمداً ولم أخلقه. قال يا رب لانك لما خلقتنى بيدك نفخت فى من روحك رفعت رأسى فرأيت على قوائم العرش مكتوباً (لا إله إلا الله محمد رسول الله) فعرفت أنك لم تضف إلى اسمك إلا أحب الأسماء إليك فقال الله تعالى صدقت يا آدم إنه لأحب الخلق إلىّ و إذ سألتنى بحقه فقد غفرت لك و لولا محمد ما خلقتك. وقال هذا حديث صحيح الاسناد ورد عليه الذهبى فقال بل موضوع (٢/ ٦١٥) قال الشيخ عبدالله الصديق و الحق أن الحديث ليس بصحيح ولا موضوع، بل هو ضعيف فقط كما صرح به البيهقى فى (دلائل النبوة) و قد نقلت عبارته ورددت كلام الذهبى من ستة وجوه، و ذكرت ما يشهد للحديث فى كتابى (الرد المحكم المتين) و وجدت له شاهداً يرتقى به إلى درجة الحسن، فروى ابن بشر بإسناد قوى كما قال الحافظ عن ميسرة الفجر. قال: يا رسول الله ﷺ متى كنت نبياً؟ قال: **«لما خلق الله الارض و استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات و خلق العرش كتب على ساق العرش و محمد رسول الله خاتم الانبياء، و خلق الله الجنة التى أسكنها آدم وحواء فكتب اسمى على الابواب و الأوراق والقباب والخيامٌ، وآدم بين الروح و الجسد فلما احياه الله انظر الى العرش فرآى اسمى فأخبره الله أنه سيد ولدك فلما غرَّهما الشيطان تابا و استشفعا باسمى إليه»**. منه و البيهقى فى دلائل النبوة و صححه شيخ الإسلام البلقينى فى (فتاويه) و القسطلانى فى المواهب (١/ ٦٢) و انظر (المجمع) (٨/ ٢٥٣) . روى ابن تيمية بسنده إلى أبى الفرج ابن الجوزى بسنده إلى ميسرة الفجر.

قال: قلت يا رسول الله متى كنت نبياً. الحديث و روى إبونعيم فى كتاب (دلائل النبوة) بسنده قال رسول الله ﷺ **«لما أصاب آدم الخطيئة»** الحديث، ثم قال ابن تيمية فهذا الحديث يؤيد الذى قبله، و هما كالتفسير للأحاديث الصحيحة اهـ فتاوى ابن تيميه (٢/ ١٥٠) عن (مفاهيم يجب أن تصحح) ص١٢٩، ٣٣١

٢ . شفاء السقام.



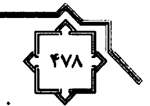
وأخرجه الطبرانی فی الأوسط و الصغیر، و فی سندهما بعض من لا یتهم بالكذب بل بالوهم.

و مثله ینتقی بعض إحادیثه. و هذا هو الذی فعله الحاكم حیث رأی أن الخبر مما قبله مالك فیما روی ابن حمید عنه حیث قال لأبی جعفر المنصور: «... و **هو وسیلتك و وسیله آدم** ﷺ».[1]

و بعد أن اقر الامام مالك رضي الله عنه بصحة الخبر و احتج به زالت تهمة الوهم و قلة الضبط عن عبدالرحمن الذی إنما یقتدی من رماه بذلك بمالك، و عبدالرحمن بن زید لیس ممن یرد خبره مطلقاً.

---

١ . قال ابن حجر عبدالرحمن بن زید بن أسلم مولاهم: ضعیف من الثامنة ص٣٤٠. ناظر أمیرالمؤمنین أبوجعفر المنصور مالكاً فی مسجد رسول الله ﷺ فقال مالك یا أمیرالمومنین: لاترفع صوتك فی هذا المسجد فإن الله تعالی أدب قوماً فقال: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ**﴾ الآیه، و مدح قوماً فقال: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ**﴾ الآیه، و ذم قوماً فقال: ﴿**وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُواْ أَنفُسَهُمْ**﴾ الآیه و إن حرمته میتاً كحرمته حیاً، فاستكان لها أبو جعفر و قال یا أبا عبدالله: استقبل القبلة أم استقبل رسول الله ﷺ؟ فقال: ولم تصرف وجهك عنه و هو وسیلتك و وسیله أبیك آدم ﷺ إلی الله تعالی یوم القیامة، بل استقبله و استشفع به فیشفعه الله. قال الله تعالی: ﴿**وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُواْ أَنفُسَهُمْ**﴾ الآیه. اهـ . قال الزرقانی علی المواهب اللدنیه (٨/ ٣١٤) ، و الحكایه رواها أبوالحسن علی بن فهر فی كتابه (فضائل مالك) و من طریقه الحافظ أبو الفضل عیاض فی (الشفا) بإسناد لا بأس به بل قیل أنه صحیح، فمن أین أنها كذب ولیس فی روایتها وضاع و لا كذاب اهـ. من (براءة الحنیفیین) (١/ ٢٢٨) و مابعد، و فیه فوائد. و قال الشیخ عبدالله الصدیق بعد كلام، و الحق أنها ضعیفه فقط، و قد عمل المالكیة بمقتضاها فصرحوا باستحباب التوسل بالنبی ﷺ ولم یحفظ عن أحد منهم، القول بكراهته فضلاً عن حرمته، و قد نقلت فی (الرد المحكم المتین) كلام ابن الحاج صاحب (المدخل) و الامام قاسم العقبانی و الامام ابن عرفة و العشار الشارمساحی و غیرهم من علماء المالكیة و أئمتهم اهـ . (الإتحافات) (٣٩) .



و هذا هو الامام الشافعی یستدل فی دین الله ببعض أحادیثه فی (الأم) و فی (مسنده). فلا لوم علی الحاکم فی عده هذا الحدیث صحیحاً، بل هو الصحیح إلا عند من یضیق صدره عند سماع فضائل المصطفی ﷺ.

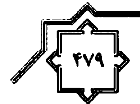
و اما قول مالك لأبی جعفر المذکور فهو ما أخرجه القاضی عیاض فی (الشفا بتعریف حقوق المصطفی) بسند جید و ابن حمید فی السند هو محمد ابن حمید الرازی فی الراجح، علی خلاف ما ظنه التقی السبکی[1] لکن الرازی هذا لیس حاله کما یرید أن یصوره الشمس بن عبدالهادی حیث حشر قول جمیع من تکلم فیه و أهمل کلام من أثنی علیه[2]، وهو أحد الثلاثة الذین اتصلوا بابن تیمیة، و هم شباب، فانخدعوا به، و زاغو، یذکر الجرحَ و یغفل عن التعدیل فی الادلة التی تساق ضد شذوذ شیخه.

و محمد بن حمید هذا روی عن إبو داود، والترمذی، و ابن ماجه، و احمد بن حنبل، ویحیی بن معین.

---

١ . ابن حمید قال ابن حجر حافظ ضعیف، وکان ابن معین حسن الرأی فیه من العاشرة. مات سنة ثمان وأربعین. التقریب ٤٧٥

٢ . قال الشیخ طیب الذکر عبدالحی الکتانی ﷺ فی ترجمه ابن تیمیه و ما قیل له: و أما مسأله الزیارة فأنه انتدب للکلام منه فیها تقی الدین السبکی و الکمال بن الزملکانی و ناهیك بهما و تصدی للرد علی ابن السبکی ابن عبد الهادی الحنبلی، ولکنه ینقل الجرح ویغفل عن التعدیل وسلك سبیل العنف و التشدید، وقد رد علیه و انتصر للسبکی جماعة منهم الامام عالم الحجاز فی القرن الحادی عشر الشمس محمد بن علان الصدیقی المکی له فی (المبرد المبکی فی رد الصارم المنکی) و من اهل عصرنا البرهان إبراهیم بن عثمان السمنودی المصری سماه (نصرة الامام السبکی برد الصارم المنکی) و کذا الحافظ بن حجر له (الانارة بطرق حدیث الزیارة) . و انظر مبحثاً من (فتح الباری) و (المواهب اللدنیة و شرحها. اهـ) فهرس الفهارس (١/ ٢٧٧) و انظر (الاغاثة بأدلة الاستغاثة) ص٩ ـ ١٠.



قال ابن أبى خيثمه: سئل عنه ابن معين فقال: ثقة لا بأس به رازى كَيِّس، وقال أحمد: لا يزال بالرد علم ما دام محمد بن حميد، و ممن أثنى عليه الصاغانى و الذهلى. و قال الخليلى فى (الارشاد) كان حافظاً عالماً بهذا الشأن رضيه أحمد و يحيى. و قال البخارى: فيه نظر[١]، و ليس مثله يتهم فى هذا الخبر، وقد مات سنة ٢٤٨ عن سن عالية و كان عمره عند وفاة مالك لا يقل عن نحو خمس عشرة سنة، وهم يقبلون رواية ابن خمس فى مسند إمامهم[٢] و يعقوب بن إسحاق لا بأس به كما ذكره الخطيب فى (تاريخه)[٣].

و أبو الحسن عبد الله بن محمد المنتاب، من أجل أصحاب إسماعيل القاضى، ولاه المقتدر قضاء المدينه المنورة حوالى سنة ثلاثمائة، و لم يكن غير الثقات، الأفذاذ من اهل العلم ليولى قضاء المدينه المنورة فى ذلك العهد.

و اسم ابن المنتاب يهم فيه كثير، و صاحبه محمد بن احمد بن الفرج وثقه السمعانى فى (النساب) عند ذكر الجزائرى، وأقره ابن الأثير فى (اللباب).

و إبوالحسن الفهرى من الثقات و الأثبات مترجم فى (العبر) للذهبى.

و ابن دلهاث من ثقاة شيوخ ابن عبد البر مترجم فى (صلة) ابن بشكوال، وهى مطبوعة بمدريد. و ابن عبد الهادى يأبى قبول هذا الخبر، لأنه يمسّ شذوذ شيخيه ليس الا، اراد ابن المنثاب بسوق هذا الخبر الرد على ما فى (مبسوط) شيخيه اسماعيل القاضى المالكى المخالف لما رواه ابن وهب، عن مالك، و

---

١ . فقيل له فى ذلك فقال: كأنه أكثر على نفسه. اهـ (١/ ٦٩)

٢ . جاء فى تقريب النواوى ﵀ و نقل القاضى عياض ﵀ أن أهل الصنعة حددوا أول زمن يصح فيه السماع بخمس سنين، و على هذا استقر العمل. اهـ تدريب الراوى شرح تقريب النواوى (٢/ ٥٠)

٣ . كان من الحفاظ للقرآن العالمين بعدد آياته و كان حجاجاً متنسكاً. (١٤/ ٢٧٦)



اسماعيل من اهل العراق، واهل مصر والمدينه أعلم بمسائل مالك منهم. على ان اسماعيل لم يسند ما ذكره الى مالك بل أرسله إرسالاً، لكنه حيث يوافق هوى ابن عبدالهادى يقبله بدون سوال عن سنده بخلاف ما هنا ويطريه إطراء يغنيه عن ذكر السند فى نظره، فكأنه لم ير قول داود الاصفهانى فيه، ولله فى خلقه شؤون على أنه قد وردت أخبار أخرى فى توسل آدم يعضد بعضها بعضاً، استغنيناً عن ذكرها، اكتفاء بما سطرناه، لأن الأحاديث السابقة فيها كفاية لغير المتعنت.[1]

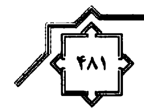
٧ ـ ومنها حديث أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه فى سنن ابن ماجه فى (باب المشى إلى الصلاة) «**من خرج من بيته إلى الصلاة فقال اللهم إنى أسالك بحق السائلين عيلك**» الحديث.[2]

قال الشهاب البوصيرى فى (مصباح الزجاج فى زوائد ابن ماجه) هذا إسناد مسلسل بالضعفاء.

---

١ . منه: ما ذكره ابن المنذر فى تفسيره عن محمد بن على بن حسين بن على عليهم السلام لما أصاب آدم الخطيئه عظم كربه. و اشتد ندمه فجاء جبريل عليه السلام، فقال: «**يا آدم هل أدلك على باب توبتك الذى يتوب الله عليك منه؟ قال بلى يا جبريل. قال قم فى مقامك الذى تناجى فيه ربك فمجده وامدحه فليس شيئ أحب إلى الله من المدح. قال فأقول ماذا يا جبريل ؟ قال فقل لا إله الا الله، وفيه اللهم إنى اسالك بجاه محمد عبدك و كرامته عليك إن تغفر لى خطيئتى**» وساق الخبر. انظر (الدر المنثور فى التفسير بالماثور) للأمام السيوطى (١/ ١٤٦) و محمد بن على هو أبوجعفر الباقر من ثقات التابعين وساداتهم، خرج له الستة، و روى عن جابر و أبى سعيد وغيرهم. و رواه أبوبكر فى كتاب (الشريعة) بسنده وفيه: (اللهم إنى اسالك بحق محمد عليك) و ذكر الخبر.

٢ . تقدم ذكر تمام الحديث تعليقاً



عطية هو العوفى، و فضيل بن مرزوق، والفضل بن الموفق[١] [هو ابـن خـال ابن عيينة، قال أبو حاتم صالح ضعيف الحديث ولم يضعفه سواه و جرحـه غـير مفسر بل وثقه البستى] كلهم ضعفاء لكن رواه ابن خزيمة فى (صـحيحه) مـن طريق فضيل بن مرزوق فهو صحيح عنده.

و ذكره رزين، و رواه احمد منيع فى (مسنده) ثنا يزيد، ثنا فضيل بن مرزوق، فذكره باسناده و متنه و قال علاء الدين مُغُلطـاى فـى (العـلام شرح سـنن ابـن ماجه) ذكره أبونعيم الفضل «هو ابن دُكين» فى كتاب (الصلاة) عن فـضيل بـن مرزوق، عن عطية، عن أبى سعيد الخدرى موقوفاً. اهـ.[٢]

و لم ينفرد عطية عن الخدرى، بل تابعه أبو الصديق عنه فى رواية عبدالحكم بن ذكوان. و هو ثقه عند ابن حبان. و إن أعله إبو الفرج. فى (علله).

---

١ . الفضيل بن الموفق. قال فيه أبوحاتم ضعيف الحديث و لم يـضعفه و جرحـه لم يفـسر، بـل وثقـه البستى. قاله الشيخ محمد زاهر ﷺ و قال ابن حجر صـدوق يـوهم، رمـى بالتـشيع، التقريـب ٤٤٨.

٢ . قال االحافظ ابن حجر فأمن الحديث من تدليسه أى تدليس عطية و ذكر أن الرامى لـه بالتـدليس غير معروف شخصه، ولا اسمه و لاحاله، و لم يذكر له إسناد و مثل هذا لا يثبت به الجرح. كـذا فى (هداية المتخبطين) ص٦٠. وقال ابن قـيم: عطيـة العـوفى و إن ضـعفه أهـل الحـديث فقـد احتملوا حديثه. و خرجوه فى السنن. و قال الحافظ فـى الإمـلاء: روى لـه أبـو داود أحاديـث ساكتاً عليها يعنى أنها صالحة، و حسن له الترمذى عـدة أحاديـث بعـضها مـن أفـراده، و المـراد بالسنن: سنن ابى داود و الترمذى و النسائى و ابن ماجه، وقد جعلها مؤلفوها مآخـذ ومـصادر الأحكام الدين صالحة للأخذ بها، فهى مقدمة على المسانيد و المعاجم، فإن إصحابها يـروون مـا يجدون. المصدر السابق.

وقال فيه ابن حجر فى التهذيب بعد ان نقل تضعيف من ضعفه من الائمة، قال ابـن سـعد كـان ثقة إن شاء الله تعالى. قال ابن أبى حاتم يكتب حديثه. اهـ مفرقاً (٧/ ٢٠١)



و أخرج ابن السنى فى (عمل اليوم و الليلة)[1] بسند فيه الوازع، عن بلال وليس فيه عطية، ولا مرزوق و لا ابن الموفق «اللهم بحق السائلين عليك» تظهر أنه لم ينفرد عطية، ولا ابن مرزوق، ولا ابن الموفق بالنظر إلى هذه الطرق على فرض ضعف الثلاثة.

مع أن يزيد بن هارون شيخ احمد بن منيع شارك ابن الموفق فى روايته، عن ابن مرزوق و كذا الفضل بن دكين و ابن فضيل وسليمان بن حبان و غيرهم.

وعطية جُرح بالتشيع لكن حسن له الترمذى عدة احاديث، وعن ابن معين أنه صالح، و عن ابن سعد: ثقة إن شاء الله و عن ابن عدى: له أحاديث صالحة.[2]

و بعد التصريح بالخدرى لايبقى احتمال التدليس، ولا سيما مع المتابعة.[3]

---

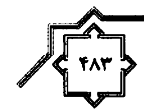
١ . عمل اليوم و الليلة ص٢٤.

٢ . عن ابن عدى لعطية احاديث صالحة.

٣ . جاء فى (قفو الاثر فى صفوة علوم الاثر) المتابعة: أن يتابع روايا ظن تفرده و لو صحابياً غيره، و لو صحابياً فى لفظ ما رواه أو معناه بشرط وحدة الصحابى فى متابعة غيره لغيره، و يسمى هذا الغير المتابع بكسر الباء و التابع ايضاً.

و الشاهد: حديث يساوى آخر أو يشبهه فى المعنى فقط و الصحابى غير واحد و ايراده يسمى استشهاداً. اهـ ص٦٤ و قال الشيخ على فى رده على الالبانى الذى ضعف حديث عطية، وردّه. والحديث أخرجه أحمد، و ابن ماجه و ابن خزيمة فى التوحيد و هو ممن صححه، و ابو نعيم فى الصلاة و آخرون، وقال: فأولاً الحافظ ابن حجر ليس وحده حسن هذا الحديث، فقد أخرجه ابن خزيمة فى صحيحه، و قبله الامام ابن ابى حاتم، ثم الحافظ عبدالغنى المقدسى صاحب الكمال، ثم الحافظ شرف الدين عبدالمؤمن الدمياطى فى (المتجر الربيح) الحافظ أبو الحسن شيخ المنذرى الذى قال فيه أشرف الدمياطى، ما رأيت أحفظ منه. ثم أبو الفضل عبد الرحيم العراقى، ثم خاتمة الحفاظ ابن حجر، فهؤلاء سبعة وقال بعد كلام. و بهذا تعلم إن عطية عند الحفاظ من المقبولين إذا صرح بالسماع و اندفع قول الالبانى فى تدليسه، و ما رتب عليه اغتراراً بكلام ابن حبان بغير رواية صحيحة، ثم قال و ايضاً يرفع تدليسه فى هذا الحديث أن الحديث رواه ابن ماجه فى سننه بلفظ عن ابى سعيد الخدرى كما فى السنن المطبوعه و فى

←



و ابن مرزوق ترجح توثيقه عند مسلم فروى عنه فى (صحيحه).

على ان الحديث مروى بطريق بلال، ﷺ فلا تنزل درجة الحديث مهما نزلت عن درجة الاحتجاج به، بل يدور أمره بين الصحة والحسن لكثرة المتابعات و الشواهد كما أشرنا إليها.

و قول من يقول: إن الجرح مقدم على التعديل على ضعفه فيما إذا تعارضا بتكافئهما فى الميزان، و دون اثبات ذلك مفاوز[١] فلا يتمكن المبتدعة من اتخاذ ذلك تكأة لرد الاحاديث الثابتة برجال وثقهم اهل الشان بترجح ذلك عندهم.

شرحها المخطوط للحافظ مغلطاى ذكر متن الحديث بلفظ ابى سعيد، ففى تصريحه بالخدرى ما ينفى ارادة غيره، فاما فرض ذلك فهو الكذب البحث، و لا يجىء ذلك الا من الوضاعين، و قد صان الله عطية من ذلك.

ثم قال و الذى وقف حديث عطية راوٍ واحد وهو الحافظ ابونعيم، و الذين رفعوه منهم الحافظ الكبيريزيد بن هارون. وثلاثة ثقاة آخرون عبدالله بن صالح العجلى، و محمد بن عزوان و ابو خالد بن الاحمر، و الخامس الفضل بن الموفق الذى فى اسناده ابن ماجه، وهو مضعف، و الشاهد المرفوع من طريق ابى الصديق الناجى الذى رواه عن ابى سعيد مرفوعاً فكيف يكون الاضطراب؟ و انما دعوى الاضطراب مع ظهور الرفع دليل على ان الاستاذ لا يبحث عن الحقيقة، و انما رجح الحافظ ابن ابى حاتم الوقف، لان الحديث لم يقع له مرفوعاً إلا برواية عبدالله بن صالح، و هو ثقة غير حافظ، و وقع له موقوفاً من رواية ابى نعيم و هو حافظ فرجع الوقف. اهـ و تمام الكلام لمن يريده فى (هداية المتخبطين) ص٥٩ ـ ٧٦

١ . قال احمد: كل رجل ثبتت عدالته لم يقبل فيه تجريح حتى يتبين ذلك عليه بامر لايحتمل غير جرحه، و قال السبكى قولهم الجرح مقدم، انما يعنون، حالة تعرض الجرح و التعديل، فاذا تعارضا له لا من جهة الترجيح قدمنا الجرح لما فيه من زيادة العلم. وتعارضها هو استواء الظن عندهما لأن هذا شان التعارض، وقال فى جمع الجوامع و الجرح مقدم إن كان عدد الجارح اكثر من المعدل اجماعاً، و كذا اذا تساويا أو كان الجارح أقل. و قال ابن شعبان يطلب الترجيح اهـ قاعدة فى الجرح و التعديل للامام التقى السبكى تعليق الشيخ عبد الفتاح أبو غدة ص٥١.



وقد حسن هذا الحديث الحافظان: العراقی فی (تخريج أحاديث الإحياء)، و ابن حجر فی (أمالی الاذكار) وفی الحديث التوسل بعامة المسلمين و خاصتهم و ادخال الباء فی احد مفعولی السؤال انما هو فی السؤال الاستعلامی كقوله تعالى: ﴿فَسئَل بِهِ خَبِيراً﴾ و ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾[1].

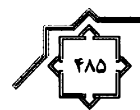
و اما السؤال الاستعطائی فلا تدخل الباء فيه اصلاً الا على المتوسل به. فدونك الأدعية المأثورة[2] فتصور إدخالها هنا فی المفعول الثانی إخراج للكلام عن سننه بهوى، وصحية تمجها الأسماع. وليس معنى الحق الاجابة، بل ما يستحقه السائلون المتضرعون فضلاً من الله سبحانه.[3]

---

١ . سورة الفرقان: الآية ٥٩ قال الزجاج المعنى فاسال عنه، و قد حكى هذا جماعة من اهل اللغة أن الباء تكون بمعنى عن كما قال تعالى: سأل سائلٌ بِعذابٍ واقِعٍ.
و قال علی بن سليمان المعنى فاسال بسوالك إياه خبيراً. و كذلك قال ابن جبير الخبير هو الله تعالى. القرطبی (١٣/ ٦٣) وقال مجاهد: ما أخبرتك من شیء فهو كما أخبرتك وقال (شمس بن عطية هذا القرآن خبير به) . مختصر ابن كثير (٢/ ٦٣٣٧) .
(بعذاب واقع) سورة المعارج: الاية ١ قال القرطبی: والباء يجوز أن تكون بمعنى عن، و السؤال بمعنى الدعاء أی دعا بعذاب الله تعالى، عن ابن عباس و غيره إلخ (١٨ / ٢٨٧) و قال ابن كثير: أی استعجل سائل بعذاب واقع، ثم قال: قال النسائی فی قوله تعالى: **﴿سأل سائلٌ بِعذابٍ واقِعٍ﴾** قال: النضر بن الحارث، وقال العوفی عن ابی عباس، ذلك سوال عن عذاب الله وهو واقع بهم مختصر ابن كثير (٣/ ٥٤٧) .

٢ . عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان إذا استيقظ من الليل قال: (لااله الا انت سبحانك اللهم استغفرك لذنبی و اسالك رحمتك اللهم زدنی علماً و لاتزغ قلبی بعد اذ هديتنی و هب لی من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب) رواه إبو داود.
عن ابی موسى الاشعری رضى الله أن النبی ﷺ كان اذا خاف قوماً قال: «**اللهم إنا نجعلك فی نحورهم ونعوذ بك من شرورهم**» . أبو داوود النسائی، وحديث معاذ رضي الله عنه و فيه قل: «**اللهم اكفنی بحلالك عن حرامك و اغننی بفضلك عمن سواك**» الترمذی و قال حديث حسن.

٣ . تقدم الاشارة الى هذا، قال الشيخ علی: و هذه الكرامة هی نفس التی اعطاها الله لاصحاب الغار فانها طلبوا الفرج بكرامة أعمالهم الصالحة السابقة التی عملوها فلم يطلبوه بعمل عملوه فی الغار اهـ الهداية ٧٦.



فيكون عدّ «بحق السائلين» سؤالاً لهذا الداعى هذياناً محضاً، و لا سيما عند ملاحظة ما عطف عليه فى الحديث[1] و أما أنه ليس فى سياق الحديث ما يصلح أن يكون سُؤلاً غير ذلك فمما يثير الضحك الشديد و الهزء المديد، فأين ذهب من هذا الزاعم «أن تعيذنى من النار».[2]

و كم يكرر الفعل للتوكيد: فالسؤال فى الفعل الأخر هو السؤل فى الفعلين المتقدمين، بل لو لم تكن تلك الأفعال من باب التوكيد لدخلت فى باب التنازع، فيكون هذا القيد معتبراً فى الجميع على كل تقدير[3] و أما من يحاول رد التوسل بتصور دخوله فى الحلف بغير الله فإنما حاول الرد على المصطفى صلوات الله عليه، لأنه هو الذى علم صيغ التوسل و فيها التوسل بالاشخاص و أين التوسل من الحلف؟

---

١ . وهو (بحق ممشاى هذا) وقد تقدم نص الحديث.

٢ . و هو آخر الحديث «**اللهم إنى إسألك بحق السائلين عليك... أن تعيذنى من النار**» . و تقدم بنصه.

٣ . التنازع عبارة عن توجه عاملين إلى معمول واحد مثاله ضربت و أكرمت زيداً فكل واحد من ضربت وأكرمت يطلب (زيداً) . بالمفعولية. اهـ شرح ألفية بن مالك. (٢/ ٩٢) من الحلف: قال ابن تيمية و ساغ النزاع فى السؤال بالأنبياء و الصالحين دون الإقسام بهم، لأن بين السؤال والاقسام فرقاً فإن السائل متضرع ذليل بسبب يناسب الاجابة. اهـ (قاعدة جليلة فى التوسل و الوسيلة) ص٦٥ أقول لكن الاقسام على الله تعالى ثابت ايضاً فقد قال رسول الله ﷺ: «**إن من عباد الله من لو أقسم على الله عزوجل لأبره**» الشيخان، و احمد وغيرهم، وقال ﷺ: «**رُبّ اشعت اغبر مدفوع بالابواب لو اقسم على الله عزو جل لأبره**» رواه احمد ومسلم و غيرهما وقال ﷺ: «**الا اخبركم باهل الجنة ؟ كل ضعيف مستضعف لو اقسم على الله لأبرّه الا اخبركم باهل النار؟ كل عتوّ جواظ متكبر**» رواه الشيخان و غيرهما. فالجمهور على جواز الاقسام على الله تعالى. انظر (براءة الحنفيين) (١/ ٢٨٢) ولا شك أن توسل غير الاقسام على الله تعالى فلم يبق سبب يمنع اتباع ابن تيمية من إباحة التوسل الذى قال به ابن تيمية بل و أن يقولوا بجواز الاقسام على الله تعالى من اهل الدلال و المكانة عنده سبحانه.



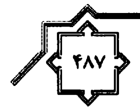
ولا بأس أن نزيد هنا كلمة فى الاستغاثة والاستعانة والكل من واد واحد. ففى حديث الشفاعة عند البخارى «استغاثوا بآدم ثم بموسى ثـم بمحمـد ﷺ»[1].

---

١. الاستغاثة طلب الغوث و منه قوله تعالى: ﴿فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ﴾ [القصص: الآية ١٥] قال القرطبى: اى طلب نصره و غوثه. اهـ الجامع الاحكام القرآن (١٣/ ٢٦٠) . و الاستغاثة طلب العون، و منه قوله تعالى: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: الآية٥] أى نطلب العون و التأييد و التوفيق. القراطبى (١/ ١٤٥) قال رسول الله ﷺ «**ان الشمس تدنو يوم القيامة حتى يبلغ العرق نصف الأذن، وفيه فبينا هم كذلك استغاثوا بآدم ثم بموسى ثم بمحمد فيشفع ليقضى بين الخلق**» . و هو فى البخارى بتمامه فى كتاب الزكاة فتح البارى (٣/ ٣٣٨) قال الشيخ حسن السقاف أقول وهذا تصريح بالاستغاثة بغير الله تعالى فى أمر لا يملك تفريجه الا الله تعالى وحده و كلنا نعتقد أن رسول الله عبد من عبيد الله تعالى ليس له الملك يومئذ لأن الله تعالى يقول: ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ للهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ و استغاثة الناس بعد اتضاح الشرك من الايمان يومئذ و خصوصاً سيدنا آدم الذى يعترف بأنه لا يستطيع ذلك ثم بمن بعده من أكبر الأدلة و انصعها و أصحها على أن الاستغاثة بغير الله تعالى و لو لم يكن المستغيث يملك النفع ليس شركاً و لا كفراً كما يظن البعض بل هو حق فى موقف يشهده الخلق جميعاً، بين يدى الله رب العالمين. إلخ من (الاغاثة بادلة الاستغاثة) ص١١ ـ ١٢.

و إذ كنا نعتقد و هو الحق أن الانبياء أحياء فى قبورهم، و إنهم بعد موتهم على الكرامة التى كانوا عليها وهم فى الحياة الدنيا عند ربهم فما المانع من أن يستغاث بهم فإن الاستغاثة طلب الغوث ممن يملك الغوث، و طلب الدعاء بذلك ممن يملك الدعاء فلا يخدش عقيدتك يا مؤمن شيئ ابداً، ان تقول يا رب أغثنى و أغثنى بجاه رسول الله ﷺ. و روى البزاز عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**إن لله ملائكة فى الارض يكتبون ما يسقط من ورق الشجر فإذا أصابت أحدكم عرجة بارض فلاة فليناد يا عباد الله أعينونى**» و حسنة الحافظ ابن حجر كذا فى الاذكار لابن علان الصديقى (٥/ ١٥١) و حسنة الحافظ السخاوى فى شرح (الابتهاج) و قال الهيثمى فى (مجمع الزوائد) (١٠/ ١٣٢) و رجاله ثقاة. و ذكر ابن تيمية الحديث فى (الكلم الطيب) لأنه يراه من الكلم الطيب لا الخبيث و علق الشيخ ناصر عليه فقال: ضعيف، و قال فى موضوع آخر أنه حديث حسن و جعله موقوفاً على ابن عباس رضي الله عنهما و أنه قال ربما أخذه من أهل الكتاب هل يجوز أن يظن فى ابن عباس رضي الله عنهما أن ياخذ الشرك من

←



وهذا يدل على جواز الاستعمال الاستغاثة فى صدد التوسل. وأما حديث **«لايستغاث بى»** عند الطبرانى، ففى سنده ابن لهيعة، و قد شرحنا حاله فى (الاشفاق)[1]

أهل الكتاب ثم يرويه للأمة، ثم يتلقاه علماء الأمة بالقبول، ويعملوا به و على رأسهم أحمد بن حنبل ﷺ ؟

وروى الطبرانى و أبو يعلى فى مسنده و ابن السنى فى (عمل اليوم و الليلة) عن عبدالله بن مسعود ﷺ قال: رسول الله ﷺ إدا انفلتت دابة أحدكم بأرض فلاة فليناد يا عباد الله احبسوا علي يا عباد الله احبسوا عليَّ فإن لله فى الارض حاضراً سيحبسه عليكم.

و فى رواية أخرى لهذا الحديث **«إذا أضل أحدكم شيئاً أو اراد أحدكم غوثاً و هو بأرض ليس بها انيس فليقل يا عباد لله أغيثونى يا عباد الله اغيثونى فإن لله عباداً لا نراهم»** رواها الطبرانى فى الكبير و قال بعد ذلك: وقد جُرب ذلك. و نقل ذلك الإمام النووى عن بعض شيوخه الكبار فى العلم. انظر (المنتقى المختار من كتاب الاذكار) للشيخ محمد على الصابونى ص٢٠٨ و انظر (إتحاف الأذكياء) (٢٩ ـ ٣١)

١ . الاشفاق على أحكام الطلاق فى الرد على (نظام الطلاق) للقاضى احمد شاكر، و الذى اشتغل بعد ذلك بحديث رسول الله ﷺ فصار علماً من أعلامه، فرجع بذلك عما فى كتابه ذلك إن شاء الله تعالى. روى الطبرانى عن عبادة بن الصامت قال كان فى زمن النبى ﷺ منافق يؤذى المؤمنين فقال ابو بكر الصديق ﷺ قوموا بنا لنستغيث برسول الله من هذا المنافق، فقال رسول الله ﷺ: **«أنه لايستغاث بى و إنما يستغاث الله»** قال الشيخ عبدالله الصديق. فهذا الحديث أنما أراد الاستغاثة فيما لايقدر عليه المخلوق كما قال ابن تيمية، على أن الحديث ضعيف كما بينته فى (الرد المحكم المتين) وقال الشيخ أبو حامد، فإن صح الحديث فيحتمل معانى:

احدهما: إن النبى ﷺ كان قد اجرى على المنافقين أحكام المسلمين بأمر الله تعالى، ثم قال و لا شك أن أدب السؤال أن يكون المسئول ممكناً فكما أننا لا نسأل الله تعالى إلا ما هو ممكن فى القدرة الالهية كذلك لا نسأل النبى ﷺ ما لايمكن أن يجيب إليه.

الثانى: أن يكون ذلك من باب قوله: **«ما أنا حملتكم ولكن الله حملكم»**، أنا و إن استغيث بى فالمستغاث به فى الحقيقة هو الله تعالى، و كثيراً تجيء السنة بنحو هذا من بيان حقيقة الامر، ويجيء القرآن بإضافة العمل إلى مكتسبه كقوله ﷺ: **«لن يدخل احداً منكم الجنة عمله»** مع قوله تعالى: **﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُم تَعْمَلُونَ﴾** ثم قال و بالجملة لفظ الاستغاثة بالنسبة لمن يحصل منه غوث إما خلقاً و ايجاداً، و إما تسبباً و كسباً امر معلوم لا شك فيه لغة و شرعاً. إلخ بتصرف (براءة الحنيفيين) (٢٦٩ ـ ٢٧٠) .

فلا يناهض الحديث الصحيح.[١]

و اما حديث «**و إذا استعنت فاستعن بالله**»[٢] فمعنى: عند استعانتك بأى مستعانٍ فاستعن بالله ـ على لين فى طرقها كلها ـ حملاً على الحقيقة. فالمسلم لاينسى مسبب الاسباب عندما يستعين بسبب من الاسباب و ها هو عمر ﷺ حينما استسقى بالعباس ﷺ لم ينس أن يقول آن الاستقساء «اللهم فاسقنا». و هذا هو الادب الاسلامى.

ولو لم نحمل الحديث على هذا المعنى لتكلفنا المجاز، و لعارضته عدة آيات و أحاديث فى سردها طول.[٣] على أن لفظ «إذا» فى الحديث بعيد عن إفادة

---

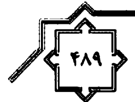
١ . تقدمت احاديث صحيحة هى فى البخارى و غيره على التوسل و الاستغاثة قريباً.

٢ . تمام الحديث «**يا غلام إنى أعلمك كلمات احفظ الله يحفظك إحفظ الله تجده تجاهك إذا سألت فاسأل الله و إذا استعنت فاستعن بالله و اعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء كتبه الله لك و إن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء كتبه الله عليك رفعت الاقلام و جفت الصحف**» . رواه الترمذى.

٣ . الله تعالى خالق كل شيء، والفعال لما يريد، لا يقع فى هذا الكون إلا ما يريد سبحانه، قال جل جلاله: ﴿**و الله خلقكم و ما تعملون**﴾ و قد جرى كتاب الله تعالى على تعميق هذا المعنى فى مثل قوله سبحانه و تعالى: ﴿**كُلٌّ مِنْ عِندِ الله فَمَالِ**﴾ ﴿**وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ الله**﴾. . . ﴿**فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلٰكِنَّ اللهَ قَتَلَهُمْ**﴾ ﴿**إِنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ**﴾ كما جرى على نسبة الافعال الى الاسباب الظاهرة، لئلا يغفل المسلم عن الاسباب التى لا توجد مسبباتها الا باذن الله تعالى، فقال سبحانه: ﴿**وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيماً**﴾ ﴿**فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ الله وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ**﴾ ﴿**وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ**﴾ و أمثالها.

وما يظن أن هناك أحد ينكر الأسباب بعد قول الله تعالى: ﴿**وَأَعِدُّوا لَهُم مَااسْتَطَعْتُم مِن قُوَّةٍ**﴾ هو الذى جعل لكم الارض ذلولاً فامشوا فى مناكبها». و المفرق فى منع الاستعانة بالناس، جهلا وقصوراً من خلال هذا الحديث. يستعين بالطبيب إذا مرض، و يستعين بالتاجر يشترى منه قوته، و مصلح السيارة يصلح له السيارة و بعمله و وظيفته فى جلب رزقه و هكذا. ولقد قال رسول الله ﷺ: «. . . **والله عون العبد ما كان العبد فى عون اخيه**» . رواه مسلم.

بل قال الله تعالى: ﴿**وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ**﴾ المائده/ ٢.



معنى «كلما» بل هو من صيغ الاهمال عند المناطقة، فلا يكون للخصم مجال أن يتمسك به اصلاً. وزد على ذلك إفراد الضمير، و الخاصة ـ و منهم ابن عباس ـ يحسن بهم أن تكون استعانتهم بمسبب الاسباب.

و اما قول تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ ففى العبادة و الهداية بقرينة السباق و السياق كما هو الجدير بحال المناجاة، فلا يكون فيه تعطيل الاسباب العادية الدنيوية.[1]

و قد احسن صديقنا العلامة المحقق صاحب المؤلفات المتعة الأستاذ الكبير الشيخ محمد حسنين العدوى المالكى[2]

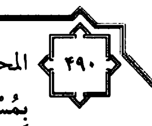
حيث ألف عدة كتب فى دفع شبه يصطنعها التيميون حول التوسل فأزاح ظلماتهم ببيانه العذب و تحقيقه الرائع، و مقامه فى العلم فوق منازل شيوخ مشايخ هؤلاء بدرجات اتفاقاً بين اهل العلم.

و أما سماع أصحاب القبور و إدراكهم فمن أوسع من سرد أدلة ذلك

---

١ . قال ابن كثير: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ العبادة فى اللغة مأخوذة من الذلة يقال طريق معبد، و بعير معبد، اى مذلل. وفى الشرع هى ما يجمع كمال المحبة و الخضوع و الخوف. **﴿إذن فليس كل دعاء عبادة، وليس من دعا ميتاً أنه قد عبده ومن دعا حياً فقد عبده اذ لا يكون مع الدعاء المحبة و الخضوع﴾** و قدم المفعول و كرر للاهتمام و الحصر، أى لا نعبد إلا اياك و لا نتوكل إلا عليك و هذا هو كمال الطاعة، و الدين كله يرجع إلى هذين المعنيين، فالاول تبرؤ من الشرك والثانى تبرؤ من الحول والقوة و التفويض إلى الله عزوجل. اهـ مختصر ابن كثير (١/ ٢٢) و انظر القرطبى (١/ ١٤٥) وقال الشيخ ابوحامد. العبادة لغة أقصى نهاية الخضوع والتذلل بشرط نية التقرب، و لا يكون ذلك إلا لمن له غاية التعظيم، ثم قال و شرعاً: امتثال أمر الله تعالى كما أمر على الوجه المأمور به من أجل أنه أمرٌ مع المبادرة بغاية الحب و الخضوع و التعظيم. اهـ بتصرف (البرائة) (١٢٤) و ما بعد.

٢ . محمد حسنين العدوى المالكى أحد أعضا هيئة كبار العلماء من الأزهر الشريف و له مؤلفات عديدة.



المحدث عبد الحى اللكنوى فى (تذكرة الراشد)[1] و أما قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ﴾ ففى حق المشركين عند المحققين.[2]

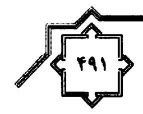
و هناك تحقيق ذلك فلا تلتفت إلى مغالطات المغالطين.

---

١ . تذكرة الراشد برد تبصرة الناقد، هو واحد من (١٠٧) كتاب و رسالة توفى عن تاليفها علامة الهند، وحجة الله على الخلق علماً و عملاً، و صالحاً و زاهداً مولانا الشيخ عبدالحى اللكنوى، ولد ﷺ (١٢٦٤هـ) و توفى ﷺ سنة ١٣٠٤هـ انظر ترجمته فى مقدمة كتابه الماتع (الرفع و التكميل) بتحقيق الشيخ عبد المفتح أبو غدة، و عصريّ المصنف الشيخ عبد الحى الحسينى فى كتابه الجامع (نزهة الخواطر) . و الرفع و التكميل آية فى بحوث هامة فى الجرح و التعديل، وكتب الحديث جمع فيه متفرقات فريدة ينتفع بها طالب العلم و العالم و الحمد لله، وقد حققه و أضاف إضافات نافعة الشيخ عبدالفتاح أبو غدة رحمه مولاه.

٢ . قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾ (فاطر/ ٢٢) قال القرطبى «من فى القبور» أى الكفار الذين أمات الكفر قلوبهم، أى كما لا تسمع من مات كذلك لا تسمع من مات قلبه ثم قال: ﴿إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾ أى رسول منذر فليس عليك إلا التبليغ، ليس لك من الهدى شيئ إنما الهدى بيد الله تبارك و تعالى (١٤/ ٢٤٠) و قال ابن كثير: ﴿وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ﴾ أى كما لا ينتفع الاموات بعد موتهم وصيرورتهم إلى قبورهم و هم كفار بالهداية و الدعوة إليها، كذلك هؤلاء المشركون الذين كتب الله عليهم الشقاوة لاحيلة لك فيهم، و لا تستطيع هدايتهم ﴿إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾ أى إنما عليك البلاغ و الإنذار و الله يضل من يشاء و يهدى من يشاء. اهـ مختصر ابن كثير (٣/ ١٤٥) و قال الشيخ محمد على الصابونى صاحب الخدمات الجليلة لكتاب الله تعالى، زاده الله من فضله ﴿وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ﴾ أى إن الله يسمع من يشاء إسماعه دعوة الحق فيجيبه بالايمان ويشرح صدره للاسلام و ما أنت يا محمد بمسمع هؤلاء الكفار، لأنهم أموات القلوب لا يدركون ولا يفقهون. قال ابن الجوزى: أراد بمن فى القبور الكفار، و شبههم بالموتى اهـ (صفوة التفاسير) (٢/ ٥٧٣) و تفسير ابن الجوزى (٦/ ٤٨٨) أقول تقدم الحديث على سماع الموتى من خلال حديث قليب بدر، وسماع الموتى إصوات من يزورهم أما الانبياء فأحياء فى قبورهم فهم يسمعون دون ريب.

أما التفرقة فى أمر رسول الله ﷺ بين حياته على الارض و حياته فى البرزخ فأمر خطير كما سبق ذكره، وقد كان اليهود يفرقون بين حياة الرسول ﷺ على الارض وحياته بعد الانتقال، يقصدون بذلك ازدراء الرسول ﷺ، وقد قتل على ﷺ واحداً تكلم فى مجلسه كلمة فيها ازدراء بالرسول ﷺ، ولما ظهر بها اليهود بعد ذلك تصدى لهم جهابذة العلماء و أفسدوا ما قالوه بالنقل و العقل و الاستحسان الشرعى و العرفى و أبادوهم بالضرب بالسياط وضرب الاعناق، اهـ و انظر المسألة فى (البرائة) (٢/ ٣٣) .



الخاتمة

وبتلك الاحاديث والآثار يظهر أن من ينكر التوسل بالانبياء و الاولياء و الصالحين أحياء و أمواتاً ليس عنده أدنى حجة، و إن رَمْي المسلمين بالاشراك بسبب التوسل ما هو إلا تهوّر يرجع ضرره إلى الرامى، نسأل الله العافية.

و أما إن كان بين العامة من يخطىء فى مراعاة أدب الزيارة و التوسل فمن واجب أهل العلم إرشادهم إلى الصواب برفق.[1]

---

١ . نعم برفق وبحسن ظن بالمسلمين. روى البخارى أن رسول الله ﷺ قال: «**من صلى صلاتنا و اسلم و استقبل قبلتنا و أكل ذبيحتنا فذلك المسلم له ذمة الله و رسوله فلا تُخفروا الله فى ذمته**» .
إن هؤلاء الذين يطلبون من الرسول و من الصالحين المغفرة و الجنة والشفاء هم مسلمون ولكن يخطئون فى التعبير، و لا يخطئهم التوحيد، لأن مقصودهم الاستشفاع إلى الله تعالى بتلك الوسيلة. فكأنه يقول يا رسول الله اسال الله أن يغفر لى و أن يرحمنى وأن يشفينى و يقضى حاجتى، وأنا أتوسل بك إلى الله تعالى فى ذلك و قد كان الصحابة يسألون رسول الله ﷺ ما يكون منه و ما لا يكون فيعلم و ينصح ويرشد. لقد سأله خادمه الجنة فما أنكر ﷺ ذلك و إنما قال له: «**أعنى على نفسك بكثرة السجود**» . والحديث فى مسلم ثم باب المجاز باب واسع عظيم لا ينكره منكر. و لوكان الرسول ﷺ لا يقدر على فعل المسئول، فلا يضير ذلك بتوحيد السائل، ويكون واجب العلماء تعليم من لا يعلم، بالحكمة و الموعظة الحسنة. و إنه لمن سوء الظن بالمسلمين و من الجهل بالدين حمل آيات المشركين على المسلمين الجاهلين، أو الرامين إلى معانى قد لا ينتبه لها لاول وهلة. و ما احسن قول الشيخ يوسف الدجوى ؒ فى هذا المجال: «ولا ادرى كيف يكفرون بالاستغاثة نحوها، فإن المستغيث إن كان طالباً من الله بكرامة هذا الميت لديه فالامر واضح، و إن كان طالباً من الولى نفسه فانما يطلب منه على اعتقاد أن الله تعالى اعطاه قوة روحانية تشبه قوة الملائكة فهو يفعل بها باذن الله تعالى، فهل فى ذلك تأليه له؟ و لو فرضنا جدلاً أننا مخطئون فى ذلك لم يكن فيه شرك و لا كفر بل تكون كمن طلب من المقعد المعونة معتقداً أنه صحيح غير مقعد، مع أن عمل الارواح و مواهب الانبياء و الاولياء ثابتة فى الدلائل القطعية على الرغم من أنوفهم».

←



و قد جرى عمل الأمة على التوسل و الزيارة إلى أن ابتدع إنكار ذلك الحرانى، فردّ أهل العلم كيده فى نحره، و دامت فتنته عند جاهلى بلاياه.

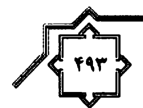
وقد غلط الآلوسى و ابنه المتصرف فى تفسيره بعض غلط ترده عليهما تلك الأدلة، و كانا مضطربين فى مسائل من عدوى جيرانهما، وبعض شيوخهما، وليس هذا بموضع بسط لذكر ذلك.[١]

و من أراد أن يعرف عمل الائمة فى التوسل بخير الخلق فليراجع (مصباح الظلام فى المستغيثين بخير الأنام)[٢] للامام القدوه ابى عبد الله النعمان بن محمد

و صفوة القول أننا نقول: هؤلاء المستغيثون يعتقدون أن الله أعطى هؤلاء الاولياء مواهب لم يعطها لغيرهم، و ذلك جائز لا يمكنهم منعه، و هم يقولون إنهم اعتقدوا فيهم الالوهية مع أن ذلك لا يقول به أحد إلا عند من أساء الظن بالمسلمين ظلماً و عناداً. ولو فرضنا أن ذلك مشكوك فيه فهل يجوز التكفير و القتل بمجرد الشك. اهـ مقالات و فتاوى ص٢٦١ وقال الشيخ الكوثرى ﷺ. و إن لابس زيارة بعض العامة أو توسله شيئ من البدع فالواجب على العالم أن يرشده إلى السنة برفق لا أن يرميه بالشرك و يستبيح ماله و دمه. (مقالات الكوثرى: ص٣٧٦)

١ . لكن الألوسى يقول فى تفسير قوله تعالى: ﴿وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ من كلام. نعم لم يعهد التوسل بالجاه و الحرمة عن احد من الصحابة ﷺ، و لعل ذلك تحاشياً منهم أن يعلق فى أذهان الناس إذ ذاك «و هم قريبو عهد بالتوسل بالاصنام» شيئ، ثم اقتدى بهم من خلفهم من الائمه الظاهرين وقد ترك رسول الله ﷺ هدم الكعبة و تأسيسها على قواعد إبراهيم لكون القوم حديثى عهد بكفر كما ثبت فى الصحيح، و هذا الذى ذكرته إنما هو لدفع الحرج عن الناس و الفرار من دعوى تضليلهم: كما يزعم البعض فى التوسل بجاه عريض الجاه ﷺ.
ثم قال و بقى هناك أمران أحدهما أن التوسل بجاه غير النبى ﷺ لا بأس به ايضاً إن كان المتوسل ممن علم أن له جاهاً عند الله تعالى كالمقطوع بصلاحه و ولايته بعد أن قال قبل أسطر: و بعد هذا كله أنا لا أرى بأساً فى التوسل إلى الله تعالى بجاه النبى ﷺ عند الله تعالى حياً ميتاً إلخ (روح المعانى) (٦/ ١٢٤ـ ١٢٨).

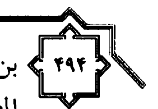
٢ . روى البيهقى (شعب الايمان) و ابن عساكر من طريق عبد الله بن احمد عن أبيه أحمد بسند صححه حتى الألبانى قال عبد الله سمعت أبى يقول حججت خمس حجج منها اثنين راكباً و



ثلاثة ماشياً و ثلاثة راكباً فضللت الطريق فى حجة و كنت ماشياً فجعلت أقول: (يا عباد الله دلونا على الطريق) فلم أزل أقول ذلك حتى وقعت على الطريق. و ذكره هذه القصة ابن مفلح تلميذ ابن تيمية فى كتابه (الآداب الشرعية) . فذكر القصة المذكورة تبين أن الاستغاثة بغير الله تعالى ليست شركاً إلا إذا اعتقد المستغيث له قوة النفع والضر بنفسه دون الله تعالى. و قال الحافظ أبو بكر بن المقرى فى (مسند أصبهان) (كنت أنا و الطبرانى و أبو الشيخ فى مدينة النبى ﷺ فضاق بنا الوقت فواصلنا ذلك اليوم فلما كان وقت العشاء أتيت القبر الشريف وقلت يا رسول الله: الجوع، فقال لى الطبرانى: اجلس فإما أن يكون الرزق أو الموت فقمت أنا و أبو شيخ فحضر الباب علوى ففتحنا له فاذا معه غلامان بزنبيلين فيهما شيىء كثير فقال يا قوم شكوتم إلى النبى ﷺ فإنى رأيته أى فى المنام فأمرنى بحمل شيئ إليكم) نقل هذه الحادثة الحافظ السخاوى فى (القول البديع) و ابن المقرىء، و الطبرانى و أبوالشيخ، كلهم من كبار الحفاظ المشهورين.

و انظر الفصل الثالث فى التوسل به ﷺ بعد فصلى زيارته ﷺ من كتاب (وفاء الوفاء) باخبار دار المصطفى للشيخ نور الدين على بن احمد السمهودى، فقد نقل اخباراً عديدة فى التوسل به ﷺ حياً ميتاً، و نبذاً مما وقع لمن استغاث بالنبى ﷺ، و ذكر منها ما يلى قال: و ذكر الحافظ أبو القاسم بن عساكر فى تاريخه بسنده إلى أبى القاسم ثابت بن أحمد البغدادى قال: إنه رأى رجلاً بمدينة النبى ﷺ أذّن للصبح عند قبر النبى ﷺ فقال فيه: الصلاة خير من النوم، فجاءه خادم من خدم المسجد فلطمه حين سمع ذلك فبكى الرجل و قال: يا رسول الله فى حضرتك يُفعل بى هذا الفعل؟ ففلج الخادم و حمل إلى داره فمكث ثلاثة ايام و مات (٤/ ١٣٧١/ ١٣٨٢)

أما بعد ـ فإنما كتبت فى التوسل لمثل ما ذكره الشيخ على العلوى، لاننا فى وقت لا يُثلب فيه من يمنع التوسل، و إنما نحن فى زمان كثر فيه ثلب المتوسل، و انتهاك عرضه و مهاجمته فى دينه حى يوصم بالابتداع بالشرك، فهو كلام يوجه الآن إلى من نرد عليهم و إليهم يساق هذا الحديث ونطلب بموجبه أن يعرف إخواننا الذين نرد عليهم أن مسألة التوسل بحق و بحرمة الذوات الصالحة و كرامتها ليس كما يدعون أنها من مسائل الاصول، ولا من مسائل العقيدة كما يدعى هذا الاستاذ الفرح بنفسه، بل المسالة فرعية النزاع فيها موجود بين العلماء كما يصرح به العلامة ابن تيمية هنا، و فيما ننقله آتياً من أنها كذلك: مسألة فرعية فلا يجبه فيها من قال بالمنع او بالجواز، بل يكون الامر فيها سهلاً لا تبديع فيها ولا تكفير، ولا جدال و لا قتال، فانما كل واحد من



بن موسى التلمسانى المالكى المتوفى سنة٦٨٣، و هو من محفوظات دار الكتب المصرية. و فى ذلك كفاية لغير المتعنتين، و من الله الهداية و التوفيق. اهـ.

المختلفين مجتهد أو مقلد له، و المصيب من المجتهدين له أجران، و المخطىء له اجر واحد. اهـ المراد (هداية المتخبطين) (٩٧) وقد نقلنا نص كلام ابن تيمية فى اعتبار التوسل مسالة فرعية، وكذلك كلام محمد بن عبد الوهاب فيه.

أن تكفير المسلمين شيئ خطير خطير، إن علياً عليه السلام لم يكفر الخوارج الذين خرجوا عليه و كفروه بل قال فيهم: (اخواننا بغوا علينا) و على عليه السلام هو صاحب الحق و العلم و الشرف و هو الخليفة الراشد الذى اختاره اهل الحل و العقد خليفة للمسلمين.

ذلك لأن للردة احكاماً شديدة يجب على المسلمين القيام بها، اذا لا يعامل المرتد من المسلمين و لا تنفذ عقوده معهم و لا يزوج و لا يتزوج منه، و لايقر فى بلاد المسلمين و أذا أخذه الحاكم عرض عليه الاسلام فإن عاد و إلا قتله، ويفرق بينه و بين زوجه، و إذا مات لا يرثه المسلمون و لا يصلى عليه، و لا يدفن فى مقابر المسلمين، و غير ذلك. قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**من قال لاخيه يا كافر فقد باء به احدهما فان كان كما قال و إلا عاد عليه**».

و نصيحتى إلى الأخوة الخائضين فى مسائل الخلاف فى العقائد «خاصة» إذا مروا على آيات من كتاب الله تعالى أن يفسروها كما فسرها السلف الصالح، فلا يحملوا آيات الكفار و المشركين على المسلمين لمخالفتهم الظاهرة لفهومهم أو الحق بجهلهم، فإن ذلك: و العياذ بالله من تحريف الكلم عن مواضعه، و بُعد عن الحق، و مجافاة النص فيه ما فيه من إثم، بل فيه جرأة على تفسير كتاب الله تعالى بالرأى فلا تحمل آية: ﴿**وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللهِ إِلَّا وَهُم مُشْرِكُونَ**﴾ إلا على المشركين لا على المتوسلين من المسلمين، و العياذ بالله.

و نصيحتى إليهم أن يقرءوا لكبار العلماء من اهل رأيهم و غير رأيهم، فإن اختلاف الأراء تلقيح للعقول وسعى بها الى الصواب إن شاء الله، و حق على العامة و أنصاف العلماء فى هذه المسائل المثيرة أن يمنعوا من ذلك بسلطان العلم والعلماء، أ وبسلطان الحاكم «عند الحاجة» كما يمنع المفتى الماجن من الإفتاء والطبيب الجاهل من معالجة المرضى فإن أمر العامة كما تقدم هو ما أمر الله تعالى به: ﴿**فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُم لاَ تَعْلَمُونَ**﴾.

و صلى الله على سيدنا محمد و آله و صحبه و إخوانه و سلم تسليماً كثيراً
سبحان ربك رب العزة عما يصفون و سلام على المرسلين و الحمد لله رب العالمين.

رمضان المبارك سنة ١٤١٠



التوسل المنهي عنه عند الامام أبي حنيفة ﵀

١ ـ جاء في (فتح باب العناية شرح النُقاية) للعلامة علي بن سلطان محمد القاري ﵀: (١٠١٤هـ) و يحرم قوله في الدعاء أسالك بمعقد العزّ من عرشك، و قد رُوي بتقديم القاف على العين، فلا يجوز اتفاقاً، لاستحالة معناه على الله سبحانه وتعالى، و رُوي بعكسه: بمعقد العز: لأنه يوهم تعلق العز بالعرش، والعرش حادث، و ما يتعلق به يكون حادثاً، و الله سبحانه متعالٍ عن تعلق بالحوادث، فإن عزه قديم كذاته، و سائر صفاته. وعن أبي يوسف أنه لا بأس به، و به أخذ الفقيه أبو الليث. قيل: و يحرم أن يقول في دعائه بحق فلان نبياً كان أو ولياً، أو بحق البيت الحرام و المشعر الحرام لأنه لاحق للخلق على الله تعالى، لكن قد يقال إنه لا حقّ لهم وجوباً من أصله، لكن الله سبحانه جعل لهم حقاً فضلاً، أو يراد بالحق الحرمة و العظمة، فيكون من باب الوسيلة. قال الله تعالى: ﴿وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ وقد عُدّ من آداب الدعاء التوسل بالانبياء و الآولياء على ما في الحصن الحصين. و جاء رواية: «**اللهم إني اسألك بحق السائلين عليك وبحق ممشاى إليك فإني لم أخرج أشراً ولا بطراً**» الخ الحديث.[1]

٢ ـ و جاء في بدائع الصنائع للعلامة الفقيه علاء الدين أبي بكر بن مسعود الكاساني الملقب بملك العلماء (٥٨٧هـ) ما نصّه: «و يكره أن يقول الرجل في دعائه: أسالك بحق أنبيائك و بحق فلان، لأنه لا حق على الله سبحانه وتعالى جلَّ شأنه و كذا يكره أن يقول: أسالك بمعقد العز من عرشك و روى عن أبي يوسف أنه لا بأس به لورود الحديث و هو ما روى عن رسول الله ﷺ أنه كان يقول في دعائه: «**اللهم إني أسالك بمعقد العز من عرشك و منتهى الرحمة من**

---

١ . فتح باب العناية ٢/ ٢٣٦، طبع الباكستان



كتابك و باسمك الأعظم وجدك الاعلى و كلماتك التامة» وجه ظاهر الرواية أن ظاهر هذا اللفظ يوهم التشبيه لأن العرش خلق من خلائق الله تبارك وتعالى و جلَّ شأنه وعلا، فاستحال أن يكون عزُّ الله تبارك معقوداً به، وظاهر الخبر الذى هو فى حدّ الآحاد إن كان موهماً للتشبيه فالكفّ عن العمل به أسلم. اهـ.[1]

٣ ـ و قال العلامة الاصولى الفقيه كمال الدين بن الهمام: ويكره أن يقول الرجل فى دعائه: «**أسالك بمعقد العز من عرشك**»، و ذكر كلاماً و سننقله عن ابن عابدين.[2]

٤ ـ و قال العلامة المحدث الاصولى الفقيه بدر الدين العينى شارح البخارى ﷺ: ويكره أن يقول فى دعائه: بحق فلان أو بحق أنبيائك و رسلك، لأنه لا حق للمخلوق على الخالق، و كذا الحق و المشعر الحرام مما يُوهم أن على الله حقاً للمخلوقين، و إن كانت عادة الناس جرت بذلك، ثم ذكر أن الحديث: «**أسالك بمعاقد العز من عرشك**» ذكره ابن الجوزى فى الموضوعات.[3]

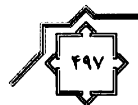
٥ ـ و قال خاتمة المحققين الاصولى الفقيه محمد بن عابدين ؓ: و كره قوله: «**بحق رسلك و أنبيائك و أوليائك أو بحق البيت**»، لأنه لا حق للخلق على الخالق تعالى، و لو قال الآخر: بحق الله أو بالله أن تفعل كذا لا يلزمه ذلك. و إن كان الأولى فعله (الدر) قال ابن عابدين: و كره بحق رسلك إلخ هذا، لأنه حق للخلق على الخالق. قد يقال: لا حق لهم وجوباً على الله تعالى، لكن الله سبحانه جعل لهم حقاً من فضله، أو يراد بالحق الحرمة و العظمة، فيكون من باب الوسيلة. و قد قال تعالى: ﴿**وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ**﴾ وقد عُدّ من آداب

---

١ . بدائع الصنايع ٥/ ١٢٦، باب الاستحسان

٢ . فتح القدير ط الحلبى ١٠/ ٦٤، باب الاسحسان

٣ . الهداية مع البناية، طبع باكستان ٤/ ٢٧٩



الدعاء التوسل على ما فى (الحصن الحصين). وجاء فى رواية: اللهم إنى أسالك بحق السائلين عليك و بحق ممشاى هذا فإنى لم أخرج أشراً و لابطراً... الحديث. اهـ شرح النقاية لعلى القارى. ويحتمل أن يراد بحقهم علينا من وجوب الايمان بهم و تعظيمهم. وفى اليعقوبية يحتمل أن يكون الحق مصدراً لا صفة مشبهة، فالمعنى بحقية رسلك فلا مانع فليتأمل. اهـ أى المعنى بكونهم حقاً لا بكونهم مستحقين. أقول لكن كل هذه الاحتمالات لظاهر المتبادر من هذه اللفظ، و مجرد إيهام اللفظ ما لا يجوز كاف فى المنع كما قدمناه، فلا يعارض خبر الآحاد والله اعلم. أطلق أئمتنا المنع على أن إرادة هذه المعانى مع هذا الايهام فيها معنى الاقسام بغير الله تعالى و هو مانع آخر فليتأمل. اهـ ثم ذكر ابن عابدين حديث: «**اللهم إنى أسألك و أتوجه إليك بنبيك نبى الرحمة**». عن العز بن عبد السلام أنه ينبغى كونه مقصوراً على النبى ﷺ، وأنه لايُقسم على الله تعالى بغيره. و أن يكون من خصائصه. و قال السبكى: يحسن التوسل بالنبى ﷺ إلى ربه، ولم ينكره أحد من السلف ولا الخلف إلا ابن تيمية فابتدع ما لم يقله عالم قبله.

و نازع العلامة ابن أمير حاج فى دعوى الخصوصية، و أطال الكلام على ذلك فى الفصل الثالث عشر من شرح المنية، فراجعه. اهـ[١]

أقول: قد تبين أن أى نوع من أنواع التوسل كره الامام أبو حنيفة رحمه الله. و ما الذى احتج به مما يعتبر دليلاً شرعياً، فإن الله تعالى ليس مسؤلاً من أحد من عباده، و لا حق لأحد عليه سبحانه فيكون مراقباً من عباده، محاسباً أمامهم، و العياذ بالله.

---

١ . رد المحتار على الدر المختار ٥/ ٥٤٠، طبعة بولاق.

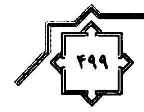


١ ـ وهو لا ينكر و لا يكره التوسل إلى الله تعالى باسم من أسمائه سبحانه كما ورد أن رسول الله ﷺ سمع رجلاً يقول: «**اللهم إنى أسالك بأنى أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذى لم يلد و لم يولد و لم يكن له كفواً أحد**». قال: «**لقد سألت الله تعالى باسمه الأعظم الذى إذا سئل به أعطى، و إذا دُعى به أجاب**». وفى رواية: «**لقد سألت الله باسمه الأعظم**». قال الترمذى: حديث حسن. و كما ورد فى مسند أحمد و رواه ابن السنى: «**اللهم إنى عبدك و ابن عبدك و ابن أمتك ناصيتى بيدك ماضى فىّ حكمك عدل فىّ قضاؤك أسالك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته فى كتابك أو علّمته أحداً من خلقك أو استأثرت به فى علم الغيب عندك أن تجعل القرآن ربيع قلبى و نور صدرى و جلاء حزنى و ذهاب همى**»، فقال رجل من القوم: يا رسول الله إن المغبون لمن غبن هؤلاء الكلمات، فقال له: «**أجل فقولوهن و علموهن فانه من قالهن التماس ما فيهن إذهب الله حزنه و أطال فرجه**».

٢ ـ وما قد تقدم من حديث البخارى فى توسل الثلاثة الذين أطبق عليهم الغار بأعمالهم الصالحة.

٣ ـ و ما قد تقدم من حديث الأعمى الذى علّمه الرسول ﷺ دعاء يدعو به ليشفيه الله تعالى بعد صلاة ركعتين، ففعل فشفاه الله و أعاد إليه بصره، و قد علّم الصحابى عثمان بن حنيف رجلاً أن يفعل ذلك، ففعل، فقضى الله تعالى حاجته عند الخليفة عثمان رضي الله عنه، فليس التوسل دعاء من المتوسل به، لكنه صلاة و دعاء من المبتلى. و الله أعلم.

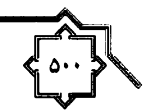
والعجب أن دكتوراً كتب رسالة فى عقائد الائمة الاربعة، فقال: عقيدته فى توحيد الله تعالى و بيان التوسل الشرعى و إبطال التوسل البدعى!



وبعض الناس يقول، و دون حياء، إن التوسل به ﷺ بعد وفاته شرك. والعياذ بالله.

و ما عرف السلف الصالح ما يسميه هؤلاء: التوسل الشركى، و لا البدعى، و إنما عرفوا المكروه منه، أى أنه وارد لكن دليله ضعيف أو معارض بأقوى. وفى الرسالة وتعليقى عليها بيان معنى التوسل و مشروعيته. و الله أعلم.

٤ ـ و ما تقدم من التوسل بالصالحين، و فيه حديث توسل عمر بالعباس رضي الله عنهما وهو فى البخارى. و الله أعلم.



المصادر

إتحاف الأذكياء بجواز التوسل بالانبياء و الاولياء: الشيخ المحدث عبد الله الصديق الغماري

إرغام المبتدع الغبي: الشيخ المحدث عبد الله الصديق

برائة الحنيفيين جزآن: تاليف الشيخ حامد بن مرزوق

الإغاثة بأدلة الاستغاثة: الشيخ حسن السقاف

موقف أئمة الحركة السلفية من التصوف و الصوفية: الشيخ عبد الحفيظ بن مالك عبدالحق المكي.

الجامع لأحكام القرآن: لأبي عبد الله محمد الانصاري القرطبي

الروح: للشيخ أبي بكر بن قيم الجوزية

صفوة التفاسير: الشيخ محمد علي الصابوني

الصواعق الالهية: للشيخ سليمان بن عبد الوهاب

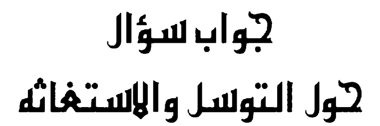
مختصر ابن كثير: إسماعيل بن كثير

مفاهيم يجب أن تصحح: د. الشيخ محمد علوي المالكي

مقالات الدجوي (من الجزء الاول): للشيخ يوسف بن احمد الدجوي

مقالات الكوثري: الشيخ محمد بن حسن زاهد الكوثري

هداية المتخبطين نقد و تعليق على رسالة محمد ناصر الدين الألباني (التوسل و أنواعه) للشيخ على بن محمد بن يحيى العلوي.



للعالم العابد الفقيه المحدث محمد عابد السندي

١١٩٠ـ ١٢٥٧

تعليق وتحقيق:

وهبي سليمان غاوجي



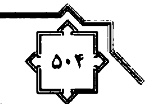
مقدمة في التعريف بمؤلف الرساله

هوالامام الفقيه المحدث الشيخ محمدعابد السندى الانصارى.

١ ـ ولد رحمه الله ببلاد السند حوالى (١١٩٠هـ) فى بيت العلم والفضل والدين والفطنه والذكاء والورع والزهد ونشأ نشأة مباركه طيبه وتشرب العلم منذ طفولته على يدى والده الصالح الشيخ احمد وعمه الشيخ حسين وجده العلامه شيخ الاسلام مراد الانصارى وقد كان لجده هذا مدرسة ورباط ومكتبة العظيمة ونشاط كبيرفى نشر العلم ونفع الناس ومن حوالى (١١٩٤هـ) هاجر مع والده واخيه الى جدة فاقام بها فترة وكان الشيخ عابد كثير الانتقال بين جدة ومكة و المدينة المنوره والطائف فى طلب العلم ولقاء العلماء. وانتقل الى اليمن حيث اقام قرابه ثلاثين عاما وفى الربع الاخير من عمره عاد الى المدينه المنوره فاقام بها ينشر العلم ويفتى ويصنف الى ان توفى (١٢٥٧هـ) ودفن بالبقيع رحمه الله وعمره (٦٧) سنة.

٢ ـ لقد كتب فضيلة الشيخ الدكتور سائد بن محمدبن يحيى بكداش كتابا فى حياة الامام عابد السندى جاء من (٥٠٠) صفحة، جمع فيه جميع ما يصبو إليه شداة العلم والعلماء فجزاه الله خيرا، ومنه أنقل ما أُريد ذكره هنا.[١]

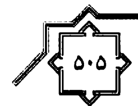
١ . طبعة دار البشائر الاسلامية بيروت سنة١٤٢٣هـ .



٣ ـ أثنى عليه علماء زمانه ومن بعدهم في زهده عن الدنيا وكرمه وعطائه، وتواضعه وانكساره وتواضعه العلمي وتوقيره لغيره، وحيويته ونشاطه في مشاركة الناس، جمعه أعيان طلاب العلم وسعة صدره العلمي في مسائل الخلاف ونصحه للأمة واقامة السنة وصبره على جفاء الزمان وعبادته ومواظبته على النسك وحبه الشديد للمدينة المنورة ودعائه الكثير للمقام فيها وإكمال الله تعالى له ذلك مع اكمل عز. وسمته وهديه ونضارة وجهه بحديث رسول الله ﷺ لقد كان على خلق كريم لذا حظى بمكانة رفيعة عند العلماء.

٤ ـ مؤلفاته، ألف ﵀ كتبا عديدة بلغت (٢٥) كتابا و (١٦) رسالة وكان من أعظم مؤلفاته كتابه (المواهب اللطيفة في شرح مسند الامام أبي حنيفة)، في الف ورقة ومنه نسخة محفوظة والحمد لله. وكتاب شرح على الدر المختار في المذهب الحنفي جاءت في (١٠٠٠٠) عشرة آلاف ورقة، سوى شرحه على بلوغ المرام، والبخاري وغيرها وكان موئل الناس ومرجعهم في الفقه الحديث، كما كان مرجع القضاة والاحكام وكان مما سئل عنه التوسل واحكامه. فكانت هذه الرسالة جوابا على هذا السؤال.

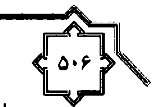
٥ ـ لقد عرف التوسل من نبينا والانبياء ﷺ، وعرف من الصحابة ومن تبعهم رضوان الله تعالى عليهم، وعرفه العلماء أنه صيغة من صيغ الدعاة ووسيلة القربى إليه سبحانه، وما عرفوه عبادة لأحد غير الله تعالى، وما عرفوا أن الحي ولو كان رسول الله ﷺ وهو في الأرض يفعل شيئا دون إرادة الله تعالى، أعني ينفع أو يضر ومثل ذلك بعد الموت. ولقد عدّ حتى ابن تيمية (الذى أثار الحديث في موضوع التوسل وشوش الناس) التوسل مسألة من المسائل الفرعية لا تصل أن تكون من مسائل العقيدة.



قال ابن تيمية فى التوسل والوسيلة له ص٩٨. هذا الدعاء (أى الذى توسل بالنبى ﷺ ونحوه قد روى أنه دعا به السلف ونقل عن أحمد بن حنبل من منسك المروذي التوسل بالنبى ﷺ فى الدعاء ونحوه فى ص١٥٥ من الكتاب المذكور. وانظر ص٦٥ وفيه: والسؤال ـ أى بالمخلوق ـ فهذا جوزه طائفة من الناس ونقل ذلك عن بعض السلف وهو موجود فى دعاء كثير من الناس، ونقل ذلك عن بعض السلف وهوموجود فى دعاء كثيرمن الناس، لكن ابن تيمية زاد أن النبى ﷺ هو الذى دعا للضرير فإذن فالنافع كان هوالدعاء ولادليل على ذلك، ومن أجل ذلك تهكم على من قال بالتوسل ولهذا رد الله على الضرير بصره لما دعا به النبي ﷺ وكان ذلك من آيات النبى ﷺ، ولوتوسل غيره من العميان الذى لم يدع لهم النبى ﷺ بالسؤال لم تكن حالهم كحاله، ص٦٥.

عجيب هذا الأمرمنه وهل ترتبط إجابة الدعاء إلى الله تعالى بأن يكون الداعي نبيا أولا؟

إن الأمركله لله وما ينفع دعاء لايريد الله الإجابة عليه. لقد دعا رسول الله ﷺ ى صلاته على رعل وذكوان شهرا ثم نزل عليه قوله سبحانه ﴿**ليسَ لَكَ مِنَ الأَمرِ شىءٌ**﴾. إن الأمركله الله، والعجيب أن هذا الخطأ التيمى يردده بعض طلاب العلم. بل يقول الشيخ أبوبكر الجزائرى: ومن هنا لم يبق هذا التوسل بتلك الكيفية (التى دعا بها الأعمى ودعابها المحتاج فقضيت حاجته) جائزا ولا نافعا لفقد أعظم أركانه وأعظم عناصره وهو دعاء الرسول ﷺ (أقول ولم يكن ثمة دعاء منه) وعلى فرض أن مؤمنا قام فتوسل به وبرأ من مرضه! وقضيت بقضاء وقدر (عقيدة المؤمن١٤٨). ويله من غافل: وهل خرج قبول دعاء الرسول ﷺ وأىّ من البشر من حدود قضاء الله تعالى وقدره؟ !



ولا تعجب فهذا الرجل كتب وقرأت أن الله تعالى أمدّ بلاده بالأمريكان عام١٩٩٩م. إنه يفسر كتاب الله تعالى، ويعلم أن الإمداد يكون بالخير ﴿أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ (الانفال: ٩) وأن المدّ يكون بالشر ﴿وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ (البقرة: ١٥) فهل الأمريكان الكفرة خير يسوقه الله تعالى إلى قومه ليقاتلوا المسلمين كما أمدّ الله تعالى رسول الله ﷺ بالملائكة ليقاتلوا المشركين؟ إلا انها السياسة تلوى أعناق بعض العلماءمن أجل دنيا وعرض زائل، ولاحول ولاقوة إلابالله.

٦ ـ أقول اخيراً إن ملايين المسلمين قديماً وحديثاً يتوسلون بالنبى ﷺ، وقد جرى على ذلك الأئمة المجتهدون والعلماء الصالحون والزهاد والعباد، فلنحذر تكفير المسلمين بالظن والدعوى والإتهام ونحن نجد لهم دليلاً وبرهاناً فيما يقولون ويفعلون. لنحرص على وحدة كلمة المسلمين أينما كانوا وأى مذهب ذهبوا ما داموا يعتقدون بالحقائق الإسلامية إيماناً وعبادات ومعاملات. لقد قال الله تعالى ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ (الأنبياء٩٢). وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصبحه وأخوانه إلى يوم الدين. سبحانك ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

بسم الله الرحمن الرحيم

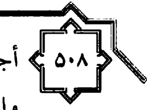
الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير البرية وسيد المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد فقد ورد سؤال فى جواز الاستغاثة والخطاب ب أغثنى يا رسول الله مع أن المتكلم بها فى المدينة المشرّفة أوخارجها[1]؟

فإن قيل بالجواز فهل هذا يخصّ بحضرة الرسالة أم يعمّ كلَّ وليّ من أقطار الأرض كأن يقال: يا سيدى عبد القادر أغثنى، يا مولاي خواجه نقشبندى أغثنى. وما يقال من أن التخليص من المكروه إنما هو بيد الله تعالى وليس الأمرفى ذلك إلى نبى ولا الى وليّ بوجه من الوجوه. نعم الأنبياء والأولياء يشفعون فى العرصات الحشرية[2]. لكن ذلك خاص بذلك الوقت بشرط الإذن والأمر فسؤال الشفاعة منهم والاستغاثة بهم فى الملمّات أمر لايكاد ينفع بل ولا يصح؟ فهل هذا الكلام وأضرابه مقبول عند العلماء الأعلام كثّرهم الله تعالى!

---

١ . يعنى بعيداً عن المستغاث كأن لوكان فى الشام فاستغاث به ﷺ أو فى مصر فاستغاث بالشيخ عبد القادر رضي الله عنه. والغياث: النصر والمعونة. جاء فى (المصباح المنير) أغاثه أعانه ونصره فهو مغيث يقال: استغاث به فأغاثه وقريب منه مافى (القاموس المحيط) وفى القرآن الكريم: ﴿فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِى مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِى مِنْ عَدُوِّهِ﴾ وقال القرطبى: الوسيلة هى القربة عن أبى وائل والحسن ومجاهد وقتادة وغيرهم: هى فعيلة من توسلت إليه أى تقربت.

٢ . يعنى يوم الحشر يوم ابعث والنشور والحشر فيشفع رسول الله ﷺ الشفاعة العظمى ويشفع الرسل والملائكة وصالحوا العلماء المرحومة.



أجيبونا وأفتونا نصركم الله تعالى، فإن الناس فى هذه المسألة فى حيص بيص[١] والمطلوب النصّ الصريح من الكتاب والسنة الصحيحة.

قلت مستعيناً بالله تعالى ولاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم، اللهم علّمنا ما لا نعلم وزدنا علماً ﴿رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ (آل عمران ايه٨) وبعد فلا يخفى أن قول القائل أغثنى يارسول الله ما اراه مستنكراً ولا مستقبحاً[٢]. فهذا مما يثبت الشعور للميت بحملهم له أولاً وذهابهم به ثانياً ومعرفة بما آل إليه أمره من خير أو شر. ومنها ما اخرجه البخارى مختصراً والطبرانى مطولاًعن أنس رضي الله عنه قال: لما انكشف الناس يوم اليمامة قال قلت لثابت بن قيس ألانرى يا عم؟ ووجدته يتخبط فقال: ما هكذا كنا نقاتل مع رسول الله صلى الله عليه وآله بئس ماعودتم أقرانكم اللهم إنى أبرأ إليك مما جاء به هؤلاء وما صنع هؤلاء ثم قاتل حتى قُتل. وكان عليه درع فمرّ به رجل مسلم فأخذها فبينما رجل من المسلمين نائم أتاه ثابت فى منامه فقال: إنى أُوصيك بوصية فإيّاك أن تقول هذا الحلم فتقضيه، إنّى لما قتلت أخذ درعى فلان ومنزله فى أقصى الناس وعند خبائه فرس يستن بطوله، وقد كفّ على الدرع برمة وفوقها رَحل فأتِ خالداً وأخبره فليأخذها وليقل لأبى بكر أن علىّ من الدَّين كذا وكذا، وفلان عتيقٌ.

فاستيقظ الرجل وأتى خالداً فأخبره فبعث خالد إلى الدرع فأتى بها،

---

١ . جاء فى القاموس المحيط: جعلتم الأرض عليه حيص بيص وحيصاً وبيصاً: ضيقتم حتى لا يتصرف فيها.

٢ . قال العلامة نور الدين السمهودى رحمه الله فى كتابه (وفاء الوفاء بأخبار المصطفى صلى الله عليه وآله) اعلم أن الاستغاثة والتشفع بالنبى صلى الله عليه وآله وبجاهه وببركته إلى ربه تعالى من سنن الأنبياء والمرسلين وسير السلف الصالح وواقع من كل حال إلخ (١٣٧١\٤).



وحدث أبا بكر برؤياه فأجاز وصيته[١]. وروى البغوى من وجه آخر عن عطاء الخراسانى عن ثابت عن أنس مطولاً. وهذه القصة أفادت بأن للميت شعوراً تاماً بما يفعل به الحيّ، من ماله ومحلّ إخفائه. فإن قلت هذا يشكل بظاهر قوله تعالى ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً﴾ (سورة يس ٥٠) الآية؟

قلت إنما هى فى حق من تقوم عليهم الساعة بغتة، فلا يقدرون توصية لضيق الوقت كما أشار إليه ابن الخازن فى تفسيره[٢]. ومنها ما اخرجه الشيخان عن أنس ﷺ عن النبى ﷺ قال: «**إن العبد اذا وضع فى قبره وتولى وذهب أصحابه حتى أنه ليسمع قرع نعالهم إتاه ملكان فيقعدان**»[٣] الحديث. ففيه ثبوت بسماع الميت بقرع النعال فبالأولى سماعه لما يتلفظ به من الأقوال[٤].

وأما ما قال ابن الهمام بأن أكثر مشايخ الحنفية أجابوا عن هذا الحديث «**أنه ليسمع قرع نعالهم، أنه مخصوص بأول الوضع مقدمة للسؤال**»[٥]. فهو خلاف

---

١ . انظر البداية والنهاية لابن كثير المتوفى ٧٧٤هـ (٣٢٠\٦) ونسبه إلى الترمذى وقال رواه الطبرانى أيضاً و انظر الاستيعاب للحافظ يوسف بن عبدالبر المتوفى ٤٦٣هـ (١٩٦\١) ومجمع الزوائد من رواية الطبرانى وهو مرسل حسن و انظر (الروح) مختصر الروح لابن القيم ص١٥٨ إلخ.

٢ . قال القرطبى: لا يستطيع بعضهم أن يوصى بعضاً لما فى يده من حق، وقيل لايستطيع أن يوصى بعضهم بعضاً بالتوبة والإقلاع بل يموتون فى أسواقهم ومواضعهم (القرطبى ٣٩\١٥) و انظر (مفاتيح الغيب) للرازى (٩٦\٧) .

٣ . البخارى جنائز (٦٨ ـ ٨٧) ومسلم جنة (٧١ ـ ٧٢) وأبو داود فى الجنائز (٣٢٣١) .

٤ . أقول ومن هنا جاءت سنية تلقى الميت الشهادتين، عند الموت وبعد الموت كما روى عن أبى أمامة و سيأتى.

٥ . قال ابن الهمام بعد الكلام السابق إلا أنه على هذا ينبغى التلقين بعد الموت لأنه يكون حين إرجاع الروح فيكون حينئذ لفظ (موتاكم) على حقيقته وهو قول بعض المشايخ (فتح القدير ٤٤٧\١) أقول جاء فى (البناية على الهداية للعينى ٢٨\٣) وفى اعلاء السنن أن التلقين جائز وندبه

←



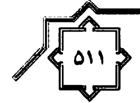
الظاهر أن هذه الحالة حاصلة له فى القبر سرمداً لما أسبقناه من الأدلة التى تقتضى ثبوت سماع الميت ومنها ما جاء فى زيارته ﷺ أهل البقيع (السلام عليكم) والخطاب لهم بقوله **«السلام عليكم دار قوم مؤمنين وأتاكم ما توعدون غداً مؤجلون وإنا إن شاء الله بكم لاحقون»** فإن الخطاب مع من لا يسمع منهم ولا يفهم مما لا يعقل وكان من يعدّ العبث. وليس هذا مخصوصاً به ﷺ، بل الأمر بخطاب القبور بقوله (السلام عليكم) سنة مستمرة لمن يزورالقبور.

وذكروا فى توجيه قوله ﷺ (عليك السلام تحية الميت) فليس المراد منه المنع من تحيته ب السلام عليكم، بل المراد به ما لم يتوقع منه ردّ السلام استوى فى حقه التقديم والتأخير فيفهم منه أن السلام حاصل. ومنها ما اخر الشيخان عن قتادة قال: ذكر لنا أنس بن عن أبي طلحة عن النبي ﷺ (أمر يوم بدر بأربع وعشرين رجلاً من صناديد قريش فقذفوا فى طوىً من أطواء بدر خبيثٍ مُخبثٌ. وكان إذا ظهرعلى قوم أقام بالعرصة ثلاث ليال فلما كان ببدر اليوم الثالث أمر براحلة فشُدَّ عليها رحلها ثم مشى واتبعه أصحابه ثم قام على شفير الركىّ فجعل يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم يا فلان ابن فلان ويا فلان ابن فلان أيسرّكم أنكم أطعتم الله ورسوله فإنا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً فهل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً) ؟

فقال عمر رضي الله عنه: ما تكلم من اجساد لا ارواح لها؟ قال رسول الله ﷺ **«والذى نفسى بيده ما انتم باسمع لما أقول منهم ولكن لا يجيبون»** [١]؟ فدفع

← المجموع فى المذهب الشافعى قال النووى قال جماعات من أصحابنا يستحب تلقين الميت عقب دفنه (٥\٢٧٣) وقال ابن المفلح الحنبلى من الفروع وأما تلقين الميت بعد موته فاستحبه الأكثرون (٢٠٥٧) أقول فى التلقين حديث أبى أمامة قال فيه ابن حجرسنده صالح.

١ . رواه البخارى المغازى غزوة بدر٢٧، وسلم كتاب الجنة ونعيمها (٤\٢٢٠٣) غيرهم.



النبى ﷺ ما توهمه عمر ﵁ من استبعاد سماع الموتى كلام الأحياء، وقرر بأن سماعهم أكثر من سماع الأحياء.

وقال ابن اسحاق: حدثنى بعض أهل العلم آنه ﷺ قال: «**يا اهل القليب بئس العشيرة كنتم كذبتمونى وصدقنى الناس وأخرجتمونى وآوانى الناس، وقاتلتمونى ونصرنى الناس فجزاكم الله تعالى من عصابة شراً خونتمونى أميناً وكذبتمونى صادقاً**»[1].

وقال الزرقانى فى (شرح المواهب) فى قوله ﷺ «**ولكن لا يجيبون**»[2] أى لعدم الإذن لهم فى اجابة أهل الدنيا لقوله تعالى: ﴿**هَـٰذَا يَوْمُ لا يَنطِقُونَ * وَلاَ يُؤْذَنُ لَهُم فَيَعتَذِرونَ**﴾ هذا هوالأصل فلا يقدح فيه كلام بعض الموتى لبعض الأحياء لاحتمال الإذن لذلك البعض[3]. اه وقال السهيلى ما محصَّله: أن فى نفس الخبرما يدل على خرق العادة ذلك لنبيه ﷺ لقول الصحابة: أتخاطب أقواماً قد جيفوا فأجابهم بما أجابهم به[4]. وفى كلام الله تعالى إشارة إلى ما قيل بأن حديث مخاطبته قتلى بدرخصوصية له ﷺ ومعجزه له أنه قال: قال قتادة: أحياهم الله تعالى حتى أسمعهم قوله توبيخاً وتصغيراً ونقمة وحسرة وندامة / البخارى تمام الحديث السابق.

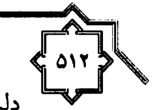
---

١ . انظر سيرة ابن هشام (٢٧٩\٢) وما بعد، والخبر كذلك فى تاريخ الطبرى (٤٥٧\٢) .

٢ . انظر شرح المواهب للزرقانى ولفظ مسلم (ولكن لايستطيعون أن يجيبوا) أى لعدم الإذن (٤٣٤\١) .

٣ . لابن أبى الدنيا رسالة فيمن تكلم ما بعد الموت يأتى النقل إن شاء الله تعالى لحكايات فيها.

٤ . الزرقانى على المواهب (٤٣٥\١) و انظر الروض الأنف نشرالشيخ عبدالرحمن الوكيل والذى لم يضع كثير خير فى تعليقاته سامحه الله تعالى (١٧٥\٥) وروى الطبرانى بسند صحيح عن أن مسعود رضى الله تعالى [يسمعون كما تسمعون ولا يجيبون] وفى لفظ مسلم (ولكن لايستطيعون أن يجيبوا) أى لعدم الأذن لهم فى الإجابة الأهل الدنيا الزرقانى.



ولا يخفى أن الحمل على ذلك مجرد احتمال وتأويل لا يُذهب اليه حتى يقوم دليل على استحالته، والله سبحانه قادرعلى ذلك وعلى تثبيت الحواس للإحساس.

فإن قلت أنه قد ثبت أن عائشة ﵂ قد أنكرت على عمر ﵁ وقالت: [إنما قال النبى ﷺ إنهم ليعلمون أن الذى كنت أقول لهم هو الحق، ثم قرأت ﴿إِنَّكَ لا تُسمعُ الموتَى﴾، حتى قرأت الآية. كما اخرجه البخاري[1].

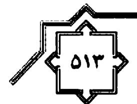
قلت الجواب من ذلك من وجوه أولها ما قاله السهيلى: إنه إذا جاز أن يكونوا فى تلك الحالة عالمين كما أثبتته عائشة ﵂ جاز أن يكونوا سامعين كما اثبته عمر ﵁ مع أن ذلك اللفظ لم ينفرد به عمر ﵁ فإنه ثبت من رواية ابنه عبد الله ورواه أبو طلحة أيضاً فالمعتمد السماع. ثم سماعهم بآذان رؤوسهم إذا قلنا ان الروح تعاد إلى الجسد أو بعضه عند المسألة، وهو قول أكثر أهل السنة[2] وإما بآذان القلب أو الروح على مذهب من يقول بتوجه السؤال إلى الروح من غيررجوع إلى الجسد كله أو بعضه[3]. وثانياً أن معارضتها ﵂ بقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لا تُسمِعُ الموتَى﴾ أو بقوله تعالى: ﴿وَمَا أَنتَ بِمُسمِعٍ مَّن فى القُبور﴾ مانعة من ادعاء الخصوصية فى حديث أهل القليب لصريح نفى الأسماع منه ﷺ باعتبار ظاهر الآية. على أنّ الله تعالى قادر على أن يخلق تلك الحالة في الأموات كلهم عند ندائهم من أى شخص كان وفى اى زمان يكون. وثالثها أنه لم يتلق العلماء انكارها بالقبول، قال الاسماعيلى كان عند عائشة ﵂ من الفهم والذكاء وكثرة الرواية، والنصوص على غوامض العلم لا مزيد عليه لكن لا سبيل الى ردّ رواية الثقة إلّا بنص مثله يدل على نسخه أو

---

١ . رواه البخارى فى المغازى حديث٢٩.

٢ . هم الماتريدية والشاعرة وأكثر أهل الحديث.

٣ . انظر العينى على البخارى (٩٣\١٧) والروض الأنف (١٧٥\٥) والزرقانى (٤٣٦\١) .



تخصيصه أواستحالته وكيف والجمع بين الذى انكرته واثبته غيرها ممكن لأن قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لا تُسمعُ الموتَى﴾ لا ينافى قوله ﷺ: «إنَّهم يسمعون» لأن السماع هو ابلاغ الصوت من المسمع فى أذن السامع فالله تعالى هو الذى أسمعهم بأن أبلغهم صوت النبى ﷺ ذلك ولم يسمعهم المصطفى ﷺ فحصل التوفيق بين الآية والحديث[١]

وأما جوابها [إنما قال انهم الآن ليعلمون] فإن كانت سمعت ذلك من النبى ﷺ او من غيره لأنها لم تشهد القصة فلا تنافى الرواية (يسمعون) إذ العلم لا يمنع السماع كما قدمنا بل يؤيده لأن علم المخاطب فى العادة دائماً يكون بما يسمعه[٢]. ورابعها أن المراد به (الموتى) و (من فى القبور) هم الكفار مجازاً[٣]، باعتبار أنهم موتى القلوب حيث لا تتأثر منه بسماع المواعظ او بيوتهم او اجسادهم التى فيها تلك القلوب الميتة، كأنها قبور لهم وهذا من غير نظر الى حقيقة الكلام. والمراد بنفى سماعهم عدم اجابتهم للحق بدليل أن الايتين نزلتا فى دعاء الكفار الى الايمان وعدم اجابتهم الى ذلك. وخامسها عن عائشة ﵂ رجعت عن انكارها بدليل ما قال فى (المواهب اللدنية) فى المغازى لابن اسحاق رواية يونس ابن بكير باسناد جيد عن عائشة ﵂ مثل حديث ابى طلحه فيه (ما انتم باسمع لما اقول منهم) واخرجه الامام احمد باسناد حسن ﷺ[٤].

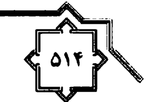
---

١ . انظر الزرقانى (٤٣٤\١١) وانظر الرواية مسلم وفيها ولكن لايستطيعوا أن يردوا على شيئاً.

٢ . قال الزرقانى والنهى فى الصحيح عن عروة ابن عمر قال وقف النبى ﷺ على قليب بدرفقال هل وجدتم ما وعده ربكم حقاً. ثم ذكر الجمع بين قول عائشة والآية الكريمة٤٣٤١.

٣ . انظر الزرقانى (٤٣٥\١١) .

٤ . قال الزرقانى فان كان هذا صحيحاً ـ اى رواية يونس ابن بكير سند جيد ـ كما قال السيوطى فكانها رجعت عن الانكار لما ثبت عندها من رواية هولآء الصحابة الذين رووا القصة. لكونها لم تشهد القصة إلخ الزرقانى (٤٣٤\١١) .



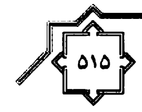
فلعلها لما ثبت عندها الحديث من رواية الصحابة المتعددين رجعت، وروت موافقاً لروايتهم وعذرها فى ذلك أنها لم تحضر (بدراً). ومما يؤيد رجوعها ما اخرجه الترمذى عن عائشة ﵂ [لمازارت قبر اخيها عبدالرحمن ابن ابى بكرالصديق ﵁ خاطبته وقالت والله لو حضرتك ما دفنتك الى حيث مت ولو شهدتك مازرتك].[1] وما اخرجه احمد عن عائشة ﵂: [كنت أضع ثيابى فى بيتى بعد وضع رسول الله ﷺ وابى بكر ﵁ لأنه ما كان هناك الا زوجى وابى، فلما وضع عمر ﵁ كنت أستر نفسى حياءً منه][2] ففى هذا اثباتها لإدراك الميت بهيئته فضلاً عن سماع مقالته. فان قلت كيف يستقيم هذا مع ماذكره الهمام فى (فتحه) من كتاب الجنائز: [أن الميت لايسمع شياً عند اكثر مشايخنا على ما صرحوا به فى كتاب (الايمان) باب اليمين بالضرب انه لو حلف أن لا يكلم ميتاً لا يحنث لأنها تنقد على ما يفهم والميت ليس كذلك[3] قلت بعد تحقيق ثبوت السماع للموتى وفى لفظ الشارع بقوله: وانه يسمع قرع نعالهم وبقوله: «**ما انتم بأسمع منهم**» ومخاطبته بالسلام عليهم. لا يسع العالم المنصف الا التمسك بالحديث (وهجر ما يخالف) و الرجوع الى ما ثبت فى ذلك منه ﷺ والقول والاعتماد عليه وهجر ما يخالف و لو كان القائل هماماً. و لله درّ من قال:

---

١ . توفى أخوها عبد الرحمن ﵁ بجشى مكان يبعد ستة اميال عن مكة المكرمة، اخرج عبدالرزاق فى المصنف (٦٥٣\٣) و انظر تاريخ ابن كثير (٨٩\٧) .

٢ . رواه ابن عساكر فى تحفة الزائر (٢٢٤) جاء فى التمهيد/ لابن عبد البر (ركبت عائشة ﵂ فخرج إلينا غلامها فقلت: اين ذهبت ام المومنين؟ قال ذهبت الى قبر اخيها عبدالرحمن تسلم عليه. التمهيد (٣/ ٢٣٥) و انظر نقل (فتح الغدير) فى جواز نقل الميت من موضع موته الى موضع اخر (١/ ٤٧٢)

٣ . فتح الغدير (١/ ٤٤٧)



العلم ما قال الله وقال رسوله ... الناصح والإجماع فاجتهد فيه
وحذار من نصب الخلاف ... جهالة بين الرسول وبين الفقيه

وقال جمال الدين الهادى ابراهيم:

عليك بما كان النبى محمد ... ودع ما شئت من قول قائل
هو المنسك المرضى والمذهب الذى ... عليه مضى خير القرون الأوائل
فسدت بزى عز حماه وحبه ... كما شقيت بالصد عنه عواذلى
فدنا بالذى كان النبى وصحبه ... واترك غيرهم فى بلابل
اذا انت لم تسلك مسالك رشدهم ... وتمسك من اقوالهم بالوهائل
فقد فاتك الحظ السنى ولم تكن ... الى الحق من نهج السبيل بواصل

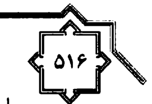
على ما ذكره من مسائل اليمين.

يجاب عنه: بأن الايمان مبنية على العرف، ولا يلزم منه بقاء حقيقة المسمى، كما قالو فيمن حلف لا ياكل اللحم ثم اكل السمك لا يحنث، مع انه تعالى سماه ﴿لَحْماً طَرِيّاً﴾.

وقد ذكر ابن الهمام فى (فتح الغدير) فى فضل الزيارة النبى ﷺ: انهم قالو في زيارة القبور الاولى ان ياتى الزائر من قبل رجلي المتوفى لا من قبل بصره فإنه أتعب لعين الميت بخلاف الاول لأنه يكون مقابل بصره، لأن بصره ناظر إلى جهة قديمه أذا كان على جنبه[1]. انتهى. فقد اثبت رحمه الله للميت اطلاعاً بحاسة بصره وهى أضعف من حاسة السمع لافتقار البصر الى الضوء، وأفاد بأن إطباق الثرى لا تحول بين بصره وبين الناظر، فبالأولى أن لا تمتنع حاسة السمع عن انفاذه.

---

١ . انظر فتح الغدير (٢/ ٣٣٧)



ثم إنا لو نزلنا عن هذا فلا يلزم من نفى السمع نفى العلم لأن السمع يكون بالحاسة التى هى فى البدن، وقد خرب البدن، وأما العلم فيكون بالروح وهو باق، وعلمه لا يكون بالقوى الجسمية فيكون علمه بالمسموعات والمبصرات لا على وجه الابصار والسمع والشعاع ووقوع الصوت كما أوّل بعض المسلمين سمع الله تعالى وبصره بالعلم بالمسموعات و المبصرات.

وهولآء الموتى ومن الصالحين بعد انسلاخهم من صفات البشرية وانقطاع علاقتهم عن الدنيا الدنيه، و ارتياحهم بلقاء الله تعالى والمستوجب لهم السعادة السرورية أُفيضت عليهم من أنوار الحضرة القيومية حتى اوضحت لهم كل خفيه، ورفعت عنهم الحجب من الثريا والمسافة القصية، وقد ثبت ذلك لبعض الأحياء فى حياتهم الدنيوية كما يشير اليه (يا سارية الجبل[1] فى السيرة العمرية) فكيف بمن تجرد وفاز بلقاء الله تعالى واستراح من موجبات الشقاء ولله درّ من قال:

اذا ما بدت ليلى فكلي أعين — وإن هي ناجتني فكلي مسامع

وقد وردت الاثار والاخبار بعلم الموتى باحوال الزائرين لهم ايضاً. وايضاً لا يشك فى حصول العلم للموتى باحوال الآخرة وحقيقة دين الاسلام، فيمكن أن يكون العلم بأحوال الدنيا وأهلها ايضاً ثابتاً.

واما الدليل على حصول العلم لهم مع بقاء الروح لهم فى دارالبرزخ، فهو ما ورد فى الأحاديث أن الشهداء لما رأوا ما عند الله تعالى لهم من النعمة

---

١ . قال ابن عمر أنّ عمر رضي الله عنه وجه جيشاً ورأس عليهم رجلاً يقال له سارية قال: فبينما عمر يخطب جعل ينادى يا سارية الجبل ثلاثاً. ثم قدم رسول الجيش فسأله عمر رضي الله عنه فقال: يا اميرالمومنين هزمنا فبينما نحن كذلك إذ سمعنا منادياً ينادي يا سارية الجبل الجبل فأسندنا ظهورنا الى الجبل فهزمهم الله تعالى، قال فقيل لعمر: إنك كنت تصيح بذلك. وهذا اسناد جيد حسن (تاريخ ابن كثير) .



والراحة لهم قالوا له سبحانه وتعالى [من يخبر إخواننا عن أحوالنا؟] فقال الله تعالى: أنا أُخبرهم بذلك، فأنزل الله تعالى: ﴿ولاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران ـ ١٦٩] ﴿فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ وقد جاء أن الذين قتلوا فى بئرمعونة قالوا: [من يخبر أخواننا بأنا لقينا ربنا فرضى عنا وأرضانا] وانه كان قرآناً ثم نسخ قرآنه[١].

وقد جاء في الحديث: إن الميت اذا فرغ من جواب الملكين بالخير نوّر له فى القبر، ويقال له: نم كنوم العروس، فيقول ارجع الى اهلى فاخبرهم[٢].

فعلم بهذا أن الموتى لهم العلم بالأهل والإخوان والأحباب. وقد ثبت بالقران تمنى الكفار العودة إلى الدنيا، والتحسرعلى إضلال أخلائهم إياهم كما قال: ﴿يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلاَنًا خَلِيلاً﴾ (الفرقان: ٢٨)[٣]. ثم إنه لا حاجة الى هذه الاولوية مع ما قدمناه من الأدلة الصحيحة الصريحة فى ثبوت العلم والسماع لهم، فلا مجال لإنكاره إلاّ لجاهل بالإخبار منكر للدين. وقد ثبت فى حق الموتى ما فوقه (هو) سماعهم نص الكلام وقراءة القرآن.

أما الأول فقد ثبت بهذا كثير من كلام الموتى، وقد قدمنا ذلك.

منهم ربعى بن خراش فقد صرح غير واحد بأنه تكلم بعد الموت[٤].

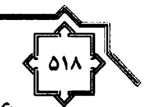
---

١ . رواه البخارى فى الغازى (٥/ ١٣٤) وفيه قال أنس رضي الله عنه: فقرأنا فيهم قرآنا ثم إن ذلك رفع. ورواع مسلم (٣/ ١٥١).

٢ . انظر اللالكائى فى (سنة) عن/ شرح الصدور/ للسيوطى ص١٩٦.

٣ . سورة الفرقان (٢٨) ذلك ان عقبة قال كلمة الاسلام ثم رجع عنها بدعوة صديقه امية بن خلف، وقد قتله النبى ﷺ بعد بدرٍ صبراً فقال للنبى: أأُقتل دون الأسرى فقال: نعم بكفرك وعتوّك، القرطبى (١٣/ ٢٥) أقول فاحذر صديق السوء.

٤ . مات قال أخوه فلما جئنا رفع الثوب عن وجهه وقال السلام عليكم، وفيه وانى سألته أن يأذن لى أن أبشركم فأذن لى (تاريخ ابن كثير) (٦/ ١٥٨) وذكر اخرين تكلموا بعد الموت، ولابن ابى الدنيا كتاب فيمن تكلم بعد الموت.



واما الثانى فقد ثبت ذلك مما اخرجه الترمذى وحسنه، عن ابن عباس ﵄ قال: ضرب اصحاب النبى ﷺ خباءه على قبر وهو لا يحسب أنه قبر فإذا فيه إنسان يقرأ سورة تبارك الذى بيده الملك. فقال النبي ﷺ هي المانعة المنجية من عذاب القبر[1] وهذا القدر كاف فى إثبات سماع الموتى وشعورهم وكلامهم للاحياء وقراءتهم القران، فلا وجه لانكار من انكر ذلك.

وإما[2] أن ينكر دعاء غير الله تعالى: فيقول انه لا يجوز، فيجاب عنه بأن هذا مردود بما اخرجه النسائى فى (عمل اليوم والليلة) فى باب ما يقول اذا خدرت رجله فجلس فقال له رجل: اذكر أحب الناس إليك، فقال يا محمداه فقام ومشى[3]. وأخرج ايضاً عن ابن عبد الرحمن ابن سعد قال: كنت عند ابن عمر ﵄ فخدرت رجله. وأخرج ايضاً عن الهيثم بن حبيش قال: كنا عند عبد الله بن عمرو بن العاص ﵄ فخدرت رجله فقال له رجل اذكر أحب الناس اليك فقال: يا محمداه فكأنما نشط من عقال.

فيستفاد من هذه الاثار جواز نداء الميت بعد موته، قريبا كان منه أو بعيداً. ويؤيد ذلك ما ورد من الفاظ التشهد (السلام عليك ايها النبى ورحمة الله وبركاته) فان أى من حروف النداء، على أن فيه مخاطبة الميت بعد موته. ويستفاد منه انه لا يقتصر جوازه على اشتراط قربه من الميت بل القرب والبعد سيان فى هذا الحكم، وذلك لان المصلى كان مامورا بهذا القول فى تشهده اياً كان[4].

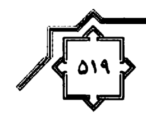
---

١ . الترمذي من فضائل القرآن (٢٨٩٠) و الحاكم (٢/ ٤٩٨) . والبيهقي في عذاب القبر (١٦٥) و في شعب الإيمان.

٢ . انظر ص١٣ من هذه الرسالة.

٣ . النسائى من عمل اليوم والليلة انظر (الأذكارفى أذكار المسافر) للإمام النووى تحقيق الإستاذ أحمد راتب حموش ص٣٣١.

٤ . اى كان فى طيبة الخيرعلى وجود رسول الله ﷺ فى الارض او بعد انتقاله، او كان بعيداً عن المدينة المنورة.



وإما ان ينكر جواز الاستغاثة بغير الله تعالى فيجاب عنه بانه مردود.

بما اخرجه الطبرانى فى الكبير باسناد رجاله ثقاة عن بقية بن غـزوان ﷺ عن النبى ﷺ «**اذا اضلّ احدكم عوناً وهو بارض ليس بها انس فليقـل يـا عبـاد الله اعينونى فان لله عبادا لا نراهم**»[1] وقد جرب ذلك انتهى لفظ الطبرانى.

وقد اخرج ابن ابى شيبة فى مصنفه عن ابن عباس ﷺ موقوفاً انـه قـال: [اذا انفلتت دابته فليناد اعينونا يا عباد الله رحمكم الله].[2]

وقد جاء فى الاستفاده بالميت مـن المكـروه ابـن الـسنى فـى (عمـل اليـوم والليلة) عن على بن ابى طالب ﷺ قال: [اذا كنت بواد تخاف فيه السباع فقل اعوذ بدانيال وبالحبيب من شر الأسد].

على انه قد ثبت بأدلة قويه واسانيد صحيحة حيـاة الانبيـاء الكـرام عليهم افضل الصلاة والـسلام خـصوصاً نبينـا ﷺ وأن الله تعـالى وملائكـة يبلغـون الصلاة والسلام من كل من صلى عليه حيث كان.[3]

ولاينكر قول من ادعى انه قد رآهم فى اليقظة ﷺ بدليل مـا ورد انـه رآى موسى ﷺ[4] رافعاً صوته بالتلبية، ورآى يونس بن متى كذلك.

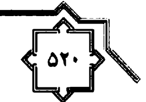
---

١ . الطبرانى فى الكبـير (١٠/ ٢٦٧) (١٧/ ١١٧) وابـو يعلـى فـى مـسنده (٩/ ١١٧)، والحـديث ضعيف، مع ذلك فللحديث طرق تقويه وترفعه من الضعف الى الحسن المعمول بـه وقـد ذكـر البطرانى تجربة ذلك والله اعلم.

٢ . مصنف ابن ابى شـيبة (١٠/ ٤٣٤) والحـديث مرسـل واخرجـه البـزار فـى (كـشف الأسـتار) (٤/ ٣٣).

٣ . انظر (حياة الانبياء) للامام البيهقى حيث ذكر ان لله ملائكة سياحين رواه الحاكم وقـال صـحيح الاسناد واقره الذهبى (٢/ ٤٢١) ورواه احمد وغيره. انظر (فيض القدير) للعلامـة المنـاوى ﷺ (٢/ ٤٧٩) يذكر هنا توسل اهل الكتاب به ﷺ (مقدمة محق التقول).

٤ . رواه الطبرانى فى الأوسط قال فى مجمع الزوائد واسناده حسن (٢٢١٣) وحـديث روايـة ﷺ موسى ﷺ يصلى فى قبره ثابت فى صحيح مسلم.



على أن احياء الله تعالى لمن شاء من الكفار للتعذيب والهوان وليكون موعظة للمؤمنين غير مستنكر، لما رواه الطبراني من الأوسط وإن أبي الدنيا وابن منده وغيرهم، عن ابن عمر رضي الله عنهما [بينما انا سائر بجانب (بدر) إذ خرج رجل من حفرة في عنقة سلسلة فناداني يا عبد الله اسقني، فلا أدري أعرف اسمي أم دعاني بدعاء العرب، وخرج رجل من تلك الحفرة في يده سوط فناداني يا عبد الله لا تسقه فإنه كافر ثم ضربه بالسوط فعاد إلى حفرة. فأتيت النبي ﷺ مسرعاً فأخبرته بذلك، فقال لي «**قد رايته؟ قلت: نعم. قال: ذلك عدو الله الى يوم القيامة**»[1].

وروى ابن ابي الدنيا عن الشعبي ان رجلا قال للنبي ﷺ [إني مررت ببدر فرأيت رجلاً يخرج من الأرض فيضربه رجل بمقمعة معه حتى يغيب في الارض ثم يخرج فيفعل به مثل ذلك مراراً. فقال ﷺ «**ذلك ابو جهل بن هشام يعذب الى يوم القيامة**» كذلك قال الزرقاني في شرح المواهب اللدنية[2].

والرجل الذي ابهمه الشعبي فالظاهر أنه ابن عمر رضي الله عنهما، ويحتمل انه غيره فيكون في ابي جهل تعدد، انتهى.

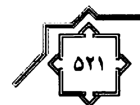
وقال السمهودي في (الوفاء) اعلم أن الاستغاثة التشفع بالنبي ﷺ وبجاهه وببركته إلى ربه من فعل الانبياء والمرسلين، وسنن السلف الصالحين، واقع من كل حال قبل خلقه ﷺ، وبعد خلقه في حياته الدنيوية، ومدة البرزخ وعرصات القيامة[3]. الحال الاول ورد فيه اثار عن الانبياء صلوات الله وسلامه

---

١ . انظر الزرقاني على المواهب اللدنية (١/ ٤٣٨) قال الامام السيوطي واخرج الطبراني في الأوسط وابن ابي الدنيا في كتاب (القبور) واللالكائي في السنة عن ابن عمر وذكر الخير (شرح الصدورص٢٢٦ ثم عن ابن ابي الدنيافي كتاب (من عاش بعدالموت) .

٢ . انظر شرح الصدور، وذكر اكثر من خبر ص٢٢٧.

٣ . وفاء الوفاء، لنورالدين السمهودي المتوفى ٩١١هـ (٤٥/ ١٣٧٣) .



عليهم اجمعين، ولنقتصر على ما رواه جماعة منهم الحاكم وصحح اسناده عن عمر بن الخطاب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ «**لما اقترف آدم ﷺ الخطيئة قال رب اسألك بحق محمد لما غفرت لى فقال الله يا آدم وكيف عرفت محمداً ولم أخلقه؟ قال يا رب: لانك لما خلقتنى بيدك ونفخت فيّ من روحك رفعت رأسى فرأيت على قوائم العرش مكتوباً لا اله الا الله محمد رسول الله فعرفت انك لم تضف الى اسمك الاّ أحب الخلق اليك. قال الله تعالى: صدقت يا آدم إنه لأحب الخلق اليّ إذ سألتنى بحقه فقد غفرت لك ولولا محمد ما خلقتك**» ورواه الطبرانى وزاد (وهو آخر الانبياء من ذريتك)[1].

قال السبكى إذا جاز التوسل بالأعمال كما فى حديث النار الصحيح وهى مخلوقة، فالسوال بالنبى ﷺ أولى وفى العادة أن من له عند شخص قدراً فتوسل إليه فى غيبته إنه يجيبه كرماً للمتوسل به، وقد يكون ذكر المحبوب أو المعظم سبباً للإجابة.

قال: و لا فرق فى هذين التعبيرين بالتوسل والاستغاثة والتشفع ونحوه، ومعناه التوجه به فى حاجته وقد يتوسل بمن له جاه إلى من هو منه[2].

الحال الثانى التوسل به بعد خلقه ﷺ فى مدة حياته فى الدنيا مما رواه جماعة منهم النسائى والترمذى من (الدعوات) من جامعه عن عثمان بن حنيف ﷺ أن رجلاً ضريراً أتى النبى ﷺ فقال: ادع الله أن يعافينى قال: «إن

---

١ . رواه الحاكم من حديث عمر ﷺ وصحح اسناده والبيهقى فى (دلائل النبوة) (٥/ ٤٨٩) والطبرانى فى المعجم الصغير (٢٠/ ٨٠٢) قال الشيخ محمود سعيد والحديث ضعيف كما قال البيهقى ضعّفه الكل الا ابن عدى فانه رغم روايته لمنكرات له فى الكامل (٤/ ٥٨٥) له احاديث حسان وهو مما يحتمله الناس وصدقه بعضهم وهو ممن يكتب حديثه. (امنارة١٩٨) انظر (مفاهيم يجب أن تصحح) للمحدث الشيخ الدكتور محمدعلوى المالكى (١٢٩/ ١٣١).

٢ . انظر وفاء الوفاء (٤/ ١٣٧٣).

شئت دعوت وإن شئت صبرت فهو خير لك، قال فادعه لي، فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه ويدعو بهذا الدعاء (اللهم إني اسألك واتوجه اليك بنبيك نبي الرحمة يا محمد اني توجهت بك إلى ربي في حاجتي لتقضى لي اللهم فشفعه فيّ). قال الترمذي حديث حسن صحيح غريب لانعرفه إلا من هذا الوجه، وصححه البيهقي وزاد (فقام وقد أبصر) وفي رواية (ففعل الرجل فبرأ)»[1].

الحال الثالث: التوسل به ﷺ بعد وفاته. روى البطراني في الكبير عن عثمان بن حنيف المتقدم أن رجلاً كان يختلف إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه في حاجة له فكان لا يلتفت إليه ولا ينظر إليه في حاجة، فلقي ابن حنيف فشكى إليه ذلك فقال له ابن حنيف: ائت الميضأة فتوضأ ثم أئت المسجد فصل ركعتين ثم قل (اللهم إني أسألك واتوجه اليك بنبينا محمد ﷺ نبي الرحمة إني أتوجه بك إلى ربك فتقضي حاجتي، وتذكر حاجتك) فانطلق الرجل ففعل ما قال ابن حنيف رضي الله عنه ثم أتى باب عثمان فجاءه البواب حتى أخذ بيده فأدخله على عثمان وأجلسه معه على الطنفسة، فقال ما حاجتك فذكرحاجته وقضاها له، ثم

---

١ . البيهقي في دلايل النبوة (٦/ ١٦٦) باب ماجاء في تعليم الضرير ما كان شقاؤه فيه. ورواه النسائي (عمل اليوم والليلة) والترمذي من الدعوات والطبراني من الدعاء والحاكم من المستدرك والمنذري من الترغيب والترهيب والهيثمي من مجمع الزوائد من صلاة الحاجة ودعائها، والنووي في الأذكار على انه من الاذكار التي تقال عند عروض الحاجات انظر محق التقول بتحقيق ص١٣٥ . قال الشوكاني: وفي هذا الحديث دليل على جواز التوسل برسول الله إلى الله عزوجل مع اعتقاده أن الفاعل هو هو الله سبحانه وتعالى، وانه المعطي المانع ماشاء الله كان وما لم يشاء لم يكن (تحفة الذاكرين١٦٢) . وقال الامام العيني بعد ذكر حديث استسقاء عمر بالعباس رضي الله عنه، وهو في صحيح البخاري.

وفيه من الفوائد: جواز الاستشفاع باهل الخير والصلاح واهل بيت النبوة (٧/ ٣٣) وجاء مثل ذلك في فتح الباري (٢/ ٧٤)

قال: ما ذكرت حاجتك حتى كانت الساعة. وقال: مهما كانت لك من حاجة فاذكرها، ثم إن الرجل خرج من عنده فلقى ابن حنيف فقال له: جزاك الله تعالى خيراً ما كان ينظر في حاجتي ولا يلتفت إلي حتى كلمته في فقال ابن حنيف: والله ما كلمته ولكن شهدت رسول الله ﷺ وأتاه ضرير فشكا اليه ذهاب بصره فقال له النبى ﷺ (او تصبر) فقال: يارسول الله ليس لى قائد وقد شقَّ علىَّ فقال له النبى ﷺ: «**ائت الميضاة فتوضا وصل ركعتين ثم ادع بهذه الدعوات**». قال ابن حنيف حنيف: فوالله ما تفرقنا وطال بنا الحديث حتى دخل علينا الرجل كأن لم يكن به ضرّ قط)[1] ورواه البيهقى من طريقين واخرج الطبرانى فى الكبير والأوسط بسند فيه روح بن صلاح، وثقه ابن حبان والحاكم وفيه ضعف وبقيه رجاله رجال الصحيح. عن انس بن مالك قال (لما ماتت فاطمه بنت اسد دخل عليها رسول ﷺ فجلس عند راسها فقال «**رحمك الله يا امى بعد امى**» وذكر ثناءه عليها وتكفينها ببردته قال ثم دعا رسول الله ﷺ: اسامة بن يزيد وابا ايوب انصارى وعمر ابن الخطاب وغلاماً اسود، يحفرون فحفروا قبرها. فلما بلغوا اللحد حفره الرسول ﷺ بيده بنحوه واخرج ترابه بيده، فلما فرغ دخل رسول الله ﷺ واضطجع فيها ثم قال: «**الله الذى يحيى ويميت وهو حىّ لا يموت اللهم اغفر لامى فاطمة بنت اسد ووسع عليها مدخلها بحق نبيك والانبياء الذين من قبلى فانك ارحم الراحمين**» وكبر عليها اربعاً و ادخلها اللحد

---

١ . رواه البطرانى فى الكبيره (٧/ ١٩) والبيهقى فى دلائل النبوة من طريقين (٦/ ١٦٧ ـ ١٦٨) والحديث صحيح كما قال مؤلف (المنارة) . وقال ابن تيمية (قاعدةجليلة) حدثنامسلم عن ابراهيم ثنا حماد بن سلمه ثنا أبو جعفر الخطمى عن عمارة بن خزيمة، عن عثمان ابن حنيف وفيه كلام عثمان رضي الله عنه : (إن كانت لك حاجة فافعل مثل ذلك)، قلت: القائل ابن تيمية هذاسند غاية فى الصحة (المنارة ص١١٣) .



هو والعباس وابو بكر رضي الله عنهما[١]. يستفاده من هذا انه ﷺ قد توسل بالانبياء الكرام عليهم السلام فأمته بالأولى لا يمنعون من ذلك.

وقد يكون التوسل به ﷺ بعد الوفاة بمعنى طلب أن يدعو كما كان يدعو في الحياة وذلك فيما رواه البيهقي وابن شيبة عن مالك الدار قال: [اصاب الناس قحط في زمان عمر بن الخطاب رضي الله عنه فجاء رجل الى قبر النبي ﷺ فقال: (يا رسول الله استسق لامتك انهم قد هلكوا)] فاتاه رسول الله ﷺ في المنام فقال: «**ائت عمر فأتى السلام واخبرهم انهم سيسقون وقل له عليك الكيس الكيس**» فاتى الرجل عمر فبكى عمر ثم قال ما آلو إلا ما عجزت عنه.[٢]

وروى السيف في (الفتوح) ان الذي رآى المنام المذكور بلال ابن الحارث المزني احد الصحابة رضي الله عنه[٣]. ومحل الاستشهاد طلب الاستغاثه منه ﷺ وهو في البرزخ، ودعاؤه لربه غير ممتنع في هذا الحالة، وعلمه بسؤال من سأل قد ورد. فلا مانع من سوال الاستسقاء وغير منه كما كان في الدنيا.

قال وقد يكون التوسل به ﷺ بطلب ذلك الامر بمعنى انه ﷺ قادرعلى التسبب فيه بسؤاله وشفاعته الى ربه، فيعود طلب دعائه ﷺ إلى الله تعالى وإن اختلفت العبارة.

---

١ . الطبراني في المعجم الكبير (٢٥/ ٣٥٢) والأوسط (١/ ١٥٢) قال في (مجمع الزوائد) رواه البطراني في الكبير والاوسط وفيه روح بى صلاح وثقه ابن حبان والحاكم وفيه ضعف وبقيه رجاله ثقات انظر (المناره ص١١٥) من حديث روح بن صلاح وقال وهو حديث حسن.

٢ . البيهقي في دلائل النبوة (٧ ـ ٤٧) وابن عبد البرفي الاستيعاب (٢/ ٤٦٤) اسناده صحيح صححه ابن حجر كما في الفتح (٢/ ٤٩٥) وقال الحافظ ابن كثيرفي جامع المسانيد مسند عمر (١/ ١٢٣) اسناده جيد قوي.

٣ . قال الحافظ في الفتح (٢ ـ ٤٩٥) وقد روى سيف في (الفتوح) ان الذي رآى المنام المذكور هو بلال بن الحارث المزني احد صحابة. اقول: والصحابة عدول ثقات فالقصة صحيحة والله اعلم.



الحال الرابع: ان يتوسل به ﷺ فى عرصات القيامة فيشفع الى ربه وذلك مما قام الاجماع عليه، وتواترت الاخبار[١] وروى الحاكم وصححه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (اوحى الله الى عيسى عليه السلام آمن بمحمد وامر من ادركته من امتك ان يؤمنوا به ولولا محمد ما خلقت ادم ولولا محمد ما خلقت الجنة والنار، قد خلقت العرش على الماء فاضطرب فكتب عليه لا اله الا الله محمد رسول الله فسكن قال فكيف لا يشفع ولا يتوسل بمن له هذا المقام والجاه عند مولاه.

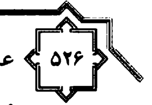
بل يجوز التوسل بسائر الصالحين كما قال السبكى.[٢]

وروى القاضى عياض فى (الشفا) بسند جيد عن مالك. قال ناظر ابو جعفر منصور امير المومنين مالكاً فى المسجد رسول الله ﷺ فقال مالك يا امير المومنين لا ترفع صوتك هذا المسجد فان الله تعالى ادب قوماً فقال: (لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبىّ) الاية ومدح قوماً فقال: (انَّ الذين يغُضُّونَ اصوَاتَهم عند رسول الله) الاية وذم قوماً فقال: (انَّ الذين ينادونك من وراءِ الحجراتِ) الاية وان حرمته ميتاً كحرمته ميتاً. فاستكان لها ابو جعفر فقال يا ابا

---

١ . حديث شفاعة رسول الله ﷺ حديث متواتر، وفيه ما جاء فى لفظ البخارى انه قال: (ان الشمس تدنو يوم القيامة حتى يبلغ العرق نصف الاذن فبينما هم كذلك اذا استغاثوا بآدم ثم بموسى ثم بمحمد فيشفع ليقضى بين الخلق) . البخارى كتاب الزكاة (٥٢) قال ابن حجر معلقاً فى فتح البارى (٤٤١) وفيه ان الناس يوم القيامة يسطحبون حالهم فى الدنيا من التوسل الى الله تعالى فى حوائجهم بانبيائهم. وليعلم من لا يعلم ان التوسل والاستغاثة والشفاعة كلها تدل على معنى واحد وهو توسيط النبي ﷺ بين صاحب الحاجة وبين الله تعالى و المتوسل يعتقد أن الأمر بيد الله وحده لا شريك له.

٢ . قال الامام ابن حجر رحمه الله بعد ذكر قصه توسل عمر بالعباس رضي الله عنهما: [ويستفاد من قصة العباس استحباب الاستشفاع باهل الخيروالصلاح واهل بيت النبوة] (٢/ ٤٧) وقال الامام اعينى فى ذلك ايضاً. [وفيه من فوائد استحباب الاستشفاع باهل الخير والصلاح واهل بيت النبوة] (٧/ ٣٣) .



عبد الله ااستقبل القبلة وادعو أم استقبل رسول الله ﷺ ؟ فقال: لم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة ابيك آدم ﷺ إلى الله تعالى يوم القيامة بل استقبله وتشفع به فيشفعك الله تعالى. قال الله تعالى: (ولو انّهم إذ ظّلموا أنفسهم) الاية.[١]

فانظر الى هذا الكلام من مالك وما اشتمل عليه من امر الزيارة والتوسل بالنبى ﷺ واستقباله اليه عند الدعاء وحسن الادب التام معه.

وقد ذكر ابن الجوزى فى كتاب/ الوفاء/ باسناده الى بكر بن المقرى قال: [كنت انا والطبرانى وابوالشيخ فى حرم رسول الله ﷺ واثر فينا الجوع وواصلنا ذلك اليوم فلما كان وقت العشاء حضرت قبر النبى ﷺ فقلت يا رسول الله ﷺ الجوع، وانصرف فقال ابو القاسم اجلس اما الرزق او الموت. قال ابو بكر فنمت انا وابو الشيخ والطبرانى جالس ينظر فى شىء فحضر بالباب علوى فدق الباب ففتحنا له فاذا معه غلامان مع كل واحد منهما زنبيل فيه شىء كثير، فجلسنا واكلنا، وظننا ان الباقى ياخذه الغلام، فولى وترك عندنا الباقى، فلما فرغنا من الطعام قال العلوى: اشكوتم الى رسول الله ﷺ فانى رأيت رسول الله ﷺ فامرنى ان احمل شيئا اليكم.[٢]

وقال ابن الجلاء: جئت مدينة رسول الله ﷺ وبى فاقة فتقدمت الى القبر وقلت: ضيفك فغفوت فرأيت النبى ﷺ فاعطانى رغيفاً فأكلت نصفه وانتبهت وبيدى النصف الآخر.[٣] وقال ابو الخير الاقطع دخلت مدينة رسول

---

١ . الشفا بتعريف حقوق المصطفى ص٢٧٣.

٢ . و ذكرها العلامة المحب الشيخ يوسف النبهانى المتوفى١٣٥٠هـ فى شواهد الحق من الاستغاثة بسيد الخلق ﷺ ص٢٤٠ وفاء الوفاء.

٣ . المصدرنفسه والصفحه نفسها من شواهد الحق، كذا وفاء الوفاء.



الله ﷺ وانا بفاقة فاقمت خمسة ايام ما ذقت ذواقاً فتقدمت الى القبر وسلمت على النبي ﷺ وعلى ابي بكر وعمر رضي الله عنهما، وقلت: أنا ضيفك يا رسول الله، وتنحيت ونمت خلف القبر، فرأيت في المنام النبي ﷺ وابو بكر عن يمينه، وعمر عن شماله وعلي بن ابي طالب بين يديه فحركني علي رضي الله عنه وقال: قم قد جاء رسول الله ﷺ، فقمت اليه وقبلت بين عينيه فدفع اليَّ رغيفاً فاكلت نصفه وانتبهت فاذا بيدي نصف رغيف.[١] وقال ابوعبد الله محمد ابن ابي زرعة الصوفي: سافرت مع أبي فاصابتنا فاقة شديدة فدخلنا مدينة رسول الله ﷺ وبتنا طاويين، وكنت دون البلوغ فكنت اجيء الى ابي غير دفعة واقول انا جائع، فاتى ابي الى الحظيرة وقال: يا رسول الله ﷺ انا جائع الليلة وجلس على المراقبة، فلما كان بعد ساعة رفع راسه وكان يبكي ساعة ويضحك ساعة، فسئل عن ذلك فقال: [ان رسول الله ﷺ وضع في يدي دراهم، وفتح يده فاذا فيها دراهم، وبارك الله فيها الى ان رجعنا الى شيراز وكنا ننفق منها[٢]. و قال أحمد بن محمد الصوفي: تهت في البادية ثلاثة أشهر فانسلخ جلدي فدخلت المدينة وجئت إلى النبي ﷺ فسلمت عليه و على صاحبيه ثم نمت، فرأيته ﷺ في النوم فقال لي: يا أحمد جئت؟ فقلت نعم وأنا جائع وأنا ضيفك. قال افتح كفيك ففتحتهما فملأهما دراهم فانتهت وهي ملآى. وقمت اشتريت خبز حوارى واكلت ودخلت البادية[٣].

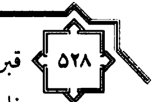
وذكر الحافظ ابو القاسم بن عساكر في (تاريخه) بسنده الى ابي القاسم ثابت بن احمد البغدادي قال: انه راى رجلاً بمدينة رسول الله أذن للصبح عند

---

١ . المصدر السابق، وفاء الوفاء (٤/ ١٣٨١) و انظر تمام (١٦) قصة ذكرها نورالدين السمهودي، وقد ذكر العلامة المحب النبهاني قرابة (٦٨) قصة من هذا النوع، وهناك غيرها كثير.

٢ . المصدر السابق والصفحة نفسها ووفاء الوفاء.

٣ . المصدر نفسه والصفحة ذاتها في المصدرين السابقين.



قبر النبى فقال فيه: (الصلاة خير من النوم) مرتين فجاءه خادم من خدم المسجد فلطمه حين سمع ذلك. فبكى الرجل وقال يا رسول الله: فى حضرتك يفعل بى هذا الفعل ففلج الخادم وحمل الى داره فمكث ثلاثة ايام ومات[١] وهذه الوقائع المذكورة رواها ابن الجوزى فى كتابه (الوفاء) وغيره كالامام محمد بن موسى ابن النعمان فى كتابه (مصباح الظلام فى المستغيثين بخير الانام عليه وعلى اله افضل الصلاة والسلام)[٢].

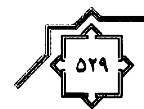
ومن ذلك ما ذكره ابن النعمان انه سمع ممن وقع له او عنه بواسطة فقال: سمعت ابا اسحاق ابراهيم بن سعد يقول: كنت بمدينة النبى ﷺ ومعى ثلاثة من الفقراء، فاصابتنا الفاقة فجئت الى النبى ﷺ فقلت يارسول الله ليس لنا شيء، ويكفينا ثلاثة امداد من اىّ شيء كان فتلقانى رجل فدفع الى بثلاثة امداد من التمر الطيب.[٣] وسمعت الشريف ابا محمد عبد السلام قال: بقيت ثلاثة ايام لم استطعم فيها فاتيت عند قبره ﷺ فركعت ركعتين ثم قلت: ياجدى جعت واتمنى عليك ثريداً ثم غلبتنى عينى فنمت، فبينما انا نائم واذا برجل يوقظنى فانتبهت فرأيت معه قدحاً من خشب وفيه ثريد وسمن ولحم واتانى به قال: كل

---

١ . المصدر السابق. قد بلى مولانا محمدعابدالسندى بمثله حين كان مقيماً فى اليمن فاضطهد من المراقب الزيدى، لانه قال آخر الأذان: (الصلاة خير من النوم) وكان الزيدية لا يرون ذلك مع ان حديث: (اجعلها من اذانك) رواه الترمذى (١٩٨) وابو داوود وابن ماجه وهو صحيح كما قال المعلق على (مراقى الفلاح) والله اعلم.

٢ . ذكرت هذه الحكايات مصادرها من شواهد الحق. ومن جميل ماجاء فيها ان رجلاً اصابه الجوع فاتى النبى ﷺ . . . وفيه ان رجلاً قدم اليه طعاماً ثم قال: الواحد منكم ياتى من البلاد البعيدة ويقطع المفاوز والقفار ويترك الاهل والاوطان وياتى زيارة النبى ﷺ وتكون همته ان يطلب منه كسرة خبز. يا اخى: لو طلبت الجنة والمغفرة او الرضا ومهما طلبته لنلته ببركة النبى ﷺ (الشواهدص٢٤١) .

٣ . انظر وفاء الوفاء (٤/ ١٣٨) .



فقلت له من اين هذا؟ فقال: ان صغارى لهم ثلاثة ايام يتمنون هذا فلما كان اليوم فتح الله لى بشىء عملت به، ثم نمت فرايت رسول الله ﷺ فى النوم وهو يقول: ان احد اخوانك تمنى علىّ هذا الطعام فاطعمه[١]. وسمعت الشيخ ابا عبد الله بن الامان يقول: كنت بمدينة النبى ﷺ خلف محراب فاطمة ؓ وكان الشريف مكثر القاسمى نائماً خلف المحراب المذكور فانتبه فجاء الى النبى ﷺ فسلّم عليه و عاد إلينا مبتسماً فقال له شمس الدين خادم باب ضريح النبي ﷺ فيم تبسمت؟ فقال: كانت بى فاقة فخرجت من بيتى فاتيت بيت فاطمة ؓ فاستغثت بالنبى ﷺ وقلت انى جائع، فنمت فرايت النبى ﷺ وقد اعطانى قدح لبن فشربت حتى رويت، وهذا هو فبصق اللبن من فيه فى كفى وشاهدناه من فيه[٢].

وسمعت عبد الله ابن حسن الدمياطى يقول: حكى لى الشيخ عبد القادر التنسى بثغر دمياط قال: كنت امشى على قاعدة الفقر فدخلت مدينة رسول الله ﷺ وسلمت على النبى وشكوت له ضررى من الجوع واشتهيت عليه الطعام من البر واللحم والتمر، وتقدمت بعد الزيارة للروضة فصليت فيها وبت فيها، فاذا شخص يوقظنى من النوم فانتبهت ومضيت معه وكان شاباً جميلاً خلقاً وخلقاً فقدم لى حفنة ثريد وعليها شاة واطباق من انواع التمر الصيحانى وغيره وخبزاً وتمراً، وقال لك هذا، ودلّنى عليك وعرفنى مكانك بالروضه، وقال لى: انك اشتهيت هذا وأردته[٣]. وسمعت صديقى على ابن

---

١ . المصدر السابق.

٢ . المصدر السابق (١/ ١٣٨٣)

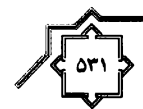
٣ . المصدر السابق وفاء الوفاء (١/ ١٣٨٣) اقول وقد انتشرت رويا نورالدين الشهيد ثلاث مرات للنبى ﷺ فى ليلة واحدة لرجلين نصرانيين فى زى المغاربة كانا يعملان على نبش قبر رسول الله ﷺ وقد كادا يصلان الى الجثة الشريفة فجاء مسرعاً الى المدينه المنورة فتحقق من الامر وراى عمل النصرانيين فقتلهما والحمد لله.



ابراهيم البوصيرى يقول: سمعت عبد السلام ابن ابى القاسم الصقلى يقول: حدثنى رجل ثقة نسى اسمه قال: كنت بمدينة النبى ﷺ ولم يكن لى شىء فضعفت واتيت الحجرة وقلت ياسيد الاولين والاخرين انا رجل من اهل مصر ولى خمسة اشهر فى جوارك وقلت اسأل الله تعالى واسألك يارسول الله ان تسخر لى من يشبعنى او يخرجنى ثم دعوت عند الحجرة بدعوات، وجلست عند المنبر، واذا برجل قد دخل الحجرة فوقف يتكلم بكلام ويقول يا جداه، ثم جاء الىّ وقبض على يدى وقال لى قم فقمت وصحبته فخرج بى من باب جبريل وعلا الى البقيع، وخرج منه فاذا بخيمة مضروبة، وجارية وعبد فقال لهما قوما فاصنعا لضيفكما عشية (عشاء) فقام العبد فجمع الحطب واوقد النار، او قامت الجارية فطبخت وصنعت ملى وشاغلنى بالحديث، حتى اتت الجارية بالملى فقسمها نصفين واتت الجارية بعكّة فيها سمن فعبّ على الملى، واتت بتمر صيحانى، فصنعها حيساً وقال لى: كل فأكلت منها قليلاً فصدرت، فقال لى كل فاكلت، ثم قال لى كل، فقلت: ياسيدى لى شهر ما اكلت فيها حنطة، ولا اريد شيئاً، فاخذ النصف الثانى وضم ما فضل منى من الملي واتى بمزود وصاعين من التمر فوضعه فى المزود، وقال لى ما اسمك؟ فقلت فلان. فقال: بالله عليك لا تعد تشكو الى جدى فانه يعزّ عليه ذلك ومن الساعة متى جعت يأتيك رزقك حتى يسبب لك جدى من يخرجك، وقال للغلام خذه واوصله الى حجرة جدى. فغدوت مع الغلام الى البقيع فقلت له ارجع وقد وصلت، فقال: يا سيدى والله الاجل ما اقدر افارقك حتى وصلك الى الحجرة ليعلم النبى ﷺ بذلك فاوصلنى الى الحجرة وودعنى، فمكثت آكل من الذى اعطانى ثلاثة ايام، ثم جعت بعد اربعة؛ فاذا أنا بالغلام قد اتانى بطعام، ولم ازل كذلك كلما جعت اتانى بطعام حتى سبب الله لى جماعة خرجت معهم الى ينبع.[١]

---

١ . انظر وفاء الوفاء (٤/ ١٣٨٤) وما بعد.



وروى ابن النعمان ايضاً بسنده الى العباس بن قيس المصرى الضرير، قال: جعت بالمدينة ثلاثة ايام فجئت الى القبر وقلت يا رسول الله جعت، ثم نمت ضعيفاً فركفتنى جارية برجلها فقمت اليها فقالت: اعزم فقمت معها الى دارها فقدمت اليّ خبز بر و تمراً وسمناً وقالت: كل يا ابا العباس فقد امرنى بهذا جدى رسول الله ﷺ ، ومتى جعت فات الينا، قال ابو سليمان داوود فى مصنفه فى الزيارة بعد رواية هذا كله، أنّه قد وقع كثير مما ذكر و أمثاله من الذرية الشريفة لا سيما اذا كان المناول طعاماً.[١]

قال السيد السمهودى والحكايات فى هذا الباب كثيرة بل وقع لنا اشياء من ذلك ثم ذكر بعض ما وقع له.[٢]

قال الشيخ عبد الحق الدهلوي في شرح (مشكاه المصابيح) و غيره من مصنفاته ما محصله، وأما الاستمداد بأهل القبور فقد أنكره بعض الفقها، فإنّ كان إنكاره من جهة أنه لا سماع لهم ولا شعور فقد ثبت بطلانه، وإن كان بسبب أن لا قدرة لهم ولا تصرف في ذلك الموطن بل هم محبوسون عن ذلك ومشتغلون بماعرض لهم لانفسهم من المحنة ما شغلهم عما عداهم فلا نرى ذلك كلياً، خصوصاً فى شأن المتقين الذين هم اولياء الله تعالى فيمكن ان تحصل لأرواحهم عند الرب تعالى من القرب فى البرزخ والمنزلة والقدرة على الشفاعة والدعاء وطلب الحاجات لزائريهم والمتوسلين بهم ما يحصل لهم يوم القيامة. وما الدليل على نفى ذلك وقد فسر البيضاوى قوله تعالى:

---

١ . المصدر نفسه.

٢ . وذكر فيها ضياء مفتاح غرفته فجاء النبى ﷺ قال: قلت يا رسول الله ذهب مفتاح الخلوة وانا محتاج اليه، واريده من بابك. ثم قال وجدت صغيراً بيده المفتاح فقلت له من اين لك هذا؟ قال: وجدته عند الوجه الشريف فاخذته منه (٤/ ١٣٨٥) وفيه حكايات تبلغ كما تقدم (١٦) حكاية فانظرها هناك.



﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقاً﴾ الى قوله: ﴿فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْراً﴾ بصفاء النفوس الفاضلة حال المفارقة، فإنها تنزع عن الأبدان (غرقا) اى نزعاً شديداً من اغرق النازع فى النفوس فتنشط الى عالم الملكوت وتسبح فيه فتسبق الى حظائر القدس فتصير لشرفها وقوتها من (المدبرات امراً بالاستمداد الذى ينفيه المنكرون).[1]

والذى يفهم ان الداعى المحتاج والفقير يدعو الله تعالى ويطلب حاجته من الله تعالى ويتوسل بروحانية هذا العبد المقرب المكرم عنده، ويقول ببركة هذا العبد الذى رحمته واكرمته وبما لك به من اللطف والكرم اقض حاجتى واعطنى سؤلى انك انت المعطى الكريم، وينادى هذا العبد المكرم المقرب عند الله تعالى ويقول: يا عبد الله ويا ولى الله اشفع لى وادع ربك وسله ان يعطينى سؤلى ويقضى حاجتى، فالمعطى والمسؤول عنه والمأمول منه هو الربّ تعالى وتقدس.

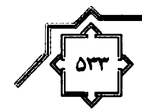
وما العبد فى البين الاّ وسيلة، وليس الفاعل والقادر والمتصرف الا الله تعالى واولياؤه الفانون الهالكون فى علمه وقدرته وسطوته لا فعل لهم ولا قدرة لهم ولا تصرف لهم لا الان، ولا حين كانوا احياء في دار الدنيا فإن صفتهم الفناء والهلاك ليس الآن بل هي ثابتة في حال الحياة ولو كان هذا شركاً وتوجهاً الى غير الله تعالى كما يزعم المنكر فينبغى ان يمنع المتوسل وطلب الدعاء من الصالحين من عباد الله واوليائه فى حال الحياة ايضاً، وليس ذلك مما يمنع فانه مستحب ومستحسن وشائع فى الدين.[2]

---

١ . قال القاضى البيضاوى ﷺ من كلام. ولاشك ان الارواح السابقة اشرفت فلا جرم اوقع القسم بها حيث قال: ﴿فَالسَّابِقَاتِ سَبْقاً﴾ ثم ان هذه النفوس الشريفة لعلوّ همتها فى تكميل النفوس القاهرة، ولشرفها وقوتها لا يبعد ان تظهر فيها آثار وتدبيرات فى هذا العالم فتكون من المدبرات الا ترى أن الانسان قد يرى فى المنام ان بعض الاموات يرشده الى مطلوبه (الجزءالأخير ص١٧٤)

٢ . لان النافع الضار المعطى المانع حقيقة هو الله تعالى، وما يكون من العبد من شىء فبإرادته سبحانه. قال الله تعالى على لسان اشرف خلقه محمد ﷺ: ﴿قُلْ لاَ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا ولاَ ضَرًّا

←

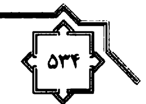


ولو زعم انهم عزلوا واخرجوا من الحالة والكرامة التى كانت لهم فى الحياة الدنيا فما الدليل عليه؟ ومن اشتغل من الموتى عن ذلك بما عرض له من الآفات فليس ذلك طلبنا، ولا دليل على دوامه واستمراره إلى يوم القيامة، غاية ما يقال أنه لم تكن هذه المسألة كلية ولا فائدة الاستمداد عامة بل يمكن أن يكون بعض منهم توجه الى عالم الدنيا ولا تصرف ولا تدبر فيه كما يوجد من اختلاف احوال المجذوبين والمتمكنين من المشايخ فى الدنيا.[1]

واما نفى كونه مطلقاً وان كان كلياً فلا دليل على اهل ذلك، بل الدلائل قائمة على خلافه. نعم ان كان الزائر يعتقد أن اهل القبور متصرفون، مستمدون وقادرون من غير توجه الى حضرة الحق والالتجاء اليه كما يعتقده بعض العوام الغافلون والجاهلون، وكانوا يفعلون أولئك من تقبيل القبور والسجود والصلاة اليها، مما وقع عنه النهى والتحذير فذلك مما يمنع ويحذر منه. وفعل العوام لا يعتبر قط وهو خارج عن المبحث وحاشا من العالم باحكام الدين ان يعتقد ذلك ويفعل هذا.

→ إِلاَّ مَا شَاءَ اللهُ وَلَو كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلاَّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الاعراف:١٨٨]وفى (محق التقول) ذكراقوال من العلماء الاكابر توسلوا واستغاثوا به ﷺ.

١ . انظر ان شئت مواضع من الطبقات الكبرى للعلامة الشعرانى (١/ ١٠٥) وهامشه الانوار القدسية (٢/ ١١) وغيرها، و انظر كتاب (الخبر الدال على وجود القلب والاذناء والنجباء والابدال) للسيوطى، فقد ذكر بسنده الى على رضي الله عنه أنه قيل له: العن اهل الشام يا امير المومنين؟ فقال: لا سمعت رسول الله ﷺ يقول: (الابدال بالشام وهم اربعون رجلاً كلما مات منهم رجل ابدل الله مكانه رجلاً يستسقى بهم الغيث وينتصر بهم على الاعداء ويصرف عن اهل الشام بهم العذاب) رجاله رجال الصحيح، غير شريح بن عبيد وهو ثقة وفيه احاديث واخبار كثيرة وفى حديث «**انما تنصرون وترزقون بضعفائكم**» رواه الترمذى بيان وفيه اشارة لاينكرها الا غافل.



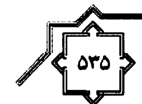
وما نقل عن المشايخ والمكاشفين فى الاستمداد من ارواح الكمّل واستفادتهم مهنم فخارج عن الحصر مذكور فى كتبهم، مشهور بينهم، لا حاجة الى ذكره[١]. ولعل المنكر المتعصب لا يعتقد كلماتهم، عافانا الله تعالى من ذلك.

نعم المروى عن النبى ﷺ فى زيارة القبور السلام على الموتى والاستغفار لهم وقراءة القران، ولكن ليس فيها النهي عن الاستمداد، فتكون الزيارة للإمداد والاستمداد معاً، على تفاوت حال الزائر والمزور.

قال رحمه الله واقول انا بل ثبت فى السنة الاستمداد ايضاً، وذلك فيما روى ابن عساكر فى (تاريخه) وابن الجوزى فى (مثير الغرام) وابن النجار باسانيدهم الى محمد بن حرب الهلالى قال: اتيت قبر النبى ﷺ فزرته، فجلست بحذائه فجاء عتبى وذكر ما سيأتى، بل روى ابو سيد السمعانى عن على رضي الله عنه قال: قدم علينا عتبى بعد وفاة رسول الله ﷺ بثلاثة ايام فرمى نفسه على قبره او حثى من ترابه على راسه وقال يا رسول الله ﷺ قلت فسمعنا قولك ووعيت عن الله سبحانه وتعالى ما وعينا عنك، وكان فيما انزل عليك: ﴿**وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ**﴾ الاية وقد ظلمت نفسى وجئتك تستغفر لى، فنودى من القبر

---

١ . ذكرالسمهودى فى حكمة زيارة القبور انها تكون الاحد اموراربعة اولاً: ان تكون لمجرد تذكرة الآخره. ثانياً: قد تكون للدعاء لاهل القبور. ثالثاًقدتكون للتبرك اذا كانوا من اهل الصلاح. رابعاًوقد تكون لاداء حق القبور وقد روى ان رسول الله ﷺ قال: «**آنس ما يكون الميت فى قبرة اذا زاره من كان يحبه فى الدنيا**» قال السبكى، وزيارت قبرالنبى ﷺ فيها هذه المعانى الاربعة، فلايقوم غيرها مقامها. وقال ابن العربى عن زيارةقبور الانبياءوالاصحابة والتابعين والعلماء وسائرالمرسلين للبركة اثر معروف وفاء الوفاء (٤/ ١٣٦٢) و انظر (سرالروح) مختصر كتاب (الروح) ففيه ما يفيد ترائى الاموات للاحياء ومايفعلون ص١٥٧، و انظر فى كتاب/ الروح/ لابن القيم حكاية ذبح الرافضى الذى كان يسبّ الشيخين رضي الله عنهما ذلك من الحكايات ص٢٨١ منه.



انه غفر لك اه[1] . فهذه القصة كانت بمشهد الصحابه كلهم، ولم ينكر على العتبى احد منهم فى مقاله ولا فى فعل من افعاله، فهذاكالإجماع منهم على جواز ذلك.

ولا يقال ان الخلاف إنما هو فى غير الانبياء الكرام عليهم الصلاة والسلام، واما انهم فى حياتهم فلا شك فيها، ولاخلاف الحد من العلماء فى ذلك، ومن استشكل عليه قوله عليه الصلاة والسلام «**ما من احد يسلم إلاّ ردّ الله علىّ روحى حتى اردّ عليه السلام**» اخرجه ابو داود من حيث ابى هريرة ﷺ بسند صحيح[2]. فيجاب عنه بانه خطاب على قدر فهم مخاطبين انه لابد من ردّ الروح ليسمع فكأنه قال اسمع تمام السماع وأجيبه تمام الاجابة مع دلالته على ان الردّ عند اول سلام المسلم ولم يرد قبضها بعد، ولا قائل به لتوالى الموتات التى لا تحصى، و أن الرد معنويٌّ من الاستغراق فى الشهود فهو التفات روحانى الى دوائر القربة من الاستغراق فى الحضرة العلية[3].

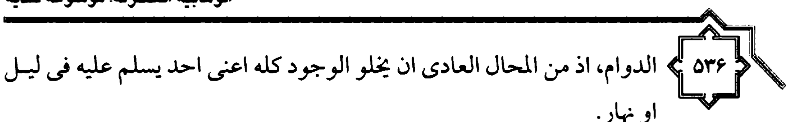
جاء فى (خلاصة الوفاء) عن البيهقى، وقال ابن حجر الهيثمى فى (الجوهر المنظم) ما محصله: إن المراد بالروح النطق كما صرح به جماعة، فهو ﷺ حىّ على

---

١ . ذكرها ابن عساكرفى تاريخ دمشق، وابن الجوزى فى (مثير الغرام) وغيرهماوتمام الكلام فى وفاءالوفاء (٤/ ١٢٦١) وذكرها المقدسى فى المغنى (٣/ ٥٨٨ ـ ٥٨٩) ونقل الامام النووى فى الاذكارقصة العتبى، وذكرها ابن كثير فى تاريخ وقال: اسناده صحيح (١٠/ ٩١) وذكر شعارالمسلمين فى موقعة يا محمداه (٦/ ٣٢٤) .

٢ . رواه ابو داود (٢/ ٢٩٣) واحمد (٥/ ٥٢٧) والبيهقى فى الحياة الانبياء ص١١، وفى شعب الايمان (٢/ ٢١٧) والله اعلم.

٣ . البيهقى فى كتاب (الاعتقاد) وزاد مع اننا نعتقد ثبوت الادراكات كالعلم والسماع لسائر الموتى، فضلاًعن الانبياء ونقطع بعود الحياة لكل ميت فى قبره كما ثبت فى السنة ولم يثبت انه يموت بعد ذلك ثانية، بل ثبت نعيم القبر وعذابه، وادراك ذلك من الاعراض المشروطة بالحياة. انظر وفاءالوفاء (٤/ ١٣٥٥) .



الدوام، اذ من المحال العادى ان يخلو الوجود كله اعنى احد يسلم عليه فى ليل او نهار.

وهذا بناء على عدم اشتراط حضور المسلم بل لو سلم احد من اقصى الآفاق ردّ عليه ﷺ كما هو ظاهر لفظ الحديث لكن ما لم يلزم من حياته ﷺ دوام نطقه افاد بهذا الحديث الشريف انه يرد على المسلّم بلفظه الشريف لردّ الله تعالى عليه نطقه ﷺ.

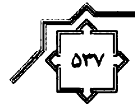
والحاصل ان الادلة على حياة الانبياء الكرام متكاثرة لا يسع هذه الاوراق حصرها، وقد الف السيوطى رحمه الله فى ذلك رسائل متعددة.

والاستمداد منهم لايزال فى عصرنا ناهيك فى زمان الخلفاء الراشدين مع اطلاعهم على قصة العتبى وسكوتهم عن الانكار عليه، لا يسع كل ذى فضيلة وفهم ان يتردد فى جواز ذلك.[1] و أما غيرهم من الاولياء والصالحين فقد ورد فى جواز الإستمداد منهم اثر عن العلماء المجتهدين لأنا نقول: قد ذكر ابن الجوزى فى (صفة الصفوة) انه كان ابراهيم الحربى يقول: [قبرمعروف الكرخى الترياق المجرّب][2] ونقل الامام الشافعى رحمه الله انه قال: [قبر موسى الكاظم ترياق مجرب] ونقل عن بعض المشايخ العظام انه قال: [وجدت اربعة من الاولياء يتصرفون فى قبورهم مثل تصرفهم فى حياتهم اكثر من ذلك احدهم معروف

---

١ . تقدمت قصة العتبى مفصلة.

٢ . انظر سير اعلام النبلاء ترجمة معروف الكرخى (٩/ ٣٤٣)، وقد ذكر الذهبى زيارة قبر السيدة نفيسة وقال: والدعاء مستجاب عند قبرها وعند قبور الانبياء والصالحين الخ (١٠/ ١٠٧) وقال فى ترجمة ابن فورك: ومشهده يزار ويستجاب الدعاء عنده (١٧/ ٤١٥) و انظر الكثيرة من هذه الشواهد فى (كشف الستور عما اشكل من احكام القبور) للشيخ المحدث محمود سعيد ص٢٢٢. والكتاب غنى فى بابه مفيد فى موضوعاته، فقد جمع ما تفرق فى كتب فجعله فى هذا الكتاب. جزاه الله تعالى خيراً.



الكرخى وثانيهم الشيخ عبدالقادر الجيلانى] وعدّ اثنين من الأولياء غيرهما. وقال الامام الحجة محمد الغزالى: [من يتوسل ويتبرك به فى حياته يتوسل ويتبرك به بعد مماته].[1]

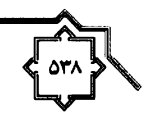
قال الشيخ عبد الحق الدهلوى ﷺ. هذا كلام موافق للدليل لثبوت بقاء الروح بعد الموت للأدلة الحديثية واجماع الأُمة، والتصرف فى الحياة وبعد الممات انما هو للروح لا البدن، والمتصرف الحقيقى انما هو الله تعالى، والولاية عبارة عن الفناء فى الله والبقاء به تعالى. وهذه النسبة بعد الموت اتم واكمل.

وقال سيدى الشيخ احمد بن زروق انه سألنى يوماً شيخنا ابو العباس حضرمى أن أمداد الحىّ اقوى أو أمداد الميت أقوى؟ فقلت أن قوماً يقولون إن امداد الحىّ اقوى وانا اقول: ان امداد الميت اقوى. قال نعم لأنه فى بساط الحق، وفى حضرته تعالى، وعند اهل التحقيق ان الروح الزائر تقابل الروح المزور فيستوجب انعكاس الشكل لواقع انوار الولى الصالح وأسراره اـ ه.[2]

---

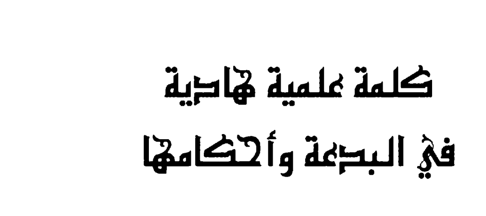
١ . انظر وفاءالوفاء.

٢ . نقل العلامة الكوثرى ﷺ عن العلامة الرازى فى كتابه (المطالب العالية) وهو من نفع كتبه فى اصول الدين قوله:[فكل ما حصل فى نفس الزائر الحى من المعارف البرهانية والعلوم الكسبية، والأخلاق الفاضلة من الخضوع له والرضا بقضاء الله تعالى ينعكس منه نور الى روح الميت، وكل ما حصل ذلك انسان الميت من العلوم المشرقة الكاملة فإنه ينعكس منه نور الى روح هذا الزائر إلخ و انظر محق التقول ص١٢٢ والله اعلم.



المصادر

السنة والبدعة لفضيلة الشيخ عبد الله محفوظ الحداد باعلوی.
اتقان الصنعة فی تحقيق معنى البدعة للمحدّث الشيخ عبد الله الصديق الغماری.
البدعة وتحديدها وموقف الاسلام منها للشيخ الدكتور عزت عطية.
اثر الحديث التشريف فی اختلاف الفقهاء للشيخ محمد عوّامة.
قواعد فی علوم الفقه للشيخ العلامه حبيب احود الكيرانوی ﷺ.
الجواهر المضية فی طبقات الحنفية للشيخ عبد القادر القرشی.
المعيار المعرب (١٣) جزءاً لأبی العباس الو نشريسی.
وغيرها...



تأليف:

وهبي سليمان غاوجي



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على النبى المصطفى وآله وصحبه واخوانه ومن والى. امابعد.. فهذه رسالة طويلة الى اخوتى العلماء فى بلدى وفى كل مكان.

تعالوا الى كلمة سواء فى الدعوة الى الله.

نتعاون فيما انفقنا عليه ويعذر بعضاً فيما اختلفنا فيه كما قال الامام حسن البنا رحمه الله.

وهبى

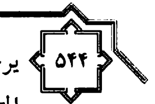


بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة علمية هادية في البدعةِ وَأحكامها

تمهيد ببشارة:

بشارات عودة المسلمين إلى الإسلام في كل مكان ظاهرة بيّنة، كثيرة لايـأتي عليهـا بـسهولة حـصرٌ. و أجلـى تلـك البـشارات في ميـدان المـال: المـصارف الإسـلامية، و الـشركات الإسـلامية، و المؤسـسات الإسـلامية، و الكتابـات الموضوعية المظهرة لحرمة النظم الربوية علـى اخـتلاف صـورها و أسـمائها، و المجلية لعيوبها في تطبيقها، و على اخـتلاف البلـدان، و الميـادين. و أجلاهـا في ميدان العلم عامةً: الرجوعُ إلى سنة رسول الله ﷺ و حديثهِ الشريف. فما أكثـرَ ما يطبع من كتب الحديث الـشريف المعروفـة، و مـا ينـشر مـن كتـب الحـديث الشريف غير المعروفة عند كثير من الناس؛ و الكثير منها يطبع من غير شروح و تعاليق للعلماء الفقهاء عليها. و من أجل ذلك ربما وقع القارىء غيرُ المزود بـزاد الفقه، و الجالس بين يدي العلماء و المستفيد من علومهم؛ أقول: ربـما وقـع هـذا القارىء في المتناقضات، ور بما اندفع إلى العمل بكل حديث صحيح عند فـلان من العلماء والمحدثين، وربما زين لنفسه أن يقول: نعمل بهذا الحديث حيناً آخـر. فهو لايسأل العلماء المختصين المشهود لهم بالعلم عند أهل العلم من الأحياء، أو



يرجع إلى كتب الأموات منهم؛ ولا يسعى إلى معرفة الأصح و الأرجح، و المتقدم و المتأخر و المخصص و المقيد من تلك الأحاديث، و إن كان محصلاً للعلوم التي تجعله أهلاً للنظر، و الحكم. وهو حين يثبت تلك الأحاديث على إطلاقها ربما توهم ـ و أوهم غيره ـ أن رسول الله ﷺ كان ينسى أحياناً ما حدث به سابقاً، و يغير مؤخراً ما قاله مقدماً أو فعله؛ مع أنه النبي المعصوم ﷺ ، و المنزل عليه قولهُ سبحانه و تعالى: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلاَ تَنسَىٰ﴾.

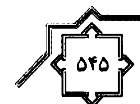
لقد رأينا كبار المحدثين من السلف الصالح يشيدون بالفقهاء المحدثين الذين أنقذهم الله بهم من البلبال، وظنيِّ التعارض أو التخالف في حديث رسول الله ﷺ.

قال عبد الله بن المبارك عالم خراسان ﵀: لولا أن الله تعالى أعانني بأبي حنيفة و سفيان كنت كسائر الناس[١]. وقال سفيان بن عيينة: أول من أقعدني للحديث و صيّرني محدثاً أبو حنيفة[٢].

و قال عبد الله بن و هب أحد أصحاب مالك ﵁: لقيت ثلاثمائة عالم و ستين عالماً ولولا مالك والليث لضللت في العلم[٣].

ثم روي عنه قوله أيضاً: اقتدينا في العلم بأربعة، اثنان بمصر و اثنان بالمدينة: الليث بن سعد و عمرو بن الحارث بمصر، و مالك و الماجشون بالمدينة، ولولا هؤلاء لكنا ضالين. و علّق العلامة الكوثري ﵀ على كتاب (الانتقاء) لابن عبد البر ـ والذي ذكر كلام ابن وهب ـ فقال: و لفظ ابن عساكر بسنده إلى ابن وهب: لولا مالك بن أنس و الليث بن سعد لهلكت، كنت أظن

١ . تبييض الصحيفة ص١٦ .
٢ . الجواهر المضية ١/ ٣١ .
٣ . ابن حبان في مقدمة كتابه (المجروحين)



أنّ كل ما جاء عن رسول الله ﷺ يُفعل به ـ و في رواية: لضللت ـ يعني لاختلاف الأحاديث. ثم قال الكوثري: كما يقع لكثير من الرواة البعيدين عن الفقه غير مميزين ما قارن الفعل عما سواه[١]. و في رواية القاضي عياض لقول ابن وهب بيان فنوردها. قال ابن وهب: لو لا أن الله أنقذني بمالك و الليث لضللت، فقيل له: كيف ذلك؟ قال: أكثرتُ الحديث فحيرني، فكنت أعرض ذلك على مالك و الليث فيقولان لي: خذ هذا ودع هذا[٢]. و قال سفيان بن عيينة: الحديث مضلةٌ إلا للفقهاء. يريد أن غيرهم قد يحمل شيئاً على ظاهره و له تأويل من حديث غيره، أو دليل يخفى عليه، أو متروك أوجب تركه غيرُ شيء مما لا يقوم به إلا من استبحر و تفقه.[٣]

و سئل ابن رشد عن: الحديث مضلة إلا للفقهاء، ما وجهه؟ ولا يسمى الفقيه فقيهاً إلا بعد معرفة الحديث؟ ! فأجاب: إضافة هذا إلى النبي ﷺ ليس بصحيح، إنما هو قول ابن عيينه و غيره من الفقهاء، وهو صحيح المعنى، لأن الحديث قد يرد خصوصاً و معناه العموم، و منه ما يرد على العكس، و منه الناسخ و المنسوخ، و منه ما يصحبه عمل، و منه المشكل يقتضى ظاهره التشبيه كحديث النزول والصورة و «**من تقرب إلَيّ شبراً تقربت منه ذراعاً...**» الحديث، و منه الأحاديث التي سألت عن معناها إذ لايعرف معنى هذا إلا الفقهاء. فمن جمع الحديث فلم يتفقه فيه أصلاً حمله على العموم أو الخصوص، أو غير ذلك على ظاهره. و قولك الفقيه لا يسمى الفقيه إلاّ بعد معرفة الحديث، لايرد ذلك إذ لا يستحق ذلك بمعرفته للحديث، بل بتفقهه فيه؛ فإذا لم يتفقه فيه فليس بفقيه

---

١ . الانتقاء في فضائل الأئمة الثلاثة الفقها ص٢٧ ـ ٢٨

٢ . ترتيب المدارك٢/ ٤٢٧ .

٣ . الجامع للأمام ابن أبي زيد القيرواني ص١١٨ .



ولو جمعه، بل أصلح ذلك كما قال ابن عيينة[1].

و قال الفضل بن دُكين أحد مشاهير شيوخ البخاري: كنت أمرُ على زفر بن الهذيل من كبار أصحاب أبي حنيفة و هو محتبٍ بثوب فيقول: يا أحول، تعال حتى أغربل لك أحاديثكَ. فأُريه ما سمعت، فيقول: هذا يؤخذ به و هذا لا يؤخذ به، و هذا ناسخ و هذا منسوخ[2]. و كان عبد الله بن المبارك يقول في فقه الإمام ا ابي حنيفة ﷺ: لا تقولوا رأي أبي حنيفة، ولكن قولوا تفسير الحديث[3]. بعض أولئك الذين يقرءون متون الأحاديث و لا يبالون بأقوال الفقهاء المختصين في تلك الأحاديث، يفتون و يوجهون و يرجحون بما قد يكون شذوذاً في الأقوال و الأحكام، ما سبقهم إليها المتقدمون من الأئمة الأعلام؛ بل ربما دفعهم قولهم بصحة حديث إلى إساءة الظن بالأئمة المجتهدين والعلماء المتبوعين، أو اتهامهم بجهل الحديث؛ و ربما دفعهم غرورهم بأنفسهم إلى الحكم بتجاهل أولئك الأئمة حديث رسول الله ﷺ و أعراضهم عنه، و ما أخطرها تهمة! ورحم الله الإمام أحمد بن حنبل الذي قال ـ فيما رواه عنه ابنه صالح ـ : ينبغي للرجل إذا حمل نفسه على الفتيا أن يكون عالماً بوجوه القرآن، عالماً بالأسانيد الصحيحة، عالماً بالسنن.[4] و قال ابنه عبد الله: سألت أبي عن الرجل يكون عنده الكتب المصنفة فيها قول رسول الله ﷺ و الصحابة و التابعين و ليس للرجل بصيرة بالحديث الضعيف المتروك، ولا الإسناد القوي من الضعيف فيجوز أن يعمل بما شاء و يتخير منها و يفتي به و يعمل به؟ قال:

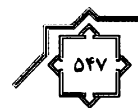
---

١ . المعيار المعرب لأبي العباس الونشريسي١٢/ ٣١٤ .

٢ . الخطيب البغدادي.

٣ . مناقب الموفق المكى٢٣٤ .

٤ . أعلام الموقعين٢/ ٢٥٢ .



لا، حتى يسألَ ما يؤخذ به منها فيكون يعمل على أمر صحيح، يسأل عن ذلك أهلَ العلم[١]. و قال الإمام الشافعي رحمه الله: لا يحل لأحد أن يفتي في دين الله تعالى إلّا رجلاً عارفاً بكتاب الله تعالى: بناسخه و منسوخه، و محكمه و متشابهه، و تأويله و تنزيله، و مكيّه و مدنيّه، و ما أُريد به. و يكونُ بعد ذلك بصيراً باللغة، بصيراً بالشعر و ما يحتاج ا اليه للسنة و القرآن، و يستعمل هذا مع الأنصاف؛ و يكون بعد هذا مشرفاً على اختلاف أهل الأمصار، و تكون له قريحة بعد هذا. فإذا كان هكذا فله أن يتكلم و يفتي في الحلال و الحرام، و إذا لم يكن هكذا فليس له أن يفتي[٢]. قال خلف بن عمر: سمعت مالك بن أنس يقول: ما جلست للفتوى حتى سألت من هو أعلم مني هل يراني موضعاً لذلك؟ سألت ربيعة و سألت يحيى بن سعيد فأمراني بذلك. فقلت: يا أباعبد الله فلو نهوك؟ قال: كنت أنتهي، لا ينبغي لرجل أن يرى نفسه أهلاً لشيئ حتى يسأل من هو أعلم منه[٣].

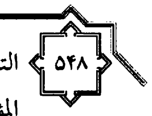
ثم قال الشيخ: حبيب الكيرانوي ـ الذي أورد هذه النقول السابقة ـ : و في هذا رد صريح على هؤلاء السفهاء الذين يوجبون الاجتهاد على كل أحد. ور بما تلفقوا فهوماً لبعض العلماء في بعض النصوص خالفوا في تلك الفهوم جماهيرَ العلماء، فأخذوا بتلك الفهوم و رددوها، فقالوا بها و اعتقدوا بها ثم أفتوا بها و دعوا اليها، فوقعوا و أوقعوا غيرهم في بلابل و تشويشات؛ بل تسببوا في التخاصم و المقاطعة و سوء الظن، و الوقوع في الغيبة المحرمة و العياذ بالله. و نذكر في هذه الكلمة مسألة أدت و تؤدي إلى التنافر بين طلاب العلم و إلى

---

١ . قواعد في علوم الفقه للمحدث الفقيه الشيخ حبيب أحمد الكيرانوي ص٥ نقلاً عن أعلام الموقعين.

٢ . المصدر السابق ص٦ نقلاً عن (الفقيه والمتفقه) للخطيب البغدادي.

٣ . المصدر نفسه ص٦ عن تزيين الممالك للسيوطي ٧ ـ ٨ .



التباعد و ربما المقاطعة و فصم عرى الأُخوة التي عقدها الله تعالى بين عباده المؤمنين بقوله سبحانه: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾. و ما نقصد بهذه الكلمة إن شاء الله إلا النصح و إلارشاد و إبانة الحق الذي يراه جماهير العلماء. فمن رآه من القراء الكرام من أهل العلم حقاً تبعه؛ و من لم يره، و هو من أهل العلم فليعذر و لا يخاصم، و لا يسئ الظنَ و القولَ، و لقيل: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا﴾. أما العامة فليسوا من أهل النظر، و لا الاجتهاد و الحكم على النصوص؛ بل الذي عليهم ما قال الله تعالى: ﴿فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُم لاَ تَعْلَمُونَ﴾. و هذه المسألة هي: (البدعة وأحكامها).

نصوص في البدعة

قال جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: كان رسول الله ﷺ إذا خطب احمرّت عيناه و علا صوته و يقول: «**أما بعد فإن خير الحديث كتاب الله، و خير الهدي هديُ محمد ﷺ، و شر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة**». رواه مسلم.

و عن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: و عظنا رسول الله ﷺ موعظة بليغة، وجلت منها القلوب و ذرفت منها العيون، فقلنا: يا رسول الله، وكأنها موعظة مودِّع، فأوصنا. فقال: «**أوصيكم بتقوى الله عزّ و جلّ و السمع والطاعة، و إن تأمّر عليكم عبدٌ حبشي. و إنه من يعش بعدي، فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي و سنة الخلفاء الراشدين من بعدي، عضّوا عليها بالنواجذ؛ و إياكم و محدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة**». رواه أبو داود، و الترمذي و قال: حديث حسن صحيح. و قال القاسم: سمعت



عائشة رضي الله عنها تقول: قال رسول الله ﷺ: «**من أحدث في أمرنا ما ليس منه فهو ردّ**» رواه البخاري. قال العلماء: إن البدعة التي ذكرها رسول الله ﷺ و نفّر منها أمته هي: الأمر المستحدث في الدين مما يخالف أصول الدين؛ أو لا ارتباط له بأصول الدين؛ ولا يدخل في دائرة حدوده، أو يتفق و روح الدين و قواعده.

فشرطوا في تلك البدعة:

١ ـ أن تكون في الدين؛ اي في شرائع الدين من العبادات و الأحكام، لا فيما يعدّ من وسائل العيش و العمل المباح. و قد اتفقوا على أن ما ابتدع من الأمور الدنيوية ـ من وسائل السير و النقل، و الإقامة والمسكن، و المتاجر و الطرق، و من مسائل المرافق العامة؛ بل من و سائل و أنشطة المدارس و المعاهد و الجامعات في تلقين المعلومات، و إفراد بعض الاختصاصات، و تأليف الكتب و تصنيفها و طبعها، و من وسائل إعداد الأطعمة و أنواعها و ازدراع الخضروات و الفواكه، و الملابس المقيدة بقيود التستر و عدم التشبه، و المراكب المختلفة، و أمثال ذلك ـ ليس بدعة محظورة، و قالوا تبعاً لهذا: إن قوله ﷺ: «**كل محدثة بدعة؛ وكل بدعة ضلالة**» مقيدٌ بما يستحدث في الدين. و هذا لاينكره المتشدد في إنكار البدعة، و ليس له دليل من السنة. ولكن هي أفعال من الرسول ﷺ ، ثم الصحابة، و الناس بعدهم.

٢ ـ وأن تكون مخالفة لأصل من أصول الدين، و لا تدخل في حدود الدين و مشمولاته. أما كان مقرراً لأصل من أصول الدين، أو داخلاً في حدوده، و يتفق و روح الدين و قواعده؛ فلا يشمله كذلك قوله ﷺ: «**كل محدثة بدعة ضلالة**».



أقوال العلماء في معنى البدعة:

البدعة لغة من الابتداع: وهو: كل شيء أُحدث على غير مثالٍ سابق، و منه قوله تعالى: ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾. أي خالقهن ابتداءً، و على غير مثال سابق. و البديع صفة مشبهة بمعنى اسم فاعل أي مبدع. و البدعة اصطلاحاً: ما خالف سنة الرسول ﷺ. قال: «**كل أمر ليس عليه أمرنا فهو رد**». رواه البخاري و غيره. يعني أن ما كان عليه أمرنا فليس بمردود و لا مرفوض.

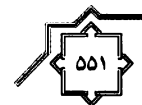
١ ـ قال الإمام محمد بن إدريس الشافعي ﷺ: البدعة بدعتان: محمودة ومذمومة؛ فما وافق السنة فهو محمود، و ما خالفها فمذموم[١]. و هذا التقسيم من حيث معنى الكلمة في اللغة فما يكون مستحدثاً مما يوافق أصول الدين و قواعده يسمى محموداً، مثل طبع المصاحف و ضبط القراءات، و أُصول الحديث رواية و دراية، و تدوين كتب السيرة و الفقه. و ما خالف ذلك و خرج عنه يسمى مذموماً قبيحاً: و هو مردود مثل بدع العقائد، و العبادات، و المعاملات، و الأنكحة، و مساواة المرأة بالرجل في غير ما ساوى الله بينهما فيه، و جعل الطلاق و فصم عرى النكاح بيد القاضي، و الاحتكام إلى غير شرع الله تعالى في قضايا كثيرة أو قليلة، و غيرها.

٢ ـ و قال الحافظ ابن حجر ـ عند الكلام على قول عمر ﷺ في صلاة التراويح: (بدعة ونعمت البدعة) ـ : البدعة أصلها ما أُحدث على غير مثال سابق؛ و تطلق في الشرع في مقابل السنة فتكون مذمومة. و التحقيق أنها إن كانت مما يندرج تحت مستحسن في الشرع فهي حسنة، و إن كانت مما يندرج تحت مستقبح فهي قبيحة، و إلا فهي من قسم المباح[٢].

---

١ . رواه أبو نعيم في الحيلة٩/ ١١٣ (ترجمة الشافي) .

٢ . فتح الباري٤/ ٣٥٢ .



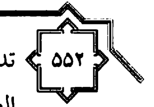
٣ ـ و قال القاضي أبو بكر ابن العربي رحمه الله في (عارضة الأحوذي في شرح صحيح الترمذي) عند شرح قوله ﷺ: «**إياكم ومحدثات الأمور**»: اعلموا ـ علمكم الله ـ أن المحدث على قسمين: محدث ليس له أصل إلا الشهوة والعمل بمقتضى الإرادة، فهذا باطل قطعاً ـ يعني هو المراد ببدعة الضلالة ـ؛ ومحدث بحمل النظير على النظير، فهو سنة الخلفاء و الائمة الفضلاء ـ يعني فليس المراد به بدعة الضلالة ـ و ليس المحدث و البدعة مذموماً للفظ محدث و بدعة، و لا لمعناها؛ فقد قال الله تعالى: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِن ذِكْرٍ مِن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾، و قال عمر: (نعمت البدعة). و إنما يذم من البدعة ما خالف السنة، و يذم من المحدثات ما دعا إلى ضلالة. اه[1].

٤ ـ و قال الإمام النووي رحمه الله في (تهذيب الأسماء واللغات): البدعة ـ بكسر الباء ـ في الشرع: إحداث ما لم يكن في عهد رسول الله ﷺ. و هي منقسمة إلى حسنة و قبيحة.

٥ ـ و قال الشيخ المجمع على إمامته و جلالته و تمكنه من أنواع العلوم و براعته، أبو محمد عبد العزيز بن عبد السلام رحمه الله تعالى و رضي عنه في آخر كتابه (القواعد). البدعة منقسمة إلى و اجبة و محرمة و مندوبة و مكروهة و مباحة. و الطريق في ذلك أن تعرض البدعة على قواعد الشريعة؛ فإن دخلت في قواعد الإيجاب فهي و اجبة، أو في قواعد التحريم فمحرمة، أو المندوب فمندوبة، أو المكروه فمكروهة، أو المباح فمباحة. و للبدع الواجبة أمثلة: منها الاشتغال بعلم النحو الذي يفهم به كلام الله تعالى وكلام رسوله ﷺ، و ذلك واجب، لأن حفظ الشريعة واجب ولا يتأتى حفظها إلا بذلك، و ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب. و الثاني حفظ غريب الكتاب و السنة. و الثالث

---

١ . عارضة الأحوذي١٠/١٤٦ـ١٤٧ .



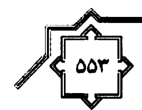
تدوين أصول الدين و أصول الفقه. و الرابع الكلام في الجرح و التعديل و تمييز الصحيح من السقيم. و قد دلت قواعد الشريعة على أن حفظ الشريعة فرض كفاية فيما زاد على المتعيَّن، و لا يتأتى ذلك إلا بما ذكرنا. و للبدع المحرمة أمثلة منها مذاهب القدرية و الجبرية و المرجئة و المجسمة، و الردّ على هؤلاء من البدع الواجبة. و للبدع المندوبة أمثلة: منها إحداث الربط و المدارس، وكل إحسان لم يعهد في العصر الأول. و منها التراويح و الكلام في دقائق التصوف و في الجدل، و منها جمع المحافل للاستدلال إن قصد بذلك وجه الله تعالى.

و للبدع المكروهة أمثلة: كزخرفة المساجد و تزويق المصاحف. و للبدع المباحة أمثلة: منها المصافحة عقب صلاة الصبح و العصر، و منها التوسع في اللذيذ من المآكل و المشارب و الملابس، و لبس الطيالسة و توسيع الأكمام. و قد يختلف في بعض ذلك فيجعله بعضُ العلماء من البدع المكروهة، و يجعله بعضهم من السنن المفعولة في عهد رسول الله ﷺ فما بعده؛ و ذلك مثل الاستعاذة في الصلاة و البسملة. اه. وكذا نقله الحافظ في الفتح وسلَّمه[١].

٦ ـ و قال ابن الأثير ـ في (النهاية في غريب الحديث) عند كلمة (بدعة) ـ : البدعة بدعتان: بدعةُ هدى و بدعة ضلالة. فما كان خلاف ما أمر الله تعالى و رسوله ﷺ ، فهو في حيز المدح. و من لم يكن له مثال موجود كنوع من الجود و السخاء وفعل المعروف؛ فهو من الأفعال المحمودة. و لا يجوز أن يكون ذلك في خلاف ما ورد الشرع به؛ لأن النبي ﷺ قد جعل له ثواباً فقال: «**من سّن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها**»، وقال في ضده: «**ومن سنّ سنة سيئة كان عليه وزرها و وزر من عمل بها**»، و ذلك إذا كان في خلاف ما أمر الله به أو

---

١ . و انظر (إتقان الصنعة في تحقيق معنى البدعة) للمحقق المحدث الشيخ عبد الله الصديق الغماري ص١٥ و نقلها عن فتح الباري الشوكاني في (نيل الأوطار) وأقره وأدخل عليها الأحكام الخمسة.



رسولهُ ﷺ. و من هذا النوع قول عمر ﷺ: (نعمت البدعة هـذه) لما كانـت من أفعال الخير و داخلة في حيز المدح سماها بدعة و مدحها؛ لأن النبـي لم يـسنها لهم، و إنما صلاها ليالى ثم تركها، ولم يحافظ عليها و لا جمع النـاس لها؛ و لا كانت في زمن أبي بكر ﷺ، و إنما عمر ﷺ جمع الناس عليها. فبهـذا سـماها بدعة و هي في الحقيقة سنة لقوله ﷺ: «**عليكم بسنتي و سنى الخلفاء الراشدين من بعدي**»، و قوله: «**اقتدوا باللذين من بعـدي أبي بكـر وعمـر**». و علـى هـذا التأويل يحمل الحديث الآخر: «**كل محدثة بدعة**»[1]. إنما يريد: مـا خـالف أصـول الشريعة ولم يوافق السنة.

٧ ـ و قال الحافظ زين الدين ابن رجب الحنبلي ﷺ: والمراد بالبدعـة: مـا أحدث مما لا أصل له في الشريعة يدل عليه. أما ما كان له أصل من الـشرع يـدل عليه فليس ببدعة شرعاً، وإن كان بدعة لغة. اه[2].

٨ ـ وقال أحمد بـن حجـر الهيتمـي صـاحب الفتـاوي الحديثيـة، والفتـاوي الفقهية، وكف الرعاع، وغيرها، ﷺ: البدعة في اللغة ما كان مخترعاً؛ و شرعاً ما أُحدث على خلاف أمر الشارع، ودليله الخاص والعام[3].

٩ ـ وقال الشيخ محمد بخيت المطيعي ﷺ: إن البدعـة الـشرعية هـي التـي تكون ضلالة ومذمومة؛ وأما البدعة التي قسمها العلماء إلـى واجـب وحـرام.. إلخ، فهي البدعة اللغوية، وهى أعمُّ من الشرعية، لأن الشرعية قسم منها[4].

---

١ . النهاية١/ ٧٩ .

٢ . جامع العلوم و الحكم طبع الهند ص١٦ .

٣ . التبيين في شرح الاربعين ص٣٢ .

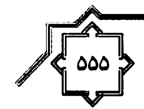
٤ . أحسن الكلام في البدعة والسنة نقلاً عن الفتاوي الحديثيـة ص٢٠٥ . و انظـر البدعـة تحديـدها وموقف الإسلام منها للشيخ الدكتور عزت عطية ص١٦٢، وغيرها فقـد ذكـر تعـاريف كثـيرة جزاه الله خيراً. والكتاب جيد ينصح القارى الكريم بقراءته.

عام مخصوص

ذكرنا من قبل أن «**كل محدثة بدعة**» مخصص بغير المستحدث في أمور الدنيا، مما استحدث من وسائل المرافق العامة والمساكن والمراكب، والمصانع والأسلحة وما إلى ذلك؛ وأن هذا الأمر لا يختلف فيه اثنان. ونضيف الآن: «**كل محدثة بدعة**» مخصص بغير المستحدث في أمور الدين، مما استحدث موافقاً لأصول الدين وقواعده مثل: ﴿**وَافْعَلُوا الْخَيْرَ**﴾ و ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾. و نذكر لهذه المقولة آثاراً كثيرة وقع بعضها في عهد رسول الله ﷺ، فأقرّها بعد فعل الناس إياها؛ لا لأن رسول الله ﷺ أقرّهم عليها في حق فاعليها، و آثاراً وقعت في عهد الصحابة رضوان الله تعالى عليهم؛ و آثاراً وقعت بعدهم، أخذ بها الناس و لم يروها بدعاً منكرة.

١ ـ ما وقع في عهد رسول الله ﷺ:

١ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال لبلال عند صلاة الفجر: «**يا بلال حدثني بأرجى عمل عملته في الإسلام فإني سمعت دفّ نعليك في الجنة**». قال: ماعملت عملاً أرجى عندي أني لم أتطهر طهوراً في ساعة من ليل أو نهار إلا صليت بذلك الطهور ما كتب لي. رواه البخاري ومسلم. و في حديث الترمذي ـ و قال: حديث حسن صحيح ـ: قال ﷺ لبلال: «**بم سبقتني إلى الجنة؟**». قال: ما أذّنت قط إلا صليت ركعتين، و ما أصابني حدثٌ قط إلا توضأت ورأيت أن لله عليّ ركعتين. فقال النبي ﷺ «**بهذا نلت**». و موضع الشاهد ظاهر؛ فأنه كان يلازم صلاة بعد الوضوء على كل حال، ويرى أن ذلك عليه لله تعالى بدون أمر شرعي به.



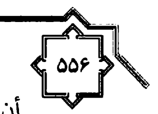
قال الحافظ ابن حجر في الفتح: يستفاد منه جواز الاجتهاد في توقيت العبادة؛ لأن بلالاً توصل إلى ما ذكر بالاستنباط، فصوبه الرسول ﷺ اه.[١] ٢ ـ وروى البخاري و مسلم و غيرهما في كتاب الصلاة عن رفاعة بن رافع رضي الله عنه قال: كنا نصلي وراء النبي ﷺ فلما رفع رأسه عن الركوع قال: «**سمع الله لمن حمده**». فقال رجل وراءه: ربنا ولك الحمد حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه. فلما انصرف قال: (من المتكلم؟) قال: أنا، قال: (رأيت بضعة وثلاثين ملكا يبتدرونها، أيهم يكتبها).

قال ابن حجر في الفتح: يستدل به على جواز إحداث ذكر في الصلاة غير مأثور، إذا كان غير مخالفٍ للمأثور؛ و على جواز رفع الصوت بالذكر ما لم يشوّش. اه. قلت: وموضع الشاهر ظاهر بيّن.

٣ ـ وروى البخاري في باب الجمع بين السورتين في الركعة من كتاب الصلاة عن أنس رضي الله عنه قال: كان رجل من الأنصار يؤمهم في مسجد قباء؛ كلما قرأ افتتح سورة، يقرأ بها لهم في الصلاة مما يقرأ به، افتتح ب ﴿**قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ**﴾حتى يفرغ منها؛ ثم يقرأ سورة أخرى معها. و كان يصنع ذلك في كل ركعة، فكلمه أصحابه فقالوا: إنك تفتتح بهذه السورة، ثم لا ترى أنها تجزئك حتى تقرأ بأُخرى. فقال: ما أنا بتاركها، إن أحببتم أن أؤمّكم فعلت، وإن كرهتم تركتكم. و كانوا يرون أنه من أفضلهم، وكرهوا أن يؤمهم غيره. فلما أتاهم النبي ﷺ أخبروه الخبر، فقال: «**يا فلان، ما يمنعك أن تفعل ما يأمرك به أصحابك؟ وما يحملك على لزوم هذه السورة في كل ركعة؟**» فقال: إني أحبها. فقال النبي ﷺ: «**حبّك إياها أدخلك الجنة**».

---

١ . فتح الباري ٣/ ٢٧٦ .

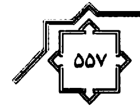


قال الحافظ ابن حجر: والحامل له على الفعل المحبةُ وحدها، ويوحي إلى أن في فعله زيادة على فعل النبي ﷺ؛ فدل تبشيره بالجنة على الرضا بفعله.

٤ ـ روى البخارى في مواضع من صحيحه عن أبي سعيد الخدرى رضي الله عنه أن رهطاً من أصحاب النبي ﷺ انطلقوا في سفرة سافروها حتى نزلوا على حيّ من أحياء العرب فاستضافوهم، فأبوا ان يضيفوهم. فلدغ سيد ذلك الحى، فسعوا له بكل شيء، لا ينفعه شيء. فقال بعضهم: لو أتيتم هؤلاء الرهط الذى نزل بكم لعله أن يكون عند بعضهم شيء! فأتوهم فقالوا: يا أيها الرهط، إن سيدنا لدغ فسعينا له بكل شيئ لا ينفعه شيء، فهل عند أحد منكم شيء؟ فقال بعضهم: نعم والله وإنى لراق، ولكن والله لقد استضفناكم فلم تضيفونا، فما أنا براق لكم حتى تجعلوا لنا جعلاً. فصالحوهم على قطيع من الغنم. فانطلق يتفل ويقرأ: ﴿اَلْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعالَمِينَ﴾ حتى كأنما نشط من عقال، فانطلق يمشي ما به قلبة. قالوا: فأوفوهم جعلهم الذي صالحوهم عليه. فقال بعضهم: اقسموا. و قال الذي رقى: لا تفعلوا حتى نأتى رسول الله ﷺ فنذكر له الذي كان، فننظر ما يأمرنا به. فقدموا على رسول الله ﷺ، فذكروا له فقال: «**وما يدريك أنها رقية؟ أصبتم!اقسموا، واضربوا لي معكم بسهم**».

قال الحافظ في الفتح في كتاب (الإجارة): قوله: «**وما يريك...**» إلخ. كلمة تقال عند التعجب من الشيء، وتستعمل في تعظيم الشيء، أيضاً وهو لائق هنا. زاد شعبة في روايته: ولم يذكر نهياً، أي من النبي ﷺ. وزاد سليمان بن قنة في روايته بعد قوله: «**وما يدريك أنها رقية**»: فقلت: يا رسول الله، شيء ألقي في روعي. اه.

قال الشيخ عبد الله محفوظ الحداد باعلوى: وهذا صريح في أن الصحابى لم يكن عنده علم متقدم بمشروعية الرقي بالفاتحة؛ ولكنه شيء فعله باجتهاده ولم



يكن فيه مخالفة للمشروع لأن هذه سنته وطريقته في إقرار ما كان من الخير، ولا تترتب عليه مفسدة وإن لم يكن من عمل رسول الله ﷺ نصاً. اه.[١]

٥ ـ روى أصحاب السنن وأحمد و ابن بريدة عن أبيه قال: دخلت مع رسول الله ﷺ المسجد فإذا رجل يصلي يدعو: اللهم إني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله، لا إله إلا أنت، الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد. فقال النبي ﷺ: «**والذي نفسي بيده، لقد سأل الله باسمه الأعظم الذي إذا سئل به أعطى، وإذا دعي به أجاب**». قلت: و موضع الشاهد ظاهر أن الصحابي الكريم دعا الله تعالى وأثنى عليه بما ألهمه الله تعالى إياه، دون أن يسبق له تعليم من رسول الله ﷺ و مع ذلك فقد اقره عليه ـ فداه أمي وأبي ﷺ ـ.

٦ ـ روى مسلم في صحيحة عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: خرج معاوية على حلقة في المسجد، قال: ما أجلسكم؟ قالوا: جلسنا نذكر الله. قال: آلله، ما أجلسكم إلا ذاك؟ قالوا: آلله ما أجلسنا إلا ذاك. قال: أما إني لم استحلفكم تهمة لكم، و ما كان بمنزلتي أقل حديثاً مني. إنّ رسول الله ﷺ خرج على حلقة من أصحابه، فقال: (ما أجلسكم؟) قالوا: جلسنا نذكر الله، ونحمده على ما هدانا و منّ به علينا. قال: «**والله ما اجلسكم إلا ذاك؟**» قالوا: الله ما أجلسنا إلا ذاك. قال: «**أما إني لم أستحلفكم تهمة لكم، ولكنه أتاني جبريل فأخبرني أن الله يباهي بكم الملائكة**». و قد بوّب له النووي في (رياض الصالحين) باب فضل حلق الذكر، و هو نص في كل اجتماع على خير يدخل في معنى ذكر الله تعالى. قلت: وموضع الشاهد ظاهر؛ فقد أقرّ رسول الله ﷺ الاجتماع في بيوت الله تعالى بقصد ذكر الله تعالى والثناء عليه، ولو لم يأمرهم هو به ولم

---

١ . السنة والبدعة ص٣٩ .



يفعله ﷺ. وفي صحيح مسلم أنه ﷺ قال: «**لايقعد قوم يذكرون الله، إلا حفتهم الملائكة، وغشيتهم الرحمة، و نزلت عليهم السكينة، و ذكرهم الله فيمن عنده**». بعض الأحباب يقولون إن عبد الله بن مسعود ﵁ أخرج قوماً من المسجد كانوا يذكرون الله تعالى فيه، كما روى ذلك الدارمي في سننه[١]، لكن فاتهم أن هذا أثر ولا يعارض الحديث بل يرد الأثر بالحديث الصحيح. و كيف والأثر وإن ذكره جمع من الفقهاء، لكن لم يوجد له أثر فيه الحكم بن المبارك، قال فيه ابن أبى حاتم: صدوق وربما وهم[٢]. قال المحدث الفقيه الشيخ عبد الحى اللكنوي ﵀: والجواب عنه من وجوه: أحدها: أن هذا الأثر وإن ذكره جمع من الفقهاء، لكن لم يوجد له أثر في كتب الحديث بل الثابت عنه خلافه. ونقل كلام السيوطي وهو: ورأيت ما يقتضى إنكار ذلك عن ابن مسعود و هو ما رواه أحمد بن حنبل في كتاب الزهد حدثنا حسين بن محمد بسنده عن أبي وائل قال: هؤلاء الذين يزعمون أن عبد الله كان ينهى عن الذكر، ما جالست عبد الله مجلساً إلا وذكر الله فيه. انتهى كلامه. ثانيها: أنه على تقدير ثبوته معارضٌ بالأحاديث الصريحة في جواز الجهر غير المفرط. و هي مقدمة عليه عند التعارض... إلخ[٣].

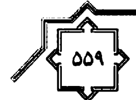
٧ ـ أخرج أحمد و ابو داود والبخاري ـ تعليقاً ـ عن عمرو بن العاص ﵁: أنه لما بعث في غزوة ذات السلاسل قال: احتلمت في ليلة باردة شديدة البرد، فأشفقت إن اغتسلت أن أهلك، فتيممت وصليت بأصحابي صلاة الصبح. فلما قدمنا على رسول الله ﷺ ذكروا له ذلك، فقال: «**يا عمرو**

---

١ . ١/ ٦٩.

٢ . الجرح والتعديل ٣/ ١٤٢ .

٣ . عن كتاب (سباحة الفكر في الجهر بالذكر)، تحقيق و تعليق المحدث الفقيه الحجه الشيخ عبد الفتاح أبو غدة و فقه مولاه ص٤٢ .



صليت بأصحابك و أنت جنب؟» فقلت: ذكرت قول الله تعالى: ﴿وَلاَ تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً﴾ فتيممت وصليت فضحك رسول الله ﷺ، و لم يقل شيئاً. قال الشيخ عبدا لله محفوظ: فضحك رسول الله ﷺ و سكوته خير دليل على الرضا و التصويب؛ لأنه لا يقرُ أحداً على باطل. اه.[1]

٨ ـ وروى أحمد بن حنبل والطبراني ـ ورجاله ثقات ـ عن أبي موسى الاشعرى رضي الله عنه قال: أتيت النبي ﷺ و معي نفر من قومي، فقال: «**أبشروا وبشروا من ورائكم، أنه من شهد أن لا إله إلا الله صادقاً بها دخل الجنة**». فخرجنا من عند النبي ﷺ نبشر الناس، فاستقبلنا عمر، فرجع بنا ألى رسول الله ﷺ، فقال عمر: يا رسول الله، إذن يتكل الناس! فسكت رسول الله ﷺ. قلت: و موضع الشاهد ظاهر في أن رسول الله ﷺ أقرَّ المعنى الذي ذكره عمر رضي الله عنه، من الخوف أن يتكل الناس على الاعتقاد، ويدعوا العمل الصالح.

٩ ـ وروى أحمد والطبراني ـ بسند حسن كما في مجمع الزوائد ـ عن عقبة ابن عامر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال لرجل يقال له ذو البجادين إنه أواه. و ذلك أنه كان كثير الذكر لله عزوجل في القرآن، وكان يرفع صوته في الدعاء. قلت: وموضع الشاهد أن رسول الله ﷺ أقر الرجل على رفع الصوت بالذكر والدعاء، بل سماه أواهاً، ويالها من رتبة.

١٠ ـ روى أبو داود في كتاب الجهاد بسنده إلى عبد الرحمن بن أبى ليلى أن عبد الله بن عمر حدثه: أنه كان في سرية من سرايا رسول الله ﷺ فحاص الناس حيصة فكنت فيمن حاص. فلما برزنا قلنا: كيف نصنع وقد فررنا من الزحف وبؤنا بالغضب؟ فقلنا: ندخل المدينة فنبيت فيها لنذهب ولا يرانا أحد. قال: لو عرضنا أنفسنا على رسول الله ﷺ؛ فإن كانت لنا توبه أقمنا، و إن كان غير

---

١ . السنة والبدعة ص٥٢

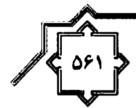


ذلك ذهبنا. فجلسنا لرسول الله ﷺ قبل صلاة الفجر، فلما خرج قمنا إليه فقلنا: نحن الفرارون فأقبل علينا فقال بل آنتم العكارون) فدنونا فقبلنا يده. فقال (أنا فئة المسلمين). و موضع الشاهد أنه ﷺ أقرهم على تقبيل يده. فأين من يسميه السجدة الصغرى؟

٢ ـ آثار وقعت في عهد الصحابة رضوان الله تعالى عليهم:

١ ـ قال زيد بن ثابت رضي الله عنه: قُبض رسول الله ﷺ و لم يكن القرآن جمع في شيء. روى البخاري وغيره عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: أرسل إلى أبوبكر مقتل أهل اليمامة، فإذا عمر بن الخطاب عنده فقال أبو بكر: إنّ عمر أتاني فقال: إنّ القتل استحرّ يوم اليمامة بقراء القرآن، و إنى أخشى أن يستحر القتل بالقراء في المواطن فيذهب كثير من القرآن، وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن. فقلت لعمر: كيف نفعل شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ؟ قال عمر: هو والله خير. فلم يزل يراجعنى حتى شرح الله صدري لذلك، ورايت فى ذلك الذي رأى عمر. قال زيد: قال ابوبكر: إنك شاب لا نتهمك، وقد كنت تكتب الوحى لرسول الله ﷺ، فتتبع القرآن، اجمعه. فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال، ما كان أثقل عليّ مما أمرني به من جمع القرآن. قلت: كيف تفعلان شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ ؟ قال: هو والله خير. فلم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدرى للذى شرح الله له صدر أبى بكر، فتتبعت القرآن أجمعه من العسب و اللخاف وصدور الرجال. إلخ الحديث المعروف. و هكذا جمع القرآن الكريم لأول مرة في قراطيس، كما قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما [١].

١ . الإتقان في علوم القرآن١/ ٥٩ .



٢ ـ وروى البخاري و غيره عن أنس ﷺ أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان ـ وكان يغازى أهل الشام في فتح أرمينية و أذربيجان مع أهل العراق ـ فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة ـ فقال لعثمان: أدرك الأُمة قبل أن يختلفوا اختلاف اليهود والنصارى. فأرسل إلى حفصة أن ارسلى الينا الصحف ننسخها في المصاحف، ثم نردها إليك؛ فأرسلت بها حفصه إلى عثمان، فأمر زيد بن ثابت و عبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبدالرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف. إلخ الحديث المعروف. و فيه أنه ارسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق. قال الحارث المحاسبي ﷺ: المشهور عند الناس أن جامع القرآن عثمان، وليس كذلك؛ إنما حمل عثمانُ الناس على القراءة بوجه واحد على اختيار وقع بينه و بين من شهده من المهاجرين والأنصار، لما خشى الفتنة عند اختلاف أهل العراق والشام في حروف القرائات. فاما ما قبل ذلك، فقد كانت المصاحف بوجوه من القراءات المطلقات على الحروف السبعة التى انزل بها القران، فاما السابق الى جمع القرآن فهو الصديق. وقد قال على: لو وليت لعملت بالمصاحف التى يعمل بها عثمان. اه.[1]

٣ ـ روى البخارى و غيره عن أبى هريرة ﷺ قال: لما توفى رسول الله ﷺ، و كان ابوبكر، و كفر من كفر من العرب، فقال عمر بن الخطاب ـ أى لابى بكر ﷺ ـ : كيف تقاتل الناس و قد قال رسول الله ﷺ: «**أمرت أن اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله؛ فمن قالها، فقد عصم منى ماله ونفسه إلا بحقه؟**» فقال ـ يعنى ابابكر ﷺ ـ : والله، لاقاتلن من فرَّق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال. و الله، لو منعونى عناقاً ـ الانثى من المعز ـ كانوا

١ . المصدرنفسه (١/ ٦٠) . ولم يصح خبر أن علياً ﷺ كتب القرآن فجمعه فى مصحف واحد.



يؤدونها الى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعها. قال عمر: فو الله، ما هو إلا ان قد شرح الله صدر ابى بكر رضي الله عنه للقتال، فعرفت انه الحق.

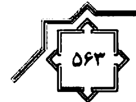
و موضع الشاهد ظاهر، فقد فعل ابو بكر والصحابة رضي الله عنهم ما لم يفعله رسول الله ﷺ من قتال من منع أداء الزكاة، و قتل النفس شديد في الاسلام.

٤ ـ روى البخاري و مالك بن عبدالرحمن بن عبدالقاري انه قال: خرجت مع عمربن الخطاب ليلة في رمضان الى المسجد، فإذا الناس أوزاع متفرقون؛ يصلي الرجل لنفسه، ويصلي الرجل فيصلي بصلاته الرهط. فقال عمر رضي الله عنه: إني أرى لو جمعت هؤلاء على قارىء واحد لكان امثل. ثم عزم فجمعهم على ابيّ بن كعب. ثم خرجت معه ليلة أُخرى والناس يصلون بصلاة قارئهم، قال عمر: نعمت البدعة هذه، والتي ينامون عنها أفضل من التي يقومون ـ يريد آخر الليل، و كان الناس يقومون اوله.

وموضوع الشاهد ظاهر أن عمر رضي الله عنه جمع الناس لاول مرة على امام واحد، وفعل ذلك بعده عثمان ثم علي رضي الله عنهما. و ما تزال السّنة العمرية هذه معمولاً بها في سائر بلاد المسلمين والحمد لله.

قلت: وقد أساء الادب وانحرف بفهم النصوص عن فهم الائمة اسماعيل الامير الصنعاني، في تعليقه على قول عمر رضي الله عنه: (نعمت البدعة هذه)، فقال: المراد جمعه لهم على امام معين، والزامهم بذلك؛ لا انّه أراد ان الجماعة بدعة، فإنه ﷺ قد جمع بهم كما عرفت. إذاعرفت هذا عرفت ان عمر رضي الله عنه هو الذي جعلها جماعة على معين، واسماها بدعة. واما قوله: (نعمت البدعة) فليس في البدعة ما يمدح به، بل كل بدعة ضلالة.

قلت: اليس هذا سوء أدب في حق رجل جعل الله تعالى الحق على لسانه وقلبه، كما قال ﷺ ؟ اللهم بلى. لكن كأن الرجل قد بقي في قلبه مما ورثه عن بعض اسلافه من بغض عمر رضي الله عنه.



ثم انحرف فى فهم النصوص انحرافاً عجيباً فقال: و اما حديث: «**عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين بعدى، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ**». اخرجه ابو داود و احمد والترمذى وصححه الحاكم وقال: على شرط الشيخين؛ و مثله: «**اقتدوا باللذين من بعدى ابى بكر وعمر**». اخرجه الترمذى وقال: حسن، اخرجه احمد و ابن ماجه و ابن حيان، و له طرق فيها مقال، إلا أنه يقوى بعضها بعضاً؛ فإنه ليس المراد بسنة الخلفاء الراشدين إلا طريقتهم الموافقة لطريقته ﷺ من جهاد الأعداء، و تقوية شعائر الذين من قواعد الشريعة، ان ليس لخليفة راشد أن يشرع طريقة غير ما كان عليها النبى ﷺ. ثم عمر نفسه الخليفة الراشد سمى ما رآه من تجميعه صلاته ليالى رمضان بدعة، ولم يقل سنة، فتأمل[١].

اسأل الله ان يكون قد تاب فقد أساء.

قال امام من ائمة اهل السنة وهو القاضى ابوبكر ابن العربى فى شرحه سنن الترمذى (عارضةالاحوذى)، عند شرح حديث: «**عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين**»، رواه الترمذى وهو حديث حسن صحيح؛ قال: (الخلفاء الراشدين) وهم الاربعة بإجماع: ابوبكر وعمر وعثمان وعلى؛ وهم الذين انفذ الله فيهم وعده وانهى حده فى قوله: ﴿**وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً**﴾. الخامسة: و قد قال: «**اقتدوا باللذين من بعدى ابى بكر وعمر**» امر بالرجوع الى سنة الخلفاء لأمرين:

---

١. سبل السلام (٢/ ١١).



الاول فى تقليد لمن عجز عن النظر؛ والثانى الترجيح عند اختلاف الصحابة، فيقدم الحديث الذى فيه الخلفاء ابوبكر و عمر... إلخ[1].

و قال: ابن القيم فى (اعلام الموقعين) له: نحن نشهد الله شهادة نسال عنها يوم القيامة، انه اذا صح عن الخليفتين الراشدين اللذين امرنا رسول الله ﷺ باتباعهما و الاقتداء بهما، قول واطبق اهل الارض على خلافه لم نلتقت الى احد مهنم. اه[2].

قلت: فظهر لنا من النقلين كيف انحرف الصنعانى بالنصوص، والعياذ بالله.

٥ ـ وورودى الطبرانى ـ بسند رجاله ثقات، كمافى مجمع الزوائد ـ عن المقبرى قال: كنت مع ابى هريرة، فجاء الحسن بن على عليهما السلام فسلّم، فردّ عليه القوم. قال: وابو هريرة معنا لايعلم. فقيل له: هذا حسن بن على يسلم. فلحقه فقال: وعليك يا سيدى فقيل له: تقول يا سيدى؟ فقال: اشهد أن رسول الله ﷺ قال: (إنه سيد).

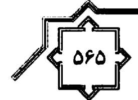
يشير رضي الله عنه الى قوله ﷺ: «**إن ابنى هذا سيد، ولعل الله تعالى ان يصلح به بين فئتين من المسلمين**». رواه البخارى و موضع الشاهد هذا الفهم الجلل لقوله ﷺ فى سبطه الحسن رضي الله عنه، وأدب رفيع منه.

٦ ـ وروى الطبرانى ـ برجال الصحيح كما فى مجمع الزوائد ـ عن الصحابى ابى مدينة الدارمى رضي الله عنه قال: كان الرجلان من اصحاب النبى ﷺ اذا التقيا،

---

١. (١٠/١٤٦ـ١٤٧).

٢. قواعد فى عبوم الفقه. مقدمةاعلاءالسنن للشيخ المحدث الفقيه الناقدحبيب احمد الكيرانوى رحمة الله تعالى ص٣٢.



لم يتفرقا حتى يقرأ أحدهما على الآخر سورة: ﴿وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾. وموضع الشاهد هو التذكير بعظمة هذه السورة. قال الشافعي رحمه الله: «لو لم ينزل الله تعالى سوى هذه السورة لكفت الناس» كما في (صفوة التفاسير)[1].

٧ ـ وروى الطبراني كذلك ـ بسند رجالة ثقات ـ عن انس بن مالك رضي الله عنه: انه كان إذا ختم القرآن الكريم جمع اهله وولده ودعا لهم.

و موضع الشاهد في هذا الفعل الكريم، مبتداً من انس رضي الله عنه دون سابق امر او فعل من سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الامام النووى رحمه الله: ويستحب حضور مجلس ختم القرآن استحباباً متاكّداً؛ فقد ثبت فى الصحيحين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امر الحيّض يوم العيد ليشهدن الخير ودعوة المسلمين. اه[2]

٨ ـ و قال الامام البيهقى فى السنن: حدثنا ابوعبد الله الحافظ، ثنا أبو العباس بن يعقوب، ثنا العباس بن محمد قال: سالت يحيى بن معين عن القراءة عند القبر، فقال: حدثنى مبشر بن اسماعيل الحلبى، عن عبد الله بن العلاء بن اللجلاج عن ابيه، قال لبنيه: اذا انا متُّ فضعونى فى قبرى، فقولوا: بسم الله و على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ و سنّوا على التراب سنّا، ثم اقرءوا عند رأس أول سورة البقرة و خاتمتها، فانى رأيت ابن عمر يستحب ذلك. قال الحافظ ابن حجر فى امالى الاذكار: هو موقوف حسن.. قلت: و موضع الشاهد ظاهر بيّن.

و عبد الله بن عمر رضي الله عنهما من اكثر الصحابة استناناً بفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم

٩ ـ روى الامام احمد فى الزهد عن ابى هريرة رضي الله عنه انه قال: انى لاستغفر

---

١ . الشيخ محمد على الصابونى (٣/ ٦٠٠)

٢ . انظر تلاوة القرآن المجيد للمحدث الصالح الشيخ عبدالله سراج الدين ص١١٨.



الله عز وجل و اتوب اليه كل يوم اثنتى عشر الف مرة؛ و ذلك على قدر ذنبى[1].

قال الشيخ عبد الله محفوظ: و الثابت عن الرسول ﷺ قوله: «**ايها الناس توبوا الى الله و استغفروه، فانى اتوب اليه فى اليوم اكثر من سبعين مرة**» رواه مسلم. و فى حديث احصوا عليه الاستغفار فى المجلس الواحد مائة مرة، و هو فى ابى داود، و نحو ذلك مما يفيد الترغيب فى الزيادة. و لهذا فهموا أن كثرة الاستغفار مطلوبة دون تقييد. و فى الحديث عن ابى هريرة ما يفيد انّه رتب ذلك ورداً له كل يوم، و لا يدخل ذلك فى اطار البدعة قطعاً. اه[2].

١٠ ـ روى عبد الرزاق فى المصنف عن معمر عن قتادة: ان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه كان يصلى قبل الجمعة اربع ركعات، و بعدها اربع ركعات. و روى بسنده الى ابن عبدالرحمان السلمى قال: كان عبد الله يامرنا ان نصلى قبل الجمعة اربعاً حتى جاءنا علىّ فامرنا ان نصلى بعد الجمعة ركعتين ثم اربعاً و اخرجه ابن ابى شيبة بهذا الاسناد، و زاد: فاخذنا بقول على، و تركنا قول عبد الله. قلت: و موضع الشاهد ظاهر؛ فقد صلى صحابى جليل مقتدى به، رضى رسول الله ﷺ لأمته ما رضى لها ابن ام عبد، تشبيهاً للجمعة بالظهر؛ حيث يصلى قبل الظهر اربع ركعات، ففعل مثل قبل صلاة الجمعة ولم يعد ذلك عليه بدعة ضلالة و الله اعلم.

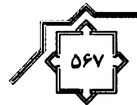
٣ـ اثار و اعمال وقعت بعد الصحابة رضوان الله عليهم:

١ ـ تعدد الجمعة لم يكن فى عهد رسول الله ﷺ و لا فى عهد الصحابة و التابعين. و قال البيهقى فى السنن: ولم ينقل انه اذن لاحد فى اقامة الجمعة فى

---

١ . رواه الحافظ ابن حجر فى المطالب العالية ٤/ ٩٤ والذهبى فى تذكرة الحفاظ فى ترجمة ابى هريرة رضي الله عنه ١/ ٣٥.

٢ . السنة والبدعة ص١٥٦



شيء من مساجد المدينة، و لا فى القرى التى بقربها. و قال ابن المنذر: لم يختلف الناس ان الجمعة لم تكن تصلى فى عهد النبى ﷺ و فى عهد الخلفاء الراشدين الا فى مسجد النبى ﷺ و فى تعطيل مساجدهم يوم الجمعة و اجتماعهم فى مسجد واحد أبين البيان بأن الجمعة خلاف سائر الصلوات، و انها لا تصلي الا في مكان واحد. اه.

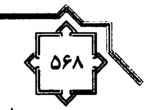
و قال الخطيب في تاريخ بغداد: ان أول جمعه أحدثت في الاسلام في بلد مع قيام الجمعة القديمة في أيام المعتضد في دار الخلافه ـ يعني بغداد ـ، من غير بناء مسجد لاقامة الجمعة، و سبب ذلك خشية الخلفاء على أنفسهم. و ذلك سنة ثمانين و مائتين، ثم بني في ايام المكتفي مسجد فجمعوا فيه.

و على التعدد استمر عمل المسلمين في بلاد المسلمين؛ ولم يقل احد إنه بدعة ضلالة، و إن الذين أجازوه مبتدعة ظالون؛ لأنه فرع فقهي، اختلفت أنظار العلماء فيه بحسب ما ظهر لهم من الأدلة.

و قال قبل: و أما البدعة التي تتعلق بالفروع فليست بضلالة، لأنها مزج جملة الحوادث التي تختلف على مر الزمن، و يطلب حكمها من دلائل الشريعة، و قواعدها العامة المبنية على مراعاة المصالح و المفاسد.

قلت: و قد تعددت مساجد الجمعة و تكاثرت، حتى أضحت صلاة الجمعة تتعدد في حي واحد مما قد يخرج عن الحكمة، مع ذلك فلا يقول بمنع ذلك أحد.

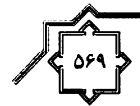
ب ـ ضاق مسجد رسول الله ﷺ في عهده بالمصلين، فوسع فيه رسول الله ﷺ بعد عودته من غزوة خيبر تلك الزيادة التي نرى معالمها في الأساطين التي كتب عليها الآن: حدود المسجد النبوي. ثم وسع بعده ﷺ عمر رضي الله عنه، ثم عثمان رضي الله عنه خاصه من جهة القبلة. و كان التوسعة الكبيرة أيام كان عمر بن عبد العزيز رحمه الله واليا على المدينة المنورة، ايام خلافة الوليد ابن عبد الملك رحمه الله.



لقد وسع التابعي عمر بن عبد العزيز في المسجد النبوي توسعة كبيرة، فضم بيوت ازواج النبي ﷺ إلى المسجد، و فيها موضع قبره ﷺ، و أقام للمسجد اربع منائر. ولم يقل احد في ذلك العصر إن عمر بن عبدالعزيز ابتدع في جعل قبر رسول الله ﷺ في المسجد، فإن ازعاجه ﷺ في قبره و هو حي لا يخطر على بال مسلم في ذلك القرن المشهود له بالخير. ولم يقل أحد إن عمر بن عبد العزيز ابتدع في جعل أربع منائر للمسجد النبوي بعد أن لم تكن فيه منارة، فإن الحكمة من التوسعة... و رفع المنائر على اطراف المسجد كانت ظاهرة: ليسع المسجد الناس، و ليبلغ صوت المؤذن البيوت البعيده عن الحرم النبوي الشريف. روى مالك عن الثقة عنده: أن الناس كانوا يدخلون حجر أزواج النبي ﷺ، يصلون فيها الجمعه بعد وفاة النبي ﷺ، و كان المسجد يضيق علي اهله، و حجر ازواج النبي ﷺ ليست في المسجد، و لكن أبوابها شارعة في المسجد.

قال محمد بن معاذ الأنصاري: سمعت عطاء الخراساني في مجلس فيه عمران بن ابي انس يقول ـ و هو فيما بين القبر و المنبر ـ : ادركت حجرات أزواج النبي ﷺ من جريد، على أبوابها المسوح من شعر أسود ـ المسوح كساء من شعر كثوب الرهبان ـ فحضرت كتاب الوليد بن عبد الملك يقرأ، يأمرنا بهدم حجر أزواج النبي ﷺ. فما رأيت يوما كان أكثر باكيا من ذلك اليوم. قال عطاء: فسمعت سعيد بن المسيب يقول: و الله، لوددت أنهم تركوها على حالها ينشأ ناشيء من المدينة، و يقدم قادم من الافاق، فيرى ما اكتفى به رسول الله ﷺ في حياته؛ ويكون ذلك مما يزهد الناس في التكاثر و التفاخر فيها.

أقول: و كنت قرأت لأحد المعاصرين فهما خاطئا لكلام سعيد بن المسيب رحمه الله و الذي نقلته آنفا، فزعم أنه بكى لجعل التابعي عمر بمحضر التابعين قبر رسول الله ﷺ في مسجده الشريف؛ و هو كما ترى... و قرأت لغيره

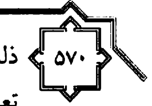


ما هو أشد و أنكى، إذ طالب بإخراج رسول الله ﷺ من مسجده الشريف ﷺ وهو يعلم أن الأنبياء أحياء في قبورهم، وأنّ الأرض لا تأكل أجسادهم ـ اذ هو يشتغل بالحديث الشريف! ـ اليس هذا سوء أدب، و أكثر من سوء ادب مع نبي ما خاطبه ربه سبحانه باسمه المجرد قط. و أوصانا بذلك فقال سبحانه ﴿لاَ تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضاً﴾ أي لاتقولوا يا محمد ﷺ.

ج: يقلب احدنا صفحات تهذيب التهذيب لابن حجر و ميزان الاعتدال للذهبي ولسان الميزان على الميزان لابن حجر و امثالها من كتب رواة الاحاديث و الاخبار، فيجد أن اولئك الكبار من المصنفين ينقلون كلام العلماء في امثالهم؛ و قد يكون منه جرح و اتهام، اتهام بالخطا، و سوء الحفظ أو الكذب.

و يقلب صفحات في مثل (نزهه النظر) لابن حجر، او (تدريب الراوي) للسيوطي و أمثالها من كتب مصطلح الحديث، فيجد رتبا مختلفة للرواة، ففلان ثقة ثقة، و فلان ثبت، و فلان صدوق، و هذا صالح، و ذلك صويلح، وهكذا. فيحكم أهل الختصاص ـ و ليس العامة و جماهير القراء من علماء العصر ـ بأحكام أولئك الأمة في الرجال قبولا و ردا، و يصفونهم رتبا و مراتب من أجل ذلك.

و لم نجد إنكارا و تحملا مقبولا في أولئك العلماء الأئمة انهم يغتابون الناس، و يسيئون القول في الموتى، و أن علينا الإنكار عليهم. لا، بل اعتبرنا تلك الأقوال و الأحكام أخبارا أو شهادة منهم في الرجال، و هم مسؤولون عن أدائها. اللهم إلا إذا كان لبعضهم غرض من الكلام في غيره بأسباب يراها مقبولة، و يردّها عامة العلماء، كما نجد ذلك في (قاعدة في الجرح و التعديل) للسبكي مثلا. فتجاوز الحق بدافع التعصب أو الغرض، أو الخلاف المذهبي أو عدم التثبت، هو شيء آخر وليس إخبارا ولا شهادة بحق، و صاحبه مسئول عند الله تعالى. و ما وجدنا إنكارا على ذلك التقسيم في الحكم على الرواة، و دعوى أن



ذلك بدعة منكرة و ضلالة، بل وجدنا العلماء على مر العصور يقولون جزى الله تعالى ذلك السلف الصالح خيرا، فإنهم بأقوالهم و أحكامهم في الرجال و الرتب، صانوا حديث رسول الله ﷺ و دفعوا عنه ما ليس منه، و ذلك مطلوب في الدين، و الحمد لله.

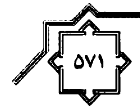
د ـ روى البخاري و مسلم بسندهما إلى ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**أقرأني جبريل عليه السلام على حرف، فراجعته فلم أزل استزيده حتى انتهى إلى سبعة أحرف**».

وروى البخاري ومسلم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعت هشام بن حكيم يقرأ سوره (الفرقان) في حياة رسول الله ﷺ فاستمعت لقراءته فإذا هو يقرأ على حروف كثيره لم يقرئنيها رسول الله ﷺ، فكدت أساوره في الصلاة ـ أواثبه وأقاتله ـ فصبرت حتى سلم فلببته بردائه.

فقلت: من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأ؟ قال: اقرئنيها رسول الله ﷺ. فقلت كذبت، فإن رسول الله ﷺ قد أقرئنيها على غير ما قرأت.

فانطلقت به أقوده إلى رسول الله ﷺ، فقلت: إني سمعت هذا يقرأ سورة (الفرقان) على حروف لم تقرئنيها. فقال ﷺ لعمر: (أرسله). فأرسله عمر. فقال لهشام: (اقرأ يا هشام). فقرأ عليه القراءة التي سمعته يقرأ. فقال رسول الله ﷺ: (هكذا أنزلت). ثم قال: (اقرأ يا عمر). فقرأت القراءة التي أقرأني، فقال رسول الله ﷺ: (هكذا أنزلت؛ إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرأوا ما تيسر منه).

وروى الترمذي ـ بسنده إلي أبي بن كعب وقال: حديث حسن صحيح ـ عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: لقي رسول الله ﷺ جبريل فقال: (يا جبريل، إني بعثت إلى أمة أميين، منهم العجوز و الشيخ الكبير، و الغلام و الجاريه، و الرجل الذي لم يقرأ كتابا قط) قال: يا محمد إن القران أنزل على سبعة أحرف.



و قد وجدنا العلماء مختلفين في المراد بالأحرف السبعه إلى عشرة أقوال، على جمع الشيخ محمد سالم محيسن، ثم اضاف هو قولا آخر، وزاد غيره علي هذا العدد.

و وجدناهم كذلك مختلفين في المراد بالقراءات السبع والعشر المتواتره. فمن قائل إنّ القراءات العشر المتواترة تعتبر حرفا واحدا من الأحرف السبعة التي نزلت على رسول الله ﷺ، كما قال الطبري و غيره. و من قائل إن القراءات العشر المتواترة تعتبر بعض الأحرف السبعة التي نزلت رسول الله ﷺ، كما قال مكي بن أبي طالب و غيره.

و لقد شكر العلماء و محبو القرآن الكريم و علومه خاصة صنيع من كتب في الأحرف السبعه و المراد بها، و القراءات السبع والعشر و المراد بها، مع أن الكتابات بدأت في المائه الثلاثه علي يد الحافظ الفقيه اللغوي المقرىء أبي عبيد القاسم بن سلام رحمه الله. و يشكرون صنيع من يكتب إلى يومنا هذا و إلى يوم القيامة، ولم يقل أحد إن ذلك مما لم يكن من رسول الله ﷺ نصا و بيانا، و لا قطع فيه أصحاب رسول الله ﷺ فلا يجوز الخوض فيه. لم يقل أحد إن ذلك بدعة منكرة، وضلالة في الدين و العياذ بالله، إنما. قالوا إن جميع ذلك صورة من صور حفظ القرآن الكريم و تبليغه إلى الناس. قال الله تعالى: ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾. و إنما يحفظ الله تعالى الكتاب بإلهام أهل القرآن العناية به و المحافظة عليه و الحمد لله.

و قل مثل هذا في فعل العلماء في اللغة العربية، نحوها وصرفها، بلاغتها و بيانها. و قل مثل ذلك في الفقه و علومه و أدواته، و السيرة و كتابتها، و غير ذلك من العلوم، شكر العلماء صنيع أصحابها، ولم يعتبروها بدعة لم تكن في عهد رسول الله ﷺ، فتكون بدعة ضلالة. و العياذ بالله.



أحاديث تدل على ما اتفق عليه العلماء

من تخصيص حديث (كل بدعة ضلالة)

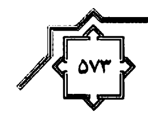
١ ـ الحديث الأول: روى مسلم والنسائي وابن ماجه عن جرير بن عبد الله البجلي قال: قال رسول الله ﷺ: (من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها و أجر من عمل بها بعده، من غير أن ينقص من أجورهم شيء. و من سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزر من عمل بها بعده، من غير أن ينقص من أوزارهم شيء).

قال النووي: فيه الحث على الابتداء بالخيرات، و سن السنن الحسنات، و التحذير من الأباطيل و المستقبحات، و في تخصيص قوله ﷺ: (كل محدثة بدعة و كل بدعة ضلالة)، و أن المراد به المحدثات الباطلة و البدع المذمومة. و قال السندي في حاشية ابن ماجه: قوله: (سنة حسنة) أي طريقة مرضية يقتدى بها، و التمييز بين الحسنة و السيئة بموافقة أصول الشرع و عدمها. اهـ.

٢ ـ الحديث الثاني: روى ابن ماجه ـ بإسناد صحيح ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله: (من استن خيرا فاستن به كان له أجره كاملا، و من أجور من استن به لا ينقص من أجورهم شيئا، و من استن سنة سيئة فاستن به فعليه وزره كاملا، و من أوزار الذي استن به، لا ينقص من أوزاراهم شيئا).

٣ ـ الحديث الثالث: روى أحمد و البزار و الطبراني في الأوسط ـ بإسناد حسن ـ عن حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (من سن خيرا فاستن به، كان له أجره و من أجور من تبعه غير منتقص من أجورهم شيئا، و من سن شرا فاستن به، كان عليه وزره و من أوزار من تبعه غير منتقص من أوزارهم شيئا)

٤ ـ الحديث الرابع: وروى الطبراني ـ بأسناد حسن ايضا ـ عن واثله بن الاسقع رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (من سن سنة حسنة فله أجرها، ما عمل بها



في حياته و بعد مماته حتى تترك. و من سن سنة سيئه فعليه إثمها، حتى تترك. و من مات مرابطا في سبيل الله جرى عليه عمل المرابط، حتى يبعث يوم القيامه).

قال المحدث الفقيه عبد الله الصديق ـ بعد ذكره الأحاديث السابقه ـ : فهذه الأحاديث تصرح بتقسيم البدعة إلي حسنه و سيئه:

فالحسنة هي التي توافق أصول الشرع. و هي و إن كانت محدثه باعتبار شخصها، فهي مشروعة باعتبار نوعها، لدخولها في قاعده شرعيه أو عموم آية أو حديث، لهذا سميت حسنه، و كان أجرها يجري علي من سنها بعد و فاته.

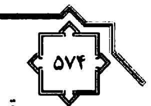
و السيئه هي التي تخالف قواعد الشرع، و هي المذمومه، و البدعه الضلالة.

قال الابي في شرح مسلم: و يدخل في السنة الحسنة البدع المستحسنة، كقيام رمضان، و التحضير في المنار إثر فراغ الأذان و عند ابواب الجامع و عند دخول الامام، و التصبيح عند طلوع الفجر، كل ذلك من الإعانه علي العباده التي يشهد الشرع باعتبارها. و قد كان علي و عمر يوقظان الناس لصلاة الصبح بعد طلوع الفجر... إلخ.

ومعنى سن سنة أو استنانها، انشاؤها باجتهاد و استنباط من قواعد الشرع أو عمومات نصوصه.

٥ ـ الحديث الخامس: روي الشيخان عن عائشه ﵂ قالت: قال رسول الله ﷺ: (من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد) و في بعض الفاظه: (من أحدث في ديننا ما ليس منه فهو رد).

قال ابن رجب: هذا يدل بمنطوقه على أن كل عمل ليس عليه أمر الشارع فهو مردود، و يدل بمفهومه على أنّ كل عمل عليه أمره فهو غير مردود. ا ه. و يقال على مذهب الحنفية ـ غير القائلين بمفهوم المخالفة في النصوص ـ : أن النص ساكت عما سوى ملفوظه و ان الامر المحدث موافقا لاصول الدين و كونه مقبولا ماخوذ من نصوص أخرى.



قال الحافظ في الفتح: هذا الحديث معدود من أصول الإسلام، و قاعدة من قواعده فإن معناه: من اخترع في الدين ما لايشهد له اصل من اصوله، فلا يلتفت إليه.

قال الشيخ عبد الله الصديق: هذا الحديث مخصص لحديث: (كل بدعة ضلالة) مبين للمراد منها كما هو واضح. إذ لو كان البدعة ضلالة بدون استثناء لقال الحديث: من احدث في أمرنا هذا شيئا فهو رد. لكن لما قال: (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد) أفاد أن المحدث نوعان:

ما ليس من الدين: بأن كان مخالفا لقواعده و دلائله فهو مردود، و هو البدعه الضلالة.

و ما هو من الدين: بأن شهد له أصل أو ايّده دليل فهو صحيح مقبول، و هو السنة الحسنة.

٦ ـ الحديث السادس: روى أحمد و أبو داود و أبن أبي شيبة ـ بسند صحيح متصل ـ إلى معاذ بن جبل ﷺ قال: كنا نأتي الصلاة إذا جاء رجل قد سبق بشيء من الصلاة أشار إليه الذي يليه: قد سبقت بكذا و كذا فيقضي. قال فكنا بين راكع و ساجد و قائم و قاعد، فجئت و قد سبقت ببعض الصلاة، و أشير إلي بالذي سبقت به، فقلت: لا اجده علي حال إلا كنت عليها، فكنت بحالهم التي وجدتهم عليها. فلما فرغ رسول الله ﷺ قمت فصليت. و استقبل رسول الله ﷺ الناس و قال: (من القائل كذا و كذا) قالوا: معاذ بن جبل. فقال: (قد سن لكم معاذ فاقتدوا به، إذا جاء احدكم و قد سبق بشيء من الصلاة فليصل مع الإمام بصلاته، فإذا فرغ الإمام فليقض ما سبقه به) وإسناده صحيح.

قال الشيخ عبد الله الصديق: ويؤخذ من حديث معاذ أن مخالفة المأموم لإمامه في أفعال الصلاة كانت جائزة، إذ كان الرجل يصلي ما فاته فيختلف معه



الركوع أو السجود أو القيام، ثم يتم معه. فلما فعل معاذ ما فعل، وأمر النبي ﷺ اتباعه نسخ جواز المخالفة، وتعينت متابعة الإمام في أفعال الصلاة، والحكم المنسوخ لايجوز العمل به بإجماع العلماء.

و من هنا يعلم بطلان قول ابن حزم بأن المسافر يقصر الصلاة خلف إمامه المتم، فإنه إذا قصر كان مخالفا للإمام، والمخالفة منسوخة، والعمل بالمنسوخ باطل فصلاته باطلة. كما لو استقبل في صلاته بيت المقدس، فإن صلاته باطلة. ويعلم بطلان قوله أيضا من جهة أخرى، وهي أنه من المعلوم بالضرورة أن وفود العرب كانت تفد إلي النبي ﷺ بالمدينة وتصلي معه، ولم يقل احد (قصروا الصلاة) مع انه قال لأهل مكة في حجه: «**أتموا صلاتكم فإنا قوم سفر**» ولهذا نجزم بأن الوفود كانوا يتمون الصلاة معه ﷺ، اذ ليس من المعقول أن يأمرهم بالتقصير ولم ينقل إلينا؛ بل هذا محال في حق الصحابه الذين كانوا حريصين على نقل اقواله و أفعاله، خصوصا ما كان منها متعلقا بالصلاة التي هي من أهم أركان الدين. و هذه حجة لازمة لمقلده ابن جزم لا يستطيعون الانفكاك عنها.

٧ ـ الحديث السابع: روى أحمد ـ بسند روايته رواة الصحيح ـ عن ابى سعيد الخدري رضي الله عنه أنه رأى رؤيا: أنه يكتب ﷺ فلما بلغ إلى سجدتها: قال: رأى الدواة والقلم وكل شيء بحضرته انقلب ساجدا. قال: (فقصصتها على النبي ﷺ فلم يزل يسجد بها). قال المعلق على الترغيب الشيخ مصطفى عمارة: فلما وصل إلى قوله ﴿**فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعاً وَأَنَابَ**﴾.

٨ ـ الحديث الثامن: روى ابن ماجه في سننه ـ بإسناد رجاله ثقات ـ عن سعيد بن المسيب أن بلالا رضي الله عنه أتى النبي ﷺ يؤذنه بصلاة الفجر. فقيل: هو نائم، فقال: الصلاة خير من النوم، الصلاة خير من النوم. فأقرت في تأذين الفجر، فثبت الأمر على ذلك. وفي رواية الطبراني أنه ﷺ قال لبلال: (ما أحسن هذا، اجعله في أذانك).



٩ ـ الحديث التاسع: روى البخاري عن رفاعة بن رافع ﷺ: قال: كنا نصلي يوما وراء النبي ﷺ، فلما رفع رأسه من الركعة قال: (سمع الله لمن حمده) فقال رجل وراءه: ربنا ولك الحمد، حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه. فلما انصرف قال: (من المتكلم؟). قال: أنا. قال: (رايت بضعة و ثلاثين ملكا يبتدرونها أيهم يكتبها أول).

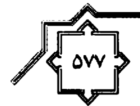
قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري: واستدل به على جواز إحداث ذكر في الصلاة غير مأثور، إذا كان لا يخالف المأثور. اه.

١٠ ـ الحديث العاشر: حزن رسول الله ﷺ على خبيب بن عدي الأوسي و الخمسة الذين استشهدوا معه في بعث الرجيع، مع أن خبيبا قد سن صلاة يصح أن تسمي صلاة الموت. فقد ذكروا أنه لما أخرج ليقتل قال للمشركين: ذروني أصلي ركعتين. فتركوه، فصلى سجدتين. فجرت سنة لمن قتل صبرا أن يصلي ركعتين، ثم قال خبيب: لولا أن يقولوا جزع من الموت لزدت من الصلاة، ولا أبالي على أي شق كان لله مصرعي. ثم قال:

ولست أُبالي حين أقتل مسلما ... على أي جنب كان في الله مصرعي
و ذلك في ذات الإله وإن يشأ ... يبارك على أوصال شلو ممزع

تحفة

و هذه تحفه تقدم إلى الصنعاني؛ و من زعم مثله أنه لاخير في البدعة على كل حال. قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِرُسُلِنَا وقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وآتَيْنَاهُ الإِنْجِيلَ وجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً ورَحْمَةً ورَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلاَّ ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ الله فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ (الحديد ٢٧)

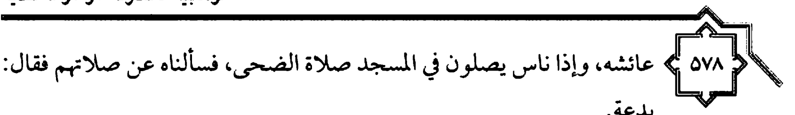


قال القرطبي: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا﴾ من قبل انفسهم، وقال قتاده: الرهبانيه التي ابتدعوها رفض النساء واتخاذ الصوامع، وفي خبر مرفوع: (هي لحوقهم بالبراري والجبال). (ما كتبناها عليهم) أي ما فرضناها عليهم ولا أمرناهم بها (الا ابتغاء الرضوان الله) قيل الاستثناء منقطع، والتقدير: ماكتبناها عليهم لكن ابتدعوها ابتغاء رضوان الله (ابتغاء رضوان الله فما) أي ما قاموا بها حق القيام، وهذا خصوص، لأن الذين لم يرعوها بعض القوم، وإنما تسببوا بالترهب إلى طلب الرياسة على الناس وأكل أموالهم.

ثم قال: المسأله الثالثه: وهذه الآيه دالة على أن كل محدثة بدعة، فينبغي لمن ابتدع خيرا أن يدوم عليه ولا يعدل عنه إلى ضده. وعن أبي أمامة الباهلي ـ واسمه صدي بن عجلان ـ قال: أحدثتم قيام رمضان ولم يكتب عليكم، إنما كتب عليكم الصيام، فدوموا على القيام إذ فعلتموه ولا تتركوه، فإن ناسا من بني اسرائيل ابتدعوا بدعا لم يكتبها الله عليهم، ابتغوا بها رضوان الله فما رعوها حق رعايتها، فعابهم الله بتركها فقال: ﴿ورَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلاَّ ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ الله فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾.

قلت: ومن هنا نفهم خطأ المفسر ابن كثير حين قال في هذا الموضع من تفسيره: ﴿فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ أي فما قاموا بما التزموه حق القيام. و هذا ذم لهم من وجهين: أحدهما الابتداع في دين الله ما لم يأمر به الله، الثاني في عدم قيامهم بما التزموه مما زعموا أنه قربة يقربهم إلى الله عز وجل. ا ه. اذ كيف يذم من ترك بدعة لم يأذن بها الله تعالى، والأصل أن ترك البدعة المدح، إلا أن يقال ما قاله الصحابي أبو أمامة الباهلي رضي الله عنه، و هو المراد. والله اعلم.

وروى البخاري بسنده إلى ابن عمر رضي الله عنهما في باب الضحى عن مجاهد قال: دخلت أنا و عروة بن الزبير المسجد فإذا عبد الله بن عمر جالس إلى حجرة

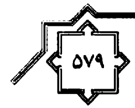


عائشه، وإذا ناس يصلون في المسجد صلاة الضحى، فسألناه عن صلاتهم فقال: بدعة.

قال الشيخ عبد الله محفوظ: وقطعا هو لا يقصد بذلك البدعة المذمومة؛ بدليل ما رواه ابن أبي شيبة ـ بسند صحيح كما قال الحافظ ـ أنه قال: نعمت البدعة، كما قال أبوه عمر في التراويح. فهو يري كما يري الخليفه أن البدعة بدعتان: بدعه محمودة و مذمومة ـ، وأن ما كان من الخير و لم يخالف المشروع و لم يصادم نهيا فهو محمود، و غير مراد في حديث رسول الله ﷺ. و على هذا فالحديث في نظره مخصوص بالبدعه الشرعيه، و هي البدعة الضلالة المصادمة للنص أو المخالفة للمشروع، كما هي سنة الرسول ﷺ و طريقته في مثل قبول مثل ذلك في الخير. وقد روى عبد الرزاق ـ بسند صحيح كما قال الحافظ ـ أن ابن عمر قال عنها: (لقد قتل عثمان وما أحد يسبحها، وما أحدث الناس شيئا أحب إلي منها). ا ه.

الأمر بالمعروف والنهيُ عن المنكر

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من قواعد الإسلام وأركانه، فلقد جاءت النصوص الشرعية الكثيرة التي تدل على وجوب الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر، و تبين الخسار الكبير الذي يصيب الأمة الساكته التي لا يتآمر أفرادها على المعروف ولا يتناهون عن المنكر وكيف أنّ الأمة الساكتة عن إنكار المنكر يصيبها البلاء مع الذين هم اهله من العصاة والفساق. وقد وصف رسول الله ﷺ هذا المعني الأخير بأبلغ وصف و الدقة و هو الوبال الذي يلفنا بظلامه الا ما رحم الله: عن نعمان بن بشير رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**مثل القائم في حدود الله و الواقع فيها كمثل قوم استهموا علس سفينه، فصار بعضهم أعلاها و بعضهم أسفلها، فكان الذين في اسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من**



فوقهم، فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا؟ فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً». رواه البخاري والترمذي.

و لقد ذكر العلماء آداباً يجب مراعاتها في الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر، حين يقوم به العامة عادة، فقالوا: يجب أن يكون المعروف متفقاً بين العلماء على أنه معروف، و أن يكون المنكر متفقاً عليه أنه منكر عند العلماء، ليقوم القائم بالأمر أو النهي عن المنكر. أما ما كان مجال اجتهاد، و فيه اختلاف العلماء؛ فلا يجب الأمر و النهي، فإنّ لكل وجهة هو موليها، له برهانه، و له قدوته على قوله و فعله.

وأن يكون الآمر بالمعروف و الناهي عن المنكر حكيماً، بصيراً بطرق الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر، عارفاً بالنفس البشرية. ذكروا أن رجلاً دخل على الخليفة المأمون، فقال له: يا أمير المؤمنين، إني قائل لك قولاً و مغلظٌ عليك فلا تجد عليّ ـ أي لا تغضب ـ . قال له المأمون: لا تفعل؛ لقد أرسل الله تعالى من هو خير منك إلى من هو شرّ منّي: أرسل موسى و هارون إلى فرعون و قال لهما: **﴿فَقُولاَ لَهُ قَوْلاً لَّيِّناً لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾**.

قلت: ما أجملها عظةً، و ما أحسنها نصيحةً لمن يأمر و ينهى **﴿وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً﴾** بعد هذه المقدمة، أذكر ـ و بإيجاز ـ بعض البدع التي يجب أن تجتمع قلوب العلماء و الدعاة و ألسنتهم على إنكارها، لأنّها أمور مجمع عليها، على أنها بدع ضلالة لا يجوز السكوت عليها.

١ ـ بدعة فصل الدين عن الدولة، و التي رمانا بها الآخرون و تلقّفها بعض المسلمين. و صورتها: أن يتفق العلماء، إياهم و الحاكم على أنّ للعلماء اللسان في الدين و الوعظ و الإرشاد، و الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر؛ و على أن



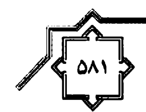
للحاكم السلطان الفعلي، و القوة، و المال، و السياسة و الإدارة، و ما إلى ذلك. لقد جمع رسول الله ﷺ الحكم و السلطان و القوة و المال و السياسة، إلى الدين و الدعوة و الوعظ و الإرشاد؛ و هو ﷺ القدوة الصحيحة ﴿لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾. و إنه لمن المنكر الذي لا يجوز أن يسكت العلماء عليه حتى يزول ـ بإذن الله تعالى ـ ، أن ترتفع عمارات بنوك الربا في بلاد المسلمين، أكثر مما ترتفع مآذن مساجدها. و الربا من الكبائر[١]، و أن تقام بيوت الدعارة، و فنادق الفسق و المجون و القمار هنا و هناك من أوطان المسلمين.

٢ ـ قصر الدعوة الإسلامية على اتجاه إسلامي معين، و فكر معين، بل و مسائل معينة؛ و دعوى أن ذلك وحده هو الإسلام، أو الأمر الذي يحتاجه المسلمون في وقت ما. و الإسلام دين عام يسع الاتجاهات الإسلامية و أفكارها الداخلة في دائرة الإسلام، و لو اختلف أنظار العلماء في بعضها. و الإسلام دين الحياة يجيب على كل سؤال، و يحلّ كل مشكلة، و يوجه إلى الخير في كل شيء. إن ذلك القصر و ذلك الحصر يجب على العلماء أن يعملوا على توسعته و إصلاحه و تصحيحه.

٣ ـ اعتبار الإسلام مائدة يأخذ منها المسلم و يعتقد ما يشاء و يدع و ينكر منها ما يشاء، اتباعاً للمصلحة أو ما يدعى من مقتضيات العصر أو مجاملة الآخرين؛ فيكون شأن المسلمين شأن من قال الله تعالى فيهم من اليهود ـ لعنهم الله و أهلكهم ـ : ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللهُ

---

١ . يقول بعضهم إن قليل الربا أشد من الزنا و يورد لذلك ما نقل عن كعب الأحبار «**درهم ربا أشد من ست و ثلاثين زنية**» و قد رد ابن الجوزي الخبر من جهة المتن فضلاً عن السند. انظر تعليقاً نافعاً للشيخ شعيب على كتاب (العواصم و القواصم) جزاه الله خيرا.



بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[١] يسيؤون فهم حديث رسول الله ﷺ: «**إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم..**» مع أن المراد به «ما استطعتم»: أي من المندوبات و المسنونات؛ أما الفرائض و الواجبات فلا يجوز تركها إلا لضرورة شرعية، و الضرورات الشرعية محدودة. و مجالات تعاون العلماء و الدعاة في هذا الميدان كثيرة، و غير محصورة، و الله الموفق.

٤ ـ من البدع المنكرة حمل النصوص الواردة في الكفار و المشركين على المسلمين المخالفين لبعض الاتجاهات المسلمة، أو المرتكبين لبعض المعاصي و المنكرات. و تلك و الله بلية ما فوقها بلية، أن يعتقد المسلم أن كثيراً من المسلمين مشركون، لأنهم يعملون أعمالاً عن جهل و حسن نية، يعملها المشركون و الكافرون عن عقيدة و علم مع آلهتهم، فيجرون آية: ﴿**وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللهِ إِلَّا وَهُم مُشْرِكُونَ**﴾[٢]، على تلك الأصناف من المسلمين ـ و العياذ بالله ـ. قال القرطبي ـ عند تفسير الآية السابقة ـ: نزلت في قوم أقروا بالله خالقهم و خالق الأشياء كلها و هم يعبدون الأوثان. قاله الحسن و مجاهد، و عامر، و الشعبي و أكثر المفسدين... و عن الحسن أيضاً أنهم أهل كتاب معهم شرك و إيمان، آمنوا بالله تعالى و كفروا بمحمد ﷺ[٣].

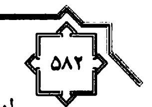
فلقد ابتلي المسلمون على توالى العصور بمتشددين على جهل وغرور بأنفسهم، يكفرون بالذنب و بمخالفة الأثر، ويقاتلون على ذلك، ابتداء بالخوارج ثم الرافضة و وصولا إلى جماعات معاصرة يكفرون عموم المسلمين المخالفين لهم، ويرون هجر مجتمعاتهم و التعامل معهم. و قد يكون من ذلك الجهل اصدار الحكم دون تردد، ودون نقل كلام غيرهم.

---

١ . سورة البقرة: الآية ٨٥.

٢ . سورة يوسف: الآية ١٠٦.

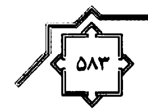
٣ . الجامع لأحكام القرآن ٩/ ٢٧٢.



يقول أحدهم: أن تارك الصلاة على أى حال كافر خارج عن الملة؛ لا يجوز لزوجته أن تقيم معه، وأن تمكنه من نفسها، وأن تترك الأولاد له، وغير ذلك. مع أن القول الراجح عند الحنابله كما قرره ابن قدامه فى (المغنى) ــ و هو القول الواحد عن مالك و الشافعى ـ أن تارك الصلاة كسلا يمهل إلى آخر وقت الضروري (إلى قبيل المغرب في حق الظهر و العصر، وقبيل الفجر في حق المغرب و العشاء) فإذا لم يصل قتل حدا يعني فيعامل معاملة قاتل النفس المعصومة، ولا يخرج عن الملة. وعند الإمام أبي حنيفة رحمه الله يضرب حتى يسيل منه الدم، ويحبس حتى يصلي. و رأينا مرارا تاركي الصلاة يضربون في ساحة المسجد النبوي ولا يقتلون أما من تركها إنكارا، وإصرارا، فانه يكفر. كما يكفر من أنكر أي أمر من أمور الدين، معلوم التواتر ضرورة، وبداهه عند العامة والخاصة. فلو نقل ذلك القائل تلك الأراء، ثم قال و هو يري كفر من ترك الصلاة علي أي حال، فيكون الأمر محتملا من عالم أهل للنظر، و تمحيص الأدلة. ثم لا بأس من التحذير من تركها، فإن من يتركها كسلاً ربما تمادى به الضلال فيتركها إنكاراً و إصراراً، فيكفر بذلك معاذ الله. والمعاصى بريد الكفر.

فيا حبذا لو تجتمع كلمة العلماء و الدعاة على تقرير معتقد أهل السنه، و هو عدم تكفير الذنب إلاّ لمن يستحله. و أن الله تعالى لا يخلِّد في النار من عصى الله تعالى من المسلمين و مات دون توبة؛ بل إن له سبحانه أن يعفو و يغفر ابتداءً، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ اللهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاء﴾.

٥ ـ الوقوع في غيبة الآخرين و العلماء خاصة باسم النصح أولاً، ثم تتمادى النفس بذكر ما لا حاجة إلى ذكره من أحوال الناس، حتى تنتقل النفس بعد ذلك إلى الكذب؛ والافتراء على الآخرين أقوالاً لم يقولوها، و آراء لم يحملوها و لم يدينوا بها يوماً. و إنا لنجد شيئاً من ذلك في كتب التراجم، تراجم كبار الأئمة



و المقتدى بهم كأبى حنيفة و الشافعي و مالك و أحمد، والأشعري، و البخاري، و ابن تيمية و أمثالهم. و من يقرأ مثل «الانتقاء في فضائل الأئمة الثلاثة الفقهاء» يجد شيئاً من ذلك، و من يقرأ بتاريخ بغداد يجد كثيراً من ذلك و العياذ بالله.

و كم هو قبيح أن تذكر المثالب، و تورد النقائص في المجالس العامة، و الخطب العامة. فحق العلماء و الدعاة أن يتحققوا من معارفهم، و يحذروا الغيبة و يتجنبوا الذكب و الافتراء فيما يجدونه في الكتب غير الممحصة، أو يبلغهم من نقلة الأخبار ممن يسمون النمامين و القتاتين الذين نهانا الله تعالى عن الاستماع و الطاعة لهم، فقال: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ * هَمَّازٍ مَّشَّاء بِنَمِيمٍ﴾. و قد يجدون من بعض العلماء من يسمع لهم، و ربما دعاهم إلى التمادي في ذلك؛ لأن تنقيص العلماء أضحى مرضه وعلته. و من أولى من العلماء و الدعاة أن يتحققوا فيما يقرءون و يسمعون، و هم يحفظون قول الله تعالى: ﴿يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا إِنْ جاءَكُمْ فاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصيبُوا قَوْماً بِجَهالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلى ما فَعَلْتُمْ نادِمينَ﴾، ويعظون به الناس، و الحمد لله.

و كم تسببت أقوال الفساق و نمّ النمامين في التضييق في الرزق، و التضييق في النفس، و في تخويف الآمن بإذن الله على من يخالف بعض العلماء، في مسائل؛ بينما الملاحدة و الزنادقة في أمان وسعة رزق وراحة بال منهم، و في بلادهم هم.

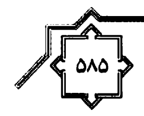
٦ ـ و من البدع التي يجب التناهي عنها في كتب العلم، عند ذكر السلف الصالح من العلماء ورواة الأحاديث، الاكتفاء بمثالب الرجال و أقوال المخالفين لهم دون ذكر أقوال المنصفين و المعدلين لهم. قال الذهبي رحمه الله في ترجمة أبان بن زيد العطار: و قد أورده العلامة أبو الفرج ابن الجوزي في الضعفاء، و لم يذكر فيه أقوال من وثقه. و هذا من عيوب كتابه يسرد الجرح و يسكت عن التعديل. اهـ.



وقد قرأت لأحد المعاصرين لما ترجم لأبي حنيفة ﵀ قال: أبو حنيفة ضعفه النسائي، وسكت. بل قال غيره ممن يعدّ شيخه عند ذكر أبي حنيفة ﵀ : ضعفوا حديثه من جهة حفظه.

و قد أجاب الشيخ عبدالفتاح على نبز هذا الثاني، فقال حفظه الله بعد نقله قول الرجل: (ضعفوا حديثه من جهة حفظه): مناف للأمانة العلمية، لأنه إن كان اعتمد في ذلك قول البخاري و من تابعه، فهو قول مدخول لا يصح الاعتماد عليه. كما أشرت إليه، و سيأتي سبب انحراف البخاري عنه ص٣٨٠. و على فرض سلامته من النقد و البواعث و الملابسات الخاصة، فكان حق الأمانة العلمية على الشانئ أن يذكر إلى جانبه أقوال معدليه و موثقيه، و هم أكثر و أشهر و أقوى معرفه بالرجال. و منهم شعبة بن الحجاج الذي قال في أبي حنيفة ﵀: كان والله حسن الفهم جيد الحفظ. و منهم شيخا البخاري و المقدمان عليه في هذا العلم بالاتفاق و هما الإمامان الجليلان: يحيى بن معين الذى قال في الإمام: هو ثقة ما سمعت أحداً ضعفه، هذا شعبة بن الحجج يكتب إليه أن يحدث و يأمره، وشعبة شعبة. و علي بن المديني الذي قال: أبو حنيفة روى عنه الثوري و ابن المبارك، و هو ثقة لا بأس به. فذكر ذلك الشانئ الجرح دون التوثيق منافٍ للأمانة العلمية؛ إذ من المقرر في علم الرجال أن ذكر الجرح دون التعديل ظلم و خيانة. اهـ .

و قال المحقق الفقيه الشيخ محمد عوامة في تعليق على ترجمة الإمام أبى حنيفة ﵀ في «تقريب التهذيب»، و قد طبعه من نسخة خطيه بخط مؤلفه و نشره محققاً، فجزاه الله تعالى خيراً، قال ـ وفقه الله تعالى ـ : و قد أطال المزي في ترجمة الإمام، بحيث استوعب أكثر من ثلاث صفحات مخطوطة، في كل صفحة خمسون سطراً كبيراً من الخط الدقيق. فجاءت بمقدار ترجمة الإمام الشافعي



تاماً، و أطول من ترجمة الإمام مالك بكثير. و مما جاء فيها عن داوود بن عبد الله الخريبي، أحد الثقات العباد: «يجب على أهل الإسلام أن يدعوا الله لأبي حنيفة في صلاتهم»، و ذكر حفظه عليهم السنن و الفقه. و في «سير أعلام النبلاء»: ٦/ ٤٠١: عن أبي معاوية محمد بن خازم الضرير أحد الثقات أيضاً: حب أبي حنيفة من السنة».

و مما ينبَّه إليه أن المصنف ـ يعني ابن حجر ـ و قبله المزي و الذهبي ـ و هم أئمة هذا الفن في العصور المتأخرة ـ لم يشر أحد منهم ولو إشارة خفيفة إلى مغمز في الإمام في عدالته أو ضبطه أو إمامته، لا في هذه الكتب الثلاثة التي نقلت عنها، ولا في غيرها من كتبهم؛ بل ختم المصنف ترجمته في «التهذيب» بقوله: ومناقب الإمام أبي حنفية كثيرة جداً، فرضي الله تعالى عنه و أسكنه الفردوس آمين» و ختمها الذهبي في «السير»: ٦/ ٤٠٣ بقوله: «وسيرته تحتمل أن تفرد في مجلدين، رضي الله عنه». اهـ.

وانظر لزاماً «الألباني شذوذه و أخطاؤه» لمحدث الهند مولانا حبيب الرحمن الأعظمي؛ فقد استوعب الرد على المتكلمين في شأن الإمام أبي حنيفة قديماً، و أحد المعاصرين خاصة على طريقة أهل الحديث و التوثيق للأقوال ــ فجزاه الله خيراً ص١٣ إلى ١٥.

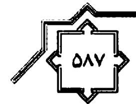
٧ ـ و من البدع التي يجب التناهي عنها قران غير الله تعالى بالله تعالى جهلاً. و ذلك مثل دعوى أن الرزق هو هذا المرتب الذي يأخذه، ولولاه لمات من الجوع؛ و أن فلاناً هو الذي أنجز له موضوع كذا، ولولاه لكان كذا و كذا؛ و أنه لولا المال المدّخر عنده من قبل، لما استطاع أن يعيش أيام الغلاء هذه و أمثال ذلك، دون أن يربط الأمور بالله تعالى الذي يرزق كيف يشاء، و قدّر على ما يشاء: على يد الصديق و الحبيب، و على يد العدوّ و البغيض؛ و أنه هو الذي



يسخر بعض الناس لخدمة بعض الناس فضلاً منه سبحانه و كرماً. إن نسبة الأشياء إلى الأسباب القريبة غير منكر؛ لكن يجب أن لا ينسى بحال مسبب الأسباب، الفعال لما يريد سبحانه، و في الحديث الشريف «**من لم يشكر الناس لم يشكر الله**». رواه الترمذي و حسنه. و قال الله تعالى: ﴿**أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ**﴾.

و الذي على العلماء والدعاة أن يوجهوا أولئك المخطئين و الجهال إلى الحق بالتعليم و الإرشاد؛ لا أن ينبزوهم بالمروق و الإشراك معاذ الله، فتتسع دائرة الخلاف، و يحرم العلماء من أجر هداية الله تعالى الناس على أيديهم، و أنه «**لأن يهدي الله بك رجلا واحداً خير لك من حمر النعم**». رواه البخاري. و في رواية: «**خير لك من الدنيا و ما فيها**». و يحرم أولئك الجهال من العودة إلى الحق و العيش به. فما أعظم خسارة الطرفين في تلك الحالة و العياذ بالله؟ !.

٨ ـ و منها كذلك ما يفعله بعض الجهال عند زيارة القبور؛ أن يسألوا الميت شفاء مرضاهم أو قضاء حاجاتهم؛ و أن يعقدوا على شباك قبر الولي و الرجل الصالح الخيطان و الأقمشة، على نية حبل المرأة العقيم و رجوع الزوج النافر، و الحب بعد البغض، و أمثال ذلك. ولو أن أولئك الجهال سئلوا برفق ولين: هل يعتقدون أن ذلك الرجل الصالح يقدر على شيء بعد أن انتقل إلى رحمه الله تعالى؟ لأجابوا: لا، إنا نعتقد أن غير الله تعالى لا يملك النفع والضر حقيقة؛ لا أثناء حياته، ولا بعد مماته. لكن هذا رجل صالح مبارك، له قدر عند الله تعالى فنسأله لذلك. إن الحق مع هؤلاء أن يعلَّموا فيقال لهم: سلوا الله تعالى وحده، ولا بأس أن تسألوه سبحانه بصلاح ذلك الولي، و دين ذلك الرجل الصالح، و شخص ذلك الرجل الصالح، أن يقضي سبحانه حاجاتكم. فيعادون إلى الأمر المشروع ويعودون إن شاء الله.

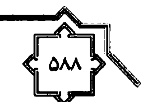


٩ ـ و من البدع التمسك بظواهر النصوص المثبتة للصفات النقلية، من الاستواء و اليد و النزول و الضحك و نحو ذلك من المتشابه؛ ذلك لأن التمسك بظواهر هذه النصوص، على ما هو معهود فيما يختص بالآدميين بدعة مكفرة. إذ فيه تشبيه الإله بخلقه، و تجاهل للنصوص الأخرى الدالة على التنزيه، مثل: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾. كما أن حملها على معنى آخر معين، و التمسك به، و القول بأنها لا يراد بها غيره: تعصب و بدعة مذمومة؛ إذ التأويل أمر مظنون باتفاق، و القول في صفات البارى سبحانه بالظن غير جائز، فربما أوّلنا الآية على غير مراد الباري سبحانه فوقعنا في الزيغ، على أن ما يظنه هذا المتعصب مراداً قد يرجّح غيره أنه ليس بمراد. لذا اختار المفسر الألوسي في تلك الآيات، صرفها عن ظاهرها بلا تعيين لمعنى آخر، كما هو قول الماتريدية.

و من البدع مما يتصل بهذه الصفات جمع ما ورد منها في مكان واحد ــ كما فعل ابن خزيمة في كتاب التوحيد ـ إذ هذه الكلمات لم يجمعها رسول الله ﷺ، ولا أحد من الصحابة في مكان واحد؛ و إنما جمعها المشبهة و المبتدعة، ولجمعها من التأثير فى الإيهام و التلبيس على الأفهام ما ليس لآحادها المتفرقة.

و من البدع مما يتصل بهذه الصفات القياس عليها، و إثبات ما لم يرد نصاً على ما ورد منها كإثبات الساعد أو العضد أو الكتف استناداً إلى أن هذه من لوازم اليد، و هو تشبيه ظاهر. بل إن البحث فيما يتصل بهذه الصفات و ما يراد في نفسه بدعة مذمومة.

و قال الألوسي بعد ذكر بعض الصفات النقلية كالاستواء: و مذهب السلف أنه صفات ثابتة وراء العقل، ما كُلفنا إلاّ اعتقاد ثبوتها مع اعتقاد عدم التجسيم و التشبيه، لئلا يضاد النقل العقل، بل و النقل كقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ و قوله: ﴿وَلَمْ يَكُن لَهُ كُفُواً أَحَدٌ﴾.

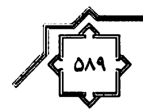


١٠ ـ و من هذه البدع التي يجب التعاون على إزالتها من إذهان المسلمين عن طريق التعاون بين العلماء و الدعاة، بدعة اعتبار اليهودية و النصرانية و الإسلام دينا واحداً؛ لأن الحقيقة في الدين واحدة، يمكن أن يلتقي عليها المتدينون جميعا بعيداً عن التعصب و فواصل الخلاف.

من المعلوم أن أول من دعا إلى ذلك، تبعاً للفكرة الماسونية التي كان قد اعتنقها و دعا إليها، هو جمال الدين أسد أبادي المعروف بالأفغاني؛ و تبعه بعد ذلك تلميذه محمد عبده.

قال جمال الدين: رجعت إلى أهل الأرض، و بحثت في أهم ما هم فيه، فوجدته في «الدين»، فأخذت الأديان الثلاثة و بحثت فيها فوجدت الموسوية و العيسوية و المحمدية (هكذا) على الاتفاق في المبدأ و الغاية، و إذا نقص في الواحد شيء من أوامر الخير، استكملته الثانية. و هنا لاح لي بارق كبير أن يتّحد أهل الأديان الثلاثة، و أخذت أضع لنظريتي هذه خططاً و أسطراً، و أحرر رسائل الدعوة. ثم جمعت ما افترق من الكفر، و لمت شعث القصور، و نظرت إلى الشرق و أهله ـ و قد خصصت دماغي لتشخيص دائه و تحري دوائه ـ فوجدت أقتل أدوائه انقسام أهله؛ فقد اتفقوا على أن لا يتفقوا، ولا تقوم على هذا القوم قائمة.

ورغم معرفة الأفغاني بحظر الإسلام اتخاذ الأعوان من اليهود و النصارى، فقد جعل من معاونيه يعقوب صنّوع الإسرائيلي صاحب (الأحوال)؛ و أبو نظارة أديب إسحق النصراني اللبناني الذي رثاه في «العروة الوثقى»، و سليم عنجوري اللبناني النصراني الذي تسلم صحيفة «مرآة الشرق» من إبراهيم القاياتي بإيعاز من الأفغاني. و صرح بذلك الأستاذ موفق في موضع آخر: كان جمال الدين يدَّعي أن الماسونية تدعو إلى وحدة الأديان الثلاثة تحت شعار (المساواة، والإخاء، و العدالة).



لقد علم الإخوة العلماء أن جمال الدين الأسد آبادي، الذي لعب أدواراً عجيبة في حياته ـ و بعض تلك الأدوار ما تزال في طيّ المجهول في كثير من الناس ـ ، قد جاء من الهند إلى مصر حيث دخل الماسونية رسمياً؛ ثم خرج منها و أنشا محفلاً ماسونياً خاصاً. و حين نعلم أن الماسونية دعوة يهودية، فلا غرابة إذن أن نجد جمال الدين يدعو إلى وحدة الأديان الثلاثة: اليهودية و النصرانية و الإسلام ـ كما هي دعوة الماسونية ـ ؛ و ذلك من أجل ضرب الإسلام و النصرانية و القضاء عليهما، و تبقى اليهودية وحدها. و لكن هل كان يعلم جمال الدين بمكر اليهود ذلك، و مقصدهم هدم الإسلام؟ فذلك شأن آخر.

والأنكى و الأشد أن فكرة توحيد الأديان أثرت في تلاميذ جمال الدين المقربين: قال الأستاذ مصطفى فوزى غزال: و في أواخر سنة ١٨٨٨، عاد المرزا باقر إلى بيروت لابتلاء ابنته بالسل؛ و هناك التقى بالشيخ محمد عبده مرة ثانية، و كذلاك التقى بخادم الأفغاني القديم عارف أبوتراب. فاتفق الثلاثة على إنشاء جمعية باسم «جمعية التأليف و التقريب»؛ هدفها التقريب بين الأديان السماوية الثلاثة ـ أي الإسلام و اليهودية و النصرانية ـ ، و الدعوة إلى نبذ التعصب في الدين، و تاليف الكتب التي تصور الأديان الثلاثة بروح الإنصاف و المحبة، و التعاون على إزالة الضغط الأوربي على الشرق، و تعريف الإفرنج بحقيقة الإسلام. وقد انتمى إلى هذه الجمعية عدد من المفكرين الإيرانيين و الأتراك و الهنود و الإنكليز و اليهود؛ كالقس إسحاق تيلر فى لندن، و الوزير مؤيد الملك فى طهران، و حسن خان مستشار السفارة الإيرانية في إسطنبول، و المستر لينتر مفتش المدارس في الهند، و كان المرزا باقر و القس تيلر من أشد الأعضاء حماسا في العمل لهذه الجمعية بالقول و الكتابة، و يقال إن الشيخ محمد عبده أرسل، هو

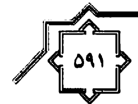


و جماعة من علماء الشام، رسالةً إلى القس تيلر فى موضوع التقريب الـذي كـان القس يعمل له في لندن. فلما علم السلطان عبدالحميد بـالأمر، كلـف سـفيره في لندن بالتحقيق فيه، و التعـرف علـى أسـماء مـوقعي الرسـالة. و عنـدما حـصل السلطان على الأسماء أوعز بنفيهم مهما يكن الحال، فقد تم إبعاد المرزا باقر فعلاً و ذهب إلى إيران حيث مات فيها سنة ١٨٩٠ أو بعدها بقليل.

و قال سعد زغلول ـ التلميذ الثـاني لجـمال الـدين ــ : إن أبي وهبنـي حيـاة يشاركني فيها علي و محروس ـ و هما أخواه وكانان مـزارعين ــ ، والـسيد جمـال الدين وهبني حياة أشارك فيها محمداً و إبراهيم و موسى و عيـسى و الأوليـاء و القديسين.. كأنه يشير بهذا إلى وحدة الأديان الثلاثة عنده.

قد يقول أحد الإخوة العلماء: ذلك تاريخ ذهب مع ذهاب القـائلين بـه، ولم يبق له أثر. أقول: للأسف إنه باقٍ؛ و إنه يذر قرنه بين فترة و أخرى ليفتن بعـض المسلمين. و قد عرف الناس مجمع قرطبة الـذي أنـشأه المـسلم الفرنـسي رجـاء جارودي، و يريد فيه التأليف بين الأديان الثلاثة. و قد عرفوا رجلاً وقع اتفاقيـه الذل مع اليهود، قرر أن يجمع شيخ الأزهر و كبير اليهود و النصارى ليصلوا معاً فى سيناء؟ !.

والأخطر من هذا أنه قد خرج واحد من العلماء يـدعو إلـى شيء مـن هـذا، ولا حول ولا قوة إلا بالله: إنه الدكتور محيي الدين عبدالحليم، الأسـتاذ بجماعـة الأزهر الشريف. فقد قال الرجل بعد آيات منها: ﴿يَا أَيُّهَا الَّـذِينَ أُوتُـوا الْكِتَـابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ﴾: و بمثل هذا الإصرار أكد كتـاب الله تعـالى أن الحقيقة في الدين واحدة، يمكن أن يلتقـي عنـدها المتـدينون جميعـاً، بعيـداً عـن التعصب وفواصل الخلاف. ثم قال بعد كلام: و تضمنت رسـالة الرسـول ﷺ إلى كل الملوك الذين يدينون بدين سماوي كلمات تحمل معنى الود (!) و تهـدف



إلى التقارب، و تعمل على ابراز روح الإخوة في الله. ثم قال أخيراً: و هكذا حين نقارن بين الرسالات السماوية الكبرى، نجد أن الأساس الذي قامت عليه الديانات واحد، و أن الأصل واحد؛ و قد جاء في القرآن ما يدل على ارتباط هذه الأديان بعضها ببعض. اهـ.

أقول و بإيجاز: قال الله تعالى: ﴿**قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلا نَعْبُدَ إِلا اللهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ**﴾.

فهل نجد فى آلاية الود والتحبب إليهم أم المفاصلة العامة و القاطعة بين المسلمين و غير المسلمين مهما كان دينهم؟ !!

و قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**﴾، وقال سبحانه: ﴿**قاتِلُوا الَّذينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالله وَ لا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَ لا يُحَرِّمُونَ ما حَرَّمَ اللهُ وَ رَسُولُهُ وَ لا يَدينُونَ دينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذينَ أُوتُوا الْكِتابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَ هُمْ صاغِرُونَ**﴾، و قال سبحانه: ﴿**قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ**﴾.

و الآيات في المحادة، و ترك الموادة كثيرة.

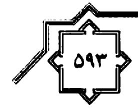
ولقد قال رسول الله ﷺ: «**والذي نفسي بيده، لايسمع بي أحد من هؤلاء اليهود والنصارى ثم لا يؤمن بالذي بعثت به إلاّ كان من أهل النار**». رواه البخارى و مسلم. إن الكفر بالنبي ﷺ كفر بالإسلام؛ ولايقبل الله تعالى من ذلك الكافر إيماناً و لا عبادة، حتى ولو أقام على دينه الحق كما أنزل، ما لم يؤمن بالنبي الخاتم ﷺ، فإنه ﷺ: «**فرق بين الناس**».



فأجمعوا رأيكم أيها الإخوة العلماء على قول واحد، و تعاونوا على تبليغه إلى الناس تعليماً، ودعوة. إن الإسلام لا يوادّ غير الإسلام، و المسلمون لا يوادّون غير المسلمين. و إن المسلمين متمسكون بدينهم، لا يرضون لغيره أن ينزل منزلته بحال؛ قال تعالى ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ﴾، ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ﴾.

عرِّفوهم أن الخلاف بين الإسلام و غيره هو في الأساس، في العقيدة، فأنى يلتقي مع غيره؛ و إن كان لا يمنع من مجادلتهم بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم. وسلوا بعض من حضروا مؤتمرات الأديان ماذا جنوا منها للإسلام، مقابل ما استفاده أولئك الذين أوهموا البسطاء و الضعفاء أن المسلمين اعتبروا دينهم، و عدّوهم إخوة لهم؟؛ !.

لقد كانت اليهودية، حين بعث سيدنا محمد ﷺ، تقوم على أساس من نسبة الأبوة إلى الله تعالى في رأى بعضهم، و تقوم على اساس الكفر بدعوة عيسى عليه و على نبينا الصلاة و السلام، و تتهمه بأنه ولد زنا. وتقول في الله تعالى ما تقول مما حكى الله ذلك عنهم، و تدعي أن الله تعالى جسم كالأجسام، و تكفر بالنبي الخاتم ﷺ و رسالته إلى الخلق جميعاً. و كانت النصرانية، حين بعث سيدنا محمد ﷺ، تقوم على أساسٍ من نسبة الأبوة إلى الله تعالى، أو نسبة الألوهية إلى عيسى عليه و على نبينا الصلاة و السلام، و على أن عيسى عليه السلام صلب من قبل أعدائه لينجّي من النار كل من آمن أنه صلب لخلاص البشرية من وبال الجريمة الأولى لآدم عليه السلام نعوذ بالله. و تكفر بالنبي الخاتم ﷺ و رسالته إلى الخلق جميعاً. فهل تغير الدينان؛ فعادا إلى التوحيد، و الإيمان بالرسول الذي ﴿يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ﴾ اللهم لا.



وهل قرأ أحد أن رسولنا ﷺ تعاون مع اليهود والنصارى ضد مشركي العرب أو عبدة النار من المجوس؟ اللهم لا.

بل إنا لنجد أن رسول الله ﷺ جادل نصارى نجران، داعياً إياهم إلى التوحيد و الإسلام حتى إذا قطعوا قال لهم كما حكى الله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ الله كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثم قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ * الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ و اقرأ حقيقة تلك المجادلة في تفسير روح المعاني لهذه الآيات، و غيره.

و دعوته ﷺ لأحبار اليهود و عامتهم، كانت على كل حال إلى الإيمان به ﷺ دون مهاودة، و دون مودة لهم، و دون رضاً بكفرهم على أي حال، معروفة مشهورة لا تحتاج إلى مثال.

١١ ـ و على أخطر من الدعوى السابقة، نجد دعوة صدّرت إلينا من أعداء الإسلام لنهلك بالقول بها و العياذ بالله تلك الدعوة هي: اعتبار اليهود و النصارى و الصابئين ناجين عند الله تعالى؛ و أنهم يؤجرون على دينهم و أعمالهم كالمسلمين، سواء بسواء؛ دون أن يطلب منهم قبول الإسلام و الإيمان به، و برسوله ﷺ.

نعم لقد ذهب أحدهم إلى ديار الغرب، فقرأ عليهم آيات من كتاب الله تعالى؛ فاعتبر بذلك غير المسلمين إخوة للمسلمين، لأنهم يعتنقون ديناً سماوياً أنزله الله تعالى في عصر من العصور. و قرأت في ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة الألبانية شيئاً من هذا. و حجة أولئك قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارىٰ وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِالله وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾. و هي دعوى جد خطيرة كأنها تقول لرسولنا محمد ﷺ: قد كان باطلاً دعوتك أهل الكتاب إلى

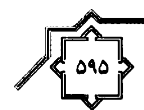


الإسلام؛ بل و مقاتلتهم حين لم يؤمنوا، و لم يـدفعوا الجزيـة، و أبـوا إلاّ القتـال؛ لأنهم على دين، و هم به ناجون عنـد الله تعـالى. و تقـول لإخـوان النبـى ﷺ بعده، و اليوم و إلى يوم القيامة: دعوا الناس على أديانهم السماوية، (فكـل مـن على دينه الله يعينه) و تقول و العياذ بالله إن مثل آية: (قل يا أهل الكتاب تعـالوا إلى كلمة سواء بيننا و بينكم ألاّ نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعـضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا أشهدوا بأنّا مـسلمون) هـي خطـأ، أو تحتاج إلى فهم يصل إليه أهل الباطل و العياذ بالله.

أيها الأخوة العلماء؛ كتاب الله تعالى حمّال معاني متعددة، تفسر آية منها آيـة أخرى، و يفسر رسول الله ﷺ بقوله و دعوته و سلوكه ما يفسر منها، و قد فعل ذلك. فكان المسلمون به على بينة، و هاك ما قاله بعض المفسرين في تفسير الآية.

قال ابن كثير: قال السدي: نزلت ـ أي آية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ ـ في أصحاب سلمان الفارسي رضي الله عنه، بينما هو يحـدث النبـي ﷺ إذ ذكـر أصـحابه، فـأخبروه خبرهم ـ أي أنهم في النار ـ فقال: كانوا يـصلون و يـصومون، و يؤمنـون بـك و يشهدون أنك ستبعث نبياً. فلما فرغ سلمان من ثنائه عليهم قال النبـي ﷺ: «**يـا سلمان، هم من النار**» فاشتد ذلك على سلمان، فأنزل الله تعالى هذه الآية. فكـان إيمان اليهود أنَّ من تمسك بالتوراة و سنة موسى عليه السلام حتى جاء عيسى، فلـما جـاء عيسى كان مـن تمـسك بـالتوارة و أخـذ بـسنة موسـى عليه السلام فلـم يـدعها و يتبـع عيسى عليه السلام، كان هالكاً. و إيمان النصارى أن من تمسك بالأنجيل منهم و شرائـع عيسى عليه السلام كان مؤمناً مقبولا منه حتى جاء محمد ﷺ؛ فمن لم يتبـع محمـداً ﷺ منهم و يدع ما كان عليه من سنة عيسى و الإنجيل كان هالكاً.

قلت: وهذا لاينافي ماروي عن ابن عباس رضي الله عنه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّـذِينَ هَادُوا﴾ الآية، قال: فأنزل الله تعالى بعد ذلك: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِيناً فَلَـن

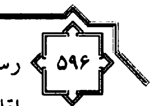


يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ فإن هذا الذي قال ابن عباس إخبار عن أنه لا يقبل من أحد طريقة و لا عملاً، إلا ما كان موافقا لشريعة محمد ﷺ، بعد أن بعثه بما بعثه به. فأما قبل ذلك فكل من اتبع الرسول في زمانه فهو على هدى و سبيل و نجاة، فاليهود أتباع موسى ﷺ الذين كانوا يتحاكمون إلى التوراة في زمانهم. و قال: فلما بعث عيسى ﷺ وجب على بنى إسرائيل اتباعه و الانقياد له، فأصحابه و أهل دينه هم النصارى. ثم قال: فلما بعث الله محمد ﷺ خاتماً للنبيين، و رسولا إلى بني آدم على الإطلاق، وجب عليهم تصديقه فيما أخبر، وطاعته فيما أمر، والانكفاف عما عنه زجر، و هؤلاء هم المؤمنون حقا.

قال الله تعالى: **﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَهَ إِلا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾**.

أقول: فالشرائع عديدة، والدين واحد، و كل شريعة تأتي تنسخ ما كان قبلها من الشرائع؛ و واجب على الناس الموجودين في ذلك العصر اتباع الشريعة القائمة و الناسخة. و مع بعثة رسولنا محمد ﷺ إلى الناس كافة؛ فلا يقبل الله تعالى ديناً غير الإسلام، ولايقبل شريعة غير شريعة محمد عليه الصلاة و السلام.

وأخيراً؛ قد تبين لنا أن البدعة من حيث اللغة: الأمر المحدث على غير مثال سابق؛ و أن هذا الأمر المحدث قد يكون داخلاً في عموم أحكام الإسلام من الأمر بفعل الخير، و اجتناب الشر، و الدعوة إلى الله تعالى، وردّ شبهات الملاحدة و المشككين في الإسلام، و إقامة المعاهد و المدارس لتدريس مختلف علوم الإسلام، وتأليف الكتب في ذلك و تصنيف المصنفات؛ و العناية الخاصة بكتاب الله تعالى من جمعه في مصحف إمام للمسلمين عامة، ثم العناية بمظاهر

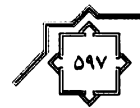


رسمه من نقط، وشكل الحروف، و تحزيب القرآن و تجزئته، و ما إلى ذلك؛ و إقامة المعاهد و المدارس لتدريس القرآن الكريم، تجويداً، و أداء، و تعليم القراءات و ما إلى ذلك، ثم العناية باللغة العربية، تقعيداً و تنظيما، و تبويبا، و إقامة المعاهد و المدارس التدريس مختلف علوم اللغة العربية خادمة القرآن الكريم مبينة معانيه؛ ثم التصنيف في العلوم المتقدم ذكرها جميعاً؛ ثم العناية الخاصة بسيرة رسول الله ﷺ من جمعها في كتب ورسائل، و عرضها على الناس، و إقامة المعاهد و المدارس لتدريس تاريخ الإسلام، و تاريخ البشرية فى عصورها المختلفة و ما إلى ذلك من العلوم و المعاهد. كما قد يكون داخلاً في عموم نواهي الإسلام و محظوراته إن كان على عكس ما ذكرنا.

و ليس يقول مسلم إن ذلك الذي سبق ذكره ليس أموراً مستحدثة بعد رسول الله ﷺ، فهي على هذا أمور مبتدعة؛ و أبادر فأقول: و ليس يقول مسلم إن ذلك الذى سبق ذكره من ذلك الصنف الذي ذكره رسول الله ﷺ في حديثه: **«وكل محدثة بدعة و كل بدعة ضلالة»**. رواه أبو داود و غيره.

قال الشيخ المحدث الفقيه، الصالح التقي، الداعي إلى الله تعالى على بصيرة، و خادم السنة المطهرة في المسجد الحرام و البلد الحرام، و في بلاد أندونيسيا خاصة، و كثير من بلاد المسلمين، الدكتور السيد محمد بن علوي المالكي الحسني ـ حفظه الله تعالى ـ في كتابه النافع الماتع: «مفاهيم يجب أن تصحح» في رده على «حوار مع المالكى» «الذي اتهم ذلك الكتاب للحوار أو المكتوب له السيد العالم المحدث في عقيدته، و شكك في نسبه و العياذ بالله» قال ـ حفظ الله تعالى و زاد من توفيقه ـ :

(تفريق ضروري بين البدعة الشرعية و اللغوية) ينتقد بعضهم تقسيم البدعة إلى حسنة و سيئة، وينكر على من يقول ذلك أشد الإنكار؛ بل إن منهم



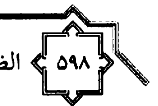
من يرميه بالفسق و الضلال، و ذلك لمخالفة صريح قول الرسول ﷺ: «كل بدعة ضلالة». وهذا اللفظ صريح في العموم، و صريح في وصف البدعة بالضلالة.

و من هنا نراه يقول: فهل يصح بعد قول المشرع صاحب الرسالة أن «كل بدعة ضلالة» أن يأتي مجتهد أو فقيه ـ مهما كانت رتبته ـ فيقول: لا، لا، ليس كل بدعة ضلالة؛ بل بعضها ضلالة و بعضها حسنة، و بعضها سيئة. و بهذا المدخل يغترّ كثير من الناس، فيصيح مع الصائحين و ينكر مع المنكرين؛ و يكثر سواد هؤلاء الذين لم يفهموا مقاصد الشريعة، و لم يذوقوا لروح الدين الإسلامي. ثم لا يلبث إلاّ يسراً حتى يضطر إلى إيجاد مخرج يحلّ له المشاكل التي تصادفه، ويفسر له الواقع الذي يعيشه: إنه يضطر إلى اللجوء إلى اختراع وسيلة أخرى، لولاها لما استطاع أن يأكل و لا يشرب، ولا يسكن، بل ولا يلبس، و لا يتنفس، ولا يتزوج، ولا يتعامل مع نفسه ولا أهله، ولا اخوانه ولا مجتمعه. هذه الوسيلة هي أن يقول باللفظ الصريح: إن البدعة تنقسم إلى بدعة دينية، و دنيوية. يا سبحان الله؛ لقد أجاز هذا التلاعب لنفسه أن يخترع هذا التقسيم، أو على الأقل أن يخترع هذه التسمية.

ولو سلّمنا أن هذا المعنى كان موجوداً منذ عهده النبوة، لكن هذا التسمية ـ دينية و دنيوية ـ لم تكن موجودة قطعاً في عهد التشريع النبوي.

فمن قال: إن تقسيم البدعة إلى حسنة وسيئة لم يأت من الشارع، نقول له: وكذا تقسيم البدعة إلى بدعة دينية غير مقبولة، و دنيوية مقبولة هو عين الابتداع و الاختراع.

فالشارع يقول: «**كل بدعة ضلالة**» هكذا بالإطلاق، و هذايقول: لا، ليست كل بدعة ضلالة بالإطلاق؛ بل إن البدعة تنقسم إلى قسمين: دينية و هي



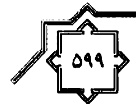
الضلالة، و دنيوية و هي التي لا شيء فيها. و لذا لابدّ أن نوضح هنا مسألة مهمة و بها ينجلي كثير من الإشكال، و يزول اللَّبس إن شاء الله تعالى ــ و هي أن المتكلم هنا هو الشارع الحكيم؛ فلسانه لسان الشرع، فلا بدّ من فهم كلامه على الميزان الشرعي الذي جاء به. و إذا علمت أن البدعة في الأصل هي: كل ما أحدث أو اختراع على غير مثال؛ فلا يغيب عن ذهنك أن الزيادة أو الاختراع المذموم هنا هو الزياده في أمر الدين ليصير من أمر الدين، و الزيادة في الشريعة ليأخذ صبغة الشريعه، فيصير شريعة متبعة منسوبة لصاحب الشريعة. و هذا هو الذي حذر منه سيدنا رسول الله ﷺ بقوله: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردّ**». فالحد الفاصل في الموضوع هو قوله: «في أمرنا هذا».

ولذلك فإن تقسيم البدعة إلى حسنة و سيئة في مفهومنا ليس إلاّ للبدعة اللغوية التي هي: مجرد الاختراع و الإحداث. و لا نشك جميعا في أن البدعة بالمعنى الشرعي ليست إلاّ ضلالة و فتنة مذمومة مردودة مبغوضة. ولو فهم أولئك المنكرون هذا المعنى، لظهر لهم أن محل الاجتماع قريب و موطن النزاع بعيد.

وزيادة في التقريب بين الإفهام، أرى أن منكري التقسيم إنما ينكرون تقسيم البدعة الشرعية؛ بدليل تقسيمهم البدعة إلى دينية و دنيوية، و اعتبارهم ذلك ضرورة.

و إن القائلين بالتقسيم إلى حسنة و سيئة يرون أن هذا إنما هو بالنسبة للبدعة اللغوية، لأنهم يقولون: إن الزيادة في الدين و الشريعة ضلالة و سيئة كبيرة. ولاشك في ذلك عندهم، فالخلاف شكلي.

غير أني أرى أن إخواننا المنكرين لتقسيم البدعة إلى حسنة و سيئة، و القائلين بتقسيمها إلى دينية و دنيوية لم يحالفهم الحظ في دقة التعبير. و ذلك لأنهم لما حكموا بأن البدعة الدينية ضلالة ـ و هذا حق ـ و حكموا بأن البدعة

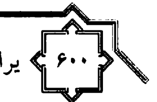


الدنيوية لا شيء فيها، قد أساءوا الحكم؛ لأنهم بهذا قد حكموا كل بدعة دنيوية بالإباحة، و في هذا خطر عظيم، وتقع به فتنة و معصية، ولابد حينئذ من تفصيل واجب، و ضرروي للقضيه. و هو أن يقولوا: إن هذه البدعة الدنيوية منها ما هو خير، و منها ما هو شر؛ كما هو الواقع المشاهد الذي لا ينكره إلا أعمى جاهل. و هذه الزيادة لابد منها. و يكفي في تحقيق هذا المعنى قول من قال بأن البدعة تنقسم إلى حسنة و سيئة و معلوم أن المراد بها اللغوية، كما تقدم، و هي التي عبّر عنها المنكرون بالدنيوية. و هذا القول في غاية الدقة و الاحتياط. و هو ينادي على كل جديد بالانضباط والانصياع لحكم الشرع و قواعد الدين، و يلزم المسلمين أن يعرضوا كل ما جدّ لهم و أحدث من أمورهم الدنيوية العامة و الخاصة على الشريعة الإسلامية؛ ليرى حكم الإسلام فيها، مهما كانت تلك البدعة. و هذه لا تتحقق إلا بالتقسيم الرائع المعتبر عن أئمة الأصول.

فرضي الله عن أئمة الأصول، و عن تحريرهم الألفاظ الصحيحة المجزئة المؤدية إلى المعاني السليمة، دون نقص أو تحريف أو تأويل. اهـ.

قلت: بلى في تقسيم أولئك البدعة إلى بدعة دينية، و أخرى دنيوية دعوى خطرة؛ و تقسيم يجب أن يتروى المسلم كثيراً قبل أن يقول به، فضلاً عن أن ينسبه إلى الإسلام. و إليك أمثلة:

رأى بعض الناس تقسيم الحكم في الإسلام إلى شيخ ديني يأمر و ينهى، و يعظ و ينصح، يأمر بالمعروف و ينهى عن المنكر، لكن لا سلطة له ولا قوة ولا مال إلا ما يعطى، ولا شركة له في إدارة أمور الناس؛ و سلطان دنيوي يأتمر و ينتهي بأمر سلطان الدين ما يشاء، ثم له وحده السلطة، والقوة و المال، وإدارة أمور الناس وفيهم أصحاب السلطان الديني بما يراه المصلحة فضلاً عن السياسة العامة في الداخل، و الصلات، و العلاقات مع الدول الأخرى في الخارج، بما



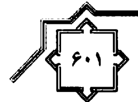
يراه الأصلح كذلك. و لقد وجد هذا في بعض بلاد المسلمين، وكان أول ثلمة عملية في تاريخ المسلمين أن فصل ـ إلى حدّ ما ـ بين السلطة الدينية، و السلطة الزمنية، ولا حول ولا قوة إلا بالله، و قد كان يجمعها رسول الله ﷺ و الخلفاء بعده و هو معروف.

ثم سرى على ذلك التقسيم للسلطة في حياة المسلمين مصطلحات غريبة عن الإسلام، مثل: الدين لله و الوطن للجميع، الوحدة الوطنية، حكم الدين أو حكم رجال الدين و حكم الحاكم أو رجال الدنيا. ثم تدرج إلى ما سمي النزاع بين العلماء و الحكام؛ و الحكام معهم المال و القوة، و لهم سياسة معينة في إدارة أمور البلاد و تنظيم العلاقات المختلفة؛ أما العلماء فلا مال لهم ولا قوة، إنما يحملون كلمة الإسلام لا غير، و على هذا التوازن غير المتوازي يعرف من الذي يملك حسم النزاع وبتره.

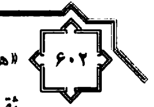
كما سرى حديث: «**أنتم أعلم بأمور دنياكم**» فأثرى هذا الفهم السقيم و الضال؛ دعوة الاستغناء عن أحكام الإسلام في قضايا إدارة أمور الناس، أو السياسة العامة، و العلاقات المختلفة في الداخل و الخارج، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ولقد ظن بعض المغرضين أن رسول الله ﷺ ما كان يعرف من أمور الدنيا كثيراً، حتى إنه ما كان يعرف ما يصلح النخل، و النخل أساس الأشجار و الثمار في حياتهم. مع أنه ﷺ أوتي من العلم ما لا يعلمه أهل الاختصاص في اللغات، و التاريخ، و التجارة، و إدارة أمور الناس، و السياسة، و أمور الغيب خاصة؛ و الأمثلة على ذلك كثيرة؛ لكني أكتفي اليوم بما يناسب المقام و هو أمر النخل.

روى البخاري في الأدب المفرد بسنده إلى شهاب بن عباد العصري أن بعض وفد عبد القيس سمعه يذكر، قال: لما بدا لنا في وفادتنا إلى النبي ﷺ



سرنا حتى إذا شارفنا القدوم تلقانا رجل يوضع ـ يسرع ـ على قعود له، فسلّم، فرددنا عليه، ثم وقف فقال: ممن القوم؟ فقلنا: وقد عبدالقيس فقال: مرحباً بكم و أهلا، إياكم طلبت، جئت لأبشركم؛ قال النبي ﷺ بالامس لنا إنه نظر إلى المشرق فقال: «**ليأتين غداً من هذا الوجه ـ يعني المشرق ـ خير وفد العرب**» فبت أروّغ حتى أصبحت فشددت على راحلتي، فأمعنت في السير حتى ارتفع النهار، و هممت بالرجوع، ثم رفعت رءوس رواحلكم، ثم ثنى راحلته بزمامها راجعاً يوضع عوده على بدئه، حتى انتهى إلى النبي ﷺ و أصحابه حوله من المهاجرين و الأنصار، فقال: بأبي و أمي ـ أفديك يا رسول الله بأبي و أمي ـ جئت أبشرك بوفد عبدالقيس. فقال: «أنّى لك بهم يا عمر؟» قال: هم أولاء على أثري قد أظلوا. فذكر ذلك فقال: «بشرك الله بخير» وتهيأ القوم في مقاعدهم، وكان النبي ﷺ قاعداً، فألقى ذيل ردائه تحت يده فأتكأ عليه، وبسط رجليه، فقدم الوفد ففرح بهم المهاجرون و الأنصار، فلما رأوا النبي ﷺ و أصحابه أمرحوا ركابهم فرحاً بهم، و أقبلوا سراعاً فأوسع القوم و النبي ﷺ متكئ على حاله، فتخلّف الأشجّ ـ وهو منذر بن عائذ بن منذر بن الحارث بن النعمان بن زياد بن عصر ـ فجمع ركابهم ثم أناخها، و حطّ أحمالها و جمع متاعها، ثم أخرج عيبة له و ألقى عنه ثياب السفر، ولبس حلة، ثم أقبل يمشي مترسّلاً. فقال النبي ﷺ: «من سيدكم وزعيمكم وصاحب أمركم؟» فأشاروا فأجمعهم إليه، وقال: «ابن سادتكم هذا؟» قالوا: كان آباؤه سادتنا في الجاهلية، و هو قائدنا إلى الإسلام. فلما انتهى الأشجّ أراد أن يقعد من ناحية؛ استوى النبي ﷺ قاعداً، قال: «ههنا يا أشجّ». وكان أول يوم يسمى الأشج ذلك اليوم؛ أصابته حمارة بحافرها وهو فطيم، فكان في وجهه مثل المقر فأقعده إلى جنبه و ألطفه و عرف فضله عليهم، فأقبل القوم على النبي ﷺ يسألونه و يخبرهم حتى كان بعقب الحديث قال:



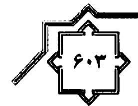
«هل معكم من أزودتكم شيء؟» قالوا: نعم. فقاموا سراعاً كل رجل منهم إلى ثقله، فجاءوا بصبر التمر في أكفهم، فوضعت على نطع بين يديه؛ و بين يديه جريدة دون الذارعين و فوق الذارع، فكان يختصر بها قلّما يفارقها؛ فأومأ بها إلى صبرة من ذلك التمر فقال: «تسمون هذا التعضوض؟» قالوا: نعم، قال: «وتسمون هذا الصّرفان؟» قالوا: نعم، قال: «وتسمون هذا البرني؟» قالوا: نعم. قال: «هو خير تمركم و أينعه لكم» وقال بعض شيوخ الحيّ: وأعظمه بركة، وإنما كانت عندنا خصبة ـ الخصبة الدقل و قيل هي النخلة كثيرة الحمل ـ نعلفها إبلنا و حميرنا، فلم رجعنا من وفادتنا تلك عظمت رغبتنا فيها و فسلناها حتى تحولت ثمارنا منها ورأينا البركة فيها.

إذن فما المراد بقوله ﷺ: **«أنتم أعلم بأمور دنياكم»**.

اجاب عنه المحدث الصالح العلامة الفاضل عبد الله سراج الدين حفظه الله تعالى بقوله: أما قضية تأبير النخل، فقد ورد في صحيح مسلم و المسند عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ مرّ بقوم يلقحون النخل، فقال: **«لو لم تفعلوا لصلح»** قال: فخرج شيصاً، فمرّ بهم النبي ﷺ فقال: **«ما لنخلكم؟»** قالوا: قلت كذا وكذا، فقال: **«أنتم أعلم بأمر دنياكم»**. فمن هذا الحديث فهم بعض الناس أن النبي ﷺ قد يخطئ في أمور الدنيا، وراح يقول: أخطأ رسول الله ﷺ في كذا و كذا.

ولكن الحق أحق أن يتبع، وذلك أن أقواله ﷺ و أفعاله يفسر بعضها بعضاً، ويشبه بعضها بعضاً، و أن الله تعالى حفظه عن الخطأ كما حفظه من الخطيئة. فنقول و بالله التوفيق.

أولاً: أن ﷺ قد نشأ في تلك الأراضي المباركة التي هي منابت النخيل، و تربى بين قوم يعلمون فنون زرع النخيل، و ما يطلبه من عنايات ولقاحات. و

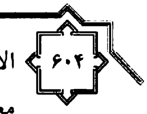


كيف يتصور في حقه ﷺ أن تخفى عليه تلك العادة المطردة في إنتاج النخيل، و لزوم التلقيح له بموجب الأصول الزراعية، في حين أن ذلك ليس من خفايا معلومات الزراعة لشجر النخيل، ولا من غوامضها؟ ! إذن لا بدّ و أنه يعلم ذلك كما يعلمون؛ ولكن أراد أن يظهر لهم أمراً لا يستطيعون نيله بأنفسهم.

ثانياً: إن الرسول الكريم ﷺ الذي نال من العلوم ما نال، و أفاض الله عليه ما أفاض حتى إنه ذكر للصحابة وبحث لهم في كل شيء، كما روى الطبراني عن أبي ذر رضي الله عنه قال: تركنا رسول الله ﷺ و ما طائر يقلب جناحيه في الهواء إلا و هو ذكر لنا منه علماً. فكيف يتصور أنه يخفى عليه ﷺ أن النخيل لا تحتاج إلى تلقيح بمقتضى العادة في علم الزراعة؟ ولكن رسول الله ﷺ أراد أمراً آخر.

ثالثاً: إن الذي يدلنا على ذلك الأمر الآخر الذي أراده ﷺ هو النظر في أشباه هذه الواقعة الصادرة منه ﷺ و من ذلك حديث «**ناولني الذارع**». ففي المسند عن أبي رافع قال: صُنع لرسول الله ﷺ شاة مصلية فأتي بها، فقال: «**يا أبا رافع ناولني الذراع**». فناولته، ثم قال: «**ناولني الذراع**». فناولته، ثم قال: «**ناولني الذارع**» فقال: يا رسول الله، هل للشاه إلاّ ذراعان؟ فقال ﷺ: «**لو سكتّ لناولتني منها ذراعاً ما دعوت به**» قال: وكان رسول الله ﷺ يعجبه الذراع.

ثم قال: وهكذا في حادثة تأبير النخل لما مرّ ﷺ بقوم يؤبرون النخل أراد أن يكرمهم و يتحفهم، و أن يظهر لهم معجزة خارقة للعادة المطردة في إصلاح النخل بالتأبير فيكرمهم خاصة بصلاحه دون تأبير؛ إذ هو ﷺ ممن يعلم بموجب العادة حاجة النخيل إلى التأبير كما يعلمون، لأنه ﷺ بينهم مطلع على أمورهم. و لكن لما لم تقبل قلوب بعض أولئك النفر، ولم تستسلم كل

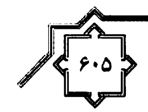


الاستسلام إلى قوله ﷺ: «**لو لم تفعلوا ـ أي التأبير ـ لصلح**» بل وقفوا عند معلوماتهم الدنيوية المطردة في فن زراعة النخيل، و أن صلاحه موقوف على التأبير؛ فلم يلق الكرم محلاً قابلاً فرجع. ولذلك ردهم ﷺ بعد ذلك إلى الأسباب المعتادة لديهم، المعلومة عندهم، التي وقفوا عندها ولم يجاوزوها؛ فقال لهم: «**أنتم أعلم بأمور دنياكم**»، أي فارجعوا إلى العمل بموجب علمكم بأمور دنياكم. ألخ. من كتاب «سيدنا محمد رسول الله ﷺ» ص٣٦٧، بحث حفظ الله تعالى رسوله ﷺ من الخطأ والباطل وتسديده بالحق و الصواب في جميع أحواله. وانظر فيه بحث سعة علمه ﷺ وكثرة علومه التي لا يحصيها إلا الله تعالى الذي افاضها عليه ص٩٠ إلى ١١٤، فهو بحث ممتع غني أي غنى بالأمثله و الأدلة، بل الكتاب كله تحفة علمية، جزى الله كاتبه خيراً، و نفع المسلمين به وبعلومه في عافية، وأكرمنا و إياه بحسن الخاتمة.

ثم تمادى الأمر وازداد وضوحاً، فقيل إن العلماء ـ يعنون الدين، لأن العلماء حملة الدين ـ يمثلون التزمّت و القرار على العادات و الموروثات البالية ــ كالحجاب و منع الاختلاط بالأجانب و تحريم الربا ـ و الحياة تقوم على التطور و التقدم (إلى المجهول و هو الهاوية و الدمار). فقامت المنازعات بين الحكام و العلماء؛ ثم تدرج الأمر إلى اتهام العلماء في دينهم و أخلاقهم و سلوكهم؛ وجرى على ذلك توجيه العامة بواسطة الإعلام خاصة إلى البعد عنهم، والازدراء لهم و نسبة كل نقيصة إليهم، إلى حد اتهامهم بالفتيا بفرخة...!!

وكان ذلك مكر اليهود بالعلماء، ينفذه في علماء المسلمين أبناء المسلمين.

و لما تم لهم ذلك على ما مكروا و كادوا، وقفو للعلماء بالمرصاد، على المنابر، و مجالس العلم، و الكتابات. فإذا وجدوا منهم دعوة للعودة إلى الإسلام اتهموهم بالعمالة، و خدمة مصالح الأعداء. و إذا ظهرت من العلماء مجابهة



لباطلٍ لا يصبر أولئك عنه، مثل الربا و الخمر و القمار و الظلم والانحراف؛ اتهموهم بالتطرف، وقالوا: هم الأصوليون؛ وضيقوا عليهم في كل مجال، فلا يكادون يبرءون من تهمة حتى تلصق بهم أخرى يسجنون عليها بين حين و آخر، و العياذ بالله.

وإذا وجدوا العالم الضعيف، الفقير، المريض الذي يسايرهم فيما يريدون من جعل الإسلام في خدمتهم، ودعوى أنهم حماة الدين و الغير عليه، و يفي بما يناسب أولئك؛ جذبوه إلى صفوفهم، و أغروه بدنياهم و متاعها الزائل، حتى سقط، فيكون اللسان الناطق بصوت سيده؛ فتأتيه دنياهم، ويخسر بذلك آخرته، و العياذ بالله. ثم تمادوا حتى وصلوا إلى غايتهم، فقالوا: إن الأخوّة الوطنية مقدمة على غيرها، ولا يثار غيرها في وجهها فسلموا قيادة الجماهير، و إدارة أمور بلاد المسلمين، و المسلمين إلى الفسقة الكفرة، شربة الخمر، لاعبي القمار، الجهلة بالدين بل غير المعروفين بالتدين و الاستقامة فى حال من الأحوال.

بل سلموها إلى الكفرة المعلنين بكفرهم و المحاربين للإسلام. و أمثلة ذلك معروفة، لاتحتاج إلى ذكر. قلت: هذا في بلاد المسلمين... أما في بلاد الكافرين فلا بأس أن يكون في إيطاليا و ألمانيا حزب سياسي يسمى الحزب الديمقراطي المسيحي... أما في بلاد المسلمين... .

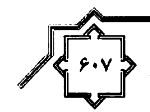
بل الأغرب من ذلك كله، ما قرأته في صحيفة الاتحاد الصادرة بالإمارات العربية المتحدة: قال رئيس مجلس وزراء بولندا، بعد فوزه فى برلمان بلاده، في أول تصريح لصحيفة روسية؛ قال تاديوش مازونيتسكي رئيس وزراء بولندا الجديد: إنه يريد أن تكون روابط بلاده بالاتحاد السوفياتي أساساً لعلاقة بين شعبين و دولتين، و بعدها تأتي العلاقات بين منظمات و مؤسسات و أحزاب. و عندما سئل عما إذا كان يعتبر نفسه اشتراكياً أو اجتماعياً ديموقراطياً، ردّ بأنه مسيحي يتبع توجيهات الكنيسة الكاثوليكية من خلال بابا الفاتيكان.

عتاب لطيف لرجل من العلماء

يحلو لبعض الأحبة المبادرة و الإسراع إلى تبديع بعض العلماء في أمور مختلف فيها بين العلماء، و قديما قال الإمام ابن دقيق العيد من كلام: و لعل البدع المتعلقة بأمور الدنيا لا تكره أصلاً، بل كثير منها يجزم فيه بعدم الكراهة. و إذا نظرنا إلى البدع المتعلقة بالأحكام الفرعية، لم تكن مساوية للبدع المتعلقة بأصول العقائد.

١ ـ مات أحد طلابنا من إحدى الجامعات في طريقه إلى العمرة في حادث سيارة، ودفن في المدينة المنورة في البقيع، فقمت على قبره فلقنته كما هي العادة الشريفة في بلادنا. فقام بالإنكار جماعة، ورفعوا أصواتهم دون أن يستشعروا رهبة الموقف، و مهابة الحضور. لكني مضيت فلقنته، و قرأت عليه ومن معي سورة يس، كما ورد ذلك في حديث أحمد: «**اقرءوا على موتاكم يس**».

ولم يعجب الأمر واحداً من العلماء فأقام النكير، و بدّعني بين طلاب تلك الجامعة. ثم دعاني فذهبت إليه. و قال: إن هذا الأمر بدعة منكرة. فقلت له: يا فضيلة الشيخ في مذهبنا أن لا نأمر بالتلقين ولا ننهى عنه، وفي المذهب الحنبلي ــ وهو مذهبه أو مذهب فقهه ــ أن ذلك مندوب إليه. وذكرت له ماجاء في «الفروع» وغيره، فلم يبال بذلك كله. وسكت وسكتٌ، لكنه لم يعذرني. و أنقل اليوم بالمناسبه بعض أقوال الحنابلة في الموضوع: جاء في «المغني»: قال الأثرم: قلت لأبي عبدالله: فهذا الذي يصنعونه إذا دفن الميت؛ يقف الرجل فيقول: يا فلان بن فلان، اذكر ما متّ عليه، شهادة أن لا إله إلا الله. فقال: ما رأيت فعل هذا إلا أهل الشام، حين مات أبو المغيرة؛ جاء إنسان فقال ذلك. و كان أبو المغيرة يروي فيه عن أبي بكر بن أبى مريم عن أشياخهم أنهم كانوا يفعلونه. وقال القاضي أبو الخطاب: يستحب ذلك.. إلخ و خبر الطبراني في التلقين رواه



ابن شاهين بإسناده في كتاب ذكر الموت، وقال ابن حجر في التخليص الحبير: و إسناده صالح.

قلت: وتلقين الميت ثابت في مذهب الإمام الشافعي رحمه الله أيضا. هل يقول في التلقين إنه بدعة بعد هذا قائل، إلا أن يكون جاهلاً بالمذاهب المعتبرة؟

٢ ـ وبلغنا أن ذلك الشيخ طلب من معالى وزير الأوقاف في بلاده بمنع قراءة القنوت في صلاة الفجر، ووصف ذلك أنه بدعة. وهو والله اجتراء، لا ينبغى للعالم أن يعرف به، فالقنوت في صلاة الفجر قال به مالك و الشافعي، وهما إمامان؛ وقد كان الأول النجم، كان الثاني شيخ أحمد بن حنبل رحمهم الله تعالى جميعاً.

وهذان نقلان ينفيان كون القنوت بدعة. قال ابن القيم: فأهل الحديث متوسطون بين هؤلاء وبين من استحبه عن النوازل وغيرها، وهم أشعر بالحديث من الطائفتين؛ فإنهم يقنتون حيث قنت رسول الله ﷺ، و يتركونه حيث تركه. يقتدون به في فعله وتركه، ويقولون فعله سنة، وتركه سنة. ومع هذا فلا ينكرون على من داوم عليه، ولاينكرون فعله ولايرونه بدعة، ولا فاعله مخالفاً للسنة.. إلخ.

وجاء في المغني: فصل: ولا يسنّ القنوت في الصبح ولا غيرها من الصلوات إلا الوتر وبهذا قال الثوري و أبو حنيفة، وروي عن ابن عباس و ابن عمر و ابن مسعود و أبي الدرداء. وقال مالك و ابن أبي ليلى و الحسين بن صالح و الشافعي: يسنّ القنوت في صلاة الصبح جميع الأيام، لأن أنساً قال: «**ما زال رسوله الله ﷺ يقنت في الفجر حتى فارق الدنيا**». رواه أحمد في مسنده، وكان عمر يقنت في الصبح بمحضر من الصحابة وغيرهم. اهـ.

فهل يقول في قنوت الفجر إنه بدعة بعد هذا قائل، إلا أن يكون جاهلاً بالمذاهب المعتبرة؟



وعتاب غير لطيف على رجل آخر من العلماء

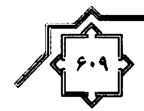
١ ـ كان أحد العلماء كتب رسالة في عقيدة أهل السنة، قدم لها أحد العلماء، و قد وصف فيها يد الله تعالى بأنها (عظيمة) !! كبرت كلمة. تلك الصفة توحي بتشبيه الله تعالى بخلقه، وحاشا معتقد أهل السنة أن يكون منه تشبيه و تجسيم؛ إنما هو التنزيه المطلق و الحمد الله.

٢ ـ وكتب في ٢٤ ـ٦ـ٣ـ٤٠٣ كلمة يقول فيها: فعقيدتنا أن لله تعالى معية حقيقية ذاتية تليق به، و تقضي إحاطته بكل شيء... الخ. و قال الشيخ علي ابن عبد الله الحواس الحنبلي: إن هذه وصمة كبيرة وزلة خطيرة من الشيخ ـ هدانا الله و إياه ـ ثم قال: أما المعية، فإنه لم ينقل عن واحد منهم أنه قال: إن معية الله لخلقه ذاتية. و حاشاهم من ذلك؛ و على رأسهم الخلفاء الأربعة وحبر الأمة ابن عباس، وابن مسعود، وغيرهم من الصحابة؛ و إنما نقل عنهم نقلاً ثابتاً أنهم قالوا: إن معية الله مع خلقه معية ذاتية، بل كلهم مجمعون على أنه تبارك مع خلقه بعلمه لا بذاته... الخ.

خاتمة

أختم هذه الرسالة الهادية الهادئة إن شاء الله تعالى بكلمة للشيخ الصالح الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي، و هي كلمة رضية حكيمة تضع الدواء النافع المقبول على الجرح فيشفى بإذن الله تعالى.

قال حفظه الله تعالى بعد كلام: ولعل أضيق تعريف للبدعة، لا يندرج فيها إلاّ ما تم الإجماع على أنه بدعة، و أنه المعني بنهي الكتاب و السنة، هو التعريف الذي جنح إليه الإمام الشاطبي في كتاب «الاعتصام» وهو أنها: طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشريعة، يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله عز وجل. وقد عرفها بتعريف آخر أوسع من هذا حيث دخل فيه بعض الأمور الخلافية



التي لم يتم الاتفاق بشأنها، وهو أنها: «طريقة في الدين مخترعه تضاهى الشريعة يقصد بالسلوك عليها ما يقصد بالطريقة الشرعية». و نحن في هذا الصدد ننطلق من التعريف الأول، تحريراً لمحل الإجماع و محل النزاع كما ذكرنا.

إذن فمما لاريب فيه عند جميع أئمة المسلمين و علمائهم أن البدعة محرمة، و مما لا ريب فيه أيضا أن كل طريقة مخترعة؛ باسم الدين، إن في عقائده أو عباداته، داخل في معنى البدعة بيقين و باتفاق؛ إذ التزيد أو التحوير في العقائد، شأنه كشأن ذلك في العبادات، إنما يراد منه المبالغة أو الاختراع في أوجه التعبد لله عز وجل. فاختراع صلاة زائدة على ما ثبت في الشرع من المكتوبات و النوافل المقيدة، و اختراع صوم يوم بذاته لفضيلة خاصة به دون أن يرد به الشرع من قرآن أو سنة، و إيجاب الاقتصار على لون واحد من الطعام على المائدة تعبداً، ورفع الصوت بالأذكار و القصائد أمام الجنائز، و الأذان عند إدخال الميت القبر، واختراع اعتقاد بأن جهنم ستفنى وينتهي عذاب الكافرين، أو بأن عذابهم أنما هو عذاب الخزي و الندامة وحده؛ كل ذلك داخل بإجماع المسلمين في معنى البدعة. و من ثم فإن التلبس به أو بشيء منه ضلالة كما قال سيدنا رسول الله ﷺ.

إذن فأين مكمن الخلاف في هذا الموضوع؟ ومن أين لأصحاب الاختلاف فيه أن يختلفوا؟

مكمن الخلاف ينحصر في نقطتين اثنتين:

أولاهما: العادات، هل ينسحب عليها معنى البدعة؟ إذن فكل عادة ألفها الناس وكانت على خلاف مألوفات الصحابة و عاداتهم، أو كانت على خلاف العادات التي عُرف بها رسول الله ﷺ فهي بدعة؛ وهي بذلك ضلالة يجب التحاشي عنها.

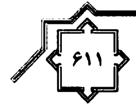


لم يتفق السلف رضوان الله عليهم في هذه المسألة على رأي، فقد كان فيهم ـ في الصحابة و التابعين ـ من يتحرج و يمنع من ممارسة عادة استحدثت بعد رسوله الله ﷺ، سواء كانت تتعلق بالمآكل أو الملابس أو المسكن أو غير ذلك. وكان فيهم من لا يرى أن بين العادات التي تتطور في حياة الناس، وبين معنى البدعة التي حظرها الشارع، أي صلة أو علاقة. فللمسلم أن ستحدث من الأعراف و العادات ما شاء، مهما كانت مخالفة للعادات السائدة في عصر رسول الله ﷺ و أصحابه.

ذلك لأن العادات بحدّ ذاتها لاتعد شرعاً، ولا تعدّ بذاتها مصدراً من مصادر الشرع، لا سيما العادات الفعلية التي كلامنا فيها. وقد ذكرنا في الباب التمهيدي من هذا الكتاب نماذج و أمثلة كثيرة من العادات التي استحدثت في عصر السلف رضوان الله عليهم، و بيّنا اختلاف مواقفهم منها حسب اختلاف اجتهاداتهم في النظر لقيمة الأعراف العملية السائدة في عصر رسول الله ﷺ، أهي حجة وداخلة بشكل ما في معنى السنة ـ أم لا، فلا نكرر ما قلناه هناك.

ونظراً لهذا الاختلاف، وقع الخلاف كما رأينا في تعريف البدعة؛ فالتعريف الأول معتمد من قبل من يرى أن التحرر من العادات التي كانت سائدة في عصر النبوة لا يدخل في معنى البدعة، وليس من حرج على الناس أن يتميزوا في الأعراف و العادات، ما لم يتعارض مع حكم ثابت بكتاب أو سنة صحيحة أو بإجماع أئمة المسلمين.

والتعريف الثاني معتمد من قبل من يرى أن العادات التي نالت الإقرار من النبي ﷺ وظلت سائدة في حياته، مصدر من مصادر الشرع، فالجنوح عنها إلى أي عادة أخرى ابتداع وضلال.



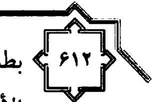
والخلاف في هذه النقطة الأولى ظهر في عصر السلف ذاته ــ كما سبق أن أوضحنا ذلك بشكل مطول في الباب التمهيدي من الكتاب ــ ؛ فهو ليس من مظاهر الخلاف القائم بين السلف والخلف، كما يظن كثير من الناس.

النقطة الثانية: تطبيق تفريق البدعة على الوقائع و الجزئيات. فلا شك أن السعي إلى التطبيق العملي والحكم على الجزئيات كثيراً ما يفتح آفاق النظر و النقاش، و يثير وجوه الاحتمال. فيقع الخلاف في التطبيقات من حيث تم الإجماع على المبادىء، في دائرة كونها أفكاراً مجردة و مفاهيم ذهنية؛ وهو ما يسمونه في علم أصول الفقه ـ تحقيق المناط ـ وأكثر ما يقع من خلاف بين أئمة المسلمين وعلمائهم، إنما مرده إلى الانتقال من حيث المبادىء الذهنية المجردة إلى التطبيقات العلمية و الجزئية ـ تحقيق المناط ـ.

فالبحث في تفصيل القضاء و القدر، والسؤال عن الجبر و الاختيار في حق الإنسان، أينطبق عليهما معنى البدعة؟ فيكون الخوض فيهما من البدعة التي يجب التجنب عنه، أم لاينطبق عليهما تعريفهما ومعناها، فلا ضير من البحث فيهما و لا حرج؟

واستخدام علم الكلام واصطلاحات الفلاسفة وقواعد المنطق في الدفاع عن أصول الدين وعقائد الإسلام أينطبق عليه تعريف البدعة؟ وإذن فيجب تجنبها؛ أم لاينطبق فلا حرج من استخدام ذلك كله، مع اليقظة وعدم الانحراف إلى الباطل الذي وقع فيه كثير من أصحاب هذه القواعد و العلوم؟

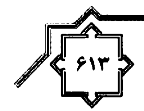
ومناقشة المبتدعة في بدعهم، ومحاورتهم في شأن الباطل الذي يتمسكون به؛ أيعدّ من البدعة، ويدخلان في مضمونها و جزئياتها. فيقال أن الاشتغال بمحاورتهم و ترديد كلامهم عمل محرم، لايجوز الإقدام عليه؟ ام لايدخلان؛ في معناها فلا مانع من محاورتهم و مناقشتهم، ابتغاء الكشف عن زيف أفكارهم و



بطلانها؟ وتفريق الباحث في مسألة القرآن بين ما فيه من المعاني النفسية، و الألفاظ المنطوق بها مع ما يلحق بها من حبر و ورق و غلاف، ليقول إن الأول قديم غير مخلوق، والثاني حادث مخلوق؛ أيعدّ بدعة محظورة لأن هذا التفريق لم يعلم على عهد رسول الله ﷺ، و من ثم يجب إطلاق القول بأن القرآن قديم غير مخلوق دون تفصيل ولا تفريق؟ أم لا يعدّ بدعة و إنما هو شرح وبيان لما علمه الصحابة من قبل على وجه الإجمال، و من ثم فلا مانع ـ لا سيما في مجال التعليم ـ من هذا التفريق و التفصيل؟

والتوسل بجاه رسول الله ﷺ بعد وفاته، أو بجاه من قد عُرفوا بالصلاح والاستقامة بعد وفاتهم؛ أيدخل في البدعة لأنه إحداث أمر في الدين لم يأذن به الله، ولا يدخل في شيء من مبادئه و أحكامه، بل يناقض العمود الفقري من التوحيد، وهو توحيد الله عزّ و جل توحيداً تاماً يشمل توحيد الذات والصفات؟ أم أنه يقاس على التوسل به ﷺ حال حياته، و هو شيء ثابت دلت عليه الأحادث الصحيحة و من ثم فهو ليس من البدعة من شيء؟

والتزيد في العبادات؛ ما هو ضابطه، وما هي حدوده؟ فإن ثمة أمثلة ووقائع يتجاذبها النظر، ويشبه أن يكون الأخذ بها داخلاً في معنى من معاني التزيد والاختراع؛ ويشبه أيضاً أن لا يعدّ من الاختراع أو التزيد في شيء. فالأذان الذي استحدث عثمان رضي الله عنه على داره في الزوراء لما توسعت المدينة، واحتاج أهلها إلى إعلام سابق بدخول وقت الظهور ـ إذ لم يعد الأذان، الذي يؤذن على عهد رسول الله ﷺ على باب المسجد عند صعوده المنبر، يبلغ أطراف المدينة ـ أيعدُّ داخلاً فى البدعة، أم يعد من مقتضيات المصالح الإسلامية، ومن ضروريات تحقيق شعيرة الجمعة على خير وجه؟



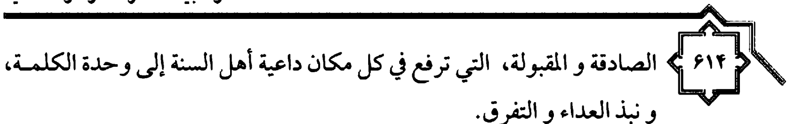
والإحرام بمناسك الحج و العمرة له ـ كما نعلم ـ مواقيت مكانية حددها رسول الله ﷺ؛ فما حكم من أحرم قبل الوصول إليها؟ أيعدّ مبتدعا لأنه خالف الحد الذي وضعه رسول الله ﷺ، فهو متلبس ذلك في منهيّ عنه، أم يعد ملتزماً؟ لأن المخالفة هنا إنما تتمثل في تجاوز المواقيت، وهو لم يتجاوزها؛ وإنما ألزم نفسه بما يشبه حمى بين أيديها، وقد صح عن رسول الله ﷺ قوله لعائشة رضي رضي الله عنها: «أجرك على قدر نصبك».

وصلاة العيد إن أديت في المساجد الجامعة، أيكون ذلك ابتداعاً من المصلين؛ لأن النبي ﷺ كان يندب الناس لأدائها إلى المصلى في ظاهر المدينة؟ أم لايدخل في حدّ الابتداع، نظراً لسير المسالة مع تطور الحاجة واختلاف الظروف، ونظر لدوران الحكم في هذه العبادة وغيرها على مبدأ رفع الحجر والتطلع إلى ما فيه اليسر؟ فهذه الأمثلة نماذج لتطبيقات لم تتمحض فيها دلائل دخولها في تعريف البدعة، كما لم تتمحض فيها دلائل اختلافها وابتعادها عنه؛ فبقيت خاضعة للنظر والاجتهاد.

ومن ثم وقع الخلاف فيها جميعاً؛ لا بين طرفين يمثل أحدهما علماء السلف، ويمثل الآخر علماء الخلف، بل بين أئمة السلف أنفسهم، بدءاً من عصر الصحابة إلى نهاية العصر الثالث.

وها نحن نعرض لكل هذه النماذج التي أجملناهم بشيء من التفصيل... إلخ.

أما بعد، فأسأل الله تعالى أن يجعل هذه الرسالة خالصة لوجهه الكريم، ينير لي بها طريق الهدى في الحياة الدنيا، ثم المرور على الصراط، يوم لا نور إلاّ من نوره؛ ووالدي، و أهلي، و مشايخي و المسلمين. و أن يجعلها صوتاً من الأصوات



الصادقة و المقبولة، التي ترفع في كل مكان داعية أهل السنة إلى وحدة الكلمـة، و نبذ العداء و التفرق.

ولعل الله تعالى يجعلنا بها و أمثالها مفاتيح للخير مغاليق للشر، دعاة هداة

إرغام المبتدع الغبي
بجواز التوسل بالنبي

للامام المحدث الأصولي:

سيدي عبد الله بن محمد بن الصديق الغماري الحسني

تعليق: السيد حسن بن علي السقاف



أحمد بن الصديق الغماريّ

هو شهاب الدين أبو الفيض أحمد بن محمد بن الصديق التجُكاني المنصوري الإدريسي الحسنيّ، و يتصل نسبه من ناحية أبيه بالإمام الحسن ﷺ.

وُلِد أحمد الغماريّ في مدينة (طنجة) في شهر رمضان المبارك من عام (١٣٢٠هـ/ ١٩٠١م) و حفظ القرآن الكريم و دروس العلوم الدينية التي كانت رائجة آنذاك في المغرب على يَد والده و تلميذه العربي بن أحمد، ثمّ دخل جامعة الأزهر بمصر عام (١٣٣٩هـ)، فبذل فيها جهوداً كبيرة للدراسة و التعليم و التدريس حتى عاد إلى وطنه في عام (١٣٤٤هـ) بعد أن قضى في مصر مدّة خمس سنوات، و اشتغل في التدريس و التأليف في المغرب لمدّة أربع سنوات، فصنّف كتابَيْه (تخريج الدلائل لما في رسالة القيرواني من الفروع و المسائل) و (مسالك الدلالة على متن الرسالة). و في عام (١٣٤٩هـ) عاد إلى مصر و خلال تلك الفترة ألّف الكثير من المصنّفات و كان يدرّس كتاب (فتح الباري) رغم صِغر سنّه، لكنه اضطرّ إلى العودة إلى وطنه المغرب بسبب وفاة والده سنة (١٣٥٤هـ) و شغل منصب أبيه في التدريس.

كان أحمد الغماري متبحّراً في علوم الحديث إذ كان باستطاعته حفظ خمسين حديثاً مع أسنادها و تدريسها و البحث فيها في آن واحد.

توفّي أحمد الغماري في شهر جمادى الآخر من عام (١٣٨٠هـ) في القاهرة بعد مُعاناة شديدة مع المرض الذي كان يعاني منه، و دُفن فيها.

مشايخه و تلاميذه

استقى الغماري علومه و تعليمه من عدد كبير من المشايخ حتى بلغ عددهم المائة إلّا أنّ أشهرهم كان والده محمّد بن الصدّيق بن أحمد الغماريّ الإدريسيّ الحسني، و كذلك محمد إمام بن إبراهيم السقا الشافعي و محمد بن سالم الشرقاوي و محمد بخيت بن حسين المطيعي الحنفي الصعيدي (مفتي مصر)، كما أنّه حصل على إجازات في سماع الحديث و نقله من عدد كبير من المشايخ من أمثال السيد المحدّث محمد بن جعفر الكتاني (المتوفى سنة ١٣٤٥هـ) و السيد المحدّث محمد بن إدريس القادري (شارح كتاب «سنن الترمذي») و شيخ الجماعة السيد أحمد بن الخياط الزكاري و شيخ علماء الشام الشيخ بدر الدين البيباني.

مؤلّفاته و آثاره

صنّف الغماريّ كثيراً من الكُتب أهمّها:

١ ـ إبراز الوهم المكنون من كلام ابن خلدون؛

٢ ـ الإستعاذة و الحسبلة ممّن صحّح حديث البسملة؛

٣ ـ إرشاد المربعين إلى طرق حديث الأربعين؛

٤ ـ إزالة الخطر عمّن جمع بين الصلاتين في الحضر؛

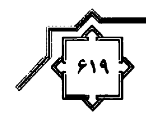
٥ ـ إحياء المقبور بأدلة بناء المساجد و القباب على القبور؛

٦ ـ الإسهاب في الإستخراج على مسند الشهاب؛

٧ ـ الأخبار المسطورة في القراءة في الصلاة ببعض السورة؛

٨ ـ الإستعاضة بحديث وضوء المستحاضة؛

٩ ـ الأربعون المتتالية بالأسانيد العالية؛



١٠ ـ الإشراف بتخريج الأربعين المسلسلة بالأشراف؛

١١ ـ إظهار ما كان خفياً من بطلان حديث «**لو كان العلم بالثريا**»؛

١٢ ـ الإكتفاء بتخريج أحاديث الشفاء؛

١٣ ـ الأمالي المستظرفة على الرسالة المستطرفة في أسماء كتب السنة المشرفة؛

١٤ ـ الإستئناس بتراجم فضلاء فاس؛

١٥ ـ الإلمام بطرق المتواتر من حديثه عليه الصلاة و السلام؛

١٦ ـ الأجوبة الصارفة لإشكال حديث الطائفة؛

١٧ ـ إسعاف الملحّين ببيان حال حديث «**إذا ألّف القلب الإعراض عن الله ابتُلِيَ بالوقيعة في الصالحين**»، و غيرها.

مجيد فاطمي نژاد

باحث في مؤسسة دار الاعلام

لمدرسة اهل البيت عليهم السلام



بسم الله الرحمن الرحيم

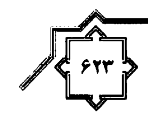
مقدمة

الحمد لله الذي اختص سيدنا محمدا بالرسالة واجتباه، فتوسلنا واستغثنا به إلى من اختاره واصطفاه، وجعله أفضل الخلق بالكمال، بما جمله به من الجلال والجمال، واختاره وبعثه ليظهر كلمة الحق بعد أن مد الضلال رواقه، فلم يزل بإعزاز الشرع قائما، ولساعات زمانه في طلب رضا الله قاسما، لا ينحرف عن مقاصد الصواب ولا يميل، ولا يخلي مطايا جده في تقوية الدين مما تابع فيه الرسيم والذميل، إلى أن أزال عن القلوب صدأ الشكوك وجلا، وأجلى مسعاه عن كل ما أودع نفوس أحلاف الباطل والحاقدين وجلا، ومضى وقد أضاء للإيمان هلال أمن سراره، ورضي لإبادة الشرك حساما لا ينبو قط غراره، فصلى الله عليه وعلى آله الطاهرين، ورضي عن صحابته المنتخبين، صلاة يتصل الأصيل فيها بالغدو، ونرى قيمتها في الأجر وافية العلو. أما بعد: فالتوسل والاستغاثة والتشفع بسيد الأنام، نبينا محمد ﷺ مصباح الظلام، من الأمور المندوبات المؤكدات، وخصوصا عند المدلهمات، وعلى ذلك سار العلماء العاملون، والأولياء العابدون، والسادة المحدثون، والأئمة السالفون، كما قال السبكي فيما نقل عنه صاحب فيض القدير (٢ / ١٣٥): ويحسن التوسل

والاستعانة [١] والتشفع بالنبي إلى ربه ولم ينكر ذلك أحد من السلف ولا من الخلف... أهـ. حتى نص السادة الحنابلة في مصنفاتهم الفقهية عل استحباب التوسل بسيدنا رسول الله ﷺ ونقلوا ذلك عن الإمام أحمد أنه استحبه كما في كتاب الإنصاف فيما ترجح من الخلاف (٢ / ٤٥٦) وغيره ونقل ابن كثير في البداية (١٤ / ٤٥) أن ابن تيمية أقر أخيرا في المجلس الذي عقده له العلماء العاملون الربانيون المجاهدون بالتوسل وأصر على إنكار الاستغاثة. مع أنه يقول في رسالة خاصة له في الاستغاثة بجوازها بالنبي فيما يقدر عليه المخلوق. واعتمد الإمام الحافظ النووي استحباب التوسل والاستغاثة في مصنفاته كما في حاشية الايضاح على المناسك له (ص ٤٥٠) و(ص ٤٩٨) من طبعة أخرى وفي شرح المهذب المجموع (٨ / ٢٧٤) وفي الأذكار (ص ٣٠٧) من طبعة دار الفكر في كتاب أذكار الحج وص (١٨٤) من طبعة المكتبة العلمية وهو مذهب الشافعية وغيرهم من الأئمة المرضيين المجمع على جلالتهم وثقتهم وإني أود أن أسرد بعض الأدلة من الأحاديث الصحيحة الثابتة عند علماء المسلمين وأئمة الحفاظ والمحدثين، والتي لم تضرها محاولة تلاعب المتلاعبين في الطعن في أسانيدها، وغير ذلك من طرق التلاعب والتدليس التي بينتها ومثلت عليها في بهجة الناظر في الفصل الرابع. ولا يعرف الحق كما هو معلوم بالجعجعة وكثرة الكلام ونفخ الكتب بتكثير عدد الصفحات وإنما يعرف الحق بالبراهين العلمية، والأدلة الواضحة الجلية، وإن كانت قليلة العبارات، فهي كثرة التعبيرات والاشارات، وقد أرشد إلى ذلك سيدنا رسول الله ﷺ في قوله «**أوتيت جوامع الكلم واختصر لي الكلام اختصارا**». وإني ابدأ بعرض بعض أدلة التوسل ثم أردفها بأدلة الاستغاثة المندوبة التي أرشدت إليها السنة الغراء فأقول:

---

١ . وقد تصحفت وصوابها الاستغاثة

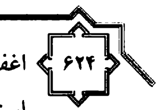


أدلة التوسل:

(١) حديث الشفاعة المتواتر والمروي في الصحيحين وغيرهما من أن الناس يتوسلون بسيد الأنام عند اشتداد الأمر عليهم يوم القيامة ويستغيثون به ولو كان التوسل والاستغاثة من الكفر والشرك لم يشفع النبي للناس يؤمئذ ولا يأذن الله له بالشفاعة للمشركين والكفار على زعم من يكفر عباد الله بالآلاف، ويحاول تهييج العامة والسذج على من أظهر كفر من قال بقدم العالم المجمع على كفر قائله ومعتقده، وأيضا لو كان التوسل شركا أو كفرا لبينه سيدنا رسول الله ﷺ عندما أخبر أصحابه بحديث الشفاعة. فلما لم يكن كفرا بنص الأحاديث المتواترة كان امرأ مندوبا إليه في الدنيا والآخرة لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، ومن قال إن التوسل والاستغاثة كفر في الدنيا ليس كفرا في الآخرة قلنا له: إن الكفر كفر سواء كان في الدنيا أو في الآخرة. قبل موته ﷺ وبعد موته لا فرق. وإن ادعيت الفرق فأت لنا بدليل شرعي مخصص مقبول معتبر.

(٢) حديث سيدنا عثمان بن حنيف رضي الله عنه قال: «**إن رجلا ضريرا أتى النبي ﷺ فقال ادع الله أن يعافيني فقال: إن شئت دعوت وإن شئت صبرت وهو خير قال فادعه. فأمره أن يتوضأ ويحسن الوضوء ويدعو بهذا الدعاء: اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة يا محمد إني أتوجه بك إلى ربي في حاجتي لتقضى اللهم شفعه في. قال سيدنا عثمان: فعاد وقد أبصر**». رواه الترمذي والنسائي والطبراني والحاكم وأقره الذهبي والبيهقي بالأسانيد الصحيحة. وللحديث تتمة صحيحة تأتي في (إرغام المبتدع الغبي).

(٣) حديث سيدنا علي رضي الله عنه وكرم وجهه: أن سيدنا النبي ﷺ لما دفن فاطمة بنت أسد أم سيدنا علي رضي الله عنها قال: اللهم بحقي وحق الأنبياء من قبلي



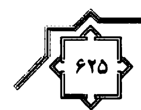
اغفر لأمي بعد أمي رواه الطبراني والحاكم مختصرا وابن حبان وغيرهم وفي إسناده روح بن صلاح قال الحاكم ثقة وضعفه بعضهم والحديث صحيح.

(٤) وروى الإمام البخاري في صحيحه: أن سيدنا عمر ﷺ استسقى عام الرمادة بالعباس عم النبي ﷺ ومن قوله توسلا به: اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا ﷺ وإنا نتوسل إليك بعم نبينا قال فيسقون. وفي الحديث إثبات التوسل به ﷺ وبيان جواز التوسل بغيره كالصالحين من آل البيت ومن غيرهم. كما قال الحافظ في فتح الباري (٢ / ٤٩٧)

وأما أدلة الاستغاثة

(١) فما روى البخاري في صحيحه وغيره من حديث سيدنا عبد الله بن عمر ﷺ في حديث الشفاعة بلفظ: (أن الشمس تدنو يوم القيامة حتى يبلغ العرق نصف الأذن فبينا هم كذلك استغاثوا بآدم ثم بموسى ثم بمحمد ﷺ فيشفع ليقضي بين الخلق فيمشي حتى يأخذ بحلقة الباب فيومئذ يبعثه الله مقاما محمودا يحمده أهل الجمع كلهم). وهذا صريح في الاستغاثة وهي عامة في جميع الأحوال، مع لفت النظر أنه ﷺ حي في قبره يبلغه سلام من يسلم عليه وكلام من يستغيث به لأن الأعمال تعرض عليه كما صح فيدعو الله لأصحاب الحاجات.

(٢) روى الإمام أحمد بسند حسن كما قال الإمام الحافظ ابن حجر في الفتح (٨ / ٥٧٩) عن الحارث بن حسان البكري ﷺ قال: خرجت أنا والعلاء بن الحضرمي إلى رسول الله ﷺ... الحديث وفيه ـ فقلت ـ أعوذ بالله وبرسوله أن أكون كوافد عاد، قال ـ أي سيدنا رسول الله ـ وما وافد عاد؟ وهو أعلم بالحديث ولكنه يستطعمه... الحديث. وقد استغاث الرجل بالله وبرسوله ولم



يكفره سيدنا رسول الله ﷺ وقد خالف الألباني ذلك فكفر كل مستغيث به ﷺ كما في توسله ص ٧ الطبعة الثانية وقلده في هذه البدعة أصحابه والمتعصبين له وأنكروا على من كفر من العلماء مثبت قدم العالم نوعا ومن قال بالحد والجهة والاستقرار وغير ذلك من طامات نسأل الله لهم الهداية وأن يردهم إلى دينه وإلى الحق ردا جميلا. وأن يخلصهم من أهوائهم وعنادهم الذي بنوه على سوء فهم كبيرهم الذي علمهم السحر أو فساد قصده وقد يجتمعان.

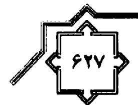
(٣) قوله ﷺ في حديث الأعمى الصحيح عندما علم الرجل أن يقول: (يا محمد إني أتوجه بك إلى الله). في كل زمان ومكان.

وهذه استغاثة صريحة، وقد اعتمدها العلماء المحدثون والحفاظ في كتب السنة في صلاة الحاجة حاثين الأمة عليها.

(٤) جاء في البخاري أن النبي ﷺ قص على أصحابه قصة السيدة هاجر هي وابنها في مكة قبل أن تبنى الكعبة بعد أن تركهما سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام وفي ما قصه أنها لما سمعت صوتا عند الطفل قالت: إن كنت ذا غوث فأغث فاستغاثت فإذا بجبريل عليه السلام فغمز الأرض بعقبه فخرجت زمزم. ولم يقل النبي ﷺ أنها كفرت كما يزعم الألباني ولم ينبه أن تلك الاستغاثة منها كفر البتة. وهي تعلم أن صاحب الصوت لن يكون رب العالمين المنزه عن الزمان والمكان. وهناك أدلة كثيرة بجواز التوسل والاستغاثة وندبهما أفردتها برسالة خاصة أسميتها (الإغاثة بأدلة الاستغاثة) وقد اقتصرت هنا على بعضها وفيها بيان لمن ألقى السمع وهو شهيد هذا إذا كان قلبه نظيفا لا يحب رمي عباد الله بالشرك بمجرد مخالفتهم لمزاجه وأراد اقتفاء النبي ﷺ، وأختم الاستدلال ببيان مسألة هامة جدا وهي استدلال أخير على التوسل والاستغاثة من أحد الصحابة بعد وفاة النبي ﷺ وإقرار الباقين من الصحابة له وعلى رأسهم سيدنا عمر بن



الخطاب ﷺ وهو ما ذكره الحافظ ابن حجر العسقلاني في فتح الباري (٢ / ٤٩٥) حيث قال: روى ابن أبي شيبة بإسناد صحيح (وصححه أيضا ابن كثير في البداية والنهاية ٧ / ٩٢ من طريق البيهقي) عن أبي صالح السمان عن مالك الدار وكان خازن عمر قال: أصاب الناس قحط شديد في زمن عمر فجاء رجل إلي قبر النبي ﷺ فقال يا رسول الله استسق لأمتك فإنهم قد هلكوا فأتي الرجل في المنام فقيل له ائت عمر واقرئه السلام وأخبره أنهم يسقون إسناده صحيح وقد ضعف هذا الأثر الصحيح الألباني بحجج أوهى من بيت العنكبوت في توسله ص (١١٩ ـ ١٢١) وزعم أن مالك الدار مجهول. ونقل ترجمته من كتاب الجرح والتعديل لابن أبي حاتم فقط ليوهم قراءه أنه لم يرو عنه إلا رجل واحد وهو أبو صالح السمان، وقد تقرر عند الألباني بما ينقله عن بعض العلماء من غير المتفق عليه أن الرجل يبقى مجهولا حتى يروي عنه اثنان فأكثر. ثم قال لينصر هواه إن المنذري والهيثمي لم يعرفا مالك الدار فهو مجهول ولا يصح السند لوجود مجهول فيه ثم تبجح قائلا: وهذا علم دقيق لا يعرفه إلا من مارس هذه الصناعة. ونحن نقول له بل هذا تدليس وغش وخيانة لا يدريه إلا من امتلأ قلبه حقدا وعداء على السنة والتوحيد وأهلهما. وقد تبعه على هذا الغش والتدليس وزاد عليه أحد الأغبياء المتعصبين اللاهثين وراء بريق الدراهم في كتاب له ملأه من هذه البضاعة. تخيل فيه أنه رد التوسل وهيهات وهو لم يقرأ العلوم وخاصة ملحة الأعراب على أحد ولم يكن له في حياته أستاذ يهذب أو شيخ يدرب إلا التلقي من صفحات دفاتر هذا الألباني. ونقول في بيان نسف ما قاله الألباني من جهالة مالك الدار: إذا صرح المنذري والهيثمي بأنهما لا يعرفانه فنقول للباحث عن الحق إذن لم يصرحا بتوثيق له أو تجريح لأنهما لا يعرفانه. لكن هناك من يعرفه وهم ابن سعد والبخاري وعلى ابن المديني وابن حبان



والحافظ ابن حجر العسقلاني وغيرهم. فهل يا الباني ينقل كلام من عرفه أم كلام من جهله؟!!. العجيب أن الألباني يحبذ كلام من جهل حاله ويختاره ويفضله على كلام من علم حاله الذي يستره الألباني ولا يحب أن يطلع عليه أحد. وما سأنقله من أقوال الأئمة الحفاظ الذين عرفوه في توثيقه كاف في إثبات ما يقوله السيد عبد الله الغماري وغيره من المحدثين والمشتغلين في علم الحديث من أن الألباني يعرف الصواب في كثير من الأمور لكنه غاش مدلس خائن مضلل لا يؤتمن على حديث واحد. وقد صرح بذلك كثير من أهل العلم كالسيد أحمد الغماري والسيد عبد الله والسيد عبد العزيز المحدثون والشيخ عبد الفتاح أبو غدة والمحدث حبيب الرحمن الأعظمي محدث الهند والباكستان والشيخ إسماعيل الأنصاري والشيخ محمد عوامة والشيخ محمود سعيد والشيخ شعيب الأرناؤوط وغيرهم عشرات من أهل هذا الفن والمشتغلين به. فأهل الحديث شهدوا بأن هذا الرجل لا يعتمد كلامه في التصحيح والتضعيف لأنه يصحح ويضعف حسب الهوى والمزاج وليس حسب القواعد العلمية ومن تتبع أقواله وما يكتبه تحقق ذلك. ويكفيني أن أقول في مالك الدار إن ابن سعد قال في الطبقات (٥ / ١٢): مالك الدار مولى عمر بن الخطاب روى عن أبي بكر وعمر ثم قال وكان معروفا.

وقال الحافظ ابن حجر في الإصابة في ترجمته ترجمة رقم (٨٣٥٦): له إدراك أي أنه معدود من الصحابة ويكفيه في ذلك توثيقا ثم ذكر أنه روى عنه أربعة رجال وهم أبو صالح السمان وابناه عون وعبد الله ابنا مالك وعبد الرحمن بن سعيد بن يربوع المخزومي. ثم قال: قال علي بن المديني: كان مالك الدار خازنا لعمر أهـ بمعناه ملخصا. وبذلك نعلم أن سيدنا عمر وسيدنا عثمان قد وثقاه إذ قد ولياه بيت مال المسلمين وفي ذلك أقوى توثيق له أيضا. ــ وقد نقل الحافظ

الخليلي في كتابه الإرشاد الاتفاق عل توثيق مالك الدار فقال هنـاك: متفـق عليـه أثنى عليه التابعون. فقد ذهب كلام الألباني هباء وللموضوع توسع في رسالة لنا خاصة أسميناها بالباهر. والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

حسن بن علي السقاف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله الأكرمين، ورضي الله عن صحابته والتابعين. وبعد، فإن الشيخ الألباني سامحه الله تعالى صاحب غرض وهوى، إذا رأى حديثا أو أثرا لا يوافق هواه فإنه يسعى في تضعيفه بأسلوب فيه تدليس وغش [1]، ليوهم قراءه أنه مصيب، مع أنه مخطئ بل خاطئ غاش، وبأسلوبه هذا ضلل كثيرا من أصحابه الذين يثقون به ويظنون أنه على صواب، والواقع خلاف ذلك. ومن المخدوعين به من يدعى حمدي السلفي [2] الذي يحقق المعجم الكبير، فقد أقدم بجرأة على تضعيف أثر صحيح لم يوافق هواه كما لم يرافق هوى شيخه [3]

---

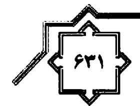
١ . كما ضعف الأثر الصحيح الذي قال عنه ابن حجر العسقلاني في الفتح (٢ / ٤٩٥): روى ابن أبي شيبة بإسناد صحيح عن أبي صالح عن مالك الدار وكان خازن عمر قال: (أصاب الناس قحط شديد في زمن عمر، فجاء رجل إلى قبر النبي ﷺ فقال: يا رسول الله استسق لأمتك فإنهم قد هلكوا، فأتي الرجل في المنام فقيل له ائت عمر واقرئه السلام وأخبرهم أنهم يسقون) ضعفه الألباني بجهالة مالك الدار مع أنه ثقة بإجماع الصحابة وغيرهم زمن سيدنا عمر وسيدنا عثمان رضي الله عنهما ولم يجرحه أحد البتة وغير ذلك مما بسطناه في غير هذا الموضوع فهذا الأثر صحيح وقد ضعفه الألباني لأنه مخالف لهواه بحجج واهية غير مقبولة حسب الموازين العلمية، فتأمل.

٢ . وقد أساء هذا المقلد غاية الإساءة في ترجمة الحافظ أحمد الغماري في مقدمة تعليقاته على (فتح الوهاب بتخريج أحاديث الشهاب) فاتهمه وبهته بما هو برئ منه.

٣ . مع أنه من المعلوم لا يجوز التصحيح والتضعيف إلا من الحافظ كما هو في كتب المصطلح.



وكان كلامه في تضعيفه هو كلام شيخه نفسه. فأردت أن أرد الحق إلى نصابه، ببيان بطلان كلام الخادع والمخدوع به، وعلى الله اعتمادي، وإليه تفويضي واستنادي. روى الطبراني في المعجم الكبير (٩ / ١٧) من طريق ابن وهب عن شبيب عن روح بن القاسم عن أبي جعفر الخطمي المدني عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف عن عمه عثمان بن حنيف رضي الله عنه: أن رجلا كان يختلف إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه في حاجة له فكان عثمان لا يلتفت إليه، ولا ينظر في حاجته، فلقي عثمان بن حنيف فشكا إليه ذلك، فقال له عثمان بن حنيف: ائت الميضأة فتوضأ ثم ائت المسجد، فصل فيه ركعتين، ثم قل: اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد صلى الله عليه وآله نبي الرحمة، يا محمد أني أتوجه بك إلى ربي فتقضي لي حاجتي، وتذكر حاجتك، ورح إلي حتى أروح معك. فانطلق الرجل فصنع ما قال له، ثم أتى باب عثمان بن عفان فجاء البواب حتى أخذ بيده، فأدخله على عثمان بن عفان فأجلسه معه على الطنفسة، وقال له ما حاجتك فذكر حاجته، فقضاها له، ثم قال: ما ذكرت حاجتك حتى كانت هذه الساعة، وقال: ما كانت لك من حاجة فائتنا. ثم إن الرجل خرج من عنده فلقي عثمان بن حنيف، فقال له: جزاك الله خيرا، ما كان ينظر في حاجتي ولا يلتفت إلي حتى كلمته في. فقال عثمان بن حنيف: والله ما كلمته ولكن شهدت رسول الله صلى الله عليه وآله وأتاه رجل ضرير فشكا إليه ذهاب بصره. فقال له النبي صلى الله عليه وآله: أو تصبر؟ فقال: يا رسول الله إنه ليس لي قائد وقد شق علي. فقال له النبي صلى الله عليه وآله: ائت الميضأة فتوضأ ثم صل ركعتين، ثم ادع بهذه الدعوات) قال عثمان بن حنيف: فوالله ما تفرقنا وطال بنا الحديث، حتى دخل علينا الرجل كأنه لم يكن به ضر قط. صححه الطبراني، وتعقبه حمدي السلفي بقوله: لا شك في صحة الحديث المرفوع، وإنما الشك في هذه القصة التي يستدل بها على التوسل المبتدع، وهي انفرد بها شبيب كما قال



الطبراني، وشبيب لا بأس بحديثه، بشرطين أن يكون من رواية ابنه أحمد عنه، وأن يكون من رواية شبيب عن يونس بن يزيد. والحديث رواه عن شبيب ابن وهب وولداه إسماعيل وأحمد، وقد تكلم الثقات في رواية ابن وهب عن شبيب، في شبيب، وابنه إسماعيل لا يعرف، وأحمد وإن روى القصة عن أبيه إلا أنها ليست من طريق يونس بن يزيد، ثم اختلف فيها على أحمد، ورواه ابن السني في عمل اليوم والليلة والحاكم من ثلاثة طرق بدون ذكر القصة، ورواه الحاكم من طريق عون بن عمارة البصري عن روح بن القاسم به، قال أي شيخنا محمد ناصر الدين الألباني:

وعون هذا وإن كان ضعيفا فروايته أولى من رواية شبيب لموافقتها لرواية شعبة وحماد بن سلمة عن أبي جعفر الخطمي[١]. أهـ.

وفي هذا الكلام تدليس وتحريف نبينه فيما يلي. (أولا): هذه القصة رواها البيهقي في دلائل النبوة[٢] من طريق يعقوب بن سفيان حدثنا

---

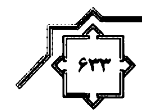
١ . وفي هذا الكلام من الالباني كتمان لتمام ما رواه وذكره الحاكم في المستدرك (١ / ٥٢٦): والقول فيه قول شبيب فإنه ثقة مأمون أ هـ، فكتم الألباني هذا ورمى خصومه بكتم ما فيه عكس مصالحهم كما يدعى، كما فعل مثلا في مقدمته الجديدة التي أسفرت عن أخلاقه في آداب زفافه الذي خالف فيه الحدث والاجماع. سهل الله الرد عليه قريبا.

٢ . أنظر دلائل النبوة بتحقيق القلعجي (٦ / ١٦٦ ــ ١٦٨) وقد أورد البهيقي في الدلائل (٦ / ١٦٧) القصة أولا من طريق إسماعيل بن شبيب حدثنا أبي عن روح بن القاسم ثم (ص ١٦٨) ثم ثني بذكر أن القصة مروية من طريق أحمد ابن شبيب، وقال: وهذه زيادة ألحقتها به في شهر رمضان سنة أربع وأربعين. فتكون القصة مروية عند البيهقي في الدلائل من طريق أحمد ابن شبيب عن أبيه عن روح، وقد صحح الحاكم في المستدرك (١ / ٥٢٧) هذا السند على شرط البخاري وأقره على ذلك الذهبي، وهو الموافق لكلام الحافظ في التقريب (٢٧٣٩) طبعة محمد عوامة): لا بأس بحديثه من رواية ابنه أحمد عنه... وقول الحافظ ابن حجر في مقدمة فتح الباري (ص ٤٠٩): قلت: أخرج البخاري من رواية ابنه عن يونس أحاديث. ولم يخرج من روايته عن

←



غير يونس ولا من رواية ابن وهب عنه شيئا. أهـ. أقول: وقول الحافظ: (ولم يخرج من روايته عن غير يونس أحاديث) ليس تصريحا من الحافظ بضعف رواية شبيب عن غير يونس ولا إشارة كما توهم الألباني واستنبط في (التوسل أنواعه وأحكامه ٨٧ الطبعة الثانية) لوجوه: ١) إنه أراد أن يدفع عن رواية شبيب أي شائبة طعن لأنه ذكر عن ابن عدي أن روايته عن يونس مستقيمة وقد رويت في البخاري عن يونس وهي المشهود لها بالصحة والاستقامة ولم تقع عن غيره، فليس في ذلك كله أي طعن إشارة أو تلميحا برواية شبيب غير يونس، وإنما المراد بيان أقوى رواياته وأكثرها استقامة هي التي وقعت في البخاري. وأما قول الحافظ: (ولا من رواية ابن وهب عنه شيئا) فمراده أنه لما نقل الطعن في رواية ابن وهب عن شبيب بأن فيها مناكير أراد أن يبرئ روايته في البخاري من طريق ابن وهب عنه، فلما ذكر الحافظ أن رواية شبيب من طريق ابن وهب عنه منكرة، ولم ينقل في روايته عن يونس الأيلي طعن اتضح المراد الذي قررناه، والذي يوافق: ٢) ما ذكره الحافظ في التقريب عنه، أنه إذا روي الحديث من طريق ابنه أحمد عنه فهو لا بأس به. ٣) إن الحافظ كالحاكم والذهبي حكموا على رواية أحمد بن شبيب عن أبيه عن روح بأنها على شرط البخاري، ومعنى ذلك أنها صحيحة وهذا الذي يوافق كلام الحافظ، ويبطل ما استنبطه الألباني من كلام الحافظ في مقدمة فتح الباري فليتأمل. ٤) إن الحافظ أيضا صحح هذه القصة، كالمنذري في الترغيب والترهيب (١ / ٤٧٦) بإقراره للطبراني، والهيثمي في مجمع الزوائد (٢ / ٢٧٩) أيضا، وقبلهما الإمام الحافظ الطبراني في معجمه الصغير (١ / ٣٠٧ الروض الداني) وغيرهم. ٥) إنه لم ينقل الألباني عن حافظ واحد أنه نص على تضعيف القصة مع ملاحظة هؤلاء الحفاظ من الأئمة الأعلام كالمنذري والهيثمي وغيرهما لم ينصوا على أن هذا بدعة أو شرك، بل ذكروها في أبواب صلاة الحاجة ناصين على التصحيح مقرين له، غير معقبين عليه بالضعف والنكارة أو الشرك والبدعة كما فعل الالباني القاصر في هذا العلم. ٦) وقد تقرر في علم المصطلح اتفاق الحفاظ على عدم جواز التصحيح والتضعيف لغير الحافظ، ولا عبرة بقول أمثال الألباني الذين هم ليسوا حفاظا ولم يتلقوا هذا العلم عن أهله، فهل نصغي للأئمة الحفاظ أهل هذا الشأن أم إلى الألباني الذي ظهر خطله؟ ا. وبهذا كله يسقط قول الألباني في توسله ص ٨٨ حيث قال: ومن عجائب التعصب واتباع الهوى أن الشيخ الغماري أورد روايات هذه القصة في المصباح ص ١٢ ـ ١٧.. ثم لم يتكلم عليها مطلقا لا تصحيحا ولا تضعيفا والسبب واضح، أما التصحيح فغير ممكن صناعة وأما التضعيف فهو الحق ولكن...) أهـ كلامه بشينه وزينه، وقد تبين أن التصحيح هو الصحيح الثابت صناعة وأن التضعيف هو لتعصب الألباني واتباع هواه



أحمد بن شبيب [١] بن سعيد ثنا أبي عن روح بن القاسم [٢] عن أبي جعفر الخطمي عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف عن عمه عثمان بن حنيف أن رجلا كان يختلف إلى عثمان بن عفان ﷺ، فذكر القصة بتمامها. ويعقوب بن سفيان هو الفسوي الحافظ الإمام الثقة، بل هو فوق الثقة، وهذا إسناد صحيح.

فالقصة صحيحة جدا، وقد وافق على تصحيحها أيضا الحافظ المنذري في الترغيب (ج ٢ / ٦٦٠) [٣] والحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد (٢ / ٢٧٩).

(ثانيا): أحمد بن شبيب من رجال البخاري، روى عنه في الصحيح وفي الأدب المفرد، وثقه أبو حاتم الرازي وكتب عنه هو وأبو زرعة، وقال ابن عدي: وثقه أهل البصرة وكتب عنه علي ابن المديني [٤]. وأبوه شبيب بن سعيد التميمي الحبطي البصري أبو سعيد من رجال البخاري أيضا [٥] روى عنه في الصحيح وفي الأدب المفرد. وثقه أبو زرعة وأبو حاتم والنسائي والذهلي والدارقطني والطبراني في الأوسط. قال أبو حاتم: كان عنده كتب يونس بن زيد، وهو صالح الحديث لا بأس به: وقال ابن عدي: ولشبيب نسخة الزهري عنده عن يونس

وما يوحيه إليه شيطانه، وبان أن هذه الوصمة هي صفة الألباني وليست صفة الإمام الحافظ المحدث الحجة سيدي عبد الله والحمد لله. تماما كما قالوا: رمتني بدائها وانسلت.

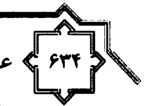
١ . أحمد بن شبيب قال الذهبي في الميزان (١ / ١٠٣ ـ ١٠٤): صدوق، ثم نقل عن الأزدي أنه قال منكر الحديث، ثم رد عليه وقال: قلت: قد وثقه أبو حاتم اهـ قلت: وهو من رجال البخاري كما في الجمع (١ / ١٠ ـ ١٨).

٢ . قال الحافظ في التقريب (١٩٧٠ طبعة محمد عوامة): ثقة حافظ من رجال البخاري ومسلم وأبي داود والنسائي وابن ماجة.

٣ . في الطبعة الواقعة في ٤ مجلدات في (١ / ٤٧٦).

٤ . أنظر تهذيب التهذيب (١ / ٣١ ـ ٣٢).

٥ . وقد انغر كاتب متعصب بكلام الألباني في أكتوبة أسماها بالزهر ص ٧٩ بأن شبيب متكلم في حفظه كما أوهم كلام بعضهم في التهذيب ٤ / ٢٧٠ فأبان عن غباء وتدليس.



عن الزهري أحاديث مستقيمة. وقال ابن المديني: ثقة كان يختلف في تجارة إلى مصر وكتابه كتاب صحيح، هذا ما يتعلق بتوثيق شبيب، وليس فيه اشتراط صحة روايته بأن تكون عن يونس بن يزيد، بل صرح ابن المديني بأنه كتابه صحيح. وابن عدي إنما تكلم على نسخة الزهري عن شبيب فقط، ولم يقصد جميع رواياته، فما ادعاه الألباني تدليس وخيانة. يؤكد ذلك أن حديث الضرير صححه الحفاظ ولم يروه شبيب عن يونس عن الزهري! وإنما رواه عن روح بن القاسم، ودعواه ضعف القصة بالإختلاف فيها حيث لم يذكرها بعض الرواة عند ابن السني والحاكم، لون آخر من التدليس [1] لأن من المعلوم عند أهل العلم أن بعض الرواة يروي الحديث وما يتصل به كاملا، وبعضهم يختصر منه، بحسب الحاجة. والبخاري يفعل هذا أيضا، فكثيرا ما يذكر الحديث مختصرا أو يوجد عند غيره تاما. والذي ذكر القصة في رواية البهيقي إمام فذ يقول عنه أبو زرعة الدمشقي: قدم علينا رجلان من نبلاء الناس أحدهما وأرحلهما يعقوب بن سفيان [2] يعجز أهل العراق أن يرو مثله رجلا. وتقديمه رواية عون [3] الضعيف على من زاد القصة، لون ثالث من التدليس والغش. فإن الحاكم روى حديث الضرير من طريق عون مختصرا ثم قال: تابعه شبيب ابن سعيد الحبطي عن روح بن القاسم زيادات في المتن والإسناد، والقول فيه قول شبيب فإنه ثقة مأمون، هذا كلام الحاكم، وهو يؤكد ما تقرر عند علماء الحديث والأصول أن زيادة الثقة مقبولة، وأن من حفظ حجة على من لم يحفظ [4]. والألباني رأى كلام الحاكم لكن

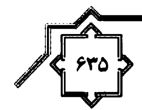
---

١ . ولا شك أن تدليسه على الطلبة والضعفاء في هذا الفن له ألوان وأشكال.

٢ . أنظر ترجمته في تهذيب التهذيب (١١ / ٣٣٨).

٣ . أنظر ترجمته في تهذيب التهذيب (٨ / ١٥٤).

٤ . كما تقرر عند الحفاظ وأهل الشأن.



لم يعجبه لذلك ضرب عنه صفحا، وتمسك بأولوية رواية عون الضعيف عنادا وخيانة [١].

(ثالثا): تبين مما أوردناه وحققناه في كشف تدليس الألباني وغشه أن القصة صحيحة جدا رغم محاولاته وتدليساته وهي تفيد جواز التوسل بالنبي ﷺ بعد انتقاله، لأن الصحابي راوي الحديث، فهم ذلك، وفهم الراوي له قيمته العلمية، وله وزنه في مجال الاستنباط. وإنما قلنا إن القصة من فهم الصحابي، على سبيل التنزل، والحقيقة أن ما فعله عثمان بن حنيف من إرشاده الرجل إلى التوسل، كان تنفيذا لما سمعه من النبي ﷺ، كما ثبت في حديث الضرير.

قال ابن أبي خيثمة [٢] في تاريخه: حدثنا مسلم بن إبراهيم [٣] ثنا حماد بن سلمة [٤] أنا أبو جعفر الخطمي [٥] عن عمارة بن خزيمة [٦] عن عثمان بن حنيف رضي الله عنه: أن رجلا أعمى أتى النبي ﷺ فقال: إني أصبت في بصري فادع الله لي قال: اذهب فتوضأ وصل ركعتين ثم قل اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيي محمد نبي الرحمة يا محمد إني استشفع بك عن ربي في رد بصري اللهم فشفعني في نفسي وشفع نبيي في رد بصرى وإن كانت حاجة فافعل مثل ذلك إسناده صحيح. والجملة الأخيرة من الحديث تصرح بإذن النبي ﷺ في التوسل به عند عروض

---

١ . كما ضرب صفحا عن ترجمة مالك الدار في الإصابة وطبقات ابن سعد وثقات ابن حبان وكم لذلك من اشتباه.

٢ . هو الحافظ الحجة الثقة أحمد بن أبي خيثمة زهير بن حرب النسائي أبو بكر الحافظ ابن الحافظ، قال الدارقطني، ثقة مأمون. أنظر سير أعلام النبلاء (١١ / ٤٩٢).

٣ . من رجال الستة، أنظر تهذيب التهذيب (١٠ / ١٠٩).

٤ . في التقريب (١٤٩٨) ثقة عابد. من رجال مسلم والأربعة.

٥ . اسمه عمير بن يزيد بن عمير ترجمته في التهذيب (٨ / ١٣٤). وهو ثقة.

٦ . ترجمته في التهذيب (٧ / ٣٦٤) وهو ثقة.



حاجة تقتضيه. وقد أعل ابن تيمية هذه الجملة بعلل واهية. بينت بطلانها في غير هذا المحل [١]، وابن تيمية جرئ في رد الحديث الذي لا يوافق غرضه. ولو كان في الصحيح [٢].

مثال ذلك: روى البخاري في صحيحه حديث: كان الله ولم يكن شيء غيره وهو موافق لدلائل النقل والعقل والاجماع المتيقن. لكنه خالف رأيه في اعتقاده قدم العالم، فعمد إلى رواية للبخاري أيضا في هذا الحديث بلفظ كان الله ولم يكن شيء قبله فرجحها على الرواية المذكورة، بدعوى أنها توافق الحديث الآخر أنت الأول فليس قبلك شيء. قال الحافظ ابن حجر [٣]: مع أن قضية الجمع بين الروايتين تقتضي حمل هذه الرواية على الأولى لا العكس، والجمع مقدم على الترجيح بالاتفاق. أهـ. قلت: تعصبه لرأيه أعماه عن فهم الروايتين اللتين لم يكن بينهما تعارض، لأن رواية كان شيء. مثال ثان: حديث أمر رسول الله ﷺ بسد الأبواب الشارعة في المسجد وترك باب عليّ ؈، حديث صحيح، أخطأ ابن الجوزي بذكره في الموضوعات. ورد عليه الحافظ في القول المسدد [٤]. وابن تيمية

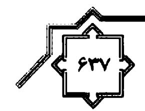
---

١ . بينها في كتابه (مصباح الزجاجة ـ طبعة عالم الكتب ص ٣٧) ودحض كلام ابن تيمية ومنه يتبين سقوط كلام الألباني في (توسله ص ٨٣) حيث اعترض على الشيخ وأنه وضع القاعدة التي جلبها من نخبة الفكر في غير محلها. والحمد لله.

٢ . أو صحيحا في غير صحيح البخاري ومسلم: كحديث السيدة عائشة أن النبي ﷺ: كان يقصر الصلاة في السفر ويتم ويفطر ويصوم) قال الدارقطني: هذا إسناد صحيح. وانظر سنن البيهقي (٣ / ١٤٢) والجوهر النقي أسفل الصحيفة للتركماني، فقال ابن القيم في زاد المعاد: وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية يقول: هو كذب على رسول الله ﷺ. أفاده السيد عبد الله في كتابه الصبح السافر (ص ٣٧) فانظره. وتأمل. وفي لسان الميزان (٦ / ٣١٩) ذكر الحافظ ابن حجر في ترجمة يوسف بن الحسن الرافضي، أن ابن تيمية رد أحاديثا جيادا وغير ذلك.

٣ . في فتح الباري (١٣ / ٤١٠).

٤ . القول المسدد (طبقة عالم الكتب ص ١٠ ـ ١١).



لانحرافه عن عليّ عليه السلام كما هو معلوم. لم يكفه حكم ابن الجوزي. بوضعه فزاد من كيسه حكاية اتفاق المحدثين على وضعه، وأمثلة رده للأحاديث التي يردها لمخالفة رأيه كثيرة يعسر تتبعها.

(رابعا): ونقول على سبيل التنزل: لو فرضنا أن القصة ضعيفة تطيبا لخاطر الألباني، وأن رواية ابن أبي خيثمة معلولة كما في محاولة ابن تيمية [١]، قلنا في حديث توسل الضرير كفاية وغناء، لأن النبي حين علم الضرير ذلك التوسل، دل على مشروعيته في جميع الحالات. ولا يجوز أن يقال عنه: توسل مبتدع، ولا يجوز تخصيصه بحال حياته ﷺ، ومن خصصه فهو المبتدع حقيقة لأنه عطل حديثا صحيحا وأبطل العمل به، وهو حرام. والألباني عفا الله عنه جرئ على دعوى التخصيص والنسخ لمجرد خلاف رأيه وهواه. فحديث الضرير لو كان خاصا به، لبينه النبي ﷺ، كما بين لأبي بردة أن الجذعة من المعز تجزئه في الأضحية ولا تجزئ غيره، كما في الصحيحين. وتأخير البيان عن وقت الحاجة لا يجوز [٢].

اعتذار وجوابه

قد يقال: الداعي إلى تخصيص الحديث بحال حياة النبي ﷺ ما فيه من ندائه، وهو عذر مقبول. والجواب: أن هذا اعتذار مردود [٣]، لأنه تواتر عن النبي ﷺ تعليم التشهد في الصلاة، وفيه السلام عليه بالخطاب ونداؤه (السلام

---

١ . أي لو سلم ذلك جدلا، مع كون ادعاء ضعف القصة وما أشبه ذلك باطلا قطعا.

٢ . كما هو مقرر في الأصول.

٣ . كما وضح ذلك المصنف في كتابه «القول المقنع في الرد على الألباني المبتدع» (ص ١٣ ــ ١٨) فلينظر فإنه مهم.



عليك أيها النبي) وبهذه الصيغة علمه على المنبر النبوي أبو بكر وعمر [١]، وابن الزبير ومعاوية، واستقر عليه الإجماع كما يقول ابن حزم [٢] وابن تيمية [٣] والألباني لابتداعه خالف هذا كله، وتمسك بقول ابن مسعود، فلما مات قلنا السلام على النبي، ومخالفة التواتر والاجماع، هي عين الابتداع. مع أنه صح عن النبي ﷺ أن أعمالنا تعرض عليه [٤]، وكذلك صلاتنا عليه ﷺ، تعرض عليه، وثبت أن لله ملائكة سياحين في الأرض يبلغونه سلام أمته، وثبت بالتواتر والاجماع أن النبي ﷺ حي في قبره [٥]، وأن جسده الشريف لا يبلى، فكيف يمتنع مع هذا نداؤه في التوسل به [٦] وهل هو إلا مثل ندائه في التشهد!. ولكن الألباني عنيد

---

١ . كما ثبت ذلك بالأسانيد الصحيحة في الموطأ ومصنف ابن أبي شيبة ومصنف عبد الرزاق ومعاني الآثار.

٢ . كما في الفصل في النحل لابن جزم (١ / ٨٩).

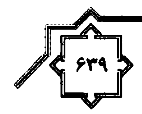
٣ . في كتابه الجواب الباهر.

٤ . كما جاء في الحديث الصحيح: حياتي خير لكم تحدثون ويحدث لكم تعرض علي أعمالكم فما رأيت من خير حمدت الله وما رأيت من شر استغفرت لكم وهو من رواية سيدنا عبد الله بن مسعود، وأوله: إن لله ملائكة سياحين يبلغوني عن أمتي السلام ثم قال: وقال رسول الله ﷺ: (حياتي...) الحديث. قال العراقي في طرح التثريب: إسناده جيد أهـ. أي صحيح. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: رجال إسناده رجال الصحيح أهـ. وقال السيوطي في الخصائص الكبرى: إسناده صحيح وكذا علي القارئ والخفاجي، وقد جمع الحافظ ابن حجر في فتح الباري (١١ / ٣٨٥) بينه وبين حديث «**إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك**» ونقل الجمع عن خمسة من الحفاظ، فانظره.

٥ . أنظر نظم المتناثر من الحديث المتواتر (طبعة دار الكتب العلمية) ص ١٣٥، حديث رقم (١١٥) حياة الأنبياء في قبورهم.

٦ . قال العلامة ابن حجر الهيثمي في قصيدة له شرحها الشيخ محمد حبيب الله الشنقيطي: تواترت الأدلة والنقول فما يحصي المصنف ما يقول بأن المصطفى حي طرئ هلال ليس يطرقه أفول وأن الجسم منه بقاع لحد كورد لا يدنسه الذبول وأن الهاشمي بكل وصف جميل لا يغيره الحلول ويسمعهم إذا صلوا عليه بأذنيه فقصر يا ملول ومن لم يعتقد هذا يقينا فهو زنديق جهول عبيد

←



شديد العناد، والألبانيون عندهم عناد، وصلابة في الرأي، أخبرني بذلك عالم الباني حضر علي في تفسير البيضاوي وشرح التحرير لابن أمير الحاج، وكان وديعا هادئ الطبع، وهو تلميذ لي.

هذا موجز ردنا لدعوى الألباني. أما من يدعى حمدي السلفي فليس هناك، وإنما هو مجرد مخدوع يردد الصدا [١].

(خامسا): والذي أقرره هنا، أن الألباني غير مؤتمن في تصحيحه وتضعيفه، بل يستعمل في ذلك أنواعا من التدليس والخيانة في النقل، والتحريف في كلام العلماء [٢]، مع جرأته على مخالفة الإجماع [٣]، وعلى دعوى النسخ بدون دليل، وهذا يرجع إلى جهله بعلم الأصول، وقواعد الاستنباط، ويدعى أنه يحارب البدع مثل التوسل بالنبي ﷺ وتسويده في الصلاة عليه [٤]، وقراءة القرآن على الميت!!

هيتمي مستجير بمن حطت بساحته الحمول وجاء في حديث أوس بن أوس مرفوعا: إن الله حرم على الأرض أجساد الأنبياء وهو حديث صحيح رواه أبو داود والنسائي وابن ماجة وغيرهم.

١ . يعني لا صلة له بعلم الحديث ولا معرفة وإنما هو مقلد هذا الجاهل.

٢ . ويتضح ذلك لمن طالع كتاب: تنبيه المسلم إلى تعدي الألباني على صحيح مسلم وكتاب وصول التهاني للمحقق البحاثة محمود سعيد و بيان نكث الناكث للسيد المحدث عبد العزيز الغماري متعنا الله بحياته. وغير ذلك من الكتب المفيدة.

٣ . وقد صنفت في الرد عليه في إنكاره الإجماع كتابا أسميته «احتجاج الخائب بعبارة من ادعى الإجماع فهو كاذب» فلينظر.

٤ . إعلم أن حديث لا تسيدوني في الصلاة كذب موضوع نص على ذلك جماعة منهم الحافظ السخاوي في المقاصد الحسنة وعلي القاري في موضوعاته الكبرى والصغرى، والعجلوني في كشف الخفاء وابن حجر الهيتمي في المنهاج القويم. وعندنا معاشر الشافعية تسويد النبي ﷺ في الصلاة الإبراهيمية وغيرها سنة، وقد اعتمد ذلك الرملي والزيادي والحلبي وابن ظهيرة، وقال ابن حجر في الاستيعاب: الأولى سلوك الأدب أي فيأتي بسيدنا، إفادة العلامة الكردي في الحواشي المدينة (١ / ١٧٤ طبعة مكتبة الغزالي) وكذا غيره.



لكنه يرتكب أقبح البدع بتحريم ما أحل الله، وشتم مخالفيه بأقذر الشتائم خصوصا الأشعرية والصوفية، وحاله في هذا كحال ابن تيمية، تطاول على الناس فأكفر طائفة من العلماء، وبدع طائفة أخرى، ثم اعتنق هو بدعتين لا يوجد أقبح منهما: إحداهما قوله بقدم العالم [١]، وهي بدعة كفرية [٢] والعياذ بالله تعالى.

والأخرى انحرافه عن عليّ عليه السلام [٣]، ولذلك وسمه علماء عصره بالنفاق، لقول النبي ﷺ لعلي لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق وهذه عقوبة من الله لابن تيمية [٤] الذي يسميه الألباني شيخ الإسلام [٥]، ولا أدري كيف يعطى هذا

---

١ . قال ذلك في عدة من كتبه كمنهاج السنة (١ / ١٠٩) والموافقة (٢ / ٧٥) من الطبعة الواقعة في هامش منهاج السنة في مجلدين.

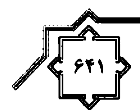
٢ . بإجماع العلماء وقد نقل ذلك خلائق حتى ابن حزم في مراتب الإجماع (١٦٧) وهذا الإجماع مدعم بنصوص الكتاب والسنة والتي فصلناها في كتابنا، (التنبيه والرد على معتقد قدم العالم والحد) فليراجع.

٣ . نقل الحافظ ابن حجر العسقلاني في الدرر الكامنة (١ / ١١٤) إن ابن تيمية خطأ أمير المؤمنين عليا كرم الله وجهه في سبعة عشر موضعا خالف نص الكتاب، وأن العلماء نسبوه إلى النفاق لقوله هذا في سيدنا علي، ولقوله أيضا فيه: أنه كان مخذولا، وأنه قاتل للرياسة لا للديانة فمن شاء فليراجع الدرر الكامنة. وقال ابن تيمية في منهاج السنة (٢ / ٢٠٣) ما نصه: (وليس علينا أن نبايع عاجزا عن العدل علينا ولا تاركا له...) وانظر لزاما التوفيق الرباني في الرد على ابن تيمية الحراني (ص ٨٥) والفرق بين الفرق (ص ٣٥٠ ـ ٣٥١).

٤ . أنظر كتاب الصبح السافر في تحقيق صلاة المسافر للسيد عبد الله بن محمد بن الصديق مؤلف هذا الكتاب (ص ٥٤).

٥ . أنظر القول المقنع في الرد على الألباني المبتدع للمؤلف ص (٩). والألباني حريص كل الحرص على تلقيب ابن تيمية بشيخ الإسلام مع أنه لقب مبتدع لا أصل له عن السلف إلا ما جاء بإسناد واه عن عبد الله بن أبي رأس المنافقين: أنه رأى أبا بكر رضي الله عنه وجماعة من الصحابة، فقال لأصحابه انظروا كيف أصرف هؤلاء السفهاء فتقدم إلى أبي بكر فصافحه وسماه شيخ الإسلام

←



اللقب وهو يعتقد عقيدة تناقض الإسلام؟!! وأظن بل أجزم أن الحافظ ابن ناصر لو اطلع على عقيدته وما فيها من طامات، لما كتب في الدفاع عنه كتاب الرد الوافر [١]، لأنه كتبه وهو مغرور بمن أثنى عليه، وكذلك الآلوسي ابن صاحب التفسير، لو عرف عقيدته على حقيقتها، ما كتب جلاء العينين. وشواذ الألباني في اجتهاداته الآثمة، وغشه وخيانته في التصحيح والتضعيف حسب الهوى، واستطالته على العلماء وأفاضل المسلمين. كل ذلك عقوبة من الله له، وهو لا يشعر، فهو من الذين (**يحسبون أنهم يحسنون صنعا ألا ساء ما يظنون**). نسأل الله العافية مما ابتلاه به، ونعوذ بالله من كل سوء. والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله الأكرمين.

(إلحاق) قال الدارمي في سننه [٢]: حدثنا أبو النعمان ثنا سعيد بن زيد ثنا عمرو بن مالك النكري حدثنا أبو الجوزاء أوس بن عبد الله قال: قحط أهل المدينة قحطا شديدا، فشكوا إلى عائشة، فقالت انظروا قبر النبي ﷺ فافتحوا منه كوى إلى السماء حتى لا يكون بينه وبين السماء سقف ففعلوا. فمطرنا مطرا

نفاقا ومداهنة، ثم إن الإسلام دين الله أنزله على رسوله (محمد ﷺ) فكيف يكون أحد شيخا له؟! والعجيب في أمر هذا الألباني أنه يحرص على ابن تيمية بهذا اللقب المبتدع ويعيب على الذين يسودون النبي ﷺ في الصلاة عليه ويعتبر لفظ السيادة (الواردة في القرآن والسنة) بدعة؟! ويعتبر الذين يذكرونها مبتدعة! مع أن سيادته ﷺ ثابتة بالتواتر. ومعلومة بالضرورة لكل مسلم اهـ

١ . فأقول: وكتاب الرد الوافر هذا من فرح بها فيه فقد فرح في غير مفرح حقا، وماذا يفيد ثناء الناس على رجل ثبت الزيغ في كتبه؟! ومن قال بقدم العالم وقيام الحوادث بذات الله تعالى وغيرها من الطامات المستشنعة لا ينفعه مديح المادحين ولا ثناء المثنين وخصوصا إذا علم أيضا أن أقوال من نقل ثناءهم لديه، مسطرة في كتبهم ومؤلفاتهم بذمهم عليه. فليستيقظ المخدعون.

٢ . رواه الدارمي في سننه في المقدمة (١ / ٤٢) وكذا (١ / ٤٣) باب ٥ من الطبعة الهندية بإسناد صحيح.



حتى نبت العشب وسمنت الإبل حتى تفتقت من الشحم فسمي عام الفتق. ضعف الألباني هذا الأثر بسعيد بن زيد، وهو مردود لأن سعيدا من رجال مسلم ووثقه يحيى بن معين [١].

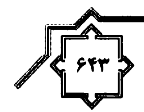
وضعفه أيضا باختلاط أبي النعمان [٢]، وهو تضعيف غير صحيح لأن

---

١ . ذكر الألباني تضعيفه في كتاب (التوسل أنواعه وأحكامه الطبعة الثانية ص (١٢٨): واحتج بحجج باطلة على عادته في تمويهاته، حيث نقل كلام ابن حجر في التقريب الذي يوافق هواه ولم ينقل من هنالك أنه من رجال مسلم في صحيحه، فلننتبه إلى هذا التدليس وهذه الخيانة التي تعود عليها هذا الرجل الذي يصف أعدائه بكتمان الحق وما يخالف آرائهم كما في مقدمته الجديدة لآداب زفافه والتي حلاها بما دل على اختلاطه من هجر وخان. ثم أردف ذلك بنقل ترجمة سعيد بن زيد من الميزان للذهبي زيادة في الكتم والتعمية، وقد خان فلم يذكر ما ذكر الحافظ ابن حجر في تهذيب التهذيب (٤ / ٢٩) من نقل أقوال موثقيه زيادة على أنه من رجال مسلم في الصحيح فقد قال البخاري حدثنا مسلم هو ابن إبراهيم ثنا سعيد بن زيد أبو الحسن صدوق حافظ. وقال الدوري عن ابن معين ثقة، وقال ابن سعد: كان ثقة، وقال العجلي: بصري ثقة وقال أبو زرعة سمعت سليمان بن حرب يقول ثنا سعيد بن زيد وكان ثقة، وقال أبو جعفر الدارمي ثنا حبان بن هلال ثنا سعيد بن زيد وكان حافظا صدوقا، وقال ابن عدي: وليس له من منكر لا يأتي به غيره وهو عندي في جملة من ينسب إلى الصدق اه. فإذا تأملنا هذه النقول في توثيقه ووصفه بالحفظ والصدق وخصوصا من البخاري ومسلم الذي روى له في صحيحه، ثم تأملنا قول الألباني في اقتصاره على نقل كلام بعض الجارحين عرفنا حقا أنه معدوم الأمانة العلمية وأنه متغافل، يرمي الآخرين بالتغافل حيث رمى الإمام المحدث عبد الله كما في توسله ص (١٢٩) في الحاشية بالتغافل ولم يكن كذلك. وقد أثبت الله تعالى لنا أن هذه وصمة الألباني المخلط والحمد لله.

٢ . فقد خان في ذلك، ونقل في توسله ص (١٢٨) أن البرهان الحلبي ذكر أبا النعمان في (الاغتباط بمن رمى بالاختلاط ص ٢٣) تعمية على مقلديه ومن يقرأ له، وينبغي أن نعلم أن المذكورين ممن رموا بالاختلاط في الكتاب المذكور منهم من ضرهم الاختلاط في حديثهم ومنهم من لم يضره الاختلاط في حديثه لأنه لم يحدث زمن الاختلاط أو غير ذلك ومنهم أبو النعمان، وقد وضح ذلك الذهبي كما في الميزان (٤ / ٨) فنقول للألباني الخساف المتهور المتغافل: لم يغفل الشيخ الغماري عن ذلك الاختلاط لأنه محدث حافظ ولكنك غفلت أيها اللماز الهماز فتب إلى الله

←



اختلاط أبي النعمان لم يؤثر في روايته، قال الدارقطني: تغير بأخرة وما ظهر له بعد اختلاط حديث منكر وهو ثقة. وقول ابن حبان: وقع في حديثه المناكير الكثيرة بعد اختلاطه، رده الذهبي فقال: لم يقدر ابن حبان أن يسوق له حديثا منكرا والقول فيه ما قال الدارقطني [١]، وابن تيمية كذب أثر عائشة، ولا عبرة به، لجرأته على تكذيب ما يخالف هواه. والحمد لله رب العالمين.

فقد قرب الرحيل وما أظنك تذكره كما لا أظن أنك تقرأ قرآنا لتتعظ فيا خيبة من خدع بك ويا خسارة من اتبع هواك (تنبيه): وأما جواب الألباني عما قاله في توسله ص (١٢٨) على النقطة الثانية من أن (الأثر موقوف على عائشة ولو صح لم تكن حجة) أ. هـ. فجوابه: أنه صحيح بلا شك وريب، وهو حجة من وجهين: الأول: أن بصحته سقط كلام الألباني وتمويهه في التضعيف وثبت أن التوسل مذهب للسيدة عائشة أم المؤمنين أيضا وغير ذلك مما لا نود الآن الإطالة به. ففيه أن الصحابة توسلوا واستغاثوا به ﷺ بعد موته. والثاني: أنه اتفاق من حضر من المسلمين صحابة ممن كانوا صحابة وغيرهم وفي ذلك تثبيت مع أثر عثمان بن حنيف في إرشاد الرجل للتوسل بعد وفاة النبي ﷺ، وأثر ابن أبي شيبه الصحيح عن مالك الدار الثقة ما يثبت أن الصحابة رضي الله عنهم ومن بعدهم توسلوا به ﷺ بعد وفاته بلا ريب. وأما ما نقله الألباني من التعليل المهلهل عن ابن تيمية فباطل كما رده المصنف مع أن ابن تيمية رجع عن تحريم التوسل فأباحه وبقي محرما للاستغاثة بعد استتابته بمحضر من العلماء كما نقل ذلك تلميذه ابن كثير في البداية والنهاية (١٤ / ٤٥) فليراجع.

١ . حيث قال كما في الميزان (٤ / ٨١): تغير بآخرته، وما ظهر له بعد اختلاطه حديث منكر وهو ثقة أهـ. أقول وهو من رجال البخاري ومسلم والأربعة. فتأمل. والحمد لله رب العالمين.



إحياء المقبور
من أدلة جواز بناء المساجد والقباب على القبور

تأليف:

أحمد عبد الله الصديق الغماري

تحقيق: قادر سعادتي



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه ونشكره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا محمد عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون ـ صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم كلما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون.

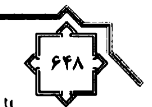
أما بعد فإنك سألت عن حكم البناء على القبور هل هو جائز كما جرى عليه عمل السلف والخلف شرقاً وغرباً أو هو ممنوع كما يذهب إليه القرنيون[1] ومن يستصوب رأيهم ويستحسن مذهبهم من أهل هذه البلاد ممن خفي عليه أمرهم وراج عليه تمويههم فقام يدعو إلى هدم ما بني من القباب على قبور الأولياء والصالحين متمسكاً في ذلك بأحاديث أرسلها وهي.

ما رواه الجماعة إلا البخاري وابن ماجة من حديث أبي الهياج الأسدي عن علي عليه السلام أنه قال له أبعثك علي ما بعثني عليه رسول الله صلى الله عليه وآله لا تدع تمثالاً إلا طمسته ولا قبراً مشرفاً إلا سويته[2].

---

١ . بفتح القاف وسكون الراء نسبة إلى قرن الشيطان الوارد في صحيح البخاري.

٢ . صحيح مسلم، ج٣، ص٦١



وما رواه أبو داود[١] والترمذي[٢] من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: نهى النبي ﷺ أن تجصص القبور وأن يكتب عليها وأن يبنى عليها وأن توطأ وكذلك هو عند أحمد[٣] ومسلم[٤] والنسائي[٥] بنحوه.

وما رواه أبو داود عن القاسم قال: دخلت على عائشة رضي الله عنها فقلت يا أمه بالله اكشفي لي عن قبر النبي ﷺ وصاحبيه فكشفت لي عن ثلاثة قبور لا مشرفة ولا لاطئة مبطوحة ببطحاء العرضة الحمراء[٦].

وما رواه أبو داود في المراسيل عن صالح بن أبي صالح قال رأيت قبر النبي ﷺ مرفوعاً شبراً أو نحو شبر[٧].

وما رواه الآجري في صفة قبر النبي ﷺ عن غنيم بن بسطام قال: رأيت قبر النبي ﷺ في زمن عمر بن عبد العزيز فرأيته مرتفعاً نحواً من أربع أصابع[٨].

وذكرت أنه أشكل عليك أمر هذه الأحاديث ولم تدر وجه الجمع بينها وبين ما اتفقت عليه الأمة المعصومة في اتفاقها من الخطأ على بناء الأحواش والقباب والمساجد قديماً وحديثاً بمشارق الأرض ومغاربها على القبور، ورجوت أن نبين لك على وجه الجمع بين ذلك ونوضح لك الحق في المسألة، ونذكر لك من دلائل القول المختار ما يسفر عن وجه الصواب ويزيح عنه كل شك وارتياب.

---

١ . سنن ابي داود، ج٢، ص٢١٦

٢ . سنن الترمذى، ج٢، ص٢٥٨

٣ . مسند احمد، ج٣، ص٣٩٩

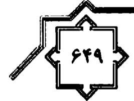
٤ . صحيح مسلم، ج٣، ص٦٢

٥ . سنن النسائى، ج٤، ص٨٧

٦ . سنن ابى داود، ج٣، ص٢١٥

٧ . المراسيل لابي داود، ص٣٠٣

٨ . الشريعه، ج٥، ص٢٣٩١



فأجبناك إلى ما سألت على قدر الوسع والطاقة وما أرانا الله تعالى من وجه الصواب في المسألة ورسمناه لك في هذا الجزء الذي سميناه.

إحياء المقبور من أدلة جواز بناء المساجد على القبور

ونرجو الله تعالى أن ينفع به كل من وقف عليه ممن تحلى بحلية الإنصاف وتخلى عن رذيلة التعصب والاعتساف إنه كريم وهاب.

تقديم

أحمد الغماري



فصل في جواز الدفن

أعلم أن البناء على القبر إما يكون قبل الدفن بأن يدفن الميت في بيت أو مسجد أو حوش أو قبة أعدها لدفنه، وإما أن يكون البناء حادثاً بعد الدفن، وهذا الأخير إما أن يكون على نفس القبر وإما أن يكون حول القبر قريباً منه على قدره أو بعيداً عنه متسعاً، وهذا الثاني إما أن يكون مسجداً يصلي فيه وإما أن يكون قبة أو حوشاً والميت إما من عامة الناس وإما من العلماء والأولياء الصالحين.

أما الدفن في البناء فلا شبهة في جوازه كما نص عليه الفقهاء إلا أحمد بن حنبل ﵀ رأى مع الجواز أن الدفن في مقابر المسلمين أولى مراعاة لعمل أكثر الناس، ورأى أن دفن النبي ﷺ في البناء لأجل التمييز اللائق بمقامه الأرفع ﷺ وهذا لا يخفي ما فيه لأنه تخصيص بدون مخصص.

وقد روى ابن سعد في الطبقات قال أخبرنا محمد بن ربيعة الكلابي عن إبراهيم بن زيد عن يحيى بن مهامة هو عثمان بن عفان قال بلغني أن رسول الله ﷺ قال: «**إنما تدفن الأجساد حيث تقبض الأرواح**»[1]، ومعلوم أن الأرواح تقبض غالباً في البيوت فمقتضى هذا أن الدفن في البناء أولى لكن وقع في هذه الرواية اختصار فقد روي الحديث من وجوه متعددة مرسلاً وموصولاً من حديث أبي بكر الصديق ﵁ مرفوعاً بلفظ «**ما مات نبي إلا دفن حيث**

---

١ . الطبقات الكبرى، ج٢، ص٢٩٣



يقبض»[١] وفي لفظ «ما توفى الله نبياً قط إلا دفن حيث تقبض روحه»[٢] رواهما ابن سعد وغيره وهو صريح في عدم تخصيص النبي ﷺ بذلك وقد اتفق الصحابة على دفن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما مع النبي ﷺ فلم يبق بعد هذا وجه لما قاله أحمد رحمه الله.

فصل في البناء بعد الدفن

وأما البناء بعد الدفن إذا كان في الملك فكرهه الجمهور كراهة تنزيه إذا أمن نبش سارق أو سبع أو سيل وقصد به إحكام البناء والبقاء والزينة وإلا جاز عندهم، وزاد المالكية التصريح بحرمته إذا قصد به المباهاة وأجازه آخرون مطلقاً، ولو قصد به المباهاة كما في الدر المختار وحواشيه. وقيد الأكثرون جوازه إذا قصد به التمييز وصرح أكثرهم بحرمته ووجوب هدمه إذا وقع في الأرض الموقوفة للدفن ومنهم من قيده بما إذا كان كبيراً زائداً على قدر القبر وهذا أمر خارج عن حكم البناء نفسه، وفصل جماعة بين ما كان فوق القبر نفسه وبين ما كان حوله دائراً به كالحوش فأجازه الأكثرون، ومنهم من قيد بما إذا كان صغيراً على قدر الحاجة ولم يسقف ولم تطل أسواره ومنهم من صرح بجوازه ولو كان بيتاً وهو قول المحققين من أهل المذاهب الأربعة وغيرهم.

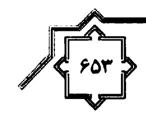
قال ابن حزم في المحلى: فإن بني عليه بيت أو قائم لم يكره ذلك اهـ.

وقال ابن مفلح في كتاب الفروع من فقه الحنابلة: وذكر صاحب المستوعب والمحرر: لا بأس بقبة وبيت وحظيرة في ملكه لأن الدفن فيه مع كونه كذلك مأذون فيه اهـ وهو قول ابن القصار وجماعة من المالكية كما حكاه الحطاب في شرح المختصر.

---

١ . الطبقات الكبرى، ج٢، ص٢٩٢

٢ . الطبقات الكبرى، ج٢، ص٢٩٣



فصل في نصوص علماء المذهب

وهذا في حق عامة الناس وأما الأولياء والصالحون فنص جماعة على جوازه، بل استحبابه في حقهم تعظيماً لحرمتهم وحفظاً لقبورهم من الامتهان والاندثار الذي يعدم معه الانتفاع بزيارتهم والتبرك بهم.

وقد أفتى العز بن عبد السلام بهدم القباب والبيوت والأبنية الكثيرة الواقعة في قرافة مصر، لأنها واقعة في أرض موقوفة على دفن المسلمين واستثنى من ذلك قبة الإمام الشافعي قال: لأنها مبنية في دار ابن عبد الحكم وهذا منه ذهاب إلى جواز بناء القباب على مثل قبر الإمام الشافعي رضي الله عنه إذا كان ذلك في الملك ولم يكن في أرض الحبس.

بل أفتى الحافظ السيوطي باستثناء قبور الأولياء والصالحين ولو كانت في الأرض المحبسة ووافقه جماعة ممن جاءوا بعده من فقهاء الشافعية وقد ذكر هو ذلك في جزئه الذي سماه «بذل المجهود في خزانة محمود» فقال: الوجه الرابع أن من قواعد الشرع أنه يجوز أن يستنبط من النص معنى يخصصه وذلك معلوم. فإذا كان هذا في نص الشارع ففي نص الواقف أولى فيقال إن مقصود الواقف تمام النفع وتمام الحفظ، فإذا وجد من يحتاج إلى الانتفاع بها في تصنيف وذلك لا يمكن على الوجه الأتم في المدرسة ووثق بتمام حفظه وصونه جاز الإخراج له، ويستثنى من المنع ويخص عموم لفظ الواقف بهذا المعنى المستنبط كما خصص عموم قوله تعالى: ﴿أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾[1] واستثنى منه المحارم بالمعنى المستنبط وهو الشهوة، ولا دليل لاستثناء المحارم من آية أو حديث سوى هذا الاستنباط فكذلك هنا. وقد ذكر الحافظ عماد الدين بن كثير في تاريخه أن في بعض السنين

---

١ . النساء (٤): ٤٣

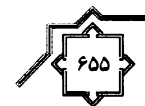


ببغداد منع معلموا الأطفال من تعليمهم في المساجد إلا رجلاًواحداً كان موصوفاً بالخير فاستثنوه من المنع، وأنهم استفتوا الماوردي صاحب الحاوي من أئمتنا والقدوري من أئمة الحنفية وغيرهما فأفتوا باستثنائه واستدلوا بأن الرسول ﷺ أمر بسد كل خوخة في المسجد إلا خوخة أبي بكر فقاسوا استثنائهم لهذا الرجل على استثناء خوخة أبي بكر، وهذا الاستنباط دقيق لا يدركه إلا الأئمة المجتهدون كالماوردي والقدوري ونحوهما. وقد استندت إلى قولهم هذا قديماً حين استفتيت في أبنية القرافة فأفتيت بهدمها كما هو المنقول إلا مشاهد الصالحين فاستندت في هذا الاستثناء إلى ما صنعه الماوردي والقدوري اهـ.

وهذا إنما هو لأجل كونها واقعة في الأرض الموقوفة وأما ما لم يكن فيها فقوله فيه الجواز مطلقاً.

وفي حواشي البحيرمي على شرح الخطيب على متن أبي شجاع: ولو وجدنا بناء في أرض مسبلة ولم يعلم أصله ترك لاحتمال أنه وقع بحق قياساً على ما قرروه في الكنائس. نعم استثنى بعضهم قبور الأنبياء والشهداء والصالحين ونحوهم قاله البرماوي. وعبارة الرحماني: نعم قبور الصالحين يجوز بناؤها ولو بقية لإحياء الزيارة والتبرك قال الحلبي ولو في مسبلة وأفتى به وقال أمر به الشيخ الزيادي مع ولايته اهـ.

وفي المنتزع المختار من الغيث المدرار المفتح لكمائم الأزهار في فقه الأئمة الأطهار يعني الزيدية مع حواشيه: والثاني من المكروهات الأناقة بقبر الميت وهو أن يرفع بناؤه زائداً على قدر شبر فإن ذلك مكروه، وإنما يكره إذا كان الميت غير فاضل مشهور الفضل ولا بأس بها يكون تعظيماً لمن يستحقه كالمشاهد والقباب



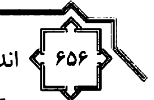
التي تعمر للأئمة والفضلاء فلو أوصى من لا يستحق القبة والتابوت بأن يوضع على قبره قال المؤيد بالله يمتثل لأنه مباح وقيل لا اهـ[١].

وفي شرح العميري على العمل الفاسي والعمل بالبناء على القبور جاز أيضاً وقد كتب شيخ شيوخنا سيدي عبد القادر الفاسي: في ذلك بما نص المراد منه ولم يزل الناس يبنون على مقابر الصالحين وأئمة الإسلام شرقاً وغرباً كما هو معلوم وفي ذلك تعظيم حرمات الله واجتلاب مصلحة عباد الله لانتفاعهم بزيارة أوليائه ودفع مفسدة المشي والحفر وغير ذلك، والمحافظة على تعيين قبورهم وعدم اندراسها، ولو وقعت المحافظة من الأمم المتقدمة على قبور الأنبياء لم تندرس وتجهل بل اندرس أيضاً كثير من قبور الأولياء والعلماء لعدم الاهتمام بها وقلة الاعتناء بأمرهم اهـ ذكر ذلك لمن سأله عن البناء على ضريح مولانا عبد السلام بن مشيش نفعنا الله به وما يؤثر في النهي عن البناء على القبر إنما ذاك حيث يكون القصد به المباهاة والمفاخرة اهـ.

وفي مسائل المسناوي أنه سئل عن البناء على قبر الرجل والمرأة اللذين ترجى بركتهما في الحياة وبعد الموت بقصد التمييز والتعظيم لقبره ومقامه ويكون البناء حسناً بالتزليج هل يجوز ذلك أم لا؟ وعلى الجواز فهل من أنفق على ذلك البناء من ماله أو صنعه بيده يثاب على ذلك أو لا ثواب له؟. فأجاب إن البناء على من ذكر بقصد ما ذكر جائز بل مطلوب إذا كان في أرض مملوكة للباني لما ذكره بعض المحققين من شيوخ شيوخنا أن فيه جلب مصلحة الانتفاع بالصالحين ودفع مفسدة امتهانهم بالحفر والمشي وغير ذلك. إذ لولا البناء لاندرست قبورهم كما

---

١ . وفي البحر الزخاري ـ من الكتب المعتمدة عند الزيدية ـ: مسألة الإمام يحيى ولا بأس بالقباب والمشاهد على قبور الفضلاء لاستعمال المسلمين ولم ينكر اهـ.



اندرست قبور الأنبياء عليهم السلام فتبطل زيارتهم وهي مطلوبة شرعاً ـ كما لا يخفى وقد أشار إلى مطلوبيتها وما فيها من الفوائد الشيخ الإمام العارف الرباني أبو إسحاق إبراهيم التازي الوهراني في قصيدته التي أولها.

زيارة أرباب التقى مرهم يبري ومفتاح أبواب السعادة والخير

وفي نوادر الأصول[١] عن فاطمة عليها السلام أنها كانت تأتي قبر حمزة رضي الله عنه في كل عام فترمه وتصلحه لئلا يندرس أثره فيخفى على زائره وفي فتاوى ابن قداح: إذا جعل على قبر من أهل الخير علامة فهو حسن والعلامة المميزة هو البناء الخاص لاشتراك غيره اهـ.

وفي شرح السجلماسي على العمل الفاسي: مما جرى به العمل بفاس وغيره تحلية قبور الصالحين بالبناء عليها تعظيماً، كما أفتى به الإمام سيدي عبد القادر الفاسي والد الناظم ثم ذكر فتواه السابقة، ثم قال جواز البناء على القبور منقول عن ابن القصار وإذا كان ذلك على مطلق القبور مع عدم قصد المباهاة كان البناء بقصد تعظيم من يعظم شرعاً أجوز، بل حيث كان القصد بالبناء التعظيم ينبغي أن يكون مشرفاً بالبناء على البيوت بالنقش والتزويق، لأن ذلك كله من كمال التعظيم اهـ باختصار.

وفي شرح الرسالة لجسوس ويكره البناء على القبور وقد يحرم وقد يجوز إذا كان للتمييز ويستثنى قبور أهل العلم والصلاح فيندب لينتفع بزيارتهم.. بذلك جرى العمل عند الناس شرقاً وغرباً من غير نكير اهـ.

وفي شرح التوبشتي على المصابيح: وقد أباح السلف البناء على قبور المشايخ والعلماء المشهورين ليزورهم الناس وليستريحوا بالجلوس فيها اهـ.

---

١ . نوادر الاصول فى احاديث الرسول، ج١، ص١٢٦

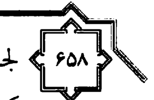


وفي شرح زين العرب على المصابيح أيضاً: وقد أباح السلف البناء على قبور العلماء المشهورين والمشايخ المعظمين يزورها الناس وليستريحوا إليها بالجلوس في البناء الذي على قبورهم مثل الرباطات والمساجد اهـ.

وفي مصباح الأنام وجلاء الظلام للعلامة علي بن أحمد الحداد: ومن قال بكفر أهل البلد الذي فيه القباب وإنهم كالصنم فهو تكفير للمتقدمين والمتأخرين من الأكابر والعلماء والصالحين من جميع المسلمين من أحقاب وسنين مخالفاً للإجماع السكوتي على الأنبياء والصالحين عصور ودهور صالحة. قال تلميذ ابن تيمية الإمام بن مفلح الحنبلي في الفصول: القبة والحظيرة في التربة يعني على القبر إن كان في ملكه فعل ما شاء وإن كان في مسبله كره للتضييق بلا فائدة ويكون استعمالاً للمسبلة فيما لم توضع له اهـ. قال ابن القيم الحنبلي: ما أعلم تحت أديم السماء أعلم في الفقه على مذهب أحمد من ابن مفلح اهـ. وقوله في المسبلة بلا فائدة إشارة إلى أن المقبور غير عالم وولي أما هما فيندب قصدهما للزيارة كالأنبياء عليهم السلام وينتفع الزائر بذلك من الحر والبرد والمطر والريح والله أعلم لأن الوسائل لها حكم المقاصد.

فصل في صحة الوقف لضرائح الأولياء

قال ابن حجر في التحفة في كتاب الوصايا: ويظهر أخذا مما مر ومما قالوه في النذر للقبر المعروف جواز صحتها كالوقف لضريح الشيخ الفلاني ويصرف في مصالح قبره والبناء الجائز عليه ومن يخدمونه أو يقرءون عليه. ويؤيد ذلك ما مر آنفاً من صحتها ببناء قبة على قبر ولي وعالم. أما إذا قال الشيخ الفلاني ولم ينو ضريحه ونحوه فهي باطلة أي الوصية اهـ، ونص أيضاً على أن القبة في غير مسبلة على العالم والولي من القرب، فقال في التحفة في باب الوصية: وإذا أوصى

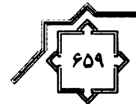


لجهة عامة فالشرط أن لا يكون معصية.. إلى أن قال وشمل عدم المعصية القربة كبناء مسجد ولو من كافر ونحو قبة على قبر عالم في غير مسبلة اهـ. ومنعه في المسبلة على العالم ونحوه رده عليه الحلبي المحشي على المنهج وعبارته، واستثنى قبور الأنبياء عليهم السلام والصحابة رضي الله عنهم والعلماء والأولياء رحمهم الله فلا تحرم عمارتها في المسبلة لأنه يحرم نبشهم والدفن في محلهم، ولأن في البناء تعظيماً لهم وإحياء لزيارتهم ولا تغتر بما وقع لابن حجر كغيره في هذا المحل أي في المسبلة لا في المملوكة اهـ.

قال طاهر بن محمد العلوي: وإنما جعل ابن حجر وغيره القبة على الولي في غير المسبلة والموقوفة قربة لأن العلماء نصوا على أن تمييز العالم والصوفي حياً وميتاً مطلوب أخذا من قوله في حق نساء النبي ﷺ ﴿يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلاَبِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلاَ يُؤْذَيْنَ﴾ وقد علمت أن القبة من عصور وقرون عليهم وعلى الأنبياء عليهم السلام قال ابن حجر في شرح العباب: وأما المحرمات فلم يعهد في زمان من الأزمنة إطباق جميع الناس خاصتهم وعامتهم عليها كيف وهذه الأمة معصومة من الاجتماع على ضلالة وإذا عصمت من ذلك كان إطباقهم جميعاً خاصتهم وعامتهم على أمر حجة على جوازه في أي زمان كان سواء الأزمنة الأولى أم الأزمنة المتأخرة، وكلام الأصوليين صريح في أن الإجماع الفعلي حجة كالقولي اهـ.

فصل في جواز تزيين المساجد

وفي رسالة الشيخ الطيب ابن كيران: وقد اختار غير واحد من الشيوخ الجواز في بناء القباب على الصالحين وتعليق ستور الحرير وغيره وإيقاد المصابيح ونحو ذاك، ثم ذكر كلام الفاسي السابق وأقوال المالكية التي ذكرها الخطاب ثم



قال: وفي مسائل الصلاة من نوازل البرزلي سئل عز الدين عن نصب الشموع والقناديل في المساجد للزينة لا للوقود وعن تعليق الستور فيها هل هو جائز أم لا؟. وكذلك فعل مثله في مشاهد العلماء وأهل الصلاح فأجاب: تزيين المساجد بالشمع والقناديل لا بأس به لأنه نوع من الإحترام والإكرام، وكذلك الستور وإن كانت من الحرير احتمل أن تلحق بالتزيين بقناديل الذهب والفضة واحتمل أن يجوز ذلك قولاً واحداً لأن أمر الحرير أهون من الذهب والفضة. ولذلك يجوز استعمال المنسوج من الحرير وغيره إذا كان الحرير مغلوباً ولا يجوز مثل ذلك في الذهب والفضة، ولم تزل الكعبة تستر إكراماً لها واحتراماً فلا يعد لحاق غيرها من المساجد بها وإن كانت الكعبة أشد حرمة من سائر المساجد. وأما مشاهد العلماء وأهل الصلاح فحكمها حكم البيوت فما جاز في البيوت جاز فيها وما لا فلا اهـ.

فصل في الخلاف في جواز البناء حول القبور

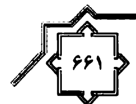
وفي رسالة الشيخ إسماعيل التميمي التونسي: وأما البناء على القبور إذا كان حولها كالقبة والبيت والمدرسة وكان في ملك الباني فذهب اللخمي إلى المنع وذهب ابن القصار إلى الجواز ووافقه ابن رشد على ذلك فنقل عنه الموافق البناء على نفس القبر مكروه وأما البناء حوله فإنما يكره من جهة التضييق على الناس ولا بأس به في الأملاك اهـ. ومن المعلوم في المذهب تقديم قول ابن رشد على اللخمي قضاء وفتياً لا سيما وقد وافق في ذلك ابن القصار وهو من كبار الأئمة النظار، وقد أشار بن ناجي إلى ترجيحه واعترض على المازري تشهيره للمنع قائلاً: لا أعرف من قال به إلا اللخمي قال يمنع بناء البيوت لأن ذلك مباهاة ولا يؤمن أن يكون فيها من الفساد. ولقائل أن يقول لا خلاف بينهما، لأن



اللخمي علل بالمباهاة وعدم أمن الفساد وابن القصار لا يخالفه في ذلك، والكلام مفروض في الجواز الذاتي إذا سلم المحل مما يؤدي إلى المنع. فالقولان في وفاق ويصير البناء على قبور الصالحين قبة أوبيتاً أو مدرسة أو نحوها جائزاً من حيث ذاته وظاهر كلام من تكلم على الجواز أنه يجوز بناء مسجد عليه. ونقل بعض شراح الرسالة عن جمال الدين الأفقهي أنه استثنى بناء المسجد ولعله لما ورد من النهي في ذلك، والنهي معلل بسد الذريعة لأنه يؤدي إلى الصلاة إلى القبر فيؤدي إلى عبادتها فالمنع فيه عرض يزول بزوال ذلك العارض وكلامنا في جوازه من حيث ذاته اهـ.

هذا محصل ما لفقهاء المذاهب الأربعة وغيرها في المسألة. والصحيح الذي يدل عليه الدليل ويقتضيه النظر أن البناء حول القبر جائز سواء كان حوشاً أو بيتاً أو قبة أو مسجداً، وما يذكره الفقهاء من الشروط والاحترازات أمر خارج عن حكم البناء في ذاته، لأنها عوارض لها حكم خاص بها يوجد بوجودها وينتفى بانتفائها ككونه في الأرض الموقوفة أو المسبلة أو قصد به المباهاة أو الزينة ونحو ذلك ممايذكرونه فإنه لا تعلق له بحكم البناء فلا نتعرض له لأنه خروج عن الموضوع، وإنما المقصود بيان حكم البناء في ذاته وهو جائز حول القبر بالكتاب والسنة والإجماع والقياس كما سنذكره بعد أن نقدم مقدمة تمهد السبيل لقبول تلك الأدلة وتزيح الأشكال الواردة عليها من النصوص المعارضة لها بتحقيق معناها وبيان مراد الشارع ومقصوده منها بياناً يجمع بين ما يبدوظاهراً من التعارض بينها فنقول:

اعلم أن الخلاف في جواز البناء حول القبور إنما نشأ من الخطأ في الاستدلال وعدم إحكام النظر في الدليل من جهة عدم فهم معناه وتحقيقه أولاً، ثم من جهة عدم فهم مراد الشارع من ذلك المعنى المفهوم ثانياً، ثم من جهة الإعراض عن



النظر في الأدلة المعارضة له ثالثاً. فإن النهي الوارد في البناء على القبور واتخاذ المساجد عليها غير عام في نفسه ولا في كل زمان بل هو خاص بنوع من أنواعه ثم هو غير تعبدي بل هو معقول المعنى معلل بعلل يوجد بوجودها وينتفي بانتفائها شأن كل حكم معلل كما هو معروف. ومع هذا فهو أيضاً معارض بما هو أقوى منه مما يجب النظر في الجمع بينهما وجوب العمل بالنص والتمسك بالدليل ويحرم الإعراض عن أحدهما والتمسك بالآخر حرمة الإعراض عن النص ومخالفة الدليل لأن الكل شرع مفترض طاعته. واجب قبوله والعمل به فالإعراض عن أحدهما دون دليل مسوغ إعراض عما أوجب الله طاعته وفرض على العبد اتباعه وتفريق بين المتماثلين وترجيح بين الدليلين بدون مرجح وهو باطل بالإجماع.

فصل في بيان الخطأ في فهم المعنى وفي فهم مراد الشارع

أما الخطأ في المعنى فإن القائل بالكراهة فهم أن النهي عن البناء عام والدليل يدل على أنه خاص بالبناء الواقع فوق القبر نفسه دون الواقع حوله، لأن ذلك هو الذي يدل عليه معنى حرف (على) الموضوع للاستعلاء. فالبناء على القبر هو الذي علاه وكان فوقه لا ما كان حوله دائراً به قريباً منه على قدر حرم القبر فكيف بما يكون واسعاً بعيداً عنه كالحوش والقبة والمدرسة، فإن اللفظ لا يتناوله وعلى فرض أن هناك ما يدل على العموم فهو عام مخصص لورود الأدلة الدالة على تخصيصه أو على إرادة الخصوص به[1] وهي متعددة كما سأذكره.

وأما الخطأ في فهم مراد الشارع ومقصوده فإن القائل بالكراهة لا يخلو أن يكون أعرض عنه وجمد على الظاهر كأنه تعبدي غير معقول المعنى ولا ظاهر

---

١ . فهو إما عام مخصوص أو عام أريد به الخصوص.



العلة وليس هو كذلك بالاتفاق، لورود النصوص بالعلة أو يكون أخطأ في تعيين مراد الشارع وتحقيقه أو أصابه ولكنه أخطأ في عدم تنقيحه، فإنه لا بد من تحقيقه ثم تنقيحه حتى لا يعم ما هو خارج عنه غير داخل في حكمه أو أخطأ في اطراد العلة وهي غير مطردة ولا موجودة في كل بناء، وإنما هي موجودة في نوع من أنواعه فإن العلماء اختلفوا في العلة التي من أجلها نهى النبي ﷺ عن البناء على القبر على أقوال:

بيان العلة التي اختلف في النهي من أجلها

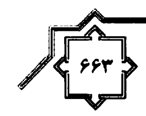
وسرد الأقوال فيها وهي ثمانية

القول الأول

إن العلة في ذلك كون الجص والآجر مما مسته النار ولا ينبغي أن يقرب ذلك من الميت إما تفاؤلاً كما كان النبي ﷺ يحب الفأل الحسن ويستبشر به في الأقوال والأفعال والصفات والأسماء وسائر الأشياء، وإما لمعنى يعرفه الشارع فيما مسته النار. ولذلك أوجب منه الوضوء في أول الأمر ثم نسخه للضرورة ورفع الحرج والمشقة، بل من الفقهاء من لا يقول بنسخه ويتمسك بوجوب الوضوء منه، ولهذا المعنى لم يخصصوا النهي بظاهر القبر بل كرهوا البناء بالأجر داخل القبر لأن العلة واحدة بل هي داخل القبر أولى لقرب ما مسته النار من الميت وملاصقته لجسمه، وكأنهم أخذوا هذا من وضع النبي ﷺ الجريدة الرطبة على القبرين وقال: «**لعله يخفف عنهما مالم تيبسا**»[1]. فرأوا أن ما مسته النار أشد من اليابس بالشمس والهواء. وهذا القول حكاه الحافظ العراقي في شرح الترمذي وذكره جمع من الفقهاء في كتبهم.

---

١ . صحيح البخارى، ج١، ص٦١



ورواه ابن أبي شيبة في مصنفه[١] عن زيد بن أرقم وجماعة.

قال ابن أبي شيبة ثنا معتمر بن سليمان عن ثابت بن زيد قال حدثني حمادة عن أنيسة بنت زيد بن أرقم قال: مات ابن لزيد يقال له سويد فاشترى غلام له أو جارية جصاً وآجرا، فقال له زيد: ما تريد إلى هذا؟. قال: أردت أن أبني قبره وأجصصه. قال: جفوت ولغوت لا يقربه شيء مسته النار[٢].

وقال أيضاً حدثنا عبد الرحمن بن مهدي عن ليث عن خيثمة عن سويد بن غفلة قال: إذا أنا مت فلا تؤذنوا بي أحداً ولا تقربوني جصاً ولا آجراً ولا عوداً ولا تصحبنا امرأة[٣].

وقال أيضاً حدثنا هشيم أخبرنا مغيرة عن إبراهيم أنه كان يكره الآجر[٤].

وقال أيضاً حدثنا ابن مهدي عن سفيان عن منصور عن إبراهيم قال: كانوا يكرهون الآجر في قبورهم[٥].

حدثنا وكيع عن سفيان عن مغيرة عن إبراهيم قال: كانوا يستحبون اللبن ويكرهون الآجر ويستحبون القصب ويكرهون الخشب[٦].

القول الثاني

إن العلة فيه وجود الثقل على الميت والمطلوب التخفيف عنه. قالوا: ولهذا أمر النبي ﷺ بتسوية القبر وعدم وضع التراب فوقه[٧]. ونص الفقهاء على أنه يكره أن يجلب له تراب زائد على الذي خرج منه.

قال ابن أبي شيبة حدثنا عبد الأعلى عن محمد بن إسحق عن ثمامة بن شفي

---

١ الى ٦ . المصنف لابن ابى شيبه، ج٣، ص٥٢

٧ . صحيحح مسلم، ج٣، ص٦١



قال خرجنا غزاة في زمن معاوية إلى هذا الدرب وعلينا فضالة بن عبيد، قال فتوفى ابن عم لي يقال له نافع فقام معنا فضالة على حفرته، فلما دفناه قال: خففوا عن حفرته فإن رسول الله ﷺ كان يأمر بتسوية القبر[1].

القول الثالث

إن العلة كون البناء فيه تميز عن سائر قبور المسلمين حوله.

قال ابن أبي شيبة حدثنا شريك عن أبي فزارة عن مولى ابن عباس قال: قال لي ابن عباس: إذا رأيت القوم قد دفنوا ميتاً فأحدثوا في قبره ما ليس في قبور المسلمين فسوه بين قبور المسلمين[2]. ونص على هذا أيضاً بعض الفقهاء كالعدوي في حاشيته على شرح الرسالة وغيره.

القول الرابع

إن البناء يمنع من دفن الغير معه، لأن قبور أهل الحجاز والأرض الصلبة على كيفية اللحد، كما رغب فيه النبي ﷺ بقوله: «**اللحد لنا والشق لغيرنا**» رواه أحمد[3] والطحاوي من حديث جرير. والأربعة من حديث ابن عباس[4]. واللحد إذا وضع البناء عليه لم يبق سبيل إلى دفن الغير فيه. ذكره بعض الفقهاء وشراح الحديث وأشار إليه السرخسي في المبسوط.

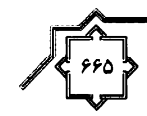
---

١ . المصنف لابن ابى شيبه، ج٣، ص٢٨

٢ . المصدر نفسه، ج٣، ص٢٨

٣ . مسند احمد، ج٤، ص٣٦٣

٤ . سنن ابن ماجه، ج١، ص٤٩٦، سنن ابى داود، ج٣، ص٢١٣، سنن الترمذى، ج٢، ص٢٥٥، سنن النسائى، ج٤، ص٨٠



القول الخامس

إن فيه تشبهاً بفعل الكفار من أهل الكتاب والمشركين من أهل الجاهلية، لأنهم يضعون الرخام على قدر القبر أو يبنون فوقه. وقد بنيت الشريعة في كثير من أحكامها على مخالفة الكفار والمشركين ذكره ابن قدامة في المغني وأشار إليه ابن مفلح في الفروع.

القول السادس

إنه في الزينة الدنيوية ولا ينبغي فعل ذلك بمن انتقل إلى الآخرة، وهذا نص عليه الشافعي في الأم، والسرخسي في المبسوط، وابن قدامة في المغني، وكثير من الفقهاء الحنفية.

القول السابع

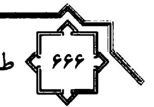
إنه يدعو إلى الجلوس على القبر. والجلوس عليه منهي عنه لما فيه من أذاية الميت بامتهانه ولهذا استحبوا أن يكون القبر مسنماً ولا يكون مسطحاً لأن التسنيم يمنع من الجلوس، ذكره بعضهم.

القول الثامن

إنه يحول بين الميت وسماع النداء والذكر وتلاوة ما يتلى على قبره من القرآن وسلام المسلم عليه. ذكره ابن قدامة في المغني ونقله الحطاب عن بعض فقهائهم.

وذكره جمع من الشافعية واستدلوا بحديث عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ أنه قال: «**لا يزال الميت يسمع الأذان مالم يطين قبره**»[١]. ومعلوم أن

١ . المغنى لابن قدامه، ج٢، ص٣٧٨



طمس القبر بالبناء أشد من طمسه بالطين والحديث المذكور هكذا يحتجون به من غير عزو ولا بيان حال وهو عند الحاكم في تاريخ نيسابور والديلي في مسند الفردوس من طريقه، ثم من رواية محمد بن القاسم بن مجمع ثنا أبو مقاتل السمرقندي ثنا محمد بن ثابت الأنصاري عن كثير بن شنطير عن الحسن عن عبد الله بن مسعود به. و قد أورده ابن الجوزي في الموضوعات و أعله بأن الحسن لم يسمع من ابن مسعود وكثيراً ليس بشيء وبأن أبا مقاتل قال ابن مهدي لا تحل الرواية عنه قال ابن الجوزي: غير أن المتهم بوضعه هو محمد بن القاسم فإنه كان عالماً رأساً في الكذابين الوضاعين اهـ ولم يتعقبه الحافظ السيوطي بشيء وهكذا يحتج الفقهاء في أكثر مسائلهم بالموضوع والمنكر والواهي بعد اتفاقهم على عدم جواز الاحتجاج به.

فهذه العلل إنما يأتي أكثرها في البناء الواقع فوق القبر، لأنه الذي يقع به الثقل والطمس المانع من السماع والتشبه بالكفار ويمكن من الجلوس على القبر ويمنع من الدفن معه ويلتصق بالقبر وفوق الميت ما مسته النار لا مكان حول القبر بعيداً عنه كالقبة والبيت والمدرسة ونحوها. أما التعليل بكونه من الزينة التي لا تنبغي لأهل الآخرة فعلة باطلة من وجهين:

أحدهما: أن البناء على القبر ليس من الزينة في شيء ولا يراد به الزينة وإنما يراد به حفظ القبر من الدوس والامتهان واندثار الأثر الذي لا يعرف معه القبر، وإذا قصد به بعضهم الزينة وفعل به ما هو منها فذاك أمر زائد على البناء، فيكون الحكم متعلقاً به لا بنفس البناء.

ويقال حينئذ في تزيين بناء القبر وتزويقه والتغالي فيه مكروه أو محرم لا أصل البناء



الآخر: أن كون الزينة الدنيوية لا تنبغي لأهل الآخرة دعوى مجردة عن الدليل فهي باطلة. فأن الشارع أمر بتزيين الميت وتحسين كفنه وتطييبه. ونص الفقهاء على استحباب تقليم أظافره وإصلاح شعر لحيته ورأسه ونحو ذلك من أمور الزينة التي لم تطلب للحي إلا في العيدين والجمعة. وأيضاً فلو فرضنا أن البناء من زينة الدنيا فهو في الدنيا لأهل الدنيا، لأن ظاهر المقبرة من الدنيا، وإنما الآخرة باطنها فهو تعليل باطل. وكذلك التعليل بالتمييز فإن التمييز وصف لازم لكل شيء إذ ما من شيء إلا وله ما يميزه عن غيره، ولو سلمنا كراهته فإن ذلك خاص بما لا نفع فيه ولا حاجة تدعو إليه إلا قصد التمييز عن الناس والترفع عنهم، وليس البناء على القبر كذلك. نعم يقع التمييز بالقباب للأولياء والصالحين، لأن الشرع أمر بتعظيمهم وحض على تمييزهم وتخصيصهم بالاحترام، بل أمر بتمييز كل من له رتبة ومنزلة ولو كانت دنيوية فقال: «**أنزلوا الناس منازلهم**»[1] وكذلك كانت معاملته ﷺ مع الخلق، ودلت أصول شريعته على ذلك ونص عليه الفقهاء والصوفية والأولياء الذين هم أبعد الناس من التصنع والتزلف كما بيناه في غير هذا الموضع، فلم يبق مقبولاً إلا العلل الأخرى وهي خاصة بالبناء الواقع على نفس القبر فوقه لا الذي حوله دائراً به، فلذلك كان مخطئاً من حمل النهي على العموم وأدخل فيه القباب والمدارس والأحواش، لأنها غير داخلة في النهي.

فصل في النهي عن بناء المساجد على القبور

وهذه العلل إنما هي في النهي الوارد في مطلق البناء، وأما النهي عن بناء المساجد على القبور فاتفقوا على تعليله بعلتين:

---

١ . سنن ابى داود، ج٤، ص٢٦١



إحداهما: أنه يؤدي إلى تنجيس المسجد لأن غير المقبرة أطهر منها كما يقول الشافعي في الأم و غيره.

الأخرى: وهو قول الأكثرين بل الجميع حتى من نص على العلة السابقة أن ذلك قد يؤدي إلى الضلال والفتنة، لأنه إذا وقع في المسجد وكان قبر ولي مشهور بالخير والصلاح لا يؤمن مع طول المدة أن يزيد اعتقاد الجهلة فيه ويؤدي بهم فرط التعظيم إلى قصد الصلاة إليه إذا كان في قبلة المسجد فيؤدي بهم ذلك إلى الكفر والإشراك.

قال الشافعي في الأم: وأكره أن يبنى على القبر مسجد وأن يسوى ويصلى عليه وهو غير مسوى أو يصلى إليه وإن صلى إليه أجزأه وقد أساء. وأخبرنا مالك أن رسول الله ﷺ قال: «**قاتل الله اليهود والنصارى اتخذوا من قبور أنبيائهم مساجد لا يبقى دينان بأرض العرب**»[١]. فأكره هذا للسنة والآثار، وإنما كره ـ والله تعالى أعلم ـ أن يعظم أحد من المسلمين يعني يتخذ قبره مسجداً، ولم تؤمن في ذلك الفتنة والضلال على من يأتي بعد، ولئلا يوطأ ولأن مستودع الموتى من الأرض ليس بأنظف الأرض وغيره من الأرض أنظف اهـ.

وقال ابن قدامة في المغني: لأن تخصيص القبور بالصلاة عندها يشبه تعظيم الأصنام بالسجود لها والتقرب إليها، وقد روينا أن ابتداء عبادة الأصنام تعظيم باتخاذ صورهم ومسحها والصلاة عندها اهـ.

وقال الحكيم الترمذي في نوادر الأصول في الأصل الخامس عشر بعد أن أورد حديث عبد الله بن عمرو بن العاص في قول النبي ﷺ لفاطمة عليها السلام: «**لو بلغت معهم الكدى ـ أي المقبرة ـ لما رأيت الجنة حتى يراها جدك أبو أبيك**»[٢] ما

---

١ . الأم، ج١، ص٣١٧

٢ . نوادر الاصول فى احاديث الرسول، ج١، ص١٢٣



نصه: بعث الله محمداً ﷺ بمحو آثار الجاهلية وكان من شأنهم إذا مات لهم ميت أن يخمشوا الوجوه وينتفوا الشعور ويشقوا الجيوب ويخرقوا البيوت فقال رسول الله ﷺ **«ليس منا من حلق أو خرق أو سلق»**[١] ولعن في حديث آخر ناشرات الشعور واللاتي ينعين بأصوات الحمير ونهاهم عن زيارة القبور لحداثة عهدهم بالكفر لما في زيارة القبور من الفتنة حتى استحكم إسلامهم وصاروا أهل يقين وبر وتقوى وصارت القبور لهم معتبرا بعد ان كانت مفتتنا خلي عنهم و قال ﷺ: **«كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإن لكم فيها معتبراً»** وسكت عن ذكر النساء لضعفهن ورقتهن وسرعة افتتانهن، وكان ﷺ يمنعهن من حضور الجنائز. وفي حديث أبي بكر أن رسول الله ﷺ رأى نسوة في جنازة فقال لهن: **«ارجعن مأزورات غير مأجورات»**[٢] وعن أنس قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في جنازة فرأى نسوة فقال: **«أتحملنه»**. قلن لا قال **«أتدفنه»**؟ قلن لا قال: **«فارجعن مأزورات غير مأجورات»**[٣] وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: **«لعن رسول الله ﷺ زوارات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج»**[٤] فبقى الحظر عليهم إلى آخر الدهر. فإن تخلت امرأة عن هذه الأمور فأتت قبراً لترمه أو تسلم أو تدعو أو تعتبر فهي خارجة من النهي، ثم روى[٥] عن فاطمة عليها السلام أنها كانت تأتي قبر حمزة رضي الله عنه في كل عام فترمه وتصلحه. وروى عن غير واحدة من النساء أنها كانت تأتي قبور الشهداء فتسلم عليهم[٦].

---

١ . مسند احمد، ج٤، ص٤١٢

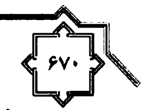
٢ . نوادر الاصول، ج١ ص١٢٥

٣ . المصدر نفسه

٤ . السنن الكبرى للبيهقى، ج٤، ص١٣٠

٥ . أي بإسناده إليها.

٦ . نوادر الاصول، ج١، ص١٢٥



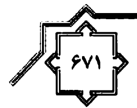
فأما مرمة القبر فلئلا يندرس أثره فينبش عنه إذا ذهب رسمه فتبطل الزيارة وهي حق من الحقوق ليس كالذي يسلم من بعد، والتشديد الذي جاء في حديث فاطمة[1] نراه في بدء الأمر ولا نعلم ذلك يحرم الجنة، لكن معناه أن من فعل ذلك كان يخاف عليه أن يسلبه الله الإيمان فإذا سلبه لم ير الجنة أبداً، وأعظم نعمة الله على عبده الإسلام وللإسلام سنن ومنار كمنار الطريق فإذا عمل عملاً يكون فيه إحياء سنن الجاهلية التي أطفأها الله تعالى بسيف رسول الله ﷺ فقد كفر منه الإسلام، والكفور ممقوت غير مأمون عليه السلب. فكأن إتيان المقابر من سنن الجاهلية فغلظ الزجر لتموت تلك السنن اهـ ولا يحصى من نص من الفقهاء وشراح الحديث على أن العلة في النهي عن اتخاذ المساجد على القبر هي خشية العبادة.

فصل في التعليل بخشية عبادة القبر

وإذا ثبت ذلك فالعلة المذكورة قد انتفت برسوخ الإيمان في نفوس المؤمنين وتنشئتهم على التوحيد الخالص واعتقاد نفي الشريك مع الله تعالى، وأنه سبحانه وتعالى المنفرد بالخلق والإيجاد والتدبير والتصريف. لا فاعل غيره ولا مؤثر في ملكه سواه وأن المخلوق الحي لا قدرة له على جلب منفعة لنفسه ولا دفع مضرة عنها إلا بخلق الله تعالى وإيجاده فضلاً عن الميت المقبور، وبانتفاء العلة ينتفي الحكم المترتب عليها، وهو كراهة اتخاذ المساجد والقباب على قبور الأولياء والصالحين، فإن من يتخذها عليهم لا يفعل ذلك لأجل أن يعبدهم ويتخذ قبورهم مساجد يسجد إليها من دون الله تعالى، أو يجعلها قبلة يصلى إليها، بل هذا ما سمع في هذه الأمة ولا وجد قط من مسلم يدين بدين الإسلام.

---

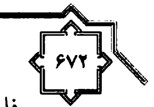
١. المصدر نفسه، ج١، ص١٢٥



وإنما قصد بتلك القباب مجرد الاحترام وتعظيم قبور الصالحين وحفظها من الامتهان والاندراس الذي ينعدم به الانتفاع بزيارتهم والتبرك بهم، فإذا فرض وجود من بنى قبة أو مسجداً على قبر ليعبده ويتخذه قبلة فهذا كافر مرتد يجب قتله وهدم ما بناه، لأنه لم يبن مسجداً بل بنى كنيسة في صورة مسجد مع أن شيئاً من هذا لم يقع في هذه الأمة والحمد لله.

وكون بعض جهلة العوام يأتي عند قبور الصالحين من التعظيم ما يشبه صورته صورة العبادة لا يكون موجباً لكراهة البناء، لأن ذلك لم يأت من جهة البناء ولا هو العلة فيه، إنما علته الجهل بطرق التعظيم والحد اللائق به شرعاً، ولو كان البناء هو علة ذلك للزم ألا يتخلف عند وجوده مع أن جل من يزور الأولياء المتخذ عليهم القباب والمساجد لا يوجد منه ذلك، وإنما يوجد من قليلين جداً من بعض جهلة العوام. كما أنه يلزم أن لا يوجد إلا عند القبور المبني عليها مع أننا نرى بعض الجهلة يفعل ذلك أيضاً ببعض قبور الأولياء التي لم يبن عليها مسجد ولا قبة و ليس عليهم بناء أصلاً، ونراهم يحلفون بهم وينطقون في حقهم بما ظاهره الكفر الصراح بل هو الكفر حقيقة بلا ريب ولا شك.

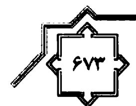
وهم مع ذلك بعيدون عن قبورهم بل وعن مدنهم وعن أقطارهم فكثير من جهلة العوام بالمغرب ينطق بما هو كفر صراح في حق مولانا عبد القادر الجيلاني ﷺ الموجود ضريحه ببغداد وبعد ما بين العراق والمغرب بعد ما بين المشرق والمغرب وكلهم لم يروا قبر الجيلاني ولا رأوا من رآه ولا من رأى من رآه إلى ما شئت من الإضافات، وكذلك نرى بعضهم يفعل ذلك مع من يعتقده من الأحياء فيسجد له ويقبل الأرض بين يديه في حال سجوده ويجعل يديه من ورائه علامة على التسليم وفرط التضرع والإلتجاء ويطلب منه في تلك الحال الشفاء والغنى والذرية ونحو ذلك مما لا يطلب إلا من الله تعالى.



بل رأيت أنا من يفعل هذا بقبور الأولياء ورأيت من يفعله مع الأحياء منهم فلو كان جهلهم هذا يوجب تحريم البناء على القبر لأوجب تحريم الصلاح والولاية وتقوى الله تعالى التي ينشأ عنها اعتقادهم المؤدي إلى افتتان الجهلة بهم.

فإن عندنا بالمغرب من يقول عن القطب الأكبر مولانا عبد السلام ابن مشيش رضي الله عنه إنه الذي خلق الدين والدنيا!. ومنهم من قال والمطر نازل بشدة: يا مولانا عبد السلام ألطف بعبادك!!. فهذا كفر لم ينشأ عن مسجد ولا قبة فإن القطب ابن مشيش رضي الله عنه ليس عليه مسجد ولا زاوية ولا قبة، وإنما هو على رأس جبل بعيد عن الأبنية وحوله حوش بسيط غير مسقف، وداخل الحوش شجر وعشب وأحجار. والقبر لا يظهر له أثره ولا يعرف موضعه أحد، ومع هذا وصل اعتقاد العوام فيه إلى ما سمعت!. وكم من ولي عليه قبة عظيمة ومسجد ضخم واسع لا يزوره أحد بالإضافة إلى أنه يعتقد فيه إلى هذا الحد فإذا ليس ذلك من البناء ولا من القبة و المسجد، وإنما هو فرط الاعتقاد الذي قد ينشأ من ظهور الكرامات المتابعة على يد ذلك الولي حتى يحصل بها التواتر وترسخ مكانته في نفوس الناس سواء الموجود في بلاده أو البعيد عنه، فلم يبق للمسجد والقبة في ذلك أثر أصلاً، وهؤلاء القرنيون النجديون قد هدموا القباب التي كانت بمكة والمدينة على الشهداء ومشاهير أهل البيت، وصيروا قبورهم مستوية بالأرض ومع ذلك فالناس يهرعون لزيارة تلك القبور ويتوسلون بها ويستغيثون عندها.

ولولا أن ابن سعود جاعل خفراء على مثل قبر حمزة سيد الشهداء رضي الله عنه يمنعون الناس من تقبيل القبر والسجود له ورفع الصوت بالاستغاثة به لما انقطع ذلك ولا ذهب بانهدام القبة فحمزة رضي الله عنه هو حمزة بقبة أو دون قبة وفاطمة الزهراء هي فاطمة بنت رسول الله ﷺ بقبة أو بدون قبة. وخديجة أم



المؤمنين كذلك ومالك هو الإمام مالك. وهكذا سائر المدفونين بالبقيع والمعلاة من المشاهير لا دخل للبناء والقبة والمسجد في تعظيمهم وزيارتهم، وإنما الباعث على ذلك هو الاعتقاد الناشئ عن ولايتهم وصلاحهم ومكانتهم السامية عند ربهم الذي وضع لهم المحبة والاعتقاد في القلوب.

فكان على الجهلة القرنيين المبتدعة الضالين أن يهدموا الاعتقاد ويقلعوا أثره من النفوس ويقضوا على الصلاح والولاية والتقوى والخشية التي يكرم الله تعالى صاحبها، بوضع ذلك في القلوب حتى يستريحوا من تعظيم المخلوق والتوسل والاستغاثة به.

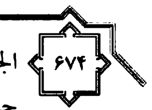
أما هدم البناء فلا يأتي لهم بنتيجة ولو أتى بها لما احتاجوا إلى حراس عند القبور يمنعون من ذلك بعد الهدم.

فأنا زرت قبر حمزة ﷺ بعد هدم البناء الذي عليه بأزيد من خمس عشرة سنة ووجدت الحارس قائماً عند قبره يمنع الزوار من القرب من القبر والتمسح به وتقبيله، ولم يكف مضي خمس عشرة سنة على الهدم في قلع ذلك من النفوس.

وهكذا يبقى ذلك ما بقي الإيمان ومحبة الله تعالى ورسوله ومحبة أوليائه وأصفيائه. والمقصود أن البناء لا دخل له في تحقيق علة النهي وثبوتها في هذه العصور المتأخرة، بل ذلك قد زال من البناء وانتقل إلى المحبة والاعتقاد فلم يبق حكم متعلق بالبناء، وكان المتمسك بظاهر النهي المعرض عن تحقيق علته ومراد الشارع منه مخطئاً في حكمه غير مصيب في اجتهاده وفهمه.

فصل في معارضة الأحاديث في النهي عن اتخاذ المساجد على القبور بأدلة أقوى

وأما المعارضة فإن القائل بالكراهية تمسك بالنهي ولم يلتفت إلى ما يعارضه من الأدلة، وذلك مما يوجب الخطأ في الحكم وعدم الإصابة في الاجتهاد. فإن



الجمع بين الدليلين واجب مفترض والإعراض عن أحدهما دون ثبوت النسخ حرام والحكم باطل.

فإن النهي عن البناء ورد ما يعارضه مما هو أقوى منه ثبوتاً ودلالة فلا يقبل حكم مع الإعراض عنه وذلك الدليل متعدد نذكر منه هنا خمسة عشر دليلاً.

الدليل الأول على جواز بناء المساجد على القبور:

قول الله تعالى في قصة أصحاب الكهف ﴿**وَكَذٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا اَنَّ وَعْدَ الله حَقٌّ وَأَنَ السَّاعَةَ لاَ رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْيَاناً رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَ عَلَيْهِم مَّسْجِداً**﴾[١] والذين غلبوا على أمرهم هم المؤمنون على الصحيح، لأن المسجد إنما يبنيه المؤمنون، وأما الكافرون فقالوا ابنوا عليهم بنيانا، والدليل من هذه الآية إقرار الله تعالى إياهم على ما قالوا وعدم رده عليهم، فإن الله تعالى إذا حكى في كتابه عن قوم ما لا يرضاه ذكر معه ما يدل على فساده وينبه على بطلانه إما قبله وإما بعده، فإذا لم ينبه على ذلك دل على رضاه تعالى به وعلى صحته إن كان عملاً وصدقه إن كان خبراً

كقوله تعالى: ﴿**إِذْ قَالُوا مَاأَنزَلَ اللهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِن شَيْءٍ**﴾[٢] فإنه أعقبه بقوله: ﴿**قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ**﴾[٣].

وقوله تعالى: ﴿**وَجَعَلُوا لله مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنعَامِ نَصِيباً**﴾[٤] فإنه أشار إلى فساد ما زعموا بقوله بزعمهم ﴿**سَاءَ مَايَحْكُمُونَ**﴾ و قوله تعالى ﴿**وَقَالُوا هٰذِهِ**

---

١ . الكهف (١٨): ٢١

٢و٣ . الانعام (٦): ٩١

٤ . الانعام (٦): ١٣٦



أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ﴾ الآية فرده بقوله تعالى: ﴿سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾[١].

وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هٰذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ﴾[٢] فرده بقوله: ﴿فَقَدْ جَاؤُوا ظُلْماً وَزُوراً﴾[٣].

وقوله تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلاً مَسْحُوراً﴾[٤] فعقبه بقوله ﴿انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا﴾[٥] إلى غير ذلك من الآيات التي يطول ذكرها.

وإن من تأمل القرآن وجده لا يقر على باطل يحكيه قولاً كان أو عملاً إذ كتابه كله حق ونور وهدى وبيان وحجة لله على خلقه فلا يحكي فيه ما ليس بحق ثم يقره ولا ينبه على بطلانه فإذا ذكر نبأ وأقره دل على صحته وصدقه. ولهذا احتجوا في كثير من المسائل بمثل هذا، فاحتج أهل الأصول على أن الكفار مخاطبون بفروع الشريعة بقوله تعالى حكاية عنهم ﴿لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ * وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ﴾[٦] الآية قالوا فلو كان باطلاً لرده عند حكايته، واحتج الفقهاء على جواز الجعل والضمان بقوله تعالى: ﴿وَلِمَن جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ﴾[٧] وعلى اعتماد قول القتيل دمي عند فلان بقصة البقرة، وعلى النكاح بالخدمة والمنافع بقوله تعالى حكاية عن شعيب ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَىٰ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ﴾[٨] إلى غير هذا، فلما حكى الله تعالى عن هؤلاء القوم

---

١. الانعام (٦): ١٣٨

٢و٣. الفرقان (٢٥): ٤

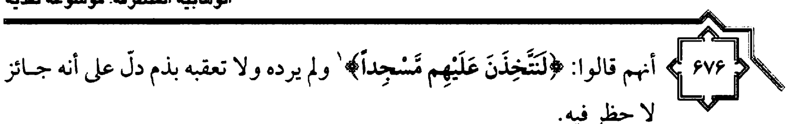
٤. الاسراء (١٧): ٤٧

٥. الاسراء (١٧): ٤٨

٦. المدثر (٧٤): ٤٣ ـ ٤٤

٧. يوسف (١٢): ٧٢

٨. القصص (٢٨): ٢٧



أنهم قالوا: ﴿لَنَتَّخِذَنَ عَلَيْهِم مَّسْجِداً﴾[1] ولم يرده ولا تعقبه بذم دلّ على أنه جائز لا حظر فيه.

فإن قيل هذا مسلّم لو لم يردّ شرعنا بذمّ ذلك، فقد صح عن النبي ﷺ: أن قال: «**قاتل الله اليهود والنصارى اتخذوا من قبور أنبيائهم مساجد لا يبقى دينان بأرض العرب**»[2] وصح عنه ﷺ أنه قال ـ لأم سلمة رضي الله عنها حين ذكرت له كنيسة رأتها بأرض الحبشة، وما رأت فيها من الصور ـ «**أولئك قوم إذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجداً وصوروا فيه تلك الصور أولئك شرار الخلق عندالله**»[3]. وصح عنه ﷺ: أنه قال: «**ألا إن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد ألا فلاتتخذوا القبور مساجد فإني أنهاكم عن ذلك**»[4].

فالجواب عن هذا من وجوه:

الوجه الأول:

أن الله تعالى حكى ذلك عن المؤمنين والنبي ﷺ حكاه عن اليهود والنصارى وفرق بين حال الفريقين، فإن المؤمنين فعلوا ذلك للتبرك بآثار الصالحين الذين أكرمهم الله تعالى بهذه الآية وحفظ أرواحهم وأجسامهم تلك القرون الطويلة. واليهود والنصارى يفعلون ذلك للعبادة والإشراك مع الله تعالى. فالدليلان غير متواردين على محل واحد. فإن النبي ﷺ إنما لعن اليهود والنصارى على اتخاذ قبور أنبيائهم مساجد يعبدون فيها تلك القبور ويسجدون

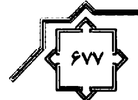
---

١ . الكهف (١٨): ٢١

٢ . المصنف لعبد الرزاق، ج٦، ص٥٤

٣ . مسند ابن راهويه، ج٢، ص٢٦٤

٤ . المصنف لابن ابى شيبه، ج٢، ص٢٦٩



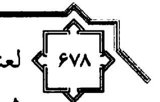
إليها أو يجعلونها قبلة لاتخاذهم الأنبياء شركاء مع الله تعالى فيما يستحقه من العبادة. والدليل على هذا قوله ﷺ في نفس الحديث: «**لا يبقى دينان بأرض العرب**»[١]. أي لا تفعلوا مثلهم فتكفروا فيكون بأرض العرب دينان وقد حكم الله تعالى وأمر أن لا يبقى بأرض العرب إلادين واحد: دين الإسلام وعبادة الله تعالى وحده والكفر لا يكون لمجرد اتخاذ المساجد على القبور ولو للتبرك، وإنما يكون باتخاذها للعبادة والإشراك بالله تعالى. هذا مما لا يشك فيه مسلم وإلا كانت الأمة كلها كافرة. ولم يصدق خبر الرسول ﷺ بأنه لا يبقى دينان بأرض العرب فإن المساجد اتخذت على القبور بعده بقليل بل وفي حياته ﷺ كما سيأتي، واتخذ المسجد على قبره الشريف في عصر كبار التابعين وأفضل القرون بعد قرنه ﷺ بشهادته. وأما الآية فأشارت إلى جواز اتخاذ المساجد على قبور الصالحين للتبرك بهم وزيارتهم وحفظ مآثرهم كما ذكره جمع من المفسرين فدليل الكتاب في واد ودليل السنة في واد آخر يؤيده.

الوجه الثاني:

وهو أنه لو كان كل من بنى على المسجد قبراً ولو للتبرك والزيارة ملعوناً كما في الحديث لكان هؤلاء المؤمنون الذي حكى الله عنهم ملعونين أيضاً داخلين في لعنة النبي ﷺ على من فعل الذي حكاه الله عنهم، ولو كانوا كذلك لما سكت الله تعالى عن ذمهم ولعنهم والإشارة إلى ضلالهم وخروجهم عن الصراط المستقيم فيما أتوا كما عرف من عادته في كتابه الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. ومن الباطل الإقرار على حكاية المحرم الملعون فاعله، فدل ذلك على أن ما فعله هؤلاء القوم هو غير ما يفعله اليهود والنصارى الذي

---

١ . المصنف لعبد الرزاق، ج٦، ص٥٤



لعنهم الله تعالى على لسان نبيه ﷺ، وأن فعلهم جائز لا شبهة فيه، كما أنه لا شبهة لنا فيه لا من جهة إتباعهم فإنه لا يلزمنا شرعهم. ولكن من جهة ذكره في كتابنا المنزل بشريعتنا اللازمة لنا المأخوذة من منطوقه ومفهومه وتصريحه وتلويحه يؤيده أيضاً.

الوجه الثالث:

وهو أنه ﷺ قال: «**أولئك كانوا إذا مات فيهم الرجل الصالح اتخذوا على قبره مسجداً وصوروا فيه تماثيل**»[1]. فاتخاذهم الصور والتماثيل فيه دليل على أنهم يفعلون ذلك لأجل عبادتهم، وقد شهد العيان بذلك وأثبت التاريخ مثله. وأنهم ابتدأوا عبادة الأصنام بعبادة صور الصالحين وقبورهم، وهذا لا يوجد منه شيء عند المسلمين.

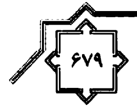
الوجه الرابع:

أن النبي ﷺ قال: «**من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء. والذين يتخذون القبور مساجد**»[2] رواه أحمد من حديث عبد الله بن مسعود. وقد ثبت بالسنة أن الذين تدركهم الساعة وهم أحياء كلهم كفار مشركون عبدة أصنام، وأن الساعة لا تقوم حتى لا يبقى على وجه الأرض من يوحد الله تعالى ولا ينطق باسمه، وأن القرآن يرفع من الصدور، وتنفخ ريح حمراء فتقبض روح كل مؤمن ويبقى همج رعاع لا يدينون بدين فعليهم تقوم الساعة، فاقتران الذين يتخذون القبور مساجد بهم دليل على كفرهم ومشاركتهم إياهم في العلة التي بها

---

١ . مسند ابن راهويه، ج٢، ص٢٦٤

٢ . مسند احمد، ج١، ص٤٠٥

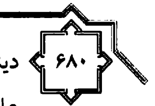


كانوا شرار الخلق. وما يذكره أهل الأصول من ضعف دلالة الاقتران تمسكاً ببعض الصور المفيدة لذلك، هو أضعف من ضعف دلالة الاقتران في زعمهم فلا ينبغي الالتفات إليه لأنه مكابرة للحس.

فإن قيل إن الكفار كلهم شرار الناس إذ لا شر أعظم من الكفر بالله تعالى فكيف جاز تخصيص هؤلاء من بينهم.

فالجواب:

إنّ ذلك لا يغالهم في الشر والفساد واختصاصهم بجرائم وعظائم مضافة إلى الكفر، أما الذين تدركهم الساعة وهم أحياء فقد دلت السنة وذكرت من أوصافهم وفساد أخلاقهم وارتكابهم من الموبقات مالم يأته أحد من الكفار وما هو محرم في سائر الأديان، بل وما لا تساعد عليه الإنسانية بقطع النظر عن الديانة، فلذلك كانوا شرار الناس، وقد شهد العيان والحمد لله بصدق ما أخبر به النبي ﷺ فإن أشراط الساعة قد ظهرت، وأماراتها قد تتابعت، وظهرت طلائع أولئك الأشرار الذين عليهم تقوم، وهم العصريون المفسدون الزنادقة الملحدون، الذين يسمون المؤمنين المتمسكين بالدين جامدين رجعيين، فرأينا من كفرهم وإلحادهم ومروقهم وفجورهم وفساد أخلاقهم وقلة حيائهم وشدة وقاحتهم وتهتكهم ومحاربتهم للدين، وعنادهم في كفرهم وازدرائهم بالدين وأهله ورفعتهم قدر من يحارب الدين ويخرق حدوده ويهتك الشريعة ويسعى في القضاء عليها وإطرائه والمبالغة في مدحه، والكذب في وصفه بما ليس فيه، وغير ذلك من أوصافهم الممقوتة التي يشهد معها كل مؤمن بالله ورسوله أنهم شرار الخلق، هذا وهم في بداية أمرهم، فكيف إذا وصلوا إلى نهايته عند قيام الساعة. كما أننا نرى الكفار أيضاً قد مرقوا من دينهم الباطل وظهر من أخلاقهم الفاسدة وابتداعهم وتهتكهم وفجورهم مالم يكن في أسلافهم وما هو معدود في



دينهم من الكفر والمروق والعصيان والفسوق فبذلك كانوا شرار الناس زيادة على كفرهم وأما الذين اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد للسجود إليها وعبادتها فإنهم كفروا بعد الإيمان وأشركوا بعد التوحيد وجهلوا بعد العلم وارتدوا عن الدين بعد اعتناقه والتحقق من الحق ومعرفته فكانوا شر خلق الله تعالى ولذلك كان من ارتد بعد إيمانه يقتل ولا تقبل توبته، وكان اليهود مغضوباً عليهم والنصارى ضالين، وكان الكافر العالم أشد الناس عذاباً يوم القيامة.

والوجه الخامس:

إن النبي ﷺ قال في الذين يتخذون القبور مساجد «**أولئك شرار الخلق**»[١] وثبت بالكتاب والسنة المتواترة أن أمته خير أمة أخرجت للناس، وأنها أشرف الأمم وأفضلها على الإطلاق، وأنهم عدول يتخذهم الله تعالى شهداء على الأمم السابقة «**وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس**»[٢] «**كنتم خير أمة أخرجت للناس**»[٣] وذكر الله لهم من الفضل ما رغبت الأنبياء والمرسلون فيه وتمنوا أن يكونوا من أمته ﷺ وأخبر ﷺ أنهم لا يجتمعون على ضلالة، وإن من لم يتبع سبيلهم فهو من أهل النار «**ومن يتبع غير سبيل المؤمنين**»[٤] الآية. وأن ما رأوه حسناً فهو عند الله حسن وكثير من أمثال هذا وقد علم الله تعالى في سابق علمه وما قضاه وقدره في أزله أن هذه الأمة ستتفق وتجمع أولها عن آخرها على بناء المسجد على قبر نبيها أشرف الأنبياء و أفضل المرسلين، كم علم ذلك بإعلام

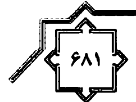
---

١ . مسند ابن راهويه، ج٢، ص٢٦٤

٢ . البقره (٢): ١٤٣

٣ . آل عمران (٣): ١١٠

٤ . النساء (٤): ١١٥



الله تعالى إياه وأشار إليه كما سيأتي، وأنهم سيتفقون أيضاً سلفاً وخلفاً على اتخاذ المساجد على قبور الأولياء والصالحين والعلماء والعاملين، ومن أولئك الأولياء نفسهم من يتخذها على من قبله من شيوخه ويزوره في حال بناء المساجد والقباب عليهم بل ويشد الرحال من البلاد البعيدة إلى زيارتهم، وقد شد الإمام النووي الرحلة من الشام إلى مصر لزيارة قبر الإمام الشافعي الذي عليه مسجد وقبة، وكم له من ألف نظير في المشرق والمغرب. فيلزم من هذا التناقض بين خبر الله تعالى وخبر الرسول، وأن تكون هذه الأمة خير أمة أخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، وشر أمة أخرجت للناس تتفق على فعل المنكر وتبني على قبر نبيها المسجد، وكذلك على قبور الأولياء والصالحين منها، وتكون أمة وسطا عدولاً، وأمة فاسقة متفقة على عصيان الله تعالى ورسوله ومخالفة أمره جهراً، وتكون أمة مرحومة مغفوراً لها كما قال النبي ﷺ وأمة ملعونة باتخاذها المسجد على قبر نبيها كما لعن اليهود والنصارى الذين اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد، ويكون أولياء الأمة وعلماؤها العاملون أصحاب المناقب والكرامات الظاهرة أحباء الله تعالى وأصفياءه الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، في حال كونهم أعداء الله تعالى وعصاته ومحاربيه بمخالفة أمره والاتفاق على المنكر المحرم الملعون فاعله، وأن الأمة لا تجتمع على ضلالة حتى يكون إجماعها على أمر حجة ودليلاً شرعياً كالكتاب والسنة، وأن الأمة تجتمع على الضلالة وتتفق على المنكر ومخالفة الله تعالى وأمر رسوله وهذا محال.

الوجه السادس:

أنه معلل بخشية العبادة كما تقدم وكما هو مصرح به في الحديث نفسه فلا يكون تشريعاً عاماً في كل زمان بل هو التشريع المؤقت بزمن خشية وجود العلة،

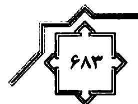


وهو زمن قرب عهد الناس بالإشراك دون الزمان الذي لم يعد أهله شركاً ولا دار في خلدهم شيء منه، بل نشأوا على الإيمان واليقين والتوحيد واعتقاد انفراد الله تعالى بالخلق والتدبير، وأنه لا فاعل إلا الله تعالى، فهو غير معارض لدليل الكتاب العام في كل زمان، بل هو مخصص لعمومه بزمن ارتفاع خشية العبادة، وهو زمن استقرار الإيمان وانتشار التوحيد ورسوخ العقيدة رسوخاً لا يتطرق معه أدنى خلل ولا شك في وحدانية الله تعالى وتفرده بكل معاني الألوهية والربوبية.

ومثل هذا في الشريعة كثير جداً وهو التشريع المؤقت الذي يشرع لعلة ثم يزول بزوال علته، إلى أنه تارة يكون منصوصاً عليه من الشارع نفسه وهو الناسخ والمنسوخ، وتارة لا ينص الشارع على زوال الحكم ونسخه لاحتمال وجود العلة في كل وقت، ولكنه يشير إلى أن ذلك الحكم غير لازم على الدوام إنما يلزم عند وجود علته فيقول أو يفعل ما يخالف الحكم الأول حتى يظن في بادئ النظر أن بين الأمرين تعارضاً، والواقع أن الحكم الأول كان عند وجود علته، والثاني وقع عند انتفائها، ولذلك كان بعض الصحابة إذا أشكل عليه الأمر وقال للنبي ﷺ إنك يا رسول الله قد فعلت كذا أو قلت كذا يعني مما يخالف قوله أو فعله الحاضر يجيبه ﷺ بقوله. إنما فعلت ذلك لأجل كذا، ولما رأيت من كذا. وهكذا يكون النهي الوارد عنه في حق من توجد منه علة النهي والإذن والجواز في حق من تنتفي عنه علته.

ومن النوع الأول:

نهيه ﷺ عن زيارة القبور أولاً. لما كانوا قريبي عهد بالشرك، فلما استقر الإيمان في نفوسهم أباح لهم زيارتها للاعتبار والتذكر والزهد في الدنيا، ولكنه مع ذلك أمرهم أن لا يقولوا عند القبور من مخاطبة الأموات ما لا يوافق التوحيد



ولا يقره الإيمان فقال: «**كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإنها تذكركم الآخرة**»[١] وفي حديث آخر «**فإنها تزهد في الدنيا**»[٢] قال «**ولا تقولوا هجراً**»[٣] وكذلك نهيه ﷺ عن أكل لحوم الأضاحي بعد ثلاث وعن إدخارها لأجل مجاعة ألمت بالناس، فلما ذهبت قال «**كنت نهيتكم عن لحوم الأضاحي بعد ثلاث، فكلوا وادخروا فإنما نهيتكم من أجل الدافة**»[٤] وكذلك نهى في أول الأمر عن القران بين التمرتين لما كان الحال بالمدينة ضعيفاً، ثم أباح ذلك لما وسع الله عليهم.

ومن النوع الثاني:

وهو الأكثر ـ نهيه ﷺ النساء عن زيارة القبور فإنه لما أباحها للرجال خص النساء باستمرار النهي وشدد عليهن في ذلك لكونهن ناقصات عقل ودين، ولأن تشبثهن بالعقائد الباطلة شديد فقال: «**لعن الله زوارات القبور**»[٥] وقال لنسوة رآهن في المقبرة «**أتدفن؟ أتحملن؟ ارجعن مأزورات غير مأجورات**»[٦] ولكنه مع ذلك مر يوماً بالمقبرة فوجد امرأة جالسة عند قبر ابنها تبكي فقال لها «**اتقي الله واصبري**»[٧] فقالت إليك عني فإنك لم تصب بمصيبتي وكانت لم تعرفه فتركها وانصرف ولم ينهها عن زيارة القبر كما قال لغيرها ارجعن مأزورات وذلك لأنها إنما زارت قبر ولدها لما تجد في نفسها من الحزن وعدم الصبر على

---

١ . مسند احمد، ج١، ص١٤٥

٢ . سنن ابن ماجه، ج١، ص٥٠١

٣ . الام، ج١، ص٣١٧، مسند احمد، ج٥، ص٣٦١

٤ . سنن الترمذی، ج٣، ص٣٣

٥ . السنن الكبرى للبيهقى، ج٤، ص٧٨

٦ . تاريخ بغداد، ج٩، ص١٠٤

٧ . صحيح البخارى، ج٢، ص٧٩



فراقه فلم يتطرق إلى زيارتها ما يخشى من الفتنة بزيارة القبور المعظمة كقبور الشهداء التي كان غيرها من النسوة يزرنها وكذلك من يأتي منهن بعد ممن يزرن قبور الأولياء والصالحين فإن العلة وهي خشية الإفتتان موجودة فيهن فلذلك نهاهن ولعنهن ولم ينه زائرة قبر ابنها.

وكذلك نهى ﷺ عن نعي الميت كما رواه الترمذي[١] وابن ماجة[٢] من حديث حذيفة بسند حسن حتى كان كثير من الصحابة والتابعين يوصي عند موته أن لا يعلم بموته تمسكاً بهذا النهي ولكن مع هذا نعى النبي ﷺ النجاشي في اليوم الذي مات فيه بالحبشة ونعى زياد وجعفر أيضاً لما قتلا كما في الصحيح[٣] فكان نهيه عن النعي أولاً لقطع عوائد الجاهلية وقلع أثرها من النفوس ثم نعى بنفسه لذهاب العلة وعدم وجودها.

ونهى ﷺ عن الطيرة وسماها شركاً ونفى وجودها بالكلية فقال «**الطيرة شرك الطيرة شرك**»[٤] ثلاثاً وقال أيضاً «**لا عدوى ولا طيرة**»[٥] ومع هذا فكان يحب الفال وهو من نوع الطيرة فقد قال عروة بن عامر القرشي ذكرت الطيرة عند رسول الله ﷺ فقال «**أحسنها الفال ولا ترد مسلماً فإذا رأى أحدكم مايكره فليقل اللهم لايأتي بالحسنات إلا أنت ولا يدفع بالسيئات إلا أنت ولاحول ولا قوة إلا بك**»[٦] رواه أبو داود وقال بريدة كان النبي ﷺ لا يتطير من شيء وكان إذا بعث عاملاً سأل عن اسمه فإذا أعجبه اسمه فرح به ورؤي بشر ذلك في

---

١ . سنن الترمذى، ج٢، ص٢٢٨

٢ . سنن ابن ماجه، ج١، ص٤٧٤

٣ . صحيح البخارى، ج٢، ص٨٨

٤ . سنن ابى داود، ج٤، ص١٧

٥ . صحيح البخارى، ج٧، ص١٧

٦ . سنن ابى داود، ج٤، ص١٨



وجهه وإن كره اسمه رؤي كراهية ذلك في وجهه وإذا دخل قرية سأل عن اسمها فذكر مثله في العامل رواه أبو داود[١]. وقال أنس بن مالك قال رجل يا رسول الله إنا كنا في دار كثير فيها أموالنا فتحولنا إلى دار أخرى فقل فيها عددنا وقلت فيها أموالنا فقال رسول الله ﷺ **«ذروها ذميمة»**[٢] فنهى عن التطير وسماه شركاً لما كان يعتقده أهل الجاهلية من تأثير الأشياء بذاتها وطبعها، ومعتقد ذلك مشرك جاعل مع الله فاعلاً ومؤثراً غيره وكان مع ذلك يحب الفال الذي هو من نوعها لاعتقاده أنه مرسل كما قال ﷺ **«الفال مرسل والعطاس شاهد عدل»** رواه الحكيم في النوادر[٣] من حديث الرويهب، ومعناه أنه مرسل من قبل الله تعالى مبشراً للعبد بما سيحدثه الله تعالى له من خير بعد ذلك فكان ﷺ يستبشر به لعلمه ان الله تعالى أراد في ذلك الامر ما هو خير وصلاح وبركة ونجاح، وكان يكره الفال القبيح لعلمه أن الله تعالى أراد خلاف ما يريده العبد منه، ولذلك كان لا يرجع عنده ويأمر بعدم الرجوع عند التطير لعلمه أن ما قدره الله تعالى وأمضاه هو واقع لا محالة سواء رجع المتطير عن ذلك الأمر أو أمضاه، بخلاف أهل الجاهلية فإنهم كانوا يعتقدون أن الحوادث مربوطة بذلك صادرة عنها وأنهم إذا رجعوا عند التطير لا يصيبهم شيء مما قدره الله تعالى وأمضاه.

وكذلك نفى ﷺ العدوى في أحاديث متعددة وقال مع ذلك **«فر من المجذوم فرارك من الأسد»**[٤] وقال **«لا يوردن ممرض على مصح»**[٥] ونفى الغول لما

---

١ . سنن ابى داود، ج٤، ص١٩

٢ . المصدر نفسه، ج٤، ص٢٠

٣ . نوادر الاصول، ج٣، ص٦

٤ . مسند احمد، ج٢، ص٤٤٣

٥ . صحيح البخارى، ج٧، ص٣١



كان يعتقده فيه أهل الجاهلية من العقائد الباطلة وأثبته في حديث قال فيه «**إذا تغولت لكم الغيلان فنادوا بالأذان فإن الشيطان إذا سمع النداء أدبر وله حصاص**»[١] وأمر أبا أيوب وأبا هريرة أن يمسكاه لما كان يدخل إلى بيتهما ويأكل لهما من تمر الصدقة ويقول له أجب رسول الله ﷺ كما هو معروف وثابت في السنن وغيرها.

ونهى عن الرقى والتمائم والتولة وسماها شركاً[٢] وأمر بها في أحاديث أخرى[٣] ونهى الله تعالى عن الاستقسام بالأزلام[٤] وشرع لنبيه ﷺ الاقتراع بالعودة وهو من نوع الاستقسام إلا أن أهل الجاهلية كانوا يعتقدون أن الأصنام هي التي كانت تختار لهم وما شرعه النبي ﷺ فهو لاعتقاد المؤمنين أن الله تعالى هو الذي يختار لهم بما يخرج من العود فهو خروج من مراد العبد واختياره، إلى مراد الله واختياره، وكم لهذا من نظير يطول ذكره ويتعذر إحصاؤه وعدّه، بل هو مفرد بالتآليف العديدة التي منها ما هو في عدة مجلدات وقد أراد النبي ﷺ أن يهدم الكعبة ويبنيها على أساس إبراهيم عليه الصلاة والسلام ثم تأخر عن ذلك لكون القوم حديثي عهد بجاهلية، ولذلك لما قدم عهدهم بها هدمها عبد الله ابن الزبير وبناه كما كان ﷺ عزم أن يبنيها عليه وقد ترجم البخاري في صحيحه للحديث الوارد بهذا بقوله: باب من ترك بعض الاختيار مخافة أن يقصر فهم الناس عنه فيقعوا فيما هو أشد منه ثم أسند عن الأسود قال لي ابن الزبير كانت عائشة تسر إليك كثيراً فما حدثتك في الكعبة؟ فقلت قالت: قال النبي ﷺ «**يا عائشة لولا**

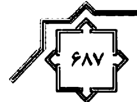
---

١ . كنز العمال، ج٦، ص٧٠٦

٢ . سنن ابى داود، ج٤، ص٩

٣ . المصدر نفسه، ج٤، ص١٠

٤ . المائده (٥): ٣



قومك حديثو عهدهم بكفر لنقضت الكعبة فجعلت لها بابين باب يدخل الناس وباب يخرجون» ففعله ابن الزبير[١].

والمقصود أن مبنى الشريعة على مراعاة مصالح العباد الدينية والدنيوية ومن مصالحهم الدينية نهيهم عن كل ما يخل بعقيدتهم وإخلاص توحيدهم لله تعالى وإن كان مباحاً في نفس الأمر لقيام سبب به يؤدي إلى المحظور فإذا انتفى السبب رجع الفعل إلى إباحته الأصلية ومنه بناء المساجد على القبور.

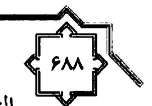
الوجه السابع:

وإذا ثبت أنها معللة بخشية العبادة واتخاذها قبلة عند الصلاة فالنهي حينئذ يكون خاصاً بما جعل القبر في قبلته، أما ما جعل القبر فيه ملاصقاً لجداره الغربي بحيث لا يمكن الصلاة إليه أصلاً فهو خارج عن النهي وكثير من المساجد على قبور الأولياء هي بهذه الكيفية.

فبان من هذه الوجوه عدم معارضة الأحاديث لدليل الآية وثبت المطلوب منها وهو الجواز وقد أجاب العلامة التميمي في رسالته عن حديث **«لعن الله اليهود والنصارى»** وحديث **«أولئك شرار الخلق عند الله»** السابقين بقوله: وأما الحديثان الشريفان فالأول منهما النهي فيه عن بناء المساجد على القبر ليس صريحاً وإنما هو كما قال شيخ الإسلام لازم لاتخاذها مساجد كما اتخاذ المساجد عليها يلزمه اتخاذ القبور مساجد قال وبذلك طابق ترجمة البخاري فيفيد أن النهي عن بناء المساجد معلل بإفضائه إلى جعل القبر مسجداً المؤدى إلى عبادته فيكون من باب الذرائع،

---

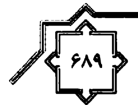
١ . صحيح البخاري، ج١، ص٤٠



والحديث الثاني يفهم منه أن بناء المساجد ذمه معلل بها لزمه عرفاً من جعل التصاوير فيه وعبادة تلك الصور لأنه معنى مناسب للحكم وقد التفت إليه الشرع في غير هذا المحل فيحصل الوقوف بأنه العلة كما تقرر في مسالكها قال شيخ الإسلام في هذا الحديث إن الإمام الشافعي حمله على الكراهة وذلك يؤيد ما قلناه من سد الذرائع لأن الإمام لا يقول بالذرائع فلما وجد علة النهي راجعة إليها حمله على الكراهة لتلك القرينة الصارفة عن الحرمة وإذا كان النهي فيها لسد الذرائع فلا تعارض ما تقدم من دليل الجواز لأن سد الذرائع لا ينافي المشروعية فكثيراً ما يكون الشيء مشروعاً بالأدلة الواضحة ويجر إلى أمر ممنوع فيمنع من تلك الحيثية حتى إذا زالت رجع للأصل وعلى هذا يتنزل ما قاله الأستاذ ابن لب في بعض فتاويه من أن النهي في هذه المسألة مخافة أن تعبد القبور، كما اتفق لمن سلف قبل هذه الأمة وأفتى بجواز بناء مسجد بمقبرة اندثرت إذ أمن نبش القبور بأن يكون البناء فوقها دون حفر يصل إلى موضع العظام للأمن في هذه من خشية العبادة المعلل بها النهي وعلى هذا إذا بني المسجد على القبر بلصق الحائط المواجه للقبلة بحيث لا تمكن الصلاة فيه إلا أن يكون القبر خلف المصلي كما هو بزوايا كثيرة في بعض أعمال أفريقية جاز للأمن من الصلاة إليه. وإذا نظرت إلى أن عبادة غير الله تعالى علم من الدين ضرورة منعها وإخراجها المسلم من الدين كانت الذريعة هنا من القسم الملغى لأن ترتيب المقصد فيه على الوسيلة بعيد انتهى.

الدليل الثاني: إنّ الله قضى باتخاذ المسجد على قبر نبيه.

إن الله تعالى قضى في سابق علمه باتخاذ المسجد على قبر نبيه ﷺ، والنبي ﷺ عند ربه جل وعز أعلى قدراً وأحمى جانباً من أن يقع بجسده الشريف ما هو محرم مبغض لله تعالى ملعون فاعله، بل هذا من المتيقن المقطوع



ببطلانه لأهل الإيمان فلو كان اتخاذ المسجد عليه ﷺ ممنوعاً متخذه لحمى الله تعالى جانب نبيه ﷺ منه ولصرف العباد عنه كما صرفهم عن غيره فلما لم يفعل ذلك دل على أنه جائز ومطلوب ومن اعتقد خلاف هذا فهو قرني ممقوت لم يذق للإيمان طعماً ولا عرف من منزلة النبي ﷺ العليا ومكانته السامية عند ربه شيئاً فهو مدخول العقيدة مختل الإيمان.

الدليل الثالث: أمر النبي ﷺ أن يدفن في البناء

إن النبي ﷺ أمر أن يدفن في البناء فقال **«ما قبر نبي إلا حيث يموت»**[١] وحدث بهذا الصديق رضي الله عنه حين اختلف الصحابة رضي الله عنهم في موضع دفنه فقال قوم في البقيع وقال آخرون في المسجد وقال آخرون يحمل إلى أبيه إبراهيم فيدفن معه فلما حدثهم الصديق رضي الله عنه بما عنده في هذا أجمعوا رأيهم واتفقوا عليه ودفنوه في بيت عائشة رضي الله عنها وهو دليل صريح على وجود البناء حول القبر وأن النهي خاص بما كان فوقه لأنا بالضرورة نعلم أن النهي عن البناء ليس هو عن فعل الفاعل وبناء البناء، وإنما هو عن وجود نفس البناء على القبر وإذا جوز الشارع وجود الميت داخل البناء فقد جوز البناء إذ لا فارق بين أن يوجد بعد الدفن أو قبله لأن الغاية واحدة والصورة متفقة وهي وجود القبر داخل البناء وإذا جاز ذلك فلا فرق بين أن يكون البناء بيتاً أو قبة أو مدرسة لأن الكل بناء والعلة في ذاته لا في أشكاله وصوره فليس النهي متعلقاً بصورة القبة أو المدرسة بل بذات البناء كيفما وجد، وحيث أجاز الشارع الدفن في البيت الذي هو بناء علمنا أن النهي مخصوص بالبناء الذي هو فوق القبر للعلة السابقة غير عام في جميع البناء.

---

١ . مسند احمد، ج١، ص٧: «لن يقبر نبي الا حيث يموت»



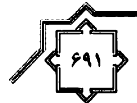
الدليل الرابع: أن أمره بالدفن في البناء

وإذا ثبت أن النبي ﷺ أمر أن يدفن في بيته الذي هو بناء فقد تقرر في قواعد الفقه أن الرضي بالشيء رضى بما يؤول إليه ذلك الشيء، فالذي تزوج امرأة بعد علمه بمرض كذا فيها ثم تزايد ذلك المرض إلى حد يمنع من الاستمتاع فلا رجوع له لأنه رضي بمبادئه فكان راضياً بما يؤول إليه، وبيت النبي ﷺ كان ملاصقاً للمسجد وبابه شارعة إليه حتى كان ﷺ إذا اعتكف يخرج رأسه الشريف إلى عائشة فترجله وهي في البيت وهو في المسجد وقد علم ﷺ أن أمته ستكثر وأن المدينة ستتسع وتعظم حتى يصل بناؤها إلى سلع كما أخبر هو ﷺ بذلك وأمر بشد الرحلة إلى زيارة قبره الشريف وإلى مسجده للصلاة فيه ورغب في ذلك بقوله **«من زار قبري وجبت له شفاعتي»**[1] و **«صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام»**[2] ومسجده ﷺ كان في عصره صغيراً لا يسع عشر معشار ربع من يقصده من أمته وقبره الشريف واقع في بيت عائشة الذي تسكنه وهو يعلم ضرورة أنه يتعذر على الأمة زيارته وهو في بيت مملوك لامرأة ساكنة فيه يجب تعظيمها واحترامها كما يجب ذلك في حق من يملكه ويسكنه من بعدها، كما أنه يعلم أن أمته ستدوم إلى قيام الساعة وأن قصدهم لزيارته سيدوم بدوام الأمة وأن البيت الذي سيدفن فيه لا يمكن عادة أن يدوم أكثر من مائة سنة لأنه مبني بالطين واللبن غير محكم البناء فهو يعلم علم اليقين أن بيته المذكور سيؤول أمره إلى أن يدخل في المسجد لإنّه إذا علم ذلك وأمر بدفنه فيه فهو رضي منه بدخول قبره

---

١ . سنن الدارقطني، ج٢، ص٢٤٤

٢ . صحيح مسلم، ج٤، ص١٢٤



الشريف في المسجد الذي ستصير الأمة به متخذة على قبره مسجداً كما هو الواقع، ومن المحال المقطوع به أن يرضى ﷺ بما هو محرم ملعون فاعله لا سيما فيما يتعلق بجسده الشريف فدل على أن اتخاذ المسجد على قبره الشريف غير محرم ولا مكروه وإذا جاز ذلك في حقه جاز في غيره من باب أولى لأن ما يخشى من الفتنة بقبره أعظم مما يخشى من الفتنة بقبر غيره لأن الفتنة إنما تقع من جهة التعظيم ولا يوجد في الأمة من يعظم قبراً أكثر من قبره ﷺ.

الدليل الخامس: إنّ النبي ﷺ أخبر بأنّ قبره الشريف سيكون داخل مسجده

إنّ النبي ﷺ أخبر بأن قبره الشريف سيكون داخل مسجده وزاد فأخبر بأنّ ما بين قبره ومنبره روضة من رياض الجنة[١] وهذا منه ﷺ إشارة إلى استحباب إدخال قبره الشريف في المسجد لأنه ترغيب يدعو إلى ذلك، إذ المراد فضيلة الصلاة ما بين القبر والمنبر والترغيب فيها في ذلك الموضع وإذا لم يكن القبر الشريف داخل المسجد لا تتصور الصلاة بين القبر والمنبر ولا يتأتى التعبير بقوله ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة لأنه إذا كان المنبر وسط المسجد والبيت الذي فيه قبره الشريف خارج المسجد لم يصح في العادة التعبير بالبينية خصوصاً عند إرادة الصلاة فإن البيت وسوره حاجز بين القبر والمنبر مانع من الصلاة في موضعه فلا يقول ما بين قبري ومنبري رياض من الجنة إلا وهو يريد أن القبر سيكون دخل المسجد ليس بينه وبين المنبر حاجز البيت.

فإن قيل: لفظ الحديث في أكثر طرقه إنّما هو **«ما بين بيتي ومنبري»**[٢] حتى إن البخاري لما ترجم للحديث بباب فضل ما بين القبر والمنبر وأورد الحديث من

---

١ . مسند احمد، ج٣، ص٦٤

٢ . صحيح البخارى، ج٢، ص٥٧



حديث عبد الله ابن زيد المازني ومن حديث أبي هريرة بلفظ **«ما بين بيتي»** شرحه الحافظ في الفتح بقوله: ترجم بلفظ القبر وأورد الحديثين بلفظ البيت لأن القبر صار في البيت وقد ورد في بعض طرقه بلفظ القبر.

قال القرطبي: الرواية صحيحة بيتي ويروى قبري وكأنه بالمعنى لأنه دفن في بيت سكناه اهـ. وقال في موضع آخر من الفتح قوله **«ما بين بيتي ومنبري»** كذا للأكثر ووقع في رواية ابن عساكر وحده قبري بدل بيتي وهو خطر فقد تقدم الحديث بهذا الإسناد بلفظ بيتي وكذلك هو في مسند مسدد شيخ البخاري فيه. نعم وقع في حديث سعد بن أبي وقاص عند البزار بسند رجاله ثقات وعند الطبراني من حديث ابن عمر بلفظ القبر[1]. قلت: الجواب عنه من وجوه.

الوجه الأول:

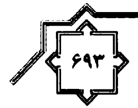
إنّ هذا بالنسبة لرواية البخاري فقط لا بالنسبة لسائر طرق الحديث كما صرح به الحافظ نفسه من كونه ورد بلفظ القبر من حديث سعد بن أبي وقاص بسند رجاله ثقات، وكذلك من حديث ابن عمر مع أنه لم يرد بلفظ القبر من حديث هذين فقط بل ورد كذلك من حديث أم سلمة وأبي سعيد الخدري وعبد الله بن زيد وأبي هريرة وجابر بن عبد الله وعمر بن الخطاب، ثم إن حديث ابن عمر الذي عزاه الحافظ للطبراني أخرجه أيضاً جماعة آخرون كلهم بلفظ القبر.

قال الطحاوي في مشكل الآثار حدثنا محمد بن علي بن داود حدثنا أحمد بن يحيى المسعودي قال حدثنا مالك بن أنس عن نافع عن ابن عمر قال رسول الله ﷺ: **«ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة»**[2].

---

١ . المعجم الكبير، ج١٢، ص٢٢٧

٢ . شرح مشكل الاثار، ج٧، ص٣١٥



وقال الخطيب في التاريخ أخبرني ابن علان حدثنا أبو الفضل العباس بن محمد بن أحمد بن تميم الأنماطي حدثنا موسى بن إسحاق القاضي الأنصاري حدثنا مالك بن يحيى بن المنذر حدثنا مالك به مثله بلفظ القبر[١].

وقال أيضاً في المهروانيات أخبرنا محمد بن الحسين بن الفضل حدثنا أبو الحسين أحمد بن عثمان حدثنا محمد بن عبد الله بن سليمان حدثنا أحمد بن يحيى حدثنا مالك به مثله[٢].

قال الطحاوي: وهذا من حديث مالك يقول أهل العلم بالحديث إنه لم يحدث به عن مالك أحد غير أحمد بن يحيى هذا، وغير عبد الله بن نافع الصائغ اهـ. وقال الخطيب في المهروانيات: هذا حديث غريب من حديث مالك عن نافع تفرد بروايته عنه أحمد بن يحيى الأحول وتابعه عبد الله بن نافع عن مالك.

قلت وهو ثقة من رجال الصحيح ومتابعته أخرجها أبو نعيم في الحلية.

قال حدثنا محمد بن أحمد بن الحسن حدثنا إسحاق بن أبي حسان حدثنا القاسم ابن عثمان الجوعي حدثنا عبد الله بن نافع المدني عن مالك عن نافع عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: **«ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة وإن منبري لعلى حوضي»**[٣].

طريق آخر عن نافع قال الدولابي في الكنى والأسماء حدثنا عن ابن معبد ابن نوح حدثنا موسى ابن هلال حدثنا عبد الله بن عمر أبو عبد الرحمن أخو عبيد الله عن نافع عن ابن عمر قال: قال رسول الله: **«من زار قبري وجبت له**

---

١ . تاريخ بغداد، ج١٢، ص١٥٨

٢ . المهروانيات، ج٢، ص٨٤٧

٣ . حليه الاولياء، ج٩، ص٣٢٤

شفاعتي»[١] وقال: «**وما بين قبري ومنبري ترعة من ترع الجنة**»[٢].

وقال الطحاوي في مشكل الآثار حدثنا إسحاق بن إبراهيم بن يونس حدثنا موسى بن عبد الرحمن المسروقي حدثنا محمد عن عبد الله عن نافع عن ابن عمر أن النبي ﷺ قال: «**ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة ومنبري على حوضي**»[٣].

طريق آخر عن نافع قال أبو نعيم في تاريخ أصبهان ثنا أحمد بن جعفر بن معبد ثنا عمر بن أحمد بن السني ثنا نصر بن علي ثنا زياد بن عبد الله عن موسى الجهني عن نافع عن ابن عمر قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**صلاة في مسجدي أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام**»[٤] قال وقال ابن عمر إن ما بين القبر والمنبر روضة من رياض الجنة[٥].

وحديث سعد بن أبي وقاص أخرجه أيضاً الخطيب في التاريخ من رواية ابنته عائشة عنه بلفظ القبر[٦].

وحديث أم سلمة أخرجه الطحاوي في مشكل الآثار قال حدثنا عبد الغني بن أبي عقيل ثنا سفيان بن عيينة عن عمر الدهني عن أبي سلمة عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة وإن قوائم منبري هذا رواسب في الجنة**»[٧].

---

١ . الكنى والأسماء للدولابى، ج٢، ص٨٤٦

٢ . المصدر نفسه، ج٢، ص٨٤٦

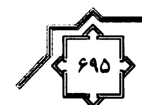
٣ . شرح مشكل الاثار، ج٧، ص٣١٦، باختلاف

٤ . تاريخ اصبهان، ج١، ص٤١٧

٥ . المصدر نفسه، ج١، ص٤١٧

٦ . تاريخ بغداد، ج١١، ص٢٨٨

٧ . شرح مشكل الاثار، ج٧، ص٣١٥



وحديث أبي سعيد أخرجه البخاري في التاريخ الكبير قال: اسحاق ابن شرقي مولى عبد الله بن عمر بن الخطاب القرشي العدوي سمع أبا بكر بن عبد الرحمن بن عبد الله ابن عمر عن عبد الله بن عمر عن أبي سعيد عن النبي ﷺ قال: «**ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة**»[١] قال لي الحرمي بن حفص وتابعه عفان عن عبد الواحد بن زياد سمع إسحاق.

قلت متابعة عفان أخرجها الخطيب في التاريخ عن أبي نعيم عن أبي الشيخ عن بن الجارود عن محمد بن أحمد بن جهور ثنا عفان ثنا عبد الواحد بن زياد ثنا إسحاق بن شرقي به مثله بلفظ القبر.

وأخرجها الطحاوي في مشكل الآثار ثنا علي بن عبد الرحمن بن محمد بن المغيرة ومحمد بن علي بن داود قالا حدثنا عفان به مثله أيضاً بلفظ القبر[٢].

وحديث عبد الله بن زيد قال الطحاوي أيضاً ثنا يونس ثنا ابن وهب أن مالكاً حدثه عن عبد الله بن أبي بكر عن عباد بن تميم عن عبد الله بن زيد المازني " أن رسول الله ﷺ قال: «**ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة**»[٣].

قال: وحدثنا الربيع الجيزي ثنا مطرف بن عبد الله ثنا مالك عن عبد الله بن أبي بكر عن عباد بن تميم عن عبد الله بن زيد الخطمي أن رسول الله ﷺ قال: «**ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة**»[٤].

قال: وحدثنا محمد بن خزيمة وفهد بن سليمان جميعاً قالا حدثنا عبد الله بن صالح قال حدثني الليث بن سعد قال حدثني بن الهاد عن أبي بكر بن محمد عن

---

١ . التاريخ الكبير للبخارى، ج١، ص٣٩٢

٢ . شرح مشكل الاثار، ج٧، ص٣١٨

٣ . شرح مشكل الاثار، ج٧، ص٣١٩، بلفظ: ما بين بيتى و منبرى

٤ . المصدر نفسه، ج٧، ص٣٢٠، بلفظ: ما بين بيتى ومنبرى



عباد بن تميم عن عبد الله بن زيد أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**إن ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة**»[١].

وحديث أبي هريرة كذلك وقع في رواية مالك في الموطأ على بعض الروايات وهي النسخة المطبوعة مع شرح تنوير الحوالك للحافظ السيوطي:

وحديث جابر أخرجه الخطيب في التاريخ من طريق محمد بن كثير الكوفي ثنا سفيان الثوري عن أبي الزبير عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة**»[٢].

وحديث عمر أخرجه الإسماعيلي في مسند عمر من رواية عطاء بن زيد الليثي حدثني سعيد بن المسيب عن عمر به ولفظه «**ما بين قبري و اسطوانة التوبة روضة من رياض الجنة**»[٣]. وفي لفظ ما بين قبري ومنبري.

الوجه الثاني:

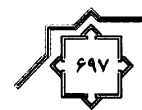
أن ما حكم به الحافظ من الخطأ على رواية ابن عساكر غيره مسلم ولو بالنسبة إلى رواية البخاري إذ يجوز أن يكون الصواب مع من قال قبري، ويكون الذي قال بيتي أخطأ أو ذهب ذهنه إلى حديث آخر مما ورد بلفظ بيتي. فإن لفظة قبري وقعت كذلك في رواية للموطأ أيضاً، ويؤيد صحتها ترجمة البخاري بلفظ القبر وقد نص الطحاوي في مشكل الآثار على أن أكثر الروايات لهذا الحديث إنما هي بلفظ قبري لا بيتي، كما سأذكر نصه قريباً، وإذا كان ذلك كذلك فلا وجه لتخطئة من قال في رواية البخاري قبري.

---

١ . المصدر نفسه، رج٧، ص٣٢٠، بلفظ: ما بين منبرى و بيتى

٢ . تاريخ بغداد، ج١١، ص٢٢٨

٣ . لسان الميزان، ج٤، ص٦٤



الوجه الثالث:

أن المراد بقوله بيتي في الروايات الأخرى هو قوله في هذه الأحاديث قبري لأننا بالضرورة ندري أن المنبر والبيت لم يكن لهما هذا الفضل لمجرد أعواد المنبر وحجارة البيت وطينه فإنه لا فضل لخشب على خشب ولا لحجارة على حجارة بل ولا دخل لهما في وجود فضيلة في الدين البتة. وإنما ذلك لتشرف المنبر بوقوفه ﷺ في الوعظ والتذكير وتبليغ أمر ربه ولوجود قبره الشريف في البيت. إذ المراد هو القبر لأن الفضل راجع إليه لا إلى البيت، فمن يحاول من أهل العصر أن ينكر وجود رواية قبري للتوصل إلى نفي ما يتعلق به من فضيلة قبره ﷺ فإنما يحاول عبثاً ويخبط خبطاً عشوائياً. فالحديث سواء ورد بلفظ قبري أو بلفظ بيتي فمعنى اللفظين واحد وكلاهما راجع إلى القبر الشريف وعلى هذا المعنى نص أكثر المحدثين بل جل من تكلم على الحديث أو شرحه.

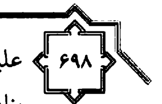
قال الطحاوي في مشكل الآثار وفي هذا الحديث معنى يجب أن يوقف عليه وهو قوله ﷺ: **«ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة»** على ما في أكثر هذه الآثار وعلى ما في سواه منها **«ما بين بيتي ومنبري»**، فكان تصحيحها يجب به أن يكون بيته هو قبره ويكون ذلك علامة من علامات النبوة جليلة المقدار؛ لأن الله عز وجل قد أخفى على كل نفس (سواه ﷺ) الأرض التي تموت بها لقوله عز وجل ﴿**وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ**﴾[1] فأعلمه الموت الذي يموت فيه والموضع الذي فيه قبره حتى أعلم بذلك في حياته وحتى علمه من علمه من أمته فهذه منزلة لا منزلة فوقها زاده الله تعالى بها شرفاً وخيراً. اهـ.

وقال ابن حزم في المحلى: قد أنذر عليه الصلاة والسلام بموضع قبره بقوله **«ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة»**[2] واعلم أنه في بيته بذلك ولم ينكر

---

١ . لقمان (٣١): ٣٤

٢ . المحلى، ج٣، ص٣٥٧



عليه الصلاة والسلام كون القبر في البيت، ولا نهى عن بناء قائم، وإنما نهى عن بناء على القبر قبة فقط أي على نفس القبر ملتصقاً به على هيئة القبة كما جرت به عادة أكثر الناس. وهكذا نص على أن المراد بالبيت القبر كل شراح الحديث كما يعلم من مراجعة شروح البخاري ومسلم وغيرهما فلا نطيل بذكر نصوصهم.

الوجه الرابع:

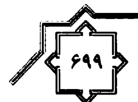
وعلى فرض أنه أراد نفس البيت لا القبر فقد علم ﷺ بإعلام الله إياه أن بيته سيدخل في المسجد وأن قبره سيكون فيه فيكون القبر داخل المسجد وبه صار ما بين البيت والمنبر روضة من رياض الجنة فكيفما دار الحديث دل على المطلوب وهو إذن النبي ﷺ بإدخال قبره الشريف في المسجد والإشارة إلى ذلك بقوله: «**ما بين قبري ومنبري روضة منرياض الجنة**».

الدليل السادس: إجماع الصحابة على دفنه ﷺ في بيته.

تم إجماع الصحابة واتفاقهم بعد الإختلاف في موضع دفنه على دفنه في بيته عملاً بما أخبرهم به أبو بكر رضي الله عنه عن النبي ﷺ فلو كان ذلك غير صحيح عن النبي ﷺ أو منسوخاً بما ذكره في مرض وفاته مع أن الخبر لا يدخله النسخ لما أجمع الصحابة عليه. وقد قام الدليل على حجية الإجماع ولا سيما إجماع الصحابة رضي الله عنهم.

الدليل السابع: إجماع التابعين ومن بعدهم.

أجمع التابعون في عهد وجود كبار أئمتهم مثل عمر بن عبد العزيز والحسن وابن سيرين وفقهاء المدينة والكوفة والبصرة والشام وغيرها من أقطار الإسلام. ثم أجمعت الأمة بعدهم على إدخال بيته المشتمل على قبره داخل المسجد وجعله في وسطه. وإجماعهم حجة ولو كان ذلك منهياً عنه لاستحال أن تتفق الأمة في



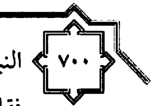
عصر التابعين على المنكر والإجتماع على الضلالة لولا أنهم فهموا من النهي أن المراد به علته التي زالت باستقرار الإيمان ورسوخ العقيدة. لا يقال إنهم سكتوا على ذلك لأجل ضرورة توسعة المسجد فإنه كان في الإمكان توسعته من جهة القبلة والجهة المقابلة لها والجهة الجنوبية لها دون الجهة الشمالية الواقع فيها قبره (عليه الصلاة والسلام) لا سيما والآمر بذلك خليفة العصر الذي اشترى البيوت بالمال لإدخالها في المسجد، فكان يمكنه أن يشتري البيوت الواقعة في غير جهة قبره ﷺ ويبقى بيت عائشة الذي فيه القبر الشريف خارج المسجد مجاوراً له، كما كان في عهده ﷺ فلما فعل ذلك بمرأى من التابعين والأئمة ولم ينهه أحد منهم عن ذلك دل دلالة قاطعة على جواز اتخاذ المسجد على القبر. وأن المنهي عنه إنما هو قصد الصلاة إلى القبر المؤدي إلى عبادته والإشراك به. ولذلك لما أدخله عمر بن عبد العزيز في المسجد جعل البيت الذي فيه القبور مثلث الشكل حتى لا يمكن الصلاة إلى القبور.

الدليل الثامن: إنّ الصحابة بنوا مسجداً على القبر في حياته ﷺ:

إن الصحابة بنوا على القبر مسجداً في حياة النبي ﷺ فأقرهم على ذلك ولم يأمرهم بهدمه ويستحيل أن يقرّ النبي ﷺ على باطل.

قال ابن عبد البر في الإستيعاب[١] في ترجمة أبي بصير ما نصه ـ وله قصة في المغازي عجيبة ذكرها ابن إسحاق وغيره ورواها عبد الرازق عن معمر عن ابن شهاب في قصة القضية عام الحديبية ـ قال: ثم رجع رسول الله ﷺ فجاءه أبو بصير رجل من قريش وهو مسلم فأرسلت قريش في طلبه رجلين فقالا لرسول الله ﷺ العهد الذي جعلت لنا أن ترد إلينا كل من جاءك مسلماً فدفعه

١ . الاستيعاب، ج٤، ص١٦١٣



النبي ﷺ إلى الرجلين فخرجا حتى بلغا به ذا الحليفة، فنزلوا يأكلون من تمرهم فقال أبو بصير لأحد الرجلين: والله إني لأرى سيفك هذا جيد يا فلان فاستله الآخر وقال أجل والله إنه لجيد لقد جربت به ثم جربت فقال له أبو بصير أرني أنظر إليه فأمكنه منه فضربه به حتى برد، وفر الآخر حتى أتى المدينة فدخل المسجد يعدو فقال النبي ﷺ حين رآه «**لقد رأى هذا ذعراً**» فلما انتهى إلى النبي ﷺ قال قتل والله صاحبي وإني لمقتول فجاء أبو بصير فقال يا رسول الله قد والله وفت ذمتك قد رددتني إليهم فأنجاني الله منهم فقال النبي ﷺ «**ويل أمة مسعر حرب لو كان معه أحد**» فلما سمع ذلك علم أنه سيرده إليهم فخرج حتى أتى سيف البحر قال وانفلت منهم أبو جندل بن سهيل بن عمرو فلحق بأبي بصير حتى اجتمعت منهم عصابة، قال فوالله ما يسمعون بعيراً خرجت لقريش إلا اعترضوا لها فقتلوهم وأخذوا أموالهم فأرسلت قريش إلى النبي ﷺ تناشده الله والرحم ألا أرسل إليهم فمن أتاك منهم فهو آمن. وكان أبو بصير يصلي لأصحابه ويكثر من قوله: الله العلي الأكبر من ينصر الله فسوف ينصره. فلما قدم عليهم أبو جندل كان هو يؤمهم واجتمع إلى أبي جندل حين سمع بقدومه ناس في بني غفار واسلم وجهينة وطوائف من العرب حتى بلغوا ثلاثمائة وهم مسلمون، فأقاموا مع أبي جندل وأبي بصير وكتب رسول الله ﷺ إلى أبي جندل وأبي بصير ليقدما عليه ومن معهما من المسلمين أن يلحقوا ببلادهم وأهليهم فقدم كتاب رسول الله ﷺ على أبي جندل وأبو بصير يموت فمات وكتاب رسول الله ﷺ بيده يقرأه فدفنه أبو جندل مكانه وصلى عليه وبنى على قبره مسجداً اهـ.

باختصار وبلا شك يدري كل ذي حس سليم يعرف سيرة الصحابة مع النبي ﷺ أنه لا يمكن إحداث أمر عظيم مثل هذا ولا يذكرونه للنبي ﷺ وهو



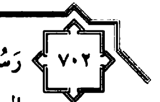
رسول الله تعالى وخليفته في خلقه والأمر أمره والحكم حكمه والصحابة كلهم جنده ونوابه ومنفذون أمره، وكذلك يستحيل أن يحدث مثل هذا من أصحابه الذين هم تحت حكمه وأمره ويكون ذلك حراماً ملعوناً فاعله يجر إلى كفر وضلال، ثم لا يعلمه الله تعالى به ولا يوحي إليه في شأنه، كما أعلمه بمسجد الضرار وقصد أصحابه من بنائه وأمره بهدمه بل وبما هو أدون من هذا وأقل ضررا بكثير فإذا لا شك أن النبي ﷺ اطلع على بنائهم المسجد على قبر أبي بصير ولم يأمرهم بهدمه إذ لو أمر بذلك لنقل في نفس الخبر أو غيره، لأنه شرع لا يمكن أن يضيع بل يستحيل ذلك لخبر الله تعالى أنه حفظ الدين من أن يضيع منه شيء ولا يصل إلى آخر هذه الأمة ما وصل إلى أولها. فلما لم يأمر بهدمه دل ذلك على جوازه.

وأما كونه ﷺ حذر بعد ذلك من اتخاذ المسجد على قبره الشريف بقوله: **«لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»**[١] يحذر ما صنعوا فإنما ذلك لما يخشى من الفتنة بقبره الشريف، لأن القوم كلهم كانوا أهل جاهلية وعبادة أوثان وصور وأحجار وعهدهم بذلك قريب فلما آمنوا برسول الله ﷺ وشاهدوا من معجزاته الظاهرة وكمالاته الباهرة وأحواله العجيبة الخارقة حتى صار أحب إليهم من آبائهم وأمهاتهم وأولادهم وأنفسهم لم يأمن ﷺ أن يفتتنوا بقبره بعد انتقاله.

وهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو من هو قد افتتن عند موته وأنكر أن يكون قد مات أو يلحقه الموت فأخذ سيفه بيده وجعل يقول من قال إن محمداً مات ضربته بسيفي هذا وذلك لما وقر في نفسه من تلك الكمالات التي لا تتناسب الفناء والموت حتى ذكره الصديق رضي الله عنه بالآية الكريمة ﴿**وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا**

---

١ . صحيح البخاري، ج٢، ص٩١



رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ..﴾[1] الآية. فحينئذ ثاب إليه عقله وعلم أنّ العبد عبد والرب رب فلهذا حذر النبي ﷺ من اتخاذ المسجد على قبره في أول الأمر وأشار إلى جواز اتخاذه عند استقرار الإيمان كما فعلت الأمة فأدخلت قبره الشريف في مسجده بعد نحو تسعين سنة من انتقاله. وإنما لم يأمر ﷺ بهدم المسجد الذي بني على أبي بصير لأن أبا بصير لا شهرة له بين الناس بفضل حتى يمكن أن يفتتنوا بقبره، وإنما هو فرد من أفراد المسلمين فلم يخش من المسجد على قبره أي ضرر وخلل في الاعتقاد.

الدليل التاسع: إنّ النبي ﷺ أخبر أصحابه بفتح بيت المقدس:

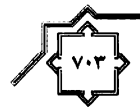
إنّ النبي ﷺ أخبر أصحابه بفتح بيت المقدس وأقطع تميماً الداري أرضا بالتحليل تحقيقاً لوعد الله وخبره بالفتح، وهو يعلم أن بالخليل قبر إبراهيم وإسحاق ويعقوب عليهم السلام. وعلى هذه القبور معبد وقبة فلم يأمر أصحابه إذ أمرهم أن يدفعوا لتميم الداري الأرض التي أقطعه إياها أن يهدموا البناء الذي هو على قبر إبراهيم وعلى قبر غيره من الأنبياء الموجودين بفلسطين بالقدس والخليل وما بينهما. فدل على أن المراد التحذير من علة ذلك لا من نفس بناء المسجد والقبة.

الدليل العاشر: إنّ الصحابة فتحوا البلاد في زمن الخلفاء الراشدين:

أن الصحابة رضي الله عنهم لما فتحوا البلاد في زمان الخلفاء الراشدين لم يهدموا البناء الذي كان على قبور الأنبياء بالشام والعراق وغيرهما من أرض العرب مع قيامهم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتنفيذ كل ما أمرت الشريعة به وما

---

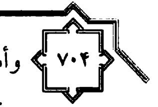
١. آل عمران (٣): ١٤٤



ينقل عن عمر رضي الله عنه في قبر دانيال فذاك خاص به لما وجد عند قبره من الكتابة التي تخبر بأمور وكوائن غيبية، وكان عمر رضي الله عنه يبالغ في التنفير من كل علم يخشى أن يفتتن الناس به ويعرضون معه عن الكتاب والسنة أو يعتقدون معه خلاف ما يجب أن يعتقد في ذلك المخلوق حتى كان إذا قبّل الحجر الأسود عند الطواف يقول رافعاً صوته ليسمع الناس إني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا اني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك، وإنما كان يفعل هذا لأنه خشى على العرب وهم حديثوا عهد بجاهلية وعبادة الحجر أنهم لما يرون المسلمين يقبلون الحجر ربما اعتقدوا أن ذلك لتأثير عنده وتصرف كما كانوا يعتقدونه في الأحجار التي كانوا يعبدونها فلما وجد عند قبر دانيال لوحاً مكتوباً فيه أخبار عن أمور مغيبة وكوائن آتية خاف أن يفتتن الناس بذلك فأمر بهدم البناء الذي على القبر لأنّ اللوح المذكور ملصق فيه أو الكتابة كانت على نفس البناء الذي على القبر، أما قبور غيره من الأنبياء فقد أقر عمر رضي الله عنه البناء الذي كان عليها ولم يهدمه لأنه لم يكن عليها شيء مما كان على قبر دانيال.

الدليل الحادي عشر: إنّ جماعة من الأنبياء والمرسلين مدفونون في المسجد الحرام

أنه جاء في عدة أحاديث وآثار أن جماعة من الأنبياء والمرسلين مدفونون في المسجد الحرام ما بين زمزم والمقام، وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن منهم نوحاً، وهوداً وصالحاً، وشعيباً، وأن قبورهم بين زمزم والحجر، وكذلك ورد في قبر إسماعيل أنه بالمسجد الحرام، وهو أشرف مسجد على وجه الأرض هو ومسجد النبي صلى الله عليه وسلم، فلو كان وجود القبر في المسجد محرماً لذاته لنبشه النبي صلى الله عليه وسلم وأخرجهم فدفنهم خارج المسجد، فإنه أخبر الله أن الأرض لا تأكل أجساد الأنبياء، وأنهم أحياء في قبورهم، كما أخبر الله تعالى ـ بمثل ذلك عن الشهداء،



وأمرنا بأن لا نسميهم أمواتاً فنكون كاذبين في ذلك وهم أحياء ولكن حياة برزخية تلائم الكون في القبر، ولا نتصور كنهها وحقيقتها لأنها من أمور الآخرة التي لا تصل إليها عقول أهل الدنيا.

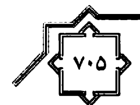
فلما لم يفعل رسول الله ﷺ ذلك دل على أن وجود القبر في المسجد أو بناء المسجد على القبر ليس محرماً لذاته وإنما ذلك لعلته التي بانتفائها ينتفي حكمها، وإذا علمت أن أفضل المساجد على وجه الأرض مسجد مكة ومسجد المدينة اللذان هما الحرمان الشريفان ـ وقد شاء الله تعالى ـ وحكم أن يكون في كل منها قبور متعددة، ففي حرم مكة قبور جماعة من الأنبياء، وفي حرم المدينة قبر النبي ﷺ وقبر صاحبيه رضي الله عنهما ومعهما قبر رابع سيدفن فيه عيسى عليه السلام حين نزوله، كما ورد في بعض الأخبار ـ تعلم أن الدفن في المسجد أو اتخاذ المسجد في القبر من أشرف الأعمال تأسياً بالحرمين الشريفين، فكل مسجد ليس فيه قبر فهو ناقص الفضل قليل البركة عديم الأسوة بأفضل المساجد وأشرفها.

الدليل الثاني عشر: الوسائل لها حكم المقاصد

القاعدة المقررة في الفقه أن الوسائل لها حكم المقاصد واحترام قبر الميت المسلم وتعظيمه بعدم الجلوس عليه والمشي فوقه ونبشه وكسر عظامه مقصود شرعاً، وضده محرم منهي عنه أشد النهي حتى قال النبي ﷺ: «**لأن يجلس أحدكم على جمرة فتحرق ثيابه فتخلص إلى جلده خير له من أن يجلس على قبر**»[1] رواه مسلم وغيره من حديث أبي هريرة، وورد نحوه بأسانيد صحيحة من حديث عبد الله بن مسعود وعقبة بن عامر وغيرهما، وقال ﷺ: «كسر عظم

---

١ . صحيح مسلم، ج٣، ص٦٣



الميت ككسره حياً» رواه أبو داود[١] وابن ماجة[٢] وابن حبان في الصحيح[٣]، بل بالغ ﷺ في تعظيم قبور المؤمنين حتى أمر من رآه يمشي بينها بنعلين أن يخلعهما احتراماً لقبور المؤمنين.

وبالضرورة نعلم أن القبر إذا بقي دون بناء حوش حوله أو بيت أو قبة عليه فهو بلا شك معرض للمشي فوقه والجلوس عليه واندراس أثره، كما هو مشاهد بالعيان من مرور الناس فوق القبور التي لا بناء عليها. وربما يجهل أن هناك قبراً فيبول ويتغوط فوقه بخلاف القبور المحفوظة بالبناء، كما أننا شاهدنا مرات متعددة من يحفر قبراً في موضع لا يظنه قبراً فيجد فيه جمجمة ميت وعظام يديه ورجليه، فمنهم من يحيد عن ذلك الموضع ويحفر في مكان آخر، ومنهم من يحملها فيدفنها في حفرة، ومنهم من يكسرها ويرمي بها. وإنما يقع هذا بالقبور التي لا بناء عليها، أما المبنية فهي محفوظة من ذلك طول الدهر ما وجد ذلك البناء عليها. فإذا كان البناء فيه مصلحة المحافظة على حرمة الميت وحفظ حقه وفيه مصلحة الحي بامتثال أمر الشارع وعدم اعتدائه على الحدود، وكونه سبباً موصلاً إلى ذلك، كان مطلوباً لا محالة لأنه سبب موصل إلى المقصود فيكون له حكمه. وجلّ أحكام الشريعة والفروع التي شرعها الفقهاء ولم يرد بها نص إنما هي من هذا القبيل، أعني مأخوذة من طريق الاستدلال.

الدليل الثالث عشر: ما لا يتوصل إلى المطلوب إلا به فهو مطلوب.

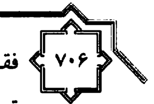
القاعدة المقررة أيضاً، أن ما لا يتوصل إلى المطلوب إلا به فهو المطلوب، وزيارة القبور مطلوبة. أمر النبي ﷺ بها ورغب فيها، وفي زيارة قبره المعظم،

---

١ . سنن ابی داود، ج٣، ص٢١٢

٢ . سنن ابن ماجه، ج١، ص٥١٦

٣ . صحيح ابن حبان، ج٧، ص٤٣٩



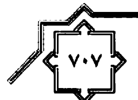
فقال في الأول **«زوروا القبور فإنها تذكركم الآخرة وتزهد في الدنيا»**[1]، وقال في قبره الشريف: **«من زار قبري وجبت له شفاعتي»**[2]، وهو حديث صحيح له طرق متعددة أفردها الحفاظ بالتأليف ومنهم التقي السبكي[3] وكتابه مطبوع متداول فلا نطيل بذكر أسانيده وبيان صحته بعد أن بسط ذلك الإمام تقي الدين المذكور، وكذلك رغب ﷺ في زيارة قبر الوالدين وزيارة قبر الأصدقاء والسلام عليهم، وذكر الأئمة والأولياء أن لزيارة القبور تأثيراً عظيماً في تنوير الباطن، لا سيما قبور الأولياء والصالحين، وأن الدعاء عند قبور بعضهم مستجاب كما قال الإمام الشافعي رضي الله عنه في قبر موسى الكاظم عليه السلام: ـ **«إنه الترياق المجرب»**، وجرب ذلك آلاف مؤلفة من الخلائق في سائر العصور عند قبر القطب ابن مشيش رضي الله عنه في المغرب وقبر القطب البدوي رضي الله عنه وقبر السيدة نفيسة رضي الله عنها بالقاهرة، وقبور أخرى لغيرهم من أكابر العارفين رضي الله عنهم بما إنكاره مكابرة للمحسوس ودفع للمشاهد المعاين الملموس، فلو لم يبن على قبره ﷺ ولم يدخل في المسجد لاندرس كما اندرست قبور إخوانه من الأنبياء والمرسلين الذين هم مع كثرتهم لا يعرف قبر عشرة، بل ولا خمسة منهم بسبب عدم البناء عليهم، ولم يبق محفوظاً إلا قبر إبراهيم عليه السلام ومن معه بسبب البناء أيضاً، ولحرم الناس منفعة زيارته ﷺ الموجبة لشفاعته لهم، كما حرموا بركة زيارة غيره من الأنبياء الذي اندرست قبورهم لعدم البناء عليها، فلما كان البناء موصلاً لهذا المطلوب الشرعي كان مطلوباً لا محالة.

---

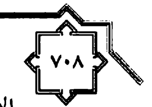
١ . سنن ابن ماجه، ج١، ص٥٠٠

٢ . سنن الدارقطني، ج٢، ص٢٤٤

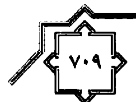
٣ . شفاء السقام، ص٥٦



وقد احتج العلماء بهذه القاعدة، والتي قبلها في كثير من المسائل الأصولية والفروعية، بل بنوا عليها جل ما شرعوه من الفروع ودونوه من أحكام الفقه وفعلوا ذلك في العقائد الإيمانية فغيروا فيها وبدلوا، بل نقضوا كل ما ورد في القرآن والسنة من صفات لله تعالى وأسمائه وخالفوه صريحا، بل ألحدوا فيه إلحاداً ظاهراً بفتح باب التأويل الذي هو فرع التكذيب وإيجابه والحكم على من لم يتبعهم فيه بالكفر والضلال والبدعة بدعوى أنه لا يتوصل إلى التنزيه وعدم التشبيه إلا بذلك التأويل الباطل، بل الرد الواضح لكلام الله ـ تعالى ـ وكلام رسوله ﷺ وأدخلوا في الفرائض والسنن وسائر الأحكام مما لم يرد به كتاب ولا سنة ولا أثر ما لو جمع من المذاهب الأربعة لبلغ عدة مجلدات حاوية لآلاف المسائل، بل تجاوزا الحد في ذلك وتوسعوا فيه حتى أدخلوا في الدين ما ليس منه، بل ما تشهد نصوصه بأنه مناقض له فأجازوا للملوك أن يلبسوا الملابس الفاخرة من الحرير والذهب وأن يتخذوا الحرس المتعددة على الأبواب، وكذلك الحجاب والخدم بملابسهم الخاصة المتنوعة وضرب الطبول والموسيقى وأنواع الملاهي على أبوابهم وبين أيديهم عند الخروج و رفع الجلوس على رؤوسهم وهو من الحرير المطرز بالذهب وغير ذلك من البدع والمحرمات التي إذا عدت بدار الملك بلغت الألف أو جاوزته، كل هذا أباحوه بدعوى أن ذلك تعظم به هيبتهم في النفوس فيتوصل بها إلى نفوذ الكلمة واحترام السلطنة وكل هذه البدع والمحرمات وأمثالها وأضعافها موجودة بأظهر معانيها وأجل مظاهرها وأفخر ملابسها في دار ابن السعود ملك القرنين وفي إدارته وهيأته وملابسه وحاشيته حتى قال بعض من دخل داره بنجد ورأى ما فيها من الرفاهية المحرمة ما كنا نظن أن ما نقرأه بكتاب ألف ليلة وليلة عن الملك وأبهته موجودة حقيقة حتى رأيناه بدار ابن السعود.



كل هذا بمرأى من شياطين علمائه وبعلمهم وهم الآمرون له بهدم قباب الأولياء والصالحين لأن ذلك بدعة منهي عنها وما يفعلونه هم وملكهم وأبناء ملكهم من المحرمات والموبقات والعظائم التي يستحي من ذكرها ليست بدعة ولا منهيا عنها، وكذلك أجاز الفقهاء نحو هذه الأمور للقاضي فأحدثوا له محكمة خاصة به وجعلوا له أعواناً يقفون بين يديه ويمشون أمامه إذا خرج، وخلفه حاجب يمنع الناس من دخولهم عليه إلا بإذنه في كثير من أمثال هذا مما لم يفعله رسول الله ﷺ ولا الخلفاء الراشدون ولا الصحابة والتابعون ولا السلف الصالح واستحسنه هؤلاء ثم أوجبوه لحفظ حرمة القاضي وإبقاء هيبته التي بها تنفذ الأحكام في زعمهم الباطل وحصروا الشهود في عدد معين لا تقبل شهادة غيرهم ولو كان نبياً مرسلاً أو ملكاً مقرباً، وكان العدل الرسمي شيطاناً مارداً وكافراً ملحداً وأوجبوا سجن من يتظلم من شاهد الزور منهم ويصرح له بأنه شهد عليه زوراً ولو كان أكذب خلق الله وأفسقهم على الإطلاق إبقاء على حرمتهم وعدالتهم التي يتوصل بها إلى حفظ الحقوق، ولو قال بملء فيه أن أبا بكر شهد الزور أو عمر لتعجبوا من مقالته دون أن يحكموا عليه بسجن واخترعوا أو اخترع لهم الشيطان تقييد المقال بدعوى أنه لا يتوصل إلى المطلوب، وهو حفظ مقال الخصوم وعدم رجوعهم عنه إلا به، فكان سبباً في إضاعة الحقوق وهلاك المدعين واشترطوا في الخطيب شروطاً مضحكة لم يرد بها كتاب ولا سنة ولا عمل السلف الصالح بدعوى أن ذلك مما يلقى هيبته في النفوس وإجلاله فتقبل على وعظه وتقبله ولا ترده عليه واستحبوا للعالم أن يلبس العمائم الضخمة والأكمال الواسعة والبرانس والأكسية المعلمة بالحرير الرقيقة الجيدة وغير ذلك من المحرمات والمكروهات بدعوى أن ذلك يتوصل به إلى تميز العالم عن العامي فيعرف حتى يسأل ويستفتى ويحترم ولا يهان ولا



يؤذى، وأجازوا ضرب الطبول والنفخ في الزمارة وغيرها من العوائد المحرمة أو المكروهة في شهر رمضان لأنه يتوصل بها إلى معرفة أوقات السحور والإمساك، وأجازوا تزويق المساجد وفرشها بالحصر والزرابي لأنه أدعى للإحترام ولما فيه من مصلحة المصلين، مع أنه ورد النهي بل الوعيد على ذلك كالنهي والوعيد الواردين في اتخاذ المساجد على القبور وبنوا المنارات المطلة على بيوت الناس التي يتكشف المؤذن منها على عوراتهم لأنه لا يمكن إعلام الأباعد عن المسجد وسماعهم الأذان إلا بها ووضعوا فيها العلم الأبيض في سائر الأيام والأسود يوم الجمعة مع ورود النهي عن ذلك لأنه لا يمكن إعلام الأباعد جداً الذين لم يصلهم صوت الأذان إلا بها، وكم لهذا من نظير في سائر أبواب الفقه من عبادات ومعاملات ما أكثره أو كثير منه ليس له من الأسباب المجوزة له عشر ما لمسألة البناء على القبور من الأسباب، ومع هذا تجد الفجرة من المنتسبين إلى العلم يعدونه شرعاً لازماً وديناً منزلاً لعظيم جهلهم الناشئ عن تقليد أحبارهم، وكون ذلك موافقاً لهوى نفوسهم وعوائد بلادهم؛ والمقصود أن قاعدة ما لا يتوصل إلى المطلوب إلا به فهو مطلوب من أعظم القواعد الفقهية التي ينبني عليها كثير من الأحكام والمصالح الشرعية، وإن كان الفجار قد يتوصلون بها إلى ما هو مخالف للدين، مناقض له من الأساس، كما هو حال فجرة العلماء وما ابتدعوه لملوكهم ووزرائهم وحكامهم، بل زاد فجرة العصر ففعلوا مثل ذلك مع الكفار المستعمرين نسأل الله اللطف والعافية بمنه.. آمين.

الدليل الرابع عشر: إنّ النبي ﷺ وضع على قبر عثمان بن مظعون صخرة عظيمة.

إنّ النبي ﷺ وضع على قبر عثمان بن مظعون رضي الله عنه صخرة عظيمة، وقال:



«أعلم بها قبر أخي وأدفن إليه من مات من أهلي» رواه أبو داود[١] وابن ماجة وجماعة، فهذا تأسيس لوضع العلامة على القبر وتشريع لها وللمحافظة على القبر لا سيما قبور الصالحين والعلامة لا تنحصر في الصخرة، وإنما وضعها النبي ﷺ لأنها كانت المتيسرة أمامه ساعة الدفن، وكان ﷺ لا يتكلف لشيء، بل يقضي بالموجود في كل شيء من طعام وملبوس ومركوب وغير ذلك.

فإن جازت العلامة على القبر لحفظه من الاندراس فلا فرق بين أن تكون بصخرة أو بغيرها كما أنه إذا جازت الصخرة جاز اثنان وثلاثة وأربعة بحسب ما تدعوه الحاجة إلى إثبات العلامة، وكذلك يجوز ربط تلك الأحجار بعضها ببعض بالطين والجير لئلا تتبعثر وكونه ﷺ نهى عن البناء قد برهنا على أن المراد بالبناء الذي يكون فوق القبر لطمسه لا البناء الذي يكون حول القبر.

الدليل الخامس عشر: ارتفاع قبور الشهداء والصحابة

إن قبور الشهداء والصحابة كانت مرتفعة كما في صحيح البخاري عن خارجة بن زيد قال رأيتني ونحن شبان في زمن عثمان رضي الله عنه أن أشدنا وثبة الذي يثب قبر عثمان بن مظعون حتى يجاوزه[٢]، وقد سبق أن النبي ﷺ إنما وضع عليه صخرة: وكون الشاب لا يستطيع أن يثب عليه إلا إذا كان قوياً شديداً يدل على عظم ارتفاعه وتباعد جانبيه وذلك لا يمكن بالتراب وحده ولا بالصخرة وحدها لوجوه:

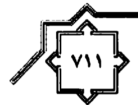
أحدها: إنّ وضع التراب الكثير على القبر الزائد على الخارج منه مكروه.

ثانيها: إنّه لا يمكن في العادة أن يبقى التراب الكثير مرتفعاً مجموعاً فوق القبر أزيد من ثلاثين سنة.

---

١ . سنن ابى داود، ج٣، ص٢١٢

٢ . صحيح البخارى، ج٢، ص٩٨



ثالثها: إنّ التراب المجلوب لا يمكن أن يرتفع هذا الارتفاع المشار إليه دون أن يخالطه حجارة وطين، كما أنه لا يمكن أن يدوم هذه المدة الطويلة.. فإنا نرى التراب الذي يجعل على القبر لا يمر عليه سنة أو سنتان حتى يذهب وتنسفه الرياح ويبقى القبر مسوّى بالأرض.

رابعها: إنّ هذا لا يمكن أيضاً بالنسبة للصخرة التي وضعها رسول الله ﷺ عند قبره، لأنها وإن كانت كبيرة فهي لا تصل إلى هذا الحد الذي لا يستطيع أن يثب عليها إلا الشاب القوي. لأن النبي ﷺ حملها بيده الكريمة ووضعها عند القبر، وأيضاً لو كان ذلك بالنسبة لها لقال: وإن أشدنا الذي يثب الصخرة التي على قبر عثمان مع أنه عبر بالقبر دون الصخرة فدل على أنه كان مبنياً في زمن الخلفاء الراشدين الذين فهموا من وضع العلامة على قبره الأذن في البناء عليه.

وقال ابن أبي شيبة في المصنف: حدثنا وكيع عن أسامة بن زيد عن عبد الله بن أبي بكر، قال رأيت قبر عثمان بن مظعون مرتفعاً[1]، فهذا صريح في أنه كان مبنياً بناء مرتفعاً.

وقال ابن أبي شيبة أيضاً: حدثنا ابن علية عن منصور بن عبد الرحمن عن الشعبي، قال: أتيت على قبور الشهداء بأحد فإذا هي شاخصة من الأرض»[2] والقبور المشخصة بالتراب لا يمكن عادة أن تبقى من وقت غزوة أحد في السنة الثالثة إلا زمن التابعين.

---

١ . المصنف لابن ابى شيبه، ج٣، ص٢٣

٢ . المصدر نفسه، ج٣، ص٢٨



خاتمة

فبان من هذه الأدلة جواز البناء على القبر إذا كان دائراً حوله سواء كان بيتاً أو مدرسة أو قبة أو مسجداً وأن الجمع الذي جمعنا به بين هذه الأدلة الدالة على الجواز وأحاديث النهي الدالة على المنع أو الكراهة جمع واجب متعين لنفي التعارض الواقع ظاهراً بين الأدلة وأن بذلك الجمع المؤيد بالدليل والبرهان، ارتفع الإشكال في الباب، وبقي الجواب عن الحديث الذي ذكره السائل أيضاً، وهو حديث علي عليه السلام وقوله لأبي الهياج أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ **«لا تدع تمثالاً إلا طمسته ولا قبراً مشرفاً إلا سويته»**[1] وهو من وجوه:

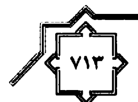
الوجه الأول: إنه خبر متروك الظاهر بالاتفاق لأن الأئمة متفقون على كراهة تسوية القبر وعلى استحباب رفعه قدر شبر، بل عند الحنفية قول بوجوب ذلك.

الوجه الثاني: إنه مخالف للسنة الثابتة عن رسول الله ﷺ والصحابة بعده من رفع القبور وتسنيمها ومخالف لقبر النبي ﷺ وصاحبيه كما ذكره السائل نفسه في الأحاديث التي ذكرها حينئذ فلا بد من أحد أمرين: إما أن يكون غير ثابت في نفسه أو هو محمول على غير ظاهره ولا بد.

الوجه الثالث: وإذا ثبت أنه على غير ظاهره وأنه يجب رده أو تأويله ليتفق مع الأحاديث الأخرى التي هي أقوى منه سنداً ومعنى، فقد أجاب عنه الأئمة والفقهاء كما ذكره غير واحد منهم النووي فقال في شرح المهذب: أجاب عنه أصحابنا قالوا لم يرد تسويته بالأرض، وإنما أراد تسطيحه جمعاً بين الأحاديث ا.هـ. أي فيكون حجة للشافعية ومن وافقهم فيما ذهبو إليه من أن تسطيح القبر أولى من تسنيمه، ولئن كان هذا المراد به فهو حجة ظاهرة قوية في تأييد مذهبهم.

---

١ . صحيح مسلم، ج٣، ص٦١



الوجه الرابع: وهو الصحيح عندنا أنه أراد قبور المشركين التي كانوا يقدسونها في الجاهلية وفي بلاد الكفار التي افتتحها الصحابة رضي الله عنهم بدليل ذكر التماثيل معها وإلا فالسنة وعمل الصحابة على خلافه بالنسبة لقبور المسلمين، وقد مر أن قبور الشهداء كانت مرتفعة، وأن قبر النبي ﷺ وصاحبيه رضي الله عنهما كانت مرتفعة كما ذكره السائل نفسه في الأحاديث التي احتج بها المنتقد، وممن فعل ذلك بها علي بن أبي طالب رضي الله عنه نفسه لأنه كان وقتئذ بالمدينة وهو من أهل الحل والعقد في الأمور. لا يفعل أمر مثل هذا إلا بموافقته؛ ولو كان عنده أمر من النبي ﷺ بتسوية القبور لما وافق على رفع قبره وقبر صاحبيه، فكيف يجوز مع هذا أن يأمر أبا الهياج بتسوية القبور، وقد سبق أيضاً أن الحكيم الترمذي[1] روى عن فاطمة عليها السلام أنها كانت تأتي قبر حمزة فترمه وتصلحه، وكذلك رواه مسدد في مسنده ونقله عنه ابن عبد البر في التمهيد[2] أنها كانت تتعاهد قبر حمزة رضي الله عنه كل سنة وترمه.

وهذا في حياة رسول الله ﷺ لأنها لم تعش بعده إلا ستة أشهر، كما أنها ما كانت تخرج لذلك إلا بإذن من زوجها علي بن أبي طالب وموافقته، فلو كان عنده أمر من النبي ﷺ بتسوية القبور كما يقول أبو الهياج لما وافق زوجته على ذلك، وأيضاً لو كان عنده أمر بذلك من النبي ﷺ لما تأخر عن تنفيذه لا سيما في زمن خلافته وإفضاء الأمر إليه، وقد ثبت في الآثار السابقة وغيرها أن قبور الصحابة والشهداء كانت مرتفعة في زمن الخلفاء الراشدين وبعدهم في زمان التابعين، فوجب أن يكون مراد علي رضي الله عنه قبور المشركين ولا بد أن يكون الخبر مردوداً، وغير هذا لا يكون أصلاً.

---

١ . نوادر الاصول فى احاديث الرسول، ج١، ص١٢٦

٢ . التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ج٣، ص٢٣٤



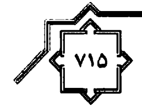
خطأ من يتمسك بالحديث المذكور

وبهذا تعلم خطأ من يتمسك بهذا الحديث ويذهب إلى وجوب تسوية القبور وهدم ما عليها من البناء والقباب كالقرنين الذين فعلوا ذلك بقبور الصحابة والشهداء والصالحين بالمدينة ومكة وغيرهما مما احتلوه من البلاد، وأما أرضهم فلم يجعل الله منها ولياً ولا صالحاً منذ ظهور الإسلام إلى وقتنا وإنما جعل بها قرن الشيطان وأتباعه خوارج القرن الثالث عشر وما بعده فليتق الله من يغتر بهم وينصر مذهبهم الفاسد ورأيهم الباطل وضلالهم المنصوص عليه من النبي ﷺ الذي سماهم كلاب النار وأخبر بأنهم شر قتلى قُتلو تحت أديم السماء وأنهم يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية، وأنهم يقولون من خير قول البرية، وهو ما يتمشدقون به من التوحيد والعمل بالسنة ومحاربة البدعة وهم والله غرقى في البدعة، بل لا بدعة شر من بدعتهم الواصلة بهم إلى المروق من الدين مروق السهم من الرمية مع اجتهادهم في العبادة والتمسك بالدين ظاهراً، كما قال النبي ﷺ في وصفهم «**يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم**»[1]، ولهذا امتنع ﷺ من الدعاء لنجد لما دعا لليمن والشام، فقال: «**اللهم بارك لنا في يمننا، اللهم بارك لنا في شامنا**»، فقالوا: وفي نجدنا يا رسول الله، فأعاد الدعاء لليمن والشام، فأعادوا قولهم، فقال في المرة الثانية أوالثالثة مبيناً سبب عدم دعائه لنجد: «**هناك الزلازل والفتن وبها يطلع قرن الشيطان**»[2] فلم يظهر منها ممن حصلت به الزلازل والفتن في الدين إلا محمد بن عبد الوهاب الضال المضل فكان هو قرن الشيطان الذي أخبر

---

١ . صحيح البخاري، ج٤، ص١٧٩

٢ . صحيح البخاري، ج٨، ص٩٥



به الرسول ﷺ وامتنع من الدعاء لنجد من أجله ومن أجل الفتن الصادرة بسبب دعوته الإبليسية التي ما تمسك بها أحد إلا وكفر عياناً وكان خاتمة أمره الإلحاد والمروق من الدين كما هو مشاهد من سائر ملاحدة العصر المشاهير بالإلحاد فإن جميعهم كان ابتداء أمره التمسك بمذهب قرن الشيطان، كما هو معروف لأهل العلم والخبرة والاطلاع..

وهذا ما يسّره الله ـ تعالى ـ في الجواب عن السؤال.. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه كلما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون، والحمد لله رب العالمين..

المؤلف

أحمد بن الصديق الغماري



المصادر

الاستيعاب في معرفة الأصحاب، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ.

الأم، ابو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي، دار الفكر، بيروت، الطبعه الثانية،١٤٠٣هـ.

تاريخ أصبهان، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن مهران الأصبهاني، تحقيق: كسروي، سيد حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ.

التاريخ الكبير، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محمود محمد خليل، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، بلا تاريخ.

التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، ١٣٨٧هـ.

حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ابو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهاني، السعادة، مصر، ١٣٩٤هـ.

سنن ابن ماجة، محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت، بلا تاريخ

سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث السِّجِسْتاني، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، بلا تاريخ.

سنن الترمذي، أبو عبد الله، محمد بن علي بن الحسن بن بشر الترمذي، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، دار الفكر، بيروت، الطبعه: الثانية،١٤٠٣هـ.

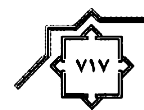
سنن الدارقطني، الدارقطني، تحقيق: مجدي بن منصور سيد الشوري، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الاولى، ١٤١٧هـ.

السنن الكبرى، أحمد بن الحسين، أبو بكر البيهقي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤هـ.

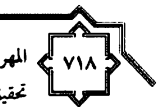
سنن النسائي، أحمد بن شعيب بن علي النسائي، دار الفكر، بيروت، الطبعه: الأولى، ١٣٤٨هـ.

شرح مشكل الآثار، أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ.

الشريعة، أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجُرِّيُّ البغدادي، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عمر



بن سليمان الدميجي، دار الوطن، الرياض، الطبعة: الثانية، ١٤٢٠ هـ ـ ١٩٩٩م.
شفاء السقام في زيارة خير الأنام، تقى الدين سبكى، بلا مكان للنشر، الطبعه: الرابعه، ١٤١٩ هـ.
صحيح ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد الدارمى، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، موسسه الرساله، بيروت، الطبعه: الثانية، ١٤١٤هـ.
صحيح البخاري، محمد بن اسماعيل البخاري، دار الفكر، بيروت، ١٤٠١هـ.
صحيح مسلم، مسلم بن حجاج النيسابوري، دار الفكر، بيروت، بلا تاريخ.
الطبقات الكبرى، أبو عبد الله محمد بن سعد، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٦٨م.
كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، علاء الدين علي بن حسام الدين المتقي الهندي، تحقيق: بكري حياني وصفوة السقا، مؤسسة الرسالة، الطبعة الخامسة،١٤٠١هـ.
الكنى والأسماء، محمد بن أحمد بن حماد بن سعيد بن مسلم الأنصاري الدولابي، تحقيق: أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ.
لسان الميزان، ابن حجر، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، الطبعه: الثانية، ١٣٩٠هـ.
المحلى بالآثار، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي، دار الفكر، بيروت، بلا تاريخ.
المراسيل، أبو داود سليمان بن الأشعث السِّجِسْتاني، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ.
مسند ابن راهويه، إسحاق بن راهويه، تحقيق: الدكتور عبد الغفور عبد الحق، مكتبة الإيمان، المدينة المنورة، الطبعه: الأولى، ١٤١٢هـ.
تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الاولى، ١٤١٧هـ.
مسند احمد، الإمام احمد بن حنبل، دار صادر، بيروت، بلا تاريخ.
المصنف في الأحاديث والآثار، أبو بكر بن أبي شيبة، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩هـ.
المصنف، أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٣هـ.
المعجم الكبير، ابوالقاسم الطبراني، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، دار إحياء التراث العربي، بلا تاريخ.
المغني لابن قدامة، عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة، مكتبة القاهرة، ١٣٨٨هـ.



المهروانيات (الفوائد المنتخبة الصحاح والغرائب)، أبو القاسم يوسف بن محمد أحمد المهرواني، تحقيق: د. سعود بن عيد بن عمير بن عامر الجربوعي، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

نوادر الأصول في أحاديث الرسول ﷺ، أبو عبد الله، محمد بن علي بن الحسن بن بشر الترمذي، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت، بلا تاريخ.